

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57_298** DU **11** MARS **1957**)

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والسير

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1938

Volume 1

MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'ACRPP qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif*

© 1998 A.C.R.P.P.

**PROVENANCE DE LA
COLLECTION**

**INSTITUT DU MONDE
ARABE**

Cote: 833 (051) RIW



MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'ACRPP qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif*

© 1998 A.C.R.P.P.

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

برل الامتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحبة الحصراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٣٤٥٥

الحرورية

مجلة اسبوعية للقصص والبرائح

تصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٣٥ ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٦ - أول فبراير سنة ١٩٣٨ السنة الثانية

أن الذين سمروا بهذا المنزل - على
ندوتهم - لم يحسوا الرغبة أو لم
يجدوا المرأة ليقتحموا بها

كان على سطحه ثلاث مداخن
شواهد شقت السقف فبدا بها كأنه
الكروسي المقلوب ، انفتل على جنباتها
خيوط دقيقة من الدخان ، وعلق بهاماتها

سيقان طويلة من القش ، يحركها من النسيم قترقص
على إيقاع متخيل . وكان ذلك السطح الصفح
بالأردواز قد اصطبغ بصبغة الذهب الكابي فتشابه
لونه لون التفاح على أشجاره المارشة فوق الحائط
الخليق . وفي الحديقة اعتمص بالجدران الواطئة النهار
أدغال شواجن من غنب الكشمش (١) ؛ وعلى صدع
من صدوعها قامت شجرة وحيدة من شقائق
النمان كانت ترمك وتقوم في صلاة متتابعة ضائمة تحت
عصف الريح المحملة بذرأت الرمل .

(١) هو العنب الباني

رجل البحر

للكتاب القصصي هـ. أ. مانهود
بفترام احمد حسن الزيات

عثرت نجاة على الجوسق (١) كما يثر متصفح
الكتاب على صورة ما كان يتوقها . وكان هذا المنزل
الصغير قائماً في صدر الخليج كأنه جوهرية غليظة
الصقل رُكبت على هلال مشبك . فإذا أردت أن
تصل إليه سرت على الرملة أو اتخذت طريقاً ضيقة
تسلسل على حفافها إعلان من وحش النبات ،
تنشب قبل أن تبلته إلى شبتين تسييران مع الحواط
المتداعية للحديقة ، ثم يجتمعان من وراء قصيران
مواطي أقدام تنقل حتى تدخل المنزل ، فلا يملك
وأنت ترى هذا الطريق الطعوس إلا أن تظن

(١) الجوسق هو اليب الريني المنرد

تجرت دواء مرا بقي مذاقه في فمها . فلما قرعت عليها الباب فزعت ، فشرحت لها سبب زيارتي إليها ، فقالت تמיד ما قلت في سذاجة :

— تريد لنا ؟ ثم وضعت مكواتها على وعاء وذهبت إلى خزانة الطعام فكشفت عن إحدى الجرار وقالت : نعم أستطيع أن أعطيك لبناً .. وبيضاً أيضاً . تفضل فأدخل هنا واقعد قليلاً . ثم تقدمتني إلى حجرة فتحت بابها وقالت : أعشدر إليك من سوء النظام فإن المنزل صغير . وأسرت إلى الثياب المطوية الموضوعة على الكرسي فرفضها ، وإلى نسخة ضخمة من التوراة كانت تشغل مقعداً من الشعر فنقلها ؛ ثم نفست النبار بذيل عيدها ، وأصلحت مآتهوش من النطاء الطرز على مسند الكرسي ثم ولت وهي تقول : لن أعيب عنك طويلاً . دقيقة واحدة

كان لا بد أن تمرّوني هزة من البرد في هذه الحجرة . كان أممي صليب من البورمعلق على الحائط ونوع من الأرافين جاني من الرواية . فوق في نفسي أن أعزف على هذا الأرغن الصغير ممقداً أنني متى أمرت أنأمل على مضريه غنى مي هذا الكاهن^(١) انجهمول الذي يحرس الباب ، وذلك (اللورد نلسون) ، وهذا (الطفل المبذر) ، وسائر هؤلاء الذين يحقدون النظر في وهم محصورون في أطيرهم التبر فتناً نظراتهم نفس روعة وروبة . لقد عدت — زيادة على عين نلسون الواحدة — ثلاثين زوجاً من العيون ، فكنت على وشك أن أعلن لهذا القاضي أنني غير مذهب . وكان في الحجرة غير ذلك تذكارات وكتب تكفي لإقامة سوق : أضفنا من السرخس الجفاف ، وزجاجة من ماء الأردن ، وأهرام من فواكه الشمع قد غشاها النبار ، وأوانٍ وشاعداً قد قامت على جدار

(١) كاهن صور معلقة على الحائط

لا يستطيع واصف هذا الجوسق أن يقول إنه ينظر إلى البحر ؛ إنما كان يلاحظه عن معرض ملاحظة الحاي يتقدأه في أمن من ارتفاع الدمهما طنى . وكان على الشب القابل الحائل زورق أخرج من الماء فنسجت المناكب على جوانحه غزلها الواهن الحش ، وقد نقش على جانبيه بحروف لا تكاد تقرأ :

(ميكائيل سوان — بورت آن)

وعلى مقربة منه رشباك صيد قد نُشرت على أربعة أوتاد في الرمل على شكل المدرج ، تدور بينها قرأشتان أمام الباب القاهل الناق ، وألفاف من النبات تردهر تحت النافذة وتنتظر خلصة إلى البحر ، وكومة من الأوراق الصفرة قد ارتفعت إلى عماد الحائط ، ومجداف خاص منحرفاً في الرمل متجها إلى الجوسق ، وقد كُتب على صفحته بالحديد المحمي كلمة The كاهن الرمن الهدد

دفعت باب الحاجز فتنبه الحارس ، وهو قط أسمر اللون قد رقد مستديراً في مصيدة عتيقة من مصائد السرطان البحري ، ثم نظر إلى لحظة وعاد إلى نومه من غير أن يتحرك . وكنت قد جاوزت الغناء البلبط بالحجر التليظ ، ورأيت الطيخ تسطع منه روائح الوقود من اليوكالبتوس والصنوبر وقد دخله ضوء الشمس من بعض الشرُجات فتدور فوق أرضه كالذناير ، والوقد تندلع في بهرته السنّة اللب الأزرق ، واللأثاء ينبسط عليها رخوان ممزق ، وامرأة دقيقة النظام صغيرة الجفّة قد حسرت عن ذراعيها وأخذت تكوى بض الثياب على هذه اللأثاء في نشاط وهمة ؛ وكان شعرها القليل قد ردت به بناية إلى قنالها فانقص خفيفاً على قفاها ، ثم قرّقه على الجبين خط كاهن الطريق في أرض منيرة بور . وكانت شفتاها مضمومتين مضمومتين فتحسبها

قلت لما : صورة جميلة ! لقد كنت أود لو عرفت
وليك ، فإن القليل من الناس هم الذين يسرون في
الحياة ويعيرونهم مفتوحة . فاختلج يداها وتقلصت
ألملها فندمت على أن تكلمت . قالت : إن ولدي
مدفون هناك على الرابية . وكأنها كانت لا تزال تسمع
جرس الكلمات الذي خفت فبدا عليها أثر الشك .
وصوبت طرفها إلى ركن من أركان الحجرة وقالت :
أنا وحدي التي أعرف أنه مدفون هناك .

ثم تألفت على الرغم منها الحروف ، ونظفت على
غير إرادتها الكلمات ، فقالت :

«أنا أعلم أنك غريب ، ولكن لا بأس . إن سرى
ينقل أحياناً على صدري ، فأني من أستريح بمكنونه
وأستريح من عنده ؟ ليس لي إلا ميكائيل زوجي ،
وهو لا ينبغي أن يعرفه مطلقاً ، إن ذلك يقطع نياط
قلبه البائس ! واستمرت شفتاها تنفجران ويختلجان
ولكنني لم أسمع شيئاً . ثم دلفت إلى النافذة وتناولت
السفينة بيدها في حيطه وفرفق ، وافتت ثمرها عن ابتسامة
شاحبة أضاءت على شفتيها كما نضى الشمعة الضئيلة
في ركن الحجرة الواسعة المظلمة ، ووضعت أمامي
نموذج السفينة ثم تطرحت مهالكة على مقعد كأنما
أنصبت نفسها في عمل لا تقيقه ، وقالت بصوت خافت
متهافت : ذلك من صنع ولدي ! لقد كان ماهر
اليدي كآب الدهن خصب الخيال ، يتصور الأشياء
المعجبية ، ويروي الحوادث الثرية ، وذلك مما وقع له
في السفر أو سمع به في البلاد . لقد كان يخيل إلى أني
أقرأ التوراة وأنا أسمعه . لماذا أخذ الموت ؟ لقد كان
الله حرياً أن يعلم ... ! ولكن لا ينبغي أن أشكو
هذه الشكوى ، ولا أن أجزع هذا الجزع . إن
ولدي جون كان لا يرحى يقول :
إن الوفاة خير من البلاد . لقد كان يعرف ...

الحجرة كما يقوم السائلون في زوايا الطرق . وكان
الورق الملون الذي يكسو الجوانب قد حال لونه
فانكساً ، وذهب لصفاه قهطل ، وموقد المدفأة يحطر
من حين إلى حين رذاذاً من السناج على طاقة ضخمة
من الزهر المنوع من الورق الأبيض . وعلى مسند
النافذة كان هناك شيء واحد يسترعى النظر جماله :
نموذج مصغر لسفينة من سفائن القرن الخامس عشر
صُنع من خشب الزان ، وصُيغ بلون الدخان ، ونُصب
عليه شراع مقبب كأنما ملأه الريح . وعلى جوانب
السفينة أصص كبيرة فيها صبار تكدت أوراقه على
شكل السكاكين ؛ ومن وراء السفينة تبصر من
النافذة المفتوحة شبح البحر الأديم وقد انبسط
وامتد حتى الأفق ؛ وعلى غواربه الواجة يجرى
زورق صغير كأنه الورقة الداوية

كان يصدر عن الطبخ أصوات مختلفة كرنين
الأكواب واصطدام السفينة وسقوط اللقمة . ثم
دخلت العجوز الصنيرة فجأة ففتشت خزاناً أبيض
غير مصقول ، ورفضت عن المائدة المزعجة ما يغطيها
من الأشياء ؛ ثم مدت الخوان فوقها بناية الورع
التي يزين بالوشى صدر الهيكل . ولما حدثتها عن
الوضع الذي تسقط عليه أطراف الخوان حدثت
بصرها إلى فجأة وقالت منغممة وهي تفكر :

نعم يا يسدي : أجنحة من طير النورس كما
قلت ؛ زوج في كل زاوية
ثم سمعت لحظة ، وظهرت في عينيها الوداعة
والحنان كأنها كانت تجتلي رؤيا داخلية . ثم عادت
تقول :

إن ولدي كان يقول مثل هذه الأشياء : كان
يقول إن نسايج العنكبوت هي أشباح المجالات
المحطمة والتروس المهمشة ...
ثم وضعت على الخوان كوباً وألملها ترنجيف .

وفي الحق لقد عاد بعد قليل ! فقد ثارت يوم
رحيله عاصفة هوجاء زعج فيها الرعد وهزمت
الريح حتى شق على المرء أن يسمع نفسه . وكنت
أنا وأبوه نرى مع ذلك أن الأمور تجري لولدها في
بجراها الحسن

رصدنا سفينة (جون) وهي (سبينتج كلود)
ولكننا لم نر شيئا . على أننا رجونا أن الأمور تجري
لجون في بجراها الحسن
ولا يزال ميكائيل يرجو !

انقضت بضعة أيام . وفي يوم سبت رأيت طيور
النورس تحوم ناحية على رأس (كتسي) . وقد
ظلت نحوه النهار تتشاجر وتتطار كأنها قصاصات
من الورق تتأثرت في الهواء
لم أدر ماذا كانت تعمل ، فقد كنت من عملي في
شغل شاغل

وبعد الظهر أقبل رجلان غريبان بطلبان إلى
لوحاً من الخشب وقطعة من قماش الشراع ، فأتهم
وجدوا على الساحل تحت الرأس جثة بحار قذف بها
البحر . فأعطيتهما ما سألا ، وذهبا ثم عادا بالجثة وها
بلهتان تمبا ، وقصبيان عرقا ، فوضاها في مخزن
الحب . وكانت تتدلى من تحت القماش الذي لف به
الجثة مزة من قيص كأنها الجناح الكبير . فلما
انصرف الرجلان فنضت القماش عن الجبان وخضت
القميص فمرقته . عرقته لأنني طالما غسلته وكويته !
لقد عاد ولدها جون !

كشطت الأسماك المعلقة بمخاض جون ؛
ثم فكرت في زوجي فسألت الله أن يبينني على
إخفاء السرعه . فاستجاب الله لي ، إذ لم يدع في
جبان جون ولا في لباسه ما ينم على شخصيته
إلا هذا القميص ؛ وميكائيل ضيف القاكرة
فلا يستطيع أن يعرفه . ولما رجع في المساء ذهبت

وكانت تمسح يديها على جدار السفينة في حال
من التهور خذرت أعصابها ، وألمت أوصالها ، فعاد
صوتها خافتا تحديث النفس ، وكلامها عذبا كرتين
الموسيقى ، فكانت كلماتها أشبه بالورود تنثر على قبر !
« لقد كان من الطبيعي أن يصير ولسي بحاراً ، فإن
ملح البحر كان يطبع دمه . كان وهو صغير يتحدث
عن الأمواج كما يتحدث عن أخواته . وكان يسمى كل
موجة اسماً : فهذه (الكرونة المجددة) وتلك
(الكلاية) وهاتيك (الكسوة) . ولم يبلغ الخامسة
والعشرين من عمره حتى كان يعرف كل بحار العالم .
لقد كان مساعد الربان في سفينته . وكان كلما عاد
من سفرة لاحظت فرقا واضحاً في رجولته وكفايته
واستمداده ، فأقول لنفسي وأما أنظر إليه :

إن جون ولسي لا يرتاح لشيء ولا يتضمنع لحادث !
لقد صنع هذه السفينة الجلية أثناء رحلته
الأخيرة . وكان في اسمه الآن حين عاد وهو ثبتت
هذا الخنوق على لوح من الخشب يقول :
« هاك يا أماء ! تلك سفينتك قد أرسدت
على المرفأ »

وكان بضحك وهو يقول لنا : تحققوا من
وسن المركب . ولما دخلنا النار أنا وميكائيل وجدنا
رزمة من الأوراق اللالئة تكفي أن نعيش عليها خمس
سنين ، ثم قدراً من الطباقيليكائيل ، ورمشكاً لي .
ولا تسلم عما ألم بنا في تلك الليلة من الأظلياف
الرائمة والأحلام الجلية !

لبث فينا ثلاثة أسابيع كانت كلها فرحاً ومرحاً
وهجة ؛ ثم حُمّ القراق وأُعدّ الرحيل ، فصحبناه
ذات صباح إلى (بورتسدون) . وطلب إلينا أن نرقب
سفينته وهي تغلق في بكرة الند إلى عرض (المنش) ،
ووصف لنا شكلها ولونها ورسمتها حتى لا ننساها
بين السفن ؛ وقال وهو يودعنا إنه سيمود عما قليل

جوف الزورق سمكة غريبة الشكل مشمة الجسم ،
فتناولها ميكائيل بيده وقال في هدوء وببطء :

عجيبه من عجائب خلق الله ! قصصها في معبده
من مصائد السراطين ثم قتلها أسرع ما أستطيع
وكأنما كان الشيخ يستغفر لنفسه قوة خفيه .

فحدثته عن سمكة تشبه هذه السمكة يجدها السافرون
في بحر الكرايب . فنظر الرجل إلى وهو يفكر ؛

وبدا عليه أنه كان ينضد الكلام الذي يلقه ،
كما ينضد البناء الأجر الذي يبنيه . ثم قال وهو
بوى رأسه إلى الجوسق : لقد حدثك عن ولدها .

أليس كذلك ؟ إنني أعلم كيف ترك الركب مرساه
وهي معجبة ببطاره . إنها تمتد الآن ولا شك أنه

في جزيرة من الجزر النائية . ولا بد أن تكون قد
سألتك : هل سمعت الناس يتحدثون عن جون سوان ؟

إن ولدنا عاد ! ولكن زوجتي لا تعلم . إنها
ضيفة البنية هشة العظام ، فلو علمت أنه دفن في

مقبرة المجهولين لنشيتها ولا رب سرعة الموت
إن ولدهى خلفته موجة من طواغى الوج ، ثم

دفع به التيار إلى الشاطئ مشوه الوجه مستسر
لالمالم . فغرت عليه قريباً من الرأس حين تنفس

الصباح ، فزعت عنه ما ينم عليه من الأوراق
والأزوار والملائم ، وذهبت قدماً إلى (بورتسدون)

ألتبس من يحمله ، فلم أكد أترك المكان حتى صر
بالجنة رجلاً فقلاًها إلى الزل

إنها لم تعلم حتى اليوم أن ذلك الجنان الممزق الذي
كان مسجى في غزن الحب كان من لحمها ودمها .

لقد لقيتني في ذلك المساء فقالت لي في لهجة نهم
عن الأمسي الكنون : شاب مسكين وجوده على

الساحل ! لا بد أن نبذل ما نستطيع لنعرف من
هو . إن أمه تتحرق الآن شوقاً إلى لقاءه ، وتسال

الرائع والنادى عن أبنائه ... ! الزيات

إلى لقاءه ، وأخبره أن الأمواج ألقت في الساحل
جثة بحار . فأقبل بها . وما أنس لأنس النظرة

التي ألقاها على التريق ! ولكنه لم يعرف ولدنا جون
ثم خشيت أن يأتي نبأ النورق فيقوض كل

ما بينته ، فكتبت إلى النواخذة^(١) أحقق الخبر ،
فأجابني أن كل شيء كان على أحسنه ؛ وأرسلوا

إلى ثبث اللواتي مسجلاً فيه ما تلقه السفينة من
الوسوق ، فاستنتجت أن ولدنا ألوت به هيمن الریح

الساينة ، أو موجة من الأمواج الطاغية ، وهو يحاول
على ما أظن أن يلقى نظرة الدواع على منزله . ولم يكن

النواخذة على علم بمصرعه . ولن يعلوه هم ميكائيل
إلا يوم تؤوب السفينة وعليها مساعد آخر . ولكن

(اسيفنج كلود) لن تؤوب ؛ فقد ابتلعها البحر
البعيد على الشاطئ الأقصى من العالم . ونجا البحارة

وتفرقوا في البلاد شذر مذر . ويستقد ميكائيل أن جون
استقرت به النوى في مطرح من مطارح القرية ، وأنه

سكبت إليها متى جمع ثروة . وأسأل الله أن ينثته
دائماً على هذا الاعتقاد وذلك الأمل !

تحركت أذن القط الأبيض لحظة حين عبرت
الفناء ، ولكنه لم يفتح عينيه تجاهلاً لوجودى .

وكان الخليج خالياً ، والزورق الذي رأيته منذ ساعة
يجرى على الموج قد اضطجع على الرمل كأنه سمكة

ضخمة ميتة . وكان (ميكائيل سوان) يحيط زنبيلاً
مملوءاً سراطين بسلك من الحديد . فتقدمت إليه

وسلمت عليه فمز رأسه في ذهول وقال :
يوم سعيد ! نهار ضاح جميل !

وكان الرجل عملاقاً أشيب الشعر معروق
الأشاجع ، له عيانان مظلمتان عميقتان تذكرانك

بنرفين مفروشتين بالقطيفة القاتمة . وكان في
(١) النواخذة جمع لنافذة وم أصحاب السفن ووكلاؤم

تخرج بصاحبنا عن
طوره . وكان من شهد
هذا الجدل الأخير
بينهما شخصان آخران
يدعى أحدهما كوكس
وتُدعى الثانية مس
مايبردج... وهي فتاة
وتقود عترة كانت

الْحَبْلُ الَّذِي صَنَعَ الْمَجْزَلَاتِ

لِلْكَاتِبِ لَانْكِلايزي ولز
بعتلم الأستاذ درسي خشبه

تمل نالة في الشرب ، وكانت في تلك اللحظة
واقفة أمام المنبور تمل الأكواب والأشواب ،
بينما كان ظهرها إلى المبادل التائر الذي كان يهر
زيميله بنقاشه الرائع الطريف

وقد شاق الأستاذ فذر نجاي بمجاهلة السيد
يمش ذرعا ، وأحقه منه عيه وقلة فهمه ،
فراح يهتف به : « رويك يسيد يمش ! هلم تفهم
ماهي المعجزة وماذا تكون ... إنها شي لا يتفق
وقانون الطبيعة ، لأنه ضد لما ، ومع ذلك فهم
يقولون إنه يقع بقوة الإرادة ، وبشرط أن تنصب
عليه إرادة خاصة جبارة... أليس كذلك؟ » ويجب
صانع المراجبات حسب عادة : « هكنا أنت ترمع ! »
فيعود فذر نجاي إلى حديثه وقد سره هدوء ممارسه
وحسن إسمائه الذي هو أول أمارات التسليم ،
فيقول : « وإليك مثلاً يا صديقي يمش هذا الصباح
الذي يقضى لنا الآن وهو في وضه الطبيعي ؛ إذا
قلبتاه رأساً على عقب ، فهل يمكن أن يقضى لنا
هكنا ؟ هل ذلك ممكن ؟ » ويرتك يمش قليلاً
ثم يقول : « أنت ترمع أنه لا يمكن أن يقضى ! »
— ولكنك أنت ! أنت ! ماذا تقول ؟

أكبر الظن أن هذه الوجهة الخارقة لم تكن
طبيعة فيه ، بل إنها قد جاءت عفواً ، ومن غير أن
يدري عنها شيئاً من قبل ؛ فقد بلغ الثلاثين وهو
أشد ما يكون إلحاداً وكفراً ، وإنكاراً لهذه القوى
الخرافية الخارقة التي تأتي المستحيلات... ولا يفوتنا
هنا أن نذكر أنه كان شاباً قصير القامة ذا كرن
البيتين ، له شارب لا يفتأ يقتل سباليه للرهنين ،
ووجه صارم به كاف خفيف ... أما اسمه فجورج
ماك ريتز فذر نجاي ... وهو اسم لا يتم بحال
عن خافية صاحبه الكامنة التي تستطيع أن تأتي
المعجزات . وكان كاتباً في مشرب في جومشت
يقال له مشرب التين الطويل ، وكان لا يقي بمبادل
أقرانه في استحالة المعجزات التي ينسبها الناس
لبعض من سلف من الأنبياء ورجال الكهنوت ..
ومن المريب أن تصدر عنه أولى خوارقه أثناء
إحدى المبادلات الحادة بينه وبين ممارسه المؤمن
العديد : طودي يمش صانع المراجبات الذي لم يكن
يملك أن يرد براهن خصمه بأكثر من هذه المباراة
القصيرة القتضية : « هكنا تقول أنت ... هكنا
أنت ترمع ! » تلك المباراة الملولة التي أوشكت أن

— لا... لا يمكن... لا يمكن !

— حسن جداً ! ولكن ربما جاء الآن أحد الناس ، ولكن أنا ، فيقول للمصباح ، ولأقلِّ أنا له بعد أن أستجمع كل إرادتي : « أيتها المصباح ! انقلب رأساً على عقب ، واحذر أن تنكسر ، ثم ظل مضيقاً في هدوء ... هيا ! ! » . وحدثت المجزة الأولى التي لا يمكن تصديقها ... فقد انتفض المصباح من مكانه انتفاضة انقلب بها رأساً على عقب ، وظل مضيقاً في هدوءه المادي ، مرسلًا شملته إلى أسفل كما تعود أن يرسلها لتضيء مشرب التين منذ زمان وزمان ... وقد بهت أستاذنا فذر نجاي ... وظل واقفاً مكانه كأنما سمر فيه ، ماداً ذراعه ، مشيراً بسبابته إلى المصباح ، كأنما يتوقع أن يهوى فتحدث كارتة . وقد دُعر صانع الدراجت فقر هارباً ، وكذلك فر رؤاد المشرب هارين ... أما الفتاة فقد طار لون الورد من خديها ، وولّت دُبرها صائحة صارخة مولولة ... وبقي المصباح معلقاً في هواء الشرب قرابة ثوان ثلاث ، ثم صاح فذر نجاي صيحة البائس المحتقن : « أوه ! إني لا أستطيع أن أهيمن على المصباح أكثر من هذا » ثم تراجع قليلاً فتأجج للمصباح ، وترنح هنا وهناك ، وسقط في ركن المشرب فتصطمت زجاجته ، ولولا أن كان خزّانه من المعدن الصلب لانبجس واشتمل زيتُه ، والله الماخور^(١) بما فيه

وقد أتهم كوكس صاحبه بالنفلة والشعوذة ، واتهمه كل من كان ثمة بمثل ذلك ... أما هو ... أما فذر نجاي ... فقد وقف مسبوهاً شارد الب ،

(١) ابن الأعرابي والتالي على أن للماخور مكان شرب الخمر أما صاحب القاموس فهو على أنه بيت الريبة

لا يدرى كيف يطل ما حدث ، وكانت في ذهنه عاصفة هدارة من الأفكار المضطربة ، يد أنه اضطر أن يهتم نفسه بمثل ما تهمة الناس بمجاعة لهم ... وأزعجه أن يقترح بعضهم طرده من الشرب حتى لا يعود إلى تكثير صفو السكان ، فراح يدفع عن نفسه حتى أتى صاحب الحانة عليه

وعاد إلى منزله في الليل ودمه ينثلي في عروقها ، وقد رفع بنية مطفئه حول عنقه فشخصت أذناه من فوقها ، وراح يرمق مصابيح الشارع وهي تتوقد في غمة الظلام ... حتى إذا خلا إلى نفسه في غرفته الوحشة في أحد منازل تشيرش رو انحط في فراشه ، وطلق يفكر ويفكر ... ويسائل نفسه الناهلة الحيرة : ليت شعري ماذا حدث ... ؟ ! ثم نهض فخلع مطفئه ، وألقى بقبضته ، وجلس وفي نفسه هاتف يتردد في ترّة وعنف ، فيقول : « أبداً والله ما قصدت أن ينقلب المصباح العيين أبداً ! » ثم قر في ذهنه كيف لم يستطع أن يهيمن على المصباح النقلب ولا كيف يرد إلى حالته الأولى . ولو قد عرف فيه هذا السر من قبل لمان الأمر ، فهو لم يمشن على تنظيم إرادته قبل هذا ، لأن المجزة الأولى جاءت مصادفة وعفوَ لحظتها ... وعلى كل حال فقد بدا له أن يجرب مرة أخرى ، مادام النطق لم يسمفه بدليل ما حدث

وكانت الشمعة التي أوقدها تضيء النرفة في هدوء ، فحدّق فيها بيسره ، واستجمع إرادته فسلطها عليها ثم هفّ بها فقال : « إرتقي ! » ... وكان يحسب أنه إنما يُشعّوذ حين يطلب إلى شمعة أن ترتفع من تلقاها ... ولكنه سرعان ما فاء إلى نفسه حين رأى الشمعة ترتفع في الهواء فتظل

وكان كلما مد بصره في أغوار الوجود ازداد يقينه بما هو مضمر فيه من الإرادة الصافية النقية. والآن، وقد شجسته تجاربه البدائية فقد طمع إلى ما هو أكبر... وأخطر... فأمر ورقة فأرقت في الهواء، وكوبا من الماء فتحول ماءه إلى لون القزفل ثم إلى اللون الأخضر؛ ثم أمر أن يكون أمامه سيار، فكان، ثم أمر أن يتجنى فأجى، وأمر أن يكون له (فرجون) أسنان، فراء على المائدة أحسن ما يكون (فرجون)... وآمن بمد هذا بما استودع فيه من إرادة خالقة خارقة كانت تبغله إرهاباتها فإمضى، وإن لم يكن يؤمن بها، واقلب دهره وترده وشكه فصارت كلها زهواً بهذه اللفة وكبرياء... وأيقظه ناقوس الكنيسة من تأملاته حين دق الواحدة فهاود خلع ملابسه لينام، كي يستيقظ في المباد القى يبنى أن يتسلم فيه عمله بالشر؛ ولم يدرك في خلده أنه بهذه الوجهة الكامنة فيه يستطيع أن يستغنى عن عمله ثم... ودرك في ذهنه أن يأمر فيكون في فراشه... وكان له ما أراد! ثم أمر أن تنفى عنه ثيابه فأنسل منها كأسرع من البرق! ثم أمر أن يكون له قيص من صوف ناعم فأسلت فيه! ثم أمر أن ينام نوماً عميقاً هادئاً فقط فيه لاحتضته!!!

واستيقظ في ميعاده، وجلس إلى مائدة فطوره وهو مشغول بالبال جيش الفكر، يسأل نفسه إن كان ما حدث له أمس ضرباً من أحلام اليقظة؟ ثم رأى أن يحاول تجارب جديدة، فأمر، فأحضرت أمامه يعضتان من فوق الزف وضمتها عليه صاحبة البيت، ثم أمر، فأحضرت بيضة أوزة كبيرة، يعضت وسلقت، ونزعت عنها قشرتها بحيث لم يحدث ذلك

معلقة لحظة يسيرة، ثم تسقط فوق مائدة جماعه^(١) حين ينفل عنها لما حاول أن يتنفس صداه مما اعتراه من الدهش... وبقى يخطط في ديجور لا يكشفه إلا القبالة التي توشك أن تنطفى... وجلس في ظلام الغرفة يكلم نفسه ويتاجها، فيقول: «هاهو الشيء قد حدث مرة أخرى! وكيف حدث؟ لا أدري، ولكنه حدث على كل حال». ويبحث في جيبه عن علبة الثقاب ليوقد الشمعة، فلم يجدها، فبدا له أن يجرب إرادته في الحصول على ثقاب بطريق المعجزة فدبره في الظلام الخالك ثم تبهم وقال: «ليكن ثقاب في يدي تلك! وما كان أعجب أن يحس جيباً لطيفاً يقع في راحته، حتى إذا تحسسه وجدته الثقاب الذي طلب... وحاول أن يشعله فلم يفلح، لأنه كان من الكبريت الأمين^(٢)، فآلى به. ثم بدا له أن يخضمه لسلطان الإرادي، فأمره أن يشتمل فاشتمل، فتناوله من فوق المائدة ليوقد الشمعة، لكنه انطلق قبل أن يفعل... وهنا اتسع أفق إدراكه عما يحتمل أن يتأدى له على هذا النحو، فتحسس الشمعة في الظلام وثبها فوق (شمدانها) ثم هتف فقال: «ها أنت هنا فأضيئي!» وأضاءت الشمعة.. ونظر فترجم في رأي قبيح في غطاء المائدة يتصاعد منه دخان خفيف، فخذ في بصره، ثم رفعه إلى المرأة المعلقة أمامه فإذا وجهه، وإذا عيناه الميعتان توحان إليه من عالم مجهول.. وللحال... انطلق يخاطب نفسه: «ويعد... فانا وأالمعجزات الآن؟!». وكانت تأملاته من نوع عميق وإن كانت مختلطة ببعض الشيء...

(١) العالم (التراب)

(٢) تحريب استحضاره Safety Match

عصا (طنهوسر) لا راقه من جمال إنجازها ... فرشق عصاه في طرف الطريق المشوش ، ثم جلق فيها قليلا ، وأمرها أن ترهق ! تعالى الله ! افد عبق الهواء حول فذرنجاي بشذي عطري حلوا ملا خياشيمه حتى كاد يسكره ... وطرب أيما طرب ، ثم أخرج حلبة التفاب فاشعل واحدا أبصر في ضوءه هذه الباقة الناضرة من ورود الريح نامية في رأس عصاه كأجل ماتمو الورد في الجنة الفيحاء ؛ وخشي أن ينكشف سره قبل الأوان فهتف بالعصا فقال : « إرجى ! » وكان يعني أن تعود العصا لا كانت عليه من الانجراد قبل ، لكن ... وأسفاه ! لقد ارتبكت العصا إلى وراء في شدة وعنف ، فأصابت رئيس شرطة كان مارا في هذه الآونة ، فجعل يصخب ويقول : « من الجنون الذي يقذف اللارة بالموسج ويدمهم بالشوك ؟ » فقال فذرنجاي صريحا : « أسف جدا أيها الأخ » لكن رئيس الشرطة ، واسمه ونش ، تقدم نحو أستاذنا صريحا ضريدا ، ثم أمسك بشاربه بقوة وقال : « ماذا تعني بهذا ؟ هيا ! أوه ! أوه أنت يا أحمق ؟ ألم يكفك تحطيم المصاييح في للشارب ؟ » فقال فذرنجاي : « أألا أعني شيئا قط ... أبدا ، أبدا » فقال الشرطي « وفيم فذقتها إذن ؟ » قال هذا وشد شارب فذرنجاي ، ثم قال أيضا : « لقد حطمت مصباح التنين ، ولم يبق إلا أن تشاكس رجال الشرطة بمصاك ! » فقال النش بجمبه : « أنظر هنا يا مستر ونش ! الحقيقة .. أنت كنت أجرب معجزة ! .. » فقال الشرطي مسهزعا : « تجرب .. أنت ؟ بل كنت تشاكس الناس فحسب لأنك من دون العالم جميعا لا تؤمن بالمعجزات ... وأنا من دون الناس

فيها إلا من خرم سنير ... وكانت آله من البيهنتين الآخرين وأشهى ... وهروا إلى الشرب وهو ما ينفك يفكر في الأعاجيب التي صنعها ؛ ولم يعمل شيئا ما من أعمال الشرب كما كان يعملها قبل أن يكتشف في نفسه هذه القوة الخارقة ، فقد انتظر حتى لم يبق عن موعد انصرافه غير عشر دقائق ، ثم أمر أن تتأدى جميع أعمال اليوم ، فحصل له ما أراد ... ! وحدث ما شئت عما شاع في أعطافه من الزهو الذي طلى عليه حتى جعله لا يأبه بما يحكم عليه عرفاؤه به ... بيد أنه كان زهوا مقرونا بتعجبه هو من نفسه ، إذ كيف أصبح يستطيع أن يرفع بنظرة ثاقبة مادة هشة - كتراب لافافة التبعث مثلا - إلى ما هو أكبر من ذلك وأخطر ... ؟ والنش الوحيد الذي لم يفكر فيه هو الاستفتاء من عمله في هذا الماخور القدر الذي أصبح لا يتفق وأعجب موهبة من نوعها في العالم ! وقد رأى أن يصلح من شأنه بشيء من عزائمه ، فطلب أن يكون أمامه ماستان من أندر الماس الموجود في الدنيا ، فكاتنا أمامه في أقل من غمضة عين ، لكنه أصرقا محتا عند ما شاهد جومشت الصغير مقبلا نحوه ، خشية أن يثير شكوك النش في الصدر الذي وصلنا إليه منه ... وآثر أن ينطلق إلى الخلاء فيجري هناك تجاربه .. وكان هو في نفسه مفتقرا إلى حسن التوق وسلامة الابتداع ، ذلك أنه برغم موهبته للمعشة لم يكن شخصا ممتازا فيستطيع الابتكار والتجديد ، فذلك تبادرت إلى ذهنه معجزة موسى وعصاه السحرية .. لكن فكرة التمايخ الهائلة التي تتجوى وتسي في ظلام هذا الليل البهيم أزعجته ، فأعرض عن تجربتها وآثر أن يجرب ما قرأه مرة في أحد الاعلانات عن

وغداه ! وإلا إنجاز أعمال الشرب بالطريقة الارادية
وكان يتفق أن يذهب السر فترنجاي في
أمسيات أيلم الأحاد إلى كتيبة قرية ليستمع إلى
نصائح القس المؤمن القزمت السر مايدج وعظاته
المحشوة بالسميات المجيبة ، التي لم يكن يؤمن
فترنجاي شيء منها لا كان يساوره بصددها من
شكوك وريب .. وكان القس يلقى عظة موضوعها
(الأشياء التي ليست طبيعية) وقد أفاض في غرب
الأمثال إفاضة ألفت بصيصاً من النور في ذهن
فترنجاي ، فخطر له أن يستقته في أمره بعد أن
يفرغ من إلقاء وعظته ، وبعد أن ينتهي من
قُدَّاسه^(١) .. وقد عجب لم كم يفعل ذلك من قبل .
والقس مايدج رجل يحف مروق تنظر إليه فتحب
أنه ينصو ، ومع ذلك فله رقة طويلة ونظرات متقدة
مؤثرة ومصبان مقتولان ... وقد عجب حين ذكر
له رسوله أن شاباً مروقاً بركة دينته واستناره في
الدينه يبنى لقاءه ليتحدث إليه حديثاً خاصاً وكانما
تعمد القس أن يهمل القتي ويستأنى عليه ، ثم أرسل
إليه رسوله فضى به إلى منظرة مجاورة أفرادها القس
للقراءة والاستذكار ، فجلس القتي على كرسى نفخ
مريح قريباً من نار المدفأ التاجج ، ولف ساقاً
بأخرى فأحدث رظلاً على الحائط القريب بلغت
النظر بانحنائه المجيبة ... ، وسأله القس عن
حاجته ، فارتبك الشاب وتددى جيبته بمرق الخجل
ثم لم يجد بداً من الكلام فقال : « من الصعب
عليك يا مسر مايدج أن تصدق ما سأرويه لك .. »
ثم بلغ ريقه مرة بعد أخرى ، ووافق يحوم حول
موضوعه ولا يكاد يبين ، حتى إذا لاحظ ملال القس

(١) كلة صمائية موفلة لم نثر عليها في المراجع المرية

جميعاً سأريك قيمة تمرجاتك ... » وثار ثائر
فترنجاي من غلظة الشرطي فصاح به : « أجل ..
إن لدى هنا قدرًا هائلاً من التمرجات الخفيفة ،
وسأريك واحدة منها ، فاهم ... إنطلق إلى هيدز ..
هيا إلى الجحيم ! اذهب ! »

وفي لحظة نظر القتي حوله فلم يجد إلا نفسه !
ولم يحاول أن يعمل معجزة ما هذه الآلية بعد
هنا ، بل انطلق إلى داره من غير أن يلتفت إلى
عصاه المزدهرة ، ونضائيه ، واستلقى في سريره
في كلال وفي ... هدوء ... وجعل يفكر في هذه
القوة الخارقة المسترة فيه ، وفي رئيس الشرطة
التليظ السر ونش ، وفي هيدز : « هيدز
المجيبة التي لا أعرف عنها شيئاً ! » وخطرت له
فكرة مجيبة حيناً نهض من فراشه ليخلع حذاءه ،
ذلك أنه شعر بالهم وحسرة على ونش ، خشية أن
تصيبه نيران هيدز حطاماً ، فأمر به أن يُنقل إلى
مدينة سان فرنسكو ! وتبسم ساخرًا من نفسه ،
ونام نومًا هادئًا ، وحلم أحلاماً لطيفة عن ونش !
وفي اليوم التالي ، سمع نبأ أن مجيئين جملت
أسنة الناس تلعب بهما في تشدد ودهش ، ذلك
أن بعض الآلهة قد أنبت شجرة غريبة من أزمى
أنواع الورد للتسلق لقاء منزل السر جومشوت
في طريق (لولابورو) ... وأن النهر قد غار في
الأرض على مدى (رولنجس ريل) من أجل
رئيس الشرطة ونش ... وظل قَدَرَنجاي يسنى
إلى كل ذلك ويسهول ما تمنع قواه الخارقة !
وظل يفكر في حاله طوال يومه هذا ، ولم يأت
من خوارقه شيئاً إلا أن أرسل إلى ونش بعض
ما لا يستغنى عنه في سن فرنسكو من مال ولباس

تقول ؟ أم أنك تقدر على أشياء أخرى ؟ » فقال الشاب : « أجل أيها السيد ! أنظر ... أيها الطاس تحول إلى وعاء من سمك ... أوه ! لا ... تحول إلى وعاء زجاجي ممتلئ بلقاء ، وليسبح فيك سمك من ذهب ... فهذا أحسن ! أنظر يا مستر مايدج ! هل رأيت ؟ » فدهش القس وقال يخاطبه : « حبيب حقا ! هذا لا يمكن تصديقه ! إني لأظنك ... ولكن ... لا ... لا ... » قال فذر نجاي : « إني أستطيع أن أحوله إلى أى شيء ... أنظر ... أيها الوعاء ... كن حمامة ... هيا ! » ودار الوعاء فصار حمامة زرقاء جعلت ترف في فضاء المنظرة ، فكان يرتجف القس كلما اقتربت منه ... « قف مكانك ! » ووقفت الحمامة مُرْتَفَعَةً في الهواء ، فأمسك بها فذر نجاي ووضعها على المنضدة ، ثم قال يخاطب مايدج : « والآن أحسبك لمغان على علبة طباقت أيها الأب ! هيا أيها الحمامة ... عودي كما كنت ... علبة طباقت الأب ... » وانسحرت الحمامة فكانت كما أرادها الفتى أن تكون !

وكان القس ينظر مسحوراً ولا ينطق ... ثم تناول عليه قلبها ، ووضعها حيث كانت ، ولم يزد على أن قال : « حسن ! » . وراح الفتى يذكر تجاربه السابقة ، مبتدئاً بمحادث المصباح ... وأخذ القس يهدأ قليلاً مما استولى عليه من الدهش ، فاطلق يقول : « كل هذه غرائب مذهشة ... لا جدل في ذلك ... مهما يكن فيها من الألتاز التي يصعب تمثيلها ... إنها موهبة هذه القوة الكامنة التي تصنع للمجرات ... إنها قوة سادسة كالبحر أو السمع أو النسم ... ومن هنا شغفها وتغريتها ، وحلوها سدةً ولأشخاص قليلين ، ولكن عيبت

سكن قليلا وسأله عن رأيه في المجرات ... وكان المستر مايدج لا يني يقول : « حسن ... حسن جداً ! » كلما قال فذر نجاي شيئاً — وأحسبك لا تصدق أن بعض الناس كشخصي الضيف مثلاً ، يستطيع وهو جالس هنا أن يصنع أشياء من قبيل المجرات بقوة خارقة كامنة فيه »

— ولم لا ؟ إن هذا محتمل جداً — وإذا كان لي حرية التصرف هنا فربما أريتُك شيئاً من تجاربي ... فثلاً ... علبة طباقت هذه ... إذا حولتها لك إلى شيء سترى أنه حبيب حقاً ، فهل يكون عملي معجزة أم لا يكون ؟ أنظر يا مستر مايدج ... أيها العلبة ... كوني طاساً من أزهار البنفسج !

وما كاد يأمرها ويشير إليها بسابته حتى كانت طاساً جميلاً منضوياً بأبيض أزهار البنفسج ... وقد قفز القس مذهولاً ، ووقف ينظر إلى الزهر ولا ينيس وإن جعل ينهي قيسته بعد أخرى يتشم السبر التارج البق ... ثم سال الفتى كيف صنع ذلك ؟ فقال وهو يفتل شاربه : « ها قد شهدت بينيك ، فانا تسمى هذا ؟ أليست هذه معجزة ، أم هو ضرب من السحر ؟ ثم ماذا تظن في هذه القوة الكامنة ؟ » إني من أجلها سميت إليك لتجولها لي ! » فقال القس : « حقا إنه لحديث فذليس مثله حدث ! » . فأجابه الشاب : « والحبيب أننى قبل أسبوع لم أكن أعلم أن لي هذه القوة الخارقة التي اكتشفها عفواً ، وإني أعزو أمرها إلى جانب شاذ في إرادتي لا أكثر ولا أقل ! » وسأله القس : « وهل هذا الذي صنعت هو كل ما تستطيع أن

مفاجأة لقس بقوله : « ومع هذا فلا أدري ماذا أصنع لأخذ الستر ونش !! » ، فدهش الستر مايدج وقال : « بما أن لك هذه القوة الخارقة التي تصنع المعجزات فليس أيسر عليك من عمل معجزة تصيد بها ونش ... فاطمن وهدئ روعك ... سيدى فدرنجاي ! إنك شخص هام جداً ، وضروري لإصلاح هذا العالم الشائه ، فهل فكرت في شيء تسديه إليه ؟ ! » وقال فدرنجاي بحبيبه : « أجل ... فكرت في شيء أو شيئين ... ولكنني كنت أشعر دائماً أنها أعمال مزهورة ليس فيها من الحق شيء ... أرأيت الوعاء الزجاجي الذي سبحت فيه سمكات الذهب ؟ ! أمقول هذا ؟ ! أرأيت سمكاً من ذهب قط ؟ ! جيداً لو كان حياً حقيقة فكنت أنفع به الناس ! » . وصادفت هذه الأمنية هوى في فؤاد القس فنهض للفتى ونش ، وأثنى على زعة الخير التي عبر عنها بلسانه ، ودعاهما سبيل الرشاد ؛ ثم اقترح أن يأخذوا في تجربة قوة فدرنجاي فيما يمود على الناس بالخير ... وتوثر أن تسجل تاريخ تلك الليلة الماثلة ... الليلة الماثلة من نوفمبر سنة ١٨٩٦ لا تم فيها من الأمور الجسام التي لا يتصورها عقل ، ولا يمكن أن يصدقها أحد ، لأنها لو كانت حقاً - وهي حق لا ريب فيه - قد وقعت ، لحزم القاري أو القارة أنت في وقوعها خراب العالم أو موت من فيه من المخلاتق على الأقل ... على كل حال ، ليس هنا نهاية القصة ... فليتصور القاري مايشاء ... ونقول نحن ، إن فدرنجاي أخذ في صنع معجزاته بالمشرات حتى تشجع وقوى قلبه ، وذهب مايدج يحفره ومحرضه ، ويشريه بما هو أخطر . وكانت أولى المعجزات الكبار أن طلب الستر مايدج من صاحبه الشاب أن يحضر له عشاء يُنسيه رداة

لمعجزات محمد ويوحى ومدام بلافاثسكي ... ولا جرم أنها موهبة تفرد بها هؤلاء ... وقد كانت دليل للفكر الكبير دوق أورجيل ، وبرهانه المانع ، وحجته القاطمة ... وهنا ، يدهنا القانون المبيق الذي يتضاد بجانبه قانون الطبيعة المادل ... أجل ، أجل ... قل ... قل ... ثم وصل فدرنجاي حديثه ، وأبدى ألمه لا لحق رئيس الشرطة الستر ونش من (تزييته) فقال : « والى أمني أكثر من أي شيء هو هذا الستر ونش ، الذي أرسلته إلى هيدز أولاً ، حتى إذا خفت عليه من نيرانها بثت به إلى سن فرنسكو ، وهو من غير شك فيها الآن ، وقد خشيت أن تكون ثيابه قد (تشمطت !) في هيدز فأمرت أن ترسل إليه بذلة تستره وهي من غير ريب قد وصلت إليه ... ولا بد أنه الآن منيظ عنق مما حدث له بسببي ، بل هو يحاول جهده أن يحصل على ثمن تذكرة ليحرم من فوره إلى هنا ليلقاني ... مسكين ؟ ! إنه يضرب أحاساً لأسداس في تحليل ما حصل له ... وأنا مثله في حُجب كثيفة من عدم إدراك ما يصدر عني !! » ... وهنا قال القس : « وأنا أيضاً أرى أنك تضرب في ظلمات لا أدري كيف تخرج منها ... وعلى كل حال ، فلندع مسألة الستر ونش الآن ، ولننشر المسألة الكبرى أولاً ... إنني لا أعتقد أن ما يصدر عنك هو ضرب من سحر أو نحوه ، وأعتقد أيضاً أنه لا أثر للجريمة فيما تفعل ... اللهم إلا إذا حاولت أن تحوز ما للغير بهذه الوسيلة ... لا ... إنها معجزات من غير شك ، ومعجزات من نوع راق رفيع ! » واطلق الستر مايدج يطري أنفاً فدرنجاي ، وفدرنجاي يملق فيه ، مقبل عليه ... أو قل ... سامر عنه ، بدليل

من تهب مثيل في باب غرفتها ! تبدل شامل طراً
على السيدة يا فخر نجماي ! لقد هبت من غفوتها ريانة
فيئانة فأخرجت من صندوقها زجاجة بكرأ من التليذ
لتشربها جرعة واحدة : »

واقترح القس على صاحبه جملة مقترحات بحية
كانت في سبيل الخير جيماً ، فقد انطلقا في البرد
القارس ، وتحت القمر الزاهية ، عبر ميدان السوق
الكبير ، حتى إذا انتهيا إلى القسم البرلاني المعروف
بكثره قساقه وسكبره ، شرعا في عملهما الإصلاحي
الجليل ، فانزع فخر نجماي ماني نفوس أولئك
الساكين من خبث ، وأمر فتحوّل الخجور التي في
جميع الحانات إلى ماء عذب قراح . ثم انطلقا إلى
الخلاء فأمر فخر نجماي ريك فلندرز ومستشفاهما ففانخت
في الأرض ، واهترت وربت وأصبحت مزمارع
مبسوطة ترحي بنباتها وبسانيتها بعد أن كانت مصدراً
من أخطر مصادر الحيات والطواغين . وفي طريقهما
إلى المدينة عرجا على محطة السكة الحديدية فأخذتا فيها
إصلاحات شتى ، وأقام أبنية شاهقة مكان الأبنية السقيمة
التي أصبحت لا تتفق وعظمة الحى التي تقع فيه ...
وكان السترميدج ينظر إلى هذه الخوارق التي يأنيها
فخر نجماي بمجرد الإشارة والإيماء ويكاد يربغ
بصره ... « ليت شمرى ماذا يقول الناس غدا ؟
لاجرم أنهم سيدهشون وينسبون ماتم إلى شياطين
سليان ! » والتفت إليه فخر نجماي فجأة وقال : « أيها
الأب ... الساعة الآن الثالثة ، ولا بد لي من أن
أذهب فأنا ، فاني أتسلم عملي في الشرب في الساعة
الثامنة ... » فنظر إليه القس مسبوهاً وقال :
« وكيف ؟ إننا مازال في بدء مشروعاتنا يا فخر نجماي
تذكر يا رجل أنك تسدى أحسن الأيدي للإنسانية
ولصالح الناس ... بل ينبغي أن تستمر أيها الأخ ،

الأطعمة التي تنافها النفس والتي تطهها السيدة
منشن صاحبة بيته ... وهش فخر نجماي للفكرة ،
وكان مولماً بالأرانب الأرندية فأمر أن يؤتى إليه
طبق حافل بها ، فاهو إلا أن دعا حتى كان أمامه
الطبق ، وفيه شواء الأرانب الطلوب ! وقال لصاحبه
وما بلهما من الطعام : « وبنا . على ذلك فاني
أستطيع أن أساعدك في كل ماله علاقة بمنزلك
يا مستر مايدج ! » ... وطرب القس ، وملاً كأسه
من نبيذ برغند الشبق الذي أمر فخر نجماي بغيه
إليه به طريق المجزة أيضاً ، وبسد أن تجرعهما ،
وتجشأ من رين أو ثلاثاً فنظر إلى الفتى وقال : « فكرة
واؤه ! لقد طالما تمنيت أن يصلح الله من خلق البشر
منشن قليلاً ، فيذهب بما يشينها ويمض الذي
يجعلها قبيحة في عين الناس ... ولست أدري إن
كنت تستطيع أن تحدث أنت ذلك ؟ إنها الآن
ثامنة في فراشها ، وقد سارت الساعة الآن
الحادية عشرة ... فهل يمكن ؟ هل يمكن يا فخر نجماي ؟ »
وقال الفتى : « لا أحسب أن هذا شئ غير جائز ، مهما
تكن الساعة ثامنة ! » وأصدر أوامره في سكون ،
ثم أخذ في طامهما وشرابهما كأن شيئاً لم يحدث
برغم الثورة الماثلة التي كانت تتجاذب نفس القس
وتطغى على شعوره ، وتشوقه الشديد إلى معرفة
ما إذا كانت الساعة ستخلص من مقابجهما بفضل
فخر نجماي أم لا ... ؟ ولم يلق أن ينتظر حتى
الصباح ليري ماذا تم من ذلك ، بل قام بعد أن فرغ
من عشاءه السحري ، وانطلق إلى منزله فتاب فيه
سوءية ، وظل فخر نجماي ينتظره ، ثم عاد مهمل
الوجه بادي البشر ، مُفْتَرّاً عن ابتسامة مشرقة ،
وأنشأ يقول : « مدعش ! مدعش جداً ، وعجيب
حقاً ! بعثتُ جديد وحياء جديدة تسرب إليها

رقاه جنائنا... وهكذا كان حظه حسناً هذه المرة
فقد هبط إلى الأرض في سرعة فائقة، فاستوى
قائماً فوق كثيب مهيل أعدته له المجرة في سرعة
البرق لتقيه من الصدمة الهائلة، ولتقذره من الارتطام
بالحجارة والمادن الدائبة التي تشقق عنها سطح
الأرض فبرزت من جوفها كالحمم، وتطايرت عن
محيطه وشماله كالصواعق، بل أشد وأنكى... ورأى
حواله أهوالاً جمة ومصابب عاتيات تحدث بالقرب
منه ولا يبدى حراكاً... فمن ذلك أن بقرة ذلولاً
استطدمت بأحدى هذه الصواعق فالتفتحت وتناثرت
أشلائها كأعماهى بيضة سفيرة وطلها فيل عظيم..
ثم عصفت حوله الرياح الموحج فبعثت في الأرض
والسواء شواظاً من حديد ومحاس فوقف مهبوطاً
لا يدري أين هو ولا أين ينهب... ثم ذكر الله
فقال: «ياه! غفرانك اللهم! هل أسأت أم عصيت!
إن هذه مبيحة كسيحة يوم التشور! عواصف وبروق
ورعود! وقبل دقيقة واحدة كانت القمراء تتمر السهل
والجبل والوادي في روعة وبهاء! ياه! اكشف
هذه النمة تباركت وتعاليت! لست أنا الذي رحمت
هذا، بل إنه قسك مايدج هو الذي وسوس إلى!
ولكن... أين هو؟! بالورطة التي ألقى بي وبفسه
فيها! إن السماء صافية، والكواكب متألقة كما
هي منذ الأزل، والقمع جميل في أوجه، فما لهذه
الأرض عابسة بامرة هكذا، وما لهذه الزوابع!
إني لم أسمع أن يكون فيها شيء من ذلك فإنا
جربى...؟ أوه! أين الدنية يا ترى...؟ وأين
الجسر؟ وأين للصاييح التي كانت قبل دقيقتين
تنمكس أسوأها في السماء؟!... واشتدت
الماسفة فسقط السكين يتقلب في الوحل، وكلما حول
الهوض عاد فكباً، وآثر أن يظل على أربع آخر

وأن تستكثر من هذا الخير... أنظر... ألا ما أجل
هذا البدر وما أروع!.. فقال فذر نجاي: «حقاً
إنه جميل رائع! فوسوس له القس: «أليس من
خير الإنسانية أن تقفه حيث هو يا فذر نجاي؟!»
فارتجف الشاب وتقم يقول: «وئ!؟ أفت القمر
عن دورانه؟! هذا كثير!.. فقال الأب وقد
سحرته الفكرة: «ولم لا أيها الصديق؟ قفه!
إفصل! أي خير في ظلام الليل وكله شرور وآثم!
مره يقف يا فذر نجاي بالله عليك... إنك تستطيع
ما هو أجل من وقف دوران القمر... وما دمت
قد خرفت قانون الطبيعة فلا بد أن تخرق قانونها
في القمر أيضاً... إنك تقدر أن تقف دوران
الأرض التي هي أعظم منه أضعافاً مضاعفة... ثم
أنت لا تحدث شيئاً إذا وقفته، وما دام كل ما تصنع
من أجل الإنسانية فإنا نزعجك...؟...
واستطاع الأب الشيطان أن يتلف كل شيء بما
وسوس في صدر الشاب... ووقف فذر نجاي
وقفة رهيبة ولكنها مصممة وزر ستره، وسمل
سعلة غريبة، ثم استجمع روحه وإرادته جميعاً،
وحلق في البدر الفضي حلقة شديدة ثم قال: «قف
دورانك أيها القمر يا ذنى! قف!»
بالكارة!

لقد اهتفت الأستاذ فذر نجاي في الخواء اهتذاً
هائلاً وبسرعة عشرات الأميال في الحقيقة، وذهل
عن نفسه لحظة ثم أفاق فراه في الفضاء اللانهائي
ويرف ويطوى عالم الأثير كما يطويه الشهاب الرامد..
وللحال خطر له أن يأسر فيكون فوق سطح الأرض
فقال: «لأهبطن إلى الأرض سالماً أمتاً! هيا!»
ولو قد تأخر قليلاً فلم يخطر له أن يأسر هذا الأمر
لشواطئ ثيابه كلها، ثم لا حترق جسمه، وانتثرت

مسحاً؟ ولقد اتخلف كل ما كان فوقها — بما في ذلك القرية (المدنية) وفنرجاي ومايدج، وجميع الحيوانات والوحوش والشجر وأعمدة التليفونات وعرائش الفلاحين وكل ما تأ على سطح الأرض بسرعة تسمة أميال في الثانية (كذا) أى أسرع مما إذا قفزوا من فوهة مدفع ضخم

ولقد سدرت نفس فنرجاي، وسخط على القوة الكامنة فيه والتي بها صنع كل هذه المعجزات ... ووقف في هذه الدنيا المبهرة، وبحث البدر الذى أخذ يرجم وجهه ويحصب رأسه، والطلوفان الذى بدأ يبس عبايه وترخر أمواجه ... ولم يدرك ماذا يكون من أمره ... ثم رقى البرق فطلع موجة عالية كالجيل مقبلة نحوه في سرعة فائقة فتوشك أن تبثله، فسمع نفسه يصرخ قائلاً: « إلى يا مايدج! إلى! وأنت أيها الموجة قفي مكانك! قفي بالله عليك! وأنت أيها البرق ويا أيها الرعد اهدئي لحظة حتى يتوب إلى رشدى ... أو يدري ماذا أصنع؟ لشد ما أرجو أن أرى مايدج ... ولشد ما أرجو أن أصلح كل ما أفسدت ... » وكان قد نسي أن يستطيع أن يقف كل شيء لو أراد، إذا سيطر عليه شراع إرادته الصارم، فلما ذكر ذلك صاح مبتهجاً وقال: « أوه! ذكرت ذكرت! »

ثم لوى رأسه نحو الزوومة، ورتق فيها عينيه، وهتف يقول: « والآن، لينته كل شيء ... لتسكن الريح ... ليصمت الرعد ... ليذهب البرق ... ليدرك القمر دورته ... وليدرك كل شيء كما كان ... لنذهب تلك المعجزات عني فاني كرهتها ... ولنتكنن لي إرادة عادية كما إرادة أى كائن من الكائنات ...

الأمر ... ثم جمل دبره للريح، وغطى رأسه ووجهه بسترته، وعاد يهيم ويقول: « لا جرم أنه قد حصلت غلطة هائلة، ولكي لا أعلم ما هي ... » وأخذت الماصفة ترتجى حوله، وتنتثر الحجارة والأشجار والحرايب فتجعلها ركاباً ... ولم يعد يرى المسكين شيئاً من البار في الرجب الوحش الذى وقف غثطاً بين أعاقضه، ثم ساد الظلام فجأة، وغاب عنه ضوء القمر الذى كان يسطع منذ هنيهة، فتضايف زهره، وتغزفت أعصابه، ولم يدرك ماذا يصنع ...

لقد أمر فنرجاي القمر أن يقف ففعل؟ فقيم هذه الزوومة وذلك التخريب؟ أوه! لقد أسدر المسكين أمره الأراذي الجبار، ولم يتخذ قبل ذلك حيلته؛ فهو كان يحسب أن وقوف القمر من دورانه شيء لا تكون له نتائجه على الأرض التي يقف هو من فوقها ... ولم يكن يعلم أن هذا الكوكب الذى يقطع في الساعة الواحدة مئات الأميال إذا وقف فجأة، صنع ما يصنع القطار ركابه إذا وقف بهم في أقصى سرعته ... إنه يرضهم إن لم يسحقهم ... فما بال كوكب يأكله؟ ... ثم دوران الأرض نفسها، وهي هذا الكوكب السيار العظيم الذى يقطع في دورانه حول نفسه أكثر من ألف ميل في الساعة^(١)، فإذا تعرض القمر الذى وقف فجأة لجاذبية الأرض التي تدور أمامه بهذه السرعة الهائلة، فلماذا يكون غير هذه الزوومة الهائلة المائتة التي مسحت وجه البسيطة

(١) يحيط الأرض بقرص من ٢٥٠٠ ميل وهي تدور حول نفسها مرة في كل ٢٤ ساعة، فقطع في الساعة أكثر من ألف ميل كما هو في سياق القصة أى عصره أنشأ سرعة قطارات (الأكبرس)

لا أريد أن يطعننى شيء ما فى هذا الوجود ...
 ليت شيئاً مما حدث من معجزاتى لم يحصل ... هذا ،
 ولأعد أنا إلى مشرب التنتين ، وليكن كل شيء
 فيه كما كان قبل أن يتقلب الصباح اللمين ... حقاً إن
 كل ذلك لو تم لكان خيراً ولكن كانت أخرى معجزاتى
 ليكن كل ذلك حين أقول (ها) ١١ »
 ثم لصق بالأرض وأغمض عينيه وقال بكل
 ما بقى فيه من قوة :

« هَيَا »

وهدأت العاصفة ... وعاد كل شيء كما كان !!
 وسمع صوتاً بالقرب منه يقول : « هكذا أنت
 تزعم ... هكذا أنت تقول ! ! » فلما فتح عينيه ،
 وجد نفسه فى الشرب يجادل صاحبه طودى يمش
 فى حقيقة المعجزات ... وشم كأن إحساساً حاداً
 - إصغ إلى يامستر يمش ... هلم تتعرف
 ماهى المعجزة ... إنها شيء يخرق قانون طبائع
 الأشياء ... إنها شيء عكسى لقانون الحدوث
 يزعمون أنه يحصل بقوة الإرادة
 دمرنى فضبة

شعلة الوطنية وروح الوطن

شركة مصر للغزل والنسيج

بالحلة الكبرى

فاقت بجودة منتجاتها كل إنتاج سواها

وتبيعها جميلة متينة بأسعار معتدلة

شركة بيع المصنوعات المصرية وفروعها

وتجار المانيفاتورة بالقطر المصرى

الشاعر السكاج

للكاتب الروسي ليون تولستوى
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

هذا الرجل ولن أدعه
يتقي أرى في بلاد القرية،
ولابد من أن أرغمه على
الاعتراف لي ببله تقي،
وأذكره بأننا في جمهورية
حرة، ولسنا في شوارع
موسكو أو بطرسبرج،
وأن أهدده بكشف القناع

من حرفه أو أرفع شكواي إلى
رئاسة الشرطة، محتجاً بتحریم
التجسس على الأبرياء في بلد أجنبي.
فاذا ما خشي القضيحة وهرب
من وجهي علت أدراجي إلى
محطة السكة الحديدية حيث تركت
فيها متاعى لأتسلق سلم المركبة
الأولى التي تصادفني في أول قطار
يحملني إلى مقرى وممرتى... إلى
مدام جاونسكي، إلى أحضان
تلك المرأة المنون، فاذا ما سأتني
عن عودتي غير المنتظرة، بعد
القليل المقيم القعد لدى ساورني
قبل عيد الفصح أجبني في إيجاز
بأنني رضيت من اللقمة بالإياب
لأنني ما كنت أستطيع البعد عن
يقي. فقد اكتشفت في هذا
السفر القصير أنني مصاب بداء

الخوف كالسنور الذي يملأ طهره وتنفتح أوداجه
وتبت أعصابه المهتاجة بشعره الناعم، فيصير
كأنشوك، ويتحفز للهجوم على غرجه كأنشاً ما كان
(٣)

تمريف بالقصة

من بين الحيات الحظيرة التي
ساولها تولستوى ببله تاحية الظالم
التامة لأبياء أمته، التي تجست في
محبه الحصة فأخبر آخوه الخالصة :
« انشورون السيرة » و « لم أعد
أطبق على السكوت صبراً » و « المائر
الساذج » التي تغل إلى الرية المرة
الأولى . وقد كان مخطوطها بين
الاوراق التي حننا تولستوى في
فراشه مع ابنته كاترينا وصديقه
البيكتور هوليشوف . قيل وفيه
أيام مسدودة ، وقد اعتبرها القناد
جزءاً من وصحه إلى شعبه ، هي
بها وأحلها من الآداب الرفيع أعلى
مكاته ، وكان الأعداء أيت إلا أن
رفع المحاب عن بصره فتخت
سودت روائ الحكم انقصرى بعد
وفاته سبع سنين ، ولا تزال مجال
أخفاء النروسي انعرف على معصات
عده القصة الخالصة دليلاً على قدرة
الكتاب الماهر البصيرة على اختراق
حب اليب في أسلوب رائع جمع بين
دقة التصوير وجلال التين القصصي

كان فيكتورفيد ووثكي
نحية الجواسيس ، يقيمونه إلى
كل مكان ، ويتعقبون خطاه ،
ويتفتنون آثاره ، لأنه كان فيا
مضى مشبوهاً (١) وكان اسمه في
رأس الأسماء التي تحملها القوائم
السوداء، في مكاتب «أوخرايا» (٢)
الخفية . وكانت الشرطة السياسية
في موسكو وبتارسبرج توقع
القبولات بالشبهات ، فكل
مشبوه لديها منهم ، وكل منهم
في نظرها مذنب . فلما هاجر
فيكتور إلى لوزان بسويسرا
ليلتحق بجامعة حتى يتم دراسة
الرياضيات العليا التي بدأها في
كلية الهندسة بمدينة أوراوف
شمر بأن وراءه جاسوساً يقيم ،
وكأنه محببه من حدود روسيا

إلى صميم سويسرا فقال عمدتاً نفسه : لن أصبر على

- (١) انشوره في الأدب الروسي هو انشه النورة على حكم
التجسس
(٢) إدارة فالويس السرى الباسى في روسيا البصرية

معه ماركاً وأنا لا أعلم مدى ما تؤدي إليه الحركة ،
إننا بالرجل الذي ظننته جليوساً محترفاً يقف فجأة
ويقول لي : فيكتور ! فيشنكا ! ... داسكويآ ... !
فيشا ... ألا تذكرني ؟ ألا تعرفني ؟ وكانت هذه
كلها ألقاب تميز وتدلل يناديني بها رفاق الصغار
في المدرسة اقتداءً بمرتيبي وخادي في تدليل

وكان الرجل يخاطبني بالروسية القصصية ،
أيسكون الكسندر براشكي ، أم خياله الحي ؟
فوقفت على سلم القطار وقلت له : من تكون أنت ؟
قال : أنا ... أنا ساشا براشكي ، براشكويآ ... ألا
تذكرني ؟ وارتعى المسكين في حضني وهو يبكي ،
فلقد غادر البائس بيت الموتى ... سجين سيبريا منذ
حين هارباً من أيدي أعدائه وأعدائى . كان
ساشا قروبيا ابن فلاح ، دخل في خدمة مشال
اسمه بوريا كلاسكي ، لا يزيد أجره على روبلين
يتقاضاها في كل أسبوع ، وما لبث الصغير أن
أظهر ميلاً تشد أزره موهبة فائقة مولودة
معه ، فكان يحسن الحفر في الخشب وتأليف الألوان
الزاهية والقاعة لصبح تماثيل العذراء ويسوع
والقديسين ، وبرع في إظهار علام الحزن وأماثر
الانقباض أو الفرح التي تبدو على وجوه الشهداء
كما كان يرسم في كنائس المدينة ، وكان المثال يمت
به إلى الأسواق واللواكح لبيع تهاويل الرسم
والملائكة ، فيجلس ليستطاع بين يديه على قطعة من
القطيفة الباهتة ، ثم يبق في انتظار حواء الايمان
من لا يرضون على أرواحهم بكوبك^(١) أو اثنين
ليشتروا بهما رجز معبود أو نصف معبود ! لينزونا

لنشب فيه أطفاله التي تخفيها كفه اللساء ، لقد
حاولت أن أضلل الجاسوس ، ولكن ذهب تديري
سدى .

وبعد فاني أعود أدرأجي لأن بالمكان الذي
وصفوه لا يلقى سجناء كبيراً ومشرحه . أما السجن
فلا عجب ، لأن بأطراف المدن وبعضاها قد تبني
السجون ؛ أما للشرحة فاشأها في جوار هذا
الزلزل ، وفي مثل هذا اليوم الشديد القبط كأنه من
أيام جهنم ؟ ياله من يوم له ما بعده !

كنت عدواً دائماً لمن يخضعون للأقدار ،
وأسخر من الذين ينصحبون بالاستسلام للقضاء
المحتوم وأرهمهم بالجن والعجز والخور ؛ وهأنذا قد
لبت بي أيدي الأفضية والأقدار كما تلعب الأطفال
بالكرة ... فكيف الحفر ، وإلى أين الحفر ؟ ليس لي
من الوقت ما يكفي لتقليب الفكر وتدير الأمور على
على مهل ، ولم يمتد في صدري متسع للصبر والتأمل .
فوطدت نفسي على الحرب التي لا هوادة فيها ولا
رحمة ؛ وكان الجاسوس لا يزال قابلاً في مقدمه بركة
القطار ينتظر منافذتي إياه ليقبض متابعة الظل ، فلم
أستطع أن أخب أمله إلا بطريقة واحدة وهي أن
أبني في القطار لأعود به ، متظاهراً أنني ما قصدت
من هذه السفرة التهمة الطويلة إلا الارتداد
والاستطلاع ... وهذا أمر جائز ومباح ، خصوصاً
وأنا غالي الوفاض ، فلا متاع ولا أحوال توم أنني
كنت قادماً للإقامة ؛ وكانت السلامة مكفولة بهذا
الحل السريع المنفذ ، ولكن كرامتي أبت على
التسليم ، وكراحتي للرجل دفعت في للززال ، فجمت
نفسى ونهضت وزلت ، فنزل الجاسوس ، ومشيت
فسار ورأى يتعقبي ... وقبل أن أستدير لأشتبك

(١) كوبك عملة روسية تعدل قرنين صاغاً

بطرسبرج ليتلقى الفنون الجميلة في « مجمع المصورين القيصري » ويتردد على متحف إرميتاج الشهير بآثاره الثمالية . سافر الوالدان والولد إلى بطرسبرج في قطار الليل بعد أن تزودوا للسياحة واستقروا في فندق وضيع في حي « إيليانا » وهو حُطٌّ الفلركين ، ومرتج « البوهيمية » والنور ، لأن ما حلوه من لال الدخرا لا يقوم بأودم أيلما معدودة إذ أنهم اختاروا الأقامة في أحد الأحياء الثنية . وبعد يوم من وصولهم ذهب الرجل وولده إلى دار الفنون الجميلة وعرضا طلبهما ، فقبلا بالازدراء من الموظف المختص ، وقد دهش لجرأتهما على ترك الفلاحة في الحقول لا لحاق الولد بمجاهدة التصوير والحفر ! فحقى رافلوف والد الكسندر (ساشا) برافسكي على « الموظف السؤول »

وخرج يتحامل على نفسه ، وصفق الباب وراءه صفقة كانت أشد وقسا من الصفقة على صدغ الموظف الكبير ، وقد عقد الثنية على أن يلحق الفتى بالأكاديمية ولو أدى الأمر به إلى بيع أرضه وإخفاق آخر كويك من ماله وعقاره في هذا السبيل ، وعاد إلى الفندق حيث كانت الوالدة السكينة في انتظارهما ، فدفعه غضبه وكرامته المبروحة إلى أن يروي الحديث بمخافته عليها ، وختمه بظهار رغبته التي تتردد في صدره ، وكان سوتو يتهدج ويدها ترتجفان حتى خشيت الأم (فلاديسيانا) عليه أن يصيبه سوء أو يفجر شريان في دماغه ، فيذهب ضحية الفالج نتيجة حبه الخير لولده ، فبككت وأجهشت وقبكت يد زوجها وطبخت خاطره ولكنها أبت أن يكون ولدها سيبك في قفرها ، وهي التي تعلم أنه ليس من النسي بحيث يحقق أمنيته وأمنيتها

بها حجاراتهم القروية ويشعلوا تحت أقدامها فتاديل الزيت التقليدية ...

فكان اللوجيك من أهل القرى يرد السوق في حفل من أهل وجيرانه ، فإذا فرغ من البيع والشراء والأكل والشرب والقهو البريء أو غيره ، طاف بأطراف السوق حتى إذا ما لمح « فرش » الأرباب والملائكة ، وقف على رأس النعلا ولمس الملبود بقدمه سائلا عن ثمنه ، فإذا علمه ما كس ما شامت الماكسة حتى يصل إلى الثمن الذي يرتضيه فيلقط التمثال الذي وطأته قدمه ، فيقبله ويضمه في جيبه بحرص وعناية ، ثم يخرج قطعة القضة الصغيرة وينقد الصبي ثمنه وينقلب إلى أهله حاملا تمثال ربه في ثنابا « كازاكه »^(١)

وكان ساشا الصغير يجب لهذا المسلك ويضحك ثم يأسف على فته الضائع بين هذه القطمان الشاحبة الكالحة التي تدمن بني الانسان وليست منهم . ثم أخذ يشور على البياضة التي تحبسهم من تابسيها وعلى الكهنوت الذي يصبر على عمايتهم ويستغل ما هم فيه من غفلة بالثة . وما اعتضت عليه ثلاثة أعوام بين المصنع والأسواق حتى شكا إلى أمه ما يلاقيه من ألم النفس وتعب البدن ، طالبا إليها أن تخرج أباه على إرساله إلى المدرسة

فصممت الأم على تنفيذ رغبته ، وقرعت الوالد على رضائه بأن ينشأ طفلها على هذه المهانة وهاهو ذا قد نما وترعرع ، ومارس الصناعة والتجارة ولم يفد منها مالا يذكر ، لأن جهوده عاثمة كلها على مملعه بورا الذي لم يملسه إلا ما رآه ملائعا لصلحته الخاصة ، فلا بُدَّ من إرساله في بثة تعليمية إلى

(١) سيرة طويلة لا تلتصق من صدرها

الحكومة وأتانا يحفره الشباب اللوثب والثامنة
فياؤى إلى نزل صغير في حي نيكولسكوى لقربه
من الدواوين وبُعد عن مراكز التراء والزهو في
العاصمة حيث صراخ الزلزال، ومواطن الفتنة،
وممارض الزينة الرائعة، ومظاهر القسوة والشب،
وكان لأول عهده يطر سبرج (وهي دنيا عريضة بالنسبة
لأورالوف وعاصمة القاطمة الشاملة لقريته) يدهش
لما اجتمع لأهل هذه الحاضرة من أسباب الترف،
ودعوى الاسراف والتبذير، ويختلف المتع التي
لا تنازعها إليها أية عاصمة أخرى

وكان إذا قاده قداما إلى الأحياء الرائعة في
التراء يتحرق على نعيم الدنيا التي يرى آثاره الثرية
في المجلات الجارية والسيارات المتساقطة، والشوارع
الرحبة، والمخازن الحافلة بأنواع المتاجر، والمحوانات
الزاهرة بشمعن الحلى والجواهر، والمبار العالية ذات
الطبقات المدودة، والحداثى البناء، والظلال
الواردة للأشجار المتضدة، والناني الآلهة بالنوانى،
والمراقص المرددة لرنات الثالث والثاني، ويرمق بين
الدهشة جماعة المياسير الذين اتخذوا من الحياة
تلحية، ومن أسباب السرور وسيلة لمداقة اللذات
ولإيقاظ الشهوات التي رانت عليها التخمّة والسامة
فزهدها فيها وتعلقوا بها في آن، يأكلون من
الأطعمة أشهاها وأحلاها، ويمشون أرغد الحياة
وأترها، مسافين في أبدانهم، لا يأخذهم حر،
ولا يزعجهم برد، ولا يوقعهم عن السى إلى ملذاتهم
مطر ولا رعد، إن أدر كتم علة فالأطباء والسيادة
نسيمهم يحضرون، وإن طاف بهم طائف الضجر
فألف وسيلة تطرده عنهم وهم لاهون، يسبرون في
الأرض غتالين نخورين، يكادون يهتفون بالناس

يشد أن الفلاح العنيد سى في الأمر دون
علمها، وكاد السى يكمل بالنجاح لولا أن علم به
الوظف المسؤول بإدارة الفنون ودرج إلى «المراجع
العليا» مذكرة فتت في دعما معوم حقه، وألقى
ظلالاً من الشك على هذا الصنيع فأفتله، فسافرت
الأم مكسورة الخاطر، موجة القلب، تآقة على
الدنيا، واستمسك الشيخ بزعيمته لترقية وقده،
وسى إلى توظيفه أولاً في إدارة صغيرة كان رئيسها
قريباً له، بوظيفة لا يزيد مرتبها على عشرين روبلاً
في الشهر (١)

وقال له: «ساشا! ولدى الميز: لائمس هذا
الرتب، بل ادخره بأجمه وإن شئت فاقبث بقليل
منه إلى والدك، لا على أنها محتاجة إليه، ولكن
لتشعر بأنها تشرب قدحاً من الشاي من عرق
جيبك وكسد عييك، فيكون له طعم ونكهة
لا يعرف حلاوتها إلا من كان في راءتها وتقاة
قلها، أما البقية فأفحقها في شراء الألوان والصور
وأجود التلميم الليلي. أما ما لك ومشربك ومسكنك
وملبسك فأما الكفيل بها. وتسلم ما استطعت،
وزاول من الفنون الجلية ما شئت، فإن لك يوماً
يتنظر في الأكاديمية الإمبراطورية، وإن جدران
الارميتاج تنتظر لوحاتك بفارغ الصبر»

ولم يكن من ساشا إلا أن بكى وشكر أباه وقبل
يده وهو يقول في نفسه: يا لها من حياة كالوت:
ورج خير منه الخسارة: لقد ضاع حظي في هذه
الوظيفة، ولكن من يدرى؟

ولم يكن له أن يرضى من النعمة بالبقاء في
العاصمة، يعيش حيناً في كنف قريه الموظف في
(١) الروبل عملة روسية قديمة قيمتها إتنا عشر قرناً

والفتيات اللواتي تحرزنّ وعلين أباهن على أحرم
وأقنمنهم بمشاهدة الشبان في اجتناء غار العلوم العالية
وتلقي العلم معهم على أستاذ واحد في صفوف الجامعة
وفي اجتناع الطلاب والطالبات التي بدلياً التي
كانت تناصر كهلاً من كهول الثورة على مضض ،
وكانت إذا التقت بشاباً في حضرة الكهل لا تميز
حديث عشيرها سمياً ولا وعياً ولا لغة ، مندفة
في الاستيلاء على لب الشاب القنان بمحبتها الجذاب
التي كانت ينصت إليه فلا يفوته من تمارجه
والتواكؤ حرف واحد ، وفي تلك الفترة كان ساشا
قد أخذ بأهداب الفن وعرف لدى أستاذته بحسن
الدق ، ودقة البصر ، والقدرة على تمييز الألوان ،
وخلط الأصباغ ، ولكنه أبى أن يدخل الامتحان
أو يعرض لوحه . وكان يتميزز كلما تذكر الموظف
الكهل ، ذلك السخيف الذي حرمة الالتحاق
بأكاديمية . وكان أبوه يمشي إليه بالرسائل ، ويأخذ
عليه الواثيق أن يحتفظ في قصره المأمول بمكان رحب
ليصون فيه شيخوخة أمه من الفقر وذلل السفهة .

والأم تكتب إليه خفية أن يسرع في إتمام
عمله ليربح منه ما يكفي لإراحة والده المكثود من
تعب السعي على الرزق والأكباب على الأرض التي
تجود حيناً وتعاطل أحياناً . فكان الولد يد والديه
وهو حائق ، لأنه ما زال في رحاب الفن يؤمل أن
يملك نصيبته ولو بد حين . أما المرأة التي تعرفت
إليه وأعجبت بفنه فقد استهوت وخدعته وحسنت له
أن يوزع بين أقرانه رسالة أدبية ، وكان الكسندر
سلم القلب حسن النية فلم يعلم ما تحويه الأوراق
التي قبل تفرقها ، ولم تكن سوى النشور التي

« أن انظروا ! وسبحوا وإن شقم فاحسدوا »
متوهمين راحة الضمير وقرة العين بتأقسمة الحظ لهم
من صفوف النخ على رغم أنوف الحاقدين والمحرومين...
ولو أن ساشا برافسكي كان من ممدن غير ممدنه
لسخط وحقد ، ولاهم الزمان والمكان والناس
بأنهم سبب ما يأتى من حرمان وققر ؛ وساءه أن
أمه المسكينة كانت ترجو أن تباهى به الماصتين^(١)
وهي جائعة في كسر ينها القروي . ولو أنها رأت الآن
لازوت خجلاً من بساطة شأه وهو يطوى شوارع
المدنية الكبرى على قدميه صباح مساء ، وأعظم منه
شأناً في نظره تلك النحلة الواقعة على زهرة في غابة
لفاء تبحث في حناياها عن زهرها القسوم . وفي تلك
الصحف كان يتذكر ماضيه القريب وحياه في
حسنى والديه وأحضان الطبيعة الساذجة والأحلام
التي كانت تداعب غيخته الفتية وترسم أمامه مستقبله
في مهاد الفنون كأحد طلابها الثابتهين ، وكان قليل
الذهاب إلى الكنيسة ، ولم يجد في العاصمة ما يندى
في نفسه عاطفة الدين

وقد كان أصدقاؤه الأولون من طبقة اللوجيك
مؤمنين وفي قلوبهم ذرة من الجحود التي سببه الفقر
والجهل ، أما أصدقاؤه في العاصمة فليحدون ، وليس
في قلوبهم شعاع من الإيمان ! وكان في وسمه أن
ينشئ دار قريه ، حيث يلقى الترحيب والأكرام
ولكنه كان من التفتف والإباء بحيث يمز عليه أن
يفطن أحد من أقرانه إلى سوء حاله . ومن هنا
تعرف الكسندر (ساشا) بطائفة من الشبان الذين
ساعدهم المهر بالانضمام إلى صفوف الأكاديمية ،

الجائمة ، وإن الشيطان الأكبر بدأ أن شاد هذا البناء للهول ودعمه وزينه وبجمله نصب أعماد ملاعبه لتأبسه ليلبوا أدوارهم ظليوها ، ولكن أنصاف البشر الذين شاركهم تفوقوا عليهم وسبقوهم واختلقوا صنوقاً من الشر وألواناً من الأذى عجز عنها أعوان الشيطان فتضرب إبليس وهدم البناء على رؤوس ساكنيه

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود ستفضع قوة القوى المسيطرة على الكون أسرارهم وتنتشر بين أيدي اللأ أخبارهم التي دونوها بأقلامهم ونطقت بها ألسنتهم ، وتآلى أيديهم وأعينهم وجوارحهم شاهدة عليهم

« عند ما تزول القيصرية من الوجود سيترحم الملائكة والناس على الذين بنفوسهم وأبغضوهم واحتقروهم واضطهدوهم وطاردوهم لأنهم ضحوا تلك الدولة وفرائسها البريئة ، فلا توجد حيلة ولا مكيدة ولا خيث ولا جبال ولا فتح ولا فناء ولا دسيسة إلا ووردت سجلات تاريخها المشؤوم

« لقد كان (التبذون) من أبناء الشعب عيالاً عليهم في طمعهم وجشعهم ولؤيمهم فتجسدت هذه القذالات في أرواح قاداتهم وسياستهم وزعمائهم ، فلم تعرف قلوبهم الرحمة ، ولم تذق نفوسهم الحنان ... يسفون العدل والحرية والمساواة كأنهم يشعرون بها ، ويتخفونها ككأة ومستنداً للوجيك البائسين في عزلة

« عند ما تزول القيصرية الظالمة من الوجود سينادي مناد في السماء وفي الأرض : « ألا إن الأرض قد طهرت من الظالم التي أهرقت السماء

أدى به إلى الخروج من العاصمة مكبلاً بالحديد إلى سجون سيريرا للوحشة وما زال ساشا يحفظه عن ظهر قلب كأنه أصبح من العهد القديم ، يتلوه على مهل ، وأخذ يلقيه على سامع صديقه فيكتور فيدورفسكي الذي أنصت إليه : « عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سوف يتلو أبناء الأجيال المقبلة صفحات من تاريخها تخطر أسطرها دماً ، لأنها كتبت بالخناجر في لحوم الرجال ، ولا سيما الظلام منهم الذين دافسوا عن أوطانهم ضد الظالم الصارخة ، ووقفوا وجهاً لوجه حيال الموت ^(١) أهل الندى والحناء

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود ، ويحترق الحق جبل شامه كل تلك الأمم في يوم المرض العظيم ، ستبث بعض النفوس سوداء كالضحم ، لأنها أبت أن تخرج من الدنيا إلا وقد أسادت إلى من أحسن إليها واستكبرت !

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سيكشف للذين سمحوا بمجدها ، وقروا بأبدية الإعجاب ، من أخلاقها المزجة ، وفضائلها للزيفة ، وعظمتها الكاذبة تلك المنظمة القائمة على الباطل فانهم سيظنون أنهم كانوا من المخدوعين ...

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سيعلم الدين شهدوا وأحقادهم مصرعها أن الله قد أهلك أكبر دولة بناها الشيطان واستعان في بنائها بكل القوى الكامنة في الظلام للرعب الخفيف ، تلك القوى التي لبست وجوه الخفافيش لتختفي وراءها نجاسة الأجيال ، ورجس أعوانه ، وقسوة الضواري

(١) سادة روسيا القيصرية دوفت وضرا دوفت

ولا يخطئ^{*}؛ حتى لقد ذمل فيكتور فيدوفسكي ما تلاه صديقه القديم ، ولكنه لم يستطع أن ينف تيار حديثه الجارف فقال له :
« وكيف استظهرت هذا كله ؟ »

قال : عمراً طويلاً قضيته في سجون سيبيريا ، كنت أتلوها صباح مساء ، حتى لقد جعلتها صلاتي لأنها سببت شقوتي وسجني . أما المرأة دليانا فقد شفقوا ، ثم شفقوا في بطرسبرج ، وأما والدي التي كانت تنتظر البر والخير على يدى قدمائمت ولم تزدق منهما شيئاً . والآن ها قد عثرت بك لتحملي إلى... السجن أو إلى القبر الأبدى . واغير وجهه ، وارتعدت فرائسه ، ووقع على الأرض ميتاً ، فلم يكن سلامه إلا وداعاً ، وحديثه إلا نذيراً بدنو أجله . وكان مصيره إلى ... إلى المشرحة ...

محمد لطفي جمعة

البرية . ألا إن الأرض قد طهرت من الظلم الفوضحة . ألا إن الأرض قد طهرت من النفاق والعدالة المزعومة . ألا إن الأرض قد طهرت من إجرام السياسة ورجس الحياة اللوثة ومتكررات المجتمع . ألا إن الأرض قد طهرت من التفاف الأسود والخبث الأصفر . ألا إن الأرض قد طهرت من الموصية الزوفة والحياة للستخفية والنشر المتدسّ في زوايا الخلدية . ألا إن الأرض قد أقيمت من الكذب المتقلب الذي قتل الصدق وضربه على أم رأسه بهراوة الباطل فصرعه وولغ في دمه ...

« ألا إن الأرض قد خلت من مظاهر الدعوى بالفخار الكاذب والاندفاع الذي طال أمد حكمه وفشا ظله وتحكمت إرادته في ضائر الشعب المنلوب على أمره

« ألا إن الأرض قد نظفت من التزوير والخنث في الأيمان والوعود الكاذبة
« ألا إن الأرض قد نجت من الوعود الباطلة التي سموها « كلمة الشرف »

ألا إن الأرض قد طهرت من قطاع الطرق في البر والبحر الذين لبسوا القبعات المالية وتقمشوا بالثياب التالية ، وأخفوا أيديهم الملوثة بالدماء بقفازات من جلود خناياهم في قلمة بطرس وبولس ، وفي سجون سيبريا التي يكتنفها الجليد من كل حذب وجانب »

كان ساشا يتلو من الشيب كأنه يقرأ في صحيفة مفتوحة بين يديه ، لا ينف ولا يتلثم ولا ينسى

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بألوانه اللآنية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل عشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

فقلب كاساً وخواناً
ليجري عليها بحرية
أمامهم ناكيداً لها
قال، وإثباتاً لا روي،
وإن هي إلا لحظات
حتى كان الأوانس قد
تألن حوله وساوره
وحق كان الصحاب
قد اندسوا بينهن حياه

أَعْصَابُ

للكتاب الروسي نطون تشيكوف
بترجمة الأديب جورج سليستي

وكلهم يرون إليه بطرف سادر لا يحير ، ويتربص
حضور تلك الروح التي كان قد تمّ باستدعائها من
علياء سمائها بتمنّات إن أدركوا ألقها فاتهم إدراك
جلها ، وغنمات ماتين وألقها حتى تمض أو أخرها ،
ولما عيل صبرهم أو كاد لفظ اسم المرحوم عمه
بصوت خافت ملؤه الضراعة والتوسل ، وطلب إلى
روحه المرفقة في فضاء الانهائية أن تنحدر من
سمتها الرفيع إلى مجتمعهم الوضع ، وأن تنازل
فتجيب إن كانت ترى مانساً يحول دون تسجيل
منزله باسم زوجته فداً قبل أن يدمه الموت المفاجئ ،
نظراً لمة ضعف القلب التي ألت به منذ أمد بعيد
واستمعى على الأطباء علاجها

وساد الصمت الهيب ارجاء الثوي في فترة
انتظار الجواب المتيد ، ولم يلبثوا أن سمعوا جيباً
صوتاً يكاد يكون همساً إلا أنه واضح الثبات يقول :
« إن كل شيء حسن في أوانه » فأدهشهم ما سمعوا
وكان له في نفوسهم أثر بليغ

واتقل بعد ذلك الحديث من مناقاة الأرواح
إلى شخصوها وبروزها ، فكان للأوانس في هذا
الباب القدر الحلي ، إذ طفت هذه تذكرك كيف

رَجَتْ « مدام فاكسين » قرينها المهندس
أن يأذن لها بزيارة كنيسة « السيدة » في (ترويسنا)
ليلاً ، وفاء لنذر ، على أن تعود في الصباح الباكر
فلم يرد لها إيجاباً من أن يلبى طلبها ويترك
عند رقبته ، ولم يجدهو بعد ذهابها مندوحة له من
قضاء أمسيته عند أحد أصحابه فراراً من وحشة
المزلة في منزله المنفرد ، وترجية لوقت يلذ فيه
السهر ويستطاب السمر

ولقد شاء طالمة المجدود أن يكون المنزل الذي
أمنه غامساً بالساهرات والساهرين من الأرباب
والأحباب ، يتسجلون في قفون من غير تيه ،
ويطارحون الحديث سمحاً لا تكلف فيه ، وما
عتم بعد أن اطمان به بجلسه أن سام معهم في قفون
القول ، وغاض منهم في كل بحث ؛ ولما أكرت
إحدى القانيات مسألة قراءة الأفكار ، وتحدثت
عن استدعاء الأرواح ، راح هو يتدفق في كلامه
عن الأرواح ومناجاتها كالخطيب المصقع ، وروى
لهم شتى الأحاديث عن اختبارات كبار العلماء في
هذا الفن وآرائهم فيه ، وعن تجاربه الشخصية التي
قام بها بنفسه ، وأبى إلا أن يقرن القول بالعمل ،

فما يلتوا ضريح ذلك النقي للتكود أدركوا الحقيقة المرة ، فصرع بعضهم بنى دائرة الشرطة وانكفأ البعض الآخر على القبر يحفرون ويرفع ما هبل على التابوت من التراب

ولما أقبل رجال الشرطة كان هؤلاء يمالجون النمش لرفع غطاءه ، فأمر القائد الشرطي أن ينسحبوا من الحفرة وأن يمالج النمش بالفتح اثنان من رجاله . تخضع هؤلاء للأمر وتقدم الشرطيان لفتح غطاء التابوت ، وما كذا ريفانه مكا حتى رفع البفن الحى رأسه وأرسل صيحة مدوية تركا الغطاء على أثرها يقع عليه ، وأغشى عليهما .

وأقبل الحاضرون لنجدتهما ، على حين تقدم الباقون لرفع غطاء النمش مرة أخرى ، بقلوب واجفة ووجوه مصفرة ذهب بولونها هول الموقف الرهيب !

ولشد ما ألهم مرأى ذلك النقي السكين ، عروح الرأس ، غدد الوجه من آثار أظافره التي أعملها فيه ، جاحظ العينين ، أزرق الأديم ممزق الكتف . وبعثا حاولوا إيقافه ، فإن البانس كان قد لفظ آخر أنفاسه ، وكانت صيحته الأخيرة أمامهم آخر اختلاجة فيه ، فيا للفتى الموهود !

وما بلغ الرجل من روايته هذا الحد حتى كان بعض الأوانس قد امتقت من الألوان واكفرت للامسح ، ودقت الساعة الواحدة بمد منتصف الليل ، فنهضوا جميعاً يودع بعضهم بعضاً ، وإن هم إلا دقائق ممدودات حتى انقضى عديم وارفص جمهم ومشى كل إلى طبيته ونفسه ترخر بشقى الأحلام والرؤى ، إلا أن فاكسين كان أشغلهم بالأجلين والأرواح ، فقاد إلى منزله المنفرد

ترامت لما روح أبيها مائلة على الحائط بشكل يهول الرأى ويرعبه في لية من الليالي الماطرة القرة ، وقد نيا بها مضجعا ، واتنى الكرى عن مقتلها ، وكيف أن الروح اتخذت أوضاعاً مختلفة على ضوء السراج الخافت الموضوع أمام صورة العنقاء حيال سريرها مما روّعها وأثار مخاوفها ؛ وراحت تلك تقص عليهم ماسمته عن القصر القديم المهجور من روايات أقل ما يقال فيها إنها تشيب الوليد ، ويقف لها الشمر هولاً ورجباً ، وتساءلت عن مدى الحقيقة في تلك الأقاصيص ؛ فأنبرت لما طانس شوهاه انطلقت تثبت أن للجن وجوداً ، وأن الأرواح كثيراً ما تتراى إما بهيئات وحوش ضارية أو أناسى لا تحك رؤيتها للمشاعر فحسب ، بل كثيراً ما تنقل اللسان وتكلم الفم وترى المرء بعد ذلك يمرض عضال لا يبر منه ولا شفاء ؛ وأن القابر صراح الجن ومندهاء ، والويل ثم الويل لمن يتحدث نفسه أن يجوس بين الأضرحة في ليل حالكة الأهاب فالطامة الكبرى من غير بد واقمة عليه

وهنا تطوع أحد الحاضرين للحديث ، لا ليزيد في متعة الأحاديث بل في رهبتها ؛ وكان إلى تلك الآونة منصتاً إلى ما يقال دون أن يتكلم ، فراح على ذكر الأضرحة والقابر يروي قصة فتى غيماني الشباب مات على ما ترى لأهله وبنات ، على ما أثبت الطبيب ، فوورى الثرى بين الآهات والمبرات ؛ إلا أن طارى السبيل حيال المقبرة سموا مساء اليوم القى دفن فيه صوتاً خافتاً تكرر المياه في جوف وادٍ سحيق بعيد النور ، فدفعهم حب الاستطلاع إلى قصى الأمر واستجلاء كنهه ، فدخلوا المقبرة وطلّافوا بين الأجداث متبعين مصدر الصوت المحتضر الرهيب ،

لا وجود له إلا عند الراعين ، وليست رؤى الجن إلا ثمرة النقل الخبول ولئن حق له أن يسخر من رفاقه إذ يوحهم أنه يساجى الأرواح ويستدعها قهرح إليه ، إنه ليس من الحكمة في شيء أن يسخر هو من نفسه فيؤمن بما يثق كل الثقة من بطلانه ، أو يمتنع مبدأً بمد له لشوا وهراء وشموذة

تلك هي آراؤه التي كانت تجول في فكره ، ولكن ما قبة هذه الآراء ما دام الواقع يدحضها عنده وفيها ، وما يجدي المرء اعتقاده أن شخص الأرواح وهم على حين يكون هو نفسه فريسة هنا الرم ، لا يقوى على الإفلات من عقاله أو الانطلاق من أساره ؟

وراح فاكسين يحاول أن ينجو من بران الأشباح ، فكان يغطي رأسه كله بدثاره ويطبق عينيه بشدة ورغم نفسه على النوم إرغاماً . غير أن الأشباح كانت ما فتئت تتخطر أمامه ، والرؤى لا تنفك غادة رائعة أمام بصرته ، والنوم شريد أنأى ما يكون عن عينيه

ولقد مثل له خاطره الروع رسم الدفين الحي يتقلب في نعشه ، وتراعى له ساعياً ينفذ عنه الأكفان فيرتطم رأسه بغطاء التابوت فيشج ، ويستثيت بجله فيه فلا تخرج الاستماعة من حلقه إلا كنداء البجوح لا يكاد يسمعه أدنى الناس إليه . وتثلث له صورة المرحومة زوجة عمه ساعة احتضارها وسورة أخ له حيم علق على أعواد الشنتفة وسورة فتاة كانت من أحب الفتيات إليه وآثرهن عنده ابتلعها التيار الجارف وطوتها الأذى الصاخبة في مهاويها البعيدة الأغوار !

وصورة ذلك الفتى النكود الذي دفن حياً ما تزال غيخته ، وأوى إلى فراشه وخيال الجثة لم يبرح ماثلاً أمام عينيه

قال فاكسين في نفسه : « إن الحياة لتزخر بالترائب ، وإن في الوجود من المخاوف والمروعات ما لا يلزم به عد ولا يدركه إحصاء ، ولكن الرجل من كان حديد الإرادة ثابت الجنان ، فليست الحث هي التي تخيف وإنما هو المجهول النامض ؛ وأنا ما كنت في يوم من حياتي جباناً ولا رعبيداً ، ولن يعرف الخوف إلى قلبي سبيله ، والآل .. فلتأم ؛ فقد آن لجسمي أن يستوفي قسطه من الراحة »

ووفقاً لقراره هذا أغمض عينيه ، وحلول أن يغفو ، إلا أن النوم قد جفاه ، وسى ليتزع الأرواح من خاطره ، إلا أنها كانت تكنتظ فيه وتراكم عليه قاعة سوحا

ودقت الساعة الثانية بدم منتصف الليل ومازال الرجل يراوح بين جتبيه لعله يجد النوم فلا يسمده طالمه ولا ينال مأمله

وأطل برأسه من تحت دثاره فوقع نظره على رسم عمه التقيد الذي نابى روحه منذ ساعة ، لا يكاد يضيئه شمع السراج الضئيل الموضوع أمام إيقونة المنزلة في أقصى الغرفة ، وما عسى أن يضيء هذا النور الشاحب المترافض أبداً أمام حفيف التسمم الناعم ؟ !

وتسادل فاكسين عما يتناهى لو ظهر له خيال عمه حينذاك ؛ غير أنه لم يلبث أن طرد هذا الخاطر المزج من رأسه لأنه على ما رأى بيد الاحتمال إن لم يكن مستحيلاً ، لا سيما أن شخص الأرواح

عمه الباردتين تضغطان على عنقه حتى اختنق أو كاد
نفاثته قواه ، ولم يبق في مقدوره أن يتجملد أكثر
مما قبل ، فسلطت أمله المرتجفة بخيط الجرس تحت
وسادته تعلق الفريق بأخر أمل له في الحياة ، وجذبه
بصفت يستدعي خادمه ليستعين بركاء على تنفيس
كرهه ، وما هي إلا دقيقة أو اثنتان حتى أقبلت قيعة
الدار سائحة من وراء الباب :

— « لقد أذن سيدى (لكلافدييه) بزيارة
أهله في المدينة وليس في المنزل أحد سوى ، فهل
يريد سيدى أن أقوم له بخدمة ؟ »

وهبط هذا الصوت الأثوى عليه هبوط
الفرج على البائس الحبيب ، ووجد فيه أنما يبدد
مخاوفه بعد أن ناله منها ما ناله من عنت وضيق ،
فأفرغ روعه واطمان بالله قليلاً ، وتجرأ فرفع
رأسه من تحت الدكّار ، وقال وقد ضرج الحياء
خديه :

— آه ! أهذه أنت يا (روزاليا كارلونا) ؟
لقد جشمت فضلك مشقة الجوى إلى بعد أن كنت
غافية ، تفضلى وادخلى

— ماذا يريد سيدى منى ؟

— إنك حقاً ذات قلب رقيق وخلق كريم...
كنت أود... آه... ولكن تفضلى ادخلى يا عزيزتى
روزاليا... ليس نعمة ماتحبطين منه ، فالتعبدل مطلقاً
وأنا فى السرير ، ادخلى

ودخلت قيعة الدار وهى ألامية ذات جسم
بدين وعليها مسح من الجلال الأثوى المنرى ،
وخبطت خطوتين اثنتين ثم وقفت تنظر أمر سيدتها
الذى سرى عنه لدى دخولها ، وتنفس الصمداة

وحاول السكين أن يدفع عنه أفكاره مرة
أخرى ولكنها ما كانت لترداد إلا قريباً منه فيهلح
فؤاده الخلوار

ولقد عاوده وهو تحت غطاءه شيء من الثقة
بالنفس وقليل من الجرأة التى كان يتيجع بها ، وأثر
فى نفسه أن هذا الذى يبدو منه خور لا يلبق بثله ،
وضعف من المار أن يثبت عليه ، وعزم عزماً صادقاً
على أن ينهض من فراشه دون ما خوف ولا وجل
ليظهر أمام نفسه بمظهر الجسور وليربها أن الشجاعة
لديه ليست ادعاء كاذباً ولكنها حقيقة لا يوزها
دليل ولا إثبات ، ولكن يأبى سوء الطالع على ما
يظهر إلا أن يلازمه ، فما كاد يرفع رأسه حتى
لامس جبهته جسد كان قد دخل من النافذة طائراً
ولجناحيه خفيف تخشع الأوراق المتأثرة عند ما
تنزوها الرياح . قارن أعما ارتياح ، وعاد فكمن تحت
الدكّار فى مثل ومض البرق الخاطف ولنؤاده وجيب
يتجاوب فى أذنيه صداة

ورن جرس الكنيسة القاعة حبال القبرة
فى ضاحية القرية ، رنات بطيئة محزنة تملك الشاعر ،
وصر الجدد فوق السرير صريراً يكمد النفس
ويشجى الفؤاد على حين كانت الساعة وراء الحائط
تنشد أغنياتها الموزونة من غير ونى ولا إبطاء فتريد
السكان رهبة على رهبة

أحسنا فاكسين كأنما النمل يحبو على ظهره ،
فمرت جسمه المجهود قشعريرة هزته هزاً ، وترأت
له صورة عمه كأنها قد تجسدت وتعلصلت من
إطارها وأكبت عليه تنفخ رقبته أنفاسها الباردة
فاستولى عليه شيق شديد خيل معه إليه أن يدنى

أرى أنك رجل خليع مهتك ... أنا لم أسمع
قبل الساعة أن غلاماً يستدعيها سيدها من فراشها
لأجل غليون ! أو تحبني جاهلة ؟ إلى أعلم حق
العلم ما تروم مني !

ودارت على عقبها وعادت أدراجها إلى غرفتها
بعد أن أغلقت وراءها باب سيدها حاققة غصبي .
فلم يُسد قاكسين ولم يُسد . وحسبه أن حضورها
إليه وحديثه معها قد أزالا عن صدره كابوساً من
الهم كان يهقه وإن يكن في قرارة نفسه قد خجل
من ضعفه ، وجذب النطاء عليه وراح يئلس النوم
بعد ذلك الهدوء النفساني ... ولكن دون جدوى
فكأنما تصادى النوم وأجفانه فسد عنها وجفاهها

ومضت عشر دقائق سرعان ما تصرمت ثوانها
ثم عاد الخوف إلى فؤاده ، فتمتم لاعتاً تلك الساعة
التي فذته فيها قدامه إلى منزل ذلك الصديق
التي حفلت الأمسية عنده بالأحاديث عن الأرواح
والجن والوحي ، ومد يده إلى المنضدة قرب سريره
ليتناول علبة الثقاب فلم تثر أظلمة الميثة عليها

وترأى له أن شيئاً عملاقاً جاثماً في زاوية
الترفة يرمقه بالنظر الشرير ويهدده بقبضة يده القوية
وأن عيني عمه مخزاه (١) بنظرهما ، فتضاءل
واستخفى ، ثم استجمع إرادته الموزعة وعزم على
أن يستدعي الفتاة الألمانية من جديد لتؤنسه ،
وسيتحل لنفسه عنراً مقبولاً كالرض مثلاً ،
ويطلب منها أن تأتيه بالهواء

ودق الجرس ، ولكن دون جواب ،
فروزاليا كانت قد غفت وراحت تسبح في نوم

(١) خير فلا : نظره بلحظه كبراً واستمعاناً

كن بلقي عن كاهله عتياً يهبطه ويفدح قواء ثم قال :
— أرجو أن تجلسي يا عزيزتي روزاليا ،
أتملين ماذا أريد ؟ !

وتتنحنج وهو ينظر بيطرف عينه إلى صورة عمه
ويفكر فيماذا عساه أن يطلب منها في مثل تلك
الساعة المتأخرة في المزيغ الثالث من الليل ، ثم
رفع رأسه إليها وقال :

— آه ... ! كنت أود أن أكلف الخادم
بشراء غليون غداً ، ولقد عذب عن بالي أني
أذنت له بزيارة أهله ... ولكن لا بأس : فهل لك
أن تبليتي رغبتى لدى عودته ... ؟ ! ولكن
اجلسي ريثك :

— غليون ؟ ! هيه ! أقول للخادم أن يبتاع
لك غداً غليوناً ؟ ! جيل حقاً ما تطلب يا سيدي !
وهزت رأسها باستخفاف وهزه ثم استأنفت :
— وبعد فاذاً تريد ؟

— أريد ... إيه يا روزاليا ... عليك بالله أن
تستريحى على الأريكة ريثما أفكر في شئ آخر
أكلفك بتبليغ (كلافييه) شراه

— هيه ! أعطأت يا سيدي كل الخطأ فيما
ذهبت إليه ... ! لأن أجلس ! وليس من اللياقة
ولا الأدب أن تجلس فتاة شريفة في غرفة رجل
بعد منتصف الليل !

فالت ذلك بلهجة جمت بين الغضب واللين ،
وهمست بالانصراف ، فاستوقفتها وطلب إليها مرة
أخرى أن تنزل عند رغبتة فتستريح على التكا ولو
هنية واحدة ثم تنهب ، غير أنها أبت ، وظار دميها
واحمرت وجنتاها وصاحت به :

— ليحمل الشيطان شرفك وطهره ، فأية
عُتْبَةٍ لى فيها أيّها الفتوة . إني مدنف ليل
يموزه الدواء ... أتتهين الآن ؟ !

— أنا أدرى منك بالدواء الذى يحتاجه ، إليك
عن بابى يا سيدى ، فزوجتك شريفة وإن عليك أن
تحبها هى وتخلص لها الحب ؛ إنها مثال الأمانة
والوفاء والطهارة والورع وهى تستحق منك كل
رعاية وتقدير وإنها بهما لجديرة . أنا لا أريد أن
أكون عدوتها ، وليس لى أن أنافسها فى هواك
— إنك حقاء ، أجل إنك حقاء ؟ !

قال ذلك وهو ينزو غضباً ، ثم أسند ذراعه
إلى الباب ، ورسم إشارة الصليب على صدره
ليطرد بها الأشباح من غيخته الواهمة المضطربة ،
وطفق يمدح فى سكون ذلك الليل البهيم بنظر تائه
وفكر شريد ؛ ويفكر بما تبقى له من عقل : أيعود
إلى غرفته حيث تراقص أضواء الشمعة الشاحبة ،
وحيث يرى رسم عمه الذى يفزع به بنظراته الجامدة
الحادة ، ويخيلُ الأشباح المروعة ... و... ؟ لا
ولكن أيقى حتى الفجر حافى القدمين واقفاً على
باب القِيَمَةِ بجلبابه الرقيق ؟ إن هذا لا يليق بمثله ؟
ما العمل إذن ؟ .. إنه لا يدري

ودقت الساعة الثالثة وهو لا يزال على وقفته
تلك يفكر تحت ستار الدجى الحالك ، تساوره
الخاوف وتخف به الرؤى . ولقد غدا من شدة هلمه
بحسب أن لا يبرحوا رتمه ، وأن الأرض ملوؤما
الأشباح اللبنة فى كل مكان تلب الناس راحتهم
وتنكر على البشر صفوهم

وخيل إليه أن جنباً ماردأ واقفاً وراءه يصنى

عميق . وكرد الحق ، ولكن دون جدوى ، ولم
تطرق مسميه حركة ولا نامة اللهم إلا دقات
جرس الكنيسة القاتمة حيال المقبرة ، وكأنما تقرع
رداً على قرع جُرسه ؛ ثم ساد الصمت الرهيب ،
وعراه زعر شديد ، وأحس بأعضائه تنقرس ، فلم
يجد وسيلة يتنجس بها مما هو فيه إلا أن يقفز من
سريره ويهرع إلى غرفة القِيَمَةِ يلوذ بحجرتها

ونهب من سريره فعلاً وعمر حجرتها حافى
القدمين وليس عليه من الثياب إلا قميص نومه .
وقرع بابها بيده فلم يجبه ، ونداهها باسمها مراءاً فا
ردت عليه ، ولقد أدرك أن اللبنة تسمع نداءه
وتصام فقال لها بلهجة التوسل الصارخ :

— روزاليا ... أنا مريض ... أسمعنى
بزجاجة الدواء ... أتتهين ؟ ! أرجو منك أن
تسمعنى حالاً فأنا الليل واقف ييا بك ... إيه ...
لا أنهم والله لهذا التمنت سبباً ... ولا أفتحه معنى
لهذه الحدة تبدر منك لى ... ولا سبباً أتى محروور ،
وبى صدام أليم لا طاقه لى على احتاله

— سأقص كل شيء على زوجتك يا سيدى ،
وسأورى لها الخبر بمخافيره ؛ سأعلمها عن تصديك
خاطرى من أجل ... آه منك يا هنا ؛ سأنبئها عن
هذا كله إن لم ترعوا عن غيبتك وتوب إلى رشك ؛
ألا تريد أن تدع فتاة شريفة مثلى ؟ ! عند ما كنت
عند البارون « انريج » أقبل إلى حضرة كما أقبلت
إلى أنت الآن بحجة التفتيش عن علة تقاب ،
ولكنى وأنا الدكية أدركت بدهامة أية علة تقاب
كان يتنى فسفتته وزجرته ، وهرعت إلى البارونة
أطلعها على الأمر وقلت لها إني شريفة طاهرة الذيل

متمددة في سريرها وقد سقط عنها دثارها فظهر
غناها الماريتان البشتان ويانت تكاوين جسدها
العابل فاقنة مفرية ؛ ورأت على قيد ذراعين منها
زوجها فاكسين مستلقيا من غير غطاء ولا دثار على
السيبة الكبيرة بجلبابه النضفاض ينط في نومه
غطيط البكر !

أما كيف أيقظه زوجته من رقادها وماذا حدث
بينهما بعد أن شاهدته في ذلك الوضع الزرى الشائن
فما أدع وصفه لسواى يبر عنه بالنطق الذى يروقه
والبيان الذى يشوقه ، فأنا وقد كلّ ساعداى
ووهنت قواى أرفع يدي مستسلما وألقى سلاحي
ميررج سلسى

إلى حمسات روحه ، ويحصى عليه أنفاسه الزواخر ،
وأنه عسك بذيل جلبابه يشده منه ، ثم أحسن كأن
يبدأ من جليده وضمت على كتفه ، فقفّ شعر رأسه
من الرعب ودفع الباب بكفتا يديه وهو ينادى القيمة
باسمها بصوت مأخوذ كسوت للبحوح ، مستطار
اللب ، زاتت النظرات ؛ ودخل غرفتها وأغلق
وراءه الباب

كانت الفتاة الشريفة قد استرسلت في نومها
المادى الميمى على نورسراج برسل أضواءه الصفراء
على جسمها المائى المتتم بليلة الرقاد
ووقف فاكسين برهة يستميد فيها بعض قواه
الخائرة ثم ارتمى على عيبة (١) قرب الباب تؤنسه
أنفاس الفتاة النائمة ؛ وشعر بالطائنة تعود إليه
رويدا رويدا

قال فاكسين في سره : فلتنم هي ، وأما أنا
فسأبقى حيلما حتى الصباح وأترك حجرتها قبل
أن تستيقظ

واعتمد رأسه على راحته وطفن يفكر في هذا
الذى أتاه ، وعجب كيف تستحوذ عليه الأوهام ،
وهو المهندس الأريب إلى هذا الحد القصى . وعزا
ذلك كله إلى وهن أعصابه المائجة وخور نفسه ولم
يلبث أن استولى عليه التماس فاعنى

وعادت مدام فاكسين من (ترويسا) في الصباح
البكر ولما لم يجد زوجها في غرفة نومه دخلت
غرفة الألامية لتطلب منها شيئا من النقود كي تدفع
الحوضى الذى أهلها أجرة ، فوقع نظرها على روزاليا

(١) زنبيل من آدم تحفظ فيه الثياب

ادرس في منزلك

مدارس المراسلات اللصرية تساعدك بمجهود
بضع ساعات من وقت فراغك في كل أسبوع على
الحصول على الدبلوم الذى ينقصك للحصول على
الثروة والشهرة والرق
نحن نمد لدرجات جامعة لندن في الآداب
والعلوم والمهندسة والقانون والتجارة الخ ...
وللابتدائية والبيكالوريا وللغات والصحافة والرسوم
والتصوير . تأليف الروايات . تربية المواهب . صناعة
الألبان ومستحباتها . تفصيل الملابس . الراديو .
التنويم المغناطيسى ، وجميع أنواع المهن والصناعات
كتاب طريق النجاح في ١٠٠ صفحة يرسل
مجانا لكل من يطلبه من الادارة بمرقة ١٠ شارع
قنطرة غمرة بمصر تليفون رقم ٥٠٣٥٩ .

مكننا تدور بحلة حياته
تبدأ من نقطة وتعود إليها ،
ثم تبدأ وتعود بحيث لو شئت
عن الخط للرسم مقدار ذرة
— كأن يتأخر عم خليل
بالقهوة دقيقة أو يدق الجرس
فيقل الضابط لحظة في متادرة
الحجرة — قلق واضطرب
واهتز رأسه عينة ويسرة

أولاً بتريكاً

للأديب نجيب محفوظ

مثله مثل التألم في ظل ساقية دائرة إذا وقف الثور
لملة انتفض مستيقظاً من زججها ! إلا أن طارئاً من
الحدثين نزل بساحته أخيراً فيبدل طأنته رعباً
وسكينته قلقاً وتقاؤه تشاؤماً ، وكان الكاتب يعلم
بنجيته من دون الآخرين لأنه كان أحب الناس إليه
وأقربهم مودة إلى قلبه ، فلما رأى في هذا الصباح دنا
منه وفنجان قهوة في يده وسأله همساً :

— كيف حالك ... ؟ فأجابه بصوت ضعيف
تخزقه نبرات اليأس :

— يسير من سبي إلى أسوأ

— ألا يوجد بصيص أمل ... ؟

— أبداً ... أبداً ... لا يبع ولا شراء ...

الحركة راكدة ... والدون متراكمة ... والتجار

بطلبون ويلحون ولا يبنرون ، وبات شبح

الافلاس متى قلب قوسين أو أدنى ... فأذا وقع -

ولا مرد له - خربت خراباً تماماً ودمرت حياتي

وحياة أولادى تسمى أهويت إلى أعماق السجون

فتهد على أفندي من قلب مكوم وقال بصوت

خافت :

— لا أمل في النجاة

في منتصف الساعة السابعة صباحاً وصل على
أفندي خليفة إلى المدرسة التي هو سكرتيرها ،
كمادة منذ خمسة عشر عاماً ، ويأثر أعماله بالأسلوب
الذي تموده وألفه فصار قطعة من صميم حياته ، إذ أن
كل ساعة من حياته الحكومية كانت تسير على
وتيرة واحدة لا تبدل ولا تنير : يدخل إلى « حجرة
السكرتارية » فيحيي زملاءه - الكاتب والضابطين -
تحية الصباح ، ويجلس إلى مكتبه ثم يحضر عم خليل
بالقهوة ولقاء التلج ، فيمضي في احتسابها وهو يتحدث
إلى القاعدين أو يستمع إليهم ، ثم يأخذ في فتح النفاذ
وراجع ويكتب . ثم تخلو الحجرة حين ينهب
الآخرون إلى فناء المدرسة لمراقبة التلاميذ وتنظيم
صفوفهم ؛ ثم يخف بعد ساعة من الزمن إلى لقاء الناظر
لمرض الأوراق واستشارته في بعض الأمور وتلقى
الأوامر والإرشادات . وإذا جاء اليوم الأول من
الشهر ازدحمت حجرة بالمدرسين والوظفين وامتلأت
يده بالأوراق المالية ، فلا يزال يوزعها حتى لا يبقى
إلا وريقات معدودات يودعها جيبه ساعة ريثما
يوزعها بدوره أشتاتاً على صاحب البيت والتصاب
والبدل

فسكت الرجل عزوناً ثم ذكر أمراً فساله :

— وعمتك ... ؟

— أف ... أف ... لا رحما لله في دنيا ولا آخرة ... إنها تودلو تفقد ذا كرتها كيلا أخطر لها على بال ... ولقد انقطعت عن زيارتها مضطراً منذ حين لأنها لا ترائى حتى تصبح في وجهي : « ماذا جئت تصنع ؟ ! أنا لم أمت بعد ! » والمرأة تبيع كل يوم بمئات الجنيئات للجمميات الخيرية لا حياء في الخير ولكن كيلا تخلف لى مالا بعد موتها المتوقع يوما بعد يوم

فهز الرجل رأسه أسفاً وقال :

— ليتك يا على لم ترم بنفسك في ميدان التجارة غير المأمون ...

— هذا هو الكلام الذى لا جدوى منه ... ومع هذا هل تنكر أن هذه التجارة هى التى يسرت على أمى ، وجعلت عيشى رغداً ... وأعانتى على تربية ستة من الأبناء ؟

قبل ثلاثين عاماً كان على افندى تلميذاً بالدرسة الابتدائية يجتهد أن يفوز شهادتها ، وقد جرب حظه مرات في سنتين متتابة ، فخاب مساه فيها جميعاً ، حتى فقد صبره وذوى أمه . ورأى أبوه أن يفتح له حانوت عطارة في النورية ، لبث فيه طمأن ينامش في مترك الحياة ، ولكن لم يكن حظه في حانوته بأسد منه في مدرسته ، فاضطر إلى إغلاق الدكان ورجع خائباً إلى بيت أبيه . وهناك فكر في أمر مستقبله طويلاً فوجد أن خير طريقة ، أو أن الطريقة الوحيدة الباقية فيه هى أن يمود إلى بنش كتبه التى نسخ عليها المكتوب ، وأن يجرب

حظه مرة أخرى كتلميذ مجتهد وإن تقدم به العمر ؛ وقص ونجح ، ووظف كاتباً في وزارة المعارف . واطمأن إلى الحياة بعد أن أشرف على اليأس والقنوط ، وغط نفسه على عمله الضمون الرزق ، وأحس في أعماق نفسه بفخار الرجولة ونشوة الاستقلال . ولما كان عرضة للتنقل إلى أقصى الوطن آثر — عن حكمة — أن يتزوج . وقد جالب عطف البلدان في مصر العليا والسفلى إلى أن انتهى به اللطاف رجلاً في ذروة الرجولة إلى مدرسته الحالية فقلب في وظائفها جميعاً حتى رقى إلى وظيفة السكرتير

وكان على خليفة مثالا للرجل المادى الذى لا يخرج عن المألوف ، وأعوذجا صادقا للأخلاق للمصلح عليها والمادات والتقاليد التى يجري بها المرف ، لا يشذ إلى اليسار ولا يمنح إلى اليمين . وجد كل شىء جاهزا فحس له وأمن به واتبه ، معتقداً مع المتقدين ، مستحسناً مع المستحسنين ، سائحاً مع الساخطين ؛ فإن عرفت جيله فقد عرفته بفير مخالطة ، وإن خبرته فقد خبرت جيلاً أو — وهو الأقرب إلى الحقيقة — خبرت الشطر الجامد من الجيل الذى يفتحه التاريخ إلى ما وراءه من الأحداث التى تخلف التاريخ . ولا تزوج استولت عليه الحياة الجديدة ، واستبدت به ، وتكشفت له حقيقته ، فإذا به « رجل بيت » بكل معنى الكلمة ، قالبت مأواه وقدة ، لا مقهى ولا ملهى ولا سينا ولا حانة ولا أصدقاء ولا هوية ولا أى شىء في الوجود بقادر على أن يتبرعه من أحضان بيته . وحين كان يعيش منفرداً مع زوجته كانت حبيبته وأنيسته وجلبه ، فلما أن انتبت ذريته — بنين وبنات — حامية ساعية لالعة مشرفة

تفكر في أمر زواجه ، كي تراه رب أسرة وتسمد بمشاهدة ذريته ، إلا أن الأقدار فاجأها بما لم يقع لها في حسان ، فتدري الابن كما ترى أبوه العزيز من قبل مصدوراً ميؤوساً منه ، وقضى بين السالم من جانبها والنهد والبكاء من جانبها

انتهى كل شيء وأقمرت الدنيا من الأمل والمزاد ، وماتت حياة ودقّت مع ولدها الحبيب كل ما يميزها الله به عن الأجساد الجامدة ، وصدق عليها كل ما وصفها به أخوها من قبل وما يصفها به ابنه الآن ، فهي المرأة المعجزة القاسية المجنونة التي تكبر الخلق وعلى رأسهم أقاربها ، وتسي الظن بكل من يتقرب إليها ، وتخال أي زائر طامعاً في أموالها ، وتتقضى حياة الكبر طريحة الفراش مريضة القلب تسهر عليها عمرة في بيتها المهجور كأنها مومياء في أحد مخابد الكرنك الحزينة

هذه هي عمته التي قصد إليها بعد أن اشتدت وطأة الحاجة عليه ، وقد استقبلته استقبلاً بارداً جامداً فلم يأنس في نفسه الشجاعة أن يقامها فيها جاء من أجله ، ورح بيئتها أشد بأساً عما طرقة

وقلب مسأله على جميع الوجوه فلاح له أن يشتغل بالتجارة وهو حل لا بأس به ولكنه شديد الخطورة بالنسبة لموظف حكومي . ولكنه لم يأس واستعان بالكتمان والخفاء وبخبرته التجارية التي اكتسبها في أول عهده بالحياة العملية . فاجبر في العاطرة ونجحت تجارته ، وأقبلت عليه الحياة رغدة ، ولكن حال النجاح لم تدم ، فسامت الأمور ، وركدت السوق النافقة ، فجزع واشتد جزعه ، ولعبت يدها في البقار بغير الحق ، ولم ينفضه تلاعبه شيئاً ، وسارت الأمور من سيء إلى أسوأ ، واضطر (٥)

على آحساء البيت ، كان له منها الحبيب والمودة والناوى يسكن إليه

وكانت الحياة تسير في بادئ الأمر هنيئة جميلة ممتعة ، لا يكدر صفوها مكدر ، ولا يظلل صفحتها البيضاء ظل من الحزن أو الفكر ، ولكنها لم تلبث أن فرضت عليه ضريبتها التي لا تنق منها أحداً من بني الإنسان ، حتى صارت عواناً عليها ورضاً لها ، وباتت الشكوى منها إنكاراً للحياة نفسها وجهلاً فاضحاً بأمرها ، فأت أبوه ونما أطفاله صبياناً وغلماناً وهجروا عشهم سعيًا إلى المدارس الأولية فالابتدائية ثم الثانوية ، وتصدت حوائجهم ، وتشتت مطالبهم وتضاعفت نفقاتهم يوماً بعد يوم ؛ فاقبل يسر الحياة عسراً ، وراحها تيباً ، وابتسامتها تجمهاً ؛ وانساب المموم إلى كل جانب من قلبه ، وطفن يردد نفسه أن كل شيء يهون إلا أن يشق أو يشكو هؤلاء الأبناء الأعزّة

وتذكر أن له عمّة أرملة غنية تميّش بمفردها في بيت كبير تحت رعاية ممرضة ، وكان يتجافها ويفر منها من طول ما بات أبوه في نفسه ، ففكر في أن يقصد إليها مضطراً

وكانت عمته امرأة في السبعين ، مات عنها زوجها - قبل أربعين عاماً - وما في زهرة العمر ومية الشباب ، وخلف لها ثروة طائلة وطفلاً وحيداً ، وقد ترك موت الزوج في نفس المرأة آثاراً عميقة صروعة تغلغل في صميم حياتها ، ولم تنف مع كرا الأعوام ودوران السنين . وأقبلت على الزاء الوحيد الذي بقي لها في دنياها تمنحه كل ما في قلبها الحنون من عطف وحسب ووفاء وتضحية ، حتى شب طفلاً جميلاً ، ونما شاباً رقيقاً نحيلاً ؛ وبدأت

هرجاً ومرجاً ما داموا فيه ، ويسكن سكون المقابر
إذا غابوا عنه ، وزيف أو زوزو في المدرسة الأولية
هوية الأسرة ولبستها ، صبوحة الوجه ، سوداء
العينين ، مرصعة الشعر ، كانت بنتا بين ستة ذكور
كالباحينة وسط باقة من الورد الندي ، حبيبة إلى
كل قلب ، عزيزة على كل نفس ، حتى لكأن هذه
الأسرة لم يتزوج فيها الوالدان وبولدا الأبناء إلا ليهبوا
المقام لزوج وحيث كانت حسن الختام ونقطة الانسجام
فإذا يكون من أمر هذه الأسرة من بعده .. ؟
بمد أن يرفض من وظيفته ويزوج به في السجن .. ؟
أواه ! دون ذلك ويمكن الاستحيل وتقع المعجزات
والخوارق . . .

ولم يجد مناصاً من أن يذهب مرة أخرى إلى عخته
علماً تلين بمد طول التصلب والصلف والقسوة ،
فسار في طريقه إليها — وكانت تقيم على مدى منه
قريب في شارع محمد علي — مهموماً متصاقفاً يعمل
ألف حساب لتلك الزيارة الاضطرابية الثقيلة . يا لله
من هذه المرأة . . . ما لها لا عوت . . . ؟ إن حياتها
فرض ثقيل عليها وعليه ، وإنها كالبنان المهتمد ينمق
فيه ناعم الخراب والمرض . ورغم هذا فذيول الحياة
ما تزال متشعبة بها . إن سعادة نفوس عزيزة رهن
بموتها فلم يبق الله عليها ؟ وللضحك المولم أنها قد
تموت فجأة بداء قلبها بمد اليوم الأول من أبريل
بساعات معدودات أو بمد القضاء عليه وعلى أسرته
القضاء المبرم . وقد ينفذ هذا القضاء العجيب كما
ينفذ أمثاله كل يوم وكل حين مما تختار في تمليله
القول ، وقديماً وقف موسى الكليم حياله جزءاً
لا يستطيع معه صبراً ، وطرق الباب ودخل حيث
قابلته للمرضة بأبنسامة صفراء ذات منى ، فسألها :

— تحت تأثير الحسرات — إلى زيارة عخته مرات
وفاتحها — على رغم تردد — في طلب الموة ولكنها
كانت أشد عليه من حظه ومن الأقدار جميعاً ،
فرفضت أن تمد له يداً أو أن تديره أذنًا صاغية .
وفي ذلك الوقت بلغت الأمور شدة الفيضان التي
لا يكون وراءه إلا الانفجار والهلاك ، فالعمة في
أشد حالات الشذوذ وسوء الطبع والمرض ، وعلى
أفندي على شفا جرف هار من الخراب والهمار ،
والتجار متذمرون جزعون ، يطالبون ويلحفون
ويطمعون على أذانهم فلا يسمعون ، وقد عينوا له أول
أبريل كأخر منزع في قوس صبرهم ، فإن لم يسد ددينه
ويسو حاله أشهر إفلاسه ، وليكن ما يكون بمد
ذلك من رفضه من وظيفته أو لإيداعه السجن . . .
كل هذا ينتظره في أول أبريل . . . وما بينه وبين
أول أبريل إلا أيام معدودات . . . وقد فطنت حيلته
وسدّت في وجهه المنافذ . . . ثم ماذا يكون من
أمر هذه الأسرة التي هي غرة حياة وعجا أمله ؟ . .
هذه الأسرة التي تميزت سميعة مطمئنة خافضة عما
يهددها من الشقاء والبأساء ، اللهم إلا ربها الصابرة
القائمة التي تشارك الزوج أحزانه وتبادلهم همومه
وتكتم في قلبها الكبير ما لو أطلقت له لأحرق الدنيا
بأسرها من شدة ما به من هول ، ولأحرق أول
ما يحرق هؤلاء الأبناء السعداء الذين يرحون سادرتين
كالأفراخ اللاعبة النافقة عن القطع الرابض لها
من قريب . . . وذكر في شدة حزنه أبنائه فصرعوا
إلى تخليته في صورة تفيض حياة وجمالاً . وكان
حسين ومحمد في المدرسة الثانوية فتين لمعين يحملان
طلمة والدهما ورقة أسهما ، وهما وحافظ ويسن في
في المدرسة الابتدائية وهم حياة البيت يحيا ويمتلي

ما يعين، فنظر إليها نظرة النمر الراقع في الشراك وقال
وهو يجهد أن يجعل صوته هادئاً :

— إذا مننت عني بذلك دمعت لا عمالة ...
وهنا هبت قاعدة في فراشها وصاحت في وجهه
— في داهية !

— عمتي ...
— لست عمه لأحد
— لا تكوني هكذا
— هكذا أنا ... أعزب عني ولا تروني وجهك

مرة أخرى

وحاول أن يقول شيئاً ولكن لم يسه الكلام،
فجمد لحظة حيث هو ملتهب العينين، محي الرأس،
مرتجش الأطراف، ثم غاب عن ناظرها. ولقي في
الخارج للمرصة واقفة تنعت، فقابلته بنفس
الابتسامة وقالت :

— ككل مرة !؟

فهز رأسه غاضباً وقال :

— إنها شر ما في الوجود ... إنني أعجب كيف
يؤاتيك الصبر على مماشرتها ؟

— إني أقوم بواجبي ... وهي على كل حال
لا تمارط نفس الماملة ...

وتوقف لحظة لا يدري ما ينبغي أن يفعل، فلاحظ
منه التفاتة إلى مائدة صغيرة رصت عليها زجاجات
الدواء فتهد وقال بغير وعي :

لو يتأخر عنها الدواء دقيقة !

ولم تكن المرة الأولى التي تسمعه فيها المرصة
يقول هذا القول فأرغمت لتكراره ورددت قوله
مرتبعة :

لو يتأخر عنها الدواء دقيقة ! !

— كيف حالها ؟

فأجابته ببرود : يجتر

ووصل إلى سمنه صوت رفيع مبجوح دلت
بشاعته على أنه يخرج من فم خرب يسأل :

— من الذي تكلمين يا عائشة ؟

فارتجف جسمه وسرت فيه قشعريرة مثل مس
الكهراء، وتردد، وجد، ثم كرز على أسنانه ودخل
إلى الحجرة وهو يقول :

— أنا على ... كيف حالك يا عمتي ؟

فدمدمت وقالت بتأنف وتبرم : على !
فأحنى رأسه ووقف صامتاً وعادت هي إلى
سؤاله قائلة :

— هل جئت حقاً لتعلمين على عمتي ؟

— نعم

— وهل يهمك أمر عمتي ؟

— طبعاً

— إننا لم نخلط السؤال عنها بسؤال شيء آخر ؟
فغرب كفاً بكف وقال بصوت حزين :

— لا تظني بي الفنون ... فقد عشت دهرأ

لا أسألك شيئاً ثم ...

— ولم تكن تريي وجهك بتاتاً ... ولم تكن

سمحتي أسراً همك السؤال عنه ...

— بالله أميربني أذكنا صافية ... لقد شرحت
لك أحوال ... أنا مهيد بالحرب بين لحظة وأخرى .

اصرفيني عن ذهنك واذكري أبنائاً البؤساء وما
ينتظرهم من شقاء ...

— لم أر أبنائك طول حياتي ...

فألتفه لهجتها التهكية وحى رأسه بنار
النضب ولكنه لم يكن في حال يأذن له بإعلان

يُعلم به قبل وقوعه، وكم غير هذا الفسار - بما يجعل -
قريب لا يستطيع حيله تصريفاً . حقاً إن الحياة
مأساة مؤلة مضحكة ، ما أدى يبنى أن يفعل ؟ ...
إنه يطرح على نفسه هذا السؤال للمرة المائة والألف
ولا يملك إلا تكراره وترديده كالخبول ... وقد سمع
نخاة صوتاً يقول :

حان المباد ...

فارتجف جسمه وانمخ قلبه في صدره ...
اليماد ... إنه لا يفكر إلا في مباد واحد ولكن
الصوت استطرد مرة أخرى ضاحكاً :
الساعة تدور في الحادية عشرة فهيا إلى الوزارة
لا حضار المرتبات ...

حقاً إن اليوم يوم المرتبات ، ينتظره آلاف غيره
بفارغ الصبر فكيف نسي هذا ؟ وخرج متثاقلاً
صهوماً يولى وجهه شطر الوزارة ؛ وعلى حين نخاة
وبغير تمجيد واع اصطدم فكره الشارد المتوزع في
محيط الشقاء بفكرة وامضة ، فتنبهت حواسه ،
وشع من عينيه ريق خالط ، وأحاط به الرعب الذي
مسه حين التقت عيناه ببسبى المعرشة في بيت عمته
بالأس القريب . لاحت له هذه الفكرة في لحظة
سريعة جنونية ، رآها كمن يفتح عينين ناعستين في
الظلام فتلمحان على غير توقع شبح شيطان ناري ،
يهدد كانية ثم يمتحي تاركاً خلفه الصرع والجنون .
وقد جن بنير شك ، واستولت عليه المعركة بقوة
مارد مستبد . أي رعب ، أي شر ، أي مصيبة ،
أي نجاة ، أي فكرة نيرة ، أي خلاص ، أي دمار ،
أي هول ، أنها تحمل جميع هذه التناقضات إلى
نفسه المضطربة الراضية ، وإن من اليأس ما يعجز
عن قلقلة ذرة من الرمال ومته ما يرحح الجبال ،

فنظر إليها بسرعة مرتجفاً والتفت عيناها للحظة
فلمع بينهما ما يشبه البرق ، ثم خرج مهرولاً وهو
ينفض من هول ما خطر على باله ، وهبط السلم
مسرعاً كأنما يفر فراراً ...

وجاء اليوم الأول من إبريل ، والأيام تسير في
دائرتها المفرقة غير عابئة بما يحمل للناس من مسرات
وأموال لا اختلاف في هذا بين يوم التطير أو يوم
التفائل ، ولم يكن هذا اليوم جديداً في العام ولا
جديداً في حياة علي أفندي ، ولكن خيل إليه هذا
الصباح أنه يستقبله لأول مرة في حياته بل عجب
كيف أمكن أن يوجد كبقية الأيام وكيف أمكن
أن يأخذ مكانه الطبيعي بين أيام السنة وهو يحمل له
نذير الخراب والأسرة الشقاء والفناء ! ...

أواه ! إن موعده مع التجار أصيل هذا اليوم ،
ولسي هذا الأصيل يقرر مصيره . وأنه ليل علم اليقين
أي طريق هو مولها بعد حين قليل ... بعد ساعات
سريعة الجريان ...

ومع هذا فما هو ذا يجلس إلى مكتبه يرتشف
القهوة ويقلب الأوراق ويشترك في الحديث مع هذا
وذاك ، وكل من حوله منصرف إلى عمله ، والتلاميذ
في الفناء يسبحون ويلعبون ، والحجرة هي هي ،
والمدرسة هي هي ، واللهذا كلها هي هي ، كأن شيئاً
لن يحدث ، وكأن دماراً مهوماً لا يوشك أن ينزل
بجياة أسرة كبيرة فيندروها ذر الرياح !

والضطك بعد هذا أن يقال إن الإنسان
حيوان عاقل ، وهل يستطيع إنسان أن يرد بنور
عقله قضاء يسجز الحيوان عن رده لاتمام عقله ؟
ها هو ذا لا يستطيع أن يصرف عن نفسه دماراً

تصل إليه أبداً . وكان قد در الأمر كله في عقله
ولكنه شعر في تلك اللحظة بأنه في حاجة إلى
مماودة التفكير مرة أخرى من مبدئه كأنه لم يطرقة
بعد . وهنا اعترض الطريق عربة كبيرة عرقلت
حركة المرور فاضطر السائق إلى إيقاف السيارة ،
فنظر إلى الأمام ليستطلع ما هنالك فرأى العربة وإلى
جانها شرطي يهدد سائقها ، ربه ! لقد أرعبه مشهد
الشرطي وأطلع دمه في عروقه ، وهم أن يأمر السائق
بالرجوع ... وعلى حين فجأة سمع صوتاً يناديه قائلاً :
— يا ...

قالت مذعوراً فرأى زوزو واقفة على سلم
السيارة ، ووجهها الجليل قريب منه ، وكانت تمسك
بمخيطتها في يد وتالج بالآخرى الباب لتدخل إلى
أبيها . فلما كان لها ما أرادت جرت إليه فرحة
مسرورة ، فتمها يده وسألها بسرعة ولهجة جافة :
— لم أنت هنا ؟

— أنا آتية من البيت حيث كنت أتناول
غداً وذاهبة إلى المدرسة
— حسن ... حسن ... هيا إلى المدرسة
بسرعة ثلثا تأخرى

— انتظر ، عندي لك خبر سار ... هل
تشتري لي شيكولاه نسله إذا قتله لك ؟

— ليس الآن ... هيا ... هيا ...

— عمتي ...

— فجمد لسانه في فمه ونظر إليها نظرة غريبة
ففرحت البنت لأنها لفتت انتباهه إليها وقالت :
— ماتت

— ماتت عمتك !!

وقد جرى منطقته المعلوم في طريق ذى عوج : إذا
سرق كان جزاؤه المحنوم الرض والسجن ، ولكن
إذا لم يسرق لم ينج لا من الرض ولا من السجن ...
إلا أن النتيجة مع السرق مختلفة ، فهو يستطيع
أن يكسب التجار وينفذ تجارته فيضمن لأمرته -
وأمرته هي قلب تفكيره - حياة رعدة سميدة ،
بل إنه ينوي ما هو شر من هذا وأعظم رعباً ، إنه
ينوي أن يراد المرضة - بسلطان المال -
على ... !! حقاً إن هذا فظليخ مخيف ... ولكن
تأخير الدواء لحظة كفيل بالقضاء على تلك المرأة
الشريرة ، التي تقع من حياته موقع الزائدة البودية
المنهبة ... حقاً إنها جريئة تكرا ، ولكنها مضمونة
العاقبة وعادلة من الوجهة الإنسانية ... ونفاذا
بضمن لأمرته أرغد المين وأطيه . وهب أن
المرضة أبت عليه تحقيق غرضه فلن يضيره إيؤها
شيئاً ، وتبقى بعد هذا تجارته ، وهذا شيء مؤكد .
نعم إن السجن لا مفر منه ولكنها سنوات قليلة
بقضيا - مع الاملثتان على أمرته - صابراً
ويخرج بعدها كي يتمتع ببشرة هائلة ثرية في مكان
سحيق ... كل هذا واضح بين ولا بد من تنفيذه
بدقاقتة ، وليكن بعده ما يكون ...

واستلم المال واستقل « تاكسي » وقال للسائق
بصوت حاول ما استطاع أن يجعله هادئاً : إلى شارع
محمد علي . ثم إلى البيت لا إلى المدرسة حيث يجد
متسماً للتفكير والتدبير ، كم هو مرتعب خائف ،
إن أسنانه تمسك ، وأطرافه تنتفض ، وأجفان
عينيه تتصلب ، وريقه يجف ، وأنفاسه تبطئ ، وتقل
كأن يبدأ جبارة تخنقه

ووصلت السيارة إلى شارع محمد علي ، ودلو لم

والظاهر أن المرأة تأثرت من النضب الذي
تعلّكها فجأة فسقطت على الحدة من الإعياء والجهد
وسدورها يرتفع وينخفض . ووقف أمامها سهوًا
جلدًا كالتمثال ، ضالًّا لا يستطيع كلامًا ولا حركة
كأنه ينظر إلى شبح مرعب لا إلى امرأة عجوز
منهوكه القوى . وما أحسن إلا يد المرأة تسجبه
إلى الخارج ، فاستسلم لها طائماً وغادر البيت دون أن
ينبس بينت شفة

وقطع الطريق إلى بيته والدهول مسدول عليه ،
وكان البيت يحيم عليه السكون - كمادة - إذ الأولاد
في المدرسة ، فظنت زوجه لأول وهلة أنه آيب من
مكان عمله كمادة اليومية ، ولكنها ما لبثت أن طالعت
ما يكسو وجهه من آيآت التجهّم والدهول فتعلّكها
الروع والدمع وظنت أن ما تشفق من حدوثه
وترجو الله أماء الليل وأطراف النهار دفنه قد وقع ؛
وفزعت إلى سؤاله وهي أكره ما تكون للسؤال :

— ما بالكَ ؟

فسألها بدوره بإمتصاص :

— أين زوزو ؟

— لملها في الطريق إلى البيت ...

فصاح بفضب :

— هذه الطفلة الشريرة !

— زوزو شريرة ؟

— قايّتي في الطريق منذ ساعتين وكذبت
على الشيطانة قائلة إن عمي مات

فضربت المرأة سدها يدها وقالت بدهشة :

— كيف تجرّو ؟ من أين لها هذا الكذب ؟
هذا أمر عجيب .. بل إنه أعجب شيء أسمعته في حياتي ..

فرت هذه العبارة من فم في صراخ مدوّ ...
فازداد فرح الفتاة وقالت :

نعم ... هنا ماقالت لي حميدة « الخادمة » لها
سألها عن تتيب ماما على غير عادتها

وصرف زوزو بعد أن وعدتها خيراً وأمر
السائق وهو يلهث بالذهاب إلى المدرسة ، ثم إلى
المدرسة ليسلم بدوره الأمانة إلى مستحقها . لقد
أماه الفرج دفعة واحدة . لقد أخذ بعد أن تدلى
جسمه في الماوية ، أخذ من الافلاس والخراب
والسرقة والجريمة والسجن . وباه ! أنه لم يقدر هذا
ولم يحلم به أبداً وما كان في مكتنة تخلق مهما رسخ
ليأمنه أن يقدر هذه النهاية أو يحلم بها ... فالجد
له ... الحمد لله ...

وانصرف من المدرسة سريعاً قاصداً بيت
« المرحومة » ووجده كامود أن يراه هادئاً ساكناً
لا صوت ولا نجيب . فطرق الباب ثم دخل ، وقابلته
المرضة وكانت محافظة - رغم كل شيء - على
هدوئها ، وقد سأله منكرة :

— أجنبت مرة أخرى ؟

فنظر إليها دهشاً وقال :

— ما أغرب سؤالك ... ألسنت على كل حال

ابن أخيها !

واجتاز بها مسرعاً إلى حجرة التوقاة ...
فرآها مستقيمة على ظهرها ورأسها مائل نحوه ،
مفتحة العينين ، بل رآها - وهو الأدي - تنصب
قاعدة وتشير إليه يدها الضميفة مهددة وتصيح في
وجهه :

— كيف تجرّو ؟ كيف تتجاسر ؟ ألم أطردك
طرّاً ؟ أخرج ... أعزب عن وجهي ...

إلى حجرته حزينا كثيرا بنوه بالهم والفكر، ولحقت به زوجته واقبلت ركنا من الحجر في صمت ووجوم ووقفت رتمه بينين كيثتين وقلها يحسها بدنو شر مستطير، ولكنها لم تجرؤ على تحزيق هذا الصمت التليظ. انتهى الأمر وغابت المحاولة الأخيرة وأذن الخراب بالوقوع

هل ينتحر ويضع حدا لهذه الحياة الثقلة المننسة؟ لقد اضطرب عقله بهذه الفكرة الماثلة لحظة، ولكنه تنقلب عليها وفندا قائلاً لنفسه: «إذا انتحرت فمن للأولاد؟...» ولم يجد أمامه سوى الاستسلام والزول عند حكم القادر

وظل الصمت غمياً زهق النفوس، والمرأة واقفة حيث هي، وهو قاعد على الكنبه مسنداً رأسه إلى كفيه، وقد ظهر رأس زوزو من الباب لحظة ولاحت عينها تدوران بين والديها، ثم ارتدت مسرعة، فارة مضطربة

ولبنا على حالها لا يشمران بفوات الوقت حتى تنقلا فجأة على طرق الباب ووصلتا إلى مسممهما أصوات الأولاد، وهم يدخلون واحداً واحداً يتقدمهم يخيجم وجلبتهم، وقد دبّت الحياة إلى البيت وتحولت في ثانية إلى سوق، وعلا صياح من هنا وصراخ من هناك، وصمت أصوات تنادى، وأخرى تسب وتلمن، وثالثة تشد بعض الأناشيد المدرسية، ورابعة تسأل عن ماما وإيلا. ثم طرق الباب مرة أخرى بنف، ودخل شخص ما، وساد صمت عجيب. ترى من القادم؟ لقد دق قلب الرجل بنف واعتدل في جلسته، وعينه تساءلان، ونظر إلى الباب كأنه يتوقع سقوط ساعة... ورأى حيناً يدخل مسرعاً وسمعه يقول بضطراب:

لعل البنت وهي تسمعنا دائماً تمنى على الله موت عمتك - أرادت ...»

ولم تنم حديثها إذ دق الباب ودخلت زوزو. وما إن رأت والدها حتى رمت حقيبتها وجرت نحوه ضاحكة وقفزت إلى حجره وأحاطت بيدها عنقه ثم قالت وهي لا تسكت عن الضحك:

- هل اشتريت لي الشيكولاة كما وعدت؟
فزع يدها الصغيرة عن رقبتها بشيء من العنف، وحدها بنظرة قاسية ثم سألتها بخشونة وهو يدفعها عن حجره:

- كيف تكذبين علي؟
فقال وهي لا تكف عن الضحك وإن بدأت تدرك صعوبة الاحتياط على الشيكولاة:

- في أي يوم نحن؟
- إنني أسألك كيف تكذبين علي؟
- اليوم أول أبريل... وقد علمت أنه يجب على الناس أن يكذبوا فيه... وهكذا قالت لي بثينة، وقد سألت (أبله) فأمنت على ما قالت بثينة، ولكنها نهبت علي أن أختار كذبة سارة كي لا أؤذي أحداً... وقد اخترت لك أحسن كذبة!

فقط وجهه وقال لها بشدة:
- لمتة الله عليك وعلى أول أبريل... هل يصدق الناس طول العام كي يلهوا بالكذب في أول أبريل! ...»

وهنا فقط أدركت زوزو أنها أخطأت وأن والدها غاضب عليها حقاً، وأنها فقدت كل الأمل في الشيكولاة، فكفكت عن الضحك وعلا صياها الارتباك، واجرت وجتهاها من الخجل، ونظرت إلى أمها تستغيث بها. أما أبوها فقد قام متثاقلاً ودلف

بلا ... يقولون إن عمتي توفيت ...

قام الرجل كالجنون وحده ابنه بنظرة هائلة
قال الابن :

حضرت المرضة الآن حامله هذا الخير ...
وها هي ذي واقفة تسأل عنك ... تفضل إلى هنا
باسيدي ...

في ساعة متأخرة من ليل ذاك اليوم — يوم
أول أبريل — جلس على ائقدي إلى جانب زوجته
وكانت ما تزال في ثوب الحداد وقد أوى الأبناء إلى
الفراش وخيم السكن على البيت . كانت المرأة
صامتة ولكن كان وجهها راضياً مطمئناً وبالماء
مستريحاً وقد ولي عنها القدر الذي لازمها أليماً
خالها دهرًا طويلًا

وكان على ائقدي يشمر شمور إنسان خطا قداما
بغير وعي ، وإذا به يرى ساعة تنقص على المكان
الذي كان يشغل ... قد كان السجن والرفض والدمار
منه قاب قوسين أو أدنى ؟ وهاهو ذا يطمئن إلى مجلسه
بين أسرته أمنًا بمنجاة من كل دمار ، يستقبل من
الند حياة رعدة مترفة ، فكلم بالحياة من معجزات !

وعلى رغم كل هذا لم يكن سعيداً تمام السعادة ، ولم
يصف ذهنه كل الصفاء واستمر في تأملات عميقة .
لقد عاش طول عمره حياة راكده راتبة ؟ أما
الساعات القلائل — القلائل !! — الأخيرة فقد
ابتلى فيها بما لم يتبل به في عمره الطويل اللديد إذ
أثارت نفسه عقله وجعلت من بحيرة نفسه الآسنة
حيطاً مضطرباً عاصفاً

لقد خلصه الله من العذاب ، ولكن هل يستحق

الخلاص وهو الآثم الشرير الذي هم أن يقارن السرقة
والقتل ؟ ثم عمته الرحومة ؟ إنه يدرك حالها الآن
بشير العقل الذي كان يصورها له ويصف عليها بمد
أن أسمى عطفه وقسوة لديها سين ، فقد عاشت
بأثمة حزينة تجتر الموموم والآلام ، وكانت حياتها
قرصاً قبيلاً عليها وعلى الآخرين . نعم كانت قاسية
شديدة ، فوق كل احتمال ، ومع هذا فكيف
كان يمكن أن تكون غير ما كانت ؟ ومن يتلو من
جانب بل من جوانب كريهة ؟ أليس هو في أحماقه
قاتلا سارقاً مدلساً ؟ وما هو الا سودة تتكاثر وتتمد
فتكون عالم الناس ... ومع هذا فلا يجوز أن ينسى
أن هذا الشر غالباً ما ينكشف عن ضعف وجهل
ويؤس ، كما انكشف شنود عمته عن رمل ونكل ،
وكما ينكشف تحيطه وسوء نواياه عن عجة فاقعة لأبنائه
الأبرياء ، وقد أذن الله فتاح الشر والبؤس رحمة ،
والرحمة أسمى حلم في الوجود ، ولكنه لا يستطيع
أن ينسى أيضاً أنها سبقت هنا بكذبة ابنته وموت
عمته ، فكيف يكون الموت والكذب من مهادنات
الرحمة ؟

حقاً إنه مهما ادعى التأمل فسبق أمامه ما يعجز
عقله ويربكه . وإذا كان أمر الدنيا على هذا النحو
فلن يتمتع الجمع الذي تبثه مآسيتها إلى المين الابتسام
من اعتلاء الشفتين ، ولقد ضاق صدره وأرقه السهاد
فنهف من أعماقه :

— من لي بزوزو الآن ؟ .. فإن ابتسامها المذبة
ونظرتها الطاهرة وبهذا الصنيرة لحقيقة بأن تصرف
عنى أفكار هذا الليل وتسكب في قلبي الطمانينة
والسلام ...

يجب محفوظ

الطرق ، رسم لها
صورة رائمة ، ولم
يتناول عليها أجراً
سوى نصف جنيه ،
على حين قد دفعت
مى خمسة وثلاثين
شكلاً ثمناً للإطار
وحده . لذلك طلالا

بِسْمِ الْجَيُوكَنْدَلِ
لَكَاتِبِ الْأَنْكَلِيزِ الْأَوْسْ هِكْسَلِ
بَقْلِهِ الْأَدِيبِ حَسَنِ حَسَنِي

— ١ —

أقبلت خادمه الحسناء جانيت تملن لستر هتن
قدوم سيدها بقولها :

— ها مى ذى مس اسبنس قادمة على أرى
ياسيدي
— شكراً لك

بهذه الإجابة المختصرة أجاب مستر (هتُن)
دون أن يلتفت لخادمه جانيت اسبنس التي ارتسمت
على وجهها أمارات القبح الدال على خبث الطبع
ولؤم السرية ، فلا جرم أن كان مستر هتن شديد
الزوف عن التطلع إلى وجهها إلا إذا أرغته الظروف
على ذلك . وأغلق الباب ، فظل هتن وحيداً ، فأخذ
يذرع أرجاء الغرفة جيئةً وذهاباً ، متأملاً بينين
نفاذتين ما يحويه من نغم المتاع وفاخر الرياش

كانت هناك صور من زخارف اليونان وأخرى
من ممارض الرومان ، ورسوم ملونة من أروع ما خطته
يد التليان ؛ ينطق فيها بقيمتها ونمها ؛ أما جانيت
سبنس فقد كانت فتاة عاملة صريحة ، ذكية القوادة ،
ذات ميل للفن وذوق رفيع ، وقد أكسبها ذلك
معرفة بفتان بارع ، ليس له من مأوى غير أطاريز

سمها (هتن) تشيد بذكر هذه القصة . وكم كانت
تنال في ذكر تقليده رسوما الزينة قاتلة بل فيها :
« فنان من الطراز الأول لا يأويه غير الشارع ! »
وكان الحرف الأول من كلمة « فنان » يبدو واضحاً
جلياً أثناء كلامها . وإنه ليخيل إليك وأنت تسمعا
تحدث عنه ، أنها قد قالت حظاً من عظمتها بنصف
جنيه قدمته أجراً له على عما كاله صورته ؛ ولم تكن
تسى أن تنسى على حسن ذوقها وعمق بصيرتها ، فما
أزهى الدهر في مثل هذا الفنان ! وما أسمى جانيت
العزيزة بما نالته من الأيام !

وقفت هتن أمام امرأة مستطيلة مائلاً إليها بصدرة
قليلاً ، ليملاً نظره من ملامح وجهه ، ثم أمر أصمباً
ليناً على شاربه الأصفر المجدد ، كأنها مرمت عليه
عشرون سنة ، بينا ظل شاربه حافظاً لونه ، لا يظهر
فيه أثر للصلع إلا في مقدمة رأسه كأنها رأس
« شكسبير » كما قال حيناً رأى مقالمها واتساعها
فوق جبهة . وكان يقول « إن كثيراً من الناس
في انتظار سؤالاتنا من غير سلطان عليهم ، وآخرون
غيرهم على نجومهم فوق البحار ، فيالها من عظمة ترى
بعظمة شكسبير حتى ولو كان ماصري اليوم ، بل

وكانت إنما صاغت مسترهق ، ابتمت له في سكون
وهدهو كما هو شأن الجيو كوندنا ... ثم عاد هن
يقول :

— أمل أن تكوني بخير كما أتوسم
وإذ ذلك لاحت دلائل المعشة واضحة على
جبينها ... كان لها قم صغير تضمه إلى الأمام فيشبه
النقار العقيق وله فتحة صغيرة في وسطه ، كأنها
هيئت للصغير فكان أشبه شيء بشبابة القلم ترى
من الأمام ، ويملا القلم أفت جميل كأنه سطر
بديع مستقيم ، ركبت أعلاه عيتان رجراجتان ،
وكان يخيل لناظرهما أنهما انتفاخا واحتقاناً ،
ولكنهما جيلتان أخاذتان ، يظلهما حاجبان
مقوسان كأنهما خطان أسودان ، يزيدان جمالها
هبة وجلالاً ، ويكسو رأسها شمر قاحم روماني
أشبه بمحاجيبها ، فكانها غادة رومانية
أخذ هن في حديثه فقال :

— أحسبني قد ظفرت بمن في طريقى إلى
البيت ، وإنه ليحسن بي أن أعود إلى هنا ثانية ،
ثم أخذ يلوح يده مشيراً إلى أصص الزهر وأشعة
الشمس وما تحت النوافذ من مروج سندسية
ثم قال :

— أجل ! يحسن بي أن أعود إلى الريف بعد
قضاء سحابة النهار في المدينة
ثم أشارت إليه جانيت ليجلس على كرسي
بجوارها ، ولكنه أبى وامتنع قائلاً :

— حقاً إننى لا أستطيع الجلوس ، إذ أراى
مضطراً للعودة لأرى ما آل إليه حال « إمبلى »
لأنها كانت متوكة الزواج بالأمس
لكنه جلس موافقاً حديثه فقال :

قل عظمة « ملتن » أليس كذلك ؟ ملتن ؟ لا بل
عظمة عنراء المسيح !

وكان النساء يسمينه « فتى الرجولة » فلا عجب
أن أحبيته ؛ وخاصة لأجل شاربهِ الأصفر وطباقة
المطر

تبسم هن ثانية ، وأخذ يقلب بمداعبة نفسه
قائلاً : « أراى قد بلغت عظمة عنراء المسيح ؟ لا لا !
بل مسيح العذارى ! حسن جداً : مسيح العذارى »
وودّ إذ ذاك لو ألقى حوله من يستمع إليه ثم قال :

« وا أسفاه ! إن لم تهدر شأنى جانيت ! »
وانتصب بعد ذلك قائماً ، ومسح رأسه يده ،
ثم عاد إلى تطوافه في الترفة متأففاً من المناظر
الرومانية خلوها من مناظر البهجة والسرور ؛ وفتاة
حك الشك في صدره غافلة أن تكون جانيت واقفة
على باب الترفة تسمع ما يقول ، فهض ميماً شطر الباب ،
حتى ليخيل للرائى حين ذاك أن مستر هن قد قدم على عمل
إجرائى ، إذ أن صدور مثل هذه الحركات الصامتة
كان يثير الرية في النفوس ؛ وتواردت الخواطر على
ذهنه تباعاً غافلة أن تكون قد سمعت كل حديثه
وشاهدت حركاته وما كان منه أمام المرأة ، ثم قال
على حدة : « كلا إن هذا بعيد الوقوع » بيد أن
هذا لم يذهب روعه

والفت فركأها ، فذهب نحوها مبتدئاً ، ماداً يده
لمصافحتها قائلاً :

— أى جانيت ! لقد ملأتنى عجباً ودهشة
فتبسمت هي الأخرى أيضاً ابتسامة الجيو كوندنا
— وكان يدعوها بذلك في لحظات الدعاية والمجون —
وإذ كانت جانيت قد اعتقدت في نفسها تلك الصفة ،
فقد حاولت أن تحيا وفق حياة « ليوناردو فنتشى » ،

أومن به بقوة؛ وخاصة الخيال المترتب على عقد زوجية
بضم خلين متاكفين، وأكبر ظني إذ ذاك أنه أقرب
إلى التحقيق، بل أؤكد ذلك

وقف «هت» متأملاً فيها ينظر إليها نظر
الستريب قائلاً لنفسه:

— عذراء في السادسة والثلاثين ولا تزال غضة

حافضة لجمالها لا بد من شيء خفي يحوم حولها
غير أن جانبتي لم تجب على ذلك بحرف واحد،
بل ظللت مبتسمة، وكثيراً ما كانت ابتسامتها
الصامتة تملأ صدره غيظاً، ثم نهض قائماً وقال:

— الآن حان وقت الذهاب، فوداعاً أيتها
الجيوكوندا الساحرة!

يبد أن الابتسامة استحالت دهشة أظلت
من فتحة ضيقة من بين شفتيها، حينذاك انحنى
هين انحناء فنية ثم قبل أناملها المبسوطة، وكانت
هذه أول مرة قال فيها ذلك النغم العظيم الذي لم
يقابل من ناحيتها بامتصاص، مما شجعه على أن
يقول لها:

— إني لأنظر إلى الند بأمل فيك كبير
أحقاً ما تقول؟

ولم يكن جوابه حينذاك إلا أن طبع على يدها
قبلة أخرى، ثم استدار ناحية الباب، فراقته إليه
سائلة إياه: أين عريتك؟

— تركتها عند مبدأ الطريق
— سأصحبك إليها

— لا لا: ليس لك أن تأتي شيئاً من ذلك،
وأما حرك القول إني أحتج على ذلك. لكنها
فاجأته بيسعة الجيوكوندا، ثم عارضته في كلامه
قائلة: «لقد عزمت على الجيء» فرفع هتئ إذ ذاك

— نعم إنها مصابة ببرد الكبد الذي كثيراً
ما يباودها، ورأيت في النساء...

ثم سكت فجأة، متسماً السعال رغبة منه في
إخفاء حقيقة سبقه لسانه بالتطليح إليها، وكاد أن
يزل فيذكرها... كان يريد أن يقول: «إن النساء
ضئيفات الجهاز الهضمي، وأولى بهن ألا يتزوجن»
يبد أن الإشارة كانت قاسية، وما كان هذا الرأي
صادراً منه عن عقيدة. ولكن جانبتي كانت فتاة
ذكية، وتصرف ما بينه وبين إميلي زوجته، ثم
قال هتئ:

— إن إميلي تؤد أن تعاق لتركك على مائدة
الإفطار غدا، فهل لك أن تأتي؟ ثم تبسم قائلاً:

— وإني لأوجه إليك الدعوة، فاعلمي هذا
طأطأت جانبتي رأسها خجلاً، فأنهز «هت»
رؤية احمرار خدنها، وبعد ذلك غنماً جليلاً، ثم مسح
شاربه، فقالت:

— في نيتي الحضور لو كنت على ثقة بأن صحة
«إميلي» ستمكثها من لقائنا

— أجل إن في قدموك خيراً عليها بل علينا
جميعاً، ولثلاثة في الحياة الزوجية أفضل عشرة
من اثنين

— صه: ما أشبه قولك بمواء الكلاب!
حقاً ما كان أسرع هت إلى المواء خصوصاً
عند سماعه الكلمة الأخيرة، فلشد ما كانت تنيره
أكثر من أي كلمة أخرى. غير أنه خالف سنته
هذه المرة، فبدل أن يموى أخذ يمارض قائلاً:

لا لا! إنما أقول الصدق ولو كان مرأى، وكما
تلمين لا تأتي الحقيقة مطابقة للخيال في كل حين،
وإن كان ذلك لا يضمن من تحق في الخيال الذي

— تسأليني كم عمري؟ لست أنتفتين منه لو
وجدته كثيراً!
ثم أسند ظهره إلى مقعد منخفض وقد احتوشه
الفء من كل جانب، وأطل بجانبه رأس صغير
ذو وجه بش يقهّد نهّد السالم الطمئن ويقول:
« ما أعظمك من دب! » فالتفت هتن بنفس ملؤها
الانفعال إلى ذلك الوجه الصغير الذي يجاوره ويحاوره،
ثم أمر أساميه خلال خصلات من الشعر المطرقاة:
— أتلين يا دوريس أنك أشبه شيء بصورة
لوز دى كرواي؟

— ومن هي لوز دى كرواي هذه؟ وما شأنها؟
وحينذاك غمر (هتن) وجه الفتاة دوريس
بسيل من القبل، والسيارة بمدة في اختراق طريقها
ولاح لها ظهر السائق كسد حجري أو ظهر تمثال
وإذ ذاك قالت لهتن:

— أسألك ألاّ تمنحني يديك فإنهما يجذبان
في نفس تأثيرات كهربائية. فزاد ذلك من إحساسه
وشموه، ثم قال وقد جذبه صوتهما الحنون وجسدهما
الأمس:

— وهل حدث في حياة امرئ أن
اكتشف ما في جسمه؟ إن الكهرباء ليست في
بل فيك أنت... آه... دوريس... دوريس...
وكان يحطرها بقلابة الحارة، وغمرت قبلاه
عنقها الفضى الجميل الذى أسلفته يياه في استسلام
وسكون، ثم تدكر حينذاك دودة البحر ذات الفراء
الحري الخالص؛ ثم أكد لنفسه أنه لا بد زاهب
إلى نايلى ليرى الحيوانات ذات الأهداف العجيبة
الخلقة، فقالت له:

— أيها الحب العظيم الغرم بلم الحيوان. إنها

يده مظهرأ عدم رضاه، وبحركة غريبة قبل يدها
قبلة الدواع ثم شرع يجرى في الطريق على أطراف
أساميه بمخاطبات واسعة أشبه بالصبيان، وكما كان
محبباً بهذه الشية الثرية، لكن سره أن الرحلة
ليست طويلة، وعند آخر خطوة، وقبل أن يتوارى
عند منعطف الطريق، وقبل أن يتوارى البيت عن
أنتظاره التفت خلفه، فأبصر جانيت لآزل واقفة
على الدرج، وابتسامها لم تزال شفتها، فأشار
إليها بإشارة الدواع، وبث إليها مع الريح قبلة رن
صداها فوقاً، ثم عاد إلى وثبه المحبب. وما لبث أن
دار حول آخر دوحه عالية، وترك الثوب جانباً وعاد
يمشى ككاده، وتناول منديله ومسح به رقبته وياقته
وهو يقول في نفسه: « ما أعظم هذا الجهل، وأشد
شينه! أما على الأرض شيه لجانيت المرزة؟ أجل
ليس عليها إلا هي

والحق أنه كان أعظم جهلاً، حينما كان يحس
بجهله، ويأبى إلا أن يمين فيه

وانتهى إلى حيث تقف عربته الفاخرة، فقال
للسائق وقد أخذ مكانه في العربة « هيا إلى البيت
رأساً يا مستر ناب، وقف عند كل تقاطع كما هي
العادة » ثم جذب باب العربة وأقبل على الوحشة التي
كانت تم داخلها

ولكن ما لبث أن سمع من الداخل صوتاً رقيقاً
واضحاً يقول له:

— ماذا أيها الحب العظيم؟ كم لبثت من عمرك؟
غير أن غارج الحروف لم تكن تصل إلى سمه
جيداً، فامضى بحسمه الضخم، واتخذ مكانه في
العربة كما يفعل الحيوان حين يأت فيهرول إلى
جحره، وما إن أغلق الباب وأخذت العربة تشق
طريقها حتى قال:

— آه يا عزيزي، أود أن يكون ما أسألك عنه صحيحاً وألا يكون هناك ما يكدر خاطري وقتاً ما
وإذ ذاك أخذته الشفقة على هذا المخلوق وتأثرت
نفسه لهذه اللسكنية، ووضع خده على شعرها.
وهكذا التفّ بهما يعض، بينا العربية أخذت في
قطع الطريق، وشرق قباره ثم وقفت بهما عند أحد
الأعمدة وترجلت دوريس، أما هو فقد بقي في مكانه
وودعها قائلاً:

— في رعاية الله أنبها المرزبة !!

ثم اختلقت العربية بكل قوتها، حتى اختفت في
منطفط الطريق تاركه وراءها دوريس الجليّة، خائرة
القوى مشتتة الفكر من أثر رقة تلك القبل، والشعور
الكهربائي الساري فيها من أثر مسّ يديه القويّتين.
ثم أخذت تنفس الصمء لتروح عن نفسها عناء
الفكر، حتى إذا استجمعت قواها أخذت طريقها
إلى البيت وقد سارت نصف ميل وهي تفكر في حيلة
كاذبة تنفعها وتدفع بها أسئلة أهل المنزل عن سرّ
تأخرها حتى ذلك الوقت

أما هن فقد ظل وحيداً في العربية

— ٢ —

كان مستر (هتن) جالساً على أريكة في صالون
السيدات يلعب الورق. وبالرغم من أن حرارة الجو
كانت شديدة في مساء ذلك اليوم من أيام يوليو فقد
سجر التننور بنار متأججة وتعدّد أمام الموقد كلب
«بوميرانى» خدته الحرارة وأخذه سوء المزاج
واللدة المكتظة، فأغمض ... وشعر مستر هتن
بارتفاع الحرارة فقال في تأفف ونجبر
— ليس الحار شديداً هنا ؟

حيوانات ربة فما أعجب نكاتك، لقد عظم
سروري الآن

— وإني لجد مسرور مثلك. أليس كذلك ؟
— بؤدي لو أعرف الحقيقة، أخبرني أحقاً
ترى ذلك أم باطلاً ؟

— وإما لك يا عزيزي، إن طلبك هذا عسير.
لقد قضيت ثلاثين عاماً في البحث عنه ولا أزال

— إنما أحب الجدل والصراحة أيها العبد
المظيم، أود لو أعرف صحة هذا الأمر فإن يكن
صواباً فسأبقى معك بنعم كلانا بحب الآخر، ويكون
في ذلك ما يبيح في تأثيرك الكهربائي عندما
تغشى يدك

— تريدني الحق ؟ لك ما شئت، وإني لن أنظر
أن توجد فيك تأثيرات كهربائية فوق ما عرفنا في
الطبائع البشرية. إذن دوتك كتابات «فرويد»
إقراها وستجد أن ذلك خزعات شيطانية.

— وإما لك : لقد أحجبت عن مساعدتي،
فما يمكنك من سلوك سبيل الجدل ؟ هل سبب ذلك
أنك تعلم ما أكون فيه من الشقاء متى عرفت أن
ذلك غير صحيح ؟ لعلك تعلم أن هناك جهنم وما
شاكل ذلك من معتقدات، أما أنا فقد حررت في
أمرى، وأحياناً أرى أنه خليق بي أن أضع
حبك جانبا

— وهل يسلك ذلك ؟

— لا، لا أستطيع ذلك كما تعلم، غير أنه في
مكتبي أن أفر من أمامك وأخفي نفسي عنك،
وأغلق دونه الأبواب، وأرغمها ألا تنود إليك
— فضمتها إلى صدره وقال : ما أعجب شأئك

أيها الصغيرة النافذة !!

إننا أمسكنا سحكت وصاحت كما يصيح الأطفال سروراً ، ثم قال هن لأملئ :

— أؤكد لك أن سحكت تحسن يا عزيزتى
— ولكنى فى شك من محبتك مى يا صديقى
— إنك تملين أنى ذاهب إلى اسكتلندا فى
أواخر هذا الشهر !

وأخذ هن ينظر إليها نظرة المومل المستطف ،
ولكنها بددت هذا السكون بقولها :

— إن التفكير فى مثل هذه الرحلة أشبه بالحلم
الرفاف يوم بالأذهان وحى فى سكرة الناس
وذو له . ولست على ثقة مما إننا كان فى وسى أن
أقوم بها ، ولا يخفى عليك أنى لا أستطيع النوم
فى الفنادق فضلاً عما أحل من متاع ، وما أتكبد
من آلام ... الحق أنى لا أقوى على السفر وحدى
— لكنتك لن تكونى بمفردك ، إذ سوف
تصحبك وصيفتك !

ثم صمت وتدكر كيف أنه زوجها صبيحة
فأصبحت مريضة ، وهكذا أخذت التسوء المريضات
يحلن عمل المتأففات ، مما حدا به أن يتذكر
أشعة الشمس الجلية والفتاة اللعوب ، ومابتلت إليه
حلمها حتى صارت محومة قابعة فى غرقها نئن
وتضجر ثم قالت إمبلى :

— أغلب ظنى أنى لا أستطيع الذهاب
— ولكن إطاعة الطبيب فرض واجب ،
ولمّ الاتقال يكسبك الصحة والقامة ؟
— ما أبعد ذلك عن ظنى !!
— إنها كلمة الطبيب (لبارد) وهو عليم
بما يقول !

— لا ! لا أقوى على تحمل ذلك فأتى ضيفه

فأجابه صوت ضيف الثبرات لينها ، هو صوت
زوجته « إمبلى » تقول :

— لقد علمت أنه لا بد لى من مكان دافئ ،
حتى تذهب الرعدة التى تسرى فى أوصال جسمى
والرعدة التى ترتجف تحتها

— أمل أن تكونى أحسن صحة هذه الليلة !
— لقد أخذت المافية تدب قليلاً فى جسدى ،
يشد أن الشك ما زال يقض مضجعى . وصمت
كل منهما واتصب (هن) واقفاً على قدميه ،
مستنداً ظهره إلى مظلة فوق الموقد ، ثم نظر إلى
الكلب الجاثم عند قدميه ، وأخذ يقلبه ويداعبه
بمقدم حذائه ، وعسج صدره الأرقط ويطنه ، ثم
عاد إلى القلب . وإذ كاد ينتصر على إمبلى أخذت
هذه ورقة فأنماز النصر إلى جانبها يسد أن كاد
يولى عنها ثم قالت :

— ينظن الدكتور لبارد أنه من المحتم على أن
أذهب إلى (اللاندروود وايز) هذا المصيف !

— حسن ! فلتذهبي يا عزيزتى كيفما شئت
ثم أخذ مستر هن يفكر فى حوادث المساء
وكيف قطع الطريق هو ودوريس وقد تركا العربة
فى انتظارها عند النابة ذات الأشجار الكثيفة ؛
ثم قالت إمبلى :

— الآن سأشرب جرعة من الماء لأطفئ
الهب التثقد فى كبدى وإن كان الطبيب يحتم على
فى تقريره أنت أشرب الهواء ، وإجراء بعض
الملاجات الكهربائية أيضاً . وكانت إمبلى ممسكة
بقبعتها ، ومن ثم أخذت تجري خلف أربع فراشات
زرق ، كنّ يرفرفن فوق بعض الزهور بحالة تشبه
اهتزاز الهب الأزرق ، وإن كان الهب يقنى ؛ حتى

جداً ولست أحتمل التعذب وحدي .
 — إن كل ماقولين لنو لا جدوى وراءه ،
 ولا بد من تحمل هذه المتاعب إن كان ثم متاعب
 — خير لي أن أبقى هنا آمنة مطمئنة
 حتى أموت
 حينئذ نأوه هتن نأوها مرأ وتضرع قائلاً :
 — أي رب رحماك رفقاً بنا ورحماً لشكائنا منك
 منك . ما حيلة المرء إزاء ما تأتي به الظروف ؟ ثم
 هنّ كنفته وغادر الغرفة
 ولكنه أخذ يحاسب نفسه غافة أن يكون قد
 أساء التصرف ، أو نذت منه كلمات جارحة
 لعمورها ؟ فقد كان في إبان شبابه لا يشعر بطف
 أروحة نحو الضمءاء والمرضى وذوى الباهات فحب ،
 بل كان يكرهم ويبغهم ، وكان ذلك نتيجة ذهابه
 ذات مرة في رحلة إلى الطرف الشرق عاد بعدها
 مملوا بكراهية عميقة لا يمكن إقلاعهما . وبالرغم من
 أنه كان يعلم بادی ذي يده أن هذا الأمر جد
 عسير ، إلا أنه أخذ يمضي الزمن يطعن إليه ،
 وترنح له نفسه ، فأصبح لا يشعر بوخز الضمير ،
 بل غدا ذلك سجيّة فيه وطبعاً . . . لقد كانت
 (إميلي) صبيحة حسناء عند اقترانه بها ، وقد بادها
 الحب إذ ذاك ، لكن ما باله الآن يمد نفسه غير
 مسؤول عما آل إليه أمرها ؟ تناول هتن النداء
 بمفرده قائراً الجوّ في نفسه ، وإذا بثورة تنقلب هدهد
 أو ما هو أشبه بالهدوء ، ولكي يكفّر عن التهور
 الذي بدر منه دخل غرفة زوجته واستأنسها ،
 وكانت دلائل التوبة والندم واضحة على عيانه وتكاد
 تنطق بها عيانه ، وسألها أن يقرأ لها بالفرنسية فزيت
 طيب نفسه ، فاقترح أن يقرأ لها بالفرنسية فرضيت

وقالت له : « تريد التحدث إليّ بالفرنسية ؟
 ما أحبها إليّ ! » وكانت تقفز بأشياء لثة « راسين »
 التي تحبها كما تحب طعام الفاصوليا
 حينئذ أسرع (هتن) إلى المكتبة وعاد يحمل
 مجلداً أسفروشرع يقرأ لها فيه . ولقد أولى النطق
 وغارج الأسوات كل عنايته واهتمامه حتى كان
 موضع الإعجاب وحتى كان لحسن نطقه أثر بالغ في
 إلياس القصة التي كان يقرأها نوباً رائماً . وما أتم
 خمس عشرة صفحة حتى ملن في أذنه صوت كأنه
 حشرة النفس ، فالتفت صوب زوجته فوآها قد
 أسلمت نفسها للبيات العميق ، فلبث برهة يقرب
 ذلك الوجه للسجى وقد عرته دهشة خفيفة ...
 لقد كانت جميلة في فجر حياتها ، فلم يكن ليتطالع
 إليها إلا وهو يشعر بها الثمن الحسن الرفق تحيط بهذا
 الجمال الفاتن ، أما الآن فقد تبدل كل شيء ، ودب
 المرض في أوصالها حتى هزلت وصارت أشبه بالرقى ،
 وتجمد جلدها الأملس فوق عظام خدنها البارزة
 وأرنية أنفها المكدود ، وغارت عيناها في محاجرها
 العميقة ، وحينئذ أتى الصباح ضوءه على جبينها
 الشاحب قتيبن (هتن) ما فيه من تجاعيد وأخايد ،
 حتى لا يشك من رآه في أنه وجه ميت ، فأخذته
 حينئذ رعدة تحشت في جسده ، وخطا على أطراف
 أسابه وغادر الغرفة
 وفي اليوم التالي نزل هتن إلى غرفة الطعام حيث
 كانت زوجته قد استردت بعض صحتها المهوكة إثر نوبة
 أسابها في الليل ، اشتد فيها خفقان القلب . تحملت
 إميلي رغم قوتها ومضت لتشارك في إكرام ضيفتها
 « جانيت اسبنس » ، وصحت اهتمامها بأمر (اللاندورد
 ويز) بنفس ملؤها الشفقة ، غير أن ما قالته قد سمع

وهنا تأثر للستر « هتن » حيث كان في حاجة ملحة إلى مثل هذه الشفقة التي كان قددها سيباً في تضعض صحتها يوماً بعد يوم ، إلا أنه أخذ يحدث نفسه بأن كل ما حدث إنما هو إحساس بالتقدم وليس تعدياً حقيقياً . إذ الشفقة لا تدأى الكبد المريضة ولا القلب الضعيف

عرف هتن أن زوجته خالفت أمر الطبيب ، فالتهمت بمضاً من الزبيب فقال لها :

— لو أنني كنت إليك ما تناولتُ الزبيب بمد أن حرم الطبيب كل ما له بشرة سميكة وبذور !!

— ولكني أسبل إليه وأشعر اليوم بتقدم في صحتي فقالت جانبتي : لا تمتس في حكمك واتند في إسرافك !

ثم أجالت ناظرها في هتن وزوجته وقالت : — دعها تأكل ما تشاء وتتشهي ، فإن ذلك يزيدنا قوة

فقالت إيمي : « شكراً لك يا عزيزتي » ، ثم نهضت لتتناول بعض الزبيب اللذي . فقال هتن :

— إذن لا تلوميني على شيء إن مسك ما لا أحب من جراء ذلك !

— وهل أنتك على شيء من قبل ... ؟ — لأنك غير واجدة بمنزلاً تلوميني عليه ،

لأن زوجتي

أخذ الجميع مجلسهم في الحديقة بعد تناول النداء ، وهم يصوّنون أنظارهم في هذه الروج النضيجة المجلجلة بالزئبق والأزهار المتألثة بتورها للمدني ، وكان دفه الهواء المطر قد أدخل شيئاً من السرور على قلب مستر هتن ، فتنفس في قوة ثم قال :

مهاراً حتى مجته الأصمخ وتعودته ، ثم اتكأت بصدرها إلى الأمام ، واندفست في الكلام كأنها في قدبة انطلقت ، وكأنها استحات إلى التأو وتو ما تيكية تملر من أمامها وإبلاً من الكلمات البالة على الرأفة وجارها هتن ، يبدأه كان يستعمل عبارات أدبية أو فلسفية من مقولات مترلك ومسر يزانت ورجيسن ، ووليام جيمس ، وكأن قنف الكلمات أصبح نوعاً من الهواء . وأخذت مسر (هتن) تتكلم عن الآرق وبالنت في شأن المقاقير وضرباها الطبية ، وكان حديثها أشبه بزهره تستقبل الشمس أخذ هتن ينظر في سكون ودعة ، كأن منظر جانبتي سبنس قد بث فيه دهشة قوية ، ولم يكن الرجل ذا خيال خصب ليصور لنفسه أن كل وجه يخفي مجته فناً من التقديس جبال الأشياء وغرابها ، حتى إن حديث كل امرأة عنده وإن قل شديده ينضار معقود فوق خليج مجبول ، فهذه زوجته ودوريس مثلاً لا يزيد مظهرها شيئاً على باطنها ؛ أما جانبتي سبنس فقد كانت من نوع آخر ، فهنا يتأكد الناظر أن خلف تلك الحواجب الرومانية وبسمة الجيوكوندا هذه وجهاً غريباً . ولعل السؤال الوحيد هو ما ماهية ذلك السر الذي لم يستطع هتن كشف الستار عنه ؟

ثم دار الحديث بين مسر هتن وبين جانبتي التي قالت لها :

— قد لا تذهبن إلى « اللاندروود » بعد ؛ ومتى تحسنت صحتك عاجلاً فإن الطبيب لبارد يرجع في طلبه ؟

— هذا هو رجائي الوحيد ، وإني لأحس بالماقية اليوم تدب في أوصالي الموهكة

- ما أبهج الحياة لو كنا خالدين !
فرفت زوجته يدها إلى الشمس ثم قالت :
- سنظل لو كان فيها ثم خلود !
وإذ ذاك أحضرت الخلام القهوة في أبريق فضية ، وفناجين بنفسجية ، ورتبها على المنضدة بالقرب منهم فنادت بها مسرعة قائلة :
- أين الدواء يا كلارا ؟ أسرى إلى به في زجاجةته البيضاء
- فقال هن : وسأذهب لأحضر لفافة من التبغ ثم أسرع إلى داخل المنزل . وبينما هو يعبر الدهلز التفت فجأة إلى الخلف ، فأبصر الخادمة تسمى في الحديقة ، وزوجته متكئة على مقعدها منهكة في فتح فدام فارووتها . أما جانيت اسبنس فقد كانت مستندة على المنضدة تسب القهوة فسألت مسرعة :
- أتعين السكر يا إيلي كثيرا ؟
- نعم ! شكرا لك يا عزيزتي ، أكرى منه لأنني سأشربها بعد الدواء ، كي تنهب بنفسانته
- ثم أستاذت رأسها إلى الوراء ، وأملت قبعتها على وجهها لتخفي عن نظرها رؤية الشمس والسماء ووقفت خلفها جانيت ثم قالت لها :
- لقد وضعت لك ثلاث ملاعق ستذهب حتما بمرارة الدواء . والآن ما هوذا هن قد أحضره معه أجل لقد ظهر هن يحمل زجاجة خر ملأى بشراب قائم فاوله زوجته قائلاً :
- ما أطيب رائحتها !
- وذلك أحسن ما فيها
- ثم جرعت مرة واحدة اقتشعت بسدها وقد ارتسمت أمارات البوسة على وجهها وقالت :
- أنف له ما أبشمة من دواء ! إلى بالقهوة كي تنهب غضاخته
- فأعطتها جانيت ما طلبت وأخذت ترشف منه نهلات كبيرة وهي تقول لجانيت
- لقد صيرته كالشراب ولكن لا بأس فذلك خير ما يكون عقب مثل هذا الدواء الشديد وفي منتصف الساعة الرابعة أحست المريضة بشيء من التعب يحدّر أعصابها ، ولم تكن تشعر بثقل من قبل ! ومن ثم عمت شطر حجرتها لتنام وترخ جسدها . وكاد هن أن يقول شيئاً عن الزبيب ولكنه تمالك نفسه وغير موضوع حديثه بقوله لها :
- ما أسرع تأثيره ! ألم أخبرك بذلك من قبل ؟ ثم أخذ يدها ليساندها على الدخول وحاول أن يطمئن خاطرها المضطرب ونفسها المكبودة بقوله :
- ستشعري بالصحة متى استرحت ، ولعل لا أعود إليك إلا بعد الظهر وقد عادت إليك صحتك وراحتك !
- وإلام تنهب ؟
- سأذهب إلى جونسن هذا الساء كما تملين لتحدث في ذكرى الحرب
- بودي ألا تنهب !
- ثم اغرورقت عينها بالدموع وقالت :
- أما تستطيع البقاء بجانبني اليوم فاني أستشعر الوحدة !
- وما الحيلة يا عزيزتي وقد واعدته منذ أسابيع ، ولكني سامضي الآن لأبحث عن جانيت قبلها بين عينها ، وخرج إلى الحديقة حيث استقبلته جانيت بشوق ولهفة ثم قالت :

حيث كانت تنتظره « دوريس » عند منعطف الطريق ، فتناولوا العشاء معاً في فندق يبعد عن البيت عشرين ميلاً . ولقد جمع العشاء بين الرخاء والامراف قد طهى في فندق قروي أعد لائق للربات . وإن يكن قد ساء هن قد سر « دوريس » التي لم يكن الكدريسرف إليها سيلا ، وطلب هن زجاجة من الشمبانيا . ولا أخذنا طريقهما إلى البيت كانت دوريس على حال عظيمة من النشوة ، وكان الجو أدكن ، ولكن الناظر إلى الأمام كان يرى شبح السائق الساكن ، وشرطاً من الأرض تنيره أضواء المصاييح الأمامية للسيارة

بلغ هن منزله وقد قاربت الساعة أن تدق مؤذنة باتصاف الليل ، فلقى الطبيب ريارد في بهو البيت وكان رجلاً قصير القامة كريم الكفّين ، حسن الصورة ، أشبه بالنساء ، واسع العينين أكلهما . وكان يقضى وقتاً طويلاً بجانب مرصاه يخفف عنهم آلامهم بطفه ورفقه ، مما يمث السرور إلى النفوس ، وإن كانت مسحة الاثران لا تفارقه أبداً . سأل هن الطبيب :

— أي دكتور بارد ! أراك هنا ! أما زالت إميلي مريضة ؟

— لقد بحثنا عنك طويلاً في بيت جونس فلم يفل لك أحد على خبر هناك
— بلى ، لم أكن هناك إذ حال بيني وبين الذهاب إليه قاهر

ثم قال في نفسه : « ليس هناك أشد من أن يحتجب الانسان خلف ستار من الكذب »

فقال الطبيب : لقد كانت زوجك عطشى متلهفة إلى رؤيتك

— إن زوجتك في شدة المرض !
— ولكنها ستسر كثيراً بحضورك
— إن ذلك البواء مزيج قد جعلها في مثل هذه الحال ، وقد ضعفت قوة هضمها . حقاً إن معدتها قد اضطربت ، وأخشى أن يحدث شيء ما !
— من يدري ؟ ربما لم يفحصها لبارد تماماً !
ثم فتح باب الحديقة الخارجي المثل على الطريق حيث كانت عربة جانييت في انتظارها تستقلها في العودة إلى منزلها ثم قالت :
— إن لبارد طبيب قروي وخير لك أن تستشير طبيباً إخصائياً

— أراك تكبرين من شأن الاخصائين
فرفت جانييت يدها محبجة وقالت :
— إن حالة زوجتك قد بلغت حدّاً من الخطورة يستوجب الشفقة والرأء ، وإنى لجادة فيها أقول وأخشى أن يحدث ما ليس في الحسبان ؟
فأمسك هن يدها وأدخلها العربة ، وأخذ السائق مكانه فيها ، وتأهت للانطلاق . ولم يكن هن يرغب في أن يطيل الحديث معها فسألها في رقة :
— هل تسمحين لي أن أسره بالسير ؟

فالت نحوه وابتسمت له بسمة الجيوكوندا فقال لها :

— تذكرى أنى في انتظارك لعودى إلى رؤيتي ثانية عن قريب

على أنه قد تضجر وإن يكن قد لم حدود الأدب . وما إن تحركت العربة حتى ودعها يده ، وسره أن يبقى وحيداً

مضت بضعت دقائق اضلقت يدها « هن » إلى

وعلى كل حال فقد انتهى الأمر واستراحت فلن
نحس إلا بعد

— ٣ —

« يا الحصرة ! وافق يوم تشييع الجنازة يوم
مباراة إنن وهارو »

هكذا قال الجنرال « جريجيو » وكان واقفاً
تحت مظلة الكنيسة محمكاً قبضته الطويلة يمينه ،
ومجففاً العرق من جبينه وحياء

سمع هن ذلك القول فبألك شعوره على الرغم
منه بعد أن كاد يمس الرجل بأذى في يده ، وقد
كان يوده أن يوجه إليه لكمة قوية في وجهه الأحمر
المرضى ثم قال :

— أيها الحيوان الضخم المجدد الوجه ، أليس
البيت عندك حرمة ؟ أما تستحي من أحد ؟

ولقد كان الحق في جانب « هن » فلم يجب
الآخر بكلمة ما ؛ أما مستر هن فقد ألقى بنفسه
بجانب القبر يتأوه ويتهد ويكي زوجته قائلاً :

— إيسلي ! أيها المسكينة ، لقد أبى الجميع
يا إيسلي إلى دورهم ونسوك ، وعادت إلى أوجهم
بناشتها وطلاقها ، أما أنت فقد توثيت في قاع حفرة
على يمد سبعة أقدام بيننا « جريجيو » واقف يشكو
سوء حظه لأنه لم يشهد المباراة ! !

أخذ هن بعد أن هال التراب على قبرها وسواه
يمدق في الجوع السوداء التي حوله والتي أخذت
تتأدر ساحة الكنيسة ، إلى موقف العربات
والسيارات ، وبالرغم مما كانت تتحلى به الأرض
حينئذ من حشائش نضرة وأزهار متلازمة
وأوراق لامة ، فقد كانت دلائل الأسى مرئمة
على أوجه الجميع ، وشملهم الحزن . ولقد سرى عن

فقال هن وقد أتجه ناحية السلم
— الآن لا مانع من الذهاب إليها

فوضع الطبيب يده على كتف هن قائلاً :
يربني تأخرتك !

فأراد هن أن يتخذ المارضة سلاحاً يدحض
به أقواله فقال : « وهل تراني تأخرت » ثم مد يده
إلى جيبه بحجة أنه يريد إخراج ساعة ولكنه
أرجعها خالية

— لقد قضت مسر هن نحبها قبل ذلك
بنصف ساعة

بذلك نطق الطبيب الذي استمر سوته على لينة
ولم يفارق الأسى عينيه ، ثم أخذ يقص خبر الموت
وحالته كأنه يتكلم عن لعبة « الكريكيت مانتش »
وذكر أن شتى الليل قد وقعت مكتوفة الذراعين
لا تحدى أمام القدر المحتوم وقد اقتطع كل أمل .
كل ذلك وهن لم يتقطع عن التفكير وتذكر كلمات
جانيت اسبنس إذ قالت : « لا بد من حصول شيء
في أي لحظة » ثم قال على حدة : « حقاً ، لقد كانت
صادقة في قولها ونبوتها »

ثم سأل هن الطبيب قائلاً : ما الذي حدث
وماذا كان السبب ؟

فأخذ الطبيب يفصل الحادث قائلاً :

— أنها سكنت قلبية نتجت عن نوبة شديدة
عقب تناول بعض الأطعمة المخدورة
— كالزبيب مثلاً ؟

— شيء أشبه بهذا أو هو نفسه ، وقد كانت
وطأة على القلب فاسية ، وكان من جراءه تلك النوبة
الخطيرة ؛ ولعل بعض الأجهزة قد تطلعت في الماخيل

في واد، ولكن خيل إليه أنه أقسم بينما عظيمة،
يحق للآلهة أن ترتبط بها ... « لقد عزمت ... !
لقد عزمت ... ! لقد مرمت بنا أعياد رأس السنة
واليلاد والأعياد المقدسة كما مرمت في تلك التوبة
الكبرى عن الخلاعة والجون، ومثل هاتيك الأقسام»
لقد ذهب كل ذلك بدءاً، حتى المين تلاشت كما
يتلاشى الدخان في أفاق الجو، وصار كأن لم يكن .
غير أن ما كان حوله إذ ذاك كان يوحى بالرهبة،
فألقى على نفسه أن يدل منهاج سلوكه في المستقبل،
فيحيا حياة الرجل العامل الماقل، ويكبح جماح
نفسه الثائرة، ويوجهها إلى طرق الخير بعد أن
ظل طويلاً يضلل النسوة ويخدعن ببارات الحب
الوهم والأمل الكاذب، ولكن هاهوذا قد عزم
ولا بد من العمل .

فكان يقضى الصباح في تفقد أعماله الزراعية
فيركب مع رئيس المال، ويدور حول الأرض
ليرى سير العمل فيها وما اتبع من أحدث الطرق
الزراعية وخاصة في مخازن الجيوب والأسمدة
الصناعية والحصاد ونحو ذلك، ويتفق باقي اليوم في
الطاملة الجدية، إذ كان قد اعتزم منذ دوح طويل
أن يؤلف كتاباً عن « تأثير الأمراض في المدينة »
ذهب هنن بعد ذلك إلى فراشه خاشعاً غلاً
التوبة نفسه، وتهمين على جوامحه، وتسيطر
على كل جراحة فيه، وخيل إليه أن الفضيلة قد
اتخذت سبيلها إلى نفسه فنام ثمانى ساعات، ثم
استيقظ فأنما الشمس قد شمع نورها، وكنت
الأفق ضياء صافياً، بيد أنه لم يجد في نفسه أترأ
لتلك الفواض التي أحس بها مساء بل عاد في الصباح
إلى حياته للراحة ... حياة الخلدية باسم الحب ...

نفسه بعض الشجن أن الفناء حتم على الجميع
جلس (هنن) في مكتبه ذلك المساء يطالع حياة
« ملتن » ولم يكن هناك من دأع يحمله على اختيار
حياة ملتن قدامها، بل إن ذلك الكتاب كان أول
كتاب تناولته يده . وما إن فرغ منها عند منتصف
الليل، حتى نهض من كرسيه وأغلق النوافذ وغادر
المكتبة إلى الردهة حيث كان الليل صافياً ساكناً .
فأخذ يصعد نظره في النجوم يتأملها ويتأمل ما بينها
من فضاء، ثم يرد طرفه ناحية الأزهار الباهتة،
ويسرح عينيه فيأوراء ذلك من فضاء لا يبدد وحشته
غير القمر .

أخذ بعد ذلك يفكر في قوة مضطربة فيقول :
« ها هي ذى النجوم، وها هو ملتن، بل
ها هو الرجل الذي شابه الليل ونجومه فأعظم نبه !
ولكن أحس أن هناك فرقاً بين الليل وغير الليل ؟ ..
ملتن .. والنجوم .. والموت .. والروح والجسم ..
والأرض والسما ... لعل في هذه بعض الشيء من
الليل ... ما الذي ناله ملتن ؟ لا شيء . وأنا ... ؟
أنا ! ... أجل ! لا شيء غير صدر « دوريس »
الصغير البض »

وتواردت الخواطر الهممة على خياله سراعاً
كأنما تستمرضها ذاكرته : ترى أيها أعظم شأنًا :
ملتن أم النجوم ؟ أم الموت ؟ أم إيميل في قبرها ؟
أم دوريس ؟ أم مستر هنن نفسه ؟ لا شك أنه أعظم
الجميع :

أف له ! لقد صار أنانيّ الطبع، لكل شيء
— قل أو كثر — سلطان على نفسه . وفي لحظة
سكون صاح قائلاً « لقد عزمت . لقد عزمت » غير
أن صوته كان يذهب في ظلام الليل البهيم كصرخة

والاضطراب . لقد أزعجتني الوحدة واستوحشت مني السعادة ، وحرّتُ فنياً لأعمل وجْهَ خيال الموت يهدني فلا أستطيع منه خلاصاً ، وأراني بغيرك نعمة شقية . انظر كيف أعجز عن التعبير عما أريد إخبارك به . أريد أن أراك إر تلاقئك هذه الرسالة وعقب فراغك من مراسم الحزن . إن سعادتي في قربك ؛ وليس في الدنيا أنيسٌ سواك يا كريم الطباع ، وأخا النجدة والنوث . ولست بناسية ما حيت عطفك وحديثك . إني تأخذني الدهشة كيف نزلت من عليك غيوتي لطفك وأنسك مع ما أنا عليه من كآبة وغباء كآسا سيباً في ضحكك لي . أليس كذلك ؟

تأثر هن من كتابها تأثيراً ألبسه ثوباً من الحياة والراحة ، واستكثر من نفسه أن يمدحه أو يبعده كاتباً ما . يا لله ... ! لقد أغرى دوريس فوقت في حياته ... إنها طرفة من طرف اللب الجنوني ! : بل طرفة من الجهل لا يستطيع وصفها ! فرغ «هن» من قراءة كتاب دوريس ، فإذا الجزع أقوى في نفسه من السرور . لقد خلا عمله من الحكمة وسداد الرأي

وكثيراً ما كانت تسيطر عليه رغبات وشهوات مهمة يكاد يخضع لها ، وإذ ذاك يذكر نفسه في تأنيب أنه على وشك العودة مرة أخرى إلى غيابه القديم ، ويذكرها أيضاً بوجود كثيرات أمثال «ماجى» خالمة زوجته ، وأزيت ، ومسررنجيل ، وغيرهن من الوسيقات في لندن وغيرها ؛ غير أنهم جميعاً — وأأسفاه — قد أدر كهن الكبير ، ووسمن المزال يمسمه . ومن يدري فلربما يأتي عليه وقت يدركه ما أدر كهن ، بيد أن كل هذه التجارب لم تؤثر فيه شيئاً

وتلاشت المهود والمواقف التي قطعها على نفسه ، فكان ملقن ، وكان الموت قد تغيراً في ضوء النهار عما كان عليه في ظلام الليل . أما النجوم فقد حببها الشمس ، وأما عزمه فقد كان يرى شبحه في ضوء النهار كما يراه في حجب الدجى ، لذلك امتلأ بهوة حسابه بعد أن تناول طعام الإفطار وأخذ يطوف مع رئيس عماله . وعند الظهيرة تناول وجبة النداء ثم جلس يقرأ كتاب «تكد يدس» عن «الطاعون في أثينا» وفي المساء وضع بعض مذكرات عن الملايا في جنوب إيطاليا . وعند ما شرع في خلع ملابسه تذكر أن هناك قصة طريفة في كتاب «إسكتولد» عن الوياء الأسود ، فزم على أن يكتب عنها فصلاً إن عثر على قلم رصاص

مررت خمسة أيام من حياته الجديدة ؛ وفي اليوم السادس عثر هنّ بين خطابه على رسالة قد كتب عنوانها بخط بين بين ، عرف منه أنه من لندن «دوريس» فضه وشرع يثوره ، فوجد كلمات لا ترى إلى جمع واحد ، إلا أنه استشف من قولها وجود حالة تشبه الحال التي ماتت بها زوجته ، فكان في ذلك ما أزعجه ، وحدا به إلى التهد ؛ فغير أنه تمالك شموره ، واستعاد إحساسه ، وتابع قراءته ، وهذا نص رسالتها :

«أجل ! إن الموت شيء مرعب ، غير أني لا أفكر فيه ما دمت منه بنجوة . أما إذا حل مثل ذلك الأمر ، أو ألم بي مرض ، أو أحاط بي كدر ، فتراني لا أعاليك نفسي من التفكير فيه كأنه قريب مني ، وأستبد في خيالي كل ما قدّمت يدي من إنم كما أفكر في نفسي ونفسي ، وأأخذني القلق من جراء ما سيحدث في المستقبل ، فيدركني الخوف

تجلى فيها مثال من الجمال البعري خلق أن يشتغى ،
وترأى جمالها الساحر يرى طمأه ، فلام يشكو
هقن ، وقد رقت بجانبه تلك الفتنة ؟ وما الذى
تفيدة وقد ضاع الأمل فى أن يكفكف من حدة
بحونه ، أليس الأولى أن يستفيد من ضياع ميثاقه
وعهده ؟

وإذ ذلك تسربت إلى نفسه فكرة براقة يحدها
الشباب الجامح ، فكرة لا تأبه بالمواقب ، ملأت
عليه جميع أرجاء نفسه ، وخيل إليه أنه حرٌّ يفعل
ما يشاء

وفي لحظة أسلم فيها قياده للشباب جذب الفتاة
نحوه ليروى نفسه من نبع ذلك الجمال ، فالتفت
«دوريس» مذعورة ، وأتقت على سبل قبلاية الحارثة
التي أودع فيها روحه الفتية وعواطفه اللطيفة !!
تحولت عاصفة وغبت إلى نوع من الروح ، وكأن
الجو والعالم وكل شيء كان يشاركه في تحكة الهادئ !
تلقت أذنا هقن سؤالاً عذبا من دنيا الحب
النائية يسأله :

— ترى هل أحبك شخص مثل حبي إليك ؟
— أظن أن هناك من سألني هذا السؤال قبلك :
— ومن ذاك ؟ أخبرنى ! ومن تمنى بقواك ؟
وكان الصوت صوت (دوريس) وقد اختلطت
ببراه بالنفث ، فقال هقن متنهدا :

— آه :
— من ذاك ؟ أخبرنى !
— لا تنهني بيدا مع التظنون ... هى جانبيت
اسبنس
— (فى دهشة) جانبيت اسبنس ؟ تلك الرأه
البحوز ؟ يا لمار !

عاد هقن فتذكر « دوريس » المسكينه ، وكان
نفسه شبت من تلك الحداثه التي يموت بها على
النساء ، وعافت الحديده باسم الحب والهوى ، فزمر
على أن يكتب إليها كتابه ملؤها العطف والرحمة ،
دون أن يعدها بالحضور ، ولكن الخادم قطع عليه
سلسلة تفكيره ، إذ جاء يخبره بأنه قد أخرج
الحصان ، فهض وركب وذهب مع رئيس عماله
الذى كانت أمارات الكآبة متجلية على محياه
ذلك اليوم

مرت خمسة أيام وشهد إثرها « هقن » ودوريس
جالسين على مقعد حجرى فى « سوٲ إند » وكانت
دوريس ترتدى قميصا حريريا مطرزا بأشرطة حمراء
يعلو وجهها البشر والسرور ، وكانت رجلا هقن
ممتدين إلى الخارج ، معتمدين على كرسى ، وقد
أزاح القبة إلى الخلف ... وفى تلك اللية بينا كانت
دوريس نائمة بجواره نائمة بالفضه والراحة وقد
سرت أنفاسهما هادئة هوم فوقهما كأنها تحرسهما ،
إذ غللك فى هذه الساعة — ساعة الظلمه والتنب —
ذلك الوازع الذى غللك من نصف شهر قريبا ،
حينما أخذ على نفسه ما لم ينفذه ، وما ذهب كما
ذهب أخ له من قبل ، وهكذا تلب الشر على
الحجر ، والجلل على القفل ، إذ خارت عزيمته
عن تنفيذ أول خطوة من المبدأ الذى رسمه لنفسه
قضى هقن فترة طويلة من الوقت منمضا عينيه
كالنائم يعالج خنوعه أمام دائى الخيبة حتى تحركت
دوريس فى فراشها فالتفت إليها ، وقد تسرب من
خلال الستارة الرقيقة الشفافة نور خفيف أظهر
ذراعها البارية البضة وكفها الجميل ، ورجلها
وجدائل شعرها الحالكة السوداء ملقاة على الوسادة ،

فصحك منها هنّ بلاء فيه ثم قال :
 — إن ما أقوله هو الحق ، وإنها لتجنى
 جأ جأ
 وأكد لئوريس أن لا بد له من أن يزورها
 وأضاف إلى ذلك قوله :
 — وأعتقد أنها تبني الاقتران في !!
 — لكنني لا أراك قاعلاً ولا عازماً !
 فناد هنّ إلى الضحك وقال وقد خيل إليه أنه
 يقول أحسن نكتة قالها :
 — أود أن تكوني زوجتي !
 ولم ينادر « هنّ » فندق « سوت إند » حتى
 كان قد تزوج مرة أخرى ، لكنهما اتفقا على أن
 يكون أمر هذا الزواج سرّاً حتى إذا حلّ الخريف
 ودخبا إلى الخارج ، شاع الأمر بين الناس ثم أورد
 ذلك بقوله :
 — أما الآن فسأذهب إلى منزلي كما عنيين أنت
 إلى منزلك

 وفي مساء اليوم التالي مضى هنّ لزيارة جانييت
 اسبنس فاستقبلته بيسمها القديمة بسمه الجيو كوندرا
 ثم قالت :
 — لقد كنت منتشرة إلى لثائك
 وما كنت لأستطيع الصبر عن لثائك
 ثم جلسا في البيت الصفيّ الجميل الذي كان
 فيها مضى مبدأ قائماً وسط أحراج كثيفة خضراء
 فقال هنّ يجازيها أطراف الحديث :
 — لقد عزمت أن أسافر إلى إيطاليا هذا
 الخريف
 فقالت جانييت ، وقد أغمضت عينيها في إغراء
 كأنها في نشوة الخمر وقالت :
 — إيطاليا ! إيطاليا ! لقد وافق عزيمك
 ما جمعت عليه نيتي
 — ولماذا تريدن الذهاب ؟
 — مالي غرض خاص ، إنما قد يفقد المرء
 نشاطه أحياناً إذا أراد السفر إلى الخارج وحده
 لأول مرة
 — أف للوحدة ! ليس في سفر الانسان مفرداً
 أية لذة
 وانضطجت جانييت في مقعدها صامتة ، مسيلة
 الأجناف ، وأخذ (هنّ) يمسح شاربه ، وطال
 الصمت بينهما ، وحين وقت النداء ، ودعى هنّ
 إلى تناوله فلبى على عجل ، وابتدأ حبل الزواج زداد
 قوة بينهما ، ووضعت المائدة في الشرفة ، وأخذوا
 يطلان من خلال أقواسها على الحديقة الممتدة إلى
 الوادي المنخفض والتلال البعيدة ، ثم فاض النور ،
 وعمّ السكون ، واشتدت الحرارة وحلقت غمامة
 في الأفق ، وهدرت أصوات الرعد من بعد وهي
 آخذة في الاقتراب ، وهب عباب الريح ، وتكاثف
 الرذاذ المتساقط منبثاً بالطر وأخذت العتمة تغمر
 السكون ، وإذ ذاك صمت كل من جانييت وهنّ ،
 ولكنها قطعت هذا الصمت بقولها :
 — أظن أن لكل امرئ حقاً محدوداً من
 السعادة ؟ أليس كذلك ؟
 — لا شك في هذا ، لكن ما الناية التي
 تقف وراءها ؟ ليس في استطاعة أحد أن يملأ بآراء
 قاطمة عن الحياة ، إلا إذا أراد أن يتكلم عن نفسه ،
 أما السعادة ...
 ثم توقف عن الكلام فجأة ، إذ عاد بفكره إلى

— إنك في حاجة إلى رفيقة
فردّد قائلاً: رفيقة لي؟ ما أبعد ذلك عن
الدعابة! جورجيت لبلان رفيقة «موريس ماثلنك»
السابقة...

على هذا النحو صورته جانيت اسبنس في خيالها
أى أنه رفيق الروح. أما دوريس فقد مثلته برمز
الكال وأنه أكثر الناس مهارة، ثم قالت جانيت
وقد اعتمدت يديها على ركبتيه:

— لقد طار إليك قلبي صرغاً وفي وسي أن
أعرف السبب؛ لقد أصبحت وحيدة مثلك، فما
أصبرك؟!

ثم صرّت عليها بركة أخرى فأذا بها مضطربة
النفس إلى درجة الجأئها إلى أن تقول:

— ما أراك تشنق وأغلب ظني أنك تشكو!
— ما أعجب أمرك!

زجر الرعد ثانية، وانهمر المطر في شدة كأنه
قهقهة المجنون فقالت جانيت:

— أما تحس في أعماق نفسك بشيء له صلة ما
بتلك المصيبة؟

ثم اتكأت على صدره بحمها اللدن وتابعت
حديثها قائلة:

— إن الهوى يصير الإنسان أشبه بالناصر
القائلة...

فلم يحرج جواباً وظل كالشده ثم قال: نعم!
ثم استولى عليه الخوف على غرة، وبحول
ما فيه من جرأة إلى سكون وذبول. لقد أزعجته
جرأتها وصراحتها المتناهية، أما هو فقد قال:

— الليل والهوى؟ إنني لا أدخل منهما
يد أنها تصنعت عدم الإصغاء إلى حديثه،

سابق حياته يستمرضا، ورأى تلك اللحظات التي
كانت مغممة بالسعادة والمدهو الذي لم يكن ينغمسه
عليه سوى سحب جهام من الأحزان لا يلبث أن
يتلاشى... لقد كانت الأموال شيئاً عادياً. لقد كان
أسعد حظاً من غيره من بني جنسه. أما الآن فقد
قدّم السعادة غصب، وعرف أن عدم الأكتراث
سر الابتهاج. وكان في نيته أن يقول شيئاً
عن سعادته لولا أن قاطعت جانيت بقولها:

— إن مثلي ومثلك خيلتان أن يتالا حظاً من
السعادة وقتاً ما من حياتهما
— أمثلي أنا؟

— آه يا هنري السكين! إن القدر لم يامل
أحداً منا بما يرضيه

— ها أنت فاسرورة وذلك من شجاعتك،
لكن لا تغني أني لا أستغف ما وراء القناع
ثم تكلمت جانيت اسبنس بصوت أخذ يزداد
ارتفاعاً كلما ازداد المطر انهياراً، كما أخذ الرعد
يقطع في فترات بين حديثها فقال لها هتن:

— لقد عرفتك جيداً منذ زمن طويل
إذ ذاك طافت بها بركة من الأمل الممول،
فأذا بنفسها قد امتلأت بالأفكار وحفزها الزعم على
أن تقول شيئاً، وقد اتكأت بصدورها عليه وحدقت
عينها، كأنهما رصاصتان ثم طواها الظلام في
غمره فقالت:

لقد أصبحت وحيداً نقنث لك عن رفيق،
وإني خليقة بالشفقة عليك في وحدتك، بل في
زواجك...

ولكن الرعد قطع عليها حديثها، ثم عاد صوتها
إلى الظهور مرّة أخرى بهذه الكلمات:

وأخذت تترثر في الحديث الذي لم يكن يسمعه أحد إلا وهو يعتقد أن الحب النيف هو الذي ينطقها ثم همست قائلة :

— لعله لم يفهم مغزى ما أقول !

ومن ثم أخذت تسرد على سامعه قصة حياتها في هدوء حتى يستطيع أن يفهم ما تقول ، وفي هذا الحال أخذت فترات انقطاع البرق تطول ، وتزداد تبعا لذلك مدة الظلام ، غير أنه كان يراها تحلق فيه بقوة متجهة بصدرها إليه مما يدعو إلى الريبة ويطل من عينيها برق التمنى والإغراء ، وانهمر المطر أكثر من ذي قبل فالتصقت به . وأبرق البرق فرأى « هن » وجهها يملوه قتاع جميل تترجرج من تحته عينان واسعتان ، وفم صغير جميل ، وحاجبان عربيان ، فكانت أشبه بالرومانيات ، ولكن ما أشبهها بجودج دوي !

عرف هن حينذاك ما ترى إليه فأراد أن يتخذ نفسه منها ، وفكر فيهرب يتخلص به من هذا المأزق الحرج . أيدي أنه رأى لصا ثم يناديه أن قف ويقفز ويمدو خلف شبحه اللوهم ؟ أم يدعي أنه أصيب بخفقان في قلبه ؟ أم يدعي أنه لاجع شجاعا ولكن شبح إسميل في الحديقة يخطر في حلوكة الليل ؟ وشغله التفكير في هذا الأمور الصيانية عن الالتفات إلى جانبيتها وحديثها ولم يرد إليه عالم الحقيقة إلا مسة رقيقة من يدها ، ثم قالت :

— إلى أجلك من أجل ذلك يا هن

فقال في سريره : ومن أجل أي شيء تجلئني ؟ فقالت : إن الزواج رباط مقدس ، واحترامك لإله — برغم سوء حياتك الزوجية السابقة —

يجعلني أحترمك وأحبب بك . والآن أسمح لي أن أقول كلمة ياهن ؟

وعاد هنرى يفكر في مسألة اللص اللوهم والشبح ، ولكنه وجد أن ذلك قد تأخر وقته ، فصادت هي تناح قولها :

— نعم ، كلمة واحدة ، تلك هي إنني « أحبك » وها نحن الآن في أتم الحرية !

— وما شأن هذه الحرية ؟

وحدثت حركة في الظلام ، فآذا بجانيت تخر راكمة بجانب كرسيه ثم تقول :

— لقد استوحشت مني السمادة أما الأخرى يا هنرى !

وإذا بها تماثقه في لفة ، وإذا به يمس من حركاتها أنها تنهد ، فأحس بالحرارة تسرى في جسده ، وخيل إليه أنه لولا بقية من الجبل لصاحت : « الرحمة » ، وتصبح الجدة ، فقال :

— عليك أن تمتنى عن هذا بجانيت ، فليس هذا وقته . فلهاذا عواطفك ، ولنمضى إلى فراشك ثم أخذ ربت يده على كتفها ، وتخلص من بين يديها ، وتركها جائعة على الأرض تندب حظها بجانب الكرسي الذي كان جالسا عليه . فأخذ يتحسس طريقه وسط الهو ، غير متذكر قبضته التي خلفها ، ثم نادى التزل معلا فكهرو أن يفتل الباب الخارجى دون حدوث أى صوت . كانت السماء إذ ذاك قد انجلى عنها الغمام ؛ غير أن الطريق كان مترعا بالأماء ؛ وكان يرن في هذا السكون صوت المياه المتدفقة من اليازيب ، وللتنجدة إلى الجفر ، فأخذت قدما هنرى ترددين في تلك البرك التي لم يأبه لها

فيها سكنه على رابية في جنوبها يستطيع المرء
منها أن يشرح طرفه في واد خصب يمتد في المدينة
حتى يصل جبال «مورلو» الباردة، ثم يمتد شرقها
إلى تلال «فيزول» الآهلة بالسكان، ذات المنازل
البيضاء، حيث يبدو كل شيء واضحاً نيراً في ضياء
شمس سبتمبر

سألته دوريس قائلة: أتم ما يشغل بالك من
أمر جدى يا هن؟
— شكراً لك، لا يعني شيء!
— أفصح وأخبرنى
— ليس عندي ما أخبرك به يا عزيزتى
ثم استدار ناحيتها مبتسماً وأخذ يرت على
كتفها قائلاً:

— أولى بك أن تأوى إلى فراشك فإني أخاف
عليك حر هذا المكان
— حسن ما تقول، ولكن هلا تذهب أنت
أيضاً إلى الفراش؟

— حيناً أفرغ من مضغ هذه اللقافة
— لك ما شئت، ولكن أرجو أن تسرع
ثم أخذت تنحدر من على الدرج بيضاء وترآخ
وأجمعت إلى الداخل. وهكذا ظل هن وحده يتأمل
جمال فلورنسا شاكرآ للظروف تلك الوحدة التي
كان يطمناها للتخلص من دوريس ورغبات هواها
الجامع، التي لا تعرف حداً ولا شباكاً. لم يبق
«هن» حتى هذه الساعة آلام الحب وطاغوته،
ولكنه يجرب آلام المحبوب المطلوب، وبذلك
كانت هذه الأسابيع الأخيرة فترة التاعب، حيث

أما جانبيت فإكان أشد بلواها! لقد كانت المحسرة
تطل من عينيها، ويحجم الأذى على أنفاسها. لقد
فكرت في أن تنتم لنفسها، وويل للرجل إذا
فكرت المرأة في الانتقام منه!

لنرجع إلى ماكانه جانبيت بشأن الهوى والليل.
لم يكن هذا سوى قصة قديمة منبوبة، ولكنها
كانت حقيقة ملموسة. لقد كانت أشبه بسحابة
سوداء مشحونة برعود الكهرباء، أما هو فكان
أشبه بينيامين فرانكلين إذ أرسل طيارته إلى
صدر ذلك الوعيد، ثم هاهو ذا الآن يشكو، وقد
نجحت ألويته

كل ذلك وما زالت المسكينة خاشعة قائمة بجانب
المقدس. ترى ما الذى أزججه؟ ولم لم يتابع مداعبته؟
لماذا تخلى عنه «عدم الاكتراث» وما الذى رده
عاقلاً في طرفه عين؟ يتحمل زهربر الجو بلا شجر
ولا تأفف؟ أما هو فلم يكن ليمرف لهذه الأسئلة
من جواب، ولم يعد يرى في فكره سوى فكرة
الفرار، وكان تنفيذها شاغله الوحيد

— ٤ —

سألت دوريس هن قائلة:

— ما الذى يشغلك؟

— لا شيء!

ثم ساد سكوت ظل خلاله هن لا يتحرك،
متكئاً بمرقة على سياج الردهة ومتمدداً ينفقه على
يده، ومظلاً يصوره يشاهد فلورنسا التي اختار

فالتفت حوله قائلاً بالمحادثة في الحقيقة تقطف بعض الفاكهة ، وكانت شابة من نابلي شردها فأنفخت طريقها نحو الشمال حتى وصلت فلورنسا . ويروح عليها أنها من الطبقة للتسلية وإن فسدت أخلاقها كما تدل سجنها على أنها من الطابع الصقلي ، وقد ارتسمت على وجهها دلائل البناء ، وليس بها من أثر للجبال ، إلا دلائل التراسمة المزخرفة ؛ ونحت ثيابها السوداء الكثيفة تكهن هن بوجود جسم قوى ممتلئ ثابت ، فأخذ ينظر إليها في دهشة ودية ، ثم تحولت تلك الدهشة إلى رغبة ، ثم أصبح ذكرها لديه كشمس فيو كريتوس القصصى حتى قال عنها : « هكذا تكون المرأة » غير أنه تأسف أن لم يكن من طبعه متناقضاً ، وقد أصبح يحببها ، ولكنه صالح بها :

— أرميدا !!

فأجابته بسمعة جذابة أكملت ما وراها من معنى ، فأدرك هن الخوف من الوقوع مرة أخرى في الماوية ، فرأى من الخير أن يتراجع بسرعة قبل أن يتردى في الحفرة ، بيد أن الفتاة لم تزل تنظر إليه نظرات مبهمة ، ثم نادته قائلة :

— ها ! شياو !!

فصيح هن ثم قال على حدة : أعقل أم غياوة ؟ لا رجحان لواحد منهما الآن . على أن البناء لم يزل وانحما ملوساً ! « ثم أجابها في صوت مرتفع قائلاً : — اسكنكو !

ثم أخذ يمدُّ السلام الموصلة من الروبة إلى الحقيقة وهي نازلة بقوله : « إلى تحت .. إلى تحت .. إلى تحت ... » حتى أتى على الاثنى عشرة درجة ،

ظلت « دوريس » ملازمة له كالقريب ، لذلك ما كان أعظم فرحه بالوحدة المادية

انترع هن من حبيبه رسالة ونفضا على مضض ، فقد أصبح يمت الخطابات لما تحويه دائماً من أخبار غير سارة ، خصوصاً عقب زواجه الثاني . كان هذا الخطاب من لندن أخته ، فأخذ يرغى ويريد عند تلاوته وقراءة مثل هذه المبارات « بسرعة ، الظالة الطائشة ، الانتحار الاجتماعي — شديدة البرد في قبرها — شخص من الطبقة الدنيا » كل ذلك كان يأتيه تبعاً في كل رسالة يرسلها إليه قريب صادق النصيحة والود ، صافي التفكير . أخرجت هذه الكلمات صدره حتى كاد يهم بتمزيق الرسالة لولا عبارة لها في ذيل الصفحة الثالثة ، اضطرب قلبه عند قراءتها إذ كانت مزعجة مثيرة للنفس المادية وهي أن جانيث أخذت تطوف على كل إنسان تخبره أن هن قد دس السم لزوجته إيميلي حتى يخلو له الجو ، فيبني بدوريس . فما أشنع هذا الحقد من رجل متواضع لطيف الأخلاق كما كان يدل عليه مظهره . ومن أجل ذلك غدت نفس هن كالرجل من النيط فشرع يتلى بذكر الأسماء وسب تلك المرأة :

ونجاة رأى سخريه موقفه فقال على حدة : « لو علم الناس مبلغ ما تحملت وما آل إليه أمرى من البؤس لما صدق أحد فكرة دس السم لزوجتي لأخطئ بدوريس . ولكن ما القى نالته من ذلك جانيث المزنة السكنية . لقد أرادت أن تلبس ثوب الحقد فلم تفر إلا بثوب البناء ! »

أفاق هن من أفكاره للتشبه على وقع أقدام ،

الجرائد هذه الفرصة واتخذتها مادة لنفاد تنذى به قراءها مدة طويلة

كانت حالة حق حيناً دعى من إيطاليا للاستجواب أمام هيئة التحقيق حالة غضب ، وما كان أعظم شأن تلك القرية للزجاجة التي أدت إلى القبض عليه كأنه مجرم عاقل ، واعتزم إذا ما انتهى التحقيق - وكان واثقاً من براءته - أن يقدم دعوى أمام النائب العام طالباً الحكم على جانبيت بأشد العقوبة جزاء لما على تلك الحادثة الكاذبة

بدى التحقيق وأطلت الدلائل القوية ضده برأسها ، وبحث الخبراء الجثة فوجدوها مسممة بالزرنيخ ، وهكذا أخذ قراء الصحف يتبعون كل لفظة مما يحويه الحادثة ، كما كان القرار الأخير للخبراء أنها ماتت بالسم

بهت حق لساع هذا القرار وتمجب كيف ماتت زوجته على هذه الحال . بل ما كان أشد دهشته حيناً علم أن هناك مستحضرات ممزوجة بهذا السم في البيت تكفى لقتل جيش

علم حق على أثر ذلك أن هناك مكيدة درت ضده ، وأنها آخذة في التماطم كنبات من نباتات المنطقة الحارة ، ثم أخذت تشتتل وتضيق عليه حتى خيل إليه أنه سيهلك في غابة ملتفة . وبعد فحص حالة التسم قرر الخبراء أنها تناولته قبيل الموت يتأذى أو تسع ساعط (أى حالاً مضى حق ليحضر الدواء وحيناً أفرغت جانبيت القهوة) (تلك وجهت جانبيت هذا السؤال إلى الخبراء :

— أقصدون وقت الضاء ؟

— أجل !

وهكذا رأى حق نفسه يخرج من غم إلى غم ومن ظلمة مملوءة بريح وبرد إلى هاوية مملوءة بوحل التفكير .

— ٥ —

شلت قصة حق الصفحة الأولى من الجرائد عدة أيام حتى بلغت من الشهرة مبلغاً لم تصل إليه قصة أخرى منذ أن غطى « جورج سمث » على حوادث الحرب الأوربية لإغراقه عروسه السابقة في حمام ساخن . ولقد كان من جرأ ذلك أن تارت ضحكات الجمهور من أجل قصة قتل ظهرت في الوجود بعد أشهر من وقوع الجريمة . وهنا يتجلى الشعور بأن هذه الحادثة جديرة بالاهتمام في تاريخ الإنسانية لتدريتها ، ولأنها تقصص عن تصاريف القدر في تحريك أعنة البشر . كان أسلوب القصة يقول إن رجلاً خبيثاً حركة هوى فاسد ، قتل زوجته وقد قضى شهراً ملوثاً بالجريمة تحت ثياب البراءة المزعومة ، لا لينجو ، بل ليقع أخيراً على أبشع صورة في المحفرة التي أعدها لتيره . وها هي ذى الجريمة يتكشف عنها الستار ، ويماط عنها اللثام . وها هي ذى القضية تملن ، وهكذا أخذ قراء الصحف يتبعون بكل يقظة ما تجرى به يد التدرفى هذه الحادثة التريية

كانت هناك إشاعة مهمة لكنها جديرة بالناية رددتها أنواء جيرانه وقام البوليس أخيراً بضبط الحادث وإجراء اللازم ، كما أخذت ظروف القضية ترتيبها في التحقيق ، ثم التحرى ، ثم شهادة الخبراء فالرافضة للحكم ، كأنها قصة روائية ، وقد استتلت

تفكيره وحديثه النفساني . تأوهت دوريس فجأة وهي تقول :

— إنها خطيئتي ... إنها خطيئتي ... ليتني لم أحبك ولم أسمع لك بحبي بل ليتني لم أخلق لم ينس هتن ميت شفة لكنه أخذ ينظر في سكون إلى ذلك الجسد الرطب للتمدد على الفراش ، ثم قالت دوريس :

-- لأكتن نفسي إن أسألك شيء ما !
ثم اعتدت في جلستها وأخذت يديه في راحتها ونظرت إليه نظرات شاردة كأنها نظرات الوداع ثم قالت :

— إني أحبك ! إني أحبك ! إني أحبك !
وجذبت إليها وهو مستسلم لا يتحرك ، وعاقته ثم دفعت نفسها إليه في قوة ، وقالت :
— آه يا هتن ! لا أظنني أحبتك مثلاً أحبك الآن فما العلة ؟

تخلص هتن من عناتها ونهض قائماً بحر الوجه قائلاً :

— كأنك تصديق أني قتلت زوجتي ، إن ذلك لضحك حقاً ، فأى صورة تمثلها الأذهان جميعاً لشخصي ؟ أنتظوني بطلا من أبطال السينما ؟
ومنذ ذلك الوقت بدأ هتن يشعر بفقد اعتداله الخلق وتحول حنقه وخوفه وارتبائه إلى غضب شديد عليها وقال :

— ما أقبح ما أنتن عليه من غباوة مرهونة !
أما عندكن إحساس بما يلائم عقلية الرجل للتمدد ؟ أما من سبيل إلى ذلك ؟ لعلك تظننني أني قد جئت بجيبك جنوناً يجعلني على ارتكاب أية

فاستدعت كلارا ثم قالت جانبيت
— إن إميلي كما أذكر طليت من (كلارا) أن تحضر لها الدواء فتقطع هتن لاحضاره بدل الخادمة وأكدت الخادمة قول سيدتها فعاتت مس اسبنس تقول :

— فضلاً عن ذلك لم يحضر الدواء في زجاجة بل أحضره في زجاجة خمر .

أثر ذلك القول في نفس هتن فضاع غضبه وأثره عن عرش كبريائه خوفاً وفزعاً ، وغلب على ظنه أن من السخيرة أن يؤخذ هذا القول كله على سبيل الجد ، وأن يصبح حلم الليل حقيقة ، بل قد أصبح في حكم الواقع بثوبه ، ولم لا يكون ذلك وقد رأيها السائق « ناب » غالباً ممّا ، بل قد ساق العربة يوم ماتت إميلي ، بل قد رأيها يتبادلان المتاب أجل التحقيق . وفي مساء ذلك اليوم ذهبت دوريس تشكو صداعاً ، ولا ذهب هتن إلى غرفتها بعد الفداء وجدها تصيح فجلس بجوارها على السرير ثم سألها قائلاً :

— ما الذي ألم بك يا عزيزتي ؟
ثم أخذ يداها بخصلات شعرها بيده ، غير أنها لبست وقتها طويلاً دون أن يجيبه ، فال عليها وقبلها في كتفها الماري ، يد أنه كان مهموماً بما شغل باله فأخذ يقول على حدة : « ماذا تم ، وكيف اقلب المفرد والفتنول إلى حقيقة . كيف ماتت إميلي سممة بالزرنخ ؟ ما أتبع ذلك وأيمده عن الامكان ؟ لقد انحرقت نظم الحياة ! » وطلق يستدر الرحمة من الطين وعدم الاكتراث ثم يقول « ما الذي حدث وماذا سيحدث ؟ » وسمع صوتاً قطع عليه سلسلة

الزم على أن يرجع إليها مهما كلفه ذلك من نزول
عن كبريائه . ولقد كان يستجلب الخطي ليرأها ،
فلما دخل البيت وقف متردداً يفكر في ألفاظه التي
قالها أمامها مخافة أن يكون قد جرح شعورها ،
أو آلمها ؛ وشعر بالتدريج يحز في نفسه ، ويهيمن على
إحساسه

دفع الباب ودخل الحجرة فوجدها مستلقية
على القرائش مهمومة ، فإذ أنه حتى تبسمت بسمه
تثقلت فيها دلائل الإخلاص والمحبة التي ينطوي
عليه فؤادها له ، وما شعر به نحوه من عطف ،
فأقبل يداعبها ويستمتعها عما بدر منه

أخذت قضية مستر هن دوراً خطيراً ، وأجمع
الخبراء والأطباء رأيهم على أنها ماتت مسممة بالزرنينخ
كما اجتمعت القرائن والدلائل على أن مستر هن هو
الذي دس لها السم ليتخلص منها ويتزوج دوريس .
وكان العامل الأكبر في إثبات التهمة عليه هو
حبيبته السابقة جانييت اسبنس التي دبت النيرة في
قلها حيناً تخلى عنها وتزوج دوريس ، فدفرت هذه
المكيدة ، على حين كانت تريد هي أن تكون
زوجته ، وكاد أملها أن يتجمع في الاقتران به ،
ولكنه تركها إلى دوريس ، فلا جرم أن أحست
بأخيرة تقطع أوصالها فدفرت ما دفرت

وفي ليلة الحكم عادت جانييت اسبنس إلى منزلها
وهي لا تدري أيسرها هذا أم يسوؤها ، فنامت على
أسوأ حال من سوء الحضم ، وأخذ الطبيب لمبارد
يتردد كل يوم لميادنها ، أما هي فقد كانت منحوض
معه في الحديث حول قضية مستر « هن » الذي

جرعة ؟ متى يجوز في عقولكن أنها النساء أن اللره
لا يذهب في حبكن مذهب الجنون ؟ كل ما يبحث
عنه الإنسان هو الحياة المهادنة التي لا تسمح لأحد
يلوغها . فمن لي بعرفة ذلك الشيطان الذي قادني إلى
زواجك الذي لا أحسبه إلا ضرباً من النباء . ثم
أراك الآن تحومين حولي قائلة إنني القاتل . مالي
على حمل ذلك صبر ولا جلد »

ثم انطلق نحو الباب مطلقاً لسانه بكلمات مزيجية
ما كان له أن يتسرع بالتلفظ بها كما يعلم ، لكنه لم
يتألم نفسه ، ثم أغلق الباب بشدة خلفه

سمع هن عند إغلاقه الباب صوتاً يناديه ،
فصرف في الصوت « دوريس » زوجته وسمع صوتها
تتخلله نبرات الحزن والأسى ، فهل يا ترى يرجع
إليها ؟ نعم حق عليه أن يرجع . وما إن مسَّ
مقبض الباب بيده حتى تغير رأيه ونزع يده بشدة
وانصرف لسيبله ، ولما نزل إلى منتصف السلم توقف
ودار بخاطره أن ربما أقدمت دوريس على مالا محمد
عقبه ، فتلقى بنفسها من النافذة ، أو شيء من
هذا القبيل ، فأسنى باهتمام فلم يسمع صوتاً ، لكن
كثر حذسه ونحيمته ، فتصورها وقد رفعت مصراع
النشباك ، ثم إذا بها تطل في هواء الليل البارد بينما
يتساقط رذاذ قليل ... كانت الردهة المرسوفة تقع
تحت هذه النافذة على بعد خمس وعشرين أو ثلاثين
قدماً ، وفي أثناء سيره في شارع « بيكادل » قفز
كلب جفأة من شباك في الطابق الثالث من عمارة
« رتر » رآه هن وهو يقفز وسمه وهو يتعلم
بالأرض ، فتذكر دوريس وخشي أن يكون هذا
نذيراً سيئاً ، أو أن تكون قد ألقت بنفسها ، فجمع

— وربما كان ذلك في التهمة ؟

فأشارت إليه بالإيجاب

وحينذاك تناول الطبيب القلم ، وبمهارة وحقق

ورزاة كتب لها تذكرة طبية بلم دواء منوم

حسن مبني

كتاب صحي مجانيًا

الآلة البشرية وما يجب أن تعرفه عنها . العقل والجسد . العقل الباطن . اللند . أسباب الأمراض . العلاج بالمقابر . التربة البدنية . الطب الطبيعي . التحليل النفسي . الأمراض المزمنة والعيوب الجسمية والاضطرابات العقلية وأعراضها وعلاجها . النحافة . السمرة . قمر القامة . ضعف الصدر . اعوجاج الأرجل والتظهر . الكساح . ضعف الأعصاب . الروماتزم . سقوط الشعر . تجعدات الوجه . الربو . الامساك . الأرق . الخجل . الورم الوسوسة .

١٠٠ صفحة مصورة ترسل إليك بدون أي

مسئولية ولا مقابل وسوف تكون بداية حياة جديدة بالنسبة لك . أطلب نسختك اليوم الآن بالكتابة أو بالتليفون رقم ٤٤٩٠٣ أو بالحنور من

محمد فائق المجرى

أخصائي في التربة البدنية والطب الطبيعي وعلم النفس
البيادر ٢٨ شارع فؤاد الأول من ١٠ - ١٢ ومن ٨ -

تليفون ٤٤٩٠٣ أو ٥٠٣٥٩

كان زواجه سيكاً في إغلاء مراحل حقدها ، حتى أنها كانت تقول للدكتور « لبارد » في دهشة تتجلى في عينها :

أليس من العار أن تذكر أن شخصاً كان يؤوى قاتلاً في بيته ؟ أليس فوق التصور أن يظل الانسان جاهلاً حقيقة أخلاق إنسان آخر زمناً طويلاً ؟

هكذا كانت تقول للدكتور لبارد بينما كانت هي التي دست السم لإملي وقادتها التيرة المعياء لأن ترج بهن أمام ساحة القضاء لتلوث سمته وشرفه ، ولكنها كانت تشقه . وقالت :

— هاهي الفتاة التي فرّ بها من طبقة وضيفة لا تريد على كونها أمة مباحة . وهاهي ذى الأخبار ترد بأن زوجها الثانية تستقبل طفلاً جديداً سيكون نبياً ، إذ يولد بعد موت هذا الوالد الأثيم وكان هذا الطفل يخرج صدرها ويؤذيها وكان الطبيب لبارد ينصت إلى كل ذلك صامتاً ، ولكنه في آخر مرة زارها وبعد أن سمع ما قالت ، أمسك يده القلم ، وكتب لها اسم دواء

وفي ذلك الصباح قاطعها أثناء حديثها الذي تمود أن يسمعه من سباب ثم قال لها بلهجته الحزينة وصوته المنخفض

— على كل حال فاني أفرض أنك التي دستت السم لروحة حق ؟

فحدثه جانب برهة بينين متقدتين ثم قالت بلطف :

— أجل فملت ذلك !



الرسالة

مجلة أسبوعية للثقافة والفكر والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر الغبرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحمي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدده ديوان العرب المشترك . وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الفاحل ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جيباً مصرية ، والبلاد العربية بنجم ٢٠ ٪

الهرولة

مجلة أسبوعية للفصحى والنثر

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

برل الاشراف عن مئة
٣٠ في صر والسودان
٥٠ في الملك الأخرى
١ عن المد الواحد

الوزارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيّة الخضر - القاهرة
تليفون ٤٧٣٩٠ ، ٣٤٥٠

السنة الثانية

١٤ ذى الحجة سنة ١٣٥٦ - ١٥ فبراير سنة ١٩٣٨

العدد ٣٦

ترى على هرد شارة الشاعر إلا أنه
حليق . وفي الواقع أن هرد شاعر رفيع
الطبعة في بيئته التي يجمل للشعر السكاكة
الأولى وللشاعر الدور الأول . ولكنك
ترى على فرائينج سبب الأتفاق الناصر
الذي يجمل من جمعه بطلاً في الملاكمة ،
ومن قلبه دون جوان في الحب

قال لوما كس هرد وهو يرد مطفئه بسأل
صاحبه في لهجة تم على الثبات والإصرار : أليس
لديك ما تقوله ؟ فوقف جون فرائينج أمام حاوت
كتب على واجهته : « جوتل - بائع أسلحة » ثم
قال : إن مالدي لا يبرعته الكلام ، فانا أدخل هنا .
ثم اقتحم الحانوت ، وتود هرد قليلاً ثم دخل في أثره
كان بائع الأسلحة رجلاً بين الممرين عليه
سترة من القطيفة السوداء ، فلما رأى فرائينج بدوره
بالتحية على طريقة الأخصائي الذي طارت شهرته
إلى لندن . فرد عليه جون التحية بصوت غليظ
أجش ، ثم طلب منه سمسماً . فقال : البائع وهو

قتلك

للكاتب الانجليزي أرنولد وينت
بقلم أحمد حسن الزيات

في عصر يوم من أيام الخريف كان رجلان
أحدهما لوما كس هرد والآخر جون فرائينج
يمشيان جنباً إلى جنب في ساحة البحيرة « بكنجات » .
وكنجات شاطئ جميل من شواطئ الاستحمام ، وتفر
صنبر من ثنور المائش . وكان كلا الرجلين حسن
الذرة موفور الصحة يهدف للخمسة والثلاثين من
عمره ؛ وذلك كل ما بينهما من شبه . فاما لوما كس
هرد فكان دقيق اللامع ضخم الجبهة أشقر الشعر
وثيد اللحية ؛ وأما جون فرائينج فكان أغم الجبين ،
بارز الذقن ، تشمرك غايل وجهه بالتحدى ، وبذلك
جفاً خلقه على المربة

وفراقتينج لم يتبادلا الخطاب منذ دخلا . فطلب إليه نوعاً من السيوف لا شفرة له ؛ وهو طلب ورد على خاطره فألقاه كما جاء . ففض ذلك من كرامة جوتل وقطع في اختصاصه . ثم مجازياً الحديث هنية واعتذر هررد اعتذار الخاطئ ، ثم انصرف انصرافاً لئيم ، وهو يقول لنفسه إرضاء لضميره : سأعود إلى البائع فأقنعه بمن السيوف ، أو أرسل إليه حوالة بريدية غفلاً من الإيمضاء . ثم اجتاز الساحة فأبصر على بعد شبح فراقتينج يتسحب وحده على الرمل ، فغلب إليه أنه رآه بهز السدس ، وأنه سمع بطلقه ؛ ولكن السافة كانت بينهما بعيدة فلم يستطع أن يميز بالأمر . وقطع فراقتينج الساحل من زاوية إلى زاوية فتاب عن بصره . فظن هررد أن صاحبه اقلب إلى (النظر الجليل) وهو الفندق الذي لقيه أمام بابه منذ ساعة . فأخذ سمته إلى هذا الفندق ؛ وكان فراقتينج قد أخذ المصعد الصنبر ليرقى به المصخور العالية فكان يمشي أمامه . واطلع هررد من إحدى النوافذ فرأى فراقتينج يدخل وهو الفندق ويمسك في أحد المقاعد ؛ ثم بدا له فهض وغلب في الدهليز . فدخل هررد من الباب في هيئة المجرم فلم يصادفه بواب ولم يقابله ساكن . حتى إذا بلغ آخر الدهليز وجد نفسه في حجرة البليارد ، وكان الليل قد أجبل ، وموقد الصلصال تشتعل فيه بأرخيفية ، فلم تستطع أن تكسر من برد الحجر . ومع ذلك ظلت النافذة مفتوحة جرياً على هوى الانجليز من جهم الهواء البارد ، وتوخهم جانب الخشونة من العيش . وكان فراقتينج قاعداً يتأمل وظهره إلى النار ، وبنقة مطفئة إلى فوق ، وسيكارة مطفأة في زاوية قه . فلما أبصر هررد دفع ذقنه إليه متحدثاً وقال : — أتتبعني إلى كل مكان ؟

فأجابه هررد على الفور بلهجة الرقيقة الوردية :

يمرض عليه بعض الأنواع : لملك خير بأصناف للسدسات ياسيدي ؛ فقال : إن معرفتي بها قليلة . فقال له هل سمعت بطراز وبلي — ٣ ؟ إنه خير طراز للاستعمال المتبدل

وكانت عين السيد جوتل تطلب إلى فراقتينج أن يكفيه رأيه وبقيه اعتراضه . فأخذ يفحص السدس (وبلي — ٣) ويستمع إلى البائع وهو يقول : أنظر ! إن له خصيصة تميزه من غيره ، وهي أنك لا تستطيع استعماله وهو فارغ . لذلك تأمن أن ينطلق من ذات نفسه فيجرح أو يقتل مرشح الموت . ثم افتر جوتل عن إتيامة رقيقة أتم بها هذه النكتة وهي إحدى نكاته القديمة . فسأله فراقتينج في غضب : وماذا للتأرجح ؟

فقال جوتل : أه ! أه ! فطلب منه أن يريه كيف يحشى فأراه . ثم لاحظ الشاري خدشاً في مؤخر السدس ، فأخذ البائع يفحصه في شيء من الألم ثم قال متفاناً : سأعطيك غيره مادمت صعب الرأس شديد الماحكة . فقال له أحشه إذا شئت . فحشا جوتل السدس الثاني وتاوله إياه ؛ فطلب إليه أن يجربه ، فقادته إلى قبو وراه الحانوت أعد لهذا الترض

وفي هررد وحده في الحانوت ، فتردد طويلاً ثم تناول السدس الذي رفضه فراقتينج وأخذ يروّزه في يده ، ثم بوشمه ، ثم عاد فأخذه ، وانفتح الباب الخلفي بفتحة فذهل هررد لهذه المفاجأة ، فوضع السدس في جيب مطفئة من غير قصد ولا وعي . وسأل جوتل فراقتينج أريد رصاماً . فقال إن له بهيئاً ، لأنه لم يطلق إلا واحدة . وفي هذه الرسامات الخس كفاية الساعة . ثم دفع التمنى وخرج وفي يده السدس فلم يدع لهررد وقتاً يقر فيه على قرار . وسأل جوتل الشاعر ماذا يريد . ففهم هررد من سؤاله أنه حبه شاكياً آخر اتفق دخوله الحانوت على أثر دخول فراقتينج . ورجع هذا الحبيب في نفسه أنه هو

وأخرج فراينج من حبه الداخلي كتاباً ثم نشره وأخذ يقرأ بعض فقراته :

« لقد قطعت الزم على أن أشاركك . وأنا أعلم أنك تعرف الرجل الذي يذل مايندل في مساعدتي . لقد أصبح من المحال أن أشاركك . إنك عديتي ورائت في عبادتي كما زعم ؛ ولكنني ضقت ذرعاً بطريقك التي تلن بها حبك إلي . إنها طريقة تذل النفس وترمض الفؤاد . لقد قلت لك ذلك مراراً وأنا أقوله لك الساعة لأخر مرة »

— وعلى هذا النحو من الثثرة والمهذر كل الرسالة . ثم مرقتها قطعتين ري إحداها وبرم الأخرى ، ثم التفت إلى النار فأشعلها وأشعل منها سيكارة وقال : هاك صنيبي بهذه الرسالة . إنك تساعدها . أليس كذلك ؟ أنا لأقول لك بمهما أو إنها تحبك ، فليس من طبعي أن أجازف بالحكم القاسي ، وإنما أسألك إننا كنت لا تحبها فلماذا نجشم نفسك الأهوال في سبيلها ؟ يجب أن نأقار الأرض واحمل معك الواساة للنسوة اللاتي زعن من أهن بإسكات ، فذلك لا يشغل بالي . وكل ما ينبغي أن تقرر في ذهنك أن إميلي لن تفارقني ، فإن معها المال وليس من شيء . فأنا أعيش حياة على ما لها كلاً عليها ، فإذا تركتني زلت في النازلة التي يرفض لها صبر الصبور .

أليست هذه الحجة سديدة للاحتفاظ بها ؟ ولكن صدقي أو لا تصدقي ليست هذه هي حجتى . إنها لم تعد الصواب حين قالت إنى أعجدها ؛ وتلك حجة أخرى للاحتفاظ بها ؛ ولكن ليست هذه الحجة ولا تلك مما يدخل في منطقي . إن الزوجة في رأيي هي الزوجة . ولا تستطيع هي بهذا الاعتبار أن تخون عهداً بمحبة أن طريقها ليست كلها ورداً ، وأن حياتها ليست جميعاً غبطة . لقد سمعنا تقول إنى فاحش الخلق دنس المرض ، ولكنى لست في الثانية من القنص والهنس ، فلا أزال أحترم ما يسمونه العلاقة الزوجية

— نعم . ولقد جئت لأحدث إليك ؛ ولولا أنك خرجت من الفندق ساعة دخلت لقلت لك ما لى ؛ ولم تكن في طريقك على حال تسمح لى بمواضعتك الرأى . ولا بد لنا من بعض الحديث ، فإن عندي شؤوناً شتى أريد أن تقف عليها وكان مهجراً هادئ النفس والصوت كدأه ، فتقدم نحو البليارد فصدده فراينج بإشارة من يده ، وقال له في لهجة يظهر فيها الحزن والفتور والروية : إستمع إلى ! إنك لا تستطيع أن تقول لى ما لا أعلمه . وإننا لم يكن من الكلام بد فأنا أقول لك . فإذا فرغت من الكلام وجب عليك أن تخرج :

« إنى أعلم أن زوجتى احتجرت عليها على الباخرة (هارويس) القاذية إلى كوبنهاجن ، وأنها مشغولة بمجواز سفرها ومتاعها ؛ وأعلم كذلك أن لك منافع في كوبنهاجن ، وأنت ستقتضى بها نصف وقتك الثمين . وليس من هى أن أنكر فى الاقتراب منك » كل ذلك لا يعينى ، فإن (إميلي) رأيتك كثيراً ، وقد رأيتك في هذين الأسبوعين أكثر . لا تظن أنى أرى في ذلك بأساً أو مضرة ، فإنى أعلم أن إميلي تشكو جفاف معاملتى وسوء سلوكى . ذلك صحيح ؛ ولكنها مسافة بينها وبينى ، لا تمنيك ولا تمنى أحداً من الناس . فإذا عجز عنها وسئها لجأت إلى الطلاق ؛ ونجاحها في الطلاق أمر مشكوك فيه . ولكن الرء لا يدرى ماذا تسفر عنه هذه القوانين . وعلى أية حال ستظل إميلي زوجتى حتى يقع الطلاق . وستبقى لى عليها واجبات الزوجية ولو كنت شر الأزواج جميعاً

« ذلك رأى أفصحته عنه . وتلك لعبة طال عليها القدم فأصبحت لا تجوز على أحد

« لقد جئت منها كتاب منذ قليل . فعلى إننى تعرف أين أنا ؛ وذلك يسهل وجودك هنا . فقال له مررد في لهجة الهادئة : ذلك صحيح

لثهم الجريئة ، وغرضنا اللطاع البذيئة ، فرأى أن ينصرف من غوره على مجل . أخرج من الدهليز المؤدى إلى البهو ؟ كلا . إن ذلك آخر ما يفكر فيه . إن أسامه النافذة ! فخطر هرد إلى الجثة نظرة ، ثم لح في الظلام النائي سيكارة القتل تبص على البساط الأخضر القاتل وألقاها في النار . ثم هناك طرفاً من الستار الضروب على النافذة وأطلع فرأى النور في الفناء أضواء منه في الحجرة . ثم لبس قفازه وأثنى على الجثة النظرة الأخيرة ، وقفز من النافذة فكان في الفناء البلبط بالقرميد . والتفت فإذا الستار قد عاد إلى حاله ؛ ونظر حواله فلم يجد إنساناً يدب ولا نافذة تنص ، فأعجب نحو باب من الأبواب ودفعه فافتتح مصراعاً من طريق غير نافذ ، فأرآه عنه وجال حتى اهتدى بعد الأذى إلى ساحة البحرية . ثم أوجت إليه بيهته عفو الساعة أن يضلل مفتق أثره ، فقرر أن يعود إلى الفندق من باب العالم ، فدخل الردهة على سهل وجرداً ، فرأى بوابة تفتح بالظلام فجاء وسأله عن غرفة خالية . فقال له : ياسيدى ، إن الدبر قد سافر إلى لندن ، والوكيلة قد خرجت لبعض شأنها ولا تلبث أن تعود . فهل تفضل بالجلوس ؟ ثم أثار البواب البهو فدخله هرد مخطوف البصر واستوى على أحد المقاعد ثم قال : هل أستطيع أن أشرب كأساً من الكوكيتل ربنا نجى ؟ فأجابه البواب : تستطيع ياسيدى ولا شك . وسأريك بأنا نفسي ، فإن التلام النوط هذه الأمور لا يعمل اليوم . ثم ولى ، وخلا القاتل إلى نفسه فقال وهو يصوب نظره في الدهليز الطويل : فندق عجيب ! أستطيع هذا الخادم أن يدره وحده ؟ ولكن لا عجب فحقن في فصل الكساد . ثم سأل نفسه : ليت شرى ألم يسمع طلقة اللدس أحد ؟ ثم أخفته رغبة قوية في الحرب ، ولكنه راجع حله واستعاد جاشه . ودخل البواب

ثم أخرج مسدسه من جيب معطفه وقال : إنك ترى هذا اللدس ، وقد رأيتني أشتريه ، فلأبأس عليك منه . ليس في منهجي أن أقتلك . وأعمالك لا تلفت نظرى ولا تشغل بالى . إنما يستنى ما تعمل زوجتى . فإذا تركتني واتيتك أو أتيتك سواك ذهبت وراها إلى كونهاجن ، أو إلى بنجكوك ، أو إلى القطب ، ثم ألقها بمسدسى هذا . الآن تستطيع أن تنصرف . قال ذلك وأعاد اللدس إلى جيبه ، ثم جنب نفساً قوياً من سيكارة وسكت

وتفرس هرد في وجه صاحبه الكالخ للشتيم النذر ففهم أنه يفعل ما يقول . ومثل هذا الرجل الجرى القلب لا ينكسر عن غاية ولا ينكسر عن جريمة . فإذا تركته إمبلى فكأنها أمضت قرار موتها بيدها ذلك من جهة ، ومن جهة أخرى فإن إمبلى قررت السفر ولا بد أن تأسف . ومن الشديد على نفس هرد أن يرى هذه المرأة التي وصل الحب بين قلبها وقلبه لا ترحمناى ماسوسها وزوجها من المذاب والمهانة . فخطا بضغ خطوات بجانب البليارد ، فنهض فرائضج بقاءه ، فأخرج هرد اللدس الذى في جيبه وسدده إليه ثم أطلقه . فترجخ فرائضج ثم خر صريعاً ليديه على مائدة البليارد . ورتت الطلقة في أذن هرد رنين الوتر إذا انقطع فجاء ، ورأى تقياً صغيراً أحمر في صدغ فرائضج البرزى فقال لنفسه : كان لابد من أن يموت أحدهما ؛ والأولى أن يكون الليت فرائضج لا إمبلى . وشعر هرد أنه أتى أمراً مشروعاً ، ولكنه أحس مع ذلك ببعض الأسف على الصريع . ثم ما لبث أن أدركه الخوف ... أدركه الخوف على نفسه ، لأنه لا يريد أن يموت ، ولا يجب أن يكون موة على المشقة . وأدركه الخوف على إمبلى ، لأنها ستصبح بعده من غير صديق ولا سند . وشق عليه أن يتصورها وحيدة في هذا العالم عرمة

فظ الطباع، وتحيا امرأة لطيفة الروح رقيقة الشئال؟
لقد شفى قلبه الحب الخالص لا مئيل، فهو لا ينكح
عن قتل مائة رجل إذا كدروا عليها صفو الحياة.
وهو جميل النية فلا يئى على إخلاصها ودفاعه عنها
جزاء ولا شكراً. ولأنه ذكر ما صنع فرا تبتع بكتابها
حين مرته وأحرقه وأشمل من ناره سيكرته، نأر
الدم في وجهه من التنب

ودقت إحدى الساعات دقة الربيع فأبجه مسرعاً
إلى الرصيف واستقل سيارة إلى المحطة. ووسوس
إليه الخوف أن رجال الشرطة راقبون المسافرين،
ولهم يكشفون الجرعة. وخيل إليه أن السائق
ينظر إليه نظرات غريبة مرية، ولكنه صرف عن
نفسه هذا الوسوس وتقدم إلى مرافق التذاكر فأراه
تذكرة الإياب؛ ثم صمد في عربة بولان وبحرك
القطار. فلما بلغ محطة فكتوريا ساوره شيء من الخوف
والقلق، فقد وقع في حساباته أن البوليس السري
ربما تلقى خبر الجرعة عن طريق البرق فهو يترقبه
كان القطار القائم من (فكتوريا ستريت) إلى
(هرويس ماريتيم) غامساً بالناس من كل طبقة،
فلم يرد من سقاط الأحاديث أن مؤمراً دولياً
سيمقد في كوبنهاجن، فمن البت البحث عن إميل
في هرج القطار وفوضى الركب. وظل القاتل في أثناء
الساعتين اللتين قضاهما في القطار مثاراً للخواطر
السود والوسوس القاتلة. وقد ذكر أنه نسي قطعة
من الرسالة على مائدة البليارد فصب من غفلة

كان رصيف الباخرة في الرفأ يحور بالناس
موران البحر في يوم عاصف. وكان هرد من شدة
الرحم لا يمضى، وإنما يسير محملاً مدفوعاً حتى بلغ
الباخرة على شيء من هدوء النفس، لأن زحمة الرفأ
على هذا النحو يجمل رقابة البوليس السرى مستحيلة
صغرت الباخرة، وفصلت عن الرصيف، وغرقت
البواب في بحر الشمال، وغدت المجترة صفاً من النور

بالكو كتيل فحجره هرد ثم تقدم فيه ثمانية عشر نفساً
وشكره عليه. ثم قال له: أنا ذاهب الآن في بعض
أمرى وسأعود عما قليل. ثم انصرف وتبد
الخطو رابط الحاش حتى غلب في الظلام.
وانكأ لوما كس هرد على حاجز الرصيف وكل
ما حوله جمادوصمت، فلا عين تراه، ولا أذن تسمعه.
ومع ذلك أجال بصره حوله فلم يجد إلا نجوم الليل تلعب
في الفضاء، وأضواء السفن تسطع على وجه الماء.
فأخرج السدس من حبيه وألقاه في الم. ثم
التفت فرأى من وراء الرفأ الصغير ذلك الدرج العجيب
الذى تتألف منه المدينة الزاهرة. وسمع دقات الساعات
ترن في قباب المائر والكنائس.

إنه قاتل، فلماذا لا ينجو بنفسه من الماردة؟ هل
كان لقاتل آخر أن يظل على حاله الطيبية من
ثبات القلب وراحة الضمير؟ لقد كان كل شيء
على خير ما يريد أن يكون: لم يره البواب لدى دخوله
الفندق أول مرة، ولم يره عند خروجه منه بعد الجرعة.
كذلك لم يترك من وراءه أثر يدل عليه، لا في حجرة
البليارد، ولا على متكا النافذة، ولا فوق بلاط الفناء.
ولكن هناك فرضاً واحداً، هو أن يكون أحد الناس
رأه وهو يتسلق النافذة. ذلك فرض بعيد، ولكنه
على أية حال ممكن. ولم لا يكون بعض من يعرفون
فرائضه قد رآه وهو يسير منه في الطريق فيخبر بذلك
الشرطة؟ كذلك هذا الفرض لا يؤدي إلى نتيجة؛
فإن منظر هرد ليس فيه ما يستحق الملاحظة المرضية
إلا وجهه الضخمة وهي مستورة بقبسته. إن القاتل
يرتكب في الداعة أمراً لا يتجول من إنكار العقل، ولكن
هرد لا يجد فيها ارتكاب غائقة لقله ولا إساة إلى
ضميره. وكل مشعر به بعد أن قتل فرا تبتع أنه أسف
على أن دمته الطرور إلى هذه الناية

كان من المقتضى على أحدهما أن يموت. فهل
يرفض العقل السليم أن يموت رجل غليظ القلب

ولم يأتك يسدى للأمور في (اسكتلند يارد).
 فقال للأمور: الكتور أوسن بوند؟ أهلاً وسهلاً!
 وتصافح الأمور والكور مصافحة الاحترام
 والود. وسمع رجل الخفية اسم رجل البوليس
 السرى المساوى فارتعد إجلالاً ورهبة، لأنه
 يعلم أن عبقرته لندرة في كشف الجرائم وتحقيق
 الحوادث، وقد استفاضت شهرته بعد أن حل رموز
 «القصة الصفراء»، واللمعة الذهبية الخ
 قال الكتور أوسن بوند بعد شخص سريع:
 أجل. إن السكين قتل منذ تسعين دقيقة؛ فمن الذى
 اكتشفه؟ — هذه المرأة التى خرجت منذهنية.
 — ومتى كان هذا؟ — منذ ساعة — هل وجدتم
 الرصاصة؟ — ها هي ذى ...
 فأخذها الكتور وخصها ثم قال: آه! آه!
 إنها مائة ... مسطحة ... كالمادة

وقال للأمور للشرطى: ادع من ينقل الجثة
 فقد فرغ من خصها الكتور
 وكان الكتور حينئذ أمام المدفأة فقال: إن
 القاتل كان يدخن سيكارة. فقال له الأمور: هو
 أو القاتل؟ فقال: هل انتفضيم الأثر؟ فقال الأمور في
 شئ من الزهو: نعم. وطلب من البوليس السرى مصباح
 الجيب، ثم دنا من النافذة وأرى الكتور بصبات
 الأصابع على الزجاج، وأثار الأقدام على الحافة، وضرباً
 منيرة من نسيج غليظ أزرق. فأخرج الكتور جهرراً
 جيللاً وأخذ يفتش هذه الخلفات بتأية ودقة. وقال
 الأمور بلهجة التأكيذ: إن القاتل لابد أن يكون طويل
 القامة: يظهر ذلك من زاوية الإطلاق؛ وقد كان
 يرتدى حلة كاملة فيها فتق صغير؛ وكانت فعل حذائه
 الأيسر مثقوبة، ويده اليسرى ذات ثلاث أصابع.
 ولا يد أن يكون قد دخل النرفة من النافذة ثم
 خرج منها ما دام البواب يؤكد أن أحداً لم يدخل
 الفندق غير القاتل في الساعة التى حدث فيها القتل.

على طول الساحل، فطلق هررد ويحث عن إسمي
 في المركب من القسمة إلى المؤخرة فلم يجدها.
 فظل نهاره متلداً يتحصر من الهم ويتصور من
 التلقن. وأخيراً تلاقها. فقد كانت هي أيضاً تبحث
 عنه. وكان هذا اللقاء الرجو رداً على فؤاده وسلاماً
 لنفسه. لقد كان لها كل شئ في الحياة. فأخذ يدها
 اليمنى وجمها في يديه، ثم جمل يتأملها في ضوء النجوم
 وفي نور القمر وفي لآلئ الصايح. وكانت إسمي
 واحدة النساء في السذاجة والزناة والأمانة والشفقة؛
 حُسنها الرائع قبيد النواظر، ووجهها الحزين السيد
 بهجة الخواطر، وشبابها النض منة الأتس.
 قصت على هررد ماضت، وقص عليها هررد ماضل،
 ثم قالت: ويبد؟ فقال لها: لم أستطع الذهاب إلى
 هناك، فقد ظننت أن هذا أفضل. وأعقد أن ذلك
 لم يكن فيه غناء ولا نفع

لم يكن في نية هررد أن يكذبها الخبر. ولكن
 ماذا عسى أن يقول غير ذلك في مثل هذا الموقف؟
 لقد كذب مرة ثلاثاً يكذب عشرين، وآثر أن
 يخدعها بالباطل على أن يفصحها بالحقيقة؛ فوافقت
 على قوله، وشايمته على رأيه، وقالت وهي تفتت عن
 ابتسامه ملائكية: الحق معك، ونيممًا فلت!

كان مدير الشرطة ورجل من رجال الخفية
 واقفين في حجرة البليارد في فندق (النظر الجليل)،
 وكانت أضواء الصايح القوية تثير البساط الأخضر
 وتسقط على جثة فرانتيغ المأمدة؛ وكانت اسماء
 من خادومات البيت تتصرف بعد أن سالها رجال
 الشرطة؛ وكان يدخل الحجرة ساعة انصرافها رجل
 ضخم الجثة، غيا الشرطين وأغلق الباب ثم قال:
 أنا نازل على صديق الكتور فورنيشال، وقد
 طلبتموه بالتليفون وهو يسالج حالة من الحالات
 الدقيقة الخطرة، فأردت أن أحل عمله فيما تريدون.

ومضى المأمور يترثر بمثل هذه التفاصيل حتى قال إنه أعطى المختصين صورة القاتل كاملة . فغضب الله ككتور على رأيه بقوله : إن من أغرب الأمور أن رجلاً يكون فراينج يترك رجلاً يقتحم عليه الحجرة من النافذة ، وعلى الأخص إذا كان هذا الرجل رث الثياب . فقال له المأمور : إنك إذا تعرف القتل حق المعرفة . فقال الله ككتور : كلا . وأما علمت أن اسمه جون فراينج...

أسر المأمور الجندى يستعد البواب ، وأخذ الله ككتور يفحص الحجرة : يبحث في كل زاوية ، ويتفرس في كل شيء ، فوق بصره على قصاصة ورق في بعض الحنايا فالتفتها ونظر فيها بعين فارغة ثم ألقاها . وحي البواب فسأله المأمور : كيف تؤكد أن إنساناً لم يدخل هذه الحجرة بعد الظهر ؟ فقال له البواب : لأني لم أرك مكالاً لحظة . وكان البواب كاذباً ، لأن الإدارة أخذته بشباه البارحة من غير إذن ، فهو يدافع بالكذب عن نفسه

— وهل تستطيع وأنت في مكانك أن ترى البهوكه ؟ فقال الله ككتور بوند : كان يستطيع أن يكون هنا قبلاً . فاعترض المأمور قائلاً : إن الخادمة جاءت هنا مرتين إحداهما قبل أن يجيء فراينج ، وكانت النار توشك أن تنجوى ، فلما عادت بالوقود راعها منظر فراينج فانكفأت عنه مولية . فرغب الله ككتور أن يكلم هذه المرأة ككتين . فتردد المأمور ، وساءه أن يدخل بوليس هاو فيما لا يمتنه . ولكنه على الرغم من ذلك دعا المرأة . فسألها الله ككتور : هل علمت اليوم هذه النافذة ؟ فأجابته : نعم . فقال أربني يدك اليسرى . فأرته إليها . فسألها في أي حدث فقدت هاتين الإصبعين ؟ فأجابته في حدث اصطدام . فأمرها أن تدنو من النافذة وأن تضع كنفها على الزجاج بعد أن تخلع حذاءها الأيسر . فشقت المرأة باليكاء . فطأها الله ككتور وسألها هل في بعض ثيابها فتوق ؟

فأجابت نعم . ثم انصرفت وفي يدها حذاءها . وأقبل الله ككتور على المأمور يقول له : لقد لاحظت وأنا داخل أن يدها مبتورة الإصبعين . ويمرني أن يحيط علك ، ولكني علمت على اليقين أن القاتل لم يدخل من النافذة ولم يخرج منها . فسأله المأمور وكيف كان ذلك ؟ فقال إن القاتل لم ينادر الحجرة . فدارت عيون الشرطيين في الحجرة يبحثان عنه . ولكن الله ككتور أشار بيده إلى الجثة وقال : إن القاتل هو القاتل . فقال المأمور : وأن أخني السدس إذا كان اتسحر ؟ فقال الله ككتور ذلك ما أبحث عنه . ومن أخطر الأمور أن يلس أحد جثة المقتول قبل أن يحضر رجال الفن . أنظر إلى جيب المطفئ الأيسر : ألا تراه متفتحاً كأن به شيئاً غير عادي ؟ أبحث فيه . فبحث المأمور فأخرج منه السدس . فزعي الله ككتور وقال : هنا هو ثلاث رصاصات أطلقت . فليتشرى أين أطلق الآخرين ؟ أين الرصاصة التي وجدناها ؟ أنظر ! إنه أطلق النار فاسترخت ذراعاه فقطع السدس فجأة في جيبه فقال المأمور منهكاً : وهل أطلق بيده اليسرى ؟ فقال له ولم لا ؟ لقد ظل فراينج اثنتي عشرة سنة وهو بطل إنجلترا الهاو في الوزن الخفيف . ومرجع فوزه إلى أنه كان يضلل خصمه لأنه أعسر . وقد رأيته يميني رأسي مبراراً وهو يلاكم . قال الله ككتور ذلك وأيمه إلى المنصة فالتقط قصاصة الورق وقال : إنها كانت ولا بد عند المدفأة ، فلما فتح الباب أطارها الهواء إلى هذا الوضع . إنها شطر من رسالة ، ولا بد أن يكون الشطر الآخر محروفاً في اللوقد . لقد أشعل به سيكارة . أنظر ! إنها ترثة المحتضر ... هي هذيان الأخير ! إقرأ : قرأ المأمور « ... أكرر أني على يقين من جثتك إياي ، ولكنك قتلت في قلبي محبتي إياك . وغداً سأترك النزل ، وذلك فراق الأبد » (١)

وبعد أن أثبت الله ككتور أوسن بوند بطريقته

مِنْ رَوَائِعِ الْأَدَبِ الْوَاقِعِي الْإِسْلَامِيِّ
كَيْدُ مَعَاوِيَةَ
 يُفْسِدُهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ
 لِالْأَسْتَاذِ دُرَيْخِ خَشْبَه

— ١ —

(في قصر يزيد بن معاوية ليلا)

يزيد — وبعد يا رقيق ؟

رقيق — وبعد ما ذا يا مولاي ؟

يزيد — في أمر أبي معاوية أمير المؤمنين ؟

رقيق — أحسن أمر يا مولاي ! أبوك كاتب

الرسول ، وأمير المؤمنين ، و... و... لا ...

يزيد — و... لا... ما ذا يا رقيق ؟ أتخفي عليّ

شيئاً وأنت وصفي المخلص ... ؟

رقيق — وقد أخذك المهدم بسده ، والسيوف

مسلوطة على رأس الحسين بن علي وعلى من معه !

يزيد — ما هذا قصدت !

رقيق — فاقصدت ! !

يزيد — قد كنت أعرف من جميل رأيك وحسن

نظرك في جميع الأشياء ، ما الثقة في ذلك ، والتوكل

الخامسة وأدلتك القاطعة أن رجال البوليس السري

لا يملكون في الله كاه على الخير ، أتني التحية على الأمور ،

وأوما برأسه إلى الشرطي ، وخرج منصوراً غفورا !

كانت إميلي جالسة صباح ذلك اليوم في ردهة

(البلاس أوتيل) في كوتهاجن حين أقبل عليها

لوما كس هررد وفي يده صحيفة إنجليزية ، فقرأ عليها

عليه ، مني من البوح بما جمعت

في صدري له وطلابه إليه ، فأصاع

وترك من النظر في شأني... فأنه يجزيه

عني يا حسابه ، ويفر له ما اجترح من

عهده ونسيانه

رقيق — وما ذلك جعلت فداك ؟

يزيد — ... ؟ ...

رقيق — ألا لا تلم على تضييحه

إياك فانك تعرف تفضيله لك ، وحرصه عليك ،

وما يخافه من حيك ، وأن ليس شيء أحب إليه

منك لديه ، فاذكر بلاهه واشكر حياته ، فانك لا تبلغ

من شكره إلا يموت من الله !

يزيد — ... هذا حق يا رقيق ... هذا حق ...

وأأسفه على ما فرط مني !

— ٢ —

(في قصر الحلاوة)

حاجب — رقيق ، وصيف سيدي يزيد يا مولاي

رقيق — السلام على أمير المؤمنين

معاوية — وعليك السلام يا رقيق ، ماذا جاء بك ؟

رقيق — رسالة من سيدي يزيد !

معاوية — ماذا قال لك ؟

رقيق — إنه شكاً إلى فقال ، ولم أدر ما عني

تفاصيل التحقيق وقرار الحكمين بأن فراتينج قضى

متحرراً . فقال من المرأة الشابة هذا الخبر فبكت

زوجها أحر بكاء . ونظر إليها هررد نظر الحنان

والعطف وقال في نفسه : إن الزمن بلمس التواد

الجرم . أما أنا فقد أكرهت على ما فعلت .

وسيكون هذا السر بيني وبين نفسي حتى أتى الله

« مجلة مريان ٢ فبراير » الزيات

على تلك النماء شاكرًا ، فأصبحت بها كافرًا ، إذ فرطت من قولك ما أفرقت فيه إضاعتي إليك ، وأوجبت على منه بالتقصير ؛ لم يزعرك عن ذلك تخوف سخطي ، ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتي ، ولم يردعك عنه حق أيقن ! فأى ولد أعنى منك وأكيد ، وقد علت أنى غطأت الناس كلهم في قديك ، وزلهم لتوليقي إليك ، ونصبتك إمامًا على أصحاب رسول الله عليه وسلم ، وفيهم من عرف وحاولت منهم ما علت ! (١)

يزيد — (وقد أخذته الرجة ، وأخذ يعضد من الرق) أبي يا أمير المؤمنين ! لا تزعمني كفر نعمتك ولا تنزل لي عقابك ، وقد عرفت نعمة مواسلتك ببرك ، وخطوطي إلى كل ما يسرك في سرى وجهى ، فليكن سخطك ، فإن القدي أرنى من أعباء حمله وقمله ، أكثر مما أرنى لنفسى من ألم ما بها وشدة ؛ وسوف أملك أمرى ... كنت قد عرفت من أمير المؤمنين استكمل الله بقاءه ، نظرًا في خيار الأمور ، وحرصًا على سياقتها إلى ... وأفضل ما عسيت أستعده بعد إسلامي المرأة الصالحة ... وقد كان ما تحدث به من فضل جمال أربنب بنت إسحاق ، وكال أدبها ما قد سلط وشاع في الناس ، فوقع منى بموقع الحموى فيها ، والرغبة في زواجها ، فرجوت ألا تدع حسن النظر في أمرها فترك ذلك حتى استنكحها زوجها ، فلم يزل ما وقع في خلدي ينمو ويظلم في صدرى حتى عيل صبرى ، فبحثُ بصرى . فكان مما ذكرت تقصيرك في أمرى ، فآله يميزك أفضل من سؤالى وذكري !

معاوية (وقد آله بكاء يزيد) — هلاكها يا يزيد

(١) يشير معاوية إلى ما صنع مع الحسين في أخذ العهد ليزيد فقد أوقف فوق رأسه وفوق كل من رؤوس أصحابه رجلين شاكي السلاح بحيث لو احتج أحدهم بقتله !

(٢)

معاوية — ويحك ! انطلق فادعه إلى ، والله ما أضمتنا منه إلا رحمة له وكرامية لا شجاء وخائف هواه (يخرج ويتدخل ميسون زوج سالوة)

ميسون — لأمر ما كان رقيق هنا الساعة ؟ أمن عند يزيد أقبل ؟

معاوية — من عنده أقبل ، ولست أدري لانا ؟

ميسون — أليكون به مرض ؟

معاوية — ما به هنا ، ولكنى أعرف ما به ، إنه داؤه القديم عوده !

ميسون — داؤه القديم ؟ وما داؤه القديم يا معاوية ؟

معاوية — أربنب ابنة إسحاق !

ميسون — وما في الدنيا من حى خير من أربنب قشقه عنها ؟

معاوية — لكنكته الحب يا ميسون ! أما والله ما رأيت في بنات العرب من لها لفتها وإشراقها وحسن مبسمها وهضم كشحها وأريج رباها !

ميسون — لكنها تروجت ، وعليها الآن عبد الله بن سلام (١) عاملك على العراق !

معاوية — يا لك ؟ ! أيعنيق بهذا معاوية وما ضاق بأبن أبى طالب من قبل ؟ !

ميسون — إذن ... !

معاوية — إذن ... تسكنى !

— ٣ —

(يخرج ميسون ويدخل يزيد)

يزيد — السلام على أمير المؤمنين

معاوية — وعليك السلام يا يزيد من أب ساء ما قلت ! ماذا أضمتنا من أمرك وتركنا من الحيلة عليك وحسن النظر لك حيث قلت ما قلت لرقيق ؟ ! قد تعرف رحمتي بك ، ونظري في الأشياء التى تصلحك قبل أن تخطر على وحمك . وكنت أظنك

(١) ابن خنبة ، ولم يذكره الطبرى

(وينادي) يا غلام ! (يدخل غلام حدث)
 معاوية — قرطاساً وراعةً يا غلام !
 (يخرج الغلام فينبط لحطة)
 ميسون — هذا أمر له ما وراءه ، وإن ألسنة
 العرب ما تزال إلينا عليك ، والرأي أن نشغل ابنا
 برومية أو شامية نخبله ...
 معاوية — أية رومية وأية شامية يا ميسون ؟
 إنها أريبن ... وإله الحب !
 (يدخل الغلام بالقرطاس والفلم)
 معاوية — (يكب لحطة) أتقرأين يا ميسون ؟
 ميسون — (تحرق) ... وأى حظ لابن سلام
 ياترى في أن يقبل ؟
 معاوية — ستمرفين فصيلاً يا ميسون ؟
 — ٥ —

(في قصر ابن سلام بالعراق)
 ابن سلام — يا لها من رؤيا يا أريبن !
 أريبن — أية رؤيا يا عبد الله !
 ابن سلام — ليل يتجانب ولكن لا يتطلع صبحه !
 أريبن — أكان فيه قري يا عبد الله ؟ !
 ابن سلام — ولم يكن فيه إلا نجم واحد يلعب ،
 تقبل عليه أنجم ضئيلة تدخل وتطلع ...
 أريبن — أجل هذه رؤيا ، وإني صاحبها ..
 (يدخل رسول)
 الرسول — السلام على عامل أمير المؤمنين
 ابن سلام — وعلى رسول أمير المؤمنين السلام
 (يخرج الرسول)
 ابن سلام — (يبدأن يقرأ الرسالة) أريبن ،
 جعل الله رؤياي حقاً ... خذني فأقرأني
 أريبن — بل اقرأ أنت ، فقد أزعجتني رؤياك
 ابن سلام — (يقرأ) أقبل حين تنظر في كتابي
 هذا ، لأمر حظك فيه كامل ، ولا تتأخر عنه ،
 فأغذ المسير والاقبال (ينظر إلى أريبن)
 أريبن — إي والله ! إني صاحبة رؤياك ، وإن

يزيد — علام تأمرني بالهل ، وقد اتطع منها
 الأمل ؟
 معاوية — فأين حجابك ومروءتك وحقاك ؟ !
 يزيد — قد ينقلب الهوى على الصبر والحجا ،
 ولو كان أحد ينفع فيما ينقلب به من الهوى بشقاء ،
 أو يدفع ما أقصده بحجاء ، لكان أول الناس بالصبر
 داود عليه السلام ، وقد خبرك القرآن بأمره
 معاوية — فما تمك قبل القوت من ذكر
 ما يتك ؟

يزيد — ما تمنى ؟ تمنى ما كنت أعرفه وأثق
 به من جميل نظرك
 معاوية — صدقت يا يزيد ! ولكن اكنم يا بني
 أمرك بحلمك ، واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك ،
 فإن البوح به غير نافعك ، والله بالغ أمره ، ولا بد
 مما هو كائن
 — ٤ —

(معاوية وميسون)
 معاوية — ألم أقل إنه الهوى وحرق الحب ؟
 ميسون — أرجو ألا تكون قد رنت له ولا
 أن تكون قد قسوت عليه فيجن جنونه في الحالين !
 معاوية — بل أخذته بهما معاً ، وإني ضروجه
 من أريبن حتى لا يوادده هواه فيفسد عليه أمر
 الخلافة .

ميسون — تروجه من أريبن وهي تحت رجل
 من عمالك يا معاوية ؟
 معاوية — ولم لا ؟ أي أعقد من نصر حصنا
 عليه من هزيمة مؤكدة ؟

ميسون — وزوجها ؟ ! إنه يهواها ، ولا وزن
 الدنيا كلها بها ... ثم هي ... إنها تهواه وتخلص له
 الحب ...

معاوية — سترين يا ميسون كيف أمك من
 شيطان الهوى ما ملكك من شياطين العرب قبل

راعى خلقه ، وأمينته فى بلاده ، والحاكم فى أمر عباده ، ليلوئى أأشكر أم أكفر ... وأول ما ينبئ للره أن يتفقدته ، وينظر فيه فيمن استرعا الله أمره من أهله ، ومن لا غنى به عنه ... وقد بلغت لى ابنة أردت إنكاحها ، والنظر فى تيمى من يريد أن ياعلمها ... وقد رضى لها عبد الله بن سلام ، له دينه وفضله ، وصره وأديه ... فإذا قولاً أبا بك الله ؟ أبو الرداء - إن أولى الناس برعاية أئمة الله وشكرها وطلب مرضاته فيها ، فبا خصه به منها ، أنت يا صاحب رسول الله وكتابه أبو هريرة - وإن عبد الله بن سلام خير من يصهر إلى أمير المؤمنين

معاوية - إذن ، فذكر له ذلك عني ... وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى غير أنى أرجو أنها لا تخرج عن رأيى إن شاء الله

- ٧ -

(معاوية فى مخدع ابنته)

معاوية - أى بنتى !

عاتكة - أبى أمير المؤمنين !

معاوية - جئت فى تدير فلا تفديه ، وإنك لآنت الأديبة الأرية !

عاتكة - لك أن تأمر يا أبى

معاوية - سيطرق بابك صاحب رسول الله أبو هريرة وأبو الرداء ، فإذا عرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وإنكاحى إليك منه ، ودعواك إلى مباحته ، وحضاك على ملازمة رأيى ، والسراعة إلى هواى ، فقولى لها : عبد الله كف كرم وقريب جهم ، غير أن تحته أريبن ابنة إسحاق ، وأنا خاتمة أن يمرض لى من التيرة ما يمرض للنساء ، فأولى منه ما أسخط الله فيه ، فيمضى عليه ، فأفارق الرجاء وأستثمر الأذى ، ولست بفارقة حتى يفارضا (يترك الباب رسول)

الله جعلها حقاً ...

ابن سلام - ماذا يا أريبن ؟ أمير المؤمنين يدعونى لأمر حتى فيه كامل

أريبن - وحتى فيه عار يا عبد الله !

ابن سلام - وكيف ؟

أريبن - أما وكيف ... ف ... عساك لم تكن تعلم بما أبدى زيد من الرغبة فى زواجى ، وما كان من تفضيلنا إليك ، لحب تبادلناه وجامر رغبنا عنه ...

ابن سلام - أريبن ماهذه الوسواس ؛ اطمئنى يا منية القلب . إن أكبر ظنى أنها ولاية جديدة أعظم من المراق ... لا بد أن أسافروا وأن أغد السير كما أمر مولاي أمير المؤمنين ... أريبن (وينهى لى خزانة من حديد) إليك جل مالى ، وخيرة ما ادخرت للمستقبل (يقدم إليها بدران)

أريبن - بل دعها حيث كانت يا عبد الله ... واضرع إلى الله أن يرعاك وأن يحنك كيد ابن أبى سفيان

- ٦ -

(فى قصر الخلافة بدمشق)

معاوية - مرحباً بك يا حبيبي ، وصاحبى رسول الله ...

أبو هريرة - مرحباً بك يا أمير المؤمنين

أبو الرداء - مرحباً بك يا صنى رسول الله وكتابه الأمين !

معاوية - أما والله لقد دعوتكما لتحضائى النصيحة ، وإنى لأعلم أنكما من أحب الناس إلى رسول الله أبو هريرة - صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين معاوية - إن الله قسم بين عباده قسماً ، ووجههم تما ، أوجب عليهم شكرها ، وحسم عليهم حفظها ، وأمرهم برعاية حقها ... وقد حبائى عز وجل بأعز الشرف ، وسمو السلف ، وأفضل الله كره وأغدق اليسر ، وأوسع على فى رزقه ، وجعلنى

الرسول — مولاى أمير المؤمنين ، لقد وصل
عبد الله بن سلام من الرقاق
معاوية — لينزل على الرجب والسمة فى أحد
منازل الخلافة ، وليكرم الجميع عني مشواه
— ٨ —

(فى منزل منباعة عبد الله)
أبو الدرداء — أبشر يا عبد الله ! أمير المؤمنين
يؤترك على السالين !
ابن سلام — وما ذاك جعلت فداك !
أبو هريرة — لقد تغير لمانك بلاك فاختارك
لها ، فيا للبشرى !

ابن سلام — أمير المؤمنين يتحنى هذا الشرف ؟
أبو الدرداء — ولهذا أرسل إليك !
أبو هريرة — وهو يحبك حبه زيد ... أو يزيد !
ابن سلام — أما والله لقد والى على نفسه ،
وأسدى ، وأسدى على من منته ... ثم هو زيد
إخلاطى بنفسه ، وإلحاق بأهله ، إتماماً لنعمته ،
وإكلاً لأحسانه ، فأنه استعين على شكره ، وبه
أعوذ من كيده ومكره ! اذهب يا صاحبي رسول الله
فاخطبها إليه على ، والله توفيقى
— ٩ —

(فى منزل الخلافة)
أبو الدرداء — السلام عليك يا أمير المؤمنين
معاوية — وعليك السلام يا صاحبي رسول الله
ما وراة ما من عند عبد الله ؟
أبو هريرة — لقد أبدى من الجذل ما ألهج لسانه
بشكرك والثناء عليك ، وقد جتنا خاطبين عاتك عليه !
معاوية — يا الله ! لقد كنت أخبرتكم بالذى
جعلت لها فى نفسها من الشورى ، فادخلا إليها
واعرضا عليها الذى رأيت لها ، تم الله لها بخير !
— ١٠ —

(فى منزل منباعة عبد الله)
أبو الدرداء — وعلمك يا عبد الله ! إن عاتك تنار

من تحتك !
ابن سلام — عاتك بنت أمير المؤمنين تنار
من أربب ابنة إسحاق ؟ !
أبو هريرة — هو ذاك ... ولن تمدلوا بين
النساء ولو حرصتم !
ابن سلام — وماذا تشترط عاتك ؟
أبو الدرداء — أن تطلق صاحبك فيموضك
الله وأمير المؤمنين خيراً منها !
ابن سلام — إننى أشهدك على طلاق أربب ،
فاطلقا إلى أمير المؤمنين فاطبها إليه عاتك !
— ١١ —

(فى منزل الخلافة)
معاوية — ما وراة ما يا صاحبي رسول الله ؟
أبو الدرداء — طلق عبد الله امرأته ونحن
عليه شاهدان !
معاوية — ولته ؟ !
أبو هريرة — أبت عاتك إلا أن يفعل ذلك إذا
أرادها زوجة له . وأرى أنها كانت تحبه لا يطبق
فراق أربب فاشتريت ذلك للتخلص منه ، لكنه
فعل ، ونحن خاطبها إليك عليه إن شاء الله !

معاوية — ولم لم أعلم بهذه الخطوة قبل أن
تذهب إليه وقيل أن يقع ما وقع ؟
أبو الدرداء — قلله لقد حسبت أن هذا يسرك ،
فأما وأنت عن هذا غير راض فليت ما كان لم يكن
معاوية — قلله ما أستحسن له طلاق امرأته
ولا أحببته ، ولو صبر ولم يجعل لكان أمره إلى
مصيره ، فإن كون ما هو كائن لا بد منه ولا يحصى
عنه ، ولا خيرة للعباد فيه ، والأقدار غالبية ، وما سبق
فى علم الله لا بد جبر ، فاضربا فى عافية ، ثم تمددان
إلينا فيه ، وتأخذان إن شاء الله رضانا !

(سلمان ويعمر بن)

صاحبكم عبد الله ؟

شأى — ومنذ الذى نجما من كيد ابن أبى سفيان ؟ ألم يخدم ابن العاص وهو ثعلبة العرب ؟ عراقى آخر — وى ! خدعه ابن أبى سفيان حتى طلق امرأته ، وإنما أرادها لابنه ، فبئس ما استرعاه الله أمر عباده ، ومكته فى بلاده ، وأشر كه فى سلطانه شكى ثان — المنفل عبد الله يا صاح ! كيف نزل عن صاحبه قبل أن يشكن من طائفة ؟ عراقى ثالث — لقد دعاه معاوية من العراق لهذا الأمر

عراقى رابع — فانظر كيف خدعه ! عراقى خامس — وما صنع عبد الله يا صاح ؟ ! شكى ثالث — حبه أمير المؤمنين فى جنة ما كان يحلم بها ! شكى رابع — بل هو فى لوعة وشجن ! لقد والله براه الحزن ، وأوهاه الكد ، ولقد رأيته فاعرضته لولا أن دلى عليه ماضيه الذى يترقق دموعاً من عينيه ، ويصد أهازى من صدره ! ولبنى أنه أذهب ما كان معه من المال فى الهدايا والرشا ليخلص مما هو فيه ، ولينطلق إلى العراق ، وهو ما يستطيع !

— ١٥ —

(فى خضرة معاوية) معاوية — ماذا يقول الناس يا أبا الهرداء ؟ أتشهد على أنى خدعت ابن سلام ، وإنما والله أنا الذى لمانكة خطبته ؟ ! أبو الهرداء — والله ما شهدت بهذا أبداً ... فانا أعرف من هذا الأمر ما لم يعرفه غيرى وغير أبى هريرة !

معاوية — إذن ، فلم لا تتكلم فى الناس بهذا ؟ أبو الهرداء — وما يمكن من الناس يا أمير المؤمنين ما دعت براه عما يهرفون ؟ !

— ١٢ —

(فى مجمع طائفة) معاوية — الآن يا بنتى أوشك أن ينتهى دورك ، فافا جاءك صاحب رسول الله يرضان خطبة عبد الله عليك ، فلا تنسى أنه ليس لك بأهل ، فامدحيه لها ورد بها طائفة — رحم الله ابن الخطاب يا أبتاه ! معاوية — وما ذاك يا مبيشة ؟ طائفة — إذ قال لقوم من المسلمين معجبن بدعاه كسرى وحسن سياسته : « لا تذكروا كسرى وفيكم معاوية » معاوية (متحكما) — والله يا طائفة لقد أنسيته !

— ١٣ —

(فى مجمع طائفة) أبو هريرة — لقد رضيك عبد الله يا بنت أمير المؤمنين وطلق ابنة إسحاق ! طائفة — علت من قبل ، وليته ما فعل ! أبو الهرداء — ولم يا طائفة ! طائفة — ذلك أنى كنت أرجو أن أكون له لما سمعت من حسن أحذوثة الناس عنه ، وعلو قدره فى قريش ، وجميل بلائه فى الاسلام ؛ يد أنى حينما استبرأت أمره ، وسألت عنه ، وجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى ، مع اختلاف من استشرته فيه ... ألا وقد نزل الرجل من اعتبارى حين رأيته ينزل بهذه السهولة عن أرباب التى هى خير منى ، وأوفر جمالاً وعبء ، بمد طول المشرة ، وصفو المودة ... أما والله إنه ما يستأهل منها ظفراً ولا قلائطه ؛ والله إنه ما تهاك على إلا وله ما رب عند أبى ، وفى نفسه أطاع من زخرف الحياة. فاذها بما أجورين أنا بأكبا الله !

— ١٤ —

(عراقيون وشاميون ينلمون) عراقى — أرايت يا أخا العرب كيف خدع

لأخفف عنها ، لكنني قلت : أرسل لأبي الهرداء حبيب جدي رسول الله أستشيره . وها قد أتى الله بك ، وهي صدقة خير من ميماء . فهل رحك الله فاطخب عليّ وعليه ، ولتخترحي من اختاره الله لها ، وإنها أمانة في عنقك حتى تؤديها إليها ، وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه أبو الهرداء — أفضل إن شاء الله يا ابن بنت رسول الله !

— ١٧ —

(في منزل عبد الله بن سلام)
أبو الهرداء — والله يا أريبن لقد جزعنا لك ، وأهنا أمرُك ، وها قد عوّضك الله خيراً من صاحبك . يزيد بن معاوية أمير المؤمنين وخليفته من بعده ... أو ... الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ، وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة .. وقد بلغك سناها وفضلها ، وجنتك خاطباً عليهما ، فاختاري أيهما شئت ، وقد وكلاني !
أريبن — (بعد صمت طويل) : يا أبا الهرداء ! لو أنت هذا الأمر جادني وأنت غائب عني ، لأشخصت فيه الرسل إليك ، وابتعت فيه رأيك ، ولم أقطعه دونك ، على بعد مكانك ، ونأى دارك ، فأما إذا كنت الرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله إليك ، وجعلته في يديك ، فاختر لي أرضاهما لديك ، والله شهيد عليك ، واقض فيه قضاء ذي التحري التي ، ولا يصدّنك من ذلك اتباع هوى ، فليس أمرهما عليك خفياً ، وما أنت عما طوتك عميةً ... أما ابن سلام ! فوا أسفاه مع ما فرط منه عليه !!
أبو الهرداء — أيها المرأة ! إننا على إعلامك ،

وعليك الاختيار لنفسك !

أريبن — عفا الله عنك يا أبا الهرداء ! إنما أنا بنت أخيك ، ومن لا غنى بها عنك ، والله لا أقطع

معاوية — والله إن في قضى لثيناً يا صاحب رسول الله ! أو لم تَنْتَه أقرأ^(١) بنت إسحاق ، فتذهب أنت إلى المراق لتخطبها على ولدي زيد !
أبو الهرداء — نيم ونيم يا أمير المؤمنين ! والله إنه لراى ! وإنك تموض أريبن كفء أكلفه معاوية — إذن فاذهب ، وافرش لها الطريق من المراق إلى الشام ذهباً !

— ١٦ —

(في منزل الحسين بالمراق)
أبو الهرداء — السلام عليك يا ابن بنت رسول الله يا سيد شباب أهل الجنة !
الحسين — مرحباً بك يا أبا الهرداء يا صاحب رسول الله وجليسه ! والله يا أبا الهرداء لقد أحدثت لي رؤيتك شوقاً إلى رسول الله ، وأوقدت مطلق أحزاني عليه ، فاني ما رأيت منذ فارقتك أحداً كان له جليسا وإليه حبيباً إلا حملت عياني وأحرقت كبدي أسمى عليه وصباية إليه ! (ويكي أمر البكاء)
أبو الهرداء — (وهو يبكي مسترحطاً في البكاء)
جزى الله كُباة أقدمتنا عليك وسجّمتنا بك خيراً يا ابن بنت رسول الله !
الحسين — والله إنني قد حرص عليك ، ولقد كنت بالاشتياق إليك !

أبو الهرداء — أرسلني معاوية خاطباً على ابنه يزيد أريبن ابنة إسحاق ، فرأيت ألا أبداً بشيء قبل إحداث المهد بك ، والتسليم عليك ، لأنك الآن سيد أهل المراق

الحسين — والله يا أبا الهرداء لقد هالني ما نال ابنة إسحاق فَرَّقَ لها قلبي ، وأردت نكاحها

(١) الأفراء جمع فراء بمعنى الخفاف عدة مرات الحبيب ويقصد بها ما عدة مرات الجيش للسرعة بعد الطلاق لتحل المرأة لنير مطلقها واختفوا في القلط ، ويضمهم بحسبه على قروء بالنفس ، والماء على أن قروء جمع قرء الطهارة

ابن سلام — هذا تفضل يا ابن بنت رسول الله!
الحسين (يئس) — هلي يا أريئب
(تدخل مسربة في سواد)
أريئب — السلام عليك يا عبد الله! هالك
بدراتك، والله ما امتدت إليها يد، وما عرفت
ما بداخلها إلا منك!
ابن سلام — شكراً لك يا ابنة إسحاق! يحل
رباط واحدة ويقدم لها ما فيها! لشد ما يسمعون أن
تقبل هذه مني! (ويكب بكاء شديداً)
أريئب — لا والله ما أمد إليها يدي، وإني لفي
سعة من فضل الحسين!
الحسين — يا ابن سلام! أيسرك أن تكون
أريئب لك؟
ابن سلام — حسين؟ ماذا تقول؟!
(تتحد دموعه على خديه)
الحسين — وأنت يا أريئب! والله ما صنعت
التي صنعت إلا لأحتفظ بك لرجلك، لأنني عرفت
أنها خدعة من معاوية، قتل أفسدها عليه!
ابن سلام — (يأخذ يد الحسين فيقبلها، وكذلك
تقبل أريئب)
الحسين — بارك الله لكما... يا أريئب! أنت
طالق... وأنا الذي سوف أعقد لكما...
ابن سلام — إذن ليؤكد لي ابن بنت رسول
ما دفعه من مهر أريئب
الحسين — ولا ذاك يا ابن سلام، بل هو هدية
خالصة مني لها ولك...
— ١٩ —
(في منزل الخلافة بدمشق)
معاوية — والله يا ميسون لقد كنت أشد بكاهن
من أبي الدرداء إذ أرسلته في مثل هذا الأمر!
ميسون — الحمد لله الذي أفسد عليك ما حاولت!
قلت لك نشطه برومية أو شاكبة فإرضيت!
مري خضبة

في هذا الأمر إلا بما تشير به علي، ولا أصدر فيه
إلا عن رأيك!
أبو الدرداء — أي بُنيّة! ابن بنت رسول الله
أحبها إلي، وأرضاها عندي، والله أعلم بخيرها
لك! وقد كنت أرى رسول الله يضع شفّته على
شفّتي الحسين فيقبلهما، فضى شفّتيك حيث وضع
شفّته رسول الله!
أريئب — قد اخترته إذن ورضيته، وأنتم
يا ابن بنت رسول الله وحبيب رسول الله!
— ١٨ —
(في منزل الحسين بالعراق)
الحسين — انظر يا غلام من الطارق!
الغلام (بدرمة) — رجل أكبر أشمت
يا مولاي، يبدو أنه يطلب سؤلاً!
الحسين — ولم لا تطعنه يا غلام؟
الغلام — خشيت يا مولاي، لأنه يلح في لقائك
الحسين — وماذا يجلسنا عن الناس؟ أدعه فليدخل
(يدخل الرجل) من؟ مرحباً مرحباً يا أخي عبد الله!
عبد الله (والبراء تترق في عينه) السلام
عليك يا ابن بنت رسول الله!
الحسين — وعليك سلام الله يا ابن سلام!
أعزّون أنت؟
ابن سلام — إني والله! ولكنني جئتكم في
مسألة حبذا لو قضيتها لي... لقد أصفرت (١) بيد
هذه التكبّة التي اجتاحت يدي وقلي مفا، وقد
كنت استودعت أريئب بدرات من الدر والجوهر
هي جل مالي، فلو كلتها فيها لترد علي شيئاً منها
أستعين به على حالي...
الحسين — جاً وكرامة يا ابن سلام، فانتظر
(يجزع الحسين فيب لطفة ثم يدخل) هل من حرج في
أن أقدمها إليك أريئب يدها يا ابن سلام؟
(١) أصفر: افتر

جنون اللحظة

ترجمها عن الانكليزية
الأستاذ عبد اللطيف المنشاذ

لثانئا للمرة الأخيرة ، فاني لم
أرك منذ تزوجت من فيث
وستون . ثم اقسمت وقالت :
« هل تذكر تلك الأيام التي
كنت أنتظر فيها عودتك بالقرب
من باب المحطة ؟ »

وكان صوتها في خطابه
صوت الورد ونظراتها إليه كأنها

نوع من الداعية . أما نظراته إليها فكانت
نظروها من اللحن كأنها نظرات الأطفال . وقد
أدركت ذلك وأسرت على أن تتابعه على هذه
الجفوة فتره أنها وقد مضى عهدها معه لا تزال
تدب طبع أن تؤثر في قلبه أكثر من « فيث » على
الرغم من رابطة الزوجية ومن علاقة الأبناء . ولذلك
شفت نظرتها الأولى بنظرة تستثير كامن الحب من
كل القلوب ، وسأيرة قليلا ثم هودعته دون أن تأخذ
موعداً منه

ولما ذهب « جيم » إلى منزله كانت « فيث »
قد أملت رضىها التوأمين بعد أن خرجت
بهما من الحمام . ولم يكن في نساء الحلي سيدة أكثر
عناية بمنزله من « فيث » فكان الكل يدعون
منزلها بالمش الأنيق . وكانت تتنهي من خدمة المنزل
كل يوم قبل مجي زوجها لتفرغ إليه . وعند عودته
في هذا اليوم ، تلقته بما اعتادت أن تتلقاه به من
البشاشة والود ، وجلسا إلى العشاء . وفي أثناءه قال
جيم عرضاً إنه قابل اليوم « مايل سميت » فانصرفت
عينا « فيث » إلى المرأة وقالت ببطء : « إن ، مايل
جميلة ، يا جيم »

لم تفُ « مايل دروهام » في لحظة من
اللحظات عن « جيم سميت » لأنه تركها وتزوج
من « فيث »

وقد كانت « مايل » تحب « جيم » في عهد ما
وهو العهد الوحيد الذي عرفت فيه معنى الحب .
وكان « جيم » قوى الجسم ذا بسطة فيه تبين المرأة
في غايه كل معاني الرجولة

وبعد فترة من تمارعهما تزوجت « مايل » من
تاجر اسمه « مارتين سميت » في السنين من العمر ،
وتزوج جيم من « فيث وستون »

وبعد عهد قصير مات المستر سميت وقررت
مايل أن تذهب إلى مدينة « بنتود » وتقيم مع أبويها ؛
ولم يكن يبدو على وجهها في هذا الحور شئ من
الحزن الذي يبدو عادة على وجوه الأراذل . واعتادت
وحى في بيت أبيها أن تجلس أمام النافذة وتطل منها
ورأت « جيم » قبل أن يراها . ولما رآها
تردد لحظة ثم تمارقا فد إليها يده مصافحاً ، وكان قد
عفا عنها لأنه كان قد وجد عوضاً عنها في زوجته .
فردت تحبته بقولها : « لقد مضى وقت طويل على

مع جميلة مثل « مايل » ، أم لعل حبها قليل
عكس ما يبدو عليها من مظاهر الحب فهي لذلك
قليلة التيرة

وتثبت هذا الخاطر بذهنه ونما فمكر مزاجه .
وكأن كل من ينتظر الحب لابد أن ينتظره التيرة .
فذهب « جيم » إلى الحفلة وهو مغمى ، ولأجل تعرج
غبه أطال المسهرة مع « مايل » وأكثر من التودد
إليها رغبة في التسلية ...

وعاد إلى منزله في ساعة متأخرة فلم تبد زوجته
أقل اعتراض

وبعد ذلك مرض التوأمين فاشتتت عناية الأم
بهما واشتتت عن الالتفات إلى حضور زوجها
وانصرافه . واستمر هو يقابل خليلته كل ليلة .
وكان في كل يوم يزاد تأثراً من زوجته
لانصرافها عنه ، ولمدم عاصبتها إياه على موعد
حضوره .

وفي إحدى الليالي كان « جيم » جالساً بفرقة
في الفندق مع « مايل » فسأته تلك : « أخبرني
هل زوجتك عمياء ؟ لماذا تركتك وحدك كل ليلة ؟ »
فقال وهو يظن زوجته تنظر إليه وتسمعه في هذه
اللحظات من وراء ستار : « الحق أني أعجب من
ذلك يا مايل . وقد بدأت أشك في حبها » فطوقت
مايل عنقه بذراعيها وهمت أن تقبله لولا أن دخلت
« فيث » في هذه اللحظة فتنظرت نظرة حادة إلى

وجه زوجها ثم إلى وجه مايل

وخارت قوى الأخيرة فلم تملك غير أذنان
الهموع وخرجت متسلة إلى الطريق ، وهي تقول
(٢)

نظر جيم إلى زوجته وقال : أنتظنين ذلك ؟ إنني
لا أعجب بهذا الطراز »

قالت وقد أرادت مشافهته : « أتقول ذلك
الآن ؟ لقد كنت شديد التعلق بها يا جيم »
فكان جوابه أن وضع ذراعه حول عنقها
وقال : « كان ذلك في عهد الصغر والحاجة قبل أن
أعرفك وأعرف بك كيف يكون الحب »
فالتفت إليه فجأة وقبلت فيه

وبعد يوم أو يومين ذهبت مايل لترود
« فيث » ورأت توأمينها فقالت : « ما أبدع هذين
التوأمين ! »

لكن لمحبتها لم تكن دالة على الإخلاص .
وجرى الحديث متنوع الضروب . وعند انصرافها
قالت : « إنني لم آت إلا لأرى طفليكي ، ولكني
تذكرت الآن أن في فندق المدينة حفلة راقصة ،
فهل تأتيني مع « جيم » لتعشى هناك ونحضر هذه
الحفلة ؟ »

قالت فيث : « أشكر لك هذه الرقة ، ولكني
لا أستطيع أن أترك الطفلين خصوصاً وإن أي
متنبية عن المدينة . ولكني أثق بأن « جيم » يسر
من حضور هذه الحفلة »

وعاد « جيم » فأخبرته زوجته بهذه الزيارة
ولم تعترض على ذهابه وحده إلى الحفلة . فكانت
نجوى « جيم » بينه وبين نفسه أن زوجته لا بد
أن تكون بلهاء إذ سمحت له بالذهاب وحده

فى نفسها : « إن هذه اللحظة هى التى انتصرت فيها على » فيث « ولكنها مع شعورها بالانتصار قد شعرت بالذل أيضاً

وجلس الزوج وجلست الزوجة وظل كلامهما صامتاً . وأخيراً تكلم « جيم » قواه وقال بلهجة البائس : « ماذا تريدنى أن أقول يا فيث ؟ » فقالت : « وهل هناك شئ يقال ؟ »

قال : « نعم » ثم ارتدى عند قدميها وقال : « لماذا تتركينى إلى مثل هذه المرأة دون أن تشعري بشئ من النيرة ؟ » فقالت : « وهل عدم التكلم يدل على عدم البلاء ؟ لقد كادت النيرة أن تمزقنى ، ولكن العزة كانت تمنعنى عن الكلام . ولقد كنت أجن كلما ذكرت أنك تنتظر غيقتى ، ولا يخطر ببالك أن ترى غيقتى

فنهض « جيم » لاسمع اعترافها بالنيرة وقبلها وقال : « اغفرى لى لحظة جنون . وثق بأنى لم أنسك فى وقت من الأوقات . فقالت : « لقد غفرت لك هذه وطولت الماضى كله . وإذا كنا قبل الآن زوجين متحابين ، فسوف نكون بعد اليوم أكثر تبادلاً للحب . وثق أن النيرة كاتمة وراء الحبولن تستطيع إظهارها من دون أن تجرح الكرامة

عبد اللطيف النشار

شركة مصر لنسج الحرير

تزود بنسوجاتها الجميلة

وألوانها المفرحة البهيجة

وأمانها المعتمد دالة إلى خيصة

الوجه الكبير . والموظف البسيط . والعامل الصغير

وهى فى متنـاول الجميع

الشجرة السوداء من المعين
الأبيض ...

كان خطيب الكنيسة ،
قصيراً لا هزيلة ولا بديناً ،
أسفر اللون من طول ما احترق
دمه بالتفكير والعبادة ، دمع
الوجه في تقاطيعه ، خفيف
الظل في مجموعه خفة ظاهرة

الأثر في طاعة أتباعه وصريده
من كل طبقة في المجتمع . كان
يشوى الأغنياء شيئاً على السفود
وفرى جلودهم ويؤثرهم لمشعهم
وأترتهم وطمعهم فيا ليس لهم على
قلته ، وعدم قناعهم بما بين أيديهم
على كثرته . ولكنهم كانوا يحبونه
ووقروه لا خوفاً ولا رهبة ،
ولكن لطفه ظله وحسن تمبيره .
ثم ينحى على المشاق باللاعبة ،
فيرسم لهم عاطفة الغرام في سورة
الأعشى اللاذعة ، وينفض إليهم
النزل والرقص والخلوة والمعاقرة ،
وينذرهم بظن النار الذي أساب
ياولو وفرنيسكيا ؛ ولكنهم كانوا
يؤلهونه ، ويسمسون فيا بينهم أن
جهله بالترام ، وحرمانه ملاذات
الشق المحرم أو الحلال ويحان
إليه تلك الحلات المنكرة على
رغبا للزهرة وأهداف كوييد !!
فياله من تليل ! !

الموعظة الاخيرة

لإدوارد كارمير

بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

تصريف بالقصة

في الأدب البالي سوابق نادرة :
« ناييس » لأناطول فرانس ،
و « الأب سرج » لئولستوى
و « مطر » لسورست موعلم .
وفي كل واحدة منها يحاول البطل
اصلاح امرأة مذنبقة تنسحب إلى المأوى
وقد تجرعى قصير قدسية أو تنور
بسرهما . وفي هذه القصة المستيرة
يصف المؤلف بيئة مينة ويضرب على
صمة جديدة ، وهي حيرة المصلح
حيال صناد المجتمع . وغلب الرذيلة
أحياناً على الخير ولو في مناهض الأمور .
وفي الأدب العربي الصوفي قصة
ذي الثور المصري ورواية المدوية
ولكنها مبهمة ، ولم توجد حوادثها
في حق واحد ، وقد رووا أنه جذبا
في مصر والتي لها في مكة فلم يرهنها
لثلاثة ما غمرها من حلة الرعى . ولا
يجب إذا تناب الموضوع من العصر
الاسانية واحدة في كل المصور
والأمكة ، وكما قيل إن مايس علم على
عقبة عاشت فلا في مصر ، فان
السيدة المدوية أشمراً كثيرة في
تجديد الاله تجمع بينها وبين القدسية
تبرز في الغائى والمجة البالفة ...

من لم يعرف الأب أرمان
جميعه ، واعظ كنيسة شاريتيه
بشارع بواساك ، يحي ييراش ،
أغنى أحياء ليون وأجملها وأهدنها
لم يعرف أعظم وعظما وأنهم ،
وأنفدم إلى أعماق النفوس ...
كانت خطبه المنبرية تفوق الند
والحصر ، متنوعة ، لم يطرقت أثناء
حياته الدينية موضوعاً واحداً
صريحين ، لأن حياة الروح لديه
أغنى من أية حياة سواها ،
فانتمت عالم المادة وهضمته ،
واحتوت الكون وطوت الدنيا
على السجل للكتاب ، ثم أخذت
تجلى الحقائق بسبل جبار وسمان
خلاية ، وبجل محبوبكة ، وألفاظ
براقة ؛ فيسحر أنفس مستمعيه ،
ويستميل قلوبهم بعد أن يسكرم
برحيق وعظه ، فيستل من حثايا
ضلوهم عوامل الشر الكامنة ،
كما تستل المجوز الخبيرة

العالم ومن وراثتها « السلطة الرمادية » البهمة ...
 وقرأ الأب جيميه أقوال خصومه ، وبقى عليها
 نظرة صخرية ويسم ...

وكانت مدينة ليون تزخر بمئات الألوف من
 الرجال والنساء ، في مقبلة العمر ، وفي ريسان الجبال ،
 وتوج بألوان الهوى والفنون .. وقد اشتهرت
 فنياتها برشاقة القردود وجاذية الروح ، وحى
 الميون . وكانت كنيسة « لاشارييه » مفتوحة
 الأبواب ، مطروقة من كل قاسد وقاسدة ، مُمكنة
 المياكل والأعراف لكل بائد وعابدة ... وقد وقع
 اختيار الأسقف كاييردى لوزانج (وهو أحد النبلاء
 الذين فضلوا مسح الرهبان على معاطف الأغنياء
 من أجداده) على الأب جيميه ليتلقى اعتراف اللذين
 والذنبات ، ولاسيما المنادى اللوانى رزقن بشمرات
 المشق المحرم ، وألفت بهم أيدي الأقدار على سرر
 مستشفى لاشارييه الملحق بالكنيسة ، وكبار الجناة
 من طبقة التمولين التي زوروا ودلسوا واحتالوا
 واختلسوا وسلبوا أموالاً لا طاقة لهم بإدخالها ،
 أو اعتدوا على أعراض لا ذنب لثوبها إلا ما حَسَنَهم
 به الطيبة من جمال وقتة ، وما سلبتهم إياه من قوة
 لنفع الأذى عن كنوز الحاسن وودائع الفضيلة ،
 فسلطهم بالفئات وترعت منهم قدرة القارومة

وكان الأب جيميه يباني الأسيرين من عيشة
 الجفاف في صومته ، ولكنه مدرع النفس بالحلال
 والكمال واحترار الدنيا وشهواتها ، وقد أنضجت
 قلبه تجارب الحياة التي رأى أثرها في آلام الآخرين
 ومهمومهم ..

وأحرقت نزوات نفسه نار البادة الداعمة ، فندا
 يسيرين بالخلوة والمبدد ، والعبأ والسجن والمستشفى ،

وحتى التفرد والأجراء والموزين من الطبقات
 النازلة ، لم يتجروا من سهامه الصائبة . فها هم فريق
 الناقين الساخطين السابحين الذين يمترون
 ويمترون ، ويضربون كالأطفال على ما قمته
 العناية لهم ، أترام يحاربون الأقدار ، أو يثرون
 على القوة الخالقة ؟ أو اتقون أنتم بمعادة المحسودين
 حتى تنسوا عاطفة الرضى وفضيلة القناعة ؟ ليس في
 الامكان أبدع مما كان أياها الثائرون النوكى ، ولو
 اطلع أحدكم على النيب لاختار الواقع . إن الأغنياء
 يسرقون على أنفسهم في شهواتهم ، ويمدون أموالهم
 في مغريات النفوس من طعام وشراب وقمار ، وإن
 « عذئي التمس »^(١) (توقوريش) ليشعرون بالأسف
 على أيام قفرهم ، ففي تنها الفرصة لأنسال آدم أن
 يستأوا من نفوسهم الطمع وجب القات ليعيشوا
 كما عاش أجدادهم في عصر الذهب ، عصر الرخاء
 والقناعة والحب المطلق ؟ . وكانت جريدة « نوفيل
 دي رون » لسان حال الفاتكان ، تنشر خطب الأب
 جيميه ونذبهما في أنحاء الولاية الوسطى^(٢) فترد
 عليها « ليون ريبيلكان » صدى صوت الأحرار
 والمتطرفين والاشتراكيين والملاحدة ، ويشير رئيس
 محررها موسيو توزه من طرف خفي إلى « نفاق
 الاكايروس » وتدخلهم فيما لا ينهم ، وسخطهم
 على سائر الطبقات والمعتقدات ، حتى لا يرضهم
 إلا « الككلكة التنمنمة » التي تريد أن تحكم

(١) هؤلاء التوقوريش نقأوا بسد الحرب وكروما
 التروات الطائفة وم ضرب الأثقال في اليسر وسوء الخلق
 واسمهم واحد في كل القات

(٢) مقاطعة الرون عاصمتها ليون الشهيرة بشاهما وجمالها
 وسلطة الكهنوت وساطل الحرير

وهو الذى لم يتفوقه وإن تنوّق الآلام التى تركها
أكبره ، وكان بعد أن يتم مطافه على المنادى
والهاتى ويطلق من قلوبهن الجريحة وأفواههن
المندبة أحاديث الهوى والهجر والقطيعة ، بعد النواية
والوصل ، يخرج مُببِل الفكر ، فريسة للواجس
يتلقفه سوء الظن ، وتثبت به السويداء ، ولكن
أحدًا لم يتخيل ولم يُسم أنفة الراعظ التين الخلق
التوى الإرادة رَعَزَتْ في نفسه أو في رسالته
القدسية ، فقد عهدوه كالطود الراسخ

في صبيحة ليلة مطيرة غلب فيها القمر وتوارت
النجوم وراء السحب المتكاثفة ، عثر عمال النظافة
بجثة عارية لرجل في حدود الكهولة ، وكانت رأبحة
الجزع تفرح من شذيق الفتوحين ولسانه البارز ،
وكانت عيناه جاحظتين كأنه يرى ، في البرهة القصيرة
التي هي بين الحياة والموت ، منظرًا بشعًا أو شبحًا
غريبًا ، وإحدى يديه قاضية على سرته ، وقد تقلصت
عضلات اليد الأخرى والتوت أناملها ، فهل تشير إلى
نصير يدنو من الفريسة في اللحظة الأخيرة أو سهمٌ
بلشباك الأصابع لتدفع الخطر الهام ؟

هُبَّتْ عمال النظافة ، ووقفوا يتأملون ذلك
الوضع الأليم لتلك الجثة المنطرحة على الرخام ، وكان
الروح غادرها في تردد وألم وخجل ... ولم يسلوا
لأن كان هذا الوءاء الأرضى الذى أبى نازعوه أن
يورأوا سوائه ، وقبلوا أن يحملوها عرضة للأنتظار !
ليس في العالم شيء أدهى للحسرة والروعة من جثة
منطرحة على مقروعة الطريق في وضع غريب . إنها
لا تثير الضحك ولا البكاء ، ولا تبث السلى
أو اللوعة ولا تؤدى الموعظة الأخمية ، حتى ولو كانت

وله نهديات تشق الصخر ، ولا يسمع لها صوت ،
وبكاء يدموع حارة بغير تشييع ، وقد آلى على نفسه
ألا يفتح قلبه للنعم بالمرسات والفتاح والآلام ،
إلا لمبوده وره ، فيشمر وهو يسمع الاعتراف بغير
الاعتراف ، كأنه مسؤول بذاته عن ذنوب الناس
جميعاً ، لأنه أسى وسيلهم الوحيدة للخفان ...

كان الأب جيميه في نهاية المقعد الرابع ، وما
عرف النساء قط ، ولله لا يذكر أنه الذى ولعه ،
فقد انتزع منها انتزاعاً ، ليتلقى دروس البلاغة
واللاهوت ، قبل أن يحنق التاريخ والرياضيات ،
لأن أباه وهبه للرب ، وسرعان ما وفى بنفذه ،
وسلّمه لمشيرة الرهبان ، في تلك البشة الأفريقية ،
التي أطلق عليها اسم القارة السوداء لكثرة من
هاجر من بنينا ورسلا في سبيل هدى الوثنيين إلى
الطريق القويم

فكان الأب جيميه يعيش في سجن سومته ، وفي
سجن أضيّق من وسايا الدين والخلق ، ولكنه
سجين يقظ للدهر ، يحصى كل لحظة ، وبحسب كل
ثانية ، ويمد على نفسه الأقباس . فصرف في يقظته
المحتومة قيمة الخير والشر في خلق الرجال ، وأن
للمناقضين يفوزون في هذه الدنيا باسم الفضائل ، وأن
معظم الجرائم تقترف وراء صور وتهاويل من
الأخلاق . فكان يقول : « لا يدخل في واجبي أن
أسلح العالم ، وما على إلا أن أخفف من ويلاته
ما استطعت » . ومذحكت عليه رسالته البلياء أن يتصل
بالنساء ، صمم على ألا يخوض في حديث يتصل
بالحب . ونفسه محدثة بعد أن رأى من تذبذب الجسد
أنه قد بنفت إليه ملذات الجسد بنفساً لا رجوع
بعده ، وكفر بحب الجنس ككفر لا إيمان وراه ،

نفوسهم كالقدور التي تهدر بالنيران ، ووجههم كالسائين النضرة النامية على فوهة البركان ...

كانت الساعة التاسعة إلا بضع دقائق ، عندما بلغ القاضي جيرار بوتيفان موضع الجثة وهو « مكان الرامة » بشعبير المختصين ، يقبمه كاتب التحقيق لوسيان . وكان شاباً في الثلاثين من عمره ، مجذوع الأنف من الولادة ، أحر الوجه ، شديد الطاعة رئيسه من طول ما تلقى أوامرهم ونواهيهم ، حتى لقد أمسى كالطية اللؤلؤ ، وكان هادئ الطبع موفور الكرامة في ظاهره . أما القاضي بوتيفان فشديد القدك ، طويل التجربة ، عميق التفكير ، لا يترك شيئاً قل أو جل لحكم المصادقات ، ولا يبرض عن اقتراض ، ولا يستهن بيارقة أمل وإن شؤلت في رفع القناع عن وجه الحقيقة ، التي قد تبرقع أحياناً ، وتسفر حيناً !

عند ما رفع الشرطي (جروبونوم) رئيس الخدمة الليلية في مقر بوليس ساحة بلكور ، ذيل الرداء الذي كان يستر وجه القتل ، وأطل القاضي وكتبه عليه وأطالا النظر ، رفع لوسيان بذراعيه إلى أذنيه ، ومال برأسه من الميخ إلى اليسار ، ثم صرخ من أعماق صدره « آ غ ! » أما القاضي فقد صوب النظر ، ثم التف إلى لوسيان وقال له :

— هل عرفته أنت ، كالم أعرفه أنا ؟

فكث لوسيان سكوتاً عميقاً ، فبز القاضي ذراعيه ، حتى أترلها جميعاً من وراء أذنيه ، وأعاد السؤال على كاتبه فأجاب :

— كلا ! كلا ! يسيدى القاضي لم أعرفه ألبتة !

جثة أبلغ الواعظين ! بل تثير الدهشة ثم الروعة فلاشترتاز قاتليظ ، ليس أدعى إلى الحق من صورة الإنسان الجسدية مروضة للإظهار في حالة الحجز المطلق عن النطق والحركة ، ولما يسرع الأحياء إلى دفن الموتى لئلا يفقدوا تقهم بأنفسهم ، وتهدط حرارة شجاعتهم إلى درك الجليد الذي لا صعود بعده جاء الشرط ، وستروا وجه الرجل الطريح ، ولكن بعد أن وقفت عليه الأبصار ووطأ النظارة بأعينهم وحى أقصى في بعض الأحيان من وطء الأنعام والنمال ... الحى الذى فقد الحياء ولم يفقد الحياة ينظر إلى البيت نظرة وقفة فاجرة ، يعجز عن وصفها أنصح الألسنة ، كبرياء يمازجها شعور الفرح بالنجاة ! كانت خيراً لراحة والفضيلة والكرامة الإنسانية أن تحمل الجثة بأقصى سرعة إلى أقصى مكان ، ولكن رأى المحققون والشرط والأطباء أنه خير للحقيقة والمعدل أن تبقى أطول فترة مستطاعة بأذى موضع من مرقدتها فقله مصرعها والمكان الذى لقي صاحبها فيه حتفه حقيقة أو حكا . فليس من المستحيل أن يكون روح القتل قد فارق جسده في أقصى المدينة شرقاً أو غرباً ، وإن القاتل للماكر استطاع حيلة النقل تشلياً للباحثين ؛ وأن شوارع ليون في الليل تنتظون على أسرار أعرب وخفايا أدوع من أسرار باريس وخفاياها ، لأنها مدينة مقفلة الأبواب والنوافذ مكنمة القلوب والأفواه أيضاً ، مدينة مسكونة بالربان ، كما تسكن القصور المتيقة بالآرواح ، وماهولة بالجنات وحمة النموض والخفاء أكثر مما أملت بالمال في كل صنعة وفن . نساؤها على أكبر جانب من الجمال ، والمخالة والفتنة ، والبهاء والملاينة ، والسهولة التي تسبقها مداينة ومخاتلة ،

كرمة الحى بل أشد؛ ولما وجب الكف عن
شق جثته

س - حتى في حالة الوفاة الجنائية كالقتل
أو الانتحار أو التسميم؟

ج - لا يوجد نص صريح، ولكن أمر
الكنيسة يبدل النص الصريح

س - (من قاضي التحقيق) في شروح ساقندريه
التولوزى قاعدة ثابتة، وهي أنه إذا ظهرت مصلحة

راجحة في تشريح الجثة كإثبات حق القتل قبل
التهم أو تبرئة متهم من بتهمة الجريمة بالسلم فيجوز
التشريح، وفي زمن ساقندريه التولوزى (وهو
القرن الخامس عشر) لم تكن صناعة الجراحة تقدمت
كزمتنا هذا

ج - هناك حالة السلم، أو ابتلاع القتل قبل
موت جوهرة ثمينة، وما حالتان نص عليهما ساقندريه
المشار إليهما في سؤالكم وليست هذه منهما

وهنا كتب لوسيان كلمات في بطاقة، وعرضها للنظر
القاضي، فنظر إليه شذراً مرة أخرى، ورفض يده
إلى جبينه وطوى الورقة ودسها في جيبه، ثم التفت
إلى الأب كليان جوزيه وقال له:

س - إن أمر الكنيسة عتزم كالنص الصريح

وإن كان قانون الفصل بينها وبين الدولة الصادر
في ١٤ يونيو سنة ١٩٠٣ قد حظرت عليها التدخل
في أعمال السلطات الثلاث، وأنتم لم تبتوا حتى
الساعة أن القتل كان دائماً لكم من قريب أو بعيد
وإلى أن تبتوا تلك التهمة للدعاة، فسلطة القضائية
أن تناول التحقيق بمخافيره ومنها الأمر بتشريح
الجثة لمعرفة سبب الوفاة

ج - (مندوب الكنيسة) إنكم تخرجون

- ولم صرحت إذن صرخة العجب والفرع؟

- لأن الصورة مرعبة مفرقة، ولم أرَ قط

قبلاً يخفى عورة يده ويشير إشارة الخطيب باليد
الأخرى! فنظر القاضي إلى كاتبه نظرة شذرة، ثم

عاد إلى سمته، ودعا الطبيب الشرعي روسينيول
وكلفه أن يدون الوصف التشريحي حسب أصول

الجراحة

في تلك اللحظة وصل مندوب الأسقف: الأب

المحترم كليان جوزيه الشهير ببله في التاريخ والمحقق
واللاهوت والفلسفة وقال إنه باسم الكنيسة المقدسة

وباسم البابا للثلث الرحات يمنع في تشريح الجثة،
لأنه وصل إلى مسامع الأسقف أن الجثة قد تكون

لرجل تناول أسرار الكهنوت، ولا تبيح
الكنيسة إهمراق السماء مرتين، لأن في الإهمراق

الثاني إبطالاً لحرمة الموت! فدهش القاضي ولكن
أدبه وكرامة عده أزماء الصمت، ولأنه لم يسبق

في سجل التحقيق الجنائي أن أحوجه الأمر إلى
تشريح جثة تلقن صاحبها «سر الكهنوت»

وبعد هنية أمر كاتبه لوسيان أن يفتح حضراً
ليثبت أحوال الأب كليان جوزيه ثم أملى عليه:

«نحن جيران بوليفان قاضي التحقيق لدى
المحكمة العليا بمدينة ليون عاصمة مقاطعة نهر الرون

تثبت ما يأتي:

حضر الأب كليان جوزيه واحتج على تشريح
جثة لرجل مجهول فسلأنا:

س - (من القاضي) أليس في قانون الكنيسة
نص صريح يحرم التشريح أو يجمعه مكروهاً؟

ج - (مندوب الأسقف) إن للبيت حرمة

رئيس المحققين الماء وقال له :

— سيدى الأب المحترم ، إنا لا نوقع على الجثة عقاباً ولا نحاول تمذيباً ولا اتقنماً كما ظنفت وظهر من غضبك ، ولكننا تنفض عن الجثة ماعنق بها من ذرات الشوائب التي لا تترك بالحدس ، ولا تُرى بالعين المجردة . فسأل الأب جوزيه .

— وهذا الطبيب للشرح ما عمله ؟ لقد تكاثر الأطباء على جثة ولا ندري ما يُراد بميت ..

— إنه يبحث في أسباب القتل التي لها اتصال مباشر بالبدن ، ليحدد علة توقف الحياة ، وتمطيل أدائها ، أما نحن فنبحث أسباب القتل المستقلة عن الجسد ، أى ما صدر عن قوة خارجية مما لا بد يترك أثراً واضحاً لنا مهما خفى على سوانا

ووصف قاضى التحقيق في محضره المكثف والزمان وأمر بالتصوير الضوئى من أعلى وأسفل ، ومن بعض الزوايا الحادة والمنفرجة وختم محضره ، ثم أجّل التحقيق إلى الساعة الثالثة بعد الظهر حتى يُقدم إليه الخبراء قاريرهم ، وحتى يتمكن رجال الخفية ، وأفراد الشرطة السرية ، « والمباحث » للتنقلة ، والحرس الجمهورى من جمع بعض الأدلة أو القرائن التي تساعد في كشف الغطاء عن الحقيقة . وعند ما غادر القاضى مكانه كان في رأسه فكرتان الأولى أن كاتبه لوسيان يعلم أكثر مما دون في محضره ، والثانية أن الكنيسة تدعى أمومة القتل وهيات أن تدعى باطلاً في هذا الحادث الرهيب

كان شارع جيراف البنى وجدت به الجثة في منرج من شارع بوالو المؤدى إلى « بلاس دى تورو » من الميمى وإلى ميدان « جراند تيار » من الشمال

متدوب الأسقف ، ومن يحرجه فقد أخرج الكنيسة والبابوية مما

قاضى التحقيق — ولما أمرنا نحن قاضى التحقيق جيرار بوتليان حشرة الطبيب روسنيول بأجراء الصفة التشريحية بغير شرط ولا قيد ما عدا الأمر بنقلها إلى مكان آخر قبل أن يؤمن مع النقل إخفاء معالم الجريمة أو تغييرها أو عمو الآثار التي يكون من شأنها الاهتداء إلى الحقيقة . فاعترض الطبيب قائلاً :

أظن في هذا الأمر مخالفة للنظم المتبعة ، لأن في محافظة البوليس مكاناً خاصاً بالتشريح وإن على صهرم اللورج ^(١) متمسكاً بجميع الجثث من قتلى ومتحجرين .

فقال القاضى : إلى أن يحضر الدكتور لوكار ، فهو وحده يسمح بنقل الجثة إلى حظيرة اللورج ، بعد خربها القرب الكافى ^(٢) ، فالتفت الطبيب ورضى بالفحص الظاهر . حتى حضر الدكتور لوكار وأعوانه ، وكانوا مصورين ماهرين وكيميائين ومعلمين وحمل حثائب عازلة ، وأحماض وقتان ، وألواح معدنية وزجاجية وأكياس من المطاط ، وأخرى من جلود الثيران ، فأخذوا قلامة من أظافر الجثة وآثاراً من صلب الأذنين ، وإفراز الأنف ، ولعاب الفم ، وشعر الرأس والصدر في أوعية خاصة ثم وضوا الجثة في كيس كبير من الجلد السميك ، وتناول بعض الأعوان قضباناً من المطاط وأخذوا يجلدون بها جلداً عتيقاً في حشرة متدوب الكنيسة الذى بلغ احتجاجه عنان السماء ، فتقدم إليه لوكار

(١) قاعة لرض الجثث المجهولة

(٢) هذه الطريقة الحديثة لاستئناس بين آثار الجناة اللادية متبعة في فرنسا

في داره أو في مطعم ، وفي مكتبة في « بابه دى جوستيس »^(١) ينتظر الحوادث ويرقب المفاجآت . فأول ما صنع كان أن أوعز إلى « جرينشار » أهر البصاصين أن يقتنئ أركابته لوسيان ، بميد خروجه في تمام ساعة الظهيرة ليتنبدى ، فهبت الجاسوس القضاى وحقق بالقاضى قائلاً :

— أمتحقق بإسدى القاضى من ضرورة هذا الاقتفاء ؟ إن لوسيان يعرفنى ، وقد تثير شكوكه بشير داج ، ولنا يقتضى الأمر أن أمن في التنكر فلم يكن من القاضى إلا أن قال له : أسرع ! أيها النفل قبل أن تفوت الفرصة !

فلم ينتظر جرينشار مسبة أخرى ، وكان رجلاً حقوداً بالفطرة ، ولا سيما أن ساعة الظهر ترحم الشوارع بالنصرفين من أعمالهم فيختلط الحابل بالنابل ، وقد تفوت الفرصة حقاً فينطبق عليه الوصف الذى خطه عليه موسيو جيرار بوليفان قاضى التحقيق

واتصل القاضى بالأسقفية ، عن طريق التليفون ، وطلب أن يخاطب الأسقف مخاطبة شخصية ، ودعن ألقاظه بألوان التبجيل والاحترام ، وأبدى معاذيره عن مسلكه الذى لم يكن منه بد ، عندما جبه للتدوب في الصباح ، فقال له الأسقف :

— إن الأسقفية تدرك جيداً وجوب قيامك بملك الذى وراه سلامة المجتمع ، ولكنها لا تقبل أن تصدى إرادة الكنيسة ، وتعمل على نشر فضيحة لا تشفى غليل أحد ، وتسى الى ذكرى القتل الذى كان لا ريب فريسة لنواية الشيطان ، أو خيعة لمؤامرة أعداء القضية .

وقد سمي شارعاً مجازاً لاختناقه بين الشوارع الكبرى ، ولكنه في الحقيقة زقاق ضيق منحصر أصله حلقة من سلسلة للمساعد العرة التى عيئت في تلال عالية شيدت عليها مدينة ليون كما بنيت رومة على سبمة تلال ولا تزال أكابها ظاهرة في « فورفير » و« كرواروس » و« رامباردينه » .

وكان زقاق « جيراف » يشبه عتق الزرافة ولنا أطلق عليه اسماً ، فهو كالسطرطوموس في صفحة مكتظة بالأحرف والكتل ، ولكن على الرغم من ضيقه وانحدار ما اجتمعت فيه عشرات من النظارة الذين يسبح استطلاعهم أبناء الجرائم ، وكانت على جانبيه بيوت منقطة^(٢) بطرقها ورواد الملاهي في مختلف الأوقات من الليل والنهار تعرضها الشرطة وتسجلها دقار « بوليس الأخلاق » ؛ ولكنها أغمنت أعينها وضمت أذانها عنها ، إذ كانت كل واردة من بنات الهوى سجل العناء والجس وراه نوافذها المتلفة ، قد تسلفت من إدارة الأمن العام ، تذكرة صفراء تبيع لها غائلة « الحرقاء » ، وتحمم عليها فحص الطبيب ، وتحمدها من الاحياء رجل يمشى من جهودها الحزبة الألمية ، ومن الاشتراك في جرعة سرقة المشراء (بالاستولايج)^(٣) وأن تبلغ بما تعلمه عنها فكان أول ما يدير إلى ذهن رئيس « البحوث الجنائية » وأعوامه أن يهاجوا تلك البيوت وأن يقتسوها ، لهم يثرون بدليل في إحدى الغرف السوداء التي تخفى وراء جدرانها البؤس والشقاء وبعض معالم الجنائيات الخفية

وأي قاضى التحقيق في فترة التأجيل أن يتنبدى

(١) قصر العدل ويقولون في مصر سراى المحكمة ولا سبها المختلطة

(١) Maisons closes اسم له في فرنسا متناه الرقيب

(٢) نوع خبيث من اختلاس المال من الرجال أثناء سكرهم

واحتكاكها بما وراء الوجود الظاهر والقوالب
والأشخاص « بسكال : المدل ...

— ٢ —

يطيب لي أن أراقب الرضى والمجانين والمساكين
وأشعب عيني ونفسي من ألوانهم وأنواعهم . إن
أحاديثهم أقد وأنفع من حديث الأسماء والمقلاء ،
والأحرار ... الأحرار ... هذا الأبله فوجيرار
صاحب معامل الحديد في حي بوثيو . بسكال : المدل
موجود لأن الساتية قررة (أفكار ١٣٤) ولكن
هل هو موجود في الحقيقة ؟ ...

— ٣ —

دعاني فوجيرار لزيارته . وقدم إليّ زوجته
وبناته . وطلب إليّ أن أباركهن !! وسألني رأيي في
راسبوتين وعلاقته بالقيصرة : إله من وقع جسور !
إنه أحمى يظن نفسه بصيراً ! ومقهور يحسبه قاهراً ،
ومستعبد يمتد أنه طليق ! مستعبد لما له وأهله
وشهواته !! أنا وحدى الطليق ، لأنني تحررت من
قيود المال والشهوات ! ولكن من يدري ؟؟

— ٤ —

مدام لابلت . شارع جارت نمر ٢٩ . جملة
فصيحة متدبنة . تناديني « يا أبناء أقدني من مخالب
الذئوب التي تكنتني ، منذ قذفت زوجي ، إن حياتي
محفوظة بالكاره ... وأظري من الرجال ، حتى
الحارم ، يمازلونني وينصبون لي الشباك ... أظن
أن ... متعلق بي حتى أغرى خادمتي المجوز مدام
« بوليه » بالمال فأدخلته إلى مضجعي خفية ...
ليفاجئني نائمة عارية . وكيف أستثيت ؟ لا وسيلة
إلا التسليم ! الطعام والزمار مشكلة الحياة وشغل
التاس الشاغل » وأنا وحدي فتوح في الأول ،

فقال القاضى متلفظاً :

— ولكن يا سيدى الأسقف هل يمكن التنازل
بأخبارنا عن هويته ، لنحصر جهودنا في البحث عن
الجنابة ، فإنا قبل أن نبذل جهدنا في هذه المسئلة ،
لا بد لنا أن نقف على شخصية القاتل .

ألو ! ألو ! ألو !

— سنترال !

— هنا مكتب قاضى التحقيق . كنا على اتصال
بالأسقف رقم ١٣٠٣٣ ك . مدينة

— الرقم لا يجيب ... انتظر ! لقد علقوا
الساعة بعد المحادثة

فأبستم قاضى التحقيق وقال :

— سكوت هو الاعتراف بنفسه !

في تلك اللحظة دخل صبي صغير من أتباع
جريفشار يحزم خنثوم قلسه القاضى يدأ بيد ،
وحيا الصبي وانصرف ، وأسرع القاضى إلى نص
غلاف الحزر فإنا به كناشة صغيرة في حجم الكف
تحمل تاريخ سنة ١٩٠٨ ، ولكن الكتابة للدونة
فيها لا تتبع التواريخ ، خط دقيق وصفحات ملأى ،
ألوان شتى من اللداد ... الأسود والأحمر والأزرق
أحياناً ... نبد لايتينية ، وأشمار يونانية ، وأكبت من
المهدين القديسوا الجديد ، أسماء حديثة وأخرى بائنة

— ١ —

ياويلتا من بني آدم وبنات حواء ! إنهم يشغلون
ذهني دائماً بصورهم التي لا عداد لها . إن أخلاقي
هى الحجاب الحاجز الذى يحول بيني وبينهم ، حتى
عبت وأعيأ العقل مجهودى ... بسكال . النبي دانيال
٣ : ١٤ : ٣٤ « ويل لك يا ابن آدم من نفسك ،

يقتلني في الصميم ! إن من الإيجاب اكرا ما ،
وقناطير مقنطرة ! أما الحب فلا دائق ولا ذرة

— ٦ —

الآن عرفت سبب الاضطهاد فقد قلت في
موعظي التي تلاها تقرر « المراقبة عن كتب » :
إن المناقشين يتنجحون بسم الفضيلة ؛ وبسم الفضيلة
تتصرف الآكام . مدام رولان : أه أيها الحرية ! كم
جرعة تتصرف بسمك ؟ أه أيها المدل كم يرثي . يظلم
بسمك ! ان الثائر ين على الأخلاق كالساخطين على
المعتقدات . أحب أن أحارب الشياطين المسترة
وراء النفاق ... بل شيطاناً واحداً كلنا في نفسى
لم نخرجه الصلاة ولا الواعظ إلى ...

كان قاضي التحقيق يقرأ مذهلاً ، لقد أمسى
من الحقيقة قاب قوسين أو أدنى .. بل هذه هي
الحقيقة نفسها بين يديه . ولكن لوسيان كاتبه
ماشاه في هذه المهمة ؟ في هذه اللحظة دق التليفون :
— ألو ! ألو ! سيدى القاضي بوتليان .. أنا
جيرينشار اتكلم ! الفكرة التي وصلت إليك كانت في
حوزة لوسيان . نعم لوسيان كاتب التحقيق كان
يحاول إلقاءها في نهر السين ، فألقي بأشياء أخرى ،
وسقطت للفكرة على الأرض لفرط ارتباكها ثم سار
في طريقه كالجنون ، فالتقطت للفكرة . أما الآن في
شارع لاجويوتير ، لوسيان في حاة يتحدث إسرائيلية
جيلة ، وقتية ، هل أبض عليهما ؟

— إنا نعرف مسكنه ولا نعرف مسكنها . من
الحكمة أن تقبض عليها في بيتها ، إنها لا يلبثان
أن يفترا ، فأركه واتبعها ..

عزوف عن الثاني ، ولما ترائى حراً كالطير ، أغرد
على النابر أيام الأحد والأعياد ، وانتقل بين مواطن
الآلام وهي أعصابي وأفتاني ثم آوى إلى عشي وهو
صومتي . وإن لم يكن فيها أنني ولا سنار الطير فهي
تحميني من عبث الحياة ...

— ٥ —

الأسقف ... ذلك العيم البهم ! إنه لا يعلم
شيئاً ، لقد نحى بي على مذبح معاصمه . هل أصلح
لماشرة المجرمين والذينين والمجانين والمرضى ؟ رجل
مثلي طيب القلب غلب القسان قوى الحجة لا يصلح
إلا للوعظ .. ولكنه يريد أن يسحب منى وظيفتي
ببلاقة كهوتية . لقد أشار في حديثه منى إلى طنبيان
ساقولولا^(١) فقد همسوا في أذنه أن تقرر أو وصل
إلى مونسنيور « ميري ديقال » نفسه جاء فيه
(راقب جيميه عن كتب) كلام ملتور غامض .
لأنني أرت الجدل حول مسألة الخلق القويم . إنها
مسألة شائكة ، استجرت فيها رؤوس الأقلام من
قديم وتبلبلت بسببها الألسنة ، من عهد ريتان . أه
ريتان ! من لي بثقافته واعتداله ! هل كان مؤمناً ؟
هل كان ملحداً ؟ أم إنه ودع المالموقد ازداد جهلاً ؟
ألم يصل لنيرفا في الاكروبول ؟ بيتان وشلال !
ألم زر موضع الميلاد والصلب والتبر المقدس ؟
بماذا عاد إلينا ؟ إنه عاد بالشكوك القاتلة التي سمجت
إلى آخر حياته ! وخسر أخته هنريت في الصفقة !
أما أنا فلا أخت لي أقدمها ، حتى ولا امرأة
بيدة أحبتي يوماً . كلهم يظهرن لي الاحترام الذي

(١) كلهم مونتيني عاش في فلورنسا في القرن الخامس
عشر وتكر على نداد المنجس فأمرت الكنيسة بإعدامه
وخره وقبرة وماده في نهر ارنو

لأنني شمرت كأن أسلاكاً ذهبية من نور الحب
تجذبني إلى الطغى »

وكان الظلام حالاً . فأشعلت الفتاة عقب شمعاً
وأجلستني على السرير ، فأنسأها سواه يصلح مجلساً .
وكانت باهتة ، فأنسأني : هل معك يا أبتاه نقود ،
فيصاً من فضل الصدقات ؟ فأنسأني كما ترى أحق
الناس بها . فتصنعت الصم والتب لأرى كيف
تعمل تلك الأنامل الرقاق بعد أن جذبني إلى
سريرها ؟ فكانت برهة سحرية لم أعرف لفتها من
قبل ، فأخرجت كيس النقود — جذع البتاي
والأرامل — وحللت خيوطه وأفرغته في حجرها
فقبلت يدي ، وانهزت دموعها . مصيبة . مصيبة .
الفرار ! الفرار ! ... ! وقد نبوت ضلاً من حباله
الشیطان ...

أنا دنيس بنى جان روسنيول جراح وطبيب
بقسم الطب الشرعى التابع لقنائب المام بمحكمة
استئناف ليون العليا أثبت الآتى :

بفحص الجثة ، وجدت الكهل في المقعد الخامس
صحیح الأبصار ، سليم الأحشاء ما عدا القلب فقد
وجد متضخماً . وسبب الوفاة سكتة قلبية أثناء
مجهود لم يتعوده التوفى وهو في حالة مجز جنسي كم
لم نسبقه ممارسة

« نحن قاضى التحقيق أمرنا بحفظ القضية
لعدم الجريئة »
وهكذا عاش ومات الأب أرمان جيميه واعظ
كنيسة شارتييه .

محمد لطفي جمعة

ألقى القاضي بساعة التليفون باهتاً .. ومتصراً
فقد تحققت ظنونه

ودخل دكتور لو كار يحمل تقريره وهو ثمة
التحقيق الدقيق

كان صاحب الجثة في أحضان امرأة قبيـل
وفاته ، وفي إحدى قلامات أغافره ذرات من
مساحيق مضاء وحمراء مطرة ، آثار زينة للمرأة ،
ويدل تقلص أنامل اليد اليسرى على أنه شرع في
خفقتها ، واستمسك اليد اليمنى بأسفل البطن قرينة
ما أصابه بين الحصر عند ما أخفق في حبه

النتيجة : حالة مجز مصحوبة بمجنون الشيوخوة
المبكرة . أما سبب الوفاة فيكشف عنه تشرح الجثة
ألقى يقوم زميلي الدكتور روسنيول

الطبيب — إمضاء

عاد القاضي إلى الفكرة :

— ٧ —

كانت فتاة رداة ، يجرى في عروقها دم حار
غزير . لقيتني بأكية بعد خطبة الأحد ، وطلبت
إليها أن تدلى على بيتها لتبوح لي بحقيقة حالها قبل
أن أبدأ لها النصيحة . بيتها . يا أسفاه ! إنه
« طغى » ^(١) . خن للحام ضيق . مظلم في أعلى
منزل بشارع جبراف اسمها جانيت ديلايه جرانسير
(من ورثة ألقاب النبلاء !) الكنيسة وذرية
الأشراف تلتقيان في علية بظاهر السطوح ! دخلت
على جانيت في الليلة الأولى ، وكان الطرب ينهمر ، بعد
أن صعدت سبع طبقات ؛ فلدت بينها الرخصتين
لتأخذ يدي على درج السلم ، فارتجفت وكدت أضغ

(١) بالفرنسية mansarde عليقة البيوت تزجر للفرار

البر والافتقار والبر وما تترك تسمى سيرة السير



هل فصل الوصايا بالبر والافتقار والبر وما تترك
وان قرصا او قرصيه منه اسير في الاخذ في الوقت المناسب فقد لا يبر
مدونة اسير في اسير طرية ومنها على رضا عفا برصه. وقد انت هنا
البر في الناس فانه اسير في الناس فلماذا لا تترك؟ انك سيرة
صديقا عند الحاجة وها هو لك، قاد على الرأى والبر في الناس
والسير في مفعول مربي لا خطر فيه وهو لا يضر المعدة ولا القلب
وهو سيرة اعظم المستحبات الطبية التي افرها الله لخير الاناسي .



٢ قرصان
٥ ساجات
١٠ اقراص
٢٦ قرصا
٢٧ قرصا
٥ قرصين

البيكلاء
ج. ب. ش. ر. ك.
والشركاء
المفاتيح
ش. ع. الك. ل. ل. ل.
١٩٢٣
الاسكتلندي
٩ ش. ع. ط. ر. ت.
٢٦٣٤

ايان ان تتخذ بالقرص اطلب اسير



عاش في بيت ريفي جميل قد
شاده على نخط القلاع القديمة قريباً
من طريق السكة الحديدية، إلا أن
أعصاب هذا السيد لم تكن تتأذى
من دوي القطر أو جلبة المرات
لم يكد القطار يدنو من المنزل

حتى اندفع إليه رجل لا يكاد المرء
يفرق بين سواد وجهه وسواد
ثوبه؛ وأخذ يلوح بفقاذه الأسود
ويصيح بصوت حادٍ مدو: قتيل!
قتيل! لم يكن هذا الرجل الأسود
الإلخام السيد أرمسترونج، فوقف
القطار وأسرع الناس إلى المنزل
فرأوا شيخاً ملقاً على الأرض في
ثوب أسفر قد لف حول ساقه
جل طويل. وأغلب الظن أن
الشخص الذي لف هذا الجبل
قد لقي كثيراً من المقاومة

والصراع من القتل. كان ذلك الشيخ الملقى على
الأرض هو السيد أرمسترونج

وفي تلك الساعة الهيمية برز سكرتير القتل
«باتريك رويس» وهو رجل معروف من رجال
الفن وأصحاب الحانات؛ ثم جاءت في أثره ابنة الشيخ
المتوفى «أليس» ترتجف وتلهث. ثم أرسل في طلب
الأب براون فليجي على عمل. فلما جاء إلى المنزل رأى
رجلاً من البوليس السري يدعى «مرتون» فالتحقى
به جانباً من الحقل المجاور للمنزل وأخذ يتحدثان
في أسر هذا القتل!

فقال مرتون: الواقع أنني لأرى شخصاً محموم

الآن الموت الثالث

للكاتب الإنجليزي تيسيرن

«تستقر شامو وقصص
وروائ تتلذذ بجاذبه للرحه ونكته
اللاذعه كما تتلذذ قصصه البوليسيه عن
قصص سير ارثر كونان دويل بروحها
الأديبوساويها الأخاذ، ومن أشهر
مؤلفاته كتابه عن برنارد شو وهو
كتاب ينزع من الانسان غمه وأخذ
على القاريء كل غمكه، وسيلس
القاريء جانباً من مهارة هذا الكاتب
في فن القصة وتبنيه الجوهر وخلق
الشاكل الكثيرة حول أبطالها في
هذه القصة التي أعلمها اليوم والى
تعتبر بحق من أروع القصص البوليسيه
دقة وتركيباً»

عرف الأب «براون» عن
طريق الوعظ والإيمان أن
الانسان يطهر بالموت وأن روحه
تسوم بانفصالها عن الجسد،
ولكنه لم يكد يعلم يقتل سير
«أرون أرمسترونج» حتى أحس
بالأم يحز في قلبه والحزن يعمل
في فؤاده. واستولى على الناس
كثير من الحيرة والبهشة
لاعتقادهم أن سير أرمسترونج
شخصية مرحية لا يتطرق إليها

البأس ولا تبتس لهوام الخطوب، فقد كان سليم
الجسم صحيح العقل منبسط المزاج، تأخذ أحواله
السياسية والاجتماعية يعقول الناس بأسلوبه الفكه
ونكته الباردة. ولا غربة في هذا فقد انصرف
عن تاليم الكنيسة الاسكتلندية إلى غور أدبته
وقضى فيها زهرة شبابه. ثم ودع الحياتين «حياة
الدين وحياة الشراب» وسلك في الحياة طريقاً
خاصاً لا يدري الانسان إن كان فيه من اتباع كلفن
أو من رواد الحانات، وإن كان وجهه المستدير
ولحيته البيضاء وعويناه الالامه تبت في نفوس
الناس شعوراً خزيجاً من الرزاة والمرح

قتل هذا الشيخ ، ولكنني لست متأكدًا من هذا
فصاح مرتون قائلاً : « وهل تظن أن الناس
لا يحبون الرح ؟ »

فأجاب براون : إن الناس يحبون الضحك
التواصل ، ولكنني لا أظنهم يحبون الابتسام الدائم .
فالرح الخالي من الضحكة هو من أهل الأشياء
على نفوسهم

ثم مضيا صامتين في ذلك الطريق المنحصر
لا يسمعان إلا صفير الرياح وهسيس النبات حتى
أتيا راية صغيرة تشرف على المنزل فوقها هناك ،
وأخذ الأب براون يتحدث كمن يريد أن يزعج شيئاً
تتبعاً عن نفسه فقال :

« إن الشراب ليس خيراً ولا شراً في ذاته ،
ولكني أشعر أحياناً أن كثيرين من الناس يطلبون
الكأس من وقت إلى آخر لتسكن نازتهم ونهدأ
أعصابهم . ثم التفت حوله فرأى رئيس البوليس
السري قائماً إليه ، فبادره مرتون بالسؤال :

— هل كشفت سر الجريمة ؟

— فأجابه « جليدر » وقد أخذ التوم بأهداب
عينيه : « ما من سر هناك » فأبسم مرتون وقال
« حسن ، ولكنني أراه سراً »

فرد عليه الرئيس وهو يمشط لحيته بأصابعه : لم
يمض على ذهابك إلى الأب براون دقائق حتى وقت
على الحقيقة كلها . أنك تعرف ذلك الخادم ذا التفاز
الأسود الذي أوقف التطار

— أوه . يجب أن أعرفه . فقد أزعجني

— ثم استطرد جليدر قائلاً : حسن . فلما
مضى التطار مضى معه ذلك الأسود

باله من مجرم ثابت ؛ يريد أن يهرب بنفس التطار

عليه الشبهة ، فجنوس رجل غبي أبعد الناس عن أن
يكون سفاكاً للدماء ؛ وروليس صديق جيم للقتيل منذ
عهد بعيد ، ثم إنه مبهود ابنته (أليس) فلا يمكن أن
يرتكب مثل هذا الجرم ويهدم سعادة هذا البيت الرح
— فأجاب براون : أجل ، لقد كان بيتاً مرحاً
قبل أن يموت صاحبه . أعتقد أنه سيقتي كذلك
بعد غياب سيده ؟

— أجل . لقد مات !!

فرض الأب براون يقول : لقد كان مرحاً
حقاً ، ولكن هل كان هذا الرجل شامساً في نفوس
الآخرين الذين كانوا يقامونه البيض ؟ !
فأثار هذا الكلام شكوك مرتون وأخذ يفكر

في حياة ذلك الشيخ

لقد كان المنزل قابضاً للنفس ، وكانت غرفه عالية
ضيقة باردة يسري فيها بصيص من الضوء الباهت كضوء
القمربل أشد شحوباً ، وكان كل شيء في المنزل
يمتد في النفس الكآبة والضيق والتفور . كذلك كان
الأشخاص الذين يقيمون فيه : فالخادم مجنوس كان
يلوح في قفازه الأسود الكبير كأنه طافوت ثقيل ؛
والسكرتير رويس كان برّى في لحيته المستديرة
الكثة ، وجهته التي ارتسمت عليها التجاعيد قبل
الأوان ، منقل القلب عظموف الفؤاد مصدوم الأمانى .
أما أليس فلم يكن فيها من صفات والدها شيء ،
فقد كانت شديدة الحساسية مرهفة الأعصاب حتى
أن مرتون طالما أشفق عليها وعجب كيف تنام تلك
المخوفة الحساسة على صفيح التطار وجلجلة الريات ؟ !
ثم استطرد الأب براون قائلاً : إني واثق
من أن الرجل الذي كان فيه سير ارمسترونج لم يشر
المنزل كله . قد تقول إنه ليس هناك من يفكر في

وفي هذه الأثناء كان القطار قد وصل حاملاً
نقرأ من الجند ومعهم مجنوس فصاح جليدر، وهو
يقفز إليهم في خفة وسرعة : لقد أتوا به !
فدنا منه مجنوس وقال : أين المفتش ؟ فلما سمع
الناس صوته عرفوا كيف استطاع أن يقف القطار .
لقد كان زري الهيئة صمم الصورة لم يبق دمه بعد
من لومته القديمة ، ولكن صوته كان نافذاً قوياً
قدر ما كان وجهه شاحباً ميتاً . ثم صاح بصوت
مدو رنان : كنت أتوقع هذا ! ثم لوح بقفازه
في الهواء فنظر إليه جليدر بين غاضبة ونادى
الجاويش وقال : ألا تنوى أن تنزل يدى ذلك المخلوق ؟
يدولى أنه خطر

— حسن ياسيدي . ولكنى لا أظن أننا
سنفقد هذا

— ماذا تنى بهذا ؟ ألم تقبضوا عليه ؟
— أجل لقد قبضنا عليه وهو خارج من نقطة
البوليس حيث أودع أموال سيده لدى المفتش
« روبنسون »

فنظر جليدر إلى الرجل دهشاً وقال : لماذا
فعلت هذا ؟

— لأنى بها يد الجرم
— إن أموال السيد ارستروج يجب أن تترك
سليمة لأسرته

وفي هذه اللحظة علا صغير القطار واشتد قرع
الأجراس فتاب فيه صوت الرجل الأسود ولم يسمع
منه المفتش إلا هذه الجملة :

« ليس لدى ما يحملنى أثق فى أسرة
ارستروج »

— فأجابه رويس فى صوت خافت : عليك أن

الذى ذهب لاحضار البوليس

— وهل أنت واثق تماماً من أنه هو القاتل ؟
— نعم يا بني إلى متى أكد من هذا ؟ فقد هرب
حاملاً معه العشرين ألف جنيه من الورق ؛ ولكن
المهم الآن هو أن نعرف كيف قتله . فقد وجدنا
الجمجمة مكسورة كما لو كانت مشجوجة بألفضضة ،
ولكننا لم نجد شيئاً حوله ألبنة . وليس من المقول
أن يحمل القاتل تلك الآلة ما لم تكن صغيرة جداً
بدرجة لا تلاحظ

فقال القس : ولكن ربما كان اللوث بألة
أكبر من أن تلاحظ .

فجذب جليدر لتلك الملاحظة الثرية ونظر إليه
يستوضح قصده

فأجابه الأب براون . إن سير أومستروج
المسكين قد قتل بألة مارد جبار

آلة أكبر من أن ترى هي التي نسميها الأرض .
لقد أتى به في هذه البقعة الخضراء التي تقف عليها
الآن .

— ماذا تنى ؟

فصوب الأب براون بصره إلى المنزل فرأى
نافذة مفتوحة قرب فته فقال وهو يشير إلى تلك
النافذة الصغيرة : « ألا ترى ! لقد أتى به من هناك ! »
فنظر جليدر إلى النافذة وقال : من المحتمل جداً
أن يكون هذا ، ولكنى لا أدري علة ترجيحك
هذا !

فخلف الأب براون بينه والواستين وقال :
لماذا ؟ ألم تر الرجل حول ساق الرجل ؟ ألم تر قطعة
أخرى من الجبل مثبتة في النافذة ؟

— إنك مصيب في هذا يا سيدي . إلى أسجل
ك هذا .

— سأقبض عليك من أجل هذا العمل

— لا بل أقبض على بئمة القتل

— ماذا تعني ؟

— إن ما يقول هذا الرجل صحيح ، فإن مس

ارمسترونج كانت ترتجف وهي ممسكة السكينة في

يدها ، ولكنها لم تختطف السكينة لتقتل أباهما بل

لتدافع عنه

— تدافع عنه ! ! ضد من ؟

فأجاب السكرتير : ضدي

ففتطرت إليه أليس بوجه مقعد غامض ثم قالت

في صوت خافت :

— إنني أشعر بالغرغ من هذا بالفرح لشجاعتك

فقال رويس : هيا اصعدوا معي فسأريكم كيف

حدثت تلك اللأساء . ففى تلك الغرفة العالية حيث

كان يتنام السكرتير كان موطن السر تلك الجريمة

الروعة ؛ ففى الأرض ألقى ممدس حديث الطلق ،

وبالقرب منه زلجاجة من الحجر مفتوحة غير أنها لم

تكن فارغة تماماً . ثم إن غطاء المائدة كان مطويًا

وقد وجد عليها جبل طويل شبيه بذلك الذى كان

حول ساق القتيلى

ثم قال رويس في سناجحة الطفل : كنت

أشرب عندئذ . إنكم ترففون كيف بدأت قصتي

وقد تنتهى إلى مثل هذه النهاية . لقد سمعت الناس

يصفوننى بالكاه أحياناً ، وكان فى استطاعتى أن

أعيش سعيداً ، فقد أخذ ارمسترونج البقية الباقية

من عقلى وجسمى بعد أن أنت عليها الحانات

والقهاى ؛ وكان دائماً يجبرنى بسطفه وجهه إلا أنه

(٥)

تفكر فيما تقول ، فإنك ترجع من ارمسترونج بهذا الكلام !

— إنى أود هذا . فقد طالما رأيتها ترتجف ،

كارة من البرد ، وكارة من الخوف . ولكنى واثق

من أنها كانت ترتجف من التيقظ والحق . لقد كانت

تود أن تفر اليوم مع حبيبها حاملة معها كل اللال ،

لأن سيدى للسكين قد رفض أن يزوجها من ذلك

الحارس

قاطمه جليدر قائلاً : مه ! فلا يسنينا اليوم

شكوكك عن أسرتك مالم تدع هذه الشكوك

بالشواهد العملية

— سأقدم لك أداة قاطمة على صحة ما أقول

« فقد أسرع إلى الرجل وهو مربوط فى النافذة

فرايت ابنته ترتجف في مشيتها ممسكة خنجرًا في يدها .

أرجو أن تسمح لى أن أقدم هذا إلى الجهات المختصة ؛

ثم أخرج من جيبه سكينًا طويلًا وقدمها إلى

الجاويز . فآذاد حتى صرّون عليه وطلب من جليدر

أن يسمع أقوال من ارمسترونج ، فصرخت الفتاة

وهي واقفة كأنما أسأها شلل ، ولم يبق فيها من علام

الحياة إلا عيناها اللتان تلمعان تحت جبين شاحب

منفض قد تهدل عليه شعر أسود قائم . فالتفت

إليها جليدر وقال :

— إن هذا الرجل يقول إنه رآك ممسكة سكينًا

وأنت لا تكونين تشعرين بنفسك بعد القتل

فأجابه (أليس) قائلة : إنه صادق

وعندئذ انضح باريك رويس بين الجند وهوى

على مجنوس بقضيب كبير من الحديد ؛ فأصرع الجند

إليه وألقوا القبض عليه وصاح فيه جليدر قائلاً :

له : إنك رجل ذكي وإنني أعرف أنك تحاول إقناع
رويس ، ولكن عبتا تحاول . إن كل شيء يقف
ضد ذلك الرجل الذي أحب ...

فنظر إليها براون وقال لماذا ؟

— لأنني وجدته بنفسى يرتكب جريمة

— وماذا عمل ؟

— لقد كنت في النرفة المجاورة لها ؛ وكان

البابان منقلبين ، وبقية سمعت صوتاً لم أسمع مثله من
قبل يدوي كأنه الرعد : « الجحيم ! الجحيم ! الجحيم ! »

ثم سمعت البابين يهترآن من أثر الطلقة الأولى .

سمعت هذا ثلاث مرات قبل أن أفتح البابين وأدري

الدخان يملأ النرفة . لقد كان ينبعث من المدس

الذي كان في يد باتريك للسكين وهو يطلق الطلق

الأخير ... ثم رأيته يقفز إلى أبي الذي كان ممسكاً

بالتافئة . ياله من منظر مهروع فظيع وهو يزجر

ويصيح محاولاً أن يجلس أنفاسه بالحبل الذي ألقاه

على رأسه ، ولكن الحبل انزلني عن كتفه إلى

ساقه من أثر المقاومة الشنيعة ثم أخذ يجره كالجنون .

فاختلطت سكينه وأندفعت بيننا لأقطع الحبل قبل

أن يستولى على الضف والإغناء

فأجابها الأب براون : إلى ظم . أشكرك !

ثم تركها ثابتة في ذكرياتها للؤلؤ الثقيلة ومضى

إلى جليدر ومرتون ومعهما رويس ، فقال لهم :

لقد أخبرتكم أن هناك آلات كثيرة لم تستعمل

للقتل ، فالسكين الملوحة بالدم والمدس والحبل كانت

أدوات رحمة وإقناع لم تستعمل في قتل سيرابرون

بل لإقناعه

لم يسمح لي أن أتزوج أليس . ربما كان محققاً في
هذا . أظن أنكم لستم في حاجة إلى مزيد ... فماكم
زجاجة الويسكي لا يزال فيها بقية ملقاة على الأرض
وماكم المدس الذي أفرغته حديثاً ، وبقية الحبل
الذي أوقعت به الرجل وألقيت به من التافئة . إنكم
لستم في حاجة إلى بوليس سري يكشف عن مأساتي
فهي ظاهرة للعيان ، وهأنذا أقدم نفسي لأستوفي
جزائي !!

فهم الجند بالتبض عليه لولا أن صوت الأب
براون دوى عالياً وهو يقول :

— قفوا . إن هذا مستحيل . لقد كنتم

تقولون أولاً إنكم لم تجدوا آلات ، ولكننا قد

وجدنا الآن كثيراً . فهاهي السكين اللطمن ، والحبل

للخنق ، والمدس المطلق . ثم إن القاتل قد كسر

رقبة نحيته بأن أتى به من التافئة . لا يمكن أن

يحدث هذا كله ، فإن هذا القتل يتناقض مع مبادئ

الاقتصاد . ثم إننا نجد أشياء لا يمكن أن تحدث .

فهذه الثقوب التي تراها في البساط حيث تقذت

فيها الرصاصات الست . فهل يطلق الإنسان النار

على البساط ؟ إن المخمور يصوب المدس إلى رأس

عدوه ، فهو لا يهجم على قدميه أو يرسم الملامات

لقنزاته . ثم الحبل ، فكيف يصدق العقل أن إنساناً

يضع الحبل في عنق إنسان ثم يعود فيربط به ساقه ؟

إن رويس لم يكن على أية حال غائباً عن عقله حتى

يفعل هذا ... ثم دنا من رويس وقال : إلى آسف

يا عزيزي أن أقول لك إن قصتك كاذبة سيئة عن

الحقيقة ...

ثم انتحى أليس بالقس سيدياً وأخذت تقول

— فأجابه رويس : ولكن ألا ترى أنني قلت هذا لكي لا تصرف خطاها !
 — فقال مروتون : لا تصرف ماذا ؟
 — أنها قتلت أبها وأبها النفل !
 — أنها ستجن لو أنها عرفت هذا
 — فقال الأب براون وهو يتناول قبعته : لا أعلن هذا . إني أفضل أن أخبرها بالأمر . فان أشنع جرائم القتل لا نسمم الأفكار كالخطايا . ثم انصرف
 وبينما هو في طريقه إلى منزله قابله أحد أصدقائه فقال له :
 — لقد وصلت النياية الآن وستباشر التحقيق !
 فأجابه الأب براون : يؤسفني ألا أحضره !
 (ع . ٥٠)

المجموعة الأولى

للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فني المصر لوسيه ، والأوديسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأرواق لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

فأجابه جليدر — لا تقاذه ؟ وم
 فقال الأب براون : من نفسه ، قد كان مجنوناً بهم يقتل نفسه
 فصاح مروتون في نغمة البهج للشكك : ماذا ؟
 — أنها نوبة ديفية تستولى عليه من وقت إلى آخر . فلماذا لم تتركوه ينقش عن نفسه بالبكاء كما كان يفعل أكلؤه . لقد ضاقت به الحيل ، وسدت أمامه السبل . إذ كان وراء ذلك الثقاب للرح الطروب عقل شاك وقلب خال من الايمان . فكان إذا ما جادته تلك النوبة انكفأ إلى الشراب يسب منه ما ينسيه نفسه . وكان يعتقد أحياناً أنه في الجحيم التي طلالاً أئذ الناس من شر فعلها . وهذا هو ما كان عليه اليوم فقد أخذ يهذي كالجموم ، واندمج إلى الموت كالمجنون ، وأخذ يحتمل عليه بشق الطرق : بالجبال والسكنية والسدس . فاتفق عندئذ دخول رويس فأتى السكنية خلفه على البساط واختطف السدس . ولما لم يجد فيه وقتاً يتبرع منه الرصاصات أخذ يطلقها في الأرض الواحدة بعد الأخرى . ولكن للتحرر رأى أمامه طريقة أخرى للموت فاندفع إلى النافذة . فلم يسع النقد إلا أن جرى خلفه بالجبل محاولاً أن يربطه من ذراعه وقمعه ؛ وعندئذ دخلت الفتاة فأسادت فهم ذلك الصراع العنيف الذي كان بين الاثنين فأسرعت إلى والدها لتتفقه ، وعملت على هذا حتى تقاطر منها الدم ، ولكنها استطاعت قبل أن تمحو قواها أن تخلص والدها فهوى من النافذة إلى الأبدية !
 فالتفت جليدر إلى رويس وقال : أعلن أي لم أخطئ عندما قلت لك والفتاة أنكما ببيدبان عن القتل !

الفُستائِلُ البَيضُ

للفصيح الأندلسي ستانكي أومونيير
بقلم الأديب نظمى خليل

مكباً على الجرائد والمجلات التي
كنت أدغب في قراءتها . ثم جرتنا
خطأ يسير وقع في أحد أعداد
« مجلة السبت » إلى الخوض في
حديث عدى أعقبه لقطة منه ، ثم
حديث عن الجو ، ثم انحناءة من
جانبه وسؤال عن صحته من جانبي

إلى أن اتفقت أن خرجنا من الدار يوماً وسرنا معاً
حتى نهاية الطريق

لقد شمرت لبليل إليه منذ أول مرة ، فقد مك
على شموري تغييره الدقيق الواضح وما يجعله من
عاطفة قوية مكبوتة ، حتى أن ميله لأتفه الأشياء كان
يشير في نفسي أعمق الدكريات . فإن قال « ما أبهج
هذا اليوم ! لم يكن هذا القول اصطلاحاً مألوفاً أو
قولاً مستأداً ، بل كان انصباحاً من الفرح والنبطة لحياة
الربيع ، والشمس المشرقة ، والخراف الصغيرة وهي
تتب وتقفز على حافة المراعى الخضراء ! ولو قال :
إني جد أسف ! جواباً لقولك : أتني نسيت تذكرة
السيارة فاضطرت دفع الأجر مضاعفاً ، خيل إليك
أن جميع أنواع الحزن قد تجمعت في تلك السحابة
من السحابة التي تطفر من عينيه !

دعاني يوماً فزيارته ، وكان يقيم في الدور الأول
من منزل صغير وحيداً ليس معه إلا امرأة نصف
قد انسلت إلينا في خطي خفيفة سريعة . لقد كانت
الترف كإسفا فقيرة ، ولكنها لم تكن بالثة حد
الفقر . قد تناوت فيها قطع الآثاث والصور التي
تحمل أعمق الدكريات ، فأدركت حينئذ مكانة
المثل . طرأ أنه كان مصوراً لاستطعت أن أنظر إلى
بعض آثاره فأعترف قدره ، ولكن مانا نعمل حيال

عند ما يبلغ كل إنسان نهاية الطريق يقف
الصور والزئف والمهندس والمثال ، كل يشير إلى
عمله ويقول : « هذه هي آثارى ، سوف أقال بها
تقدير الأجيال المقبلة » ولكن لا يبق للممثل أو
للموسيقى شيء إلا الدكريات التي تعلق بأذهان
من يحبونها ؛ فقد تسمع إنساناً يقول لك « إني بنى
كان يبنى لك أن تسمع فلاناً أو تشاهد فلاناً »
ولكن لو لم تكن قد سمعت للموسيقى أو شأحت
ذلك الممثل فإن هذا الكلام لا يترك فيك أثراً ..
ولكن الممثل أسوأ حظاً من الموسيقى لأن
الناس يحاولون الآن بمختلف الطرق أن يحتفظوا
بآثار الموسيقى ، ولكن ليس ثمة وسيلة للاحتفاظ
بتلك الحالات النفسية المتينة التي يكون عليها الممثل
في ليالي مجده . فقد مضت هذه في طيات الزمن
ونابت في زوايا الأساطير

خطرت لي هذه الأفكار الحزينة لأول مرة
عند زيارتي لـ « جيلين برامكر » . فقد قابلت هذا
الشيخ السن في إحدى دور الكتب برأسه الجميل
المتماز ، وشمرة الأبيض المتوج ، قد حمل نفسه في
خفة ظاهرة ونشاط موفور على رغم انحناء عوده
وتقوس ظهره

كنت كثير التردد على تلك الدار فألقاه دائماً

المدايا وبعض التبيذ، وكانت زوجي تصنرفني في السن
وحي كلفة بالرقص والسرحة وجالس الطرب. ولا غرابة
في هذا فعي لم تزل في شبابها التضرع وجمالها المتفتح
ومعمرها النض. إن شعرها .. لا، إني أستطرد في
هذا ... اتفق يوما أن قاتلنا مع الممثل في أحد
الأزقة فرأيت تشيرا كبيرا في البطل الذي أعبدته،
قد كان رائعا في ذلك اليوم يزي بأشد الناس
أناقة وجمالا. فلما قدمت إليه زوجي أمسك بيدها
ثم قال :

حقاً إنها لفرصة سميكة !

إن هذه الكلمات لا تحمل سحراً ما دامت
مرسومة في حروف، ولكنها سحرت « أليس » فاجر
وجهها وقاض قلبها وشعرت أنه إنسان عزيز عليها
ثم مضت الأيام وأنا دائب على زيارته كلف
بالوقوف على آثاره وغطاطه الأولى، حتى توقفت
بيننا اللودة، وقويت الألفة، وأصبحت أجد من نفسي
الجرأة على فتح أدرج مكتبته والتطلع إلى كل ما بالترفة
من صور وآثار. حتى رأيت في إحدى الليالي وقد
تأخر بنا الوقت واستهوانا الحديث ذلك الفنان
الأبيض الصغير. لقد كان فستان فتاة صنيعة قد
وضع كإطواء صانته في أعلى الصندوق. فأخذته
في يدي ودنوت منه وهو يرتشف شرابه وقالت له :
« ما هذا يا مستر برانكيز ؟ غداً النظر في الفنان
وسرعان ما أدركت عليه الارتباك والدهشة
وأحسست بشيء من الألم والندم يتسارع في نفسه
وهو صامت ذاهل فاقتربت منه وربت على كتفه
وقلت : « إني أسف إلا شك أن هناك قصة
ينبغي ألا ... »

فأمسك بذراعي وتعم قاتلاً : « لا، لا، حسن

مثل قديم قضى أكثر عمره في اللامني ! إن الموقف
كان يثير الإشفاق والحزن

لا ريب أنه كان ممتلكاً قديراً في زمنه ؛ هذا
ما شعرت به وإن كنت لم أدر شيئاً عن حياته
الأولى. ولم أدر أن أعرف أي الأدوار التي قام بها،
لأنني شعرت أنه ينبغي لي أن أعرف هذا من نفسي.
ولم يكن هذا الشخص بالفخور الذي يتحدث عن
أعماله، ولكنني استطعت أن أعرف عنه بعض
الشيء من الآثار المتناثرة التي كانت في غرفته.

فقد رأيت صورة له في دور « مقوليوي » وغيره من
أبطال شكسبير ؛ ثم رأيت صوراً عديدة مهداة إليه
من كبار الممثلين، وبذلك أخذت أمسك بخيوط
حياته شيئاً فشيئاً. وسهما يكن ذلك المركز الذي
وصل إليه في علم التمثيل فيما مضى فإنه كان لا يزال
محفظاً بتلك القوة التي تبرز شخصاً وتستبد به من
أعمق أروحه. فقد شعرت أن كل شيء في تلك
الغرفة يسمو كالخيال

وعند ما أخذ يتحدث من أمه شعرت أن صوته
قد خفت كأنه منبثق من أعماق بعيدة، واستطعت
أن أعرف من كلامه أن أمه كانت ممثلة فرنسية
عظيمة، فقد رأيت على اللبان موهبة ثمينة مهداة
إليها من الأمبراطورة أوجيني؛ ولكنه لم يذكر أباه
طوال ذلك الحديث

لقد اعتدت الذهاب إليه كل يوم خميس منتهزاً
فرصة خروج زوجي لزيارة عمته السجوز فكانت
كل زيارة تحمل إلى قلبي اللذة والسرور. لم يعرف
شيئاً عن علي كما أني لم أعرف شيئاً عن غاله. وأخيراً
وقمت تحت سلطان رقيقته، وسرعان ما أدركني
الاشفاق على وحدته، فأرسلت إليه أنا وزوجي بعض

أحد الأصدقاء الأعزاء، ولكنه وأسفاه قد مات ميتة شنيعة» ثم أمر يده على جيبته كأنه يحاول أن يدفن تلك الذكرى المؤلمة. وأخيراً التفتت إليه زوجي وقالت مازحة :

— أأنت تتوى أن نحدثنا عن ذلك الفستان الأبيض ؟

فرفع رأسه الجليل المكمل بالشيب ثم مد ذراعه الطويل فأمسك يدي زوجي وضغط عليها وقال : « أرجوك أيتها السيدة العزيزة أن ترتشي هذا الكأس لذكرى صديقي القديم » ثم أخذ يرتجف وهو يدين كأسه من شفتيه ولكنه كان لا يزال ثائر الماطفة فأعقب الأولي بأخرى

لقد كنت غفورا بسادة ذلك الممثل وما لديه من ذكريات وآثار فأشرت إلى الصورة التي كانت مهداة إليه من « هنري ارفنج » بتوقيعه « إلى صديقي المميز ... » ولكن برانكيير هز كتفيه وأخذ يتهد تهديدات عالية . ربما لم يكن يجيد في هذه الآثار ما يدعو إلى الفخر ، وربما كانت هذه في نظره شيئا كافها

ثم أعلنت عليه زوجي سؤالها عن الفستان . فأبغى أمامها ومضى في صمت إلى الصندوق ثم عاد به ونشره في خشوع وتقديس على ظهر القصد ، فصجبت أليس لראه ، أما هو فقد أخفى رأسه بين يديه وغلب في صمت عميق ، فبقيت أنا لا أنفكر إلا في ذلك الموقف الريب الذي وجدت فيه نفسي ، فقد كانت الترفة كلها مثقلة بالذكريات ، وكانت زوجي قائمة في مقعدها تسطح على وجهها الجليل الشبيه بوجوه الأطفال الأنوار تزدها فتنة وجمالاً . وفي الجانب الآخر من المدفأة جلس الشيخ في شعره

يا بني . سأخبرك بهذا فيما بعد . ثم هب واقفاً وأخذ يخطو في الترفة جيئة وذهوبا دون أن ينطق بكلمة . ثم التفت إلى فجأة ووضع يده على كتفي وقال : « فلتأت إلى غدا ، ولتتضرع زوجك ممل . سأنتظركما على المشاء فسوف أحدثكما عن ذلك الفستان الأبيض الصغير »

لقد كانت زوجي ذاهبة إلى الرقص في ذلك اليوم . ولشد ما أدهشني أن رأيتهما ترحب بزيارة مستر برانكيير حتى أنني شعرت بشيء من الضيق لمصاحبتهما إلى . لقد كانت معتادة تناول المشاء في أحد الفنادق الكبرى ، فكيف ترضى بتناول الطعام في بيت ذلك الممثل الفقير ؟ فنصحت إليها أن تلبس أقدم ما عندها من اللباس وأن تتناول بعض الشطائر قبل ذهابها ، ولكنها لم تقبل نصحي وارتدت أغفر ثيابها . فاستسلمت للأمر إذ لم يكن الاحتجاج ليجدي نفعا . ومن هنا كانت دهشتي الثانية :

كان برانكيير في لباس السهرة فأثار في هذا اللباس شعورا خاصا لم يتركني طول الليلة ، فقد لاحظ لي أن زوجي وبرانكيير من عالم غير عالمي . فأخذنا يشجاذين الحديث في ألفة ووداد ، فيحدثها الشيخ في وداعة ولطف ، ثم يجيب عليه بنظرات مشتاقة أخاذة حتى شعرت أنني أكبرها بأجيال وإن كان برانكيير يكبرني بأعوام

وفي المشاء كانت الدهشة الثالثة ، فقد كانت اللائدة تفيض بأروع من الأطباق التي تتم على سلامة النوق ، وكانت الأنوار الكهربائية تسطع على أكواب الخمر وفناجيل القهوة . وبعد أن فرغنا من الطعام دعانا مضيفا إلى الجلوس حول المدفأة ثم قدم إلينا شرابا وأخذ يقول : « لقد بحث به إلى

الآن . لم يعد الحب اليوم إلا اغتنام فرص . ما من أحد لديه الاستعداد للتضحية . أما الحب بيني وبين أولين فقد كان قصة التضحية والفداء . وكان الحرك لهذا انضمام « سوفى » إلى فرقتنا ثم هب واقفاً وأخذ صوته يرتجف ويخفت حتى أصبح همساً !

ثم التفت إلى اليس وقال : لقد كانت جميلة فانتة مثلك أيها الفتاة ! كيف أبوح بهذا السر الهائل الآن من غير وعى !!

نظر كل منا إلى صاحبه ولكننا لم نقل شيئاً . لم نشر إليها في حديثنا فقد كان كل منا حريصاً على شعور صديقه . غير أنى لو لم أكن أعرف حب أولين لما لمعت إليها وقلت « سوفى ! مبهودتي ! ملاكى ! إني أحبك . إني أبعدك ! ألا تزوجين منى ؟ ولكن هل كان من البطولة أن أفضل هذا ؟ وأنا أعرف عواطف أولين نحوها ! إلى أن أحسست يوماً أنى لا أستطيع حبس عواطفى فنظرت إلى صديقى فראيت في عينيه ماشرعت به في قلبي فدنوت منه وحمست في أذنه : « أيها الزميل فلتتقدم أنت ولتكسب ذلك القلب ، إنها جديرة بك ! » فأدرك ما أبغى ثم شغل على يدي وقال : إنك عبقري يا صاح . إن هذا لا يمكن أن يبقى طويلاً . فلتقابلني بمد الحفلة في غرضتي

ثم دنا المثلث من زوجى وقال : « إنى لا أستطيع أن أحذرك عن ذلك الترام الذى حفل به لقاءنا في تلك الليلة . فقد أراد كل واحد أن يفسح الطريق لصديقه . حقاً إنها كانت ساعة رهيبة مثيرة ! وأخيراً قرع عزمنا على ترك المسألة للظروف . ثم انصرفنا إلى لعبة الشطرنج ، فصفقنا القطع وبدأنا نلعب ولكننا

الأبيض للتموج كأنه مائل يتحدث عن ماضٍ حافل بالكسبي والآلام . ثم التفتان الأبيض الصغير !! ورجاء أنفع الشيخ يقول : « كان هذا قبل أن تأتيا إلى هذا العالم ، فأنكما لاتذكران فرقة تشارلس كلاريسد الشهيرة التى كانت تعمل تحت اسمينا . لقد كنا نختل في مسارح حاشدة وكنا في تلك الأيام ... ثم التفت إلى واستأنف حديثه قائلاً : « كان هناك ممنون ! فاللهاء والأساءة والقصة التاريخية ، كل هذه كان لها نصيب كبير من عنايتنا ، حتى لقد كنا ننير أسمارنا كل ليلة بل مرتين في الليلة الواحدة . كذلك كنا ننير أدوارنا ، فقد كنت أقوم بدور « عطيل » مرة ثم « باجو » في ليلتين متتاليتين . كذلك كان صديقى أولين ، فقد كان يترك لى دور « شيلوك » ويأخذ منى دور « بانيو » ... أوه . لن أنهل عليكما بهذه التفاصيل . آه . أولين تترى المسكين ! صديقى المرز تترى !!

ثم وقف عن الكلام وأطرق إلى الأرض وشملتنا صمت رهيب !

ثم استأنف حديثه قائلاً : « إذا ما قلت لكما إننا كنا أصدقاء فإني أعني بهذا أننا كنا أصدقاء كما يمكن أن يكون الفتانون جاً وإخلاصاً وتقانياً . لقد عملنا معاً ثلاث سنوات لم نعرف النيرة طريقها إلى نفوسنا ، ولم يدب الحقد يوماً إلى قلوبنا آه على تلك الأيام !!

ثم مد أصابعه البيضاء وقرس فيها ثم التفت إلى زوجى وقال :

« أرجوك أيها الفتاة (وقد أصر على أن يدعوا هكذا طول الوقت) أن تصبرينى لا سأقصه عليك الآن . فقد كان الحب في أيام شبابي غيره

لن أسرد عليكم تفاصيل مناسباتنا التي حدثت بعد ذلك . ولكننا عندما رأينا الوقت متباً عزمنا على أن نزل ميدان الكفاح في معركة مكتشفة وإلا فقدناها نحن الاثنين . قرر رأينا على منازلها في أي وقت وفي أي مكان . ومضينا في هذا الشوط ثلاثة أشهر . وفي النهاية كان أوبان الفائز . بقيت أقرب في كل لحظة تلك الأخبار المزججة السارة إلى أن حدث أمر كان مستوراً

ثم ناص في كرسية وأخذ يمر أصابعه في شعر رأسه في خفة وسرعة . ثم استأنف حديثه فقال : « قد توفي عمّ أوبان وترك لابن أخيه ثروة هائلة ، ثروة لا يحلم بها البخيل ، ففرح بهذا جميع أصدقائه إلا شخصاً واحداً » . ثم نظر إلى زوجي ونهد قائلاً : « لقد عشت أعواماً طويلة ولكنني وجدت أن قلب المرأة عميق لا يمكن إزتياده وسيظل هكذا إلى الأبد ... قد رفضت صوفي أن تتزوج من أوبان مخافة أن تهمل بأنها رضية به زوجاً من أجل ثروته . إنني أنسى ألم تلك الأيام وهولها . لقد أعلنت رفضها في صراحة وقوة ، وبقيت أنا موزعاً بين حبي لأوبان وحبي لصوفي ... إنني أستطيع أن أقول بكل صدق : إن المال قتل أوبان . فقد أخذ يعمقه في الشراب والمالب وعاش عيشة التبذل والسرف لا شيء إلا لأن المرأة التي أحبها رفضت أن تتزوج منه ... ثم ما لبث أن أعزمت بمخلوقة جميلة تسمى أناميل فتزوجا وأعقبنا طفلة

كانت ألسنة التيران تتدلع وزوجي عذقة النظر في عيني المثل وهو ماض يقول : « وهنا بدأت أنظر إلى المرأة من جديد ! فإن صوفي التي رفضت أن تتزوج من أوبان لأنه غني ، والتي كانت

لم تلبث أن وجدنا أن كل واحد منا يحاول أن يترك الفوز لصديقه فهضمت وقتلته : « يجب أن ترك الأمر إلى القدر الذي لا يعرف التحيز ! »

ثم تناولت أكبر وردة كانت أمامي وقتلته سأعد أوراق هذه الوردة فإن كان العدد كبيراً فسأتركها لك . ثم أخذت أحب بالوردة حتى وصلت إلى الثامنة والخمسين امتنع وجهه وأرتجفت مفاصله فأوصلته إلى مقعد سرج وأعطيته منها . ثم التفت إلى النافذة فرأيت الطيور ترفرف حولها وأشعة الفجر قد أخذت تلوح من وراء الزجاج

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي كنت جالساً إلى صوفي أيها غرابي . ولكن هناك أشياء لها من القداسة ما يجعلني أتردد في ذكرها لقد رفضت ، ولكنها كانت رقيقة عذبة حتى في رفضها ، ومع ذلك فلم تكن قد وصلت إلى رأي حاسم في الأمر . فاستولى على نوع من اليأس القاتل . وليس هذا غريباً عني فإن الإنسان في تلك السن يطلب كل شيء في وقت واحد . بقيت أداعبها أسبوعاً صباح مساء ولكنها بقيت مترددة !

لقد كانت تميل إليّ ولكنها لم تكن تحبني . وفي نهاية الأسبوع ذهبت إلى أوبان وقتلته : « أيها الصديق لقد جاء دورك فقد تمت بدوري » ثم خرجت من الميدان . ولا أزال حتى الآن أذكر ذلك الأسبوع الذي رأيت فيه أعز أصدقائي يحب الفتاة التي أعبدتها !

وفي نهاية الأسبوع جاني صديقي يقول : « إنني لا أدري مكانك الآن . فعني تميل إليّ ولكني لا أكاد أعتقد أنها تحبني »

من وقت إلى آخر ، تحضر لها أئمن الملابس وأغفر اللب ثم لا تلبث أن تقطع عنها وتساها . فنشأت الفتاة على طابع أمها غفورة مسرفة مستهترة ! فلم يكن يههما في الحياة وهي الفتاة التي لم تتجاوز الماشرة إلا الزينة والتبرج . غير أنها طفلة جميلة فائقة ! فقد كان فيها كل جمال أمها مع بعض رشاقة والدها وخفته . فتركت الفتاة وشأنها نجاس الفتيات السافلات وتستمع إلى الكلام السوق والنكات النابية .

لقد أحببت لوسي عمها صوفي (كما كانت تدعوها) لا لشيء إلا لأنها كانت تنادق عليها اللعب وتتمرها بحبها القوي العنيف إذ كانت تكتبب إليها كل يوم وترسل إليها الهدايا من وقت إلى آخر .

ثم جف الشيخ جبينه كأنه كان يرزح تحت أعباء ذكريات قديمة مجعدة ، ثم نهض إلى إحدى زجاجات النبيذ وملأ كأساً وأفرغها في فيه ، ثم أعقها بأخرى ، ثم عاد إلى مكانه وهو ذاهل عنا كأنه يعيش في ماضيه البعيد ، ثم التفت إلى زوجته وقال :

— لدى كثير من الفساتين الجميلة التي كانت صوفي تصنعها لوسي يمكنك أن تريها إذا سمحتا بزيارة أخرى

قال هذا في توسل ورجاء حتى أنني أحسست أن قلبي يكاد يقطر دماً !!

أما زوجي فقد كنت أعتقد أنها ستقوم في تلك اللحظة وتيجول في الترفة باحثة عن باقي الفساتين ، ولكن ما أشد دهشتي إذ رأيته صامته في مكانها تنظر بعين حائرة لا يعرف معناها إلا بنات جنسها ! ثم مضى الشيخ في كلامه كأنه يتحدث إلى نفسه :

(٩)

تضطرم غيظاً إذا مارأت أمأيل قد أغرمت بطلتها الصغيرة . لقد سبرت عليها كثيراً أملاً في إرضائها وكسب قلبها ... ولكني لم أطلع ... أتصدقان أني أعيش عشر سنوات عبداً لما وهي تقضى هذه المدة عبدة لتلك البنت الصغيرة ؟!

لقد نحيبت كل شيء من أجل أن أحبها في جولة أو أتحدث إليها في زيارة ، ولكن المرأة التي كانت تنصب بي كدمية صغيرة كانت تكرس وقتها وملكها لشراء اللعب والفساتين لابنة أوبان ، أتمصوران هذا ... ؟!

فأجابته زوجي للمرة الأولى : نعم . فأشار إليها الرجل برأسه وقال : ما من عمل يكون بين الرجل والمرأة إلا وتكون نتيجته ضرراً للرجل

ففي النساء الهامات وأحاسيس خفية تنفقها في نفوسنا فلا نجد لها ، فالمرأة مسلحة من كل جانب وهي أوسع حيلة من الرجل وأكثر استمداً

ولكن لم يمحض طمان على زواج أوبان حتى استيقظ ذات ليلة وقد شعر بالهم شديد فأسرع إلى دواء كان يتماطاه دائماً ولكنه طاش هذه المرة فتجرع حامضاً كانت صوفي قد أحضرت له لتحميم الصور . فاندفع إلى الشارع وهو بلباس نومه وأسلم روحه بين أذرع الشرط

لقد كان هول ذلك الحادث مطبوعاً على جبينه فتألنا لسامعه حتى كادت الدموع تنبجس من أعيننا ثم تقدمت بنا السنون وحب صوفي لابنة أوبان يزداد واهتمامها بها يشتد ، إذ كانت أمها برغم الثروة التي تركها زوجها لاتزال تنحني إلى ماضيه اللوث المسهجن حتى خشيته على اخلاق الابنة منها ولا سيما أنها لم تكن دأمة السهر عليها إذ كانت تروورها

ومضيت كالجنون إلى حيث هم لوسي . فالتقت
بنفسى فى إحدى العربات وألقيت بالنون إلى
الحوضي وأمرته أن يطير بي إليه . ثم وضعت
الفستان على ركبتي وأخفيت عليه فى رقة وحنان كما
لو كان طفلاً يحضر

لا أدري كيف وصلت إلى هناك فقد خيل إلى
أنى سأخ فى الأبدية

لم تكدر ترى لوسي حتى صاحت قائلة : مرحباً
لقد ظننت أن عمى صوفى قد نسيتهى فاستأجرت
هذا الفستان !

فأجبتها : يتبقى إن عمتك لم تسلك بل كانت
تجود لك بأخر قطرات قلبها . هاك الفستان .
فأخذته فى يديها وألقت عليه نظرة فاحصة وقالت :
أفستان هذا أم جلباب نوم ؟ لست فى حاجة إليه ،
ثم انسلت إلى غرفتها

فلما أتاك نفسى من النيط وسمعت أن أفتك
بها لولا أنى تذكرت أنها ابنة صديقى القديم
كيف أعود إلى صوفى بالفستان ثانية وهى تجود
بآخر أنفاسها ؟ فأردت أن أحفظ به كأغزى
لدى الحياة !

فلما خلوت إلى زوجى فى منزلى سألتها : ما الفارق
بين الواقع والخيال ؟ فأجابتنى وهى تطفى نور الترفة :
إلى لا أعرف ما يظلف به الناس ولا أعرف من
الحياة إلا أنك زوجى المرز الساذج

فقلت لها : ماذا تمنين يا أليس ؟
أجابت : أنى لك أن تدرك طابع المرأة ؟
ثم أصرت على النوم !

نظمى خليل

والفساتين ! أى دور تلعبه الفساتين فى حياتنا ! لقد
كان كارليل صادقا فى قوله هذا . لقد كانت صوفى
ماهرة فى أشغال الإبرة وقد ساعدتها تجاربها فى
السرح على هذا فكانت تسمع أروع أنواع الفساتين .

إن أزمة حياتى التى سأحدثك عنها كان بسببها
أحد تلك الفساتين التى صنعتها لوسي . ثم سمعت
قليلا وأخذ يطق على المائدة يديه الجليتين ثم قال :

« كان هذا العام القاتل فى السيد الماهر ليلاد لوسي ،
وكانت أميل قد تربت فى الهاوية حتى لم يد هناك
أمل فى إنقاذ الفتاة ، حتى أحسست بهذا ، أما الذى
تحملت حياته على حب صوفى لتلك الفتاة . لقد كان

قلبي يتمزق من أجل ابنة صديقى ! فمقت مع صوفى
رحلة طويلة فى الحريف ، وقد كنت معها التابع
للطبع . ولكن الجو كان ردينا والمرض متفشيا .

فأصابها برد ما لبث أن أهلب زفة صدرية ، وفى أثناء
مرضها جاءها خطاب من لوسي تطلب منها فستانا
جديلا يزرى بفساتين زميلاتها يوم عيد الميلاد .

فنهلت جبين صوفى وشاع الفرح فى كل قلبها . إليه
ربى ! لقد كانت تحمل فى أشد حالات المرض بالهدية
التي أرسلها إليها . وأخيرا قالت لى : « سأصنع لها
فستانا خاليا من أى زركشة ، وإنى واثقة من أنه

سينزى يياق الفساتين بفضل جمال لوسي . فأعجبت
برأيها ومضيت معها تشتري الفستان

ثم اشتد عليها المرض فى الأيام الأخيرة حتى
أنها لم تعد تتحرك إلا بفضل تلك الطاقة المصيبة
التي بقيت حية فيها حتى تم الرحلة وتنجز فستان
لوسي قبل مجىء العيد .

وأخيرا أعدنا إلى لندن وقد اشتد بها المرض
ولم نكن قد أعدنا المنزل تركتها فى حجة صديقى لى

فأجاب التاجر : يا شاود
هرجى . لم هذا التفكير
المقيم وليس من طائل
تحته ؟ إن الأمور تسير كما
كُتبت من قبل في لوح
القدر ، وإذا ماشئنا أنفسنا
بأمور مضنية كهذه فقد
يتبدد الطريق ويطول إلى
مالا نهاية . والأولى أن
تتحدث فيما تسلى به

— أنت على حق يا شاه جى ، فالتقصاء لا مفر منه
وأروح للنفس أن تقص شيئاً من الطرائف والنوادر ،
ولكن ماننا لا نضع شروطاً للحديث قبل البدء به
إذا لا يبنى ألا يشك أحداً في صحة قول
الآخر ، وألا يترض قوله ألبتة ، حتى حين
يتراعى له أن كلامه غير محتمل الوقوع ، أو أنه
مبالغ فيه كل المبالغة ؟ وعلى الذى يخالف هذه
الشروط أن يدفع للآخر ألف روية
تقال التاجر : أوافقك على هذا كله على أن
يكون بدء الحديث لى :

وبدا التاجر فقال : أنت أدرى بأن الجدل الثانى
لى كان محترماً موفور الرزق
الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى
التاجر — ولا أن بدأ بالتجارة وحل إلى الصين
فى مئة سفينة ، فأصاب فيها مالا كثيراً ورجع إلى
وطنه يرزق فى نمرة اليسر ويسبح فى عيط من
الترف والتعميم
الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى
التاجر — وأحضر من تلك البلاد النائية ما عثر

أمطورة هندية
الفلاح والنخل
للبانديت تاراشندروى
نقطة عن الألمانية
الأديب إبراهيم إبراهيم يوسف

يجى أن تاجرأ كان بسكن قرية من قرى
الهند ؛ وفيها هو سائر ذات يوم فى طريقه إلى المدينة
المجاورة ليستجلب بضائع جديدة لقيه فلاح يبنى هو
الآخر الوصول إلى المدينة لينفع إلى أحد أصحاب
البنوك قسطاً من المال استحق عليه من دين كان
قد اقترضه الجدل الثانى له ، وأصبح اقترض القى
كان مئة روية عشرة أمثال ذلك بعد خمسين سنة
وكان الفلاح المسكين يسير فى طريقه مفكراً
فما عساه أن يفعل لحماية أرضه كيلا تقع فى يد
ذلك الرباى

وسأله التاجر : إلى أين أنت ذاهب يا شاود
هرجى ؟ للرباى لتدفع إليه قسطاً من المال ؟ وهلا
فكرت فى طريقة تحفظ لك أرضك ؟
فأجاب الفلاح وكان مستترفاً فى تفكيره
المضى : يا شاه جى ، ما ذا عسى أن أفعل ؟ لقد
اقترض جدى الثانى مئة روية فأصبحت الآن
عشرة أمثالها — ألف روية كاملاً... أتم النظر
فى ذلك واعلم أنه ليس فى الوسع إبقاء هذا الدين العظيم
حتى لو تمت للرباى الأرض التى أمتلكها

مسائل الدولة حذاً قسيماً . وغضب الملك غضباً مستطيراً ، وما ذلك إلا لزامة جدى الذى كان يدافع عن آرائه السياسية ويديم معها بالإثبات فى هدوء وتؤدة . فتمه الملك من أن يتابع قوله ، ولكن جدى صرخ فى وجه الملك بصوت كالرعد أفهمه به أنه لا يبقفه فى سياسة الدولة مقدار ذرة . وشمر الملك إذ ذاك بأنه أعمى فى الصميم وأمر بأن يرى جدى إلى فيل مقترس لينتاله

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — ولكن ما إن رأى الفيل جدى حتى ذهبت عنه وحشيته ، وتقدم إلى جدى فى رهبة وخشوع ، ثم أحاطه بحرطومه ورفعه إلى ظهره

الفلاح — حسن جداً يا شاه جى ! حسن جداً

التاجر — ودعنى الملك كثيراً لما وقع أمام بصره ، فأنحى قدام جدى وسأله المغفرة ورضه إلى منصبه ومنحه لقب « من لا يجارى »

الفلاح — هذا يبيع يا شاه جى ، يبيع جداً

التاجر — ولما أن توفى جدى هنا عين أبى وزيراً خلفاً له ، إلا أنه فضل مهنة التجارة على منصب الوزارة ، ومكنته فطنته ومقدرته التجارية من اكتساب مال وفير استعان به على أن يجتلب العالم من مشرقه إلى مغربه . ورأى فى تطوافه هذا أشياء عجبية ، منها أنه لاحظ ذات يوم بموضة تردد على أذنه وتطن ، ولكي يمد أبى عنه هذه الواقعة سأل البموضة فى كثير من للتأدب ألا تضايقه ؟ فقالت له البموضة :

— يا أكل وأشرف من رأيت من التجار ، لقد سررت بطبيعتك السمحة ، ولما أود أن أسدى إليك جيلاً

وندر . وكان من بين هذه الأشياء صنم صغير من القصب أمره عجيب ، فقد كان يكشف هذا الصنم عن مستقبل كل من يستكشفه مستقبلاً

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — وكثر أصدقاء جدى الثانى الذين حضروا وتمكنوا بواسطة ذلك الصنم من أن يطلوا على مستقبلهم . وفى ذات يوم حضر جدك الثانى لدى جدى الثانى ، وما لبث أن حدث الصنم فسأله :

من هم أذكى الناس فى العالم ؟

فأجاب الصنم : التجار

ثم سأله ثانية : ومن هم أغنى الناس فى العالم ؟

فكان الجواب : الفلاحون

ثم أعقب بسؤال آخر إذ قال : ومن سيكون أغنى شخص فى ذىقتى ؟

فأجاب الصنم : شاود هر جى هو شيار سنج

وكان هذا اسم صاحبنا الفلاح الذى قال : لقد قلت صدقاً يا شاه جى

وكانت كلمات التاجر هذه تمز صدر الفلاح ، إلا أنه كظم غيظه وأسر فى نفسه ممتزماً إذا ما جاء دوره ليقيم حكايته أن يضطره إلى دفع الثمن غالباً

التاجر — وكثر الراغبون فى شراء الصنم ، ولكن أمره كان قد بلغ الملك ، فاستدعى جدى الثانى وطلب منه الصنم وكافاه على ذلك بأن جعله رئيس وزارة

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — وبقي جدى الثانى فى منصبه هذا عهداً طويلاً وبلغت شهرته المالىين . ولما أن توفى ، خلفه جدى الأول ؛ ولكن الملك لم يكن ليرتاح إليه لشدة تعصبه لآرائه . وفى ذات مرة بلغ التفافش فى

الطامية نظرة فزع كما لو مسها الخليل . وحاولوا
الاستحيل لنقمتها بأننا بشر مثلها ولسنا من الجان .
قالت أخيراً :

ما أبدو هؤلاً البشر الذين يخرجون من ماعون
ينلى فيزعونى . وسألتها الصفع وقتلها : ما كنا
بنى أن يصبح مصيرنا إلى الماعون ، فذخمة عشر
عاماً كنا نساكن في قصر نغم شديد بين أحشاء بموضة
وما إن أدركت الطامية ذلك حتى ساحت :

وى ! الآن أذكر أن بموضة عصفى منذ خمس
عشرة دقيقة ، وها هو أرها . ولا ألتنى عضنها أرقت
دمها وسقطت قطعة منه في الماعون ، ولم أكن
لأعرف أنكم بقصركم ضمن هذه النقطة
وقال أبى : أيها المرأة الطيبة القلب ، الآن
يمكننا أن نقفه سر وجودنا في الماعون دون قصد ،
وذلك بعد أن ذكرت ما ذكرت ، لم تكن سنواتنا
الخمس عشرة إلا دقائقك الخمس عشرة . وهكذا تحققت
لى هذه القوة والعظمة في خمس عشرة دقيقة ، وإن
كان لى من العمر خمس وعشرون سنة فاني فى
الحقيقة لا زلت فى سن الماشرة

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — ولا أن خرجنا من جوف البومضة
علنا أننا كنا نساكن ناحية أخرى غير التى نساكنها
الآن . واقتحى أبى هنا ، وكان من قبل وزيراً ، متجراً
وكانت أساعده فى عمله ، إلا أن جواله كان لم يوافق
حجة أى بحال . فلما قضت محبة حزن عليها أبى
حزناً مبرحاً ولم يستطع . وقد فقد كثير من قوته
أن يجابه الحياة عقب ذلك المصاب الجلل . فلما مات
توليت بنفسى شئون التجار . ولقد تعلم يا شاهدرجى

وفتحت البومضة فلما فإنا أبى يرى بين
أحشائها قصرًا جيلًا كل شيء فيه من الذهب
الإبريز ، وقد جلست إلى إحدى نوافذه فتاة آية
فى الحسن والجمال ، ووقف أمام مدخل القصر فلاح
يريد أن يحتطف تلك الفتاة قوة واقتداراً ، فلم يطق
أبى صبراً على تلك الحال ، وكان معروفًا بأنه أشجع
من دب على الأرض ، فقفز فوراً إلى فم البومضة
ليحس الفتاة من اغتصاب الفلاح

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — ومهت به لحظة اشتد فيها الظلام ،
ولكن ما لبث أن رأى مرة أخرى القصر والفتاة
والفلاح ، فانهال على الفلاح حتى صرعه ، ولا شك
أن كل عضو من أعضاء الفلاح كان يهشم
لولا أنه أخذ يستطع أبى أن يفوق عنه وهو يتفرض
من كل جسمه . والآن أتصرف من كان ذلك الفلاح ؟
إنه كان أبك بالذات . وما إن تم لأبى هذا الانتصار
حتى تروّج من تلك الفتاة الحسان التى اتضح أنها
أميرة . وهكذا آل إليه ذلك القصر الذهبى . ثم
التحق أبوك بخدمة أبى وصار حارس الباب ،
وكان عليه أن يقف لدى الباب ليل نهار ، وولدت
أنا فى ذلك القصر ، وكنت فى سن الخامسة عشرة
حينما أمطرت السماء ذات يوم ماء فى درجة النيران ،
فذاب القصر بفعل المطر ونشأ فى موضعه إقيانوس
من الماء الأجاج ، وما لبث أن اجترفنا التيار ، غير أننا
بذلنا جهوداً لا يمكن وصفها وتمكننا نحن الأربعة
من الوصول إلى الشاطئ

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — ولما أجلنا الطرف فيما حولنا رأينا
وطائفة ما رأينا أننا فى مطبخ . ونظرت إلينا

وسوف ترون رأي العين أن تاجها سيصير وفيراً
ومن ثم لن يبق لنا بعد اليوم شكوى

فواقه الفلاحون على رأيه، وشكر لم جدى
الثانى قيوهم اقتراحه شكراً جزيلاً؛ وبدأ يستعد
للعمل، ودفعة واحدة حمل القرية بأكلها فوق رأسه
التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجى

الفلاح — وانتقل والقرية بأكلها على رأسه
من موضع لآخر باحثاً عن الماء فاجتاز العالم بأجمه
وكان كلما وجد مطراً استسقى الأرض. وبقى على
هذه الحال ستة شهور حرت خلالها الأرض وظفها
وزرعها وجاء المحصول غنياً لا مثيل له، فقد بلغت
عيidan القمح والأذرة من الماء درجة لامست فيها
عنان السماء.

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجى
الفلاح — وكانت كل حبة من حبات القمح
والأذرة في حجم رأسك.

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجى
الفلاح — وهرع الناس من كل فج عميق
تسأل جدى الثانى أن يبيهم غلالاً.

وكان الفلاح والتاجر قد وصلا في هذه اللحظة
إلى المدينة، وتابع الفلاح قص حكايته فقال:
وكان الجد الثانى لك في حالة من الفقر رثى لما
فصطف عليه جدى الثانى ووكّل إليه بيع التلال

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجى
الفلاح — وكان لا عمل لجديك الثانى إلا أن
يزن التلال طيلة يومه. ولكنه لم يكن موفقاً في
عمله فكان مرة يطف الكيل ومرة يبخسه. وزاما
لذلك كثيراً ما كان يشعر جدى الثانى بجذبة الثانى
بيده القاسية تهوي على مواضع من جسمه

علم اليقين قدر امتاش التجارة على يدى. هذه
قصتى ...

والآن أقصص على يا شاودهرجى ما شئت
الفلاح — يا شاه جى إنك لصديق في قصتك
كل الصدق. والآن استمع إلى قصتى التي لا تقل
عن قصتك صدقاً

كان جدى الثانى أغنى فلاح في القرية وكان
جميل الطلعة معتدل القامة واسع العلم ذكي الفؤاد،
محبوباً أينما حل، يتسارع إليه كل ذي غرض، وكان
يسدى المونة إلى فلاحى القرية عند الحاجة فيقدم
إليهم مواشيه ورجاله، وكان يحكم بينهم بالتسقط إنما
ما جاءوا إليه متخاصمين. ولم يكن ليأخذ أجراً مادياً
على ما يؤدبه لهم من خدمات. فقدرة الملك حق
قدره وأفاض عليه من الأوسمة أعزها، وكان إلى
ذلك كله أعظم من يهم ورستم^(١) ولهذا لم يمرؤ
خلوق أن يمترضه في شيء

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجى
الفلاح — وحدث مرة أن أصيبت قريتنا
بالجاعة بعد أن حبس عنها الطر وجفت البرك
والآبار والأنهر، وقل علف البهائم فانت زرافات
ووحداً. ولما رأى جدى الثانى ذلك أعمل الفسكر
ودعا الفلاحين جميعاً إلى حفل ثم قام فيهم خطيباً
وقال:

إخواني الأعزاء
أردت أن أعرض عليكم اقتراحاً لا ريب أن
فيه نجاة لكم. وهأنذا أطلب إليكم أن تركوا لي
أرضكم كافة قدر نصف سنة وأنا كفتيل بفلاحتها

(١) هما شخصيتان خرافيتان في الأساطير الهندية لا شيل
لها في القوة والجبروت

اعترف صراحة بالدين أمام شخص ثالث ، ولذا ما عارض الفلاح في كلامه فقد يتحتم عليه أن يدفع الجزاء المقرر وهو ألف روية كما اشترطاً بديء ذي بدء ، ثم عليه وقد اعترف بالدين أن يدفع إلى المرابي ألف روية أخرى

ومهما قلبت المسألة على مختلف وجوها فقد كسب الفلاح الماكر المركة ، ولم تمد لتاجر حيلة ، فأخرج كيس قنوده وهو يتميز من النيط وقلبه مغمم بالأسى ودفع إلى الممول الألف الروية .

وعند ما اقترفا قال الفلاح لصاحبه :

يا شاه جي ، يضحك كثيراً من يضحك آخراً .

فقال التاجر — هذا صحيح

واندفع في طريقه وحيداً لا يولى على شيء .
ابراهيم ابراهيم يوسف

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي وكأنا قد وسلا في هذه الساعة إلى مكتب المرابي فغيباه وجلسا . ثم استأذن الفلاح المرابي في لحظة . ثم تابع حديثه مع التاجر

الفلاح — ولما يمت كل الفلاح لم يبق لجدي الثاني حاجة إلى جديك الثاني فصرفه . ولسوء حظ جديك الثاني وقع مرة أخرى في شباك أنس من الحاله الأولى ، فجاء إلى جدي الثاني وطلب إليه أن يقرضه مئة روية فأعطاه جدي الثاني المبلغ المطلوب لساعته لما عرف عنه من طيبة القلب

التاجر — هذا عين الصدق يا شاودهرجي وعندئذ قال الفلاح بصوت يسمعه المرابي :

إن جديك الثاني لم يف هذا الدين

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي

الفلاح — ولم يحاول جديك الأول ولا أبوك إيفاء هذا الدين

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي

ثم إنك أنت حتى الآن لم تف دينك هذا

التاجر — هذا صحيح

الفلاح — وأصبحت اللثة الروية بعد انقضاء خمسين عاماً ويد ضم الفوائد إليها ألف روية .

ولهذا فانت مدين لي بمبلغ ألف روية

التاجر — هذا ... هذا صحيح

الفلاح — والآن وقد اعترفت أمام المرابي بالدين ائدي عليك أرجو أن تنفضل بدفع هذا المبلغ نوأ حتى أستبقى لي أرضي

وذهل التاجر كمن انقضت عليه صاعقة . وما كان في وسعه أن يتوصل من كل ما ذكر ، فقد

تاريخ الأدب العربي

لؤسنار أحمد حسن الربيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يمرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائدة

ثمّة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

يدبر ساعده ، وبلاسطوانة التي
يضمها فوق سطحه المستدير ، ثم
بالإبرة المجددة في كل حين . وهو
يعلم بأن الحاكى يمكنه أن يبذل ما
في الاسطوانة من أغان دون
القدرة على الابتكار والتجديد ؛
أما أن تثبت أسابع أبى عبطان
— وهو صاحب القهى — بلولب

خشبي صغير ، فيسمع من ذلك في كل يوم سوراً
جديدة من القرآن ، ومبتكرات حديثة من الأغاني
والأنشيد ، وأحاديث أخرى متباعدة عما سبقها ،
وقصائد منظومة ، وأخباراً متجددة عما يحدث في
البصرة وفي بغداد وفي مكة ، فذلك ما كان يمجز عن
تصديقه ، فيربك خوارطه ويشغل باله !

ولقد حسب أول الأسمان في داخلنا ؛ غير أنه
ما لبث أن نفى هذا الحسبان لوثوقه الأكيد من أن
الجن لا يعرفون تلاوة القرآن ، وإن كان باستطاعتهم
إنشاد الأغاني والتهويل فأتى لهم برواية الأخبار
والوقائع ؟ حتى لقد سمع يوماً هذا الصندوق يقول
إن الحكومة قد شرعت في تبديد طريق (المحمودية
— ببنداد) فكان ما قاله الصندوق صحيحاً ليس فيه
أدنى اختلاق ... وأتى لهم بالطلب الإرشادية
والصحية ومقطوعات الأشعار والقصائد يلقيها على
سامعه ... ؟

وكان عقله الصغير يأبى أن يقل أن في جوف
هذا الصندوق إنساناً هو الذي يتلو القرآن ، وينشد
الأغاني ، وينظم الأشعار ؛ فقد كان يراه على صفوه
لا يستوعب جسم طير متوسط الحجم ؛ فأتى له أن
تكون في جوفه هذه الشخصية الخفية ؟

أقصوصة عراقية

ثورة الجهمك

بقلم يعقوب بلبول

شعور غفيف مضطرب منزعج بالاستطلاع
كان يهرو وائلاً البدوي حيناً كان يستمع إلى الذئاع
في مقهى قرية المحمودية ؛ فقد كان من قبل يجب
للحاكي كيف يبذل الكلام فبالك بهذا الصندوق
الصغير ، يتلو القرآن وينشد الأغاني ، ثم يتكلم
وكانه رجل بأحدث إرشادية أو حمية ؛ بل ربما
سنى إلى نظم الأشعار صادرة عنه ؛ وهو حين يذكر
« عنه » لا يدري بالضبط ما تعنيه هذه الكلمة في
قوله ؛ فلم يكن في هذا الصندوق أنبوب يثبت
الاصوات كما في الحاكى ؛ وكان في بعض الأحيان
يسمعه ناشراً بموسيقى تارة ضخمة عريضة الصوت
وأخرى دقيقة رفيقة . غير أنه لم يكن ليجد بين
أصواتها تالفاً ولا نظاماً ؛ فما كان يفهم لها معنى ،
أو يستبهرها موسيقى ؛ فقد كانت تنفر منها أذنه
وينفذه حسه ؛ إذ أن الموسيقى التي اعتاد الاصغاء
إليها والتلذذ بها ، كانت تلمس أوتار قلبه وحواسه ،
فيضطرب لوقعها ، وينصت إليها بشوق وتلهف .

ولقد كان يحار أشد الحيرة في تريف هذا
الصندوق وتلليل منشأ أصواته وأغانيه وأحاديثه ؛
حتى أن الحاكى كان أقرب حقيقة من عقله الساذج
المحدود ، فهو يعلم أنه يسير بمقدرة خادم القهى الذي

هذه القرية النائية بلا أنبوب أو سلك !
وغدا وائل وجل همه أن يتعرف كيفية
حصول هذه الظاهرة المجزأة وسببها ؛ وأصبح
يحنج للوحدة ويطلب من التحديق في اللاتشي ،
مسترسلا في تفكيره الذي كان ينتهي به إلى الثورة
والتذمر ممزوجين بألم مطبق شديد ، دون أن
يهدى من حده ، أو يست إلى فؤاده المضطرب
شيئا من الراحة والاستقرار ...

ورائل هذا يا صديقي فلاح من قبيلة آل فتلة ،
استوطن قرية المحمودية يعمل في الزراعة والحراث .
وهو شاب في نحو الثامنة والعشرين من العمر ،
حبل الطلعة ، ميبب الصورة ؛ له في القامة طول
وفي التنكين عرض ؛ وهو أجم اللون جئل الشعر
فاحم ؛ زين وجهه السمراء الكالحة ذقن صير ؛
وله في كل من أذنيه ثقب نفدت فيه حلقة هي بمثابة
القرط عند البدوي ؛ أما جلبابه وهو لا يرتديه إلا
بعد انتهاءه من العمل ، فهو من القماش البسيط المخطط
يتوسطه حزام قد تدلى في مقدمه خنجر في غمد
من الجلد .

ولوائل زوجتان وغمانية أطفال أكبرهم في
السادسة من عمره

جلس وائل ذات يوم على حجر كبير خارج
كوخه ، يحقد في الفضاء كاسفاً مبلبل الخاطر ،
وفي رأسه شيء حزينك نامض ؛ فهو يرجع رأيه
بين هذا وذاك ، حائر أتبدو عليه الحيرة بأجلى ظواهرها ؛
وهو في ذلك حزين ساهم النظرات ، مضطرب
لا يستقر ؛ ولم يكن ليشر بالاضطراب محصوراً في
رأسه فقط ، بل إنه ليتنداه إلى صدره فيلق فؤاده
ويعمل عمله في قلبه ؛ ولعل هذا هو مصدر الحزن
(٧)

وتقرب منه ذات مرة يستطلع منشأه ، قارأى
سوى صندوق مستقل موضوع فوق منصة خشبية
بسيطة ، غير أن الذي لفت انتباهه وجود سلك أسود
متصل بناحية الصندوق الخلفية ، يؤدي إلى الخارج
حيث يتصل عند سطح القعي بسلك آخر مد على
عامودين متقارفين . فما هذا الخيط المرض تحت
الساء ؟ أم يمكن أن الأصوات تأتي إليه منها ؟ أم هل
يمكن أن يكون هو الأصل لمصدر هذه الأحداث ؟
وعن له ذات يوم ، وقد أعراه حبال الاستطلاع
ونار به الجبل إلى استشفاف المجهول ، أن يتر السلك
للمدود خلسة ؛ فقم له ذلك في طهيرة خلا فيها القعي
من الجالسين ؛ وعادون أن يشعر به أحد إلى مأواه .
ولما كان الساء ، وذهب وائل إلى القعي كعادته ،
راعه من أبي عبطان غضبه ووعيده ، وهو يحاول
عيناً دفع الصندوق إلى الترتيل والإنشاد ؛ وقد
عمق لديه بعد ذلك انتبار السلك الأعلى ، حينما
وقعت عليه عين أحد زبائنه مصادفة ، فنبه إليه . ولقد
فارت فائرة أبي عبطان ، فأنهم خادمه مجدولا . غير
أن اللتفين حوله من زبائنه أفلحوا في إقناعه بأن
انتبار السلك قد حصل من جراء تورته وهبوب
الرياح العاصفة عليه

وأصلح السلك في اليوم الثاني وأعيد ربطه ؛
فأدهش وائل إلا أن يعود الصندوق إلى شأنه
الأول ، إذن فالسلك الأعلى هو أساس كل شيء ؛
أي سحر هذا الذي به ؟ وآية قوة غارقة هذه التي
تجمله يشكر الأغاني والأحاديث وتلو القرآن ؟
وما يجب له وائل أشد العجب سماع أصحابه
في القعي يتحدثون بأن هذه التالوة والأنشيد
والأحاديث إنما تنبع من بندا أو من مصر (وقد علم
بعد السؤال بأنها أبعد من مكة) تفصل إليهم في

فن هذا الذي هو في نفس الوقت اللغز والشاعر
والخبر والموقع على الرباب؟ وإنه لينمت إلى صوت
نساء يثنى في بضع الأحيان، أفتكون امرأة هي
التي فيه؟ كلا! إنه ليسمع القرآن بصوت لا يشك
في أن صاحبه رجل؛ أفيكون من فيه رجل وامرأة
أم هو شخص يتقلب بين الرجل والمرأة؟

ربما كانت له القدرة على تغيير لهجته ونبرته
ولكن... ولكن يسمع هذا الرجل صندوق
صنير الحجم إلى هذا الحد...؟!

ثم خطر له خاطر قلب أسس أفكاره جميعها
رأساً على عقب؛ فإذا كان في جوفه رجل كما زعم
فما معنى وجود هذا الخيط المرص لساء، والذي
لولا لما كان في الصندوق تلاوة من قرآن
ولا إنشاد من أغاني؟!

إذن فالخيط هو الأصل؛ وما يكون هذا الخيط
حتى يتبدل الأصل في كل ما يسمعه من غناء وأحاديث
كلا.. كلا.. لن يكون هذا الخيط إلا واسطة
يحار عقله في ادراكها؛ ولأى شيء يمكنه أن
يتوسط؟ أم يمكنه أن يتوسط للشخص الذي بداخل
الصندوق؟ وما يمكن السلك أن يصل مع شخص
يتلو القرآن ويغنى الأغاني؟!

وهكذا مضت على وائل ساعة وساعات، وهو
حائر مشوش الفكر مسلوب الراحة...

وأنته إحدى زوجيه تضاخه ونحاول أن تطرد
عنه سهومه وأساه وقد حارت في تليل أسبابها؛
فماها وائل واجتواها، ونحماها عنه ببيدأ فارتابت
في أحمره؛ ثم طلت تسأله عن سبب سهومه وحيرته
فما ظفرت منه بجواب غير صرخة صمتها تأمرها
بالإبتعاد...!

ومنذ ذلك الحين وائل يتخذ مقعده في القهى

الذي شاع في نفس وائل، ولعله أصل السهوم الذي
ران عليه وسيطر على روحه

لقد كان يفكر في أمر الصندوق الصنير...
إنه ليسأل نفسه عن سر هذه الظاهرة، أم سر؟
قد تكون سحراً وقد لا يكون فيها لسحر من
أثر؛ وهل يقوى السحر على نظم الأشعار، ورواية
الأخبار، وتلاوة القرآن؟ ثم هل يخطف السحر
في الناس خطباً دينية وأخلاقية وحجية؟ وهل بلغ
بجميع أصحابه من السمعين الخفى والجل هذا البلغ،
حتى لينصتوا إلى السحرون أن يفهموا أنه سحر؟
وكيف يكون ذلك سحراً والجميع يجهلون بأن
القرآن الذي يسمعه إنما يتلى في بندا أو في مصر؟
إن أمر ذلك لمجيب والخفى!

هل هي معجزة إلهية؟
قد تكون معجزة لأنها تخرج القرآن من
الخشب الآخرس فتدفعه ليتكلم وينتج، وقد لا تكون
معجزة ما دام ذلك يتكرر في كل يوم، وما دام
ذلك يتبع قوانين أساسية إن أحمل واحد منها
فليس هناك قرآن ولا أحاديث. أو لم يجرب ذلك
بنفسه فبتر السلك، وإذا بالصندوق الناطق عبي؟
فاذا لم تكن هذه الظاهرة معجزة فكيف إذن يث
الصوت في بندا فيصل سمعه بنفس اللحظة؟

إنه لن يصدق ولن يعقل أبداً أن مصدر
القرآن والأخبار والتصادق إنما هو بندا أو مصر؛
فذلك سخافة وقول هراء!

فلا بد إذن من أن يكون في جوف هذا
الصندوق شيء لا يراه ولا يشف عنه هذا الحجاب
الخشي الصفيق؛ ولا بد من أن يكون في جوفه
حاك أو ما يشبه الحاك؛ بل لا بد من أن يكون فيه
شي يتبدل بتوالي الساعات، ويجمد الأغاني والسور
في كل يوم!

تلو وتشتد فترداد خشونة وروعة

وتسالى القرع والطن إلى حدخفيف ، فلما جسم
واثل يرتد وكأنه الريشة في صهب الريح ... وكان
واثل لا ينفك يدرى الوبل فهمدت الأصوات ، إلا
أن تلك أعقبها أحاديث غريبة بحية في لفظها ،
فارتاع وخيل إليه أنه في مملكة الجن وأن الشياطين
قد برزوا جميعاً من مكائهم ... ولم يكن ليتبين صوتاً
لشخص ، بل لقد كان يسمع لفظاً لأشخاص
عدة ، تارة يصرخون ، وأخرى يقهقهون بضحكات
مزججة خفيفة ... فارتاب واثل في أن الجن قد
تجمعوا واستقروا داخل هذا الصندوق العجيب ...
فصم ليحطمه فيحطم من به من الجن ... !

وانزع الصندوق بكتنا بديه ، وهو في ثورته
وهله ، وألقاه على الأرض بكل قواه ... فطارت
شظاياه في أنحاء القهى ولجأة خدعت أسوأه ...

واقبه الخادم الراقد على أثر ألم في رأسه أسابه
من جراء اصطدام قطعة حديدية ، فهب مذعوراً
ليس يدري أفي الحلم هو أم في اليقظة ؛ ولم يكن منه
حين أنى واثل أمامه ، إلا أن أطلق ساقه للريح
سارحاً بأعلى صوته ، مستهدداً ومستجداً أهل
القمة ... فهب بعض أصحاب الأكوخ والودور
الراقدن على أثر هذا الصراخ وتسارعوا إلى الطريق
بينما كان واثل يحاول التخلص والاختباء ، غير أن
القوم أدر كوه وقبضوا عليه دون مقاومة يديها ،
فأسلموه إلى الشرطة

ولم تحض خمسة أيام على هذه الحادثة حتى كان
واثل يسير مخفوقاً بنفر من الشرطة شاكي السلاح
متوجهاً به نحو السجن المركزي ...

يعقوب بئرل

(بغداد)

قرب هذا الصندوق العجيب ، فبرى بين الاتقاء
والبقظة أبا عبطان يدرى الوبل ، ويهشه لتلاوة
والإنشاد ، فتعلم ذلك وأخفته ، حتى لو طلب منه
إدارته لما توانى ولما أخطأ

واتبه واثل ذات ليلة عند الفجر ، فاستصمى
عليه بعد ذلك الكرى ، وراح يفكر في سر هذا
الصندوق الذى كاد أن يذهب بفعله ، ولقد اعتراه
الانطراب ساعتئذ بشدة ، ودفعه حب الاستطلاع
وثورة الجهل التمرد في رأسه لأن ينادر فراشه
خلسة ويتفقد خنجره فيطمئن عليه ، ثم لأن يتابع
سيره ميمماً شطر القهى ...

ودنا منه فأنى السكون شامله ، فدخله
من باب المفتوح ، ورأى مجلولاً الخادم ينط في نومه
حتى لقد كان يسمع غطيطة عالياً

وما كان واثل ليجعل موضع الصندوق ، فقد
طالما رأى أبا عبطان يضمه في دولا ب صغير مثبت
بالجدار ، ثم يقفله بمفتاح يضمه في جيب صدره ،
فاستل واثل خنجره من عنده وجعل يفرزه بحيلة
ويتقطف في خشب الدولا ب ، فإلى الإلحظة حتى
تكسر لما كان عليه من القدم واللبى ؛ فانزع يده
الصندوق ، ومن ثم طلق يعمل في إدارته ، مقلداً
بذلك أبا عبطان كما كان يراه يفعل ، وقد غلب عن
باله الخادم الراقد على مقربة منه ينط ...

وأدار الوبل الصغير فانبتت من الصندوق
موسيقى رقيقة ، أخذ واثل يتسم لها ويضطرب ؛
استطرد في إدارة الوبل فأراحه إلا أن يسمع قرعاً
مزججاً أخافه وأرعبه ، فكان يشد على الوبل
ويحركه ، فإلى من هذه الأصوات المزججة إلا أن

المختصر

للكاتب الفرنسي موباسان
ترجمة السيد كمال الحريري

وتستدعي أفراسها ، وديكتها
تجرى وراءها مزهوة غفورة ،
تنفي دون انقطاع أنشودة الزوج
التيور على إله الحسان . ويتفتح
سياج البستان ، فيبرز منه رجل
قروي في الرابعة والأربعين من
سنيه ، ولوأن وجهه الجمود قامت
الحنينة كأنها يدنياها إلى حدود الستين
كان واسع الخطو وثديها ،
طويل الأذرع مديدها ، تقيل

الحركة بطيئاً اللقطة ، يتقل قدميه خفان غليظان امتلاً
فنبأ وهشياً. اقترب الرجل من الزرعة فأذا كلباً أصفر
صغير يحرك ذنبه فرحاً ، ثم يأخذ في نباح قصير
كأنه موسيقى استقبال ويحف بسببه القبل ، وماهى
إلا أن يزجره الرجل حتى يبقى على ذيله ويلزم السميت
وخرجت في هذه اللحظة من المنزل قروية زرية
المهينة قبحة النظر مفرطة الطول عريضة ما بين
التكبين ، تجلبت بثوب صوفى ضيق قصير ، التصق
بجسمها وتهدل حتى ركبتيها ، فبان تحتها جوربان
خشنان أزرقان ، امتلا حذاءين غليظين حشياً
كزوجها هشياً وثيناً . وكان يستر شموورها الشمت
اللينة ، ونواصيا الشبر المثقبة ، قبعة صفراء قفزة ،
برز تحتها وجه هزيل أسمر ليس بالجميل ولا الوسيم ،
وإنما عليه طابع القرية وسيا الريف . قال الرجل
سائلاً :

— وكيف حال أياك ؟ فأجابت الزوجة :

— يقول سيدى القسيس إنه الموت ، وإن ليلة
الغد لن تطلع عليه أبداً . ثم ولجا المنزل وبدا اجتياز
المطبخ صاراً إلى غرفة واطئة السقف مظلمة الجو ،

كانت أشعة شمس الخريف اللذيذة الفاترة ،
ونبات « ديسمبر » الرخية العاطرة ، تسرب إلى
ساحة البار من الزرعة وتداعب في هيئة ودفق
رؤوس الأعشاب النامية بأطراف الحفر وحفافي
الترع ، وكانت التربة خضلة ندية خلال الأعشاب
القصيرة القصية التي رعتها سوامم البقر وقطائع
الماشية ، لا تكاد القدم تستقر عليها حتى تنفوس في
برك صغيرة من الماء الذي خلفته النوادي والسواري
وكانت خائل التفاح وأدواح الدراق موقرة
التفروع بالثمر الشهي ، متنادة الفصون بالتفاح الأحمر
الطلي ، يساقطها سارى الطال ، ويشترها نسيم الصباح
على المشب الأخضر فتعوج سطحه بلونها الأحمر
والأصفر كطرائق من التدرج والآلآء على التغطية
الخضراء

وفي دكن الزرعة أربع بقرات ترحى المشب
الندي وتضمم التبت الطرى ، في مرح ورضى
وقدة ثم تلتفت صوب المنزل مهسلة خوارها
المدوي ، بينما دجابت حول دمنة الزرعة
خرجت تستفكس الحب ، وتستنبش الديدان

فتبصرت المرأة كلام زوجها لحظة ثم قالت :
 — لن يجوزنا أبي فيا أعلن إلى أكثر من
 ثلاث ساعات ثم ينفض كل شيء ، فخطوف أنت
 على منازل الحى ، وبيوت القرية قائلاً : لقد مات .
 فظل القروى حائراً ، يقدر النتائج ، متردداً
 بزن المسألة ، ثم عان امرأته
 — هما يكن من الأمر فليس بد من ذهباى .
 وخرج من الترفة ثم عاد يقول فى تردد :
 — ولأنك فارغة الشأن عاطلة من العمل ،
 فسقشرين البطاطس للطبخ ، وتعدين طبق التفاح
 لحفل المآثم ، وتضرمين النار فى الفرن بأعواد البدة
 اليابسة . ثم خرج من الباب فداعب كلبه الأصفر
 المدلل ، وتوجه إلى الطريق البعيد الذى يؤدى إلى
 توفيل . ولبتت المرأة وحدها ، فانصرفت إلى ترتيب
 المنزل وتهيتة الطعام لحفلة المآثم : أفرغت البقيق فى
 المصنعة وأخذت تمنجن الطحين وتكره ، وتسحقه
 ثم تمركه . حتى تم لها منه كرة يضاء نبيه تركها
 بجانب المنضدة . واخطقت تقطف التفاح من البستان ،
 وكلا تؤذى الشجر وتكسر الأغصان تملقت
 إلى جوف الشجرة برمجة مسدة لذلك ، وأنشأت
 تقطف وتكدس فى حجرها كل فاحة حلوة الجنى
 مكتملة النضج ، وفزعت المرأة من عملها ، فانصرفت
 إلى غرفة أبيها المحتضر وفى نفسها أنه قضى نحبه
 واستوفى أنفاسه ، على أنها ما كادت تتخطى عتبة
 الترفة حتى تآدى إلى سمها شخير الصاحب
 وحشرجه الرتيبة ، فضت إلى المطبخ تهيب طعام
 المآثم وتعد ولية الجنائز دون أن تضعيتها سدى
 بجانب محتضر تعتقد أنه إن لم يمض الساعة فكأن
 قد ... أساطت كل فاحة بصفيحة من عجين « كما

لا يكاد ينيرها إلا لوح زجاج من نافذة ضيقة . وكانت
 أرضها المجدبة المتتوية ، وقد غمرتها الرطوبة وسالت
 بها القنطرة ، تظهر وكأنها استحصمت فى وشل من
 دهن . وفى ركن قصى من هذه الترفة كانت العين
 تقع على سرير منبذ تبثت منه أنة غريبة الجرس
 فيها النصبة الأليمة ، والفرة الحمرى والحشرة التى
 نشبه انفجار قنبلة فى ميدان ، أو ارتطام لجة على
 صخر ، وكان يفرش هذا السرير محتضر هو هو
 الزوج

ويقرب الرجل وامرأته من المشرف المذنب ،
 ويحيلان فيه بصراً هادئاً راضياً ثم يقول الزوج :
 — ليس من موهبة هذه الليلة . فستطرد المرأة :
 — منذ الظاهر وحله على مارتى . وكان المحتضر
 منمض الجفن أورد الوجه ، اصطبغت بشرته بلون
 التراب ، وأضحت سحنته غابة مقشعة الأديم ،
 متيصة الشجر ، أما فمه نصف المفتوح فكان يرسل
 الأنة الحبيسة والحشرة المخنوقة يتداعى لها صدره
 الضعيف ويتصدع لها جنباه الواهية . وتكلم الزوج
 بعد صمت طويل :

— أرى أن ندمه يستوفى أنفاسه منفرداً ،
 فلن نستطيع له نقما . وخير لنا أن نهيا المآثم المقبل
 والجنائز المنتظر . فبدت على وجه المرأة أمارات القلق
 والاضطراب ، ثم فكرت لحظة وقالت :

— وما حالم دفعه سيجرى هذا السبت فإن
 لدينا متسماً من الوقت نهيا فيه لحفلة المآثم . قال
 الرجل بعد أن تدبر قولها

— إنك على حق ، ولكن أربع ساعات
 لا تكفى لنصية إلى الجيرة ، ولا تمنع لدعوة الأصحاب
 والأقرباء إلى حضور المآثم من « توفيل » إلى ماتو

ونساورها التمتع ، وما هي إلا أن ران الكرى على أجنحتها ، حتى دوى في جو الترفة للوحشة غطيطهما المختلف النازح ، أما غطيط الزوج فتوى عميق خشن ، وأما المرأة ففرق حاد لطيف ، فتألف منهما ومن حشجرة الليل « أركسترا » مزججة مقلقة ليست بالشجرة ولا الطرية . ويستفيق الزوج والفجر وليد ، ونور الشمس لم يسلم على الآفاق ، فإذا للشرف في قيد الأحياء ، فيوقظ القروى امرأته تلقاً ساحطاً ، وتشتد المرأة حياة أبيها فتقول :

— إنه لن يغنى سحابة الهارقي أكبر الظن ، فلهذا نفسك وليفرغ روعك . وعندي أن من الخير أن تشيع نبأ موته بين الجيرة وأهل الحي ، كي لا يتعت علينا المعدة في دفنه ، في اللد ، وكى يتسع لدينا الوقت وقطول المدة . ويقتنع الزوج بهذه الحجة فيعضى إلى حقله ، يشيع النبأ وينى الليث ، ومضى نصف النهار وأقبل الظهر وصاحبنا لم يمت . فبدأ المدعوون إلى الآثم يتوافدون زرافات ، ويدخلون أفواجا ، كي يقوموا بواجب التمرية عن الراحل المحرم ، القى أبطال به قدمه إلى دار الآخرة وفي الساعة السابعة حين دخل الزوجان غرفة الليل وفي نفسها أهما سينمضان عينيه لآخر صرة ، شاهداه وبالأأسف ينقش نفسه المتاد ويحسحرج حشرجته الرتيبة المزججة ، فقال الرجل وقد تلهب غيظاً وارتجف فرقا :

— ولماذا تصنعين هذه الساعة يا « فني » بعد أن أجبرتني على إذاعة نبأ موته بين الناس ؟
وُسِمِرَتِ المرأة لانتطق ولا تحجب . ثم انطلقا إلى العملة فوعدها أنه سينمض عيني الحضر ، ويأذن بدفنه منذ اللد . أما طيب الصحة فقد أخذ على

هى المادة عند أهل الريف يوم حفلة الآثم » ثم صفت التفاح الواحدة بجانب أختها ، حتى انتظم لسيها عقد من ثمان وأربعين تفاحة . وبعد ذلك توجهت إلى طبخ الحساء ، فأصرمت ناراً عظيمة وعلقت عليها قدرأ كبيرة لأغلاء الماء وانضاج البطاطس

وأب زوجها من مهمته الساعة الخامسة وما إن وضع قدمه على عتبة الدار حتى فاجأها :

— هل انتهى كل شيء ؟ !

— كلا وبالأأسف ! فزال حشرجته عالية الضجيج وقرقرته صاحبة الرنين . ثم راحا يستطلعان الخير ، فإذا اللدف على الحال التي تركوه فيها منذ ساعات : نفس مضبوط غنوق لا يترأخى ، وقرقره متواصلة رتيبة لا تريد ولا تنقص ، وحشجرة مبجوحة يتلو بعضها بعضاً كَتَكَّتْكَ الساعة المنتظمة ، فقال الصهر وهو ينظر إلى حبه بإشفاق :

إنه كشمعة الكنيسة سينطفئ دون أن يشعر أحد أو يحس موته إنسان ؟ ويدخلان إلى المطبخ فيتناولان الحساء ، وبأكلان قطعة من الخبز المنموس بالزبدة ، حتى إذا فرغت الصحون وامتلاّت البطون ، عادا أدراجهما إلى غرفة المختصر المشرف وقد أمسكت المرأة قنديلاً أخضت تمره على وجهه وفه وعينيه كي يثبت لسيها ، إذا لم يضطرب لسان السراج ، أن النفس مقطوع ، ولكن لسان السراج اضطرب واهتز ، وراح يتراقص ويرجحن كاهه في حفلة راقصة . هنالك غادر الزوجان المختصر حاتين منطين ، وأسلما نفسيهما إلى النوم في سريرين في ناحية من الترفة ، تحتوشهما الظلمة ،

عجاب أن يصرع هذا الحرم الثاني ملك اللوت
القوى الجبار

وأدركت الدعوى خيبة وحسرة، حين أخطروا
أذهانهم حوى المآثم القذبة، وأطباق اللحم الحنيذة
التي سيجرمونها، وبالحسرة بعد هذه الخطب
البليغة من الزوجين. فظل فريق منتصباً ساهماً
لا يرم، ولبت كان صمغاً نادماً لا يتحرك، ثم هم فريق
ثابت بمناداة التزل بصقعة الثنيون، لولا أن صاح
بهم الزوج :

— وأين إذا تركز الحوى المصفوفة واللحوم
الرسوفة والمحور الممتعة ؟ ! فبهلت الوجوه الباسرة،
وأضاعت الأسارير الظلمة وأخذ بعض يهمس في
أذن بعض

— أظن أن لافائدة من انهباب ما دامات السماء
منظافة بالقيم منفرة بالطر، وامتلأت ساحة الدار
بأمواج الزاثرين، وأمواج المزمن من كل حذب،
حين سرى الخبر سرعان البرق، إن الوليمة جاهزة
فاخرة، والمساء قديد حنيئذ

ويدخل النساء غرفة المحتضر راكعات على
صدورهن إشارة الصليب، ثم يأخذن في صلاة
عميقة طويلة على روح « الميت الحى » ثم يخرجن
من الغرفة، فيُطلُّ الرجال ذؤو الشجاعة والبأس
من نافذة الغرفة، على الشيخ المحتضر. أما غلوعو
القلوب وذؤو الأمرجة المصيبة، فيلبثون مكانهم
خوفاً من هذا الحرم الذى لا يريد أن يموت، وحين
شاهد جمع الناس هيئة المحتضر وفراشه توجهت الأنظار
إلى الوليمة المنتظرة، ولكمهم كانوا من الكثرة
بحيث لا يتسع سخن الطبخ لمديدم، فاقترح إخراج
اللائدة إلى ساحة الدار، وحين طالت صيوان الجالسين

عاقته، لدى توسل الزوج، توقيع شهادة الوفاة
الشرعية، فسرى عن الزوجين وانصرفا راضيين
إلى فراشهما

وتيقظ القرويان مع الصبح، فإذا للدفن حى
يرزق، فظلا سامعين راضيين، ينظران بقلق ورعب
وحذر إلى وجه الليل وقد قرَّ في نفسيهما أنه
لا بد متمم هذا الدور الخادع، مصطنع هذه
الحشرة الماكرة، وأنه يكيد لها كيداً، اشتفاء
لنفسه وانتماماً لكبريائه، وقال الزوج :

— إن هذا مقلق مروع، ويزيد قلقاً أننا
لا نستطيع بلاغ خبر حياته إلى الناس، بعد
الذى كان ممناً من إخبارهم بموته. وفي الساعة
السابعة إلا عشرأ أخذت وفود الدعوى إلى حفلة
المآثم تقبل أفواجاً، مرتدية السواد، فذعر
الزوجان لهذا الموج البشرى التراكب، ثم راحا
يستقبلانهم في حزن وابتئاس، وعلى حين غرة
ويئسا كان الفوج الأول يقترب منهما أخذاً في بكاء
حار عميق ونشيج مؤلم طويل، وكانا خلال العبارة
والزفرة يشرعان للناس الموقف المتعرج، وبين
الآمة والآنة يقصّان الفاجعة الأليمة والحال التنازعة
ثم يقدمان مع هذا كله الكرامى الجالسين،
والسجائر للدخنين، متذنين لهذا طالين المفومين
ذاك، صاحبين ضاحيين منبهرين من الكلام لاهئين
من الحديث مفرقين الزوار بسيل من الكلام
لم يجذبوا لأنفسهم وقتاً لإجابته والرد عليه، حتى
إذا هذأت عاصفة ثرثرتهما شيئاً، وركدت ربح
هندهما قليلاً، أخذاً ينتقلان من مدعو لآخر
ويقولان :

— ما كنا نحسب ذلك وافته ولا توقمه، إنه لشيء

— لقد مات . لقد مات . ورن على الجمع سمعت صهيب وسكوت موحش ، وتلاحظ القوم في حيرة وذهول . ثم تناهض النساء ينظرن « الميت الحى » ويتأكدن من انطفاء سراج حياته ، وحفا كان للدخف قد لفظ أنفاسه الجيصة فما عدت تسمع من صدره وفيه قرقرة أو حشرجة

في هذه اللحظة التي تستنزف الدمع البرود ، وتستدر العين الجلود ، ولم يبك الزوج ولا المرأة وإنما ظلّا هادئين رسيّنين ، وكان الرجل يقول للجمع من حين لآخر :

— لقد كنت واثقاً بأن ذلك لن يطول وأحسب أن عمى لو تنازل فسلم روحه لبارئها منذ ليلتين لا أزعجنا هذا الاضطراب وعكر علينا صفو الآثم هذا التمكير . ومهما يكن من شيء فقد مضى الرجل لطيبته وما أظن في عزمه العودة آخر الأبد نعم ظن الرجل إلى دار الآخرة ، ولكن أكلافه الثقيلة لم تظن معه . فالقروى المسكين مضطر إلى إقامة ولية جديدة على نخب موت عمه الثانى ، والفرزد الجسيم والكلفة الباهظة

ويفض السامر من السار وتغار بأهلها الدار ، فإذا الزوجان يقفان وجهاً لوجه ، وإذا المرأة تقول في حق وغيط :

— أمن اللازم الحتم أن أكّد نفسى بإعداد وليمة ثانية ؟ آه لو طالب أبى نفساً بروحه منذ ليلتين فقط إذا لكنا... وضابطها الزوج في خضوع واستسلام .

— أفى كل يوم نحتفل نحن بآثام أو جناز ؟
(حلب) كمال الحريرى

حولها كانت أول ما جذب إليها الأضمار الثنائى والأربون قفاحة المنهبة للسورة بأطر المعجين ، التي جهدت الزوجة في تمصيفها ونظفها حتى عدت كالتقلادة القيمة حول جيد الحسنة

وأهوت إليها الأكف كل يأخذ قفاحته في مجل كيلا تقوه حصته ولكن رغم ذلك بقي فيها أربع

قال الزوج وفي فيه لقمة ما نجد طريقها إلى حلقه :

— آه لو أبصركم عمى الرحوم أو المحتضر على هذه الحال ، تأكلون خيرى وتريقون ثمره الحلو إذا ل... فقاطعه قروى جلف :

— لكل دوره في هذه الحياة ، وعمك الساعة لا يسبح قفاح ولا يشتكى ثمرأ ؛ وبدلاً من أن يستاء المدعوون لهذه الكلمة الجافية الجافية ، انفجروا عن ضحكة عريضة وقهقهة عالية ؛ ولم لا ؟ وقد سنحت لهم الفرصة وأباحهم الرجل طعامه وشرايه ، وإنها لنهزة ما تأتيمهم كل يوم

ويقلب الزوج بعد فرح القلب وانشراح الصدر ساخطاً شقيق الذرع بالمدعويين ، لأن النفقة كانت جسيمة لا تقدر ، والمصاريف باهظة لا تحتمل ، ورغم هذا كنت تراه إما واثقاً بالأطباق مليئة وزجلجت « الويسكي » مترعة أو غادياً بها فارغة لا طعام ولا شراب ، ويفرغ الأكولون من الوليمة فإذا هم صاخبون بالكلام والوثون الدنيا ضييقاً وجلبة وعلى حين غرة تجأ القوم فلاح هرم بهنه
الكلمات :



الرسالة

مجلة لجمعية الهلال الأحمر والفتوة

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الماخلى ستون قرشاً ، والمخارجى ما يساوى جنبها مصراً ، وللبلاد العربية بنضم ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بريد الإشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الخارج الأخرى
١ عن المبدد الواحد

المودارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٩
الحيطة الحضرية - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٢٧ ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٦ - أول مارس سنة ١٩٣٨ السنة الثانية



فهرس العدد

| صفحة | محتوى |
|------|--|
| ١٢٢ | صديق الكلاب ... قصصه مرثية ... بقلم أحمد حسن الزيات ... |
| ١٢٥ | صوت المهراب أو ضجة المنود ... لكاتبة ماري كوريلي ... بقلم الأستاذ دروي خشة ... |
| ١٣٧ | الثال الهندى ... قصصه بوليفية بقلم م. ل. هويكس ... بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة ... |
| ١٥٢ | يحكى أن ملكاً ... الشاعر الهندى الفيلسوف طافور .. بقلم السيد نغرى شهاب السيدى . |
| ١٥٨ | قصة صيف ... لكاتب القصص استيفان زرايع . بقلم الأديب أحمد ضحي عبد التواب |
| ١٦٥ | شعائدات الأسقف ... مسرحية في فصل واحد لورمان ماكتيل ... ترجمة « الناقص » ... |

قصّ على هذه الأقصوصة وهو منها على يقين جازم . وما كان أسرتي وأسرك لولا ستطعت أن أقفلها إليك بثلثة الجيلة التي تأخذ من لحن بندگان ومن لحن البادية . على أنني سأحاول ما أمكنتني القدرة أن أترجمها ترجمة صادقة تكشف عن أثرها في نفسه وفعلها في نفسي

كان في بندان منذ خمسين عاماً أسرة كريمة تمتاز بنسب العرب من جهة الأب ، وتصل بسبب الترك من جهة الأم ، فهي مزاج متدل من عقليتين متباينتين لا يجمع بينهما غير الدين . والدين في مثل هذه الحال يكون أوثق عقداً وأمتن أسباباً لقيامه مقام الجنسية الجامعة والعصية القرية . فالوالدان صالحان هيان لا يفهمان من العروبة إلا النبوة والقرآن ، ولا من التركية إلا الخلافة والسلطان ، ولا يبرقان عن دار السلام وفروق إلا أنها بلدان في وطن واحد . والوالدان جيلان باران يكبر الذكر منهما الآخر بخمسة سنين ، وقد درجا مما من مهد الفضيلة ، ثم تعربا في حنان الأبوين على كفاف من الجيش يؤتيه متجرب غير نافق

لم يشغل عبد الواحد باله كبيراً بتفصيل حياة هذه الأسرة الصغيرة . فكان كلامه عنها مرصلاً مجزلاً لا يحلل طبيعة شخص ، ولا يحدد تاريخ حادث ، ولا يبين مكان منزل ؛ حتى أسماء الأب والابن والبنات لم يجد في ذكرها ما يقيّد الحديث ؛ فهو يحذف ما يزعجه فضولاً ويسير قدماً إلى هيكل الموضوع وعقدة الحادث ، فيقول إن الغلام

صَدَقْتُ الْكَلَابَ

أَقْصُوصَةٌ عَرَفِيَّةٌ
بِقِطْعَةٍ لِحَمْدِ أَحْمَدَ حَسَنَ الزَّيَّاتِ

شرب عبد الواحد ^(١) وسقانا ثلاثة أقفاص من الشاي المطر . ثم أطلق من حنجرتة القوية جشاة طويلة عريضة تنوار المجل ، ثم حساً النار بألمله وشيع ضررها في بقية الفحم ؛ ثم أشعل منها (سيكاره) اللرية وأرسل في رفق دخلها الرقيق الأدكن . وبانت على مآرف وجهه شهوة الكلام . وكان كلبى الصغير قد لاذ من قوس البرد بمجانب الموقد ، فهو ينطوى وينتشر تبعاً لما يئلب على جو الغرفة من نفع النسيم أو لضع الحب . فرأيتة بطيل النظر إليه في طرف ساكن ووجه سام . قفلت له مداعباً : لملك ذكرت بالكلب حينتك وهي في خباتها بين كلابها وشائها . فابنم ابتسامة العنقاء الخفيرة وقال : الحمد لله ما ذكرت على فقرى حياة البر ^(٢) مذ هجرته ، ولكنني ذكرت رجلاً كان في بندان يدعى (أبا الكلاب) . فسألته وما حديث أبي الكلاب هذا يا عبد الواحد ؟ فلحق في عينيه البشر ، لأن سروره كان في أن يتحدث وتسمع . وذهب به شيء من التيه ، لأن شموره بأنه يعلم ما لا نعلم رفقه قليلاً فوق قدره ؛ لذلك تراه عند الحديث يجلس جلسة التظير ويهيج لهجة الأمير ويقرر تقرير المأم

(١) عبد الواحد رجل بدوي كان يقوم على خدمتي وأنا ببندان (٢) يريد المصراع

براه إليها الشوق ، والمستقبل الباسم الذى ينتظره فى بئساد ، قد شغب فؤاده وشفى كبده ومسح ما به عرف الحلة والدار بعد لأي لطموس للمالم القديمة ؛ ثم قرع الباب بيد سرجته ، فأذا المالك الجديد يخرج إليه ؛ فأقبل عليه المسكين لفغان ضارعا يسأله : هنا كان مبيت نفسى فأين أبى ؟ وهنا كان مسقط رأسى فأين أبى ؟ وهنا كان لى مهد وأخت وملعب وجيرة ؛ قتل لى برك يا سيدى أين تحمّل بكل هؤلاء القدر ؟ . وكان بين السئول والسائل حوار قصير عرف منه البائس أن ربح للنون قد عصفت بأهله . فأرشد إلى الفندق لا يملك دمه ولا قلبه . ثم قضى حيناً من الدهر ضارب القلب يكابد غمص الكرب ، ويالج مضض الموم ، حتى رأم الزمان والإيمان جروح صدره

وقع فى نفس الوحيد الحزين أن يتزوج ليميد إلى سجل الوجود اسم أسرته ، فأقترحت عليه جارة له عجوز أن تخطب إليه فتاة يقولون إن بينها وبين بى فلان عاطفة رحم ؛ ويؤكدون أنها تنزع إلى عرق كريم لطبها للهنوب وجلالها المحتشم . فاطمان قلب الخطيب إلى رأى الخاطبة ؛ واختلفت المجوز بينه وبين ولى الفتاة حتى تم الوفاق ونسج الصدق وعينت لية الزفاف

زفت العروس إلى زوجها ، فبهره ما رأى من جمال ، وأحس من ظرف ، وسمع من أدب ؛ فأقترت فى وجهه السرور وحمد الله على حسن توفيقه . ثم اقضى شهر العسل على خير ما يجيد زوج من زوجته . وفى ذات ليلة نجاذب المروسان أطراف العمر وشققا بينهما الحديث ، حتى أفضى إلى علاقتها بولها فلان (بك) ، فأحب الزوج أن يعرف درجة القرابة

كان عمره اثني عشر ربيعاً حيناً يحب خاله إلى الأستانة . والأستانة يومئذ كانت متجع الخواطر ومهوى القلوب الطامعة إلى السطوة أو الثروة أو العلم . فهل كانت هجرة إلى دار الخلافة تنقيفاً لنفسه ، أو تخفيفاً عن أبيه ، أو مساعدة لخاله على تدير متجره وماله ؟ كل ذلك يجمله راوى الحديث ، فما يعلم إلا أنه شدا شيئاً من العلم فى إحدى مدارس القسطنطينية تحت عين وليه وعونه ؛ ثم اندفع فى غمار المدينة الصاخبة يداور الأمور ويتلس المكاسب ؛ ثم أوغل فى مدن البلقان وشباب الأناضول ، حيناً فى خدمة الجيش ، وحيناً فى طلب العيش ، حتى انقطع علم ما بينه وبين أهله .

كان القريب النازح بهاجم الأخطار فى كل فج ، ويصارع الأقدار فى كل فج ، وكل هم أن يجمع من المال ما يضمن له ولأسرته خفض العيش فى ظلال بئساد الجيلة . فلما ملأ الدهر يديه بما أمل كان وأسفاه ريمه قد أدبر ورببه قد أقفر وحله قد تبدد ، فإن والده البائس قد ألح عليهما من بعده الحزن والفقر والفقر حتى أنطلقا سراجهما فى حولين متماقين بعد انقطاع خبره يضع سنين ، وأما البنية القيمة فقد حنا عليها بعض ذوى الرووات من أهل البيوتات فضمها إلى حرمة ، وواسى يتمها الحزين بطفه وكومه

عاد المهاجر إلى وطنه يحمل فى جيبه المال وفى قلبه الأمل ، فما وطئت قدماه ترى العراق القهجي حتى ازدحمت الله كريات على خاطره ، وصرمت الحوادث للمزيجات أمام ناظره ؛ ولكن شعوره بلذة العودة إلى الأرض التى أبصر عليها الدنيا ، والديار التى قبّل منها الروح ، والهواء الذى رف عليه بالصبا ، والماء الذى نضج قلبه بالنسيم ، والأسرة الحنون التى

أثيل الملك ، واستتر بأخلاق الثياب ، وقضى بقية عمره في جمع الخبز للكلاب الشوارد !
أذعن الخاطيء البريء لحكم الفقيه الأخمى ونزل للزوجة الأخت عما يملك ، وأرندى طمراً من غليظ الكرباس ، وجعل على عاتقه مخلاة ، ومضى يفرع كل بيت ، ويقصد كل مطعم ، فيجمع الفئات والخبز ثم يقف بالبيدان فيقسمه بالسوية على من أجاب الدعوة من كلاب الحى

لم يمض غير قليل حتى عرفه الناس وألفه الكلاب ، فسار يمشي في الأزقة وحلقه منها قطع ، وينام في العراء وحوله من شداكدها حرس مطيع ، ويحين الوجبة العامة فلا تجد كلباً طليقاً في بنداد إلا أجاب نداه ، وتناول من يده المحمومتين غداه .
ولكن الوالى رأى على طول الزمن أن يدى أبى الكلاب على رعيته عافية وريح . فمن هزلها ، وكثر قليلاً ، حتى اختنق بلهائها النهار ، وصم بنباحها الليل ، وأصاب الناس من عضاضها وأمراضها شر كبير . فأقام في ظاهر المدينة حظيرة واسعة ، ثم أمر الشرطة فصادوا الصوارى وألقوها فيها . فكان أبو الكلاب على عادة يجمع الطعام والمظام ثم يذهب إلى ضيوف الحظيرة فيطعمها ويسقيها ، ثم يهاك على الأرض من المنوب فترقد مكانه حتى الصباح
وفي نحوه يوم من الأيام أذلم الوالى لأسراه ولجبة السفاح فأنجا من بسدها لاهت ولا ناج .
وجاء أبو الكلاب فرأى ألامه الخالص على أديم الأرض صرعى ، لا يتلقن يمين ، ولا يصبعن ذنب !
ضطم على السكين أن يرى مثال الصداقة يموت ، وشبح الجريمة يحيا ، فتساقط بجانب السور مهدود القوى ، مريع اليأس ، ولبت مكانه لا يأكل طعاماً ولا ينوق مناماً حتى لحق بره . الزيات

بينهما ، ففضت الفتاة من طرفها ، وشاعت حمرة الخجل في وجهها ، وقالت في صوت خافت منهافت من الخزي والخوف : « الحقيقة أن ليس بيني وبين هذا الرجل قرابة ! وإنما هو نبيل عمن آدافى ودينى بعدما جنى البين في أخى ، واللوت في أبى ، وأنا يومئذنى حدود الثانية عشرة . ثم تابست الأسئلة من الزوج ، وتسارعت الأجوبة من الزوجة ، وكان كلا الحجاب عن خبايا الغيب حجاب امتنع لونه ، واقتصر بدنه ، واشتد وجيب قلبه ، وكانت هى كلا رأت منه ذلك نسبتته إلى اغتداه فى أسلمها فضت تفصل المأساة وتصور الفاجعة بالكلام والدمع ، عسى أن تعطف قلبه على مصابها ، فلا يفكر فى طلاتها وعذابها . ولكنها لم تكذب نفس الحجاب الأخير حتى رأت زوجها قد قفَّ شمعه وانتفخ سحره وارتفعت أطرافه ، ثم انفجر صارخاً يقول :
واويلاته ! وامصيتاه ! لقد تزوجت أختى ! ... ثم خر مفشياً عليه . فلما ناب إليه بعض رشده نظر إلى أخته فوجدها فائدة الوعى ، فتركها وابتر الباب وخرج مسرعاً لا يلوى على شئ . ولا يلتفت إلى أحد !

خرج طريد القدر من بيته خروج (أوديب الملك^(١)) من قصره ، ثم هام في الطرق الضيقة التشاككة يسأل الراع والنادى عن مفتى بنداد . فلما أدخل عليه باح له بسر الخطيئة ، فهو عليه التركى بمقابها ، ويألف في جرأها وأعقابها . ثم أتهأ بمد الاستشارة والاستخارة والرؤيا أن الله لا يتفر هذا الجرم إلا إذا صدف عن متاع الحياة ، وخرج عن

(١) في الأساطير اليونانية أن أوديب الملك قضى عليه أن يقتل أباه ويتزوج أمه ، فلما غد القضاء على غير علمه قفا عينيه وخرج من طيبة هائماً عوده ابنته اتيتيون

وكان له وجه مادم اللامع ،
إلا أنه كان أشبه بوجوه
الفلاسفة منه بوجوه الجنود ،
ولاسيما إذا جلس وحده في غرفته
المنزلة بنفث دخان لفاقاه التي
لا تنتهي ، فيجيب عليه
الكبيرتين الزرقاوين ، ويوسع
دائرة تأملاته ، وبجملها تشمل
الدنيا بأسرها .. فإذا قطعها عليه
قادم وثبوبة المهر في خفة ونشاط ،
وبرق من عينيه برارق الجذل
والسرور . وكان الناس يسحبون
كيف رضيت لولاي أن تتزوج
هذا الكولونل ، ولم يكونوا
يلمون أنها انتظرت الكفء
الذي يتقدم إليها فينقذها من هذا
المنوس الذي طال حتى أفزعها
وأوهى جلد لها . فلما تقدم إليها

صمت المهرجانات ضيع المنون

للكاتبة ماري كويلي
للاستاذ دريني خشبة

ماري كويلي هي مؤلفة قصة
أحزان الشيطان وغيرها من القصص
الجميلة الرائعة التي تنفق فيها ثلاث
عقارب عظيمة ، الإنجليزية والفريزية
والإيطالية ... قارئ اسكندرية
بأمها ، إيطالية بأبيها ، فريزية بجليها ،
إنجليزية بجياتها ... وكانت رجو
لو تكون موسيقية لو لم يلب عليها
الأدب ، ولو لم يزعجها كيوييد من
فراعي أرولو ... وأقصصة صمت
المهرجانات هذه من أزوع الأساطير
القصة التي تصور هول الاستهلال في
الهد البريطانية

كانوا يدعونها « لولاي »
قبل أن تصبح حرم الكولونل
كلود أنسل ، واسمها الحقيقي هو
لورا إيجرتون .. وهي غنية واسعة
الثراء ، تملك ضياعاً شاسعة في
إنجلترا ، وقصراً منيقاً في الهند .
ولقد تركت شمس الهند سفا
محبباً على جبينها وفوق خديها
كانت تستعين عليه بالدمام
والمساحيق لتجمع فيه حمرة

كلود رقص قلبها ، ورضيته على كره أو غير كره ،
ورافقته إلى الهند
وقيدة بقيد ثقيل من الذهب ، فاشترت هذا
القصر الشديد الذي يهزأ بقصور الأقبال ويسخر بما
بنى الراجوات ، ثم حشدت فيه الخدم والحشم بمد
إذا أثنته بما تؤثر به بيوت اللوك ... وكان الكولونل
يلس الفارق الكبير بينه وبين زوجته الفنية فلا
يجسر أن يؤاخذها فيما يؤاخذ فيه الرجال أزواجهم ،
فهي تصادق من تشاء ، وتدعو إلى دارها من تشاء ،
وتجلس إلى من تشاء ، وتشركه في الحفلات بمن
تدعو إذا شامت ، وتسهل إن لم تشأ ... ولم لا تصنع

إنجلترا وسمر الهند ، فتكتسب به سحراً وقتنة ،
ما دام الجمال قد يجل عليها بظاهبه غير المجلوب ...
وكانت روحها وثابة خلافة مرحة ، وكانت هي طويلة
ممشوقة ، ذات عيني عقيقتين ، تحب في أغوارها
أبالسة وشياطين ... وكانت تسم ، فقتر من ثناياها
البيض اللامعة ، فلا يصعب على عيها أن يشتف
في القسبات المكورة حول قها أفاقين الخبث
والهواء ...

وكان زوجها الكولونل أصغر منها سناً ،
ولكن كانت تبدو عليه بذوات تجمله يكبرها
بسنوات وسنوات . وكان ذا جسم عظيم هرق ،

في خلاهما أن تدعو الهراجا الوجه اللين لا ليتناول الشاي في دارها فحب، بل ليقضي أياها في قصرها الشاهق ضيقاً كريماً... ولم ير الهراجا بأساً في أن يلبي دعوة لولاي، وأن يضرب قلبك مبعداً موقوتاً، وقد أثارت تلبية الخلاء في نفسها... ولما كان أهل الخلاء لا يكتفون بأن يحسوا الكبرياء في أعماقهم، بل يحاولون بكل وسيلة أن يشمروا الناس بما يمزق أوداجهم من عُجب وما يسكرهم من تيه، فقد فكرت لولاي في أن تدعو رفيقة صباها ادريانا زوجة الكابتن لومارشان، من رجال جيش الهند أيضاً، والذي يسكر بفرقة في إحدى المدن القريبة. ولم يكن لواحدة من صوبيحات لولاي هذا الأثر العميق في نفسها الذي أحدثته فيها الفتاة المسجبة ادريانا، ذات العينين السحريتين، والوجه المنير الصارم، والجسم الضامر الناحل، والشعر القمبي الجليل... لقد كانوا يطلقون عليها اسم قصيدة كيتس الرائمة: «الحسنة التي لا تعرف الحنان!»، والله ما كان أسدقهم في هذا! فلقد كانت إدريانا صارمة في علاقاتها بكل من تعرف، فلا تكاد تعرف أحداً حتى ترغمه على أن يحس أنها قائدة الأعلى، وأنه ينبغي أن يتخذها مثله... وكان صوبيحاتها يدركن هذا وكن يشهدن لها به عن يد وهن صغيرات. فانا تكلمت أسنين، وإن اقترحت شيئاً لم يارضن، وإن تحدثن في مسألة وأبئت رأيها فهو رأي الجميع. وكان ما يزال يتردد في سمع لولاي وفي قلبها قول ادريانا في الرجل الذي تؤثر أن يكون زوجها: «إنه هو الرجل الذي يستحق حبها وإجلالها وطاعتها... فهو بذلك ينبغي أن يكون فداً في أخلاقه وفي جبنه، حتى ليكني أن تنظر إليه النظرة تمنحه

كل هذا وهي لا تكلفه قليلاً أو كثيراً عما يكلف الأزواج أزواجهم، بل ترك له راتبه كله يتصرف فيه تصرف الراشد العاقل، فيشتري سجاثره وينفق عن سمة بلا رقيب، وله فوق هذا أن يملأ معدته بما تحمله به معدت اللوك، وأن ينحط في مثل سردهم الناعمة الموضوعة، وأن يخدمه ولذان غلادون كأمثال اللؤلؤ السكون ...! ليس له أن يترش أسلوب حياتها، فهو رجل صناعته خارج للزل ضابط في جيش الهند، وفي داخله زوج ليس من مقاليد المنزل في يده كثير ولا قليل، اللهم إلا هذه العلاقة الشرعية التي تفرضها السماء، ونجى وراء الأشياء كلها فيها بين كلود ولولاي، وفي حين تأتي أمام الأشياء كلها بين جميع الأزواج... فهو إذن زوج دُمية! وهو كهنه الهدي التي تتخذ في الأمراض التجارية لمرض الملابس وأحدث الأزياء، ولا بهم بعد هذا أنه دمية تتكلم وتأكل وتشرب وتنفث دخان الفائف

وعرفت لولاي مهراجا الإقليم المجاور في إحدى سهراتها، فراعها منه حسن احتفاء الناس به، ومنافسة بعضهم بعضاً في التقرب إليه... وحسبت أول الأمر أنه ملق الجواهر يدفعها كالتياب نحو المهراجا، ولكنه لم يلبث أن عظم في عينها حين سمعت إليه يتحدث بلسان انجليزي مبدع، وحين عرفت أنه تخرج في إحدى الجامعات الانجليزية بلندن، وأنه ملكي عظيم من أكبر علماء الملك، وأن له في هذا العلم رسالة قيمة يعرفها علماء بني جنسها

وكانت تدعو إلى دارها أهل الجاه وذوى الكفاة واليسار ممن تجمعهم وإياها الأندية والرائع، فدار

يا إدريانا ما تزالان سحريتين ! وشعرك ما يزال
يلقي أضواء الذهب كما كانت في الصبا ... إنك
ما تزالين طفلة كما كنت ... ولكنك أيضاً طفلة
هائلة ... سأدعو لكما كلود ... كلود ! كلود !

وأقبل كلود ليؤدى وظيفة الزوج ، فقالت
لولي : « زوجي الكولونل كلود ... هلم يا كلود ...
ها هو أخوك لومارشان ... وهما هي صديقتي إدريانا
التي طالما حدثتكم عنها » ... وهش كلود على غير
عادة وبش ، وجلس يتحدث الضيفين عن سفرتهما
الطويلة ، ويحدث نفسه عن النادة الصينية العاتية
ذات المينين السحريتين ، الجالسة أمامه ... ثم عن
هذا الحيوان زوجها ، ذى الشاربين التليظين
للتصبين كشارب القط ، وذى الرقبة المتفتحة كأنها
رقبة المعجل ... !

وجلسوا هنيهة يتحدثون ... وبدأت لولي
تقرأ سطور مأساة مكتومة في عيني صديقتها إدريانا
تلوح مناظر منها فوق السرح الشاحب الحزين الذى
توج ستوده فوق جبينها الشاكي ، وفي ثنايا شعرها
اللبطر الجليل ... وجاء الشاى فتشقق الحديث حول
أكوابه ، وكانت تبرات الأسمى تزن في فم إدريانا ،
فما كلودا يفرغون من شابههم حتى نهضت لولي ،
ونفضت في إثرها صديقتها ، وانطلقتا إلى غرفة
بسيطة في الجناح الآخر من القصر ليتحدتا وحدهما
وليتحدث زوجاهما فيما يليق بهما ...

— إدريانا ... أأنت سيدة ؟ أعذرني في أن
أسألك عن وجوم كانت تمشي في أذنيه ككائنات ...
— والله يا اختاه ... لا ... ولكن ... هذا
لا يهم ...
— لا يهم ؟ وكيف ؟

قلها وعقلها وعبادتها ... » وكانت لولي لهذا السبب
تصبو إلى أن تشهد بينهما إلى أى حد حققت الأليم
أحلام صديقتها ... فاعتبرت ذلك أن تدعوها لتقضى
ألياً في قصرها في نفس الوقت الذى يحمل فيه الهرابا
ضيقاً عليها ، فعُي بذلك تشدها كيف ينزل في دارها
الملوك والأفيال إخواناً وأخذاناً ، ثم ترى ما ذا كان
من هذه الشخصية الساحرة التي كانت في صباها
تجذب جميع الرفاق وتبسم عليهم وتخضعهم لأرائها .
وكان أكثر ما تصبو إليه لولي هو أن تشهد هذا
الزوج المسكرى ، ترى إن كان هو الرجل الذى
يستحق أن تمنحه المرأة قلبها وعقلها وعبادتها !

وبينا كانت لولي تنشق الأزهار في الغرف ،
وتأمر الخدم بتغيير بعض ما نظموه ؟ وبينما كانت
تعى كل العناية بجناح الهرابا الذى حرصت أن
يكون بعيداً عن الجناح الذى هيأه لصيفها الآخر ،
إذا بأدريانا وزوجها يدقان الباب ويفتحان الباب ،
ويسلمان حقائبهما من الحمالين ...

— مرحباً مرحباً إدريانا ...
— مرحباً لولي العززة ، كيف أنت يا لورا .. ؟
— أه ! لورا ... إن أحداً لم يمد يداً بيدي
بهذا الاسم الحبيب !

— زوجي ... لومارشان ...
— مرحباً كاتين ...
— مرحباً بك يا صديقة زوجتي ... كم كنت
أثوق أنا وإدريانا لقلبك !

— أما سيدة بكما ... سيدة ... سيدة
جداً ... أه ! إدريانا ... عمر بأ كله منذ افترقا ...
ها أنت ذى ما تزالين جميلة ... عيناك ! أه ! عيناك

تصف شمرها وتكومتها ، وكان السحر كله ينشر
ألتازه من فيها ، فقالت لوالى :

— لله كم أنت جميلة يا إدرانا ! مهما تاسيت
فلك دائماً سحر كوروعة لفتاتك !

— حسى هذا من دنياك الخبيثة يا لوالى !
حسى ألا أصبحت قبيحة شائبة فأفقد مع شبابي
شمورى بكرامتى ... ولكنك يا أختاه تذكري
جالى دائماً ، ولا تذكرين أنك كنت زهرتنا جميعاً
فى صباحك ! أنا ؟ أنا جميلة ؟ !

— لا ... لم أرد أن أقول هذا ، ولكنك كما
كنت دائماً ... أنت المخلوق الفانى الذى لا يمكن
وصفه ، ولا تزالين إلى اليوم هذا المخلوق نفسه !
لقد اذنت أنطونيو بكيويارة ، وكيويارة هى مخلوق
فانى مثلك ، وفى الدنيا اليوم حسان فواتن مثلاً ،
يبدأنى لا أحسب أن فيها من هو مثل أنطونيو ..
إنك لنز يا إدرانا ... وليس أحق من الرجال فى
استكناه ألتاز الجمال !

فتبسمت إدرانا ابتسامة موحجة وقالت : « أنا ؟
أنا لنز يا لورا ؟ أبداً ... بل أنا امرأة كبيرة القلب
مبهضة الجناح ، فقدت أحسن أمانتها وأعز مثلاً ،
وتحاول ما وسما أنت تكلم فى أعماقها خبتها
وأحزانها وسر بلواها ... فأذا باحت به لك ، فعلى
واقعة أنها تنقل سرها من قلبها ... إلى ... قلبها ...
أى قلبك . ولقد شكوت إليك بئى ، وما يزال
رجاء إليك ... فلقد ذكرت لك أن زوجي ليس له
ما زولحك من وقار واحترام ... إنه ... رجل ...
لا يملك حله إذا شرب ، بل إنه ليفقد توازنه ،
فيبدو حيواناً خبيثاً ، فهل تدبني ألا تشجيه على
كؤوسه يا لوالى ! إنني يؤلى أن أفصح فى الآلى

— إى والله ... وله ؟ هل وجد الناس فى
هذه الدنيا ليسعدوا ؟ أبداً ! لقد كانت أسلاماً
وسرعان ما ذوت ؛ وكانت سنى وسرعان ما سقطت
كأوراق الخريف ! هذه هى الحياة دائماً إذا ابتسمت
وتبرجت فى الريح ، فلا بد أن تتجرد من غرورها
فى الشتاء ... وتلك هى مأساة الكل يا أختاه ...
ومع هذا فأنا لا أشكو من أوضاعها شيئاً ...
— ولكن زواجك كان ثمرة شبيهة من ثمار
الحب يا إدرانا !

— حقاً ... لقد كان ... ولكنى كنت أرجو
أن يكون حباً طويلاً سرمدياً كب القديسين لله !
وأأسفاه على الأحلام القديشة التى كانت ثمرة خيال
الشباب المريض ، وقصص الحب الواسع ... وأنت
يا لوالى ما خطبك ؟ ألم يكن زواجك ثمرة من ثماره
الرة ؟

— أنا ؟ كلا أيتها الحبيبة ! لقد تزوجت لأنه
كان يجب أن أتزوج . لقد طال عُنوسى ، وكنت
أتمنى زوجاً رزيناً محترماً ، فلما وجدته وضمت غالى
فى عنقه !

— آه أيتها العزيزة ... أنت سميذة إذن !
أما أنا ... فلم أسعد بمثل هذا الرجل !
— أسفة كثير يا أختاه !

— لا عليك ... لا يهم ... لا تأسى ! أنت
تلمين يا لوالى كم كانت أحلى خُلباً كواذب ...
لا ضرر ، لقد دفنتها جميعاً ، وإنى لأفصح بغيرها أحياناً
أندبها وأبكىها . ولقد عرفت الحياة الآن . ولقد
عولت على أن أحيائها كما عرفت مجردة عن بهارجها
بيدة من سراجها الذى يخفى حقيقتها عن الماين !
وكانت تتكلم وقد جلست أمام المرأة الكبيرة

المجاور ، وهو رجل مثقف يجيد الإنجليزية ،
وبليس ... آه يا إدريانا ... بليس كنزاً من الجواهر
واللائي ... أرجو أن تسمى بقائه كثيراً ،
وأرجو أن يترك لقاء حاشيته العظيمة ..

انطلقت ثانية ، فقلت لومارشان يسر بين يدي
زوجها إلى غرفته ليبدل ملابسه ، فهتفت بكود
تقول : « كود ... أرجو أن تأتي إلى غرفتي بعد
أن ترى السائقين غرفته ، فإنني حديثاً منك »

وعاد كود ليلقي زوجته ، فوجدتها تنتظره ثمة
لتقول له : « كود ! لقد ما يجزني أن أخبرك أن
ضيفنا لومارشان رجل عريض ! إنه يشرب حتى
يضيع صوابه ! » فيقول كود في ربكة ونخجل :
« لقد بدلي أنه سكير كبير ! » ثم ينظر في الأرض ،
فتقول له لولي : « كم أنت غفوة بك يا كود ! كم أنا
غفوة بك ! أبداً لم أرك تضع كأساً في فكك »
فتصطحب وجنات كود بحمرة الخجل الساخن ،
فتقول له لولي : « إذن عليك ألا تمشي من كأس
يحتسيها ! وإلا ... » وذعر كود ، وخاف أن يكون
ثمة نذير بعد (إلا) هذه ، ووصلت لولي حديثاً ،
فقال : « وإلا فانظر ماذا يكون من شأنه إذا
غاب عن صوابه وأحدث شحشاء بينه وبين إدريانا
في حضرة الهراجا ؟ ! » ... واطمان الكولونل ،
ووعدها ألا تصل يده إلى قطرة واحدة من الخمر .
وكافأته بأن وضعت له زهرة جميلة في عروته ،
فشكرها مستحيًا

وعجب الولدان المخلدون وم يهثوثون الخوان
لم أكرت سيدتهن بالايضوا قواير الجروا كوابها ،
وكانوا يضمنون منها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ...
(٢)

فتكون ملهات لنيري ... فهل أنت قاعة ؟ ...
— أوه إدريانا ! سأكل كود في هذا ، إن لم
يجزنيك أن أفضل ... ولكنك تتركين نفسك فريسة
لعموم مع ما في ذلك من الخوف عليك يا أختاه .
فهل تدفيني أن تسمى أشجانك الآن ...

— أجل ... أعليك ... وسأكرم السر الهائل
الذي يعزق قلبي ... سأكتمه ...

— وأى سر هائل يا إدريانا ...
— أجل ... لقد رزقت غلاماً منذ عامين
— بالله ! وهل في ذلك ما يجزني يا أختاه ؟
— وكيف ، لقد مات منذ ثلاثة أشهر !
— مسكينة ! هذا محزن حقاً ...

— لا ... إنه لم يجزني أن مات طفلي ، رغم
عينيه اللتين ماتفتان شحمان الحب في قلبي من أغوار
ظلمات القبر ... لقد فرحت لموته ، لأنني خفت أن
ينشأ نساءً أياه ! ...

— إدريانا ... حببك إذن ... إنك تحرقين
بقية نفسك يا حبيبتي ... لقد قدمت إلى لترفعي
عنك بعض هذه الأحزان ، فأبتسمي للحياة وأنسى
بلواك ... أشرفي أيتها العزيزة وسكّمي فيا مضى
لن هو أرحم بي وبك ولئلا تناس ... ويسرق أن
أذكر لك أن ضيفاً عزيزاً سيشتي منزلنا الليلة
وسيتناول العشاء معك ، فهل تأذنين لي أن أذهب
فأصاح من شأني يا إدريانا ؟

— تقضي ... تقضي يا لورا ... وأرجو
ألا تنسائي علي

وانطلقت لولي ... لكنها عادت في مثل الممح
لتقول : « أوه ! لقد نسيت أن أذكر لك أن ضيفنا
العزيز هو أحد أصحاب السمو ... هو مهرابا الإقليم

والتمور والبقية ... لقد كان يكتم حبه ويقامى منه
مالا قدرة لجبل على حمله ، وكان يعلم أن النجوم
التي لا يراها بالعين المجردة هي أقرب من إدريانا
المتروجة على قربها الشديد منه ... ولكن حبه
كان ينجلي في قلبه ، فيغور دمه الشرق ، ولا يجد
محصناً من أن يردد تحت تلوج القنوط التي كانت
تصعقه ... لأنه محال أن يجزى عن حبه بشيء
سهما كان حبه عظيماً طاهراً ...

لقد سقطت أزاهير كانت تحملها إدريانا مرة ،
فأسرع للمهراب العظيم بكل ما عليه من لآلئ وحلى
فانجلى عليها ، وحملها للملكة ... ملكة قلبه ...
مع ما في هذا من وشك اقتضاه ... يد أنه لم
يغال ، بل تنمى لو استطاع فتمز الأزاهير بالقبل
وهو يقدمها لسالة له ...

وحلّت موعد الأوبة ... واطمعت الفترة
السعيدة ... وتصرفت ليالي الأحلام ... وكان
غداً فآخر غداً الدواعي المولم الذي أعدته لولاي
لأضيافها ... ولم يكن للمهراب قد برح غرضه بيد ،
وكان بابها مفتوحاً قليلاً ، فشدها تنزل على الممرج
وحدها ، تفتق قلبه في شدة وعنف ، وجعل يحلم
— وهو واقف يترنح وينفض — بهذا الملك اللذان
والجمال المجيب ، وهذا الشمر القهبي الذي أرسلته
إدريانا يندوّن فوق كتفها ، وهذا النجم الساحر
القرمزي الذي خلق للقبل والحب ، وهذا الجسم
الفيضان الذي خلق لجنة كاملة من الهوى ، وهذا
الصدر المالح الذي خلق للضم والمناق ... ثم
أوشك المهراب المسكين أن يهبط وراء مبهوده ،
لولا أن اغرورقت عيناه فجأة ... فارتد مسرعاً
ليكتشف عبراته ، وانحط على أريكته قربة وجعل

ولكنهم كانوا يقيمون في مدينة قاسية من هذا
القصر النيف ، فلم يد الصب في وجوههم وهم
يحيثون ويروحون حاملين صنوف الآكال وأكواب
الماء الزلال ... ؛ ولم يكونوا ينظرون إلى المهراب
المظيم بقدر ما يندمون النظر في هذه الملكة الإغريقية
الساحرة : إدريانا ، وهي جالسة وسط الجماعة ماتتس
إلا قليلاً ، وقد عصمت شعرها الجميل فوق رأسها
كأنها أفروديت !! وفي الحق ... لقد كانت إدريانا
فتنة المجلس ... ولم تشع عيون المهراب والحاشية
من النظر إليها بقدر ما شبت بطونهم من الآكال
الفائرة الحبيبة ... وكانت عينها الواسعان
السحريتان موضع فتنة القوم ولا سيما الشباب ذوي
الأمان والأطباع ...

ومضت أيام ، ولوراشان محافظ على وقاره الذي
دُر به أحسن تدبير وأبدعه ، حتى أحست إدريانا
أن جانباً من مأساتها يتجلبب عن قلبها ، وبدأت
تشم بطرف من السعادة التي اقتدستها طويلاً فلم
تظفر بها ... وسرها أن زوجها استماض عن نشوة
الكأس بجميعا الرضاة ، وكان رياضياً بارعاً ، فكان
يستقيظ في البكور فيركب جواده ، ثم يمضي إلى
الملك فيباري المهراب في لعبة الأكر ...

ولم يكن يعلم أحد بالثار التي تأججت في قلب
المهراب ، والتي أودت لمهيبها عينا إدريانا ... لقد
ظلت هذه النار المقدسة سراً هائلاً يؤرق للمهراب
الماشي ، ولا يستطيع أن يروح به لأحد إلا للسينين
الجدينتين اللتين كانتا تنتظران إليه في تيه وعجب ،
وهو يقص غرائب أخباره عن أساطير الهند ،
ومشاهداته العجيبة خلال تلسكوبه في أديم السماء
وما وقع له في الأدغال من ملاحم بينه وبين الفهود

الضابط ... ولا يزال المهراجا أن ينطلق وراءها ليكتشف السر، ولا يزال أيضاً أن تعد إليه الأبصار من كل صوب لتري ما ذا يريد ... وتدخل إدريانا غرفة الطعام مع الضابط الصغير فتري زوجها عاكساً نشوان ... وقد شرب قارورة بأكلمها من الخمر التي تسكر كأس منها أضخم فيل من فيلة الهند، وأوشك أن يأتي على زجاجة أخرى ... وتجد زوجها المسكين قد أتى ذراعيه ورأسه على الخوان، وأخذ في شخير منكر ...

وتدخل إدريانا ... وتشير إلى الضابط فيتقدم إلى زوجها فيحتله، بينما زوجته تقول :

— رتشارد ! أتمام هنا ؟ هذا لا يليق ! ما ذا تقول لولي وماذا يقول زوجها وماذا يقول الضيوف ؟ قم ! استيقظ ... إصمد فم في غرفتك لتسرع ... ويقول الضابط الصغير : « هلم يا كابتن ... إصبع ... هذا لا يبنى ! ... »

ويصحو الكابتن المثل ... ولكنه بدلا من أن يصمد لينام ... يقف كالشيطان ويلكم زوجته التاعسة بقبضته القوية الجبارة لكفة ... تلقبها على الأرض ... منشأ عليها ...

وهنا ينثلي الهم في رأس المهراجا، وينقض كالصاعقة على الزوج الهميم، فيقذف به على الأرض وينشب في عنقه أطفاره، ويوشك أن يزهق روحه ويخمد أنفاسه ... ويجري الضابط، وقبل مع كلود، كلود القمية ... الذي ينقض بدوره على المهراجا فيحتله بين ذراعيه، وينفذ الرجل منه، ويقول : « ما ذا ؟ ألا ترى إليه تملا بإصباح السمو ؟ كيف تقاقل رجلا لا يملك أن يدافع عن نفسه ؟ إنك لست حيوانا ولا سفاحا ! ... » ثم أمر الضابط أن

يتعم ويقول : « وأأسفاه ! الجنس ! الدين ! القانون ! كل أولئك فواصل تحول بين الرجل والمرأة أشد مما يحول بينهما الله ... وأمنا الطبيعة ... » وطلق يكي كالطفل ... ولا يده في شيء ...

وأب المهراجا إلى ملكة ... وجلس القوم إلى غداهم مرة، وبرزت بنت الشيطان على الخوان من جديد إذ لم يدع إلى تحرعها بعد إذ ذهب المهراجا. وجلس كلود بجانب لومارشان يردعه ويكبجه، ولا يسمح له أن يضع حمله ويذهب وقاره بين الكأس والطاس ... ثم نهض النسوة، وذهبن إلى الصلاة الكبرى، ليأخذن في رقصة جميلة اقترحتها إحداهن ... ولم يمض وقت طويل حتى سمن ضجة دخل على أثرها المهراجا التبول بكل جواهره ولآلئه تحف به حاشيته العظيمة الجبية ... وكان بعض خدمه يحمل عرشه مصنوع من الذهب الخالص، فوضوه لسموه في ركن من أركان البهو، حيث استوى عليه، وراح يتفرس في الراقصات، حتى إذا رأى إدريانا سمرت عيناه في طيفها الأثيري، ولم تربا عنها ... ثم أقبل الرجال فحيوا المهراجا وحيام ولم يكن غريبا أن يرتبك كلود ... ويسقط في يديه ونهض المهراجا من عرشه، ولم يزال أن يقترب من الراقصات ليملا قلبه وعينه من ملاكة الحبيب، وطعم أن تمه مصادة بطرف ثوبها، أو بالوردة الكبيرة الحمراء التي ترين صدرها ... أو أن تأتي عليه ظلال شعرها الذهبي، أو أن ترمقه بنظرة من عينها السحريتين ... وما كاد يفعل حتى رأى ضابطا مسنيرا يدين من أدريانا، ويسر إليها بكلمات فيمتنع لمن وجهها، وتنادد الرقص من فورها مع

ينزل به القضاء ما يستأهله ... الرغد !
 — بل أنت الذى يُنزل بك القضاء ما تستأهله
 إن أبيت ! على أنه يدولى أنك تخشى أن تقاه ...
 وإن أقسم لك ربى أنى لن أسع لبريطانى أن يبدو
 أمام المهنود حياتاً كما تريد أن تفعل
 وبرق الكولونل عينيه ، وراح يقتل 'سبائى'
 شارب ، وفي صدره ثورة من النبط جامعة ... فقال
 الكابتن :

— حسن ... أين هو هذا المهرابا ؟
 — هو فى الجناح الخاص به ... وحده ...
 ولا بأس إذن من أن أخبرك أنه يريد أن يستدرلك
 فاسمها الكابتن حتى تضحك ويدت تواجذه ،
 ونهض من فورده للقاء المهرابا ... ونظر إليه
 الكولونل نظر التمييز المسهرى ، وجمجم فى سره
 يقول : « يا وقع ! مسكينة تلك الطفلة البائسة
 إدريانا ! مسكينة فى مُثلها العليا التى تخضت عن
 هذا الفسل ! ... تعالى يا لورا فاشهدى الفئوج
 المصيب الذى كنت تشرئين إليه ، وتتخذينه صنما
 لأحلامك ! هللى لتحمدي الله على ما وهبك ! » .
 وفى الحق لقد كانت فرصة عظيمة للكولونل الذى
 كان يستكين لزوجته ، رغم ما كان يشعر به من
 الاستخذاء فى مصميه بسبب ذلك ، أن يفكر فى عجب
 لوالى وكبرياتها ... وهما هو ذا قد جلس يتسم لهذه
 الفكرة ، وينظر إليها تتأرجح سطل الدخان الذى
 يساعد من لفاعته ، ويتغنى من أفقه وشفتيه كما
 يتغنى البخار من محبس القطار !

واستأذن الخادم سيده المهرابا للكابتن فأذن
 له ، وكان هذا يجلس على كرسي كبير ، ويطل من
 نافذة مكشوفة على الحديقة البائسة . فلما أحس

يستدعى زوجته لوالى ... ونظر بعد ذلك إلى المهرابا
 بكل ما فى عينيه من تبل عسكرى ، وأنشأ يقول :
 « إنك ضيقى يا صاحب السمو ، فاغفرلى ما صنعت
 يدأى ممك ... يدأنى عجيت كيف تشارك علماً ! »
 فقال المهرابا وعينه تنقدان غضباً : « لقد قتل
 الحيوان زوجته ! » فقال كلود : « عفواً يا صاحب
 السمو ! إنك أحد رعايا الإمبراطورية ، وليس هذا
 من شأنك ! وليس لك أن تحمى إنجليزية ولا سبأ
 من يد زوجها ... معذرة ... إنك لا شك تعرف
 كل ذلك تمام المعرفة ... ووجع المهرابا قليلا ،
 لكنه انحنى انحناء خفيفة ، ثم غادر الباب وعاصفة
 من الألم ترزع قلبه وتشتل فى عينيه ... ثم أقبلت
 لوالى فأبحثت على صدقيها ورفضها من فوق الأرض
 ولم يمك المهرابا أن ينظر خلال الباب ليرى إلى
 وجه مبهودة الأصفر المنمق ، ووردها الهابطة النثرة
 وحملت إدريانا إلى غرفتها وهى لا تكاد ترى ،
 فباتت ليلة ليلاء طويلة الآلام موصولة الأحزان ،
 ثم أصبحت وبها من الملة ما يوشك أن يقضى عليها
 وانطلق كلود إلى حجرة لومارشان فأيقظه ،
 وقال له وهو عابس ثائر :

— كابتن لومارشان ! زوجتك تشكو من
 علة شديدة ! ... لقد سلكت أمس سلوكاً شائئاً
 لا يليق بمجندي بريطانى ... إحد الله أنك لست فى
 فرقى يا لمار ! إنجليزية يضرب زوجته ! وأمام
 مهرابا ؟ فإذا يظن الرجل بمدينتنا ؟ لقد كاد يقتلك
 لولا أن أنقذتك من قبضتيه ! على أنك تعلم أنه
 ضيقنا وهو ذاهب اليوم ، وقد كفى فى أمرك ،
 وهو يريد أن يراك قبل أن يرحل ! »
 — لا ... لا شأن لى به ... ولن ألقاه حتى

لومارشان ! ها نحن هنا ندان فريدان ، فهل لديك الشجاعة الكافية التي تلقاى بها تكلم شريف بوجه لوطم رأسك ، وزلزل كيانك ، ليتقم لهذه المخوفة الضعيفة الحسنة ، التي لطعها في موضع العزة ، ومكان الكرامة الإنسانية ، فاضطرت فوق الأرض تلوى وتئن وتوجع ، ليلة أمس ؟ ... مالك تتفض هكذا ؟ ... آه ... إنها زوجتك ! وأنت إنجليزي ، وهي إنجليزية ، ولا حق للمندى مثل في التدخل بينكما ، بـكـة حماية زوجتك منك ! وهذا هو قانونكم ! » ثم أرسل الراجا أمعة عميقة هائلة ، مازالت تصف بالكابتن الواجم حتى عرف أنها انطلاقة الحب ... ولكن الكابتن لم يُعـر جواباً مع ذاك ، بل ظل بارداً كالثلج ، جامداً كالحديد ، وانطلقت ألف فكرة تهجس في قلب المهرجا ، فهب من كرسية الماي ، وطلق بقتض وبقول : « آواه ! آواه ! أيها الإنجليزي المتجرف الصلـف لو استطعت أن اشتري منك زوجتك الجميلة الرائنة لأصونها عن الهيمية التأسلة فيك ! إذن لزلت لك عن نصف أملاكى وجواهرى ... إننى لو استطعت أن أضنها إلى ، وأخنها في قصورى ، بدافع الرحمة والإنسانية ، للآثم الدنيا صراخاً وعويلا ، وجعلهم تنموتنا وتشتموتنا ، وتقولون كدأبكم ... المهنود وحوش ... المهنود غير قابلين للتمدن ، يجب أن يظل الإنجليزي إلى الأبد سادة الهند ... ! وأسفاه ! إننا شعب مغلوب على أمره ، وأنتم أيها الإنجليزي تحقرونا ... ولكننا نستحق ، فقد ألهتنا صفاتنا عنكم ، ورسفنا فيود اللغة التي وضمتوها في أرجنا خلاخيل من ذهب أجيالاً بعد أجيال ، ودفعنا حكمتنا بأيدينا فألهيتومنا بيت البدع والضلالات ،

بالإنجليزي خلقه أوما برأسه إمامة هينة ، ولم يقف ليجيبه ... فارتبك لومارشان ولم يدري ماذا يفعل ، ثم بحث عن كرسي ليجلس عليه فلم يجد ، فزاد ارتباكاً وتضاعفت حيرته ... وكان فوق منضدة الوسط طاس به أزهار ناضرة تملأ هواء الترفة بسبقها العطرى ، فأنمى الجندى فوقها يتشممها ، ويدفن فيها حياته . وفي كل خطفة عين يتجه ييسره نحو المهرجا ... الذي تركه هكذا دقيقتين أو نحوهما ، ثم التفت إليه فجأة مستديراً فوق كرسية وقال :

أيها الكابتن لومارشان : أقدم إليك اعتذارى عما فرط منى من مهاجتك أوس إذ أنت في غير وعيك ... وذلك لأننا نحن المهنود ، لا سيا من هم في طبقى لم نفتد شرب الخمر ، لذلك لا نعلم من عقاليلها في ألبابكم شيئاً ... وقد فطنت إلى غلطى بعد أن عرفت ذلك ، ولهذا فقط أعتذر »

وهنا ، بلغ الكابتن ريقه ، ورد إليه قليل من ذهنه المُشرد ؛ ثم وصل المهرجا كلامه في نفس العجة التي ابتدأ ، ونفس الأسلوب : « إيه يا كابتن ؟ هل تطلب ترضية أخرى ؟ وهل بحسبك ما اعتذرت به لك ؟ » وكأنما فاء الإنجليزي إلى خيلائه فتذكر أن عمده المندى ، وإن يكن راجا عظيماً ، إن هو إلا أحد العبيد الذين لا يصح أن يُساموا الشرف الإنجليزي مثلاً في أحقر جنودهم ؛ فأخذ يقتل مُصـبـالـى شاربه ، ثم قال بأفـ شامخ ، وخذ مُصـمـر : « أجل ، قبلت اعتذارك ! » وطارت البوسه الهائلة التي كانت تُرتق فوق جبين الراجا اللقطب ، ولع في عينيه برق خاطف ، وهتف بالإنجليزي المتجرف بقول : « والآن يا كابتن

وكان للهراجا يتكلم في ملاقة ويتدفق في بيان ساحر ممتلئ بحماسة الإحسانية والمحبة . ولما انتهى من حديثه بسط يده إلى الكابتن ليقامعه ، ولكن الكابتن صر خدعه ، وشفخ بأفقه ، وضم ذراعيه إلى صدره في أفهة وكبرياء وقال :

« ألا ما أجل ما تطلب أيها الهندي ! من أنت حتى تطلب ذلك إلى ؟ »

فصرخ للهراجا صرخة مدوية ثم قال : « إنك مسيحي ! وطالبا ذكروا لي أن المسيحية هي دين الإخلاص الصحيح وملة المحبة والسلام والنقاء ... على أن لنا نحن الهنود ملة أخرى غير المسيحية ، وفي ملتنا أن من عاهد على شيء وحلف عليه ، فليس إلا أن تبرز بينه ، فلا يتحل منها ، أو يرد موارد الهلاك ! أظنك في ملتكم شيء من هذا ؟ »

وتبسم الكابتن ابتسامة سخماء جاهلة ، ثم ففض تراباً من كتفيه ، وقال : « لا ... » وما كاد يقولها حتى امتشق للهراجا خنجرًا هائلاً من حزامه وشهره بشدة وحقق ، ورفع يده ليضربه في صدر الكافر الذي أراد أن ينكر فضيلة المسيحية غطرسة وعناداً ... ولكن ... لقد فر الجبان أروشق ما تفر النعمة من مطاردتها في الصحراء ... وأغلق الباب دونه ... فاقبض للهراجا وأغمد الخنجر ، وقال وهو يجلس على كرسيه في صوت متهدج : « إذهب أيها اللعين ! »

وبعد ساعتين كان الهراجا يستأذن مضيفيه الكريمين لولاه وزوجها في الانصراف ، وقد ودع بما يليق به من حفاوة وتبجيل ، وازدحم الجميع حوله يُحيون ويُسَبِّحون ... إلا ... إديانا ... التي بلتها أن الهراجا يوشك أن يرسل ، فهضمت من

وتفشي الشموذات والخرافات ، وقلم لإنها دين الشعب ، ومذهب الثالية ، فأنتم لها حاة وعنها ذادة ، وبذا ضمنت الهند ، فأنتم تحكمونها بضعفها ... ومن يدري ؟ فقد تستيقظ الهند يوماً فتسجيتكم^(١) وتقطع ديار الدين ظلوها منكم ... ولست مع ذلك أمتقص من دولتكم ، فأمتمكم أعظم الأمم ، وأجملنا سيدة العالم .. ولكن مثلك هومن غير شك عار عليها ، ولطخة دنس في مجدها ... ولم ذاك ؟ إنك وأمثالك تشترون البقايا الهندية لتضفوا منهن أوطاراً ثيمة ، وتسون نساءكم ، وتطرعون زوجاتكم ... وليس بحسبك هذا ، بل تقضونهن بين الناس ، وبين الهنود ، كما فلت باصرا تكم أس ... ولكن مالي ولهذا كله ؟ وفيه بشرة الكلات مع دنس مثلك ؟ لقد اعتذرت لك يا لومارشان ، وانتهى ما بيننا ، فهل تمدني قبل أن نفرق إلى الأبد ألا تهين زوجك على الصورة التي رأيت منك أمس ! إنها جملة أيها الرجل ، وهي بتدليك لها أولى ، وبمحبتك واحترامك أجدر ، فلم تاملها تلك الماملة التي تجعلها تأسف أشد الأسف على أن تزوجتك ؟ الحق أنه لا شأن لي في كل ذلك ... ولكن ... إنس ما بيننا الآن من فروق ... إنس أنني هندي لا شأن لي ، وأنتك إجمليزي لك شأن أي شأن ... إنس الجنس ، إنس الديانة ، إنس النشرة والمصيبة ... إنس كل أولئك يا لومارشان ... واذكر أننا من صنع إله واحد سرمدى أحسن كل شيء خلقه ... إذ كر هذا فقط حين أطلب منك أن تمدني وعد حرجير يشرف الجنود ، أنك لن تعود إلى مثلها ! ! »

هذا الكون الهادئ، وإلى جانبه تسكوه الكبير الضخم، وقد انبطح تحته يقب عينيه في الموائم والدفئ الثنائية التي لا تنتهي ... ولا يزعجه أى شئ حوله ... فقد سكن كل شئ، وأطمان كل شئ: وليس شئ يلفت النظر إلا هذه العمارة الكبيرة التي جعلت ماسحتها الثمينة تمكس أضواء القمر والنجوم، وإلا هذه القيققة الحمراء كالدم تتألق في غامقه ... وهكذا جلس المهرابا يفكر في أسى ما يفكر فيه البشر ... في الحب ... ولكن في أسلوب ليس كهذا الأسلوب الذى يفكر به الناس ... ثم جعل يتمم فجأة ويقول:

— يبنى ألا أخنى هذا الشئ العظيم عن نفسى! حقاً إنه ذنب كبير، وقيصة أى قيصمة، ولكنه مع ذلك شرف وجلال ومجد؛ إنه ذنب ووزر أن أحب حسناء كان لا يبنى أن يلقى بها قلبى هكذا وعلى هذه الصورة. لقد مرجها يدي وروحي، وجعلتها القديس الذى يخفق بالحياة بين جنبي؛ يد أنه شرف ومجد وجلال أن أموت بهذا الحب، فأحبها إلى الأبد، وسيقتل الموت كل ما فى ولوى بها من دنس ... لقد فطن زوجها إلى ما بيننا وربما أخذها به. ولقد لمت هذا في جبينه القطب واستوحشته في عينيه النيتقتين. فإذا فعل فستحزن إدرينا، وسأكون أنا الذى تسببت لها في هذا النثم الذى يشبه القضيعة؛ فكيف أحتمل الحياة مع هذا؟ وأنا إذا عشت فسيظل غرامي بها محتطاً بدي، ورغبتى فيها ناشبة أظفارها في قلبي، وهواها سارياً فى أنفاسي. وسيكون في ذلك كله إيلاها، وتوجعها؛ أما إذا مت فلموف تستعظم حبي؟ وقد تبكي مرة من أجلي، فتكون دموعها ملائكة رحمة لي، تقف

سريها ضميعة مؤهومة، وأغلقت باب غرفتها، ثم قصدت إلى نافذة تطل على الخارج من القصر وحديقته الفيحاء، فتفتحت أحد مصاريعها، ثم وقفت تنتظر، حتى إذا مر المهرابا، اغرورت عينها فجأة ... وخفق قلبها بشدة، حيناً اتجه بكل وجهه وعينه وروحه ناحية نافذتها. فلما رآها، ولح الدمع ينهمر على خديها الشاححين، زلزل قلبه وارتجفت أعصابه، وعرف السر الرائع الذى ... وانتقلت من عينيها إلى فؤاده أولى رسائل حبها ... أو ... شكرها ... أو إعجابها!

ولكن ماذا يبدى المهرابا أنها أعجبت به ... أو أنها أحبته؟ لقد فسر هو القضية، وساق كل كل براهينها؛ فهو هندي، وهى إنجليزية ... وهو برهمي، وهى مسيحية ... وهو غريب، وهى متزوجة ... وهو عبد رغم اللآلئ الثمينة التي تزين صدره، وتقتل كاهله ... وهى حرة لأنها من نساء الإمبراطورية ... فأى مطعم له فيها؟ لا شئ!!

ما كان أبعد البدر الهندي في هذه الليلة؛ وما كان أعمق الهواء البرهمي يشد النوار الجليل الممتد فوق سطح قصر المهرابا؛ وما كان أشبه هذا السطح الجليل بمعداني بابل الملققة؛ وما كان أشبه القمر السافر الساخر بقنديل الزيت ملقاً في المار وسط قبة السماء، وهو يترنح في الأخير كالسائح الكسول الذى أعياء السير عبر الصحراء؛ لقد كان يغمض أحياناً، ثم يصحو، ثم يغمض كأنه الحبيب الذى يُفتر عينيه وما فيها من ناس؛ لقد كان المهرابا الماشق يجلس وحده تحت

لم تكن إدريانا تحسب أن المهرابا سيشرّب
 السم من الخاتم العتيق الكبير ، بل كانت تحسبه
 يصلي صلاة هندية ، فلم تجرؤ أن تقترب منه ...
 وكانت قد انصرفت في ظلام الليل بعد أن
 عرفت ما به ، وعلت طريق قصره وسط الريف
 الهندي من سديقتها لولاي ... فلم تقال بشيء ، ولم
 تأبه لشيء ... بل رحلت إليه ... ربما على فيل كبير
 أبيض ... لتشكره ... ولتثنى عليه ... ومن
 يدري ؟! ربما كان في تصميمها أن تمنحه قبلة ...
 وشرب الرابا السم ... وصمت إلى الأبد !
 وقدمت إدريانا لتشكره ... فوجده قد أسلم
 الروح ...

وكانت قد سمحت كل ما قلّه عن الحب ، وعن
 الموت ، وعن الساء ، جلست بجانبه تبكي ... وتذرف
 فيه دموعها ... لأنها وأسفاه ! وجلت فيه
 مثلها التقديم الأمل

— لا تنهي ياسيدي ... الوصية ... لقد
 أشهدني على الوصية !
 — أية وصية يا هنا ؟
 — لقد أوصى لك بهذا القصر إذا فكر
 زوجك في أن يهجره . وأوصى لك بضائع
 ولأشياء ...

وهجرها لومارشان ... وعلت في قصر
 المهرابا ... ولكن ... كالراهبة ... وكانت لولاي
 تختلف إليها ، ومهما زوجها (السمية) كلود أنسللي
 دسني مشبه

في الهواء لترفرف حول رمادي ! وفضلاً عن ذلك
 فالحياة الحب ، وهي بدون موت بيض ، وإذا حيث
 فلا بد أن أذكرها دائماً ... أذكر ماسي الكبرى ..
 زنبقى المريزة البيضاء ! وسأذكرها دائماً في ملكية
 زوجها النظام الذي لا يستحقها ... وسيكون في كل
 ذلك آثام وأوزار لي ... فل لا أخلص من هذا ،
 وأفكر فيها في مكان آخر أكثر طهارة وأشرف
 هناك ... ؟ إن الحب لفر عيني مضل لا يستطيع
 تفسيره إلا الله ! ولكني أفسره أنا الآخر على قدر
 استطاعتي ... على أنه إذا أحب أحد من الناس
 وأخلص في الحب فيجب خلعاً إلى الأبد ...
 حتى بعد الموت ! وليس يخضع الحب لقانون أو
 عرف أو دين ! بل ليس يغيره شيء من هذا ؛ ولا
 يخفف سورة شيء من هذا .. بل .. ولئن بطئ ناره
 المتأججة هنا .. إلا الحبيب ، أو .. الموت ! وبعد الموت
 ماذا عساي أجد ؟! أجدني إما مع أشجائي وآلاني
 أو ... مع الله ! قال هذا ، وكان يحسح يديه
 المرتجفة على موضع القلب من صدره ! ورفع وجهه
 وراح يقلب عينيه في القمر الساحر والنجوم المتألفة
 ثم قال : « أوه ! أيها الله الذي لم تُكشف ،
 وأيتها العوالم التي رَجِمَ الناس بشأنها ! ما أملك
 بالحياة ! وما أكثر ما وراء الستار الكثيف الذي
 يحجب أسرارك عنا ! إنه لا يعرفك إلا الأرواح
 المائعة الطليقة التي تسبح فيك بعد الموت ، والتي
 تجد فيك الحب الصحيح والسلام الدائم !

يا ربّي ! يا إله الجميع ! أستودع الحياة بين يديك
 وفي أعماق الوجود ، لأسمد إليك ... ولأفك ! »

وأطلعتي سماؤهما المظلمة، أحسنت بالورشة، ودب في نفسي الحنين إلى الوطن، قرأت نفسي أضع وأدفع وأزاحم وأسامد، بين وجوه غريبة وأرواح ظلماء للمادة دائبة الحركة، لا تقف ولا تنق ولا تتأمل، وتنتزعت في التوارع السوداء ودخان المصانع ينشئ

أوجه الباقى، فذكرت ما كنت أنتم به في وطنى، ولا سيما في قرية شنجري من بساتن الثرى الأخضر، وسرايق السماء الأزرق، بتلألأ في قبتة سراجة الهواج ويتألق، وعجبت لقوم يعيشون بدون الشمس في ظلام حالك، لك الله يا أرض الوطن بأدى ما ترام (١) أبنتها الأم الرؤوم المظوف الودود الأثوف المتحدة على كل بنية وأولادك، يامن تشعلن الغريب وابن السبيل والبار والغافجر بأتوارك الزهراء وأثراك ذات البهاء والبهجة. طوبى لمن يحمله القام، ويصفو له قضاء الأيام، في سهولك ووديانك، وعلى شفاف أنهارك أو في سفوح جبالك. لقد

(١) تحية المنرد لوطهم وتبريها
عنى صباحاً أبنتها الأم الرؤوم (٢)

السؤال المهندك

أقصو صتة بوليسية

بقتله م. ل. هويكس
للاستاذ محمد لطفى جمعة

نمريف بالقصة

مارلين لويس هويكس أو هويكس مؤلف شاب، ولد في الهند وعاش فيها قسماً كبيراً من حياته، وأتمم وضع القصة القصيرة وكان أبوه طبيباً في غامطة لامور ولكنه تفرج في الآداب والفنون - ولد سنة ١٨٨٦ وعمر أدبه في مجلة ستورى عارن ووايد ورك مجازين وكنت القصة الاتصاحية في مجلة ستراد لأحد أعماد عبد الميلاد الصغيرة غازت إعجاب القاد والقراء للاحوة من صدق الوصف ودقة التحليل وحسنى نقلها إلى قراء العربية بعد إعجابها بها واعتادوا أنها من روائع الأدب الواقعى. فان وصف الشخصيات الهندية والانجليزية وعقدة الثال والتوضيحين من أغرب ما اعتدى إليه مؤلف، وقد جمت من عجائب الروايع وسلاسة الاتصال بين الحوادث ما يدل على علو كعبه. وقد مر على بعض القاد من الانجليزية (في مجلة بلاكوود مجازين) أنه لم يوفق إلى ترويح البطل برماشور لال من جريس راوتش، بعد أن كان سياق الحوادث يحضيه ولكن خلق لال نفسه بفسر الأسباب الخفية التي نهته عن ذلك بعد أن رأى ما حل بالكولونيل وشكل وزوجه ومسترقها الهندى ولعل القاري المصري يروقه الحل الذي قدمه للمؤلف، دون الحل الذى اقترحه الناقد

حدث برماشور لال عن نفسه قال :

عند ما يث في والدى جاپوناما لال إلى القارة الأوربية لألقى علوم الطب والجراحة، قال لي وهو يودعنى : « كن حذيراً، فان لم تستطع فكُن حذراً : » وقالت لي أمى : « خذ هذا الشال تلتف به ليقبك برد تلك البلاد القامى » وكان من صنع كشيمير، دقيق النسيج، بهيج الألوان « وإذا قدعت شيئاً فاقراً نمويده كالى، ولتفتنى تلك النجمة بالنسكركية، لأن أى المحبوبة لم تكن تعرف الكتابة

وركبت البحر من عيباى في باخرة عتيقة، فلما بلغت مدينة لندن، وجست خلال طرقتها، واحتواى جوها القام

قَالَ لَهُ حَبِيبُ جُوخَالِي الَّذِي مَلَكَ لَهُ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْتَحَهَا بِهِ لِأَنَّهُ قَعِيرٌ مِنْ طَبَقَةِ أَثَلٍ مِنْ طَبَقَتِهَا ، وَأَنَا أَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّ فَسْهَ لَا تَجِدُهُ بِأَزْوَاجِهَا . وَمَا زَادَ نَارَ صَاحِبِ الْمُنَى اشْتِمَالًا أَنَّهُ خَلْفَ وَرَاءِهِ فِي الْمَنْدِ عَرُوسًا صَغِيرَةً فِي السِّنِّ لَمْ تَنْسَبْ عَنِ الطُّوْقِ ، فَقَدْ زَوَّجَهُ مِنْهَا أَبُوهَا فِي الْمَقْدِ الْأَوَّلِ دُونَ أَنْ يُحْسَبَ لِلْمُسْتَقْبَلِ حَسَابًا . لَهَا حَقًّا الْكَارَةُ ، وَشُكْرًا لَكَ يَا أَبِي عَلَى أَنَّكَ لَمْ تَهَبْ مِثْلَ تِلْكَ الْهَفْوَةِ فَتَجْلِي نَهْجًا بَيْنَ عَشِيرَةٍ شَرِيعَةٍ وَمَشْهُوقَةٍ مِثَالِي ، لَا أَجِبُ الْأَوَّلَى وَلَا آثَالَ مِنَ الثَّانِيَةِ مِثَالًا . فَطَيْتُ خَاطِرَ هَارْدِيَالٍ وَجَفَّتْ دُمُوعُهُ ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ لَمَلَّتُهُ كَمَا تَحْمِلُ الْأُمُّ وَلَدَهَا

صَاحِبُ ذَلِكَ الْعَقْلِ الْجَبَّارِ فِي الْفَلَسَفَةِ ، لَقَدْ نَالَ أَعْظَمَ الشَّهَادَاتِ وَقَرَأَ أَضْمَحَ الْكُتُبِ وَانْطَوَتْ نَفْسُهُ الْعَظِيمَةُ لِلْحِكْمَةِ عَلَى أَعْظَمِ الْمَنَاقِبِ وَأَعَمَّقَ السَّائِلُ . وَهَاهُنَا بِجَانِبِي يُوْحَ وَيَسُوعُ كَالْيَتِيمِ الصَّالِّ ؛ فَلَمَّا وَصَفَ لِي شَمُورَهُ وَهُوَ جَائِعٌ تَحْتَ قَدَمَيْهَا كَانَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ الْأُولَى عَنِ الْحُبِّ الَّتِي دَخَلَتْ قَابِي . نَعَمْ رَأَيْتُ أَزْوَاجَ الْإِنْجِلِيزِ فِي حَدِيقَةِ هَايدِ پارِكْ يَتَمَاقَنُونَ وَيَتَادَلُونَ الْقَبِيلَ ، وَيَضَاجَعُونَ عَلَى الْحَشِيشِ الْأَخْضَرِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَقَدْ تَلَفَتِ السَّائِقُ السَّائِقُ عَلَى صِرَافِي وَمَسَمِعَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ . وَلَكِنِّي لَمْ أَفْهَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحُبُّ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُبْتَدَلًا مَرُوسًا كَمَا تَرَى الْحَيَوَانَ وَالطَّيْرَ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ وَمَوْسَمِ الثَّمَرِ . أَمَّا الْبَكَاءُ وَالْبُكَاءُ وَالْأَمَلُ وَالنَّشُودُ وَهُوَ ضَائِعٌ ، وَالْحَسْرَةُ عَلَى الْمَشُوقِ وَالْتَحَرُّقُ وَهُوَ أَمَامَكَ ، هَذَا هُوَ الْحُبُّ بَيْنَهُ الَّذِي قَرَأْتُ عَنْهُ فِي كُتُبِ الْمَنْدِ وَوَرَّثْتُهُ عَنْ أَهْلِي وَقَوْمِي ، حُبُّ قَوْمِي كَالشَّلَالِ ، طَاهِرٌ كَقَلْبِ الْمَنْدَرَاءِ ، نَقِيٌّ كَالْقَضَى . أَمَا شَاتُوِيَايَا

كَانَتْ وَحَقٌّ كَالِي (١) وَكَرِيشْنَا (٢) وَفِيشَنُو (٣) أَنْظَرْ مَا الْإِزْهَارُ فِي عَرُوقِهَا تَجْرِي ، وَأَسْمَعُ الْعُشْبَ وَهُوَ يَنْمُو ، وَأَطْرِبُ لِتَغْرِيدِ الطَّيْرِ ، وَأَلْجُ الْأَفَاقِي تَنْسَابُ بَيْنَ الْحَشَائِشِ الْخَضِرَاءِ فَاطْمَئِنِّ لَهَا !

حَقًّا لَقَدْ كَانَتْ تَمُرُونِي لَدَى كَرِيٍّ وَطَنِي هَزَّةٌ أَى هَزَّةٌ ! وَكَانَتْ أحيانًا أَلْمَسُ الْأَلْفَةَ وَالْمَنَاءَ فِي حِجَّةِ أَبْنَاءِ وَطَنِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ مِثْلِي ، فَكَانَ هَارْدِيَالٍ وَشَاتُوِيَايَا وَسَادُومَالٍ مِنْ أَعَزِّ أَسْدَقَائِي لِأَنَّهُمْ زَحَرُوا مِنْ قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ إِلَى قَرْيَتِي ، وَجَسْتِي يَعْصِمُهُمْ مَدَارِسُ لَاهُورَ ، صَاعِمَةٌ مَقَاطِفَتَانِ . وَلَكِنِّي هَارْدِيَالٍ كَانُ دُرُوشِيًّا ، يُحِبُّ فَتَاةً هنديةً رَشِيقَةً الْقَدِّ ، فَاتَّةُ النُّظَرَاتِ ، وَيَحْنِي حُبَّهَا عَنِ صَبِيحَةِ مَا عَدَى ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ لِي بِهِ لَيْلَةً فِي شَارِعِ الصُّقْرِ الْأَزْرَقِ يَهْمُرُ صَحِيحَتِي عَلَى طَرِيقَةِ غَرِيبَةٍ

كَذَا فِي حَفْلَةٍ لَيْلَةٍ أَحْبَبْتُهَا مَدَامَ رَامَا وَدَعَتْ إِلَيْهَا بَنَاتُ الْمَنْدِ الْوَالِيَاتِ يَتْلِفْنَ الْعِلْمَ بِكَلِمَاتِ الْبَنَاتِ الْعَالِمَاتِ وَيُخْبِرُنَّ تِلْكَ الْفَاتَتَةَ جُوخَالِي ، فَفَتَتْ أَغْنِيَةً « أَيُّهَا الْحَبِيبُ النَّائِي ، هَلْ نَسِيتَ وَدَادِي ؟ » بِصَوْتٍ يَشْبَهُ صَوْتِ الْمَلَانِكَةِ ؛ وَأَنَا أَقُولُ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتِ الْمَلَانِكَةِ ، وَلَكِنَّهُ فِي ظَنِّي لَا يَزِيدُ عَلَى صَوْتِ تِلْكَ الْفَاتَةِ حُلَاوَةٍ وَطَرِبًا ؛ وَقَدْ تَخَيَّرْتُ هَارْدِيَالٍ مَكَانًا قَرِيبًا مِنْ قَدِي جُوخَالِي وَجَسْتِي فِيهِ عَلَى صُورَةٍ تَشْبَهُ الْكُرُوعِ وَتَنْشُرُ بِالْعِبَادَةِ . وَلَكِنِّي لَمْ أَدْرِكْ سِرَّهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، فَلَمَّا انْقَضَ الْحَفْلُ ، وَخَرَجْنَا إِلَى الطَّرِيقِ يَتَمَسَّ كُلُّ مَنَامَسِكَةٍ ، انْخَبَأَ هَارْدِيَالٌ عَلَى كَتِفِي وَأَخَذَ يَمْسِي كَمَا زَحَفَ ، وَهُوَ يَسِيرُ حَتَّى يَبْلُغَ نِيَابِي ، يَسِيرُ بِكَاءِ الْغُلْفِ الَّذِي لَا يَمُرُّ لَهُ أَبَا وَلَا أُمًّا وَلَا مَأْوَى ، فَسَاقَتْهُ رَفَقَتِي عَنْ سَبَبِ عَوِيلِهِ الَّذِي آلَمَنِي ،

بالجن وخزعبلات إدجار آلان بر وإدجار والاسي ،
ولكنه كان متصوفاً على طريقة راجايوجي ، تمرن
عليها في الجبال المحيطة بقرية (ديرسال) وهي عبط
رجال دراويش الهند ، حيث يتوددون الصمت وكم
النفس وتركيز الإرادة ، والتحكم في شهواتهم
فلاياً كالون ولايشرون إلاني التندري ، ولايقربون
النساء حياتهم . وكان سادومال في أول أمره يطمع
في أن يصل إلى الإيمان الذي ينقل الجبال ويجفف
الأنهار ويقتلع الأشجار في الحراج ، ويدعو الوحوش
والطير فتلي نداءه كما فعل بونا أثناء خلوته تحت
شجرة التين الخالصة . فسلك مسلك « الفقراء »
وعاش عيشة الزهد والعفة وحصر نفسه في أضيق نطاق
وكان من حسن حظهُ أوسوء بحته ، أن نجر
من طول المراقبة المحترمة على كل يوجي في درجته
البدائية فأنحدر من الجبل وفك قيود اعتقاله
باختياره ، وإمّا أنه وصل ، فأدخله أبوه في مدرسة
القرية فتفوق في الرياضيات ، وعلا نجمه بين أقرانه
وبهر أساتذته في حل أعوص مسائل الجبر والحساب
والهندسة ، وكاد يعرف بعض تلك العلوم بالنب
الطلق ، فلما ورد المدرسة مفتش المعارف الإنجليزي ،
أخضعه المهندي الصغير لبله السابق في حساب الثلاث
واللوغاريتمات العليا ، والهندسة الفراغية ، فأوصى به
ليوقد فوراً إلى كنجز كوهج بلندن لتفدية الحضارة
من مواهبه النادرة . فتكفلت الحكومة بتفقاته ،
وتجلت عبقرية الهندسية في سماء الكلية ، وصار
في مدى عام أمجوية « كريستال پلاس » وهو الحى
الذى فيه بنّية المدرسة . إلى أن كان يوم ضاح من
أيام الصيف ، فالتقى الفتى التابع بأمره إنجليزية

فكان من قرية سودي في مقاطعة باهويل وهو
هندوكى ثلثا ، وكان يحب ثاة الإنجليزية تنظم الشعر
لأنه شاعر ، وكان أسود اللون والمحدثين والشعر ،
وله شارب كشارب الصقر ، وصوت غملي غليظ
وقامة مدينة فرعاء وكل عضو ظاهر في بدنه ينطق
بالرجولة الناجية . وفي ظني أن الإنجليزية وكان
اسمها كيتي أحبته وفضلته على بنى جلدتها البيض
الشمر للاستخين الباردن . وكانت كيتي غنية ذات
جاء ومال ، ولها قصر في جروفثور سكوير حيث
كان يوافيها تحت سمع والسيها وبصرهم وبجاليها في
قاعة الاستقبال يشربان الشاي ويأكلان الفطائر
الدسمة ، ويتطارحان الشعر ، ويتبادلان الترام في
غير ستر ولا حياء على الطريقة الإنجليزية . فقد
أذاها خطبتهما ، وأخذت كيتي تندق على شاولياديا
من نم والسيها ، فالبسوه أحسن الثياب ، وعرفوه
بأرق اللبقات ودعوه إلى أغفم الحفلات ، وصار
ابن الصياد (وكانت هذه حرفة أبيه) في مصاف
المشار العليا . وكان هنا الشيطان ينشد شعره في
محافلهم وفيه الطعن المرير في بلامهم ولم لا يفهمون
منه حرفاً . كما كان يحفظ قصائد وملاحم من شعرنا
التقديم يرونها فتتجدد من حنجرته كالسيل التهمر ،
فتكاد كيتي ينشئ عليها من اقتنتها بذكورة
الصارخة ، وهدير ألمانة

أما سادومال فكان ولداً قصير القامة ، خفيف
الظل ، جاهلاً بالعلوم والآداب لم يشر فيه تعليم
ولا تهذيب . لا يقرأ من كتب الدنيا شيئاً سوى الأدب
الروسي (ويسميه سكاروموش ، أدب موسكوفي)
ويعين في دراسة قصص الجرائم والبيوت المسكونة

من قبل كالشجرة الجرداء في الأرض الفحلة ، إلى أن أكلها النيث من أعلاها والرى من تحتها فأبنت وازدهرت ، ولكن على حساب ذلك البستاني المسكين وهو لا يدري أنه جريئة وقتت عليه وأى ذنب جسيم سقط على رأسه . وكانت كلما تناقبت الأيام ازدادت المرأة شبقاً ، وتغنت في « دروسها » الشبية لرغبتها . وكذا بدا المزال على صاحبها ، « علفته » بالنفاق الدسمة وأغاذ الخناييس الدهنة ، وسقته الخمر الملهية ، ليسترد عافيته ونضارة وجهه ويقوى على جهوده ، ولكن ما كانت تكيّله له على مائدة المشاء ، تسترده بأرباح باهظة في خلوّة النرام ، الهادمة للقوى

وعند ما فتحت الكلية أبوابها في بداية العام الدراسي ، وطد سادومال إلى صفوف الطلاب هناك أسانذه ويشروه باقتصار جديد في عالم الرياضيات البحت ، ولكن المسكين كان قد جهل كل شيء وطد لا يعلم من بعد علم شيئاً ، فقد جف عوده ، وطمست معالم النبوغ من عقله ، وأمسى كالطفل لا يدري بما وعيه قتيلاً . واضطفاً سراج المعرفة من صدره . وصار يجهل الجميع والطرح ، حتى جدول الضرب راحت من ذاكرة قواعده الأولية . فكانت جهالته أعجب من نيوغه . وأحسن أسانذه الفن به وعزوا ما جرى له إلى الافراط في الاستدكار وحل المضلات ، ولم يخطر ببال أحدهم أنه نتيجة تقريطه في عفته وصومه وميائته وطهره . فنصحوا له بالراحة المطلقة حتى يستعيد صحة بدنه وسلامة عقله وأمر الأطباء بتغييره إلى ضواحي اشترنس ، في شمال سكوتلاندا ، يستريح في إحدى مصحاتها .

تحدثت إليه ودعته إلى منزلها وسقته الخمر وأطعمته لحم الخنزير ، وعلته أولاد حس من مبادئ النرام ، وكانت امرأة ضابط اسمه ريب ويشكل برتبة كولونيل ، وقد زعمت أنه قضى نجيحة في « ثورة لكتو » وورثت عنه مالا ونشياً وبعض الجواهر والتحف المجلوبة من ضفاف نهر براهما بوترا . لقد استدرجته الطبيعة ، حتى فرط في عمره ، وأضاع بكارته . وكانت تقول له : « لا يطبق طعماً النرام في قلب فتى في ريمه إلا امرأة في خريفها » فوقع في الحفرة التي أحكت سمز ويشكل حفرها ، وسلم نفسه إليها وأخذ يردد عليها ويشئ مضجعا ، طوال مدة المظلة الدراسية . وكانت المرأة تملك « عوامة » في نهر تيمس يسمونها « بيتاً نهرياً » جهزت بوسائل الخطوة الصحيحة ومطالب النرام ، فن حاة صنيرة لا تصلح إلا لاثنتين ، إلى فراش مكنون ، وحمام جميل مزين بالقيشاني والمدن الأبيض الالام ، وهنا استولت المرأة على الشاب الهندى ، أمل قريته ومقاطعته ورجاء الحضارة في العلوم الرياضية ، حتى امتصت ماء الحياة من عوده ، فقال لها يوماً ، ولعلها النكتة الوحيدة التي ظفرت بها لساه قبل مرضه : « لا يطبق نار النرام في قلب امرأة في خريفها ، إلا فتى في ربيع حياته » فوضعت يدها على فمه واحتضنته وأخفت وجهه الأصفر الناحل في حجرها وقالت وهي تنبت بشعرها الأسود المجدد : « أوه دارلنيج »^(١) وقضى إجازة صيفية ، ما كان أحلامها في نظره ، وأجدها على المرأة الهرمة ، قد سمحت ، واستدارت أعطافها واحمرت وجنتها وأبرقت عينها وكانت

في البار التي كانت تسهر عليها مسز راوتش الفاضلة ولم تكن البار غنوقة بين الساكن كتكك التي لا تكاد تبصر السماء في قلب لندن ، ولا علت مسز راوتش أني ابن تلك البلاد ذات الشمس المشرقة والطبيعة الضاحكة والأنهار الجارية والأطيار النردة أحب بفطرني رطوبة التري وطراوة الأرض .. اختارت لي غرفة مظلة على بستان البار وإن كانت قليلة الرينة ، وحسي بالطبيعة مفرقة ومنمقة ، فأجل الغرف في نظري ما فرشتها الزهر وعرشها الكرم وأضاءها القمر ليلا وشعاع من الشمس نهاراً (عند ما تجود بالاشراق في تلك البلاد المظلمة) وعطرها التسيم الساحب على الروض مطافره ، التامس في كرووس اللل وأكواب الندى مباطفه ، ولولا اختبأري للتوى في تلك الضاحية الضاحكة النائية عن جلبة لندن ونخبها ولجب مصانعتها وصخب طرقها ما توافرت لدى تلك النعم

ودأبت على الدرس في ظلال تلك الحياة المأدبة وقد اخترت الطب وجعلت هدفي أن أخرج في الجراحة الحديثة فهي مجهولة في بلادنا

وكانت لربة البار بنت وحيدة اسمها جريس ومنماها في لنة القوم النعمة والفضل واليسنة والحسن والرشاقة ، وكانت صبية كاسها رشيقة القد ، لطيفة الثبائل مهففة ممشوقة القوام ، غراء بلجاء مشرقة الطلعة وضاحة الجبين عندمية الوجنتين في الثامنة عشرة من عمرها ، وكانت هي الأخرى تدرس الطب في « جايزهوسيتال » على مسيرة ألف خطوة من وستمنستر ، تتدو إلى الدرس مبكرة ، وتود قبيل الغروب لتدرك مائدة الشاي الأنيقة التي تحسن أسما إعدادها ، وكانت تخدمنا فتاة بلهاء ورجل ألمان

ولم تلحق به « الطلبة » ، لارحة به ، ولكن خوفاً من ببد الشقة وآهاته للقضيحة . وعاد سادومال بعد ستة أشهر صحيحاً مافي ، ظاهر النضارة بلدى القوة كأه وعمل خارج من غابة لنساء . فلما فحسه الأطباء والأساتذة قالوا : لقد نجما بده ومات عقله ، ولم يد يصلح للعلم . فقد حيت موهبة الرياضة من صفحات ذهنه . وخبر له أن يعود إلى بلاده لنزاول مهنة أباه وأجداده وهي « بيع المطارة » .. ولكن سادومان كان قد استطاب الحياة في لندن ، ودرج على أكل اللحوم وشرب الخمر ، فماد إلى « طلبته » وراعي الاعتدال في إطفاء نيرانها المشتتة ، وهو الآن يعيش طاعة عليها ، بعد أن قطعت حكومة الهند معونته ، فهو طالب في الاستيداع ، ينتقل بين العوامة والقبلا ، ويقضي شباه في قراءة وصف الجرائم ويقتلب بين أحضان تلك الأخطبوطية الهمة التي لفت خراطمها حول عنقه وصدره ويطنه فلا يستطيع فككا كا

هؤلاء كانوا أصحاب الدين وقت عليهم في لندن وقد اتخذت لي مسكناً في دار مسز راوتش في شارع شبردنبوش ، وكانت امرأة سالحة وجبت في بيتها دعة وراحة ، ووجدت منها ظئراً رؤوماً وعصمة وموئلاً من آفات لندن وشروورها . والبيت إذا أضاف حاجيات العيش ، والساذج الرخيص من كالياته كحسن النناء وشجي الموسيقى والطيب الحلال من آلات القو واللبب والمتع اللذيذ من الكتب والأشعار — إلى سكينه الجو وكرم الجوار ورقة آداب أصحابه وحسن مواساتهم وبشاشة قناعهم وضحة الزاهة ودعة الرحمة والمطف والحنان كان جبهة السرار وحقية اللغات . وهذا ما وجدته

قالت : لا ترى نحن الإنجليزيت في هذا كبير عيب ؟ ونعلم أن السن ستكسب الشاب رزاة ووقاراً فلا خير عليهم إذا استمتعوا في نضارة شبابهم بالجو الباح

قالت لها : إنني أخشى عاقبة الحب لما رأيت من أثره في صبي وبني وطني ممن طوحت بهم الأقدار إلى شواطئكم ، فقد ودعوا الثبات والحكمة والخير ، عند ما ودعوا ظهر الباخرة في تبليز^(١) وخملوا عن أكتافهم ثياب الطهر والمعة

قالت : أهذا كل ما يخيّفك يا لال البرز ؟ ألا ترى أن ما يصحب جحائنا الشباية وزواتنا الميبانيات من الخوف والروع هو أمتع ما فيها بل هو لهنّ وفقتها

قالت لها : لقد أوصاني أبي أن أكون خيراً حازماً فإن لم أستطع فلا كن حذراً

فصاحت وقالت : إذن كن خيراً وحذراً ما شئت . ثم ما لبثت أن سكنت نأثرة مروورها ، وفترت حميا فرحها ومرحها ، ونهضت إلى البياض فأطلقت ألسنة الحاج بضبط بناتها ، أناماً حلوة هادئة ، ثم استدارت على مقدمها الولوي وسألتني رأيت في موسيقاها فأطربتها لأنني طربت حقاً من توبيها ، فقالت لي وقد تظاهرت بنى من الخوف بخجله شيء من الحياء والخفر : ألا تصحبنى مرة يا مستر لال إلى ملعب التمثيل ؟ فإنهم يثخون على مسرح جاريك^(٢) رواية « تمسكت فتمسكت^(٣) »

من وضع جولد سميث

(١) اسم ميناء لندن

(٢) مسرح نهم باسم فايد جاريك من أشهر اللذين

(٣) She stoops to conquer

اسمه فريتز . وكنت ألاحظ الإنجليز يفرحون باستخدام الألمان ، لما في ذلك من الشبهة في أبناء الأجناس الأخرى ، ودرخص أجورهم ، وقناعتهم في الطعام ، وشدة طاعتهم ، كأنهم آلات صماء ، تلي النداء ، وتترك مطالب السادة بالإشارة والممس دون الصياح والثرثرة . فكانت إدارة الدار في نظري حركة الساعات الدقيقة التي تصنع في جرينويتش فلا تقدم ثانية ولا تؤخر ... فما أعظم الفرق بين الحياة هنا والحياة في أوطاننا التي تشبه آلة بخارية فقدت عقلها !

أما جريس أو نعمة التي كانت توالى كلني ومجالسي وتسامرنى ولا تفارقتني إلا عند ما بأوى كل منا إلى مضجعه فما رأيت إنساناً أخف منها إلى الزاح البياض والدعابة البريئة ، ولا أروح إلى الفاكهة والمباينة التي تنم عن طهر الشباب وطموحه دون التمدد إلى الاستهتار والمغالاة ، وما أظنها استباححت ملاطفتي إلا راحة لي وعطفاً عليّ ، فقد قالت لي يوماً : لانا أرى بك سببا الحزن والاطراق والسكابة ، ققلت لها : إنك يا نعمة لتقولين هنيئاً وسخفاً ، فأطرقت ثم قالت :

لملك عاشق مشغول بمن تهوى في الهند عن الناس كافة ! أهي جميلة تلك التي خلقت في وطنك عاكفة على عبادة أوثانها ، وعلى انتظار أوثيك ؟ ققلت لها : إنك والله لترجعين بالنيب يا آنسة . فمرت إلى طويلاً وأدامت نحوى كرة الطرف مبددة ومعيدة ، ثم قالت :

— أرى غيرك من أبناء وطنك مفتونين بالنانيات شديدي الطلاب لمن والهيام في أثرهن قلت : أيروق لديك أن يفن الطالب التريب بالنانيات وأن يهيم في أثرهن ؟

ما أشمرنى نوعاً من الهابة لم يخل من الطرب واللذة
وقالت :

« ألت أنت يا مستر لال القائل لى على عتبة
اللب : إذا أحببت أن نبقى على تمام وثم ووفق ،
فذكرى على بأن لا نذهل عن فروض الآداب بينى
وبينك ؟ فإلى أراك أول من ذهل عن شرطه »
فسكت ولم أحاول بصد ذلك إعادة الكرة ، وقد
أحسست أننى تمدت حد منطقي ومنطقتي وبرزت
من ثوب الخير والحذر الذى أسبته على وصية أبى
فتواريت فوراً في حجابى وتواركت أسرى . ولما
أسدلت الستار على آخر المناظر نهضنا وكان ذلك
قبل نصف الليل بساعة . فدعوتها إلى « وجبة
التمتع ^(١) » كما هى المادة بعد الخروج من الملاهي
في تلك البقاع التى لا يقطع بنوها بأقل من خمس
أكلات بين شروق الشمس ونصف الليل ، بنفسها
غزير دسم وبعضها لا يصلح إلا للزهاد فاعتذرت
وقالت : إن أى أعدت لنا كل شيء . فلما بلطنا
البحار عاودها سرورها وبشاشتها وترثتها وأمسكت
بأطراف أنامل على طريقة الأطفال للرحلين . فلما
أُتينا إلى غرفة الخوان ونحن لا تزال في ثياب السهرة
استقبلتنا الوالدة بجملة هاشة ، وكانت المائدة منصوبة
والألوان مصفوفة ومسز راوتش جالسة ، وقد
تطورت وتدهنت وتجمعت وترتبت فكأنها إبريق
الرحيق ، وقد شملت نفسها بتقطيع رغفان الخبز
قطعا رقاقا وتجزئة قطع اللحم من كفف المجل
الحديد أجزاء دقائقاً ، وأقبلت على تناولها وعلى تجذ

قلت لها : لا بأس ، فإني أدعوك إليها غداً
إن شئت

وكان في هذا الوعد البرى ما أنقض السرور
بين جوانح الفتاة وأشاع الطرب في فؤادها
وأقبلت على أمها تستأذنها فأذنت لها ، وفي
عشية اليوم للموعود أخذت تدنو بها الجديده الزاهي
وتجربه فالفته محكاً ، واستعرضت خيالها في الرآة
فأعجبها وراقها ، وأقرت أمها وخدعتها البلهاء أنها
لم تكن قط في أغر حلقها أحلى وأحسن منها في ثوب
السهرة . ولما حانت الساعة السابعة تأهبنا للخروج
ووضعت حول عتي وصدرى ذلك الشال المزرق
الذى أهدتيه أبى ليقضى شر البرد في تلك البلاد
القارسة ؛ ولا أدري لماذا قلت لها ونحن نخطو عتبة
الملاهي : « إذا أحببت أن نبقى على تمام وثم ووفق
فذكرى على بأن لا نذهل عن فروض الآداب بينى
وبينك » فصمتت ولم تنظر لى ؛ ولما جلسنا في القاعة
المضاءة المهادنة لسقت بى وأشمرنى حرارة بنفسها
النض المافي ، وأخذت تشرح لى مناظر المهزلة
موقفاً إثر موقف ، فأطربنى صوتها في حمسها ورخامة
نغمته وقده فوق ما أطربنى حلالة شمالكها وخفة
روحها وذكرها المزوج بالساذجة والبساطة ،
فازددت إليها ميلاً وبها سروراً ، وراحت نفسي
لسماع كلامها العذب ، وهفت جوانحي ؛ ورأيت
في ظلام الملاهي عند ما أطلعت الأنوار كلاً يقبل
فتاة بجواره فأردت تقليده ... أنا الذى أؤتمت
« نعمة » فروض الأدب ، قد حلول إسقاط
الكلفة ورفع الحجاب بينى وبينها في خلسة من
جماعة النظارة ، ولكن « نعمة » نفرت وتراجعت
ثم استشمرت من سياه الوثار والجدة والرزاة

(١) يأكل الانجليز خمس مرات في اليوم الاقطار والنداء
والناى والمساء . ووجبة التمتع واسمها Suhher وهي أشبه
بالسحور عندنا

بالوسية، والأخرى تسألني عن شال كشمير، والتميمة التي وعيتها. وأعلنت تلقيني إيها في المنام « يا راما كرشنا وكالي وفشنو أيها الآلهة المحجبة، بحق أسرار أمثالك، وأنتام ألمان ترتيل الكهنة في أفنية هياكلك، رددي علي ماقدست، بالو بالو ! هالو ! هالو ! هالو ! مسي ! مسي ! مسي ! »

وما كاد الصباح يجدر لثامه حتى كنت قد هبت من نومي وليست ثيابي وأسرت إلى كلية الطب التي ألتقن علوي بين جدرانها، وأثناء ركوبي في الحافلة^(١)، وهي من طبعين تحت عيني طرف رداء نمرة الأزرق فأهويت سريعاً إلى لقائهما فاقسمت وقالت لهما سيقتن في الكور فأقبلت أنني على جانبيهما وحسن هندامهما. وسرها ذلك التناء فضحكوا ولكنها ما لبست أن أبصرت على وجهي شيئاً من دلائل المم والقلقي، فسألتني، فاعترفت لهما أن حادثتي معها بالأس كانت زلة وخليفة وزوة من نزوات الطيش والترف وأنا على ما فرط مني نادم ولما بدر من غيبي واجم، وأنتي قد عوقبت على ذلك بضياغ شال كشمير وقفده

فقلت إنه لا يروح أبداً عليك فان أهل بلادنا ذوو أمانة، وسأتولى البحث عنه بنفسي في اللب وأغدو إلى مستودع الأمانات المفقودة حيث يمرض كل مانسبه ذوه وذعل عنه أصحابه سواء أكان إبرة خياط أم فيلا أيضاً فودعتها وانصرف كل منا إلى معهده. وما كدت أطوى بضع خطوات حتى تذكرت التيممة فصرت أتلوها لمل آلهة الهند تجود علي برد أماني، ولا آآن وقت عودتي من

منا تذكروا إلى التوى وجمال ثيابنا ولا سباً « ستره سموكنج » التي كنت أختال فيها اختيال أمير ساحر خارج من صفحات ألف لية ولية. وفي تلك اللحظة الباهرة تذكرت شال كشمير، فقد نسيته وأبقت أنه ضاع إلى الأبد، ولكنني لم ألتقي بكلمة ولم أنصت إلى أدنى كلمات الوالدة وابنتها ولم أع بما قالت كثيراً ولا قليلاً. فقد كان ذهني مشغولاً بذكرى الساء وما كان من حوادثه، وكان قد الشال في المكان الأول. فأحبجت على نفسي باليوم والتذكير ووخزات التسمير. ثم انتقل ذهني إلى حادث القبة التي لم أظفر بها، وعيناً حولت إقناع نفسي بأن مسلكي مع الفتاة نمرة لم يتجاوز حد اللياقة، وأن هذه الرغبة التي أعقبها الرفض والجفوة لن تكون لها نتائج خطيرة. لقد كان ضميري في هذه المجادة السرية أعلى صوتاً وأقوى رهاناً من عقل، وجملت كلما تذكرت نصيحة والدي وهدية أي نالني كرب وضيق. أما نمرة أومنيّة فكانت في أشد حالات السرور والجذل تلهم اللحم والزبدة والقطائر، وتكوم أضماغها في صحنى ملحّة عليّ أن أطمعها لأسترد ما فقدته من قوة بالسهر والتعب خارج النار. وأخذت الأم تسرد أسماء من عمروا في الحياة الدنيا حتى تجاوزوا المائة، وأن العلة في طول أعمارهم لم تكن إلا كثرة التضم والتطم، وحشو بطونهم بالشحم واللحم، وخصوصاً « ونية التيممة » التي تكون أسهل الوجبات هضمًا إننا تلاها النوم مباشرة. وانتهت اللادة على خير وصعدت إلى غرفتي. ومن فرط انشغالي بنمرة تراثت لي في أحلام الكرى نسييني بسحر الحظاظا، وتصينيى بملادة ألفاظها كما رأيت أبي وأمي: أحدهما يذكرني

للمعود على خيانة الأمانة ، ولكن انتظارنا ذهب
أدراج الرياح

وفي يوم الأحد التالي وكان صباح يوم قار قارس
صافي الأديم ، لا يكون إلا في بلاد الإنجليز في فصل
الخريف خرجت لتنتزه مع صديقي في هايدبارك ،
ولما دوننا من مساحر الخيالة ، وهي طرق أعدت
للفرسان دون الراجلين بصرتنا بفارس ممتط صهوة
جواده قد شبح بأفقه سلفا وصغر خلفه كبرياء عليه
قباء مسدل المذهب ، بفاقم وسنجاب ، وقد لف
حول عنقه شال كشمير الضائع ، وكانت نعمة هي
التي رأته وعرفته . فقالت لي هيا نستوقفه ونطلب
إليه شالك فقلت لها : ولو قال إنه حفيد لورد
عتيق حكم إحدى مدن الهند وسامها فورث عنه
ذلك الشال ، أو أنه شراه من سوق المزاد في معرض
كرايستى فإنا يكون الجواب ؟ فقالت نعم على الأمل
أن لشالك مثيلاً في بلاده . وإنا كنا نتناصح
ونتناور ونتناول وتداول ونحن نرقبه من كتب
كان فارسنا اللقح بالشال أو بشال يشبهه ، قد اختفى
عن نظراً في حجب المروق والأغصان وسجوف
الورق والقضبان . فقالت لي نعمة ها قد أضمت
الفرسة للسانحة ومكنت ذلك الراكب على سرجه
من الفرار . فضحكت وقلت لها :

— حقاً يا نعمة أننا لا نستطيع حل هذا اللغز

وتفسير هذه الأحجية

وفي اليوم الرابع فرأت التيمة فرأيت الشال
حول عنق كهل سميج كان يخطو بإتزان في شارع
أ كسفورد وينقل بين مراض الخازن والمتاجر
يقلب أجنحة الثقيلة في صنوف البضائع فقلت هذه
الرة لن يفلت مني ولو لقيت في سبيل استرداده وبالأ
(٤)

الكلية أخنت ألو « عزيزي » ولم أكد أفرغ
منها حتى لحمت شالي على ظهر امرأة تسير مرتكنة
إلى زخار رجل طويل ، بليس قمة اسطوانية الشكل
سوداء فاحمة ، بفتحت الخلعى حتى كدبت أدركهما .
وصرت منها قيد أقدام ممدودة وإنا بهما يستوقفان
سيارة ، ثم أخذنا بينهما الأرض بها فرجست أدراجي
كاسف البال أسفاً ، ولكنني شديد الفرح بنفوذ
السحر الهندي في قلب لندرة .

ولما عدت إلى البار لقيت نعمة فأخبرتني أنها
أوعزت إلى بعض الصحف بنشر إعلان صغير في
عمود الأشياء المفقودة نصه هكذا « طالب طب
هندي يرجو من عثر بشال كشمير صغير في ملهى
جاريك أو في سيارة حافلة أن يرده إليه بدار مسز
روانش نمرة ١٧ شارع شبردزبوس هرمسث وله
الأجر والشكر » وكانت الصحيفة قد نشرت
الإعلان في مطبوعة المصر بعد أن تناضت أجره
تقدأ قيمته ثلثان واسمه هات كراون ، فضحكت
كثيراً من سرعة خاطرها ولباقها وصحبها إلى حديقة
الدار وجرت بيننا جداول الحديث سحراً ، ورضايًا
سلسلاً ، نأخذ في شئ فنون من المزول والتمكاهة
وضروب من الطاية والدعابة ، وما إلى ذلك مما
يكون بين صديقين مؤلفين على عفة إزار وثقافة
جيب ومهارة نفاق ونحن فيا دون ذلك على تمام
حرية وطلاقة ، مباح لنا كل ما يطيب ويصفو
ويمبذ ويحلو تمتع المجلس بالجلس ، وتلذذ الأنيس
بالأنيس ، وأخذنا نرقب عودة شال كشمير وتنفكه
بالتكهن بحال حمله إلينا . أ يكون تلك السيدة
وبعلها ، أم صانع متواضع ، أم لص فضل الجزاء

لا تبدى أدنى تمسخط أو غضب أو تظهر أقل تعجب أو اندهاش أو تهرم من مسلك هذا الشاب ...
تقال الإنجليزية : أظها ألموية جديدة من
الأعيب الهندو الجمة ، وقد رأيت في الهند مئات
من أمثالها

تقال الشرطى : دعه يتأمل الشال عن كسب ،
فلن يحفظه حتى ولو كان ملك عينه إلا إذا أفر
واعترف ، وإلا فهو يرد إليك بمسمع منا ومرأى
خفى الكهل الكريه وقال : هذا كذب
وبهتان . قض الله أفواهكم إن كان هذا مازعمون ؟
أما والله إنهم لنى غاية من القبح والسباجة . إننى
لا أفرط فى شالى ولا أسمح له البتة بلسه ، ولا وجهه
للقارة بين شالى الثمين وشاله اللدعى ، كما أنه لا وجهه
للقارة بيننا ، فلستنا من جوهر واحد أو طينة
واحدة ! لقد كنت فى الهند من كبار البولة وذوى
النفوذ والسلطة والمكائنة واسمى كولونيل ريب
وينكل ، حائر لنيشان شمس الهند ووسام كعب
النزال وربطة العنق من طبقة جوال ... فتأخر
الشرطى خطوات وشم ساقيه وقلميه ورضع يديه
بالتحية العسكرية ، ونظر إلى برزائه وكبرياء وقلة
احتراف جديرة أن تصدع قلب أشجع الرجال وأشدهم
بطشاً ...

تقلت للسكندر : عفواً يا سيدي ! هينى من
السباجة والفرور والتلواء كما وصفت ، فأين من
علك جهلى ، وأين من أدبك سذاجتى ، وأين من
رتك وظرتك جفائى وغلطى ، وأين من ذكائك
وفطنتك غيائى وغفلتى

فأثنى الشرطى على أدبى ودمعنى الجمهور بنظرات
عطف مصطنع وأخذ كل ينصرف إلى شأه

فدوت منه إلى أن أدركته فرقت قبعتى أمله
وأنجحت مفرطاً فى الأدب فيدنى بقوله : لست فى
حاجة إلى ترجمان فهذا وطنى ومسقط رأسى وكفانى
ما عانيت فى بلادكم أثناء الحملة المدنية والحرية .
فقلت سيدي لست ترجمانا ، ولكن ...

قال : إذا أردت الاستسلام عن شىء فهناك رجل
الشرطة يبيحك عن كل سؤال
قلت : ولست غريباً عن لندن ومساكنها
فأنا طالا ...

قال : إليك عني واقصد دار سير كيرزون فهو
رئيس بمئات الهندو التعليمية ويمطف على ذوى
الألوان السوداء والسمراء والصفراء

قلت : ولست تابساً لاحدى البعثات ، ولكن
اعتماداً على مكارم أخلاقك وسمة صدرك وارتكنا
على ما لبى جنسك فى قلبى من لطف للمكائنة وحقى
بجميل صفحك ومنفرتك أريد هذا الشال

قال : الشال ؟ أطلع فى أن تزرع ملكيتى
نهاراً جهاراً فى أكسفورد سترى ، إنك لشيوى
جرى وبشنى موسكونى خطر

قلت : لا يا سيدي إنه شالى اتنى فقدته من
بضعة أيام ، وأعلنت عنه فى الصحف

تقال الرجل : وقد بدا بهيئة الذهب اللسل
الذى يهدر فى ساحة النظارة فى حديقة الحيوان
« هل غاب عنك رشذك وغرب عقلك ؟ متى كان
بأبنا وشيبتنا ونحن مهذبو العالم ومؤدبو الأمم أن
نحتسب ثياب رعيانا ؟ »

وكان جمع صغير من المارة قد تكأ كأ علينا ،
فبادر رجل الشرطة إلينا ليفرق التجمهر على عادة ؛
فلما سمع روايتى قال لوطائه المتطعش : عليك أن

الرجل يسألني عن زوجته ومقرها وملجأها وهو كورة يتصنع الوفاق والزنا ويتكلف التؤدة والرساة شأن من لا اكتراث عنده للمرأة ، ولا اهتمام ولا مبالاة ، وطوراً ينظر في التضياء نظرات الخفق تطاير من عينيه الفضي تطاير الشرر عن ناره ، والنبل عن أقواسه وأوتاره . وأنا ألب دوري من التشاغل وقلة الاكتراث وعزوب الدهن وأعادي في أساليب التصنع والتكلف أنكم من خلال أسناني بالإنجليزية فقط ، والرجل يرسل زفرات النفيظ ولا ينيس

وأخيراً قال لي : كيف عرفت امرأتى الآفة الناشز ؟ قلت : هات الشال أولاً وقل لي كيف وصل إليك نغمة عن طوقه وقال : وجدة على أحد مقاعد ملعب جاريك . وكان الشال مبخراً ممطراً ، ولم يحس شيئاً من بدنه سوى غلاته الناصمة اللامعة فأخذته وقلبته بين يدي وتعرفت فيه كل خبط وفتلة وغرزة وزهرة منمقة

وقلت له : أريد أن ترى امرأتك ؟

قال : نعم واهبك تمويذة هندية شريتها من قنبر يوجي من قرأها على امرأة خائنة فأنيها فقد كل من يرضى بشرتها عقله ولبه ، فأنا تلاها الرجل المسجور طوت إليه قوة تفكيره شريطة أن يهجرها في الضاحج

قلت : هات تمويذتك

فأخرج من جيبه حجاباً مثلك الشكل وفض غلافه ، وأبرز ورقة مكتوبة بالسنسكريتي وهو لتتنا المقدسة

قلت له : تمويذة بتويذة ، وأخذت أنلو تمويذتي . ولم تكذب فخر من شرب الشاي حتى

وفي أقل من لح البرق تذكرت اسم ريب وينكل . أليس هو نفس الاسم الذي تحمله تلك المرأة عشيقة سادومال طالب الرياضة الذي أغلس عقله وتدهورت مواهبه . ولم أشأ أن أفر من الليدان مهزوماً قبل أن أرى بآخر سهم في كنانتي قفلت للكهل :

— إن كنت حقاً كولونيل ريب وينكل ، فقد نلت منك شالي بغير تعب ولا نصب ، وما عليّ إلا أن أوسط لديك زوجتك مسز وينكل التي ترعم أنك قضيت نحيبك في ثورة لكتو عم مساء بيسيدي ولم أكّد أطلق بهذه الكلمات القليلة ، حتى رأيت شهامة الحاكم القديم تهاور وتهدم فدفق إلى ماد أيداه للصاخة وعنى الناس جانباً وسارني وقال : هل لك أن تشرب مني قسطاً من الشاي في هذا المقهى وأشار إلى أحد منافي الشراب على مقربة من موقفنا . فاعتذرت إليه محتجاً بأن الرعية لا تجالس الملوك والعبيد لا تشارب السادة على سحاط واحد ، وأن طليته الناصمة تأبى أن تخالط طليتي القاعة السوداء .

فقال : أستغفر الله يا لهدي ، وأخذ يحطرن بسيل من المعاذير بالمندوستاني وهو لغة بلادي ، وكان المغرير الأشيب يتكلمها كأفصح علمائها الذين ملكوا ناحيتها فقال إجماعي بقدر ما حاز من عطفي . أليكون هذا الرجل المتجرف التكبر المثلّي بالمنجحية من رأسه إلى قدمه ، السباق في حمل السيف والرمح والواقف على أسرار اللغات ، زوجاً لتلك السهيرة الخليعة التي تصيدت أحد المهنود النجباء وأطفأت سراج عقله الوهاج ؟ وأخيراً قبلت دعوة ودخلنا إلى أحد مشارب الشاي . وكان

قديمة فرق البهر بينهما ولكننا كنا في شغل عن
قبة الطعام والشراب إلا السكين القاهل سادومال
فانه أكب على ألوان الحلوى والكلمك والبيودينة
والشطائر أقياما واقترافا وعلى أقبلح الشاي ارتشافا
واشتشافا . وجعل يمزج ويضحك من ألامزحه
ويزداد هذرا وهراء من أن إلى آخر فلم يبق له من
الكلام غير هذا وكان الكولونيل ريب وينكل
يتحرق على عاداتي فسألني بالمهندستاني أن ألقنه
التموينة فقلت : مالك بها وقد تلست أمانتك وردت
إليك بضاعتك ، ولم تقل لي كيف كان شالي على
أقضية غير ففكك الناعم المهذب

فقال : أقرضته شقيقتي ذات صباح وخرجت
به إلى حديقة هايد بارك فقلت : هل كانت على رأسك
قيمة عالية في الأولى ؟ وكنت متمطيا صهوة جوادك
في الثانية :

فقال : نعم ثم امتنع لونه وقال : لم أكن أعهد
سحركم نافذا بهذه السلوة . قلت : تراه أشد نفوذا
في صاحبي الذي يليك ولا يبى ما تقول بعد أن
أقصدته تموينتك صوابه ، وكانت المرأة تحرق الأدم
ولا تدري من أين سقطت عليها هذه الكارثة وكان
غيطها على أشده ، عند ما نهضت وصاغت زوجها
الذي أُمِنمت رأسه بما كان ينقص نحيبها عند ما عاد
من سكون تاندا كالوغل الغير متبوج ... وسحبت
الشاب القاهل من كتفه وخرجت به وركت
الزوجين ينسجنان في صلصهما !

وكان أول ما فعلته أن تلوث عليه التموينة
السنسكريتية التي تشفى من جنون الشهوة وما كان
أعظم دهشتي عند ما رأيت سادومال يرتجف ويقطر
جبينه عرقا ثم يفتح عينيه على النور وقد وعى .

دخلت علينا مسر ريب وينكل مستنبة إلى خداع
مواطي التنكود سادومال الذي فقد ذاكرة وسمن
حتى صار كائنواص الخصى . وكانت المرأة مطلوة
عملاة وقد أقيلت « أرملة الحلى » الطروب تسمى
مطرقة منكسة لا تبصر شيئا . وكان رفيقها الهندي
قد فقد ذاكرة أم فقد وأكله فراآني ولم يتعرف
علي ، والمرأة تقوده كما يقاد الذهب الأعمى ، وقد
أسى أداة لهوها وماء نارها التي لا تتمد

أما هي فند ما فتحت عينها ورفضت رأسها
لترى المكان فابلثت أن عضت على شفتها كن
بوغت بكارة أو فاجعة ، لقد راعها وهالما أن تبصر
زوجها في حجة شاب هندي ، ولم تقدر أن تتنلب
على ما اعتراها من الارتباك والحيرة ، وكانت قد
أكتت على بشرة وجهها وجلدة بدنسها طبقات
متراكمة بعضها فوق بعض من الدهان الأبيض
والأحمر وحملت نفسها من الزخارف والحلى ما يزرع
تحت البازل فهض الكهل الحربي إليها وقال لها
والهندي المجنوب يسمع ولا يبى لفرط ما عراه من
الخيال :

« لقد كان من المستحيل على غيري أن يعرف
شخصك في هيئة تلك السيدة المتكررة في أكتف
طلاء من الأسباغ والأدهان ، وقد ازدحمت عليك الحلى
والزخارف ازدحام النجوم الثوابك في أديم السماء ؛
والحجب للتكاثر على بساط اللساء . وانحنى على يديما
ليقبلها غير أنه عند ما لمس أناملها خيل إليه أنها
كانت ترنجبف . ثم دعاني إلى مجلسهم ودعا بقطائر
وقطائف ونوام وأقنح وأكواب ليوم الخادم
وهي فتاة راتقة الحسن مرهقة الحس إنه ظفر بصديقة

رواصلت البدرس حتى جرت عقبة الامتحان الشديد في جاز هو سيئال وقلت أجزأة الطب المحفوفة بالصاعب والكاره واعتزمت العودة إلى وطني ؛ فلما استنشرت الأم وقتها ، (وكانت هي الأخرى) فخرجت وحازت لقب موهبة من الدرجة الأولى (اعتزى على الرحيل ، أعدت مسز راوتش حفلة جميلة دعت إليها فضليات نساء الحلي وبناتهن ولقيفا من أجل الشبان وأنفروهم فأقاموا مرفصا ومقصفا ، وبعد نصف الليل انتحت بي الأم ناحية وقالت لي : « خبرني الآن يا دكتور لال ماذا ترى في اتخاذ زوجة تحبك وتطيعك وتعينك في عمالك وتلد لك أولاداً لطفاً يجمعون بين مجال البيض وفطنة المنود ويننون دعائم الجيل الجديد في وطنك الأول ، بيد أن صارت هذه الجزيرة ووطنك الثاني . ولعلك تخطب فتاة لما قرابة ملاصقة ورحم ماسة رجل من كبار البوالة وذوى النفوذ والمكانة ، يدعى سير راوتش ، وأن الاتصال بهذا الكوكب اللامع في سماء السياسة عن طريق المصاهرة قد يجريك خيراً كثيراً وعملاً كبيراً » ، فقلت لها : « ومن تلك الفتاة يسيدني ؟ » قالت : « ابنتي جريس راوتش التي خلها ذلك الرجل العظيم . إنها نعم العروس يا بني وإن لم تكن تملكت بها فإن الحب نتيجة الزمن والمباشرة . إننا في بلادنا نخطب لبناتنا كما نخطبون أنتم لأولادكم فقلت لها اميليني يوماً ، حتى تستدير الفكرة في رأسي ، فإني لأرغب أن أصلف زهرة الرواج على غرة ، ولا أريد أن أعكر صفاء البلية ، ولا أعلم في الحق بيم تأتي بها مشورة الرقاد ، فالليل يحمل النسيجة الحسنة والرأي الصائب على أجنحة الأحلام البهية . فلا تأخذني قولي هذا على أنه يقول أو عدول

فنتلق بالمهندوساتني التي كان نسيه ، وأخذ يذكروا قماً ولوغارعات عالية . فقد عاودة مواهبه وعادت إليه علومه كاملة ، وعند ما رجع إلى حظيرة الكلية بعد أيام ، أقبل عليه الأساتذة يفحصونه فلما به كان في بداية شأه عقل فياض ، وفكر نافذ وإدراك لميمات المادلات الجبرية وحل لأعوص للسائل الفاضلة فقال له بروفيسور كنتجزي : الآن تستطيع الحضارة أن تستفيد بملكك وكتبوا إلى حكومة الهند يستردون ففقاؤه وغمصاه . أما أنا فقد عدت في تلك البلية إلى بيتي في شيردزبوش فأثراً بشال كشمير التي ضاع وعواطلي للسكين التي رددت إليه عقله بالتمويزة التي اقتنصتها من زوج عشيقته وقد تملت أن كبرى النتائج قد تبني على أهون الأسباب ، وبقي على أن أدخل البهجة على قلب نعمة بالشور بالشال دون أن أطلعها على التفاصيل الألية التي صجبت لها فلما ولتطرسة الضابط التكبوت والزوجة الخائنة والمهندي الذهول وسحر هاروت وماروت : فهداني تفكيري إلى هذه الطريقة ، وهي أن أزعهم أنني التقيت أمام البيت رجل يحمل الشال تلبية للنداء الذي أذاعته في الصحيفة السيارة وإن أنني على يديها وأمانة شهما وأجل إليها هدية صغيرة جزاء وفأقا على ما قدمت يداها من خير فقلت إلى دكان جوهرى ، واشتريت خاتماً ذهبياً بنفس من الباقوت الأزرق ، ولما نهضنا عن المائدة مددت يدي بالهدية وقصصت على نعمة وأنها القصة الملققة المنمقة التي نجوت بها من مأزق التفسير والشرح الطويل وذكر مساوى الناس للناس في وطنهم فا هكذا يكون عرفان الجيل . فقرحتا وزادني التوفيق كرامة وعزة في نفسيهما

عن أسرار الكون وعلاقتها بالحب والثنى وكسب
سباق الخيل قبل دخول المراهنة وعلاقة النجوم
بمخطوط الأحياء وتحدث أشباح الموتى لقوى قريام
عن حوادث المستقبل وفوز الحزب الديموقراطي
واستخاب بران ، ، واندمج شاتو يادايا في المجتمع ،
ورشحته حموه للانتخاب عن حي أوستون باسم
الاشتراكية الحمراء ومقاومة الاستعمار والحكم الذاتي
لايرلاندا وسكوتلاندا وبلاد الغال ، وأعاته زوجته
الشاعرة بقصائدها الزفة ومدح مناقبه لدى نساء
العال ، ومن قولها : « إن الرجل الأسود يخدم
الجنس الأبيض في المستعمرات منذ مئتي سنة ، وقد
آن الأوان ليخدمه في بلان الوطن فهل ترفضون ؟
فأجابها التناخيون : أوه ! شير ! نيقر ! ^(١) » وقار
شاتو يادايا بمحمد حاف في وستمستر وقد صار حلية
الجلس وزينته وتفسيره ، كالغالي في خد الحسناء
أما أما فصدت إلى وطني حتى بلغت أهل ويثني
بعد أن نفضت في الباخرة الانجليزية التي حملتني من
لندن إلى بومباي غبار حذائي ، وخملت ثياب اللؤلؤ
والخداق ولبست ثوبا من « صنع بلادي » وتلفت
بشال كشمير الغالي وسألني أي وهي تمنع في في
ييدها السكرية اللينة طعام وطني اللذيذ ، بماذا
عدت إلينا يا لال ؟

قلت : بلم الطب يا أماء ، على أحسن ما أتقنه
أعدونا وراء البحار ، وبحاجة أخرى هي أعز من
العلم وأغلى وأشرف ألف مرة
قالت : ما هي ؟

قلت : عفتي ويكارتو وعقيدتي ، فيمكنني أن
أقول لك : إنني لم أعشق امرأة غير أي ، ولم أعبد
إلهة غير ربي ! محمد لطفي محمد

(١) أي كلا وحاشا

قال التند . وكان نظام الحفلة يقضى أن يختار كل
فني فتاة يتناصرها في الرقصة الأخيرة ، فيفهم
الحاضرون أنها « قلبه المذب » ^(١) وقسيمة حياته
في المستقبل القريب أو البعيد ، وسرعان ما تناول كل
شاب يد واحدة من هؤلاء الشقراوات ذوات
الوجوه الحمراء والعيون الزرقاء و « المذب » البارز
والأذنان المستطيلة ، وبقيت في نهاية الأمر نمة
ولم يتقدم إليها أحد ، كأنها مؤامرة محكمة التدبير ،
عجوبة الأطراف ... لله ما أقدر هؤلاء الإنجليز على
توريث الخلق وتسخيرهم لأغراضهم ! فتقدمت إليها
على كره وفطنت ما فعلت شباب الخلى من عناق
وتقبيل ، ثم دعوتها للرقص

وفي الصباح قلت للأمر : « إن الزواج لم يخطر لي
على بال الآن ، لا لعب في فتك المحبوبة ولا لعجز في
من تأسيس بيت تكون زينته ، ولكن لاني
لا آنس في نفسي القدرة على مسرتها وإسمادها »
فقلت : « عجباً لك يا لال ! أجتدل هذا الرفض
تقابل رغبتنا . ما هكذا يكون البر والوفاء ولكننا
لا نرغبك » ، وترقرقت في عينيها دمعتان أبي كبرها
أن تنحدرا إلى وجنتها

وتسألني عن هارديال وشاتو يادايا وما جرى لها.
أما الأول فقد سافر إلى أمريكا واشتغل بالشعوذة
والدجل فجعل مالا طائلا بعد أن طلق الفلسفة التي
لم تنته فتبلا ، وذلك باستغلال غفلة خواجيا الجمهورية
النائية ، وعاد إلى مال طليقا حليقا أتيقا ، وأرغم
جوخالي على الزواج منه ، ثم جعلها إلى شيكاجو
ليواصل عمله في « كشف القناع عن علاقة الروح
بلم النبي واكتشاف مناجم الذهب ورفض النقاب

(١) الباب المذب : المشعوذة Sweet hert

الناس يخافون من الاطفال لانهم لا يفهمونها اقراء هذه الرسالة عن الاسبرو



يرى كبار الأطباء، أن الخوف من الاطفال يقتل الناس كما تقتلهم الاطفال

ففسدا . ومنه الامور العلمية المعروفة أن الخوف يضر قلب الانسان
ولا يكون اصابتة أشد خطرا ! وقولك للوئسان الخوف لا يزيله خوف وأنت تخاف ما لا تفهمه
وشيء زعمت الذي تخافه فأنت ترى حينئذ أن خوفك ضعف وهم . وفي الحصة الماضية إلى بطيخ
ان تحول الامصابة إلى ذات الرئة فكم تعلم السبب في الخوف . ولكنه هذا الجانب من الاطفال أي
الجانب الأيسر خطرا يزيل بنسر على عمل الجسد وأسرع فيسر على عمل الجسد
أن يضع سائر فروج العضلات من الجسم برأيه فمجرد في الداخل . وهذا
لقد السبب أن الرئة يستعملون اسبرو لداطفالنا فصار يصابون بذلك
السرير بشرط أن يفهموا في الفراش والخبير . لذلك لاجابة الامور
من الاطفال . فاجابة اسبرو قريباً منك وقصة نفسك من الاطفال .
ولولم الزور اسبرو كغرفة ولولا خطيرنا وبسبب الاطفال الخوف



صحية الاطفال للعائلة كلها



٢ قرمان
٥ ملجعات
١٠ اقراص
٢٤ قرصاً
٢٧ قرمان
٥ قروشن

كيف نقضي
الاسبرو
للداطفال

سنة ٦-٢ سنوات ونصف قرص
" ٦-١٤ سنة قرص واحد
" ١٤-١٨ سنة قرص ونصف
اسبرو كيانا في الدروب لداطفال لكل سنة ٣ سنوات

" اسبرو"
الوكلاء مصر لاجمدا

المؤلف قائلا :

« ... وأجاسترا هذا
هو أحد ثلاثة يشتركون في
هذا الاسم في التاريخ ، كما
يعلم الطلاب ؛ فأما الاول
فقد ولد في القرن العشرين
قبل الميلاد ، وتوفي وهو
في غصارة الطفولة حين كان

يُحْكِي أَمَلِكًا

لِلشَّاعِرِ الْهِنْدِيِّ الْفِيلَسُوفِ طَاعُورٍ
بِقَلَمِ السَّيِّدِ فَرْيَ شَهَابِ السَّعِيدِي

يحطم الشهر الثامن من سني عمره الثلاث ...

« ولشد ما يؤسفني أن يستحيل العثور على
يانات ضافية مسهبة من مصدر وثيق عن مدى
حكته (١) ! وأما أجاسترا الثاني فمروف لدى أكثر
الؤرخين ، وفي الموسوعات التاريخية عنه الشيء
الكثير ! »

... وبهذا يتلشى فضول القارئ من المصريين
إذ يستشعر الاطمئنان إلى هذا النحو من أحاديث
المؤلف القاص ... إنه ليحدث نفسه - حينذاك -
بقصة ممتنة طلبة ليس إلى الشك في صحتها من سبيل !

آه : كم نستحب خداع أنفسنا أجمعين ؟ !
في حين أننا نخاف الجمل ونخشاه على أنفسنا
ثم لا نريد على أن نسلك إليه سيلا ملتوية تطول !
هناك حكمة انكليزية تقول :

« لا تسلي عن شيء ، وأما زعيم بالآ أ كذب
عليك ! »

(١) لعل الفيلسوف هنا يريد أن يلتفت نظر القارئ ،
ويستدعي انتباهه إلى هذا النوع من تفريق المؤلفين وعالوتهم
جل هذا التفريق اليان الصريح حقائق تاريخية فاجبة لاصداق
أهواء القراء - على ما يظهر في هذه السطور !

« يحكي أن ملكا كان في قديم الزمان ، وسالف

المصر والأودان ... »

... لم تكن في حاجة إلى أن تعرف أي ملك
هذا - ونحن صبية صغار ... ولم يكن يضيرنا أن
يدعى : « شيلادنيا » أو أن يسمى « شاليان » ..
أن يعيش في « كاستي » أو « كالوج » ؛ فإن ما
يخفق له قلب ابن سبع سنين سرورا وأبتهاجا هو :
هذه الحقيقة الرائعة الجلية « يحكي أن ملكا ... »
ولكن قراء هذا الجيل الجديد لا يرشون بهذا
وإنما يعضون في التحقيق والتساؤل ؛ إذ ينبغي
فضولهم نازحا حين تطرق أسماءهم « قاتحة »
كهنه ، ويسلطون « أشعة كشافه » من النقد
على ذلك الضباب الخرافي القاتم ، فيسألون قائلين :

« أي ملك هذا ؟ ! »

والقصاصون - بدورهم - أخوفا من النالين
التأقنين ، لا يستسيغون ذلك الإبهام ؛ وإنما أخذوا
أنفسهم بالتمتع فيما يقصون ، فاجتدأوا يقولون :

« يحكي أن ملكا يدعى أجاسترا ... »

على أن فضول القارئ المصري لا يكاد يدركه
إقناع ... إذ يمدج المؤلف بنظرة فاحصة مسترصة
ويسأله تارة أخرى عن هذا الملك الجديد ، فيجيب

مستمرة ، والدبنة كلها قد غمرتها المياه مقدار ارتفاع ركة عن وجه الأرض ...

وكنت ضيقاً بما في نفسي من أمل طالما تحقق ، ذلك هو مقدم « العلم » الذي يجب أن يتوقف على الأقل في هذا الساء ...

جلست على كرمى صني في زاوية قصية من زوايا الشرفة أطل منها على الشارع ، وقلبي خافق وعيني مثبته في الطر المحاط لا تتحول عنه ؛ فلما بدأ يقل انهمااره ابتهل إلى الله أن يديعه إلى منتصف الثامنة من هذا الساء !

ذلك بآني كنت موقفاً مطمئناً إلى هذا اليقين القوي الذي لا يزغره شيء : أن ليس للطمر من فائدة غير حماية طفل يائس مسكين قابع في ركن من أركان « كلكتا » من غلاب « مله » المهلكة وإنما لم يكن اختطاع الطمر السريع جواب ابتهال فلا بد أن يكون مرجع ذلك إلى بعض قوانين الطبيعة ...

ولكن ... وأسفاه ... هأنذا أبصر « مظلة » في منتصف الشارع تقرب في الوقت الميعن المحدد . إلى أحس أن وجيب قلبي قد ازداد ، وأن ما كان في نفسي من الآمال قد خاب ... ! لو أن عقاباً أليماً يُجَزَى به المجرمون — بما قُتلت أيديهم — بمد الموت ، لما كان دون خُلقِي « أستاذاً » وخلقِي « أستاذي » ممن عندي من التلاميذ !

واجمعتُ مسرعاً — حين ظهرت مظلة الأستاذ — إلى أي في غرفتها ... لقد كانت جدي جالسة قبالتها تلب وإيها « الورق » تحت ضوء الصباح ... ودخلت فزعاً مضطرباً ، فألقيت بنفسي على السرير ... قريباً منها وقلت :

والسبي في السابعة من عمره حين يستمع إلى قصة من قصص « الجن » يدرك تلك الحكمة أحسن الإدراك ؛ إذ تراه ممسكاً عن كل سؤال ، مصيخاً بسمه إلى من يقصُّ عليه ... فلما كان خيال القصة الخلاب ، وما فيها من رونق أو جمال يبق سالكاً من كل ما يشوب ، يُشبه في سلامته الطفل البريء ، مجرداً عن كل ما يضير للحقيقة في التوهج والصفاء ، راقباً سنيا كأنه النبوع للتدفق العذب !

ولكن كذب المجددين الفث المصطنع سيلقي على كل ذلك غشاوة من التضليل ! وحين يتكشف للقارئ الفاضل هذا الزيف ، وتبين له هذه المخاتلات والأضاليل تسمثرُ نفسه ، وينقلب المؤلف بأسوأ ضروب الخزي والعار عند ذلك !

لقد كنا — ونحن منار — نستجلي الجلال بما كان لنا من إحساس ساذج بسيط ؛ ولم يك من همتنا أن نحيط علماً بغير تلك الحقائق المتعة ، أو أن نعرف شيئاً عما يتحدث به القصاصون المحدثون من سفاسف الأمور ...

كانت قلوبنا الصغيرة البريئة قد عرفت — جيداً — « قصر البار الحقيقى » وكيف يكون الوصول إليه ولكننا اليوم ... مُرْتَجِوْن في تسطير بضع صحائف من الحقائق ... بينا الحقيقة البسيطة الجلية هي هذه :

« يحكى أن ملكاً ! »

مازلت أذكر تلك الأسمية واضحة في « كلكتا » حينها بدأت « قصة الجن » ...
كان الطر يتحدر هتوفاً غزيراً ؛ والريح تمصف

ولكني تعاديت وألحيت ، وقتل لأخي : إن
بستطاعتها أن تؤجل اللبب إلى اللند ... وأما
القصة ... فهذا بما ليس منه بد ...

ونجرت أوى من هذا الإلحاح الشديد ، فرمت
أوراق اللبب وقالت تكلم أهما :

— من الخير أن تقصى عليه ما يريد
وقد يكون — فى جملة ما فكرت به — أن
على ألا أزعجها بالاططلاع عن دروس الأستاذ
(القيمة السخيفة !) غدا ... من يدري ؟
واتهزت هذا الجبال الذى أخلته لنا أوى
فأمسكتُ جدى من يدها وأدخلتها فى « ركأتى »
وأنا من فرحى أكاد أطير

فلما عودنى شيء من السكون قلت لها :

— والآن يا جدى فلتبدأ القصة ...

... قالت جدى مسترسلة فى حديثها :

« ... وكانت للمليك زوج ... »

— وكانت هذه بداية طيبة للحديث ... فان
المادة جرت أن يكون ملوك « الجن » مسرفين
فى الزوجات ... ونحن حين نسمع أن للملك الواحد
اثنتين تهلع قلوبنا وتهبط ، فان إحداها — لا شك
فى أنها من اللتسات !

ولكن قصة جدى لم يكن فيها من هذا شيء
إن هذا الملك له زوجة « ليس غير »

ثم إننا اعتدنا أن نسمع — بعد هذا التقديم —
أن الملك لم يكن له أولاد ... وما كنت — وأنا
ابن سبع — أقدر شقاء من ليس له ولد ... أو
حاجته إلى الشقاء — يتصور أدق — إذ ربما كان

« يا أوى المزنة ... هذا العلم قد حضر ...
وإنى — لما ألمت بى من صداع — لا أكاد أرى
اليوم الدروس ! »

لا أظن أن طفلاً فى غضارة العمر ، لم يستكمل
بعد قوته ونموه ، مسموح له بمطالعة هذه القصة ...
وعلى أنى أومن أشبه الإيمان بصلاحها لمدارس
البتدين الصغار ! لأن ما كنت أقدمت عليه كان
غاية فى السوء ... ولكنى لم ألقى جزءاً سيئاً على
كل حال ... بل كان الأمر على التقيض ، وتكلفت
مساعى بالفوز ، إذ قالت أوى تبينى :

— حسن يا بى ! ثم التفتت إلى الخادم تشير
عليه بوجوب انصراف « الأستاذ » اليوم ...

لقد كنت راضياً مرآحاً ، فان أوى استمرت
لاعبة — كما كانت مع أهما من قبل — ولم تأبه
لهذا البارض الذى ألم بى من الصداع « البسيط »
وأبقيت رأسى بين وسائد السرير وظللت أنضح مما
حدث ... لقد كنت أنا وأوى يفهم بعضنا بعضاً
أدق النعم ...

ولقائى أن يتصور ما يلقاه ابن سبع من
الصعوبة فى البقاء ساكناً هادئاً يزعم لأهله أنه
مرضى ... ولكنى ما لبثت أن نهضت بعد برهة
والتفت إلى جدى أريد منها أن تقص على بعض
ما لديها من أفايص ، وكان على أن ألحف فى
التسأل لأن أوى وجدنى كأننا مستغرقين فى اللعب
غير آبهين لما أقول ... ولكن أوى التفتت إلى
— أخيراً — وانهزنى قائلة :

أبها الصبي ! لا تضايقنا ... انتظر حتى ننشئ
ما نحن فيه ...

لشئله ما هو فيه عما أُعِدَّ له من صنوف الطعام !
 وسأل الملك زوجته عن هذه الجيلة الفاتنة :
 مَنْ عساها تكون ؟
 وأجابت زوجة - وقد أَلَمها سؤاله ذلك -
 - أحسًا .. لم تعرف ابنتك حتى الآن ؟
 - أأصدق ؟ ابنتي الصغيرة قد ترعرعت
 ونمت فأنا هي اليوم في شكل الحسناء ؟
 - لملك نسيت الأعراس التي هجرتنا فيها
 أيها الملك العظيم !
 - ولكن ما أُوخِّرَ الفتاة عن الزواج ؟
 - أأنا زَوْجها وأنت لا علم لك بذلك ؟ إن
 هذا لا يليق ! ..
 .. وغضب الملك من هذا الذي سمع وأقسم
 لنزوّج ابنته أول من يصادف في الطريق
 - عند خروجه غدًا - من الفتيان ..
 .. وكانت الأميرة خلال ذلك تحرك مروحيتها
 الجيلة على رأس أيها الملك في صمت وهدوء حتى
 انتهى من الطعام ..

وإن الملك لخارج من قصر زوجته في الصباح
 إذ بُصِرَ بقى من البراهمة يناهز الساعة من عمره ،
 يحطّط في التابة بيدا عن القصر .. وكان هذا
 الفتى أول من رأى للملك عند خروجه في النهار ..
 وصم الملك أن زوّج ابنته من هذا الصبي الصغير ..
 ومن ذا الذي يستطيع أن يتمتع على الملك فلا يأمر
 بأمره ولا يطيع بإشارته إن أشار ؟
 .. وجي بالصبي وعقد القران وتم الزواج ..

التصقت بجذقي وسألها في لهفة عما تم في أمر

أولاده في طريقهم إلى الحياة ...
 ولم يك يترينا اضطراب حين نسمع أن الملك
 قد ذهب إلى التابة ... يُخْشِرُ فيها الصواب ، ليكون
 له ولد ! إنما يحسن الاختفاء في التابة حين نفر من
 وجه « الأستاذ » هارين ...
 ... ولكن الملك - هنا - ترك زوجته حينما
 ارتحل طفلة معها ترعرع ... فأنا هي اليوم في
 شكل أميرة جميلة
 ومضى على ذلك أحد عشر عامًا طوالاً ، وللك
 في تجاربه وأموره وسامه ، لا يفكر - طوال
 هذه الفترة - في ابنته الحسناء ...
 ... لقد اكتملت الأميرة فتوة وشباباً .. حتى
 لكأُنها في حسن البدر النير ! وعمر الزواج ...
 لقد تمضى ... ولكن الملك لم يمد من رحلته
 حتى الآن ...
 ... وهال الملك ما ترى من تأخر زواج ابنتها
 الأميرة فأرسلت إلى الملك تدعوه إلى وليمة يحضرها
 في القصر . فلبّى الملك دعوتها وجاء

كانت عناية الملك شديدة بما هيأت لزوجه
 من صنوف الطعام وأنواع الشراب ... وبما حلّت
 به من ضروب الآنية الذهبية الجيلة ...
 وكان مقدم الملك مُعداً له من خشب « الصندل »
 المطرى الجليل ..
 .. وقدم الملك القصر بعد غياب استغرق
 أحد عشر عامًا طوالاً .. وتبوأ مقعده ومن حوله
 الأميرة والجواري يحركن مفاوحهن ، وينرن
 النرفة بأشمة من مجالهن الفتان ...
 وكان الملك يصير الأميرة فيجب بما يرى حتى

هذين الروسيين المجهودين قُلت :

— ثم كان ماذا ؟

ولقد تخليت أن أكون ذلك الفتى الحاطب
الفقير ... أو أن أستبدل به ... ولكن هيهات ..
لن تجدى ابتهاقي ... إن ذلك لبسيد ...

كان صوت جدتي قد انخفض قليلا علامة
ما أصابها من كسل أو فتور ؛ وكان الصباح ينير
ما حولي فيطفي على غلام الليل ويدعجيوشه أشعثا
وكان هذا الصوت الخافت الضئيل ، وذلك
المصباح المتقيد النير ، يبعثان في نفسي أنى ذلك
الفتى الحاطب السعيد ... الذي لقيه الملك المجهول
هذا فزوجه ابنته الحسنة الفتاة ...

... إن جدتي لو كانت مؤلفة لوجه إليها قراؤها
أسئلة كثيرة يستوضحونها ، تقتضيها كثيرا من
الشروح والتفاني ...

فهذا يسأل عما أتى لك في النابة هذا الذي
الطول لثير ما سبب معلوم

وذاك يسأل عما أخر الأميرة عن الزواج ...
وما لك له سؤال غير هذين ...

وإذا فالتصية — هذه — سخيصة لا خير فيها
ولا غناء !

... ونحن إذا فرضنا أنها سلت من كل هذا
فنزعم بأنها ستسلم مما يسووجه إليها من أسئلة
أخرى ؟ بل وما يدريك ، فربما انتهت — ظنون
القراء بها — إلى اتهامها بتهمة التبشير بمبادئ
هدامة جديدة لتقويض الاجتماع البشري ... وإلا
فكيف يمكن تزويج فتاة نبيلة من فتى من أبناء
البرحميين الصالحين ؟

وإذا ... فليكتب القراء إلى الصحف يكشفون

عما وراء أقوال هذا القاص الجديد من مبادئ

الهدم وعقائد الكفر والضلال !!

ولقد رجوت أن تبث جدتي في هذا العصر
لترى ما نحن فيه من شقاء !

وسألت جدتي — وأما أخوذ بسحر حديثها —

عما آل إليه أمر الفتى والفتاة ؟

قالت جدتي : وأخذت الأميرة الصغيرة
زوجها الفتى إلى قصر باخ منيف ، وظلت تتمعه
بصايتها وترعاه !

... ودخل الفتى البرهمي الصغير مدبوسا ،
وتلقى شيئا من الفروس فيها على أساتذته هناك ...
واضطل بأقرانه من طلاب الصف ، فسألوه عن أمره
مع تلك الحسنة التي تساكنه في القصر ؟ فإخبرها
بمدحهم إذ لم يكن هو يعرف من أمرها أكثر
مما كان رفاقه يعرفون ...

... إنه لا يذكر إلا أنه جى' به إلى هذا القصر
— ذى الأجنحة السبعة ! — يوم كان في النابة
يحتطب ؛ ولكن تقادم العهد على هذا الحادث الفذ
الريب أتى عنه في ذهنه صورة مطموسة المعالم ،
غير واضحة الآخر ...

ومضت على هذا أربع سنوات أو خمس ...
وأستل أقرانه الطلاب تترى عليه ، ولكنه ضاق
ذروعا بهذه الأسئلة وعزم على أن يعرف جوابها من
هذه الحسنة التي معه ...

وعاد من مدرسته إلى القصر ، وفي نفسه أن
يسأل الأميرة عما يضايقه به إخوانه الطلاب ...
وسأل الأميرة عما أراد ... ولكن الأميرة استمعلته
وضربت له أجلا في غير هذه الأيام ...

في الصموية والاستنلاق ... إن المرء لن يصل إلى
نتيجة مجدية ربح إليها أو يطمئن ...
ولكن عقيدة الطفل لا يزعمها الموت !!
إنه لن يستطيع أن يدحر إيمانها القوي الشديد ...
إنه يريد أن ينال الموت فيختطف منه فريسته
هذه التي أردناها ليخفى في خياله مسترسلا ...

ثم يسمع الطفل الصنير - من جدته -
ما صار إليه جسم الفتى المسكين ، - وهو بين
النوم واليقظة - ... لمل الجسم دفن على شاطئ
من شواطئ الأنهار تنظله شجرة وارفة الظل من
أشجار « الوز »

ثم ينقلب الناس أجفان الطفل الصنير
فيسترسل في أحلام النوم بعد أن استرسل في
أحلام القصص الخيالي الجليل ...
« بناد » فخرى شراب العسيري

ولم يزل هذا جأبه مها : يسألها عن أمرها معه ،
قستريته إلى أمد غير محدود ! وكان الفتى يلحف
في السؤال فلا تردده إلا امتناعاً عليه !
... واعتزم أن يترك القصر التامض الحبيب
إن أسرت الأميرة على عنادها هذا ، وأخبرها بما
اعتزم إن لم تحبّه بما يريد ...

خاق الفتى بالوقت الطويل ... أنه لا يكاد
ينصرف إلا في بطء شديد ؛ وكلا استمجل الأميرة
ذكرته بالوعاء المضروب ، فيصير مضطراً إلى حين
وفي نفسه لواعج تضطرب ومهوم ...

لقد كان موعد الجواب بعد طعام المشاء ...
حيث يأوى إلى فراشه لينام ... ها قد أذقت الساعة
إذ تناول عشاءه وانصرف إلى غدعه ليعلم لالينام .
قالت جدتي : ودخلت الأميرة غدع الفتى وهي
تستحضر له في نفسها الجواب ... ولكنها ...

فلت لجدتي والحنف قد أخذ مني مأخذاً كبيراً
حتى كاد قلبي يقف عن وجيبه الشديد الذي كان قد
استولى عليه :

— ثم ماذا ؟ !

قالت :

— لقد كان الفتى ناعماً في غدعه ... إنه لم
ينتظر حضور الفتاة ... أو قل إن الأقدار لم تجعله
ليسمع الجواب الذي تلهف لسماعه هذا الأمد الطويل
إذ تسالت إليه أمي بين الزهور للثورة على مرقد
ولمغته ، فنام نومه الأبدية .. لقد مات المسكين ..

— ثم ماذا ؟ لا شيء ... وما الفائدة من
الاسترسال في الحديث ؟ إن الأمر سيسترسل

المجموعة الاولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى
المصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأركان توفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلدة

خلاف أجرة البريد

قِصَّةٌ صَنِيفًا

للكاتبة القصاصي سَيِّفَانِ زِيَّاج
بقلم الأديب أحمد فحفي عبد الوهاب

بلدان لم يستقر في مسكن دائم
علمة أعلوم ، وتترك بسهولة أن
لا مكان له بين قراصة الجبال الذين
يتزينون بمجوهرات المدن بأكلها
أثناء رحلة واحدة من رحلاتهم .
يتذوق الفنون جميعاً يجذب نحوها
هوى عميق ، ويسده عنها ازدراء

واضح أقوى من جبه لها . قضى آلاف الساعات
الفريدة متجولاً في رياضها دون أن يهتم بأن يتفق لحظة
واحدة يخلق فيها عملاً يذكره به . يحيا على هامش
الحياة نافرأ من الالتئام إلى أى المجامع ، لأنه — كما
يعتقد — كنتيجة لآلاف التجارب المختلفة ، تبدد
الثروات المخزونة بها دون خليفة يمتلكها بمجرد أن
تخمد أنفاس أعضائها

حدثته في هذا الأمر إحدى الأمسيات وكنا
جالسين في شرفة التزل بعد الفداء راقب كيف
يتلاشى أمام أعيننا برقي البحيرة رويداً رويداً
اجتمعت وقال :

« قد تكون على حق . وعلى الرغم من ذلك فإنني
لا أعتقد في الأفكار كريات . فني اللحظة التي تفارقنا
التجربة فيها ، تنمى وتلاشى . ألا يتبدد الشعر
ويضي أيضاً بعد عشرات ومئات السنين ؟ ولكنني
سأقص عليك اليوم أمراً قائماً يجيل إلى أنه يصلح
لأن يؤلف قصة سارة . تعال ، فاله بفضل أن
يتحدث في هذه الأمور أثناء راحة على الأقدام »
سرنا والطريق المنيوب المجاور للشاطئ تفرمه
ظلال الصنوبر والبندق السردية ، وتتألف من بين
أغصانها البحيرة اللامعة ، ويقع كالمسحوب من

أمضيت أغسطس من العام الماضي بكارينيا ،
إحدى تلك الأيام كن المجاورة لبحيرة كومو التي
تحتفي بهيجة على حافة التلال في هدوء وسلام حتى
في أحب أيام الربيع

وفي تلك الأسابيع الفائقة كانت هذه المدينة
المشييرة المنزلة عطرة ، وكان فندقها الوحيد خالياً
من النزلاء دائماً ، وكان كل من النزلاء القليلين
يجب في نفسه سراً : لم اختار الباقون هذا
المكان للمنزل لقضاء عطلة الصيفية ، ويتبادل
صباح كل يوم : لم لم يرحوه بعد ؟ وكنت أجب
أنا أيضاً من سيد تقدمت به السنون ، يجره عن
الباقين حسن بزه ، ويظهر من سياه أنه إما سياسي
انجليزى صميم ، أو فرنسي جوال . مضت أيام
إقامته بينما دون أن يسمح بالاشتراك في أية تسلية
عملية ، ولا يترك إلا متأملاً دخان سيجارته يتصاعد
في الجو عالياً ، وفي بعض الأحيان يقلب صفحات
كتاب :

وفي أحد الأيام الفائقة التي لا تحتمل جمعت
بيننا الصراحة وشرق القصد والحرية القلبية المتبادلة
فلم يكن للفرق بين عمرين من حساب . فهو ليفوني
الوفد ، بدأ تعليمه في فرنسا وأعنه بالجنس ؛ جواب

التطير كانا تنسجان السامة واللؤلؤ . وكانت تجلس بينهما فتاة تبلغ السادسة عشرة من عمرها تقريباً هي ابنة إحداهما ، وإن كان يسر معرفة ابنة أختها ، لأنها كانت غير سهلة وقد بدت سحتها النسوة شاحبة باهتة ؟ غير أنها كانت في الحقيقة ممشوقة اللد ، نحيفة لم تنضج بعد ، لا تمي بارتياء نياها في ذوق ، إلا أن حنيناً بائساً يروعك انبساطه من عينا البراقعين اللتين تنفضهما مضطربة إذا حلق فيهما عذق ، ويغفق ضياؤهما في بلاذة وقور . وكانت دأمة التطير ، ولكن في بطنها ، كأعما الناس يدب في أمهاتها التي سرعان ما تسكن ، وتسترسل في أحلامها مخلقة في صفحة البحيرة البراقة

« ولست أدري ما الذي أثر في نفسي وحرك عواطفني نحوها . أكانت تلك الفكرة المألوفة المحنة التي سرعان ما يتحدر يال من يرى الأم القابلة القابلية بجوار الابنة ، وقد بدأت تنفض زهرتها وتبتلع ؟ أم كانت فكرة أن كل خد تنظره التجاعيد ، وكل بسملة تنتمى إلى السامة ، وكل حلم آخره الخمية ؟ أكانت تلك الرغبة الجامعة الراحة التي تحتال الفتاة جاهدة لإخفاءها ولكنها تنذر بها ويوشى سرها ما تم عليه ملاعها ؟ أم أن التي أدهشتني هي إحدى تلك اللحظات الفريدة المجيبة الخالدة في حياة فتاة يافعة ، حيناً تجمحن في الكون يدفعها الشوق والحنين ، بائسة عن المجهول الذي تشر أنه ينقصها ، عن الشيء الوحيد الذي تسمى لو تملقت به كفضة يحملها التيار ، وبعد ذلك ، تدبل وتدوى وتبتعد ؟

« وجدت نفسي مسوقة إلى مراقبتها لا كشف

ورائها يلاجلو متسكة عليه الأشعة المادية من الشمس وقد قاربت اللبيب ؛ وهناك بعيداً في أعلى ذرى التل القائم يلعب جدار فيلا سريلونا وكانت الحرارة محتملة ، نحينا الظلال منها مثل ذراع حساء ، وقد عبق الهواء بطورود غير منظورة وابتدأ ناكلاً :

« سأعترف لك قبل كل شيء ، غنى الآن لم أجد لك بسر . فن عدة سنين خلت كنت هنا ، هنا في كاديتيا ، في مثل هذا الفصل ، ومقيم في النزل عينه . وستدعش ولا شك فقد أخبرتك أنني أتعجب استعادة ذكريات تجاربي في الحياة » وبالطبع كانت كاديتيا إذ ذاك منزلة كما هي الآن . وكان يقيم هنا أيضاً ذلك السيد الذي من ميلان ، والذي يظل طول اليوم بصيد السمك ليطلق سراحه في المساء ، وهكذا كل يوم . وكان من بين المقيمين هنا سيدتان إنجليزيتان عجوزان كان وجودهما سبب الاحتمال ، وشاب ظريف وفتاة شاحبة نسحر الحب ، لا أعتقد اليوم أنها زوجته من فرط ما كان يظهر للبيان أن كلا منهما يبادل الآخر حباً مبرحاً . وكانت تقيم في النزل عائلة من شمال ألمانيا يميزها الجلد الباس ، مكوة من سيدة مسنة ، كثنائية الشمر هزيلة ، قبيحة الحركات متناظرتها ، تصوب من عيناها نظرة حادة كالنولاد ، ولها فم مستقيم قبيح كأنها شرط ببراءة ، تراقبها سيدة أخرى أسن منها ، ولا إخالى مخطئاً إذا قلت إنها أختان ، فالسحنة واحدة إلا أن الثانية أهزل ووجهها أكثر تجمداً . وكانتا تجلسان معاً ، ساكتتين لا تفوهان بكلمة ، عاكفتين على

السيدات التقدّمات في السن من الطبقة المتوسطة
 « طرأت على فكرة غريبة ، فكرت أنها
 فتاة صغيرة طاهرة ، عديمة التجارب ، وبأنا كيد
 ترور إيطاليا لأول مرة التي هي بالنسبة للألمانين
 (وشكراً لشكسبير لأنه لم يذهب إليها بتاتا)
 أرض الحب الخيالي والمجبن ، والنامرات السرية ،
 والخناجر اللامعة ، والساخر والوثول ، والمخاطبات
 الرقيقة ... وبكل تأكيد إنها تحمل بكل هاته
 التراميات . ومن ذا الذي يفهم أحلام فتاة شابة ،
 تلك الخيالات السابعة في عقلها على غير هدى
 وبصيرة كالضباب ، أو كالسحب وقت التروب
 عند ما يلهب لونها مبتدئا بالوردي مُنهيًا بالأحمر
 القاني ؟ ولا شك أن اعتقادها - كما هداني تأمل -
 أن لا شيء في الوجود محال تحقيقه . وعلى ذلك
 عزمت على أن أخترع لها حبا مجهولاً
 « في ذلك المساء حررت لها خطاباً رقيقاً ملائم
 بالذلة المحبة في غير إصراف ، لا أطلب فيه شيئاً ولا
 أعد بشيء ، خطاباً مبهماً في إسهاب ولكن بتحفظ ،
 وبالاختصار كان خطاب حب خيالي كقصيدة من
 النزل ... ولا كنت أعلم أنها أول من تبادل إلى
 منضدة الافطار كل صباح ، فقد أخفيت الخطاب
 بين طيات منشفتها
 « وفي صباح اليوم التالي راقبتها وأنا واقف
 بالحديقة ، فرأيتها وقد بنتت من المفاجأة وظهر عليها
 الخوف حينما قرأت الخطاب ، والتهبت وجنتاها
 الشاحبتان احمراراً ، وتدرج الاحمرار فصبح جيدها
 ونحرها ، وأخذت تلتفت حولها حائرة وقد اضطربت
 حركة يديها ، عند ما أخفت الخطاب وهي تخلص
 النظرات ، وجلست في مكانها هاجمة مضطربة ،

عن سر تلك النظرة الحائلة للبلبة بالمرحوم ، لألاحظ
 تلك الحالة التي تترتبها فتدفع بها لملاحقة كل قطة ،
 وتذلل كل كلب في إصراف ؛ لأميط اللثام عن
 هذا القلب الذي يحرك لفتها على عمل كل شيء
 ولكنها لا تتم شيئاً ، عن هذا الحساس الشديد حينما
 تريد أن تلمهم الجمليات القليلة الوجود بمكتبة
 النزل ، أو عند ما تنفقس حالة في ديوآنى بيته
 وبومباش وما الشاعران للرهنا الحس الحقيقي
 الملاحظة ...

— ولكن لماذا أراك تبتسم ؟

— وكان على أن أبري نفسي فقلت :

ليست إلا المقارنة بين بيته وبومباش

« فقلت : آه ، نعم ! مضحك ولا شك ، ولكنه
 على تقيض ذلك . صدقني أن فتاة صغيرة في مثل سنها
 لا يهمها أن تقرأ شعراً ، رفيعاً كان أو حقيراً ،
 واقفياً كان أو خيالياً ؛ فالشعر للتمتعين ليس غير
 كؤوس يطفنون بها غلامهم ، فإنهم لا يعبأون
 بكرمة النبيذ ما داموا قد سكروا قبل أن يشربوا .
 وهذه الفتاة كان يمتزجها الشوق المفقين ، يتم عنه
 وميض عينها ، وارتماش أناملها ، وعدم استقرارها
 وتردها كما لو كانت تود لو تطير ، ولكن يقمدها
 الخوف . فكنت تراها تحن لمن تبادل الحديث ،
 عماها تنفس عن بعض عواطفها المكبوتة ، ولكن
 لم يكن هناك غير وسوسة الإبر تذهب لليمن ثم
 للشمال ، وسكوت السيدتين البارد القصود
 « هن في الحنان نحوها ، ولكن كيف يمكنني
 الدنو منها ؟ وماذا يصنع رجل في خريف حياته
 لفتاة في ربيع حياتها ؟ وقد محّا كل إمكان في تقديم
 نفسي كراهتي للعائلة ، وبخاصة بفضي التقرب من

— بعد سنين من تجارب الحياة — أشمر بأنه لا يوجد سرور أخطر بل أفق من وميض أول أشعة الحب في عيني فتاة

« رأيتها مرة أخرى جالسة بين المجوزين ، تطرز بأصابع مرهقة ، ولا حظت كيف أنها كانت تتحسس صدرها من وقت لآخر ، حيث تخفى الخطاب ولا شك

« وفي هذا المساء كتبت إليها خطاباً آخر ، وصرت أكتب إليها كل يوم ، حتى تخفى وخبلي لي التبرير عن شعور شاب في خطباتي ، لأخترع جوهر عاطفة هبة خيالية . وأصبحت رياضة نهزي ، كالصبايين يسرون حيناً ينصبون شبا كهم لفرسهم في الخلاء ، ولا يمكنني أن أصف لك جزى من أن التجربة التي بدأتها بتحرير تلك الخطابات لا تتم

« تبدلت مشيتها فأصبحت تخطو في خفة وسرور مطلقين ، وغطت ملامح وجهها مسحة من الجلال الشاذ المضطرب . ولا شك أنها تقضى ليلاً مثلهمة مترقبة خطاب الصباح ، لأنه في وقت الانقطار كانت عينها تلبان ذابنتين غير مستقرتين يخفق وميضهما . وقد ابتدأت تنمي بنفسها ، ترن شعرها بالورود وتتجسس كل شيء في رفق وحنان عجبين ، وتتم نظراتها عن تساؤل دائم ، لأنها شمعت ولا شك — من البيت الذي كنت أسطره في خطباتي — أن الكاتب بل الملاك الذي يُحسّلُ النسيم الحائناً تُشجها قريب منها ، ولكنه غير منظور . وغت سعادتها وترعرعت حتى أن السيدتين الخاملتين لاحظتا التبرير الذي بدا عليها ، وكثيراً ما غصتا النظر عن تودد خديها وحركة أصابعها العنيفة السريعة .. وأخيراً تخلس التبريد كل منها . وقد عمق صوتها وبدا أوضوح وأقوى وأجسر ، وفي حلقها نبضة

وحاولت أن تتفوق إظهارها ولكن هبات ، فقد أسرعت في الاختفاء ، ولا شك أنها خرجت باحثة عن أي مكان منفرد تخفيه الظلال كي تتمكن من قراءة الخطاب الخفي النامض مثني وثلاث ... كما تريد أن تقول على ما أرى ... ؟؟ »

فقد بدت في حركة على أن أوقفها :

« يلوح لي أن ذلك انتهى عدم التبرير . ألم تفكر في أنها قد تستعلم من الخادم كيف وضع الخطاب في منشقها ، أو على الأقل تظهر والبتها عليه ؟؟ »

« من الطبيعي أنني فكرت في ذلك ، ولكنك حيناً ترى تلك الفتاة المزجة ، الحياة ، الخائفة ، التي تلتفت حولها فقة إذا ارتفع صوتها أكثر من المعتاد عند ما تتكلم ، يذهب عنك كل شك ، وإياه يوجد قنات قنات السرية ، يمكنك أن تذهب معن إلى أقصى غاياتك ، لنمغنن ، فيفضل أن يتحملن قسوة التجربة الملوثة ليهن على المجازفة في أخرى مجهولة

« وقد ارتحت عند ما رأيتهما تخرج ، وطربت

لنجاح تجربتي

« وأخيراً طوت ، وبنته شمعت بالهم الحار يتدفق في كياني . الآن تنبرت المشية ، بل تنبرت الفتاة بأجمها !! قد دنت في حيرة وخزي وانحنين ، ينم عنهما موجة متأججة غضبت وجهها ، ينها حيرة حلوة مستحبة وبكت كل حركة منها . بقيت طول اليوم على هذه الحالة ، تنفرس في كل شباك ، كما لو كانت تستمر فيه على السر النامض ، وتتطلع إلى كل مار بجوارها . وصرة نظرت إلى ، وبكل حكمة مجنبت نظرتها حتى لا أفضح سري . وفي لحظة أحسست لهيب تماؤلها قارت بكت .. وللمرة الثانية

المتنظر . ثم أسرع في الابتعاد متلفتة حولها ثانية .. إنه الكفاح الأزلي بين الإرادة والخوف ، بين الرغبة والمار ، والأخوى فيه دائماً هو ذلك الضعف الحلو اللذيذ

« ومن الواضح أن الشاب قد تشجع ، وبالرغم من العجب الذي أسابه ، أسرع في أثرها . فتولاني خوف من أن كل شيء قد ارتبك واختلط . وفي هذه اللحظة ظهرت السيدتان الألمانيتان على رأس الطريق ، فأسرعت الفتاة نحوهما كالطير المذعور . فقهقر الشاب بمحذر ولكنه التفت مرة ثانية والتفت نظراتهما اللطبة التي أصابت كلا منهما في الصميم

« وفي أول الأمر نهيتي هذه الحادثة إلى أن أنهي هذا الدور الذي كنت أعبه ، ولكن التجربة كانت لم تزل على أشدها ، وغرمت على أن أغتم هذه الحادثة . في الساء حررت لها خطاباً مطولاً أكدت فيه حبسها ، وكنت سعيداً جداً بأفنى سأضرب عصافيرين بحجر

« وفي صباح اليوم التالي ، راعني منها تلك النظرات الحائرة في عينيها ، فقد خضمت تلك الجيلة الضجور لسكون عصبي غامض ، واحمرت عيناها وتندت من كثرة الهموع التي انسكبت ، وكأثما سكن في أعماق أعماقها ألم قاتل . وخيل إلي أن سكوتها هذا كالهدهد الذي يسبق الروبة العاتية ؛ وبدأت أشعر بالغثية بصد أن كنت أبني السرور الخالص ، فلم تطع الرافضة ولم ترقص كما كنت أود « أمنت النظر في كل احتمال ، ولكنني لم أعتد إلى حل موفق . وبدأ يروعي نصيبي في هذه المسئلة ، ولكنني أعجب نظراتها الشاكية الباكية . لم أعد إلى النزول حتى المساء . فلما أبت تذكرت كل

ترجف دائماً ، كما لو أن أغنية تود لو تنفجر وتسيل مستمرة مثل ... ولكنك تبسم مرة أخرى ؟! » « لا لا أبداً !! تفضل بالاستمرار ، كنت أفكر فقط كيف إنك تجيد قص كل هذا . واسمح لي أن أقول لك أنك ذكي ، ويمكنك بكل تأكيد أن تكتب القصة كأشهر روائيينا » « تريد أن تقول لي بكل أدب وحذر إنني أقص القصة — مثل كتابكم الألمان الأعزاء — بأسلوب مشرق ، ثرثر ، خيالي ، مطول . نعم وقد أكون أسرع !!

« وأخذت أبعد الشبهة عني بمنتهى الحذر والنفطنة . وقد أبت لها في خطاباتي أن المرسل لا يقيم في كارينيا ، بل في إحدى الصحاح المجاورة ، وأنه يأتي كل يوم إلى كارينيا إما بالقارب أو بالباخرة . فكانت كلما سمعت رنين جرس الباخرة المقتربة ، تنتحل الأعدار وتفلت من رقابة المجوزين وتندفع نحو البحيرة ، وفي ركن الرصيف تقف — وهي ممسكة أنفاسها — ترقب التازلين

« وصرة بمد ظهر أحد الأيام الراكدة — ولم يكن لي ما أفضل من مراقبتها — حدث حادث هام : ذلك أنه كان بين القادمين شاب مهتم يرتدي زي شبان الإيطاليين في غاية الانسجام والألفة ، وعند ما أدار طرفه بين المستقبلين ، التفت نظره بتلك النظرة العميقة الباحثة في بأس وقنوط ، المتسائلة ، نظرة فتاتنا الصغيرة ، وسرعان ما امر وجهها الصغير من فرط الخجل

« تربت الشاب وانته — كما يحصل دائماً لكل من تصادفه مثل تلك النظرة النافذة — وتهدثم أخذ يقترب منها ... أما هي فانسابت بين الأشجار ثم وقفت قليلا لتتحقق إذا كان هو المرز

في هذه الحالة ، عند ما يحين الوقت الذى فيه تروج من شاب متمدن متوسط الطبقة قاضل ، لا يتأثن في غيلتها إلا الورود اللطيفة الياقة والأحلام الخفيفة الجامعة حول الزوج العزيز ؛ أما حقيقة الحياة ومراراتها فلن تمر لها بخاطر ... لا ... لا ... أنا لا أسر بالفنأة الصغيرة »

« هذا غريب ! ولا أدري أى سرور تجده في الشاب ، فإن مثل تلك النظرات اللطيفة تصادف كل إنسان في شبابه ، إلا أن معظمهم لا ينتبهون لها مطلقاً وبعضهم يفسونها سريعاً . ويجب أن تتقدم بالمرء السن حتى يعلم أنها ربما كانت أشرف وأعمق تجارب الوجود وأعظم امتياز مقدس لعهد الشباب ... »

« إنه لا يرضيني الشاب الصغير أيضاً ... »

« إذن ؟ »

« سأحدد موقف الرجل المجوز ، كاتب الخطابات ، وأصور مقاومته ... لا أظن أنه يوجد مخلوق مهما بلغت به السن ، في قدرته أن يحور الخطابات الترامية اللطيفة ويحلم بالحب ثم يخشى اللوم والتفريع ... سأحاول أن أصف — مستنبطاً من مجرد الحقيقة — كيف تنمو الماطفة وتزعزع تقنيده به وتسلط على تفكيره وتصرفاته في الوقت الذى يجيل إليه فيه أنه السيطر على عواطفه الضابط لها ... فجاء الفنأة المشرق — في الوقت الذى يعتبر نفسه كالمتفرج اللاهية به — يجذبه ويسببه ، ثم يؤثر فيه ويسكن في أعماقه البعيدة ، وعند ما يفقد كل مقاومة ، تنبه فيه رغبة جاعة للزوال والهروب ولكن هيئات ... وتلك هي الهواة ؛ وهذا الرد فعل (الانكسار) للحب — الذى يجعل الماطفة في المجوز والشاب متشابهة تماماً — هو الذى يسرنى »

« سأصور شعوره بالخوف ، وسأظهره غير مستقر ، يضرب في الأرض باحثاً عنها عسى أن

شيء . فالثابت لم تشغل ، والمائلة قد رحلت ، وهى قد أرغمت على الرحيل دون أن تتمكن من التمتع بكلمة واحدة يسرها لها الحبيب ، ودون أن تلمن لقونها كيف أن قلبها سكن يوماً واحداً بل لحظة واحدة إلى حبيبها اللبود . استيقظت من حلم حلو لبيد لتروح إلى إحدى القرى القابعة تحت أحلامها الخائبة .

« فأتى كل ذلك ، والآن يهمنى ويشغنى المار تلك النظرة الأخيرة الباكية ، وهذا المزيج الخفيف من الغضب والمذاب واليأس القاتل والأسف الحاد الذى سينتهى لها بسوء تصرفى »

أحاطنا القليل بظلمته ، وتسرّب ضوء القمر — الذى يطل بنصف وجهه من بين السحب — من بين الأشجار كالحبات تسمى ؛ وزاد المكان روعة شحوب النجوم وسكون البعيرة اليتة . مشينا دون أن ينبس أحداً بكلمة ، وقد غرق رفيق في تخيل عميق . وأخيراً قال :

« تلك هى القصة ! ألا تصلح لأن تكون قصة جيدة ؟ »

« لا أدري ، إنها قصة سأحفظ بها بيت قصص الحياة العديدة . وعلى الرغم من قصرها ربما يستريح الانتباه فقرة جيدة تلصق من بين سطورها القليلة . إنها بداية ولا بد من خاتمة لها »

« آه ! فهمت ما ترى إليه حياة الفنأة وعودتها إلى القرية ، والمأساة المريعة في المكان المعلوم ... ؟ »

« لا ... ليس هذا بالقاتل ، فالفنأة لم تنهب بعيداً في مرمى . فالفنات الصغيرات عادة لا يسيبن سروراً إذ يتسبن أنفسهن كالمات التجارب ، ولا سيما وأن موقعهن سلبى . وعلى ذلك فكهن متشابهات . وإليك مثلاً : فالفنأة

« ليلة سعيدة أتمناها لك ، ولو أنى أرى ، أنه من الخطر أن تحكى للشباب قصص ليالى الصيف اللثيرة . إنها سرعان ما تذهب فيهم العاطفة اللطيفة ، وتركهم نهياً للأحلام السخيفة والأمانى الباطلة ... مساء الخير ! ! »

وغاب في ظلام الليل بخطواته التي لم تُخَفِّتْ من وقعة السنون إلا قليلاً . وكان الوقت متأخراً ، ولكننى أحسست بضيق طالما يصفينى لسبب حرارة الليل وفورة الدم في عروقي عند الحركة أو حينما يكون الره صريع تجربة مجهولة — في لحظة محزنة —

فانسبت في الطريق للنظم الموصل إلى فيلا كارلوتا ، التي تتحدر درجاتها الرصمية حتى تقمرها مياه البحيرة ، فجلست على حجر أحسست برودة ، وكانت الليل مجيئاً وأوار بلاجيو التي كانت تنساب من بين الأشجار كالودود المذهب المتوهج تبدو الآن بعيدة بعداً شامساً تلج فوق سطح البحيرة ، وأخذت تحتنى تدريجياً واحدة إثر واحدة حتى لف المكان ظلاماً شامل خفيف . ولم يؤنسنى في وحشتى إلا خفقان الأمواج وهي تصطفق على درجات السلم ، وإلاخفقات النجوم اللامعة في السماء الشاحبة اللانهائية . وبين لحظة وأخرى تتفجر إحدى النجوم وتتوص في ظلام الليل الربيع كالسهم الطائشة . نرى إلى أين تسقط وتستقر ؟؟؟ ... في الوديان والجبال وفي أعماق البحار البعيدة . ولا شك أنها تنقذف بقوة طائشة مثل حياة ألقيت من عل في أعماق أقدار مجهولة أحمد فخمى عبد التواب

براهما ، ولكنه لا يمرؤ على الوصول إليها . سأجمله بكر راجعاً لنفس المكان الرهيب آملاً أن يجدها مرة ثانية ، يستجدي المقادير أن ترحمه ولكنها لم تزل ثابتة على قسوتها حتى اللحظة الأخيرة .. بهذه النتيجة وبذلك الصور سيتم بناء القصة الصغيرة .. « كذب ، خداع ، غير ممكن ... ! »

فزعت وجففت من صوت رفيقى الذي قطع على قولى بقسوة وتهديد ، ولأننى لم ألاحظ عليه من قبل مثل تلك الثورة العاطفية . وفي لمح البصر أخذت أستعيد في تخيلى ما عساى أكون قد جرحت إحساسه به غير وعى منى ، فأنا به يقف فجأة وقد بدت على تقاسيم وجهه آثار الألم الذي يحسه . ورغبت في أن انسحب سريعاً ، وأغير موضوع الحديث ، ولكنه تنبه ثانية وعاد يتم حديثه بصوت هادئ عميق مزجج بمصيبة محبة :

« قد تكون على حق ، وهذا في الواقع سار جداً ، فألم يكلف المجازي غالياً . وأتذكر أن براك قد جعله عنواناً لأحدى قصصه الشجية اللثيرة للمواطن . ولا شك أن كثيرين غيره سيكتبون تحت العنوان نفسه ، ولكن كبار السن منهم — الذين يملون أسرار ذلك — سيقصرون على ذكر وقائع النجاح والفوز دون الاخفاق والهزيمة مطلقاً . إنهم يخشون أن يكونوا سخريه في مواقف لا تنتهى حتى يسكن رقاد الزمن الأزلى . وهل تمتد حقيقة أن تلك الفصول من مذكرات كانازونا ، التي نصف المفاجآت التي تفجأنا في سن متقدمة قد فقدت ؟؟ كلا ... إننى أعتقد أن قلبه ويده قد هما قبل أن يتمها ... »

بسط إلى رفيقى الجوز يده وقد أتم قوله بصوت يَم عن البرود والتحصير :

على النار ورسوميه وهي
تطوى بين اللابيس (

رسوميه - ماري

ألم يتل الحساء بعد ؟

ماري - لم يتل

تماماً يا سيدتي

رسوميه - كان

من الواجب أن يتلى

الآن . إنك لم تلاحظي

النار جيداً أيها الطفلة

ماري - ولكن الذي

أشعل النار هو أنت يا سيدتي

رسوميه - لا يجيبيني بتل

هذه المهجة الجافة

ماري - نعم يا سيدتي !

رسوميه - إذن لا تدعيني

أعود إلى تأنيك

ماري - نعم يا سيدتي !

رسوميه - إني لأعجب أين

يكُون أخي الآن (تنظر إلى الساعة)

لقد جلوزت الحادية عشرة ولم يعد بعد ... ماري !

ماري - نعم يا سيدتي

رسوميه - ألم يترك لي نياقة الأسقف

رسالة ما ؟

ماري - كلا يا سيدتي

رسوميه - ألم يجبرك عن وجهته ؟

ماري - بلى يا سيدتي

رسوميه - (تلفظ ليلاً) بلى يا سيدتي ...

إذن لم أكن أخبريني بذلك أيها المحقق ؟

شَمْعَانَاثَا السَّقْفُ

مُسْتَحْثَرَةٌ فِي فَصْلٍ وَاحِدٍ

لنورمان ماكنيل

ترجمة "الناقص"

زعم القصة

أوائل القرن التاسع عشر

مكانه القصة

فرنسا على بعد ثلاثين ميلاً من باريس

أشخاص

الأسقف

المجرم

رسوميه (أخت الأسقف ، أرملة)

ماري

مناجذ

جنس

المظهر

الطبخ في كوخ الأسقف ، وهو

نظيف ومؤثّر باللائم من الأدوات .

لست نورمان ماكنيل كاتب هذه
الرواية صر كرمط في السرح الإنجليزي
الحديث ، لا كؤلف فاه لم يؤلف غير
روايتين غير هذالرواية ، وإذنا كمثل
يترجم مدونة التتيل الطيبي غير
التكلف

وقد اتبس هذالرواية ذات الفصل
الواحد من قصة فيكتور هوجو
الطبيبة (البؤساء) . وقد أبدى
براعة فائقة حتى ضمن هذا الفصل
الواحد حادثة جانفالن (المجرم) مع
نياقة الأسقف ولكوم Welcome
التي تستغرق الفصول الثاني حتى الثاني
عشر من كتاب فائتين مع المحافظة
على روح القصة الأصلية

يوجد به ثلاثة أبواب : باب إلى البين ، وباب إلى اليسار ،
وباب إلى اليمين . وتوجد نافذة في الركن الأيمن .
وفي أدنى البين موقد تليل ، وأمام باب الركن الأيسر
مقعد من خشب البلوط عليه مخدات ، وتمت النافذة مائقة
عليها أدوات الكتابة وصيلب من الخشب ، وإلى يمين
النافذة ساعة تملأ كل ساعة أيام ، وفي أقصى اليسار دولاب
للطبخ ، وفي الركن الأيمن مائقة للأكل من خشب
البلوط ، ويوجد غير ذلك كراسي وكتب وأشياء أخرى ...
ويظهر في خارج المطبخ منظر غاية تنوية . على رف اللوقد
شمعدانان غاية في الجمال يظهران كأنهما غريبان وسط هذه
الأشياء .

(عند رفع الستار ترى ملوى وهي تلاحظ الحساء الذي

مارى - إنك لم تطلي منى ذلك يا سيدتى
 برسوميه - ولكن ليس هذا بالسبب الذى
 يدعوك إلى عدم إخبارى
 ماري - لقد طليت منى سيدتى هذا الصباح
 عدم الثروة ، ولما ظننت ...
 برسوميه - لقد ظننت ! آه ... يا إلهى ...
 لا فائدة منها مطلقاً
 ماري - نعم يا سيدتى
 برسوميه - ألا تكفى عن « نعم يا سيدتى »
 هذه أيتها البغاء النبيلة ؟
 ماري - بلى يا سيدتى
 برسوميه - ألم يَجْزِكَ الأسقف عن
 وجهته ؟
 ماري - لقد ذهب إلى والدتى يا سيدتى
 برسوميه - أحقاً ذهب إلى والدتك ؟ ...
 لماذا ؟ ... أرجوك
 ماري - لقد سألتى نياحته عن صحتها فأخبرته
 أنها ليست على ما يرام
 برسوميه - لقد أخبرته أنها ليست على ما يرام
 أليس كذلك ؟ ولما غادر أخى البيت دون عشاء
 لأنك أخبرته ذلك . إنك تستحقين الشكر !
 ماري - إن الحساء يتلى يا سيدتى
 برسوميه - إذن أعديهِ في الأطباق ولا تكثري
 من الكلام أيتها النبيلة (كعاد ماري أن تفعل ذلك)
 لا ... لا ... لا ... ليس كذلك ... دعى ذلك لى وضى
 أنت المالح على اللامدة ... المالح القضية
 ماري - المالح القضية يا سيدتى ؟
 برسوميه - نعم القضية ... أأنت صباء إلى
 جانب غباتك ؟ !

مارى - لقد بيعت يا سيدتى
 برسوميه - بيعت ! (بزغ) بيعت ! ...
 أجننت ؟ ... ومن ذا الذى باعها وله ؟
 ماري - لقد طلب منى نياحة الأسقف بعد
 ظهر اليوم وأنت فى الخارج أن أذهب بها إلى السيد
 جرفيه وأيمها منه بأكثر مما يمكن
 برسوميه - ولكن ليس لك أن تفعل ذلك
 دون استشارتى
 ماري - (يحزن) ولكن ، يا سيدتى ، لقد
 طلب منى نياحته ذلك
 برسوميه - إن نياحة الأسقف ليس إلا ...
 | ... | ... ولكن ما سبب حاجته إلى المال ؟
 ماري - عفواً يا سيدتى ولكنى أعتقد أنه
 ماضل ذلك إلا من أجل الأم جرنجوار
 برسوميه - أحقاً الأم جرنجوار ؟ ... الأم
 جرنجوار ! ... تلك الساحرة التى تسكن فى أعلى
 البروة والتى تكسل عن ترك فرائضها للبحث عن
 القوت ، وما حاجة الأم جرنجوار إلى المال ؟
 ماري - لقد مرّ عليها المحصل وأخبرها أنه
 لا يمكنه الانتظار أكثر من ذلك وهددها بالطرد
 إن لم تدفع إيجار مسكنها ، ولما أرسلت جان الصغير
 ليطلب معونة القس و ...
 برسوميه - يا إلهى .. لا فائدة .. لا فائدة ..
 سيضيع منا كل شيء .. فقد بيعت ممتلكاته وذهبت
 مدخراته موزعة كأنه ؛ ولولا مهري الصغير لتناجوعاً ...
 والآن جاء دور عمالي (بنهد) ملاحاتى الجميلة ...
 إن هذا لكثير ... كثير ... (تفجر باكبة)
 ماري - إني لأسفة يا سيدتى ... لو كنت
 أعلم ...

دعيني أترك بها (يغل ذلك) والآن أنبأ الطفلة
هيا أصرى إلى اللز

(تخرج ماري من باب الركن)

برسوميه — لقد عيل صبرى عليك يا أخى ...
هيا اجلس واشرب حساءك فقد برد من طول
الانتظار

الأسقف — ما أبعد رائحتها !
برسوميه — إني لأعتقد أن والدة ماري ليست
مریضة إلى الحد الذى يدعوك إلى زيارتها في مثل
هذه الليلة . و إني لعل ثقة من أن هؤلاء الناس إنما
يدعون المرض حين تزورهم دون أن يفكروا في تنبك
الأسقف — إنها المكومة منهم أن يحاولوا
رؤيتي !

برسوميه — هذا حسن ، ولكننى أعتقد أن
الحسنة تبدأ في منزل الحسن أولا

الأسقف — وقد أعددت في هذا الحساء
الذيذ ! ما أطيب قلبك نحوى يا أخى
برسوميه — إني أرى أيضاً أننى طيبة القلب
نحوك ، ولعلنى إذا تخلت عنك لكنت نحبة كذب
الماطلين والكسالى

الأسقف — إذا كذبتى الناس فهذا دليل على
أنهم أفقر منى ولست أنا الفقير
برسوميه — ولكن هذا تهود ؛ وسأبى اليوم
الذى تصبح فيه معمداً فقد بت كل شيء ... كل
شيء ! !

الأسقف — ما أكثر آلام الحياة يا أخى
المزينة ؛ وإننى لن أستطيع أن أخفف من هذه
الآلام إلا القليل (يتهد) القليل جداً
برسوميه — حقاً إن الآلام كثيرة ولكنك

برسوميه — آسفة ؟ ولله ؟ ... أرجوك ...
إن نياقة الأسقف لو أراد أن يبيع عامله لما عارضه
إنسان ... هيا اغسلى يديك فإنيهما قد كان
مارى — نعم يا سيدنى ...

(تذهب جية الباب ... يدخل الأسقف من باب الركن)
الأسقف — آه ... ما ألق هذا الفء —
إنه يستحق أن يذهب الإنسان خارجاً في البرد
القارس حتى يستمتع بالفء عند رجوعه ثانية !
(تسرع برسوميه وتساعد في خلع سطله في حين تنحى
مارى لتجنبه)

شكراً يا عزيزتى (ينظر إليها) ماذا حدث ... ؟
إنك تكين ... هل ضايقتك ماري (يمز أصبه في
وجه ماري كأنه يبتدعها) آه !

برسوميه — لم تفعل ماري شيئاً ... ولكن ...
ولكن ...

الأسقف — حسن ... ستخبرينى عاجلاً .
والآن هيا إلى اللز يا ماري ... إن والدتك أحسن
من ذى قبل . لقد صليت معها وقد عاها الطبيب ..
هيا أصرى (يضع ماري جاكيت على كتفها وتهم بالخروج)
وإذا كانت والدتك مستترقة في النوم فالزى السكون
مارى — أوه ، شكراً ، شكراً لنياقتك
(تذهب إلى باب الركن وعدها ما فتحه يدفع التلج داخلا)
الأسقف — ماري ... خذى كوفيتي هذه لملها

تفكير برد هذه الليلة القارس
مارى — (يحمل) أوه .. كلا يا صاحب النياقة
برسوميه — ما هذا المراء يا أخى ؟ ... إنها
صغيرة ولن يؤثر فيها البرد

الأسقف — برسوميه ! ... إنك لا تملين
مقدار البرد في الخارج لأنك لم تتركى اللز ... ماري !

الأسقف — وقد رفض المحصل — وهو كما
تلمين رجل عمل لا تلمين عاطفته — رفض أن تبقي
ولو ليوم واحد دون أن تدفع ما عليها ، ولذا فانت
زين أنى كنت مضطراً إلى دفع الإيجار
برسوميه — كنت مضطراً إلى دفع الإيجار؟
(علامة بأس مضحكة)

الأسقف — نعم كنت مضطراً ، ولما لم يكن
مى من المال ما يكفي فقد ضحيت بالمبلغ ... إنه لمن
حسن الحظ أن كانت عندي ... أليس كذلك ؟
(ينسم) ولكننى أسف إذ أحرزتك

برسوميه — إنك لو استمرت على هذه الحالة
الخالطة فسبأى اليوم الذى تتبع فيه شمداناتك
الأسقف (بزم) — لا لا يا أختى ... ليست
شمداناتى

برسوميه — ولم لا ؟ أعلن أنها تكنى لدفع
إيجار بعض الناس

الأسقف — إنها لحسنة منك يا أختى أن
تفكرى فى ذلك ولكن ... ولكنى لن أبيعها ...
لك تلمين أن والدنى قد أعطتها وهى على سرير
الوت بعد ولادتك مباشرة ، وقد طلبت منى أن
أحتفظ بها لأذكرها دائماً ، ولذا فلن أبيعها ...

ولكن لطفى غطى فى الإبقاء على مثل هذه الثروة
برسوميه — أختى ... أختى ... إنك تعلق قلبى
حزناً (بصوت بك) كنى يا أختى ولا تقل شيئاً ...
هيا قبلنى وأعطى بركتك فساذهب إلى الفراش
(يقبلها ثم رسم علامة الصليب وضم يمين الأديمة بينا
تلقى برسوميه المولاب للفتح ثم تعب إلى الباب الأيمن)

لا قرأ كثيراً فتسب عينيك

الأسقف — كلا يا عمنزنى ... مساء الخير
(تعب برسوميه من الباب الأيمن ونسب الأسقف إلى

لا تفكر فى الآلام التى تسبها لن يحبوك ...
الآلام التى تسبها لى أنا

الأسقف — لك أنت يا أختى العززة ؟ هل
أذيتك ؟ ... آه ... لقد تذكرت أنك كنت تبكين ؟
أ كان ذلك خطأ ارتكبته نحبوك ... لم أكن أقصد
إلى إيذاك ... إلى أسف

برسوميه — أسف ... وهل يستطيع الأسف
أن يصلح ما حدث ... ؟ هيه ... هيا اشرب
حساءك قبل أن يبرد

الأسقف — حسن يا عمنزنى (يجلس) ولكن
خبرينى ...

برسوميه — إننى لا آمن عليك وأنت بيد عن
نظرى كاطفل سواء بسواء ، فقد انتهزت فرصة
غيابى وأرسلت هذه التبية مارى لتبيع المبلغ القضية
الأسقف — آه ... المبلغ القضية ... إلى
لأدوب شفقة عليك فقد كنت ... كنت تغفورة بها
برسوميه — إنها تراث عائلى قديم ، ولذا

كان من الطبيعى أن أنفري بها
الأسقف — إنى لأشفق عليك فقد كانت
ملحات قديمة ، ولكننا نستطيع أن نستعمل
ملحتان صينية بدلاً منها

برسوميه — نعم نستطيع ذلك بل ونستطيع
الأنجد ما نأكله ، وستكون هنه خاتمتنا ...
إنى لأعجب من جرأة تلك الجوز الأم جرنجوار
فقد وجهت إليها بضع كلات قسايات كنت أحسبها
ستبمدنا عنها شيئاً

الأسقف — نعم رفضت طلبى حيناً أردت
أن تبقى بيننا بضمة أيام وقالت إن هذا ربما يسوءك
برسوميه — يسوءنى !

المجرم - وأنى لي أن أعرف صدق هذا القول؟

الأسقف - لقد أخبرتك أنا به

المجرم - (ينظر إلى الأسقف طويلاً) هيه ... سأخطر بمجرى

الأسقف - (يلعب إلى الباب الأيمن)

المجرم - ولكن لا تحاول أن تخدعني فانك إن خدعتني فصران ما أغرس خنجرى هذا في قلبك . ولكن متيقناً من قولى هذا يقيناً أن جهنم مليئة بالشياطين . وتعلم أنى لي أخسر شيئاً إذا ما قتلتك

الأسقف - إنك ستفقد روحك يا بني وهي أعلى من قلبى (ينادى عند الباب الأيمن) : برسوميه برسوميه

المجرم - (ينفخ خلف الأسقف على استعداد للقتل)

برسوميه - (من الداخل) نعم يا أخى

الأسقف - أرجو إن لم تكونى قد خلعت ملابسك أن تحضرى لفتح البواب حتى أقدم عشاء للجوال فقير قد عضه الجوع بناه

برسوميه - (من الداخل) فى مثل هذا الوقت المتأخر ؟ ما أجل هذا العمل ! ألا تستطيع النوم قليلاً دون أن زعمنا أحد هؤلاء الرحل الذين لا يجدون عملاً ؟

الأسقف - ولكن الجوال جوعان برسوميه

برسوميه - (من الداخل) حسن ! سأحضر (عند ما تدنل برسوميه من الباب الأيمن ترى الخنجر فى يد المجرم تقول بزع) أخى ما الذى سيفعله بهذه السكين ؟

الأسقف - السكين ... آه ... لعله حسبنى

قد ... قد بمت سكاكيننا (ضحك بهود)

(٧)

الثالثة حيث يفتح كتاباً ثم ينظر إلى السماعات (إنها تكفى لدفع إيجار بعض الناس ... إنها لحسنة منها أن تفكر فى ذلك) يلب النار ويصلح للمصباح ويرتب بسى السكب والأوراق ثم يجلس ولكن تظهر عليه عدم الراحة وتروه رعدة خفيفة . تدق الساعة فى الممرج الثانية عشرة فيجلس ليرأ . تسمع أثناء ذلك موسيقى

المجرم - (يدخل متصمماً وفى يده خنجر كبير ويقتل خلف الأسقف) مستصيح جثة هامدة إن حاولت المصباح

الأسقف - ولكن لم أصبح أبها الصديق وأنا - كما ترى - ماض فى قرأتى ... هل من خدمة أستطيع أن أقدمها لك ؟

المجرم - (بخشونة) أريد طعاماً فانى أموت جوعاً ... لم يدخل جوفى شئ منذ ثلاثة أيام ...

قدم إلى الطعام سريعاً ... سريعاً عليك اللعنة !

الأسقف - (متلهفاً) نعم يا ولدى سأتيك بالطعام حالاً ... انتظر قليلاً حتى أطلب من أخى مفتاح البواب (ينفخ)

المجرم - (يجلس مكانك !) (يجلس التيس ميتاً) لا شئ من هذا أبها الصديق ! لست بالطائر الصغير حتى تقتنصنى بمض الحب . ستطلب من أخذك المفاتيح أليس كذلك ؟ خذعة مسبوكة حتى تستطيع إيقاظ كل من فى البيت . ها ها ! ما أحسنها هذه المزحة ! أرى أن الطعام فانى لا أحتاج إلى مفاتيح . إن فى بطنى ذباً يقطع أحشائى . أسرع وأخبرنى أين الطعام

الأسقف - (غلباً منه) كم أود ألا تتلق برسوميه هذا البواب ! (غلباً المجرم) لم الخوف يا صديقى ولا يوجد فى المنزل إلا أنا وأختى ؟

دون إغلاق ؟ إن ذلك يجعل دخول أى شخص هنا من السهولة بمكان .

الأسقف — وهما هو سبب تركها دون إغلاق
المجرم — حسن ، لقد أغلقت الآن

الأسقف — (يتهدد للرة الأولى منذ
ثلاثين عاماً

المجرم — (يأكل بشره ثم يرمي إحدى النظم
على الأرض)

برسوميه — أوه ! البلاط الجميل النظيف !
الأسقف — (ينفض البسطة ثم يضعها في أحد الأطباق)

المجرم — ألا تحبني اللصوص ؟

الأسقف — إنى أشفق عليهم

المجرم — تشفق عليهم ؟ هاهاها ! (يجرع
بعض الخمر من الزجاجة) هذا جميل ، تشفق عليهم ،
هاهاها ! (يجرع بعض الخمر) (فجأة) ماذا تكون

بحق الشيطان ؟

الأسقف — إنى قس

المجرم — هاهاها : قس ، يا المعنراء المقدسة ،
قس ، حسن ، لقد أصبحت مملوكة .

الأسقف — تستطيع أن تكون مباركة .
برسوميه تستطيعين أن تتركينا وحدنا وأظن أن
صديق هذا لن يمنع في ذلك

برسوميه — أترككم مع ...

الأسقف — أرجوك ... إننا نستطيع إذناك
— صديق وأنا — أن نتكلم بحرية أكثر من الآن
المجرم — (بسبب الجوع يكون في هذه الأثناء قد

تأثر بشمل الخمر) ما هذا ؟ أترككنا ؟ نعم ، نعم ،
فتركنا ، مساء الخير فاني أود أن أحدث القس ،
القس ، هاها (يضحك في أثناء شربه ويضحك)

برسوميه — (مسرة إلى الأسقف) أخي ، إنى
فزعة ، ألا ترى نظراته إلينا يتطالع منها الشر ؟

المجرم — ألا تسرعان ... هيا أحضرا الطعام
وإلا أغلقت سكتين في جسمكما كليهما وفردت

الأسقف — أعطني الفاتح يا برسوميه
(تعطيه إياها) . والآن ، يا عزيزتي ، في وسلك أن
تذهبي إلى فراشك (تم برسوميه بالهتاف إلا أن المجرم
يقفز حتى يقف في طريقها)

المجرم — قتي ! ظني ينادر أحديكما هذه الترفة
قبل أن أفعل أنا ذلك (تنظر إلى الأسقف)

الأسقف — أظن أن هذا الصديق الهمدب
(Gentleman) يريد أن تمنعني وتجالسني أثناء
الطعام فهل أنت قاعلة ؟

برسوميه — حسن يا أخي (تجلس إلى اللائدة
وعى تلاحظها)

الأسقف — هاك طبقاً من اللحم وزجاجة
من الخمر وقليلاً من الخبز

المجرم — منها على اللائدة وقف أمامي حتى لا
تغيب عن ناظري

الأسقف — (يشل ذلك ثم يخرج درج الهولاب
ويخرج منه سكينه وشوكة ثم ينظر إلى المجرم في يد المجرم
المجرم — إن سكينتي لحادة (يمزجه على حد
الخنجر وينظر إليها نظرة ذات معنى) أما عن الشوكة
(يمكنها يده) باه ! حديد (يرميها بعيداً) لم تكن
لنستعمل الشوكة في السجن

برسوميه — السجن ؟

المجرم — (يقطع من اللحم قطعة كبيرة مستطيلة
في ذلك أصابعه وكأله حيوان جائع) ما هذا؟ ينظر
إلى الباب) لم يحق للشيطان ترك التوافد والأبواب

وكانت سنة ما أشدها ، وكانت زوجتي ، حبيبي
جانيت ، كانت مريضة تموت (فترة ست) ولما
سرت لأشتري لها طعاماً (فترة ست طولة
يرت الأسقف على يده بلف) قبضوا عليّ وكان
جوابهم مع دقائق وعن ذكر سبب السرقة الحكم
عليّ بالسجن عشر سنوات في سفن السجن (فترة
سكون) عشر سنوات في الجحيم . وفي نفس الليلة
التي قبض عليّ فيها أخبرني السجن أن زوجتي حبيبي
جانيت ... ماتت (تضرب كاه من التضب) آه ...
عليهم اللعنة ... عليهم اللعنة ... فليعلمهم الله جيماً
(ينسى على اللعنة وهو يكي)
الأسقف - أخبرني الآن عن سفينة السجن .

عن الجحيم
الجرم - أخبرك عنها ؟ اسمع ... لقد كنت
رجلاً يوماً ما ... أما الآن فلتس إلّا حيواناً ضارياً
وهم أنفسهم الذين جعلوا مني ذلك الحيوان ... كانوا
يقيدوني بالسلاسل كالحيوائل المفترسة ويجلدوني
كالكلاب سواء بسواء . كنت أعيش على الأقدار ،
وكان جسمي منغلي بالمخثرات الطفيلية ... كنت
أنام على ظهر السفينة وكنت أنالم . ثم أخذوا
يجلدوني ثانية . عشر سنوات ... عشر سنوات .
آه يا إلهي ! لقد انتزعوا مني اسمي وروحي وأعطوني
بدلاً منها شيطاناً يكن في أعماق نفسي . وفي أحد
الأيام أمهلوا فلم يقيدوا حيوانهم المفترس بسلاسلهم
ف ... هرب وأصبح حراً ، وكان ذلك منذ ستة
أسابيع ... لقد أصبحت حراً ... أصبحت حراً
لأجوع

الأسقف - لتجوع ! ؟

الجرم - نعم لأجوع . إنهم يطعمونك في

الأسقف - مساء الخير يا برسوميه (يضع اليد
الأيسر لبرسوميه فترج منه ولكنها عندما تمر بالجرم
تضم ثوبها إليها)

الجرم - (يغالب فيه مسروراً) قس ، هاها !
حسنًا ، إني ... (يرفع صوته فجأة) ألا تصرف من أنا ؟
الأسقف - أظنك أحد أولئك الذين قلسوا
كثيراً من المتاعب

الجرم - قاسيت (مرتبكا) قاسيت ؟ يا إلهي
هذا حق (يهز) ولكن ذلك كان منذ زمن
بعيد ، هاها ! كان هذا أيام أن كنت رجلاً أما الآن
فلست رجلاً ، لست إلا رقماً ، رقم ١٥٧٢٩ ، وقد
عشت في الجحيم عشر سنوات

الأسقف - أخبرني عنها ... عن الجحيم
الجرم - لانا ؟ (متفككا) أأناك تريد أن تعرف
رجال الشرطة عني فيقتفوا أثرى ؟

الأسقف - كلا ، لن أخبر رجال الشرطة
الجرم - (ينظر إليه شامخاً) إني أصدقك
(يهز رأسه) ولتحل اللعنة عليّ إن علمت لانا
أصدقك

الأسقف (يضع يده على ذراع الجرم) - أخبرني
عن الوقت ... الوقت الذي سبق ذهابك إلى ...
إلى الجحيم

الجرم - كان ذلك منذ زمان بعيد وقد نسيت ؛
إلا أنني أذكر أنني كنت أسكن كوخاً منغلي بكرمة
متسلقة (ولاته يعلم) . لشدا ما كان منظر الكوخ
والكرمة رائعاً في غروب الشمس ... وكانت هناك
امرأة ... وقد كانت (يكر) أعظمها كانت زوجتي .

نعم (فجأة وبسرعة) نعم ، لقد تذكرت ! لقد كانت
مريضة ولم يكن عندنا طعام فقد كنت عاطلاً ،

الحيرة ثم يزن الشمعات بيديه) فضة يا إلهي، وثقيلة .
ما أحسنها جائزة ! (وعند ما يسع صوت قدي الأسقف
فلما يسرع بوضع الشمعات في مكانها إلا أنه لسرعته
يسقط أحدها على اللادة)

الأسقف — (يدخل فيرى ما حدث ولكنه يذهب
إلى القصد مباشرة ومنه الأغنية) آه ! لقد أجميتك
شمعاتي . إني تغور بها فأنيها هدية من أي . لعلها
أجل من أن توضع في كوخ حبيب ككوشي هذا ،
ولكنها الشيء الوحيد الذي يذكرني بأبي . لقد
أعددت لك الفراش . ألا تنام الآن ؟

المجرم — نعم ، نعم ، سأنام (مرتبكة) ، والآن
بحق الشيطان لم أنت ش ... شقوق على ؟

الأسقف — إني لأود لك نوماً هنيئاً يا صديق
المجرم — إني أعلم أنك تود أن تبشرني ، أن
تغذ روحي كما تقولون ، حسن ... إني لأريد ذلك
أرى ، إني لأريد أية حياة ملوثة ، أمان الكنيسة ،
بإني إني أمقت الكنيسة

الأسقف — إني لأشوق عليك يا بني ، فإن
الكنيسة لا تنكرهاك

المجرم — إنك تحاول تبشيري . أوه ! هاهاها !
يا لها من فكرة حسنة ، هاهاها ! لا ! لا يا نيانة
الأسقف إني لا أريد أي عهد أو أمل أو إحسان
أرايت ؟ إن أي شيء تفعله لأجلى كأنك تفعله
لأجل الشيطان، أهدمت ؟ (بناد)

الأسقف — إن الانسان ليعمل الكثير في
سبيل الشيطان ليعمل القليل في سبيل الله

المجرم — (بنضب) لقد أخبرتك أنني لا أريد
أية حياة ملوثة

الأسقف — ألا تنام الآن ... إن الوقت متأخر

الجسيم ، فأنا ما هربت قلن عجب ما تبذل به . كانوا
يتقربوني في كل مكان ولم يكن مني أوراق لتحقيق
الشخصية وكنت جائلاً ... فسرت ثانياً . سرت
هذه الخرق التي تنطلي جسدي ... سرت طماي
يوماً يوم . كنت أألم في النابت والأعرج وفي
كل مكان . لم أكن أستطيع العمل ، ولم أجسر
على الذهاب إلى المدن الكبرى لأتسول ، ولنا
سرت ... أصبحت لماً ... ولكنهم هم الذين
صبروني هذا الصبر ... فليمنهم الله جيداً . (فرغ
تبية زجاجة الخمر في جوفه ثم يرميها في الدفأة حيث تنهم)
الأسقف — لقد قاسيت كثيراً يا بني ولكن
لا تناس من الأمل

المجرم — الأمل ! الأمل ! هاهاها ! (ينضح
بسوة)

الأسقف — لقد مشيت كثيراً وأظنك تسأ
فلتسرح قليلاً على هذه الأروكة . اضطلع عليها
وسأتيك ببعض الأغنية

المجرم — وإذا ما حضر إلى هنا أي فرد
الأسقف — لن يحضر أحد .. حتى لو حضر

أي شخص كان ، أظنك صديق ؟

المجرم — (مرتبكة) صديقك ؟

الأسقف — لا يمكن لأني أحد أن زعج صديق
الأسقف .

المجرم — صديق الأسقف ! (يزر رأسه بارتباك)

الأسقف — سأحضر الأغنية (يخرج من باب
البار)

المجرم — (ينظر حواله ثم يزر رأسه بارتباك)

صديق الأسقف ! (يقب إلى الدفأة ليتدفأ وليتي نظرة
على الشمعات ، ينظر في كل مكان ليأكد من انغراهه في

وعظاته ... والآن فلاذهب ! (يأخذ الشمعدانات
وضمها داخل ثوبه ثم يخرج باختراس من باب الركن الأيسر
وبينا هو يخرج يظل الباب بشدة)

برسوميه — (من الخارج) من هناك ؟ قلت
من هناك ؟ ألا أستطيع التزم مطلقاً ؟ قلت من
هناك ؟ (تفتل برسوميه من باب اليسار) إني لواتمة
من أن الباب أغلق (تنظر حوالها) لا أحد هنا
(تنظر باب الأسف فحبا لا ترى الشمعدانات)
الشمعدانات ... الشمعدانات ... لقد ضاعت ...
أخى ... أخى ... قال ... النار ... التفتة ...
الصوص ...

الأسقف — (يدخل من باب اليسار) ما هذا
يا عزيزتى ، ما هذا ... ما ذا حدث ؟

برسوميه — لقد ذهب ... ذهب الرجل
ذو الأعين الشرهة وأخذ معه الشمعدانات

الأسقف — ليست شمعداناتى ياأختى... ليست
هى (ينظر إلى مكاتبها وينهد) آه ... هذا لا يطاق...
لا يطاق ... إني ... إني ... كان من الواجب أن
يتركها لى ... لقد كانت كل ما أملك (بكاء يبكى)

برسوميه — هذا حسن ، ولكن من الواجب
أن نخطر البوليس فانه لم يتمكن بمد من القهاب
بسيداً وسرعان مايقبضون عليه وردون لك شمعداناتك
إنك لا تستحق هذه الشمعدانات لأنك تركتها أمام
عيني مثل هذا الرجل

الأسقف — إنك على حق يا برسوميه ... إنها
غلطتى أن أترك الرجل تحت تأثير الرغبة فيها

برسوميه — خزعبلات ... إنك لم تترك
الرجل تحت تأثير الرغبة وإنما هى الصوصية التناصلة
فيه هى التى دفعت إلى ذلك فان الرجل لص وقد
لحطت ذلك فى اللحظة الأولى التى رأته فيها ...

المجرم — حسن ... ولكننى لاأريد تلك
النصائح الدينية ... أنا ... أنا ... (بعداً على الأركه)
أوافق أنت من أن لاأحد يستطيع المخول ؟
الأسقف — لاأظن أن أحداً يفعل ذلك ،
ولو فعلوا ... ألسنت أنت الذى أغلق الباب ؟

المجرم — هيه : إني لأعجب إن كنت فىأمن
(ينهب إلى الباب ويغصه ثم يرجع فيرى الأسقف واقفاً
إلى جانب الأركه ممسكاً يده الأغنية فينأمله بنصب)
ألا تذهب إلى فراشك ... سأعطينى نفسى (الأسقف يتردد)
لقد قلت لك أن تذهب إلى فراشك

الأسقف — مساء الخير يا ولدى (يخرج من باب
اليسار)

المجرم — (حالاً يرى غبه وحيداً ينهب إلى الباب
فيغصه جيداً) ليس بالباب قفل عليه اللعنة (ينظر
حواله فيرى الشمعدانات) هيه ! سألقى عليها نظرة
أخرى (يمسك الشمعدانات ويترنبا يديه) إنا صدق
حلمى فإنها تساوى مئآت . لو كان مى قيمتها
ذهباً ، إذن لاستطعت أن أبدأ حياتى من جديد .
هيه ! ذلك المعجوز معجب وغفور بها لأن أمه
أعطته لهاها . نعم أمه ، ولكنهم لم يفكروا فى أى
أنا عند ما أرسلانى إلى المجمع . لقد كان طيباً
نحوى ولكن تلك هى متاعاة النفس ... الطيبة ...
هيه ... أيها القلب ... لقد أصبحت ليتنا ... ياإلهى ...
ألا يضحك تردى هذا إخوانى فى السجن ؟ ألا
يضحكهم أن يروا رقم ١٥٧٢٩ يتردد فى سرقة شئ
بمجرد أنه أصبح بشر بالطيبة ؟ الطيبة ! هاها !
أوه ياإلهى ! الطيبة ! هاها ! رقم ١٥٧٢٩ أصبح
ليتنا ... هذه مزحة حسنة . هاها ! كلا سأخذ
هذه الشمعدانات وأذهب بها فإني لو بقيت حتى
الصباح سيعطينى ويتردنى ليتنا ... عليه اللعنة هو

شخصيته فقد قبضنا عليه لتشككتنا فيه ...
يا للمندراء القدسة ... ورغم أنه قوى فإنه لم يقاومنا
مطلقاً ، وبينما نحن نقوده سقطت هذه الشمعدانات
من جيبه

برسوميه — (تأخضا بقوة وتذهب بها إلى اللثة
حيث تمسحها بوطها بعب وإعجاب)

الضابط — لقد تذكرت أن هذه الشمعدانات
تخص نياقة الأسقف ولذا فقد حضرننا إلى هنا
لنتعرفوا عليها وبعد ذلك نذهب به إلى حيث يسجن
(كان من القس والمجرم كان في هذه الأثناء ينظر إلى الآخر)
الأسقف — ولكنى ... ولكنى لا أنهم

شيئاً ... هذا الشخص هو صديق الصدوق
الضابط — صديقك يا صاحب النياقة ...

يا للمندراء القدسة ! حسن
الأسقف — نعم يا صديقي ... لقد أولاني
عظماً كبيراً حين قبل أن يتناول العشاء من الليلة
ثم أ ... أعطيتهم هذه الشمعدانات

الضابط — (غير متأكد) أنت أعطيتهم ...
أعطيتهم هو هذه الشمعدانات ... يا للمندراء القدسة

الأسقف — (يتدبر) تذكر يا بني أنها مقدسة
الضابط — (عيماً يديه) عفواً يا صاحب النياقة

الأسقف — والآن ... أعلن أنك ستترك
سجينك وشأنه

الضابط — ولكنه لم يرنى أوراق تحقيق
الشخصية الخاصة به ولم أعرف بعد من هو

الأسقف — قلت لك إنه صديق
الضابط — هذا حسن ... ولكن ...

الأسقف — إنه صديق أسقفك وأظن أن في
هذا الكفاية

الضابط — حسن ... ولكن ...

إذهب وأخطر الشرطة بالأمر وإلا فمأصل أنا
(تم بإعجاب ولكنه يوتها)

الأسقف — وبذلك نرسله ثانية إلى السجن
(بصوت خنوق) فسيذهب إلى الجحيم ... كلا يا برسوميه !

إنه عقاب عادل لي فقد كان من الخطأ أن أتى مثل
هذه التروة في حياتي ... إنها خبيثة ... وكان
عقابي عادلاً ... ولكن ... آه يا إلهي ... إن هذا
لا يحدث ... إنه فوق طاقتي (يذفر راسه بين يديه)

برسوميه — كلا يا أخى إنك غطىء . إن
لم يخطر الشرطة فساخبرهم أنا . فلا أستطيع أن أصف

مكتوفة اليدين بينما أراك تسرق . إنني أعلم أنك أخى
وأسقى وأحسن رجل في فرنسا ولكنك رغم ذلك

مغفل ... طفل ... ولن أستطيع رؤية طيتك
تستعمل لسرقتك ... سأذهب وأخطر الشرطة

(تنبه صوب الباب)

الأسقف — بقي يا برسوميه .. إن الشمعدانات
كانت تخصنى أنا وهي تخصه هو الآن . وهذا حسن

لأنه في حاجة إليها أكثر من حاجتي إليها ولو كانت
أى بيتنا الآن لفضلت إعطائها له

برسوميه — لكن ... (طرق الباب على الباب)

ضابط — (من المارج) يا صاحب النياقة ...
يا صاحب النياقة ... عندما أمر هام بك فهل تدخل ؟

الأسقف — أدخل يا بني (يدخل الضابط
وثلاثة رجال من رجال الشرطة والمجرم وهو عتيق ، الضابط

يجعل الشمعدانات)

برسوميه — آه ... لقد قبضوا عليك أيها
الشرير !

الضابط — نعم يا سيدى ... لقد وجدنا هذا
المجرم يسرق الخطى في الطريق ولما لم يستطع إثبات

برسوميه — (تحمل ذلك بالرغم منها ثم تخرج من الباب الأيمن)

المجرم — (يجبل) يا صاحب النياقة ... إننى لسرور لأنى لم أذهب بها ... على الأمانة ... إلى ... إلى سرور

الأسقف — والآن ألا تنام هنا ؟ .. أنظر .. إن الفراش ممد لك

المجرم — كلا (ينظر إلى الشمعدانات) كلا ...

كلا ... إلى لا أجسر ... لا أجسر ... يجب أن أذهب الآن كي أصل إلى باديس سريعاً ... إنها كبيرة حيث ... حيث لا يستطيع أن يعرفى أحد ... لن يجدى أحد هناك ... ويجب أن أسافر ليلاً ... ألا تفهم ؟

الأسقف — نعم ... لقد علمت لم يجب أن تسافر ليلاً ؟

المجرم — لم ... لم أكن أعظم أنه توجد طيبة على سطح الأرض ... والإنسان لا يمكن أن يظن ذلك إذا ما عاش في الجحيم ... وعلى كل حال فقد ... قد عرفت طيبتك ... ولعله يكون شيئاً عجيباً إذا ما طلبت ... ولكن ... ولكن ألا يمكنك أن تنفرونى قبل أن أرحل ؟ إنى أعتقد أن ذلك سيساعدنى ... أما ... (يترك رأسه يقط من الجبل)

الأسقف — (يرسم علامة الصليب ويغم بعض الأدعية)

المجرم — (يحاول الكلام ، ولكنه يفس دائماً

بالبكاء) مساء الخير (يصرخ جبهة البكاء)

الأسقف — انتظر يا ولدى ... لقد نسيت بعض ممتلكاتك (يملأ الشمعدانات)

المجرم — أقصد أنى ... أريد إعطائى الشمعدانات ؟

الأسقف — بالتأكيد (فترة صمت) (كل من الأسقف والضايط ينظر إلى الآخر)

الضايط — أما ... أما ... هيه ! (لرجله) أطلقوا سراح السجين (يتركوه) إلى الخلف دُرو ... إلى الأمام ... بسرعة سر ! (يخرج الضابط ورجاله) (فترة صمت طويلة)

المجرم — (يملأ وكأه في حلم) لقد أخبرتهم أنك أعطيتنى هذه الشمعدانات ... أنت أعطيتنى إياها ... يا إلهى

برسوميه — (تنز يدها في وجهه ، ثم تحبذ الشمعدانات إلى صدرها وتكسها بقوة) أوه ... أيها المجرم ... لقد حضرت هنا حيث وجئت المأكول والطعام ثم بعد ذلك تسرق ... تسرق الذين أحسنوا إليك ... أوه أيها الشرير

الأسقف — برسوميه ... إنك عصبية قليلاً فاذهبى إلى حبرتك

برسوميه — ماذا ... وأتركك معه وحدك لكن يشك مرة ثانية وربما يقتلك ... لا ... لن أذهب

الأسقف — (بشدة خفية) برسوميه ... اتركتنا ... إلى أربغ في ذلك

برسوميه — (نظر إليه بشدة ثم تنبه إلى حبرتها) حسن ... إذا كان من الضروري أن أخرج فلا أقل من أن أخذ الشمعدانات معى

الأسقف — (يده أكثر) برسوميه ! ضئى الشمعدانات على هذه المائدة واطركتنا وحداً

برسوميه — (بأسرار) لن أتركها

الأسقف — (بصوت مرتفع شديد جداً) إلى أسقفك أمرك بذلك

بي ... وكأنني أصبحت رجلاً مرة أخرى ولست
حيواناً ضارياً (يفتح الباب الخلفى ويقف عند مدخله)

الأسقف - (يضع يده على كتفه) تذكر دائماً
يا بني أن هذا الجسد الضعيف هو مبدئ الله الحي
الجرم - (يحزن عظيم) مبدئ الله الحي ...
سأذكر ذلك (يخرج من باب الركن الأيسر)

الأسقف - (يفتح الباب ثم يذهب بهدوء إلى
الذبح للوضوء عند التافئة اليمنى حيث يجلس على ركبتيه
ويحس رأسه وبدأ في الصلاة)
(ستار بلى)

التافئ

« انتهت »

الأسقف - أرجوك ... إنها ستساعدك
الجرم - (يأخذ التمددات وهو لا يصدق من
الجب)

الأسقف - وهناك يا ولدي طريق يمر من
التابية تجده خلف كوخى هذا وهو يصل إلى باريس ...
إنه طريق موحش لا يمر به إنسان . ولقد لاحظت
أن أسدقاني الجند لا يمحون الطرق للقفرة خصوصاً
في الليل ... إن هذا عجيب

الجرم - آه شكراً ... شكراً لك يا صاحب
التبافة ... إلى ... إلى ... (تضطرب الكلمات فحقة)
أوه ... إلى مغفل ... طفل يركب ، ولكن على كل
حال لقد جعلتني أشعر وكأن ... وكأن شيئاً حل

شركة مصر لنسج الحرير

تزود بمنسوجاتها الجميلة

والوانها المفرحة البهيجة

وأثمانها المعتدلة الرخيصة

الوجيه الكبير . والموظف البسيط . والعامل الصغير

وهي في متناول الجميع



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاء العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء اساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك السنوي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنباً مصرية ، ولقلاء الحرية ينضم ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

برل الموتر لك عن سنه
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في المملكه الأخرى
١ عن البلد الواحد

اموداره
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيه المصريه — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة اسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقنا في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

١٣ محرم سنة ١٣٥٧ — ١٥ مارس سنة ١٩٣٨

العدد ٢٨



فهرس العدن

| صفحة | |
|------|--|
| ١٧٨ | الواء الذى يحلق البغرية . للبر ما كس يعزقون ... |
| ١٩١ | إن عاوب الحية . للكتاب الفرنسي هنرى بارنايس . بقلم الأستاذ محمد الحقي جعة .. |
| ٢٠٥ | الذكرى . أفصوة مصرية .. بقلم الأديب نجيب محفوظ ... |
| ٢١٦ | التحرير . الشاعر الفيلسوف طاعور ... بقلم السيد نحرى شهاب الحيدى .. |
| ٢١٩ | هزيرة . أفصوة مصرية .. بقلم الأديب شكرى محمد عياد ... |
| ٢٢٤ | الجوسق الجلى . للقصص الفرنسي جى دى موباسان . بقلم السيد كمال الحريرى |

لقد قرر أطباؤها في رومة
والبندقية أنها لن تمشي أكثر
من ستة أشهر... وقد جازت
فكلك جزعاً شديداً ... يد
أنى ضربت برأيهم عرض
الأفق ، ثم فرغت لتطبيبها
بنفسى ، متمداً على تجاربي...

فانظر إليها الآن ، وقل لي ما رأيك في هذا الشباب
الريان ، وذاك الإهاب الفينان ... أليست هذه
معجزة يا جون ؟

ولم تكن في رأس الرجل ألمة من الوعى يدرك
بها الجمال الجسد في الفتاة الجالسة أمامه ... ولم
يثر خاطره مرأى هذا الأمير أوتو ... الرجل
الصحيح ... الذى اشتعل الشيب في رأسه ، والذى
أصبح اكتشافه العلمى الخطير حديث الأعالى في
لندن المتيدة ، والذى فر من العالم الراسخ صاحب
ليزوى في هذا للزل الحقيق في بركى سكور ،
ليمش فيه كما يمشى سحرة الشرق ومشموذوه

وهكنا جلس الرجل الساذج جلسة بلهاء
لا يمتنها شيء من هذا الجو الهادى الذى انمعدت
فيه سحب البخور ، وتهددت إليه نفات
الأرغون التي أنشأت زن في بطن الوادى القريب ،
فتردد أصداها أكراب البور وأطباق الرمر
البندقى الرصوصة على المائدة الفخمة وسط النرفة
الرائحة ... لا ... لم يئن جون ، تاجر الأصواف
الانجليزى الذى زح من لندن إلى دلاشيا ليمقد
فيها بعض صفقاته التجارية ، بشيء مما حوله في
غرفة هذا الأمير أوتو ... ولم يشغل شيء من
جمال هذه الحسنة الإيطالية المقتان التي تأسر

الدواء الذى يحل العبرة

السيد ماكر يمبر توت
يقلم الأستاذ دوزيخ خسيه

... وقال الأمير وهو يضع الشمعة وراء
القارورة التي بين إصبعيه فيضئ السائل الذى
فيها : « على أننى لا أدري ما ذا يمنع أن يوجد
عقار يجلب الذكاء ويخلق العقيرة كهذه العقائر
التي تشفى الأجسام وتطهها ، وتجعلها قوية البناء
مقتولة المصل !! »

واستولى العجب على جون ما ركس فيل أوف
برادفورد ... الرجل الساذج ... الذى كان البله
يترجع دائماً في حديثه ، فاعتدل وقال : « أنسى
أنه في وسلك أن تخلى عقولاً لمن ليس لهم عقول ؟ »
وكان الأمير أوتو ينتظر أن يلقى عليه هذا
السؤال ، فنبس ثم قال : « حقاً يا جون... ولم لا ؟ !
أبداً لم يخافنى الشك في هذا أبداً ... وإنى لفتنت
جداً أننا نستطيع أن نبني الأذهان فتجعلها ذكية
عبقرية كما استطعنا أن نبني الأجسام فجعلناها هرقية
حديدية ... والأسهل يا جون ... فكما استطاع
الطب أن يعالج لين النظام في الأطفال ، فكذلك
نستطيع نحن أن نزيد المادة السنجابية التي تكسو
تلافيف المخ في رأس الشخص الأبله فيصبح ذكياً
متوقد الذهن ... وإليك مثلاً يا جون ، ابنتى حنة
هذه الجالسة أمامك ، فقد مرضت منذ اثنتى عشرة
سنة مرضاً خطيراً ، أشقت منه على الهلاك ، حتى

ملككك بشرط... أن تتق في ثقة عمياء غير محدودة
وأن تخضع لإرادتك لي إخضاعاً مطلقاً ، وأن تصنع
ما أمرك به من غير مناقشة ولا استقصاء !
ولوى جون عنقه ، فأخرج رأسه من فوقه
كلّدي يوافقي وإن لم يقتنع ، ثم قال :

— وعمل ! !

فهر الأمير كتفيه وأجابه : ألت رجلاً غنياً
واسع الثراء ؟

فارتبك جون وقال : أوه... من هذه الوجهة
فأنا غني

فقال أوتو : وقد حلت أحلاماً طائفة بالشهرة
والجدة ؟

فقال جون : حقاً لقد فلتت ، ولقد فكرت
ألف مرة أن في الدنيا أشياء عظيمة ، ومطامح
واسعة غير تجارة الصوف !

فأجابه أوتو : إذن ليس عليك إلا أن تسكن
نفسك إلى ، وأنا أكفيل بمنحك الكداء الذي تريد ،
والعبقرة الواسعة التي تشتهي !

فنظر جون إلى القارورة الصغيرة في يده
وغرارة وقال : « من هذه القارورة ؟ ! » وهنا
تبسم أوتو وتناول القارورة ، ثم جمل الشمعة من
ورائها فاختلطت أضواؤها بالسائل المجيب مرة
أخرى ، ونظر جون إلى القارورة فشم كأن سحرها
ينقل إليه ، وكان أضواؤها تختلط بروحه ، ونظر
حوله فوقعت عيناه على طلس الأزهار على اللائدة ،
فركها أجل مما عهدا وأنضر... وخاف الرجل
الساذج مما أحس ورأى ، فاتصم وفاقاً ثم
قال : « إنك تمزح أيها الأمير أوتو.. إنك تهزل »

بجمالها الأبالسة ... ولم يشغل أوتو نفسه بهذا
البريق الخاطف للبحث من عينيه القلوتين ،
بل ، لقد نظر حوله في حركاته وغفله ثم
قال : « شيء مذهش حقاً أيها الأمير... لظلالا
فكرت قبل اليوم في أن يكون لي عقل عبقرى
راجع ليكون لي به مركز ممتاز في الحياة
العلمية ... وظلالا كنت أنظر إلى رئيس وزارة
بلادي ، وتأخذني السيرة من إعجاب الناس به ،
واستظامهم له . مع أنه رجل عادي لامية له على
الجاهل إلا هذا اللسان الرب القصيح يجلب
ألباهم به ، وإلا عقله الراجح الذي يروي به في
الأمر ويسير به دفة الدولة ويصرف شئونها ...
لقد كنت أنظر إليه وقد التفت حوله الآلاف الموقفة
من الناس يسمون له ويستمعون إليه ، فتأخذي
النيرة وتنبش أظفارها في صدرى... وكنت أقول :
« جماهير من الدماء يسرحها رجل بهرج القول »
ولكني كنت أرى مئات المقلاء يمدون يديهم
به ليأخذوا عنه الحكمة وحسن البصر بأمور الحياة
فأرجع إلى نفسي ، وألث أتمنى لو أوتيت من الكداء
بعض ما أوتي هذا الرجل الثرثار البق ... فإذا
كنت تضمن لي ذلك بهذا السائل الذي في قارورتك
فإنك تكون رجل المعجائب حقاً ... ! »

وتناول الأمير لقافة فأشعلها في هدوء ثم أخذ
يُدخن ، وينثف الدخان في صمته ... وقال بعد
لحظات « عزيزي جون ما كل هيلة... إنما وكأت
إلى نفسك لمدة ستة أشهر ، فليس أيسر على من
أجبتك خطيباً من أبلغ خطباء السالم ، ومفكراً
عبقرياً من أعظم مفكره بحيث تضموا على حكام

وطول نمجه ... وعلى كل ، قد انظر الوالد في
تلطف شديد جواب ابنته ، التي انفرجت شفتها
عن ابتسامة رقيقة خيفة وهي تجبه فتقول : « والله
يا أبى إني لا أدري ماذا أقول ! من يستطيع أن
يفهم هؤلاء الانجليز ؟ إن براعتهم المعهشة هي في
هذا الصمت العجيب ! » ، وكأنما سلم أبوها بهذا
الرأى ، فقال : « إن للانجليز عقولا . ولكنهما
ليست كمقولنا يا ابنتي . على أنها عقول تنسب إلى
يثنها ومناخها الذى نشأت فيه ... وهذا هو السر
في قصور عقلية ذلك اللستر جون ما كسفيلد ...
فهو يعيش في دنيا كلها صوف ، وهي لذلك كلها
أغانى ومروج ، وليست شيئا غير الأغنام والمروج
يا حنة .. إنه لا شك يفكر كثيرا في مزاجنا الخفيف
الشمري للرح ... مزاج شعوب هذا البحر الأبيض
المتوسط ... هذا الزواج الذى ترعرع في آلاف من
سنين الشمس والموسيقى ... وهل النخ إلا هذا
النشاء الرقيق الذى يستطيع الصوت والضوء أن
يلعبا فوقه ... وليس الصوت والضوء فقط ، بل
إرادة الناس الآخرين ... وذلك هو ما نسميه التلميم
أو التهذيب ، الكتابة فوق غشاء النخ بيد مهبلة
صناع ! فإذا أردت ، جعلت هذا اللستر جون يرى
ألف رؤيا عجيبة في هذه اللحظة ... الآن ... بحيث
ينفض فيفتح يديه أبواب عالم واسع شاسع لم يكن
له به عهد من قبل ، فيسمع كلمات لم تتردد أبدا
في أذنيه وسرعان ما يرددها هو ؛ ويتطابق بها
لسانه ، وقد يجتمع الناس حوله فيشبهون أنهم لم
يكونوا يعرفون هذا اللستر جون من قبل ...
وهكذا يذيع اسمه في الآفاق ، وقد ينسى عالم

ومن غير أن يستأذن اقتتل من الترفة ، ثم من
الزلزل جميعا ...

ولاحظ الأمير أن ابنته تتبع الرجل بنظرات
حادة ، فاستطاع أن ينفذ منها إلى سرائر نفسها ،
وراح يتحدث إلى نفسه هكذا : « أوه يا حنة !
لقد فتنتك الانجليزى من غير ريب ! لقد رأيت
الفارق العظيم بينه وبين الأجلال الذين شهدتهم في
إيطاليا ... الرجل جميل يا حنة ... وأمين ... وبناء
جسمه يجنب دأى النساء ، وهذه ملاحظة لا يدركها
إلا علماء وظائف الأعضاء ... أوه ! إن هذا الرجل ،
إن جون ما كسفيلد ليس في رأسه ذرة من الذكاء
لكن له كاهلا عريضا ، وكفتفين عظيمين ؛ ثم
شعره ... شعره السكوني ! مسكينة يا ابنتي ! إنها
لا شك تعبده ، وتمنى لو تزوجه ، إذا رزقه الله
قليلًا من الذكاء !

والفتت إلى حنة فجأة ثم قال : « حنة ! ماذا
ترين في هذا اللستر ما كسفيلد ؟ »

وكانت حنة قد انصرفت إلى الأرغون ، بعد
إذ انصرف الانجليزى تاجر الأصواف ، تلمب عليه
بعض قطعها وكانت تار اللود تتوقد وتلهب قريبا
منها ، فلما التفتت إلى أبيها تجبه انكسر ضوء اللب
على شعرها الذهبي الأحمر ، فبدا وجهها الجليل الناصع
كأنه وجه صورة فتاة أمام مصباح خافت ذى ذبابة
رقص وتتنفض

وقد يحسب الإنسان أنه من الشنوء ، أو أنها
مبالغة شاذة ، أن هذا الجلال الرائع لم يجنب إليه عيني
جون ما كسفيلد .. ولكن هذا هو الذى استنتجه
الأمير أوتو ، وهو أيضا الذى كان موضع دهشة

الطاريء واقفا مستديما ؟ إن مشروعي ليس مستجيلا
كما يتصور بعض الناس ، وهو بالضبط كالشروع
الذي أدى إلى اختراع التصوير الشمسي ... قد
كان الناس يرون صورهم واضحة جلية على الزجاج
والمرآيا ، لكنهم يجزون دائما عن تثبيت هذه
الصور على الزجاج وتلك المرآيا ... ثم أطلقوا ...
فصنق الحلم ، وأصبح التصوير الفوتوغرافي حقيقة
واقعة ملموسة ، بعد أن كانت وسواسا كهذا
الوسواس الذي يجول في ذهن آكل الأفيون

وعلى هذا النحو كان اختراعي لهذا المقار الذي
أستطيع أن أثبت به الصور والأخيلة في ذهن النبي
من الأتقياء ، فيكون من أذكى الأذكاء ...
وسيرى الناس كيف أقرب لهم العالم باختراعي رأسا
على عقب ... أه يا حنة ! لقد طالما فكرت في هذا
كله يا ابني ، منذ أن طردتنا الحرب الكبرى من
أوطاننا ، وأخذت الحياة تسومنا الخسوف في هذا
اللظى السحق ... لقد قاست الدنيا رزايا لا حصر
لها منذ جهل الناس أحلامهم اللذيذة التي كانت
تخلق لهم مثل الفضيلة العليا ... تلك الأحلام التي
كانت تشبه القكا الذي لو توفر لحال دون وقوع
الحرب الكبرى ... إنه لا مخلص للناس إلا ببناء الأجسام ،
وليس فيهم من حاول أن يبيد الأذنان ... وقد
وقفوا جهودهم كلها على معالجة أمراض البدن ،
فهم دائما يجهلون في متحنا لحما وعظاما ...
وليس منهم أحد فكر في متحنا أذهانا ! وهذا
لأنهم لا يحلمون ... مع أن الأحلام وحدها هي التي
أدت إلى كل ما في العالم من اختراعات كان مجرد
التفكير فيها قبل أن تحقق ضربا من الجنون

الصوف الذي يشل تفكيره ، وينمل ذهنه بطبقة
كثيفة من البناء ... وأنا لا أشك في أنه لا بد
مصنغ لا أثرت به عليه ، فانا فعل فستين كيف
أبذر بذوري في هذه الأرض البكر الخصبة فهل
يسرك هذا إذا فعلته يا حنة ؟ ! »

وشاع البشر في وجه الفتاة ، وأقبلت على
والدها بكل ذاتها فقالت له : « أبي ! لقد طالما
حدثني أنك تستطيع أن تجعل أعني الناس أذكى
الناس ، فهل هذا حق يا أبي ؟ وهل أنت تؤمن
بنظريتك التي استحدثتها ، أم أنك تحلم بها وحسب ؟
أصبح يا أبي أنك تستطيع أن تمنح الأتقياء لباية
وحسن فهم ؟ أم ... »

ولم يشأ الأمير أن يجيب على مسألت ابنته إجابة
صریحة جازمة ... إذ الحقيقة أنه لم يمد طور
التجارب والأبحاث فيما انتهى إليه - وإن لم يكن
قد انتهى بعد

- إن من المقايير يا ابني ما يتناوله بعض
الناس فيكونون سحراء ، ونحن نستخدم هؤلاء
السحراء ونضع بهم ... والذي يأكل الأفيون
يحلم وهو يظن أنه ملك ، ولا شك أن مملكته
شيء حقيق بالنسبة له ، وإن تكن خيالا بالنسبة
لنا ... ولا شك أيضا أن ذهنه ، خلال ذلك ،
يكون قويا حيارا ، بصرف النظر عما يؤول إليه
حاله بعد أن يفيق ... ولذا فهو يعرف من أسرار
الحياة في غيوبته ، ويدرك من كنه هذه الأسرار ،
ما لا يفهم منه في يقظته قليلا ولا كثيرا ، ولا
يستطيع أن يدرك تأويله

فلما لا نجعل هذا الوم حقيقة ، وهذا الخيال

والهنا ... لهذا يا حنة ... يا ابنتي ، لم أن أحلم
وأنا ...

— وهل تحققت أحلامك يا أبي ؟ هل وقت
إلى ضالتك المشوذة ؟

— إلى موقن أنها قد تحققت ... وأتقن أنني
أصلح رؤوس الأغبياء ، بل أمتنعهم ذكاء ولبابة ...
فصاحبنا جون ما كلسفيلد مثلاً ، قد نسي في هذه
الحظة طواحين مدينته المظيمة رادفورد ، وهو
قد اكتشف فجأة ما في هذا الليل من آيات ومجائب ..
إنه لا بد برؤي بينيه إلى نجوم السماء التي تتألق في
جونا الصحرا ، ثم هو يسائل نفسه عما يخامرهما من
الأحلام التي تولدها فيها هذه النجوم ... وهذا كله
يفضل كلاني التي أشرت فيه تلك الأحلام ... وهو
لا شك منتقل من أحلامه الساذجة إلى ضرب من
التساي الرقيق الذي سوف يشجعه ويحمّله إلى
تفكير أرق ... وسيسأل نفسه لسانا هو تاجر
بسيط ؟ وسيتنبه إلى النفر القليل من بني وطنه
الذين برزوا من المدن والقرى الوضيعة فأصبحوا
زعماء البلاد وذوى الصدارة في المملكة ، وهو لا بد
محدث نفسه لماذا لا يقتني آثارهم ليكون مثلهم ...
وبهذا يتنبه شمور القوة الكامنة فيه ، فيمثل من
فوره على توجيهها غيره ... ومن يدري إلى أين
ينتهي به التطواف ؟

وهنا ... نهتت حنة من أعمائها كأنها لم
تؤمن بعد بما آمن به أبوها ، ثم قالت : « لقد
وجدت من المحال أن أحدث إليه ... إنه كان يبدو
كأنه لا يشعر بوجودي !! »

وتبسم الأمير ابتسامة حنان وعطف

ولقد كان أوتو صادقاً فيما حدس به من أن
جون ما كلسفيلد سيمصبح فريسة لأحلام حلوة ...
تثيرها في رأسه الفارغ تلك المصنوف الفاخرة من
الأشربة والآكال التي ذهب ليلتهما في غذائه ...
فإنه ما كاد يخلو إلى نفسه في غرفته الفخمة في أعظم
فنادق الهامد بارك ، حتى توجه إلى النافذة ففرج
بين ستارها ، ووقف يملأ نظره من جمال الجنة
الفيحاء التي تتأرجح وتبرج أمامه ... تحت قبة
السماء الصافية التي أخذ الملأل يسبح في أعمائها ،
كزروق من فضة قد أطفئت حوالة من نجوم الربيع
في إقباله ... يا للنظر العجب الذي لم يكن لجون
عهد به من قبل ! لم تصغ إليه إذ هو يتناجى ويملم
مسحوراً بغفاتي الطبيعة

« ... يا للفكرة !! إن هذا الرجل العجيب
يزعم أنه يخلق الأذهان كما يخلق الأطباء الأجسام !
حسن ... ولم لا ؟ فكرة غريبة وشاذة ... وأكثر
منها شذوذاً أن أحداً من الناس قبل هذا الرجل
لم يفكر فيها ، ولم تخطر له على بال !! وفي الحق ،
أنا لا أصدق مطلقاً أن في وسمه أن يطلب أحد
التفليل البلهاء فيجعله إسحق نيوتن مثلاً ، أو أنه
سيزود العالم بألف أديسون جديد^(١) بحيث يجعلهم
(تحت الطلب !) ... ولكن هذا السائل ؟ ! إنه
شيء خلّاب من غير ريب ... والأطباء ...
لم لم يفكروا في مثل ذلك من قبل ؟ ! إنه سائل
لا يضر ، فلماذا لا آخذني !! إن الرجل المجوز
يؤكد أنه يضمن لشاره الذكاء والفضيلة ، فلم
(١) لم نأت أن نخور هذا التعبير لطرافته

وستمستقر... ويقف في القاعة فيلقي خطاباً سياسياً
يقرر به مصائر أوروبا... ويسمع بأذنيه ثناء الأعضاء
عليه ، وإعجاب الناس في الشرفات ، ، واختنان
الجميع يبالغونه وقوة طارسته ... ويسمع بعض
الحضور من بني دائره يهايمسون : « لله أنت من
خطيب مصقع يا أخانا جون ! »

وكانت الساعة الثانية صباحاً ... فانكفأ إلى
فراشه وهو يحلم بالجد وذروع الصيت ... ثم تذكر
القادة ... الفتاة القتيانة ... ابنة أوتو أوف
متكوقتش ... وعجب كيف لم تراء له في أحلامه !
« حنة ! أين أنت يا حنة ؟ »

وعاد تاجر الأصواف إلى برادفورد ، وكلما مضت
الأيام اشتد اختلاف الناس في أمره ، وطاروا في
هذه المتناقضات التي كانت تبدر منه فيفسها بعضهم
إلى الجنون . ويردها بعضهم إلى ذكاء خارق ظهر
نجاهة في جون
واشترى قصرًا منيفاً في لندن ... وأخذ يدعو
إليه كبار الموسيقيين

جون ماكليفيلد ... هذا التاجر النبى الذى
لم يكن يفقه من الدنيا غير الشاء والثناء^(١) يصيح
أذناً للموسيقى فلا يسمعهما إلا من زعمائها الفنانين
الباقرة !

ولم يقنع بتزين جدران قصره بصور الفنانين
الإنجليز ، بل كان يرسل رجاله ليدخلوا متافسين في
أسواق الصور الإيطالية ، فيشتروا له القطع الفنية
التي يسجّر أغنى الأغنياء عن دفع ثمنها

(١) الثناء صوت الفم

لا أصله دائماً في جيبه ليحقق ما أسبو إليه من
من شهرة وبعد

إن هذا الأمير أوتو رجل خلق صناع ...
ولقد عرفت ذلك لأول وهلة .. إن له لستين يتفنان
في فؤاد الناظر إليه ، ويشملان النار في رأسه ...
إنه يسكن في ذلك البيت العتيق ويحلم ... ويرسم
الخطبة للرجوع إلى وطنه .. الشرق ! الشرق العظيم
الساحر ... الشرق الذى يلهم الترويح دائماً ...
ولكن ... لله هذا المفريت الذى سجنه أوتو في
سائل القارورة ... تلك الققم ! »

ثم ضرب يده في جيبه فأخرج الزجاجاة وراح
يرنو إلى سائلها العجيب الجميل التلألؤ ... حتى إذا
فضحها ، وعبرت رائحتها في خياشيمه ، تبسم ضاحكاً
وتحدث إلى نفسه فزعم أنها ستكون أحبوبة
العاجيب في برادفورد ... ثم وضع منها في كوب
خمس عشرة نقطة ، وجعل على النقط ماء واحتمى
الزيج السحري ، الذى لم يكن له في حلقومه طعم
لولا الرائحة التي انبثت شذاها في أنفه ، ففر أن
الاء غير الدواء ...

وكان يضحك أثناء ذلك ... ويحمد الله أنه
لا يوجد أحد من برادفورد ليسهرى به ويتمك
عليه ، إذ يغفل نفسه بصديق هذه الخزعبلات !

ومضت خمس دقائق نسي بدمه المقار الذى
انصب في جوفه ، وعاد إلى التافهة يستمل جمال
الهايدبارك ... ثم شعر فجأة بقوة تتدفق في أعصابه
وخيل إليه أن الهايدبارك مزدهم بمجهر حاشدة
تعنى إليه وهو يختبئ فيها ... ثم إذا هذه المجاهر
تدافع وراءه ، وهو على رأسها إلى دار البرلمان في

جون ماكسفيلد : هذا الكبش العظيم !!
لا يوجد في مراض الفن من يقدر آياتها كما
يقدرها هو !
واتبع أكثر الناس إلى أنها إمارات جنون
من غير شك ، ستفتح لتاجر الأصواف مستشفى
المجاذيب على مصراعيه
إسمع إلى هذا المين من أعيان الشمال يقول فيه :
« ينصب من نفسه خطيئاً في السترال هول
بوستمنستر فيخلد أبواب الناس بيلافة لا عهد لهم
بها ، ويان مشرق لم يسمعه من أنبع زعمائهم ،
وفكر عميق مرتب لا يقدر عليه إلا الآفلون .. ؟ ..
أفذاك هو هذا الكلب القنر ... كبش برادفورد ...
الذي لم يكن لأيام قلائل يققه من أمور الدنيا
إلا التماج والذهب والرهاج ؟ جون ماكسفيلد !!
ما شاء الله »
فهذا الذي يقوله هذا المين ، ناحية مما صار
إليه جون ... فهو إلى فصاحته وسمو تفكيره ، قد
أصبح رجلاً ممتازاً حاضر البديهة متوقد الذهن ،
لا يكاد يوجه إليه سؤال حتى يعطى جوابه الناضج
اللين في أسرع من البرق ، ثم هو يستعمل في
أحاديثه طرائق الأدباء البرزين ، ولا يفتأ يضمها
بقراً طلبانية من برارك وبوكاشيو وأضرابهما ...
وقد حار الناس في رقيقه الذين يلزمه كظله
أينما سار وحيثما توجه ... هذا الرجل السهمري

عدد الرسالة السنوى الممتاز

بمناسبة العام الهجري

كتاب قيم خالد

يؤلفه أربعون من أقطاب البيان في جميع أقطار العروبة ،

ويشتمل على جملة من صفوة الرأي ومختار الكلام فيما يتصل

بمجد الاسلام وأدب لغته وحال أهله

سيصدر في يوم الاثنين المقبل ٢١ مارس في ٩٠ صفحة

ولما لم يكن له أى إلام بالسياسة الفرنسية، فقد وقف حائراً أمام صورة السياسى الهامة الذى درأ عن فرنسا أيما خطر خلال الحرب الكبرى ... وهنا خطر له فجأة أن يسود أدرجه إلى مسكنه ليكتب نداء ينشأ فيه الفرنسيين والأمريكيين أن يعملوا متعاونين لما فيه سلام العالم المأم وأمنه وطمانيته، وأن يطرحوا ستار الماضى الذى ينفخ في نحرها الساسة للباثمهم الشخصية .. ولم يدرك جون ماذا أثار في خاطره هذه الفكرة ... ولكنه التفت فوجد صاحبه الأمير أوتو قريباً منه، ورأى ابنته حنة واقفة عند صورة تدقق فيها نظرها

— لقد كنت ترقق صورة المسيو كلنسو بسنتين مشوقيتين !

— أوه .. هذا صحيح .. لقد أغرائى الاعلان الضخم، فدخلت أتفرج بهذه التحف .. وأحببك تذكر يا أوتو أننا كنا نكلم عن هذا المسيو كلنسو على ما نذكره أمس !

— أجل . أذكر هذا
ثم لف ذراعه حول ذراع ماكليفيلد، وراحا يذرعان للرض جيئة وذهاباً، والأمير أوتو يشفق الأحاديث عن الفرنسيين والأمريكيين، فيشرح لصاحبه تاريخهم وأحوالهم وسيكلوجيتهم
— .. ومن فى الانجليز يستطيع أن يهتدب معلوماتهم عن الأمم الأخرى مثلك يا مستر جون .. على أنه قد يأتى اليوم الذى تثب السطوة بينهم عن وطنى المنكوب، ومبلغ ما نأتى من التماسه بسببهم فيصلحون صفناً من أخطاء الماضى !

(٢)

الأشيب، الذى يدعو الأمير ... وتلك الفتاة الحسناء الهيفاء التقسية الوسيمة، التى تشيع السحر فى جو المكان الذى تكون فيه والدهش من أمر جون أنه لم يكن أعرف من أهل رادفورد بسر نبوغه وتقوه، إلا أنه كان يؤمن بأنه أصبح ظلاً لهذا الأمير أوتو، وأنه لا ينطق ولا يفكر ولا يتدقق فى خطابه إلا بوحى منه أو إيماء، فإذا سأل سائل عن مسئلة أتجه ببنيه الضميتين إلى عيني أوتو القويتين، حتى إذا تم بينها الاتصال الروحى الذى لا يد منه، ولا يحصى عنه، إنطلق يجيب فى فصاحة بالغة، ويبان عذب قوى، يمحى يتنقلل إلى سوداوات ساميه، ويسحرم عن أنفسهم ... فإذا فرغ وقاه إلى نفسه، عرف أنه كان يتكلم بلسان جون، ويفكر برأسه ... وأن القنطرات التى شربها قبل أن يتكلم ليست هى التى واثته بهذا الكلام. وذلك البيان، وإن تكن حقاً قد سهلت لها

ولقيه أحد أصدقائه الكهول يوماً فى شارع أكسفورد فاقر بإحماً وقال له : « أوه جون ! لشد ما تفرغت فى هذه الحقبة الأخيرة من حياتك ... ولشد ما نحن معجبون بك ... أجل يا ... فتى ! ... ومع ذلك، فإنك لم تدخل الوزارة بعد، وليس فى أعصابها من هو أكيس منك ولا أحقق ولا أصدق بياناً ... فلم لا تقبل ؟ »

وراح جون بجواب مقتضب مؤدب، ثم اقتتل فى منرض فرنسى للصور حيث وقف مسبوحاً أمام صورة رائمة للمسيو كلنسو ... ثم ياريس !

ينهب إلى طاعة ألبرت هول دون أن يصبح الأمير
أو ابنه معه ... « ولنا؟ أمن أجل هذا الوم الذي
تسلط على فأحسب أنني لا أستطيع التفكير بدون
ولا الخطابة إلا بإجماع منه ؟ لا ... لن يكون هذا
بعد اليوم ... لا بد أن أستقل عن هذا الرجل الذي
استلب إرادتي، وقبض على آلة تفكيرى ، فلا تدور
إلا بأذنه ... إن هذه فرصتى إلى الوزارة ، ولن أرق
إلها على أكتاف النير ... إن الناس في برادفورد
مقتنون بظلقى ، والإنجليز كلهم مسحورون
بشخصى ، فما خوف أنا ألا أكون شيئاً إلا بالسجور
أوتو ؟ أكل هذا خداع في خداع ؟ ثم تذكر
السائل فصمت قليلا ، وحدث نفسه فقال : « لا بأس
سأتناول الجرعة قبل أن أذهب ... إنه شراب مقو
يمت في النفس شجاعة وانسراحاً ، وفي اللسان
براعة وانطلاقاً ، لكنه لا يخلق البيان ولا يوجد
الفصاحة من الدم في اللسان ... إن بلاغى هي
طبع في كان مستورا ، وإن هذا السائل المجيب
الذى أجمعه من الزجاجه الخضره هو الذى ساعد
على اكتشافها ... إنه لم يصنع شيئاً غير هذا ...
فلأشرب الجرعة إذن ، ولأذهب بمفردى ... »
ثم شمّر فخذه بالأحاساس السحرى يتلبسه ...
وبالقوة الخفية الهائلة تشيع في أعصابه ... وهنا
يتنير تفكيره ، ويحس بم حاجته الشديدة إلى أوتو
متكوقتش ... وتذوب حماسه السابقة ، وتبخر ،
ويؤمن من جديد أنه ليس شيئاً مذكوراً بغير هذا
الرجل الأعيب المائل ، ويحس كما تمود أن يحس
من قبل أنه لا يستطيع أن يتفوه بكلمة إلا إذا
أوحاها إليه أوتو ... ويذكر حاله قبل أن يلتاق في

— أنا ؟ .. أنا لا أعرف من ذلك كثيراً ولا
قليلاً أيها الأمير !

— إن كنت لا تعرف منه قليلاً ولا كثيراً ،
فيقليل من المذاكرة تستطيع أن تعرف كثيراً جداً
والآن ... يجب أن نذهب مع حنة إلى مطعم سيرو
قد وعدتها بذلك ... أين هي ... ؟

— أوه ! إنها هناك ... ها هي ... ما لها
لا ترم عن هذا النفس السخيف ... أية سورة هذه
التي تقف أمامها مأخوذة مسحورة ... ؟ سبعة آلاف
جنيه ؟ ! نحن باهظ ... إلى لا أشتريها بخمسة
جنيهات إذا عرضت على !

وذاع صيت جون ماكفيلد في جميع أرجاء
لندن ... ودهش الناس لم لا يكون عضواً في الوزارة
إن لم يكن رئيساً لها ، وهو هذا الفكر العميق ،
والخطيب المصقع ، والكاتب الذى لا يشق له غبار
وتكلم الناس في هذا الصدد ، وأكثروا فيه
الحوار ولا سيما حيناً أذيع احترام الحكومة فقد
مؤتمر عام في طاعة ألبرت هول لبحث موضوع
« تخليصها عن الصناعة للأهالى » وماذا من أن
رئيس الوزارة والمستر جون ماكفيلد ما وحدها
خطيا هذا المؤتمر

وحدث تغير فجائى في نفس المستر جون !
فقد كارت فيه كبرائه وعن عليه ألا يكون شيئاً
إلا بهذا الأمير الأشيب أوتو متكوقتش ... وصمم
أن يمد خطبته في (تشجيع الصناعة^(١)) بنفسه وأن

(١) أي أن تنزل الحكومة عن الصناعة لتتعب

هرم مطالعه فوق كتفيه هو لا فوق كتفى شخص آخر... وكان هذه المرة جداً في تصميمه، متمزماً ألا يعتمد على أحد فيما يسبوا إليه من رفعة ووزارة وبعد...

ولم يبق على المؤتمر إلا أيام، وكانت يذكر صاحبه أوتو تقتشرق أساوره مرة، وتظلم وتحتك مرهات... ثم سمع من أحد موارفه أن الأمير مريض، فكان أول ما خطر له أن ينطلق من فوره فيزوره... فلما كان في طريقه إلى شارع شارل، حيث منزل أوتو متكوقش، جعلت الذكريات تتردد في خاطره وتلع في ردها، ولم يستطع جون أن يتكرأيدي الأمير عليه.. والشهادة له بأنه صانه.. وإن كانت كل تلك المواجهات تجعله في حيرة من أمره...

— أبى مريض يا مستر جون... إنه مريض جداً.. وهو مايفتأ يشكو بنات الرثة.. والأطباء يؤكدون أنها حادة... لقد ضعف وهزل حتى قد لا نستطيع أن نعرفه إذا رأيت

وبدا النم في وجه الرجل، وشاع فيه الحزن العميق... ثم نظر إلى حنة في غير عمد، فبهره منها هذا الشمر الأحمر النهمي... وإن لم يثر فيه إلا الاشفاق عليها، والرثاء من أجلها، والتفكير فيما يؤول إليه أمرها إن مات أبوها

— حنة! لا بد من استدعاء إخصائى في الأمراض الصدرية... وأظن أن السير سبريان هو عمدة الأطباء في ذات الرثة... أليس لكم ممرضة باحة ١٢

دلالشيا فيتسم ضاحكاً مما كان فيه من غباء وغرابة وجهل، ثم يرى إلى نفسه الآن رجلاً يشار إليه بالبنان، ويمرر ذكره على كل لسان... وهذا بفضل الأمير أوتو!

« لا... أنا هازل... لا بد لي في ذلك اليوم للموعود من أوتو متكوقش... إنه رجل عبقري.. وأنا لا أكون شيئاً إن لم يصحبني إلى هناك... هو... أو... حنة... لا بد لي من أحدهما... ولا بد أن يجلس في الصف الأمامى ليكون أثره بالتأخذه الأقصى في وجداني... »

ثم سمع هاتفاً يردد في روعه هذا النداء: « أجل.. أجل يا جون ما كسفيلد... إياك أن تذهب إلى المؤتمر بدنى... إلى أرب أشد الرغبة أن أكون معك اليوم كما كنت معك بالأمس وقبل الأمس وفي كل مرة... إن لمي أفكاراً وإن لمي خططاً سترفضك إلى الفروء... أسمعتم؟ إياك أن تنساني... إحذر أن تتحرك إلى قاعة ألبرت دون أن تصحبني... »

ولم يكن هذا الهاتف وهماً... لقد كان يتردد في أذنيه كأن أوتو واقف أمامه... حتى أنه وقف وشكره، وأكده أنه لن يذهب وحده... ثم مد إليه يده فصاغه... وحينما فتح عينيه... لم يجد أحداً في الغرفة معه!

وعرف أنه الوم مرة أخرى...

وعاد يفكر من جديد في وجوب التخلص من هذا الخلد... فصمم على أن يذهب إلى المؤتمر وحده وأن يبنى بحمده يديه... وأن يرضع البنات التي تشيد

جون خبر وفاته فزع أيا فزع ، وأصيب في تفكيره
بطلائف من الشلل قضى على كل ملكاته وكفاياته ،
وتناول الخبطة المكتوبة فلم يستطع أن يقرأ منها
حرفاً ، ثم حاول أن يذكر النرض الذى من أجله
ينمقد المؤمر غداً غد فلم يستين من ذلك شيئاً ...
ووقف ليرجى الخبطة فلم يقدر على صوغ عبارة
واحدة .

وتذكر السائل السحري فجأة فبادر إلى أخذ
الجرعة التى حددوها له لنفوره الأمير أوتو
متكوقتش ...

ماذا أصاب السائل أيضاً ؟ أين الشذى
الجميل الذى كان يفعم الخياشيم ويمرر حديداً فى
الأعصاب ؟ ما لهذا السائل ينحط فى المدة كما ينحط
الدواء الخبيث ، تصافه النفس ويتفرز منه النغم ؟ آه !
لقد ذهب السر المائل بنهاب الأمير أوتو ؟ يا لله !
لقد كانت نهاية الستر جون ماكسفيلد الخطيب
والمفكر السياسى الباهية أغرب من بدايته ! وعند
ما اقتربت اللحظة الهيسة المهمة فى حياته ...
ابتعدت عنه كالبرق عوامل النجاح ... يا الموت !

ووقف الستر جون يلقى خطبته ... فإنا
حدث ... ؟

« ماهذه التفاهة ؟ ماذا الى ؟ ماهذا التفكير
السقيم ؟ من الذى دعا ذلك البهيم لينق فى ذلك
المؤمر ؟ ما لنظراته تخرج كاثيق هكذا ؟ » ...
ويمثل هذه الببارات القاسية أنشأ المستمعون
يسلقون جون بالسهم الحداد . وفى الحى ... لقد

— أمانا للعرضة والابنة يامستر جون ...
إن أبى بائى أن يمرضه أحد غيرى
وناقشنا الستر جون فى قياسا بتمريض أبيها ،
ومع أنه أفتنها بأن السهر على صحة المريض مرهق
لشبابها وأنه لابد من عرضة أخرى خبيرة بفنون
التمريض إلا أنها لم تشأ التخل عن هذا الواجب
القدس ولم تقبل أن تنزل عنه لأحد

وعاد الستر جون ماكسفيلد إلى فندق
(رتر هول) ... وعاد أيضاً يفكر فى خطبته
الزمنة فى قاعة (ألبرت هول) ، وهى تلك الخطبة
التي تركز عليها كل آماله فى دخوله عضواً فى
الوزارة ... ثم بدأ شيء من الأسف يخاضه لمرض
الأمير أوتو متكوقتش ... وتعنى لو عوفى قبل الموعد
المضروب لإلقاء الخبطة ... ثم تحيَّله جالساً فى
جميع الأندية والسارح والمجمعات التي كان يلقى
فيها خطبه فى الصف الأول من الستمين ، وتحيل
عينيه المبيتين تشعان السحر والكهرياء فى نفسه
فيتدفق يائناً كما يتدفق صيب من السماء فيحيى
الأرض بمد موتها ... ثم تحيل ضرورة حضوره
هذا المؤمر ليم له النجاح للشود وليغزو بمضوية
الوزارة ... وأخذ يشك فى النجاح إن لم يحضر
أوتو ... وأخذ الشك يكبر ويتماظم حتى ملئ على
نفسه ، وعلى أفكار الزهو والكبرياء التي كادت فى
رأسه وصدره قبل ساعات ، ثم وقعت الواقعة ... !
فقد توفى أوتو متكوقتش ، الأمير الشرقي الساحر قبل
موعد انعقاد المؤمر ليلة واحدة ... فلما سمع الستر

بل آثر برادفورد الساكنة ، ولم يعد يقبل إلى لندن
إلا مرة في رأس كل شهر ، حيث يقيم ليلة أو ليلتين
في فندق ألتر هول ، ليحضر من النافذة الجيبية على
الهايد بارك ... ويمتد هناك أحلامه

وتذكر السائل السجيب السحري حمة وبدقة
الأمير أوتو بستة أشهر ... فراح يمجهم في نفسه
بعض المبارات : « إله من سائل ! لقد كان خداعاً
عظيماً ... ومع ذلك فأظنه كان خداعاً صرفاً ،
ولاً وهماً عصباً » - وكان يجلس عند النافذة المظلمة
على الهايد بارك ، وهو يرسل هذه الكلمات ، وفي
يده الزجاجية الخضراء التي كانت ما تزال تحوي
قطرات من السائل السحري ، كانت تشع سناء
سحراً مشبهاً بالكريات ، رغم الأشهر الستة الطويلة
ولما نام أخذت الأحلام تسبح في رأسه
المضطرب ، وسمع هاتفاً عجيباً يأمره أن ينهض من
فوره ، فينطلق في شوارع لندن لأن حظاً جديداً
يانتظره ... وقد يكون فيه إسماعه ...

وهب من نومه ليضحك ملء شذيقه لهذه
الرؤيا النادرة

وكان الليل جميلاً مغمراً ، وكانت ليلة من
أخريات الصيف اللندني السجيب ، فخطر له أن يحقق
مدى ما في هذه الرؤيا من صدق ... من أجل ذلك
لبس ثيابه ووضع فوق رأسه التهمة ، وهرول على
الدرج وانطلق يذرع حدائق الهايد بارك إلى محطة
فكتوريا ، وهو لا يدري ما الذي يدفعه ليسيير في
هذا الطريق بالذات ... ولما بلغ كندراثة
وستمستر ... وقف وجهاً لوجه ، حائراً مرتبكاً

ظل الناس حيارى في أمر هذا الرجل ... يملو
ويملو ويملو حتى لا يكون علو ... ثم يهوى ويهوى
ويهوى حتى لا يكون سفلى ... لقد ارتفع بالأس
القريب حتى لم يعد في انجلترا كلها من يدانيه بلاعة
وفصاحة وإشراق يان وسمو تفكير ، فأباه الليلة
قد هوى من حالتي ؟ ! ليس أحد يدري ! حتى ولا
جون نفسه ... فقد وقف فوق النبر يرق ويملأ ...
ويبحث عن كلمة أو كلمتين يقولها ، ولكن الكلام
كله الثالث عليه ... حتى ريقه جف فلم يستطع أن
يلمه ، وكان ربطاً أبداً ! وأخذت السيون ترمقه ،
والأسن تملقه ، ووقف مسكيناً حائراً كالطفل
الضال في المدينة الصاخبة ... وذكر أوتو فتتم
بصلاة خائفة ، ودعاء حار أن يدركه الأمير الشرق
من عالم الأرواح يعض سحره ... ولكن ...
هيئات ! فقد سادقاعة المؤتمر صمت يشبه الموت ...
وتبددت نفس المسكين لمغات وحشرات !

- « إنطلق يا صاح ... تكلم ... إن برادفورد
برشة إذا طال هذا الحصر^(١) ... تكلم ... إنك
موشك أن تقضى على شرفنا ! »

من كان يرسل هذا السخط في جو المجلس ؟
آه ! إنه رجل من برادفورد ! وهكذا سقط المستر
جون ماكسفيلد من عالم السياسة والمجد البراق سقطه
لاتيامة له من بعدها ... ودخل إلى هذه الدنيا الهادئة
التواضعة ... دنيا الرامى والأغنام والأسواف ...
ولم يعد يدور في سحله قط أن يضع إحدى قدميه
في دار البرلمان الشديدة ، ذات البريق وفات السناء ...

(١) الحصر إلى وعدم استطاعة الكلام

أمام فتاة نحيلة ، منهوكة الجسم ، متشحة بملابس سوداء ... ما كاد ينظر إليها حتى عرفها !
 ولكن الفتاة افقتت في شارع ضيق ، ثم دخلت منزلا حقيرا ، فقال جون :
 « يا لله ! إنه لا يمكن أن يكون هنا مسكنها »
 ولم يدر ماذا يصنع ...
 ثم رأى كأنه يعلم ... وها هو شبح الأمير أوتو يدفعه نحو باب السكن الذي افقتت فيه الفتاة ..
 وها هي يد الشبح تمتد إلى الباب فتفتحه ... حيث رأى جون ما كلسفيلد حنة ، ذات الشعر الأحمر الذهبي ، واقفة خلفه !!
 وصاحت حنة مذعورة : « مستر ما كلسفيلد ! »
 ويتم السر جون قصته فيقول :
 - « حقا لقد كنت غرا أبله لا أعرف ما الدنيا قبل أن أعرف حنة .. إنها خير من السائل العجيب السحري الذي اخترعه أبوها ألف مرة !!
 هاأنذا أخطب خطباء أهل الأرض وأعمق مفكرهم بمد إذ تروجها »
 ميمى خشيبة

كل ثوب مصرى علم من اعلام الحرية

تغزلها وتنسجها لنا

شركة مصر للغزل والنسيج

وتبيعها جميلة متينة رخيصة

اطلبوا منتجاتها من

تجاز المانيفاتورة بالقطر المصرى

من ذلك النوع الثيرم بالحياة .
كنت قرأت كتابه « من
الأعماق » وهو حافل بأنفس
المخاطر والأفكار عن خفايا
الصنمير وخبايا النفس من
الشهوات والوجدانات
والمواطف . وكان ديربال يأكل

ويشرب وينام ويصحو بشيابه
كاملة ، وبأنى أن يقتل أو
يخلق ، ويقول إن الأسد والفيل
والنمر لا تفعل شيئاً من ذلك
فلا حاجة به إلى الزينة . فتصور
هيئة ذلك الإنسان التوحش
الذى وهبته الطبيعة تلك البقرية
النادرة وهو ينشدك شعره في
فلسفة الحب وهو حافل بالبديع
الرائع من شذرات النزل الرقيق
والنسيب العذب ، ولو رأته فتاة
أو كاهن لفرت من وجهه فزعماً
فألت رفيق السفر : كيف

صار إلى تلك الثورة وذلك التلقن
حتى أمسى متوقداً مذبذباً وهو
الذى أفاض فتحات السحر على
آة الحب فكساها أجمل صيغة
وأحسن رواء ، واجتنب من شجرة

الأحزان والأشجان نمار الفصاحة غضة يانعة .
فقال لى : حياة للرأى . خيانة للرأى هى التى ساقطت
إلى قلبى الحزن الدائم والشقاء اللثيم ، فأصبح قلبى
بحال الشك والريبة وموطن الهممة وسوء الفن

إِنَّ عَادَتِ الْحَيَّةَ ...

للكتاب الفرنسي هنرى بارناباس
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

تعريف بالقصة

هنرى بارناباس ، كاتب قصاص
على لسان جى دى موبسان قليله يشي
عن الكثير ، وكثيره رائع . جعل
قصته (إن عادت الحية ...) على
لسان موظف سياسى ، يحمل خيبة
ديبلوماسية بين باريس ومرسيليا .
ونجاة التي في القطار جمدى قديم
هو القصاص الشاعر كاليب ديربال
الذى كان يشبه مجنون بحالة رثة . وأنه
على غناه وتلؤلؤ مواهبه يعيش هيئة
الفلاكة ، تستدرجه حتى قص عليه
سبب قتلوطه من الدنيا وزعمه في
الحب وسعادته اللوهومة . وكانت
القصة تتصل وتصل تباً لحركة
القطار وبلوغه محطات الطريق وهو
ابتكر في فن الرواية . فان القصة
ليست سوى قطعة من حياتنا تلازمنا
ونعيمها وتأخذ منا وتطحننا كالغمر
شبه الذى يتفقا وطوي للكلن
والرمان والأحمارمما . أما اسم الرأى
فهو لور ، ويكتب أحياء لورا ومكنا
كتيباه على الصوريين .

إياك واحذر من الاعتزاز
بجواهرتك كما كنت أفضل . فقد
كنت أأفخر بما يسمونه قوة
الذاكرة .! وأزعم أنها صديقة
وفية لا تخوننى أبداً . وما زلت
كذلك أعجب حيناً وأحسد
أحياناً على تلك النعمة المؤاتية
سواء أ كان ذلك ذكاً أو أنثى .
تقول عقلاً واعياً أو عقلاً باطلاً ..
قل ماشئت ، ولكن ثن بإصاحي
أننى أعتقد أن في الكائن الانساني
سراً كامناً ، بل قوة خفية ...
سمّها شيطانة أو ملكة ... كما
شئت ... فهنا السر (وأشار الأستاذ
يرون إلى رأسه) الذى يمجز
الغلاء عن تليله ومعرفة كنهه .
كنت مسافراً من مرسيليا إلى
باريس في قطار الليل السريع في

عمل هام ينتظرني ذنوء على أحر من الجمر ... ثم
عمل سياسى سيأتى خبره في سياق حديثنا . وكان
في صحبتي موسيو ديربال الكاتب الشهير الذى قضى
نحبه بفاجعة أليمة ... كان قصاصاً وشاعراً ولكنه

الشماع ، يجر عيوننا ؛ تتلو صفحاته قسكب عليها دموع الرقة والحنان . عند غام الساعة الأولى بعد نصف الليل ، وقف القطار في محطة ديجون فدعوت الشاعر إلى شرب قنح من نبيذها اللين ، فأبى إلا أن يشرب أقداً من الأبيست وهو ما يسميه « بالشيطان الأخضر » وينزل في لونه قبل أن يتجرعه . وفي الحق أن تلك الحجرة الخبيثة التي طالما ضللت العقول ، وحرقت الأكباد ، وأذابت الواهب النادرة ، كانت في الأفق كالمهرم القاب تجنب النظر وتري النفس بارتشافها . وقد لمع دبريال إعجاب وتردد ودهش من اكتفائي بالنبيذ ، وهو شراب برى . إذا قارته بشيطانه الأخضر الآثم فقال لي : — إذا أردتني الأوجاع وسهدتني الأوصاب ، خفت عني وطاة الهاء بهذه الكؤوس للترعة ، فتحول ذهني عما أأنه من الألم بذكرى أيام الخالية وحوادث الماضية ، وما انطوت عليه من المواقف والحسرات والتلهفات ، وخواطر التوبة والتندم

قلت له وأنا أأدعه : ترى يا صاحبي دبريال أي أدوار حياتك هي الآن أكثر تردداً على خاطرك في ساعة التذكرى ؟

فقال : لم يكن دور الشبهة وعصر الصبا ... كلا ! فقد كانت ملذاته قليلة نادرة ، مشوبة في معظم الأحيان بمرارة الألم ، إما خيانة للرائة هي التي تردت على خاطري ، وفي أمثال هذه الساعة إذا خطرت بيالى الخواطر عن باريس وأحوالها وحوادث العصر ، وعن شهرتي وسمعتي ، أسرع إلى طردها من رجلي خاطري لتوفير نفسي على ما تألم له من الوجدانات والأشجان ، التي تحركها ذكرى خيانة المرأة

فسألته : ألأن امرأة واحدة خانتك ، جعلت الجنس الأتوى كله فريستك وخبيثك فثرت على نشاء العالم ثورة حتى وحقد عذبة هوجاء وشنت على النوع الإنساني غارة شعواء ؟

فتهد دبريال من أعماق قلبه وحديني بينين قوتين ثم قال : لقد ثبت عندي أنك لم تعرف خيانة النساء ولم تنق مزارتها ولم تكنو بناها . إنك يا سيدى لا تعرف حقيقة قلب المرأة ... ولك لا تزال تظنها بهجة الدنيا وزينة الحياة وقسيمة الرجل وأداة سعادة ووسيلة هتاه . ومن العجب أن معظم الرجال يرون رأيك ، فليهم يعرفون بعض ما عرفت ، إذن لمتوا اقراض جنس المرأة اقراضاً لا رجوع بعده ، وإذن لساد الأمن والسلام في الدنيا وانفسحت ظلال النسيم في العالم ، وكف الناس عن التذاف والتنازع والتحاسد والتحاقد ، ولم تلق على ظهرها وغداً ولا شرباً ولا لثماً ولا خبيثاً ؛ إذ يصبح الرجل لا يرى لنفسه أدنى ثمرة في التزام الرذائل والخباثات وارتكاب الإثم والجرم واقتراف الشر والنكر . هذا لا شك ما يحصل لو أن الطبيعة في ساعة من ساعات تمقلها قضت بطعنة واحدة على نبات حواء كافة وأراحت الرجال من الجنس « اللطيف » . فابستم ثم نحكتم ثم ساورتني المخاوف فقد دخل في روعي أن بالولف العظيم لا شك جنة لا تعرف علها ولا يفهم سرها . ولله كان أصيب إثر داء أو لوعة بأشنع أنواع الجنون ، أعنى ذلك الهوى يكتسى ثوب العقل ويلبس زى الحجة والبرهان ! ! وقد تمكن بقله الجبار أن يحمل من الجنون جمالاً ، ويتقضى على أنشاليل الأقوال والأعمال روثاً سماوياً كلالاً

عطرها ... أتصدق ذلك ؟ إلى قادر على استحضار
مباهجها وعبقها ، بيد أن ماتت واستقرت في جوف
الأرض التدية في غابة قريبة من شارونير ، تلك
القرية الجلية التي قضيت فيها أسعد أيام حياتي في
حببتها قبل أن أكتشف خيانتها التي استحققت
عليها الموت . نعم الموت

— إذن ماتت تلك التي حملتك أعياء الحزن
والثيرة ، وأسططكت على الدنيا ومن فيها ؟

— نعم . ماتت

— وإذن كنت سعيداً حقاً بحبها في حياتها ؟
— كنت سعيداً ... وأعترف أنني كنت أشعر

أحياناً وسط هذه اللذائذ الرائعة بضئولة أحلامي
وأوهامي وأحس أن أخيلتي كانت ناقصة حقيرة ،
لأنني كنت أرى في عينيها برقاً يشك أن يكون
لهباً . فأسألها فلا تحير جواباً . كانت اللبنة سكوتاً
آيتها الصمت الطويل والتفكير العميق ، فأسكرتها
ذات ليلة سكرأ شديداً فكانت تلك الشيطانة الانسية
تزداد صمواً ونمهاً ، وكلما أمنت في إغراق حرصها
في كؤوس الخمر لأجل عقدة من لسانها أمنت هي
في اللحظة ، كأن خرقة بورجونيا وشمانيا وكونيك^(١)

عصرت خصيصاً لتزيدها حنراً وتكثها ، ولكنها
في آخر تلك الليلة بدد أن لا ينبتا وداعبتها وعبثت
بشعرها ومناعم صدرها وهصرت عودها وعصرت
قلبا بما يقبل عليه كل عاشق مجنون في خلوة بحسبها
لفرط عطشه وداع الحب ونهاية الترام ، وقد جلست
في الفراش عارية ، وكانت أشبه الأشياء بتمثال من

(١) أسماء غلطيات فرنسية اشتهرت بصر الخمر
للروعة بأسمائها

كان الشاعر ديربال يتكلم ، وأنا أتحرق على
قصته ، ولكنني لم أحاول قط أن أشعره بتلحق ، فقد
عمدت هذا النوع من الرجال يروغ منك ويمرض
عنك ، إذا أحس برغبتك في استطلاع دخيلة
نفسه ، بل إنه ليفقد وحيته ، ويطلق مصباح اللامه
علماً ، إذا أظمت أن يروى عليك حديثه . يجب
أن تركه يغيض من تلقاء نفسه ، وإن عواطفه
الجياشة تلحق على هدوئه وتلجته إلى الكلام ،
ليخفف عن قلبه وطأة الألم ، تغير سبيلك أن
تتركه ، وإن أردت الإيمان في إهاجة شعوره ،
فتعرض عنه ، وتظهرن عدم اكتراثك بالوقوف
على سره ، وإلا فإن كل إشارة أو عبارة تم عن
اشتياق لحديثه تسد في نفسه مسالك القول ، ولذا
قد تصمتت الإغضاء وتصدت التجني ، وما زلت
سالكاً منه سبيل الدلال حتى عدنا إلى مراكبة
القطار ، وقد بشت فينا أفداح الخمر دفناً وأحلاماً
عذبة ، فاستطجع ديربال على القمد الطويل ، واتخذ
منه فراشاً وثيراً ، وأخرج من أعماق جيوبه المحتفية
وراء أردية لا عداد لها ، علبة مستديرة من الذهب
ذات غطاء لازوردى مزدهن بصورة لم أتبينها في
بداي الأمر ، ثم قرع على غطاءها ورفعه ، وتناول
على مهل بين أطراف بناته مسحوقاً مطعراً بما محتويه
اللبة وقال : هذه علبة زيتنها وقد تقشت عليها
صورتها ، صنعها لي كلود ياسيه ، ووراء الصورة
مرأة صغيرة طالما نظرت إليها وهي تترنن بما فيها
فانطبت على صفحتها بحماس ... أتصدق ذلك ؟
إني عند ما اشتاق لرؤيتها ، أنظر إلى خيالها في
المرآة ... لأنه لا يزال باقياً ، فأراها !! ثم أنشق

نفسى التى كانت تستحقى وتحققى ، حتى لقد اعتقدت أنك مرسل إلى من السماء ، فأنتى على الرغم مما وقع بي من كوارث الحياة ونكباتها ، لا تزال فى بقية من الإيمان الذى نشأت عليه وأظلتى شجرة

قلت لها : عييا يا لور . لم أسمع منك قبل هذه اللحظة أنك كنت فى ضيق وألم وأنتى خفتها
فقلت : أ كنت تريد أن تمنحنى على وتطاول وتحاول إذلال

قلت : من أين لك هذا الظن السىء ، ولم لم تحسبى أنتى أشاركك الأسى وأترقى بك ، وأتلف فتخف لوعتنا مما ، فأنتى أنا الآخر ولید شقوة وحليف آلام وأليف أحزان

فاطمات المرأة قليلاً ووعت أنها عمت بالكلام المرعب ثم عادت فاطرقت ونظرت إلى الفراش بيتين واسنتين ثم صوبت نظرها فى وصمدت . وأنا أتحرق من التنبؤ والصبر الطويل وأعجب لهذا السر الذى انطلوت عليه أضلاعها وأظنر إلى فيها اللئيم بأفعال الصمت القاتل ، ثم قالت : إسمع الآن يا كليان ... لقد عرفت قبلك رجلاً ، صناعاً وكباراً ، فلم يسدوا حاجتى ولم يتقموا غلى ولم يمننى حبه للتمثل من الاسترسال فى النوى والتطلع والتخيل ؟ وكنت أحس فى نفسى فراغاً عجول الملة ، لا يملأه شىء أبنة ، وأجد فى مهجتي تلهفاً على نوع آخر من السعادة لأنهم كنهم ولا أعرف ما هو ، ولكنى أشعر بشدة الحاجة إليه ... إلى أن التفتت بك فأحببتك وأخلصت لك وهما أناذى أقسم لك ...

المرمى للشرب بلون الماج ، وقالت لى بعد برهة من وصالتنا :

أى كليان . كليان ديربال ... ماذا تطلب منى ؟ أراك لا تبدأ روعك منذ عرفتنى ، ولا تستقر على حال . تدأب تسألنى عن الماضى ، كأنك لا تفنع بحاضرى الذى بين يديك . ما ذا عليك من الماضى وما جرى فيه . أظن أشد النساء بلاءة وزقفاً تقضى إلى حببها بحقيقة حالها مهما برح بها هواه وسلست له قيادها قلت : هل بعد الذى نحن فيه سر بسان ، وهل وراء ما نرى وتندوق خفاء ؟

— وهل يجب الرجال أبداً هناك الأستار ؟ هب مشوقة مفرطة فى السذاجة والصدق أنضت إلى طاشقها بكل ما رأت وعايشت وتأت أو فرحت وصمدت . أترأه يتقبل اعترافها بالتصديق والتسامح ؟ أم ترأه يصاب بدهاء النيرة التى تقتل الحب فى صهده يافساً وفتياً . وإن هى صدقته وكان هو أول من أحببت ، فليس لها منه سوى الشك الباعث على اتهامها بما هو أشد من التصنع والكذب

قلت لها : تفرين يا لور المحبة الأمثال بنيرك ونجومين حول باب الحديث وخلصته وبأبى حذررك أن تتكلمى عن نفسك ؟

فقلت : لو أن وراء الكلام الذى تقصد إليه خيراً لك ولى ، وحققك ما رددت لحظة فى تسليمك مفاتيح قلبى ، وجعلتك فى حل من متاليقه . ولكن وأسفاه ! ليس لى ما أروح به غير أنتى امرأة شقية بائسة ، لفتيتك فى وقت كنت فيه أحوج ما أكون للنماتة والراحة واللواصة والحب ، فأحببتى وعينيت فى ورجحتى وواسيتى ، وفرجت أزمة

ديرال ووقف بقامته المديدة وسط مقصورة القطار حتى كاد يصدم برأسه مصباح السقف الذى كان يشبه بطيخة من الزجاج الأزرق، وصرخ:

« صادقة ! مخلصه ! ما ذا تقول يا هذا ؟ أعلم هديت الرشد — أنه ليس من شر فى العالم أو أذى أو علامة إلا فى رقاب النساء انهما ووزرها، وعلى رؤوسهن تيمنا ومسؤوليتها. فقلت له: موسيو ديرال هدى روعك ! فقال : تكاد نفسى تطير شعاعاً كلما

التفتت بسانج مثلك، لا يزال يحسن الظن بالجنس اللطيف. إن النساء أغلظ أكباداً من أن يتألمن شديد الألم أو يكثرن عظيم الاكتراث عند رؤية مناظر الشقاء ومشاهد البلاء والحنة — فهن ينظرن إلى مأساة الحياة تحتل على مسارح الدنيا ولا يكاد يخفق لهن بالأسف جنان، أو تسيل لهن من الرحمة والرأه أحنان. ولكن دموعهن تنهمر من أعينهن كالطرر إذا أردن أن يملئن دوراً باهراً. على أننى لا أحب أن أفسد سياق القصة بهذا الاستطراد.. عند ما رأيت بكاءها وغضبها، آمنت بصحتها ولكن هاتفاً كان يهتف فى من أحماق نفسى أنها كاذبة. كذلك كان شمورى، وإنه لشعور صادق وهو ضربة لم تزل تميز أسرة ديرال منذ أقدم الأزمان، وقد ورتها عن أبى القى ورتها عن أبيه، وما زلت فى كل مسائل وشؤوني أأعز بأوامر هذا الهاتف فأهتدى إلى الصواب وأوفق إلى أحسن المواقب. فقلبي حدثني بأن لورا خادعة خائنة، ولكننى كنت جد حريص على إتمام سعادتي فى تلك الليلة وأخشى أن تكدر صفوها بالويل والنواح، فدوت منها وأخذت يدعا بين راحتي وضممتها إلى صدرى وقلت لها :

قللت لها : لورا ! لورا العزيزة الحبيبة ! بالله عليك لا تسمى، ليس من وراء القسم إلا القطيعة، فإن المرأة المحبوبة لا تقدم على الإيمان إلا إذا أحست بديب السأم فى قلبها فتريد أن تستوق من دوام حبا، وتحفر فكرة الشك من نفس علقها. وبدأت الخبيثة تبكى وتنتحب وتغمر خديها على صدرى ووجهى وتفرس أعظافها فى لحمى حتى كادت تدى بدنى فقلت لها :

لورا ! لورا ! لا تؤذى عينيك الجليتين بالكاء ناشدتك الله ! غيضى مذامك وكفكنى عبراتك فوالله ما قصدت إلى إيلاملك أو إيذاء عواطفك، ولا الفضول والتطفل على خصوصياتك وأسرارك ودخائك وإن كنت أجدنى مدفوعاً بأقوى عوامل الرغبة إلى الاهتمام بفنك والسعى وراء مصلحتك

عندئذ نصبت المرأة قائمتها وقنختى بنظرة حشدت فيها كل ما تستطيع من البغضاء والكراهية وقالت لى : أعجبني من النساء اللواتى تستدرجن للنفمة، إن قلبى أياها الرجل لا يباع ولا يشتري، إننى أعز وأغلى من أن أكون سلمة، إن الرجل الذى يستطيع أن يذبح نعى لم ينقله الله بعد. إنك تسخر منى وتهزأ بى، ولكن اعلم يا كلابان أن قلبى إن نازعنى فى هواك لأخلطه من صدرى لأحققه تحت قدى. ولم تكذب قولها حتى راعنى وآلمنى ما أبصرت من شدة اصفرارها وامتناع لونها، فأيقنت صدقها ولم يبق فى ضميرى أثر من شك فى إخلاصها وصدق مقالها

قللت لديرال الذى كان يروى حديثه :

— ألم تكن صادقة بدالتي وصفت ؟ فهض

المجردة ، ولكن الإنسان لا يتأمل الدنيا وأشياءها وشؤونها بقلب فارغ وفؤاد خال وشعور بارد جامد مثلكم أيها الباسة . ولكنه في معظم حالاته إن لم يكن في كلها ينظر إلى الدنيا وأشياءها بنفس مشنولة بماطفة واحدة أو أكثر ، فإذا نظر رجل مثلى إلى إنسان أو شيء من وراء عاطفة الحب متخذاً من هذه الماطفة منظاراً ومجهرآ يتأمل به ذلك الشيء كأنه خليقاً ألا يصبره على حقيقته وكنهه ، بل يراه مزخرفاً مُزَيَّنًا بشتى صفات الهم والخيال ، ولكنها أحق في نظره من الحقيقة ، فعلى وإن كانت في نظر غيره وهمية لكنها في نظره كائنة موجودة بل مرئية ملموسة

— إذن كنت يا موسيو ديربال تحبها إلى الحد الذى يحجب عنك الحقيقة وراء ستار من الأخيلة والأوهام

— أحبها ؟ لم أكن أحبها بذاتها ، ولكن كنت أحب الحب فيها . وإنها لماطفة أقوى من حب المرأة لأنها أحدثت في نفسى شعوراً غاية في الحدة والشدة ، كان يلهب في قلبى ويتأجج في سويدائى فأضيق به ذرعاً ، وصكنت أبرز ذلك الشعور في شعرى وقصصى التى قرّجت عن نفسى وكشفت غمى وسرّت همى . فكنت أشعر كن أخرج جرة من بين أحشائه ، أقام أيها السباسى ؟ جرة من بين أحشائى

وفى تلك الليلة التى بدأت كأسمد ما تبدأ ليالى الغرام ، وأوشكت أن تنتهى كأسوأ ما تنتهى مآسى القطيعة صحت غريزتى على مفارقة تلك المرأة فرافقا لاقاء بعده ، فهضمت مترقفاً وارتديت ثيابى فى هدوء

أنظرى إلى واسنى تقولى ! سياتى يوم تلعين فيه أن سلوكى معك الآن لم يصدر عن رغبة فى إسقاطك أو إساءتك ، وغايى أن أبذل كل ما فى طاقى لإسمادك ورد الأذى عن شخصك المحبوب ، أتوخى بذلك أن أكون أصدق صديق لك وأنصر نصير فى حياتك . وكنت أحب هذا القول الذين الذى صدر عن إخلاص وشفقة يصل إلى أعماق نفس تلك المرأة التى ألقت شباً كما على قلبى ، ولكن لشد ما كانت دهشتى عند ما قالت : كلكم سواء . لا فرق بين الواحد والآخر ؛ كلام عذب ووعد مسموع ، وقلوب سوداء . قلت لها : كلكم ؟ كلنا ؟ إلى من تقصدين يا لور ؟

قلت : أقصد إلى جنسك الرجال الخائنين ، فأنكم تبدلون قصارى المجد حتى تناولوا مآربكم من المرأة التى تحذعنونها بحكمكم ثم ترمضون عنها . فذهبت من قولها لأن الدهشة كانت أقل من أن تكفى فى مثل هذا الموقف وقلت لها : هل أستحق منك هذا التأنيب وأنت التى قلت إننى ملأت فراغ قلبك ، وفرجت أزمة نفسك وبكيت منذ هنية حتى عميت وبلت صدرى بدموعك ؟

قلت لكليان ديربال الشاعر : كان عليك أن تكفى بهذا القول منها ثم تقطعها إلى الأبد فاذا ينقصك بعد هذا البرهان على اعوجاجها وتقلبها ، أنت يا من تقول إن سررتك تهديك ، وهاتك يدك . فلم يتحرك ديربال فى مضجعه وقال :

— أنت رجل سياسى ناضج . ولكنك طفل فى حياة الحب . لو أن الإنسان كان خالياً من المواقف لأبصر الأشياء كما هى وعلى حقائقها البحتة

في تلك الفترة القصيرة التي سوف تشرق فيها بالوحدة بعد انصرافي من هذا البيت ، وسوف تساورك الشكوك وتستأذن النيرة على قلبك ، حاسبة أنني ما عدت فراشك إلا لأندس في أحضان غائبة أهواها ، أو أتمسكها نكابة بك وانتقاماً منك . ولعل الدهن المريض أو الخيال السقيم يصور لك أنني ارتجعت تلك المشادة ، وابتكرتها وارتمت الشقاق وفتحت باب الشجار على مصراعيه لألتبس لضيقى عندي ، ولأزور موطني منك إذا عانيتي أو حاولت إرضائي . فأنت يا نور كظلي إن تركتك تبعني ، وإن تبسكت تركتني ، تعملين خلاف ما أريد ، حباً في ما كنتي

وكانت المرأة صامدة . وحملت نظرات الحنفى تطال من عينيها التائبين تطال الشر عن ناره ، والتبل عن أوتاره ، وقد حاولت أن تظهرها بدم الفطنة إلى إشارتي وعدم الشعور بها ، فقلت لها : من ذا الذي أغراك بإيديتي الخبيثة بأن تتبلى هذا العور المنكر أمي ؟

ودنوت منها وهي لا تزال رابضة في فراشها وحلت على حافة السرير متلفاً وقلت لها :

— إن شئت بقيت ، وإن شئت ذهبت ، وأنا على الحالين راض عنك مادمت لا تحملي لي بين جنيتك التاعمين حقداً ، فقالت :

— أحل لك حقداً ؟ وعلام ؟ ألائك تنادرنيني ويبتك كما يتادرن الشراء مضاجع المخططات قبيل الفجر ليمودوا إلى بيوتهم قبل أن يفضحهم نور النهار ؟

ابني إن شئت ، ولكن على ألا تمسني بخير

قلت لك إننا كنا نعيش في قرية شاربونير ، إحدى ضواحي جرينوبل في منزل صغير جميل أعده لنا مدام بوديه ، وهي امرأة من أهل البيوتات الكريمة قدمها الدهر ، فاقطعت للرزق من سبيل إيجار الساكن المؤتمنة على أجمل طراز وأرشفه . وكنت أحب أن أطلعها على حقيقة أمرنا لئلي أفوز منها بمشورة ناضجة لأنني لحت في عينيها وميضاً يوشك أن يكون إفصاحاً بشفتها على من تلك المرأة المتقلبة المتحكة ، ولكن سكوت الليل الذي كنا في آخره وحرمة المدعو السائد على الكون وذكوى الساعات القليلة التي قضيتها في جنب لورا ، وقد تكون من أهد وأمتع ساعات العمر ، دعني إلى التريث والصبر حتى ينفخ الصبح

فلما رأيته لورا ألبس ثيابي قالت : أتركي هكذا آخر الليل ؟ أو يطاوعك قلبك لأنني أفضيت إليك بمصاراة قلبي وأطلتلك على ما لم أطلع عليه أحداً قبلك من خلق الله ؟

ففظرت إليها فأذا بي أراها وقد تنيرت ممالها — وجهه حسن الملامح حقاً ولكنه جامد

التفاسيم ، كأنه قد صب في قالب من حديد ! ظلمت ترى به أدنى دليل على رقة اللواط أو أقل شاهد على ذكاء القرينة ، فكان هذا الجلود في عيني أسوأ أترأ وآلم موقفاً من مقابح الحلقة ومساوى التقاطيع فقلت لها : أجادت فيما تقولين يا نور ؟ أم هازلة

عابثة ، تبذل القول الجميل لتسبيني بجانيتك حتى الصباح ، فأني أعلم أنه ليس شيء أشق على نفس المرأة من أن يهجرها عشقتها في مضجعتها ... ولعلك تخشين أن يتجدد حبك — إن كان في قلبك حب

التي لا أستحق أن أربط شراك نليك ، فاعف عني
واغفر لي واسفح وراجني تجدي أطوع من بناتك
لا أطيع هجرك ولا أستطيع الحياة بدونك ...

فوحك يا صاحبي بكيت ، واقفجت في قلبي
يتابع الرحمة وأهويت عليها تقيلاً وضماً وطمحاً
بين يدي كالجملة الوداعة إلى الفراش الذي كان
لا يزال دافئاً من أثر رقادنا ، وما زالت ترتعش بين
ذراعي ويكي وتأنوه ، وثقل وتحن وتشتق حتى
سالحتها وضممتها إلى صدري وجففت جموعها برأحتي
وقلت لها : عديني وعاهديني !

قالت : أعدك وأطهدك على ما ترغب ! أنا
جاريك وأسيرتك وملك يمينك فاصنع بي ما شئت
وكن قاسياً فلا أستحق رحمتك

قلت : لا أطلب شيئاً من هذا ، بل عاهديني على
ألا تبسني ولا تقطبي جينتك ، ولا تكرمي عاسن
وجحك ، ولا تستبجلي غضباً ، ولا يمين جنونك
بعد الليلة ...

فقالت : أعدك وأطهدك ، ثم نهضت وخلعت
عني ثيابي في علف وحنان . وكانت لها طريقها في
تناول أردتي حين ألبسها وحين أخلعها حتى لتشر
أنها تهبا شيئاً من جها لصاحبها . وتقدمت نحوى
وعلى وجهها نور البشر والطلاقة ، وفي ثملائها معنى
الصراحة والحفاوة والفرح بالصلح الذي تم فلم
ثملنا بعد شتاه ، ثم أخرجت من قطرها قدحاً
فضياً كبيراً إغريقى السنمة وملاً بما احتوته القناني
من التبيد الأحمر وقبضت عليه بكتلتا يديها وسقتني
ثم شربت وجلست أمامي وأخذنا بأطراف الحديث
فا لبثت أن وجدت في سهوله حديثها وعذوبته

بشر ، ولا تقامحني في أمر من الأمور التي أسقطناها
من حسابنا . ثم بدا وجهها من آيات السخط
والعجز والتبرم ما لم أر مثله قط فجلت لأدري أى
مقدار من هذا السخط والاكتئاب كان ظريفاً
غريباً في خلقها وأى مقدار كان طارئاً لمة من
الملل حتى أزال هذا الشك ، بأن تناولت من جانبها
طرحه من حرر ليون الفاخر ، كنت أهديتها إليها
فطلنت أنها تريد أن تتلفع بها ، ولكن الفتوة
تناولتها بيد عتيقة خرقاء ، وضمت حواشيها كل
ممزق — فهضت من جانبها وقد علمت أن ما كان
يلوح على وجهها من دلائل السخط والاشتمزاز إنما
كان عن غريزة شر وشراسة ، ونجيزة غلظة وجفاء ،
وليس لسبب حادث أو علة طارئة

وقسمت إلى الباب أطلع راجه لأغادرها
خشية أن زداد شرها فيحدث بيني وبينها ما لا يحمد
منبته ويورث الندامة ، فاتفقت من الفراش وطار
إلى ، وقيل أن أدرك ما تريد طوقت حتى بذراعها
وحى تجمش بالبكاء وقالت :

— كلبان ! كلبان ! ربك لا تتركى وحيدة .
عد إلى وأأطهدك على أن أجبك أسد المشاق !
ألم تفهم يا غدر ؟ إننى أجبك من أعماق قلبي الملم ،
ولكن كبريائي أقوى من حبي ، فلا أستطيع أن
أبوح لك أو أسترحك . هل أنت أعمى فلا ترى
شدة وجدى ولوعتى عليك ؟ ثم لم تلبث أن
ركمت وتثبتت بساقى كما يتثبت الطفل الخائف
بركبتى أمه ودفنت وجهها النادى في ثيابا مطلق
وقالت :

«ها أنا ذى أمرغ خدى في رابرجليك ، وأنا

مصالحتنا تفتحي على الخروج بقية اليوم ، فترامى السير ، ونسي رويداً تنفس في أعماق الثياب مكاناً قفراً وبقعة خالية ، لا يصير بها غازل ، ولا ينشأها رقيب ؛ ثم تبتني بين الأشجار القضاء مجهلاً غامضاً خفياً ، نكون أول من أفضى إليه من بني الإنسان ، فتأوى إليه ، وتطمئن فيه ، آمنين ألا نصلب بذاك يضايقنا بدخوله بيتنا وبين الطبيعة . وفي تلك البقعة كانت عروس الطبيعة تتجلى في أجل منظر وأحسن زينة ، وبخيل إلينا ، أنها تمجد صورها وتبدل أشكالها وألوانها ، في كل آن ولحظة . وإنى لا أكتفك أننى في أوقات تلك

الخلوة كنت أنتصور وجه مشوقى كاحدى بدائع الطبيعة ، يزيدك حسناً كل زده نظراً ، وكأن جالها من تمجده متقل للمين في صورتي متماقية ، فلا تسأله العين ولا يله التأمل مهما طال النظر إليه . وكان في جلال الأشجار وفي أنواع الرياح والأزهار ما يعلا أعيننا بجلا ، ولشدة ما ارتبطت روحا ما كنا ننطق بببارات متحدة في اللفظ والمعنى . وهذا توارد الخواطر الذى يمتد استرجاع الروحين واندماج العينين كقولى لها : إذا ضرب البحر بالور بينى وبينك ، وكان الفرقاق على الرغم منى منك ثم افتقدتنى ، فالتمسينى يا نور عيني في هذا المكان الذى نأخذه حينا وترعرع ، ولزدهى زهر غرامنا وأينع فصاحت في نشوة الفرح وقالت :

— صدقنى يا كليلان ، إننى صفت هذه الجملة بأنفاسها وممانتها وعمت أن أقولها لك « فالتمسنى يا نور عيني ... » فسبتنى إليها ...

مر الربيع وتلاه الصيف وأقبل الخريف وولى

ما أزال سؤر ربيعى ونقى حشاة شكوكي ، وبعد هنيئة أخذت تبسط وتطلق وتتحلل من قيود الكلفة السابقة إلى أنى بلغت حدود الرثرة والهنر والاسترسال في سخافات القول وتفاهاه ، والره منا نحن الشعراء يستملح هذه الفنان من الأبنى الجلية إذا كان في حلاوة القلم الناطق بها ووميض ثمره ورخامة صوته عوض عن نقاهته وقلة قيمته . فأفرغنا أقداح الشراب مثنى وثلاث ومازلنا نشرب حتى رويانا . ثم رشفنا ما شاء الهوى من أقلام النرام ...

وقف القطار في محطة ليون ونادى للمنادى بأن مهلة الانتظار أربعون دقيقة كاملة وأن بالحطة مقصفاً للطاعمين والشاربين . فنهضت ودعوت ديربال إلى النزول فتعلم في فراشه ثم تحمل الأعدار ، زاعماً أنه يجب تلك المدينة ذات الهوى والطين تحت أروقة الظلام وسرادق الظلاء ، قفلت له : إنك نصف ليون منذ عشرين عاماً ، أما الآن فعلى عروس اللدان وجهجة المواسم ، ومسرح النواقي ، وقطب دائرة اللغنى ، وما زلت به أعزبه حتى نهض إلى خوان النصف وعاد إلى مفاخرة شيطانه الأخضر ثم عدنا إلى مقصورتنا في القطار قبل أن يدق ناقوس الرحيل بفترة وجيزة . وعاد ديربال إلى حديثه بلسان دافق وقلب خافق ، وما زالت محلات القطار يسمع صريرها وهى تقطع بنا مئات الأميال في عالم الليل القديم ، فقال :

— لملك لو زرت شاربونير تعرف جمال ما يحيط بها من الحراج والثياب . وكانت لور عقيب

علوة سابقة : كم الساعة وهل تحطر السماء اليوم ؟
وهل تناولت غداك ، وماذا أعددت للفجائات ؟
فأبسمت لزوجته التي كانت مثال الوفا والحسن
القابل ، فلم ترد على ابتسائي بمثله ، بل أقلت على
زوجها نظرة كلمنة المنجر بل أحد ، ثم قالت : ضع
حملك الجليل ها هنا أيها الشاعر الطريف ، ولا تكبد
نفسك مشقة الصمود به ، فهذه وظيفة تؤديها الوصيفة
فأطعما وقت وأنا على آخر من الجمر لقاء لورد:
حتى أجيب على أسئلة بملك المحترم !

قالت : لا عليك يا سيدي ! فإن للقرودة
والسناير لغات كما لشبوب البشر ، وإن لضفادع
مولانا قتيلاً أشبه بأصوات بعض الرجال ،
ولسلك لا تلم أن الاسم الذي يحمله يدل على ... (١)

(١) إشارة إلى اسم الجملش وفي أسماء القرنية كثير من
هذه الغرائب

وجاء بعده الشتاء ، وكنا قد هجرنا النابتة وموطننا
الحقن ، وانقطعنا عن الذهاب إليه بضعة أسابيع .
وعدت يوماً من جرينويل إلى شاونير قبيل الظهر
وقصدت إلى عش غرامنا في التوى الذي تقطنه ،
وكننت أهل بين يدي هدايا وتحفاً وأزهاراً لورد
كمادني كما وجدت رزقاً في خزائن بعة الكتب
اللاعين ، أو وصل إلى يدي نقود من دخل أي التي
تجد وتكد في حرت مزرعتنا في الموت ملون ، أو
فاضت بعض حقوق التأليف للسرحى من بين أنامل
هررت ذلك اليهودي الشحيح الذي كان يدير ملعب
سليستان ، ويمثل بعض قطي على خشبة مسرحه .
وفي ذلك اليوم الذي لا أنساء تجمعت لدى أرزاق
من مصادر ثلاثة ، ففرحت بها وجمعت الهدايا إلى لورد
التي تخيلها تنتظرن كادتها مكتنة على إطار النافذة
لتحيني عن كسب ، إذا ما دوت من سور العار ،
وكننت أشمر بالشباب والنافية ، وأحس دفء
الحياة التي يتفخ الحب في نازها . وأعتقد أنني
لست وحيداً في هذه الدنيا ولا شقيئاً ، وما أنا
بحاجة إلى إيناس الأصدقاء والمخلان ، ما دامت
هذه المرأة تحبني . فلما دوت من الباب رأيت
مدام بوديه وزوجها يتهايمان على صورة لم أعدها
وكان الإشفاق والمحنان يديين على وجه المرأة ،
والسخر والتمسح مهوسين على سحنة زوجها .
كان ذا وجه مدكر قبيح ، ملف اللحية ، ك
المارزين ، ذا صوت غليظ أجش . وكان أهل
الضاحية يسمونه الصنم ، والقطب المتجمل التمللي ،
وبرزون غزار (١) . فكان أول ما قاله لي على غير

(١) كلمة Bandet وهي اسم الرجل سناها جيش وهو
الحمار الصغير

المجموعة الاولى

للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات في
المصلوبيه ، والأوديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب الأريفة لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجلدة

خلاف أجرة البريد

هاشة بلشة ؟ أبيض زول البرد تفك حتى هذا
الوجوم ؟

قالت : إن الآنسة خرجت منذ الضحى ولم
تعد ، فأخشى أن عتكا يصيبها لدى عودتها ، لأنها لم
تتخذ لهذا المبوب الفاجئ عتده
قالت : الآنسة ؟ ابتك ؟

قالت : كلا : الآنسة لور صديقتك
فككت أصمق ، لا من وقع الخبر ، ولكن
من شاة بهيمة الأنعام السيور^(١) بويه ، فقد
أدركت الآن سر تهك وسؤاله عن الساعة والمطر
والنداء

قالت لمدام بويه وقد لحث في عينها دليل
الشفقة على^٢ : وبم تشيرين على في هذا الموقف
المرح ؟

قالت : إما أن تنتظرها وإما أن تبحث عنها ،
فقد رأها جانب تسلك السبيل المؤدى إلى خان
« الجواد الأبيض »

قالت : الجواد الأبيض ... آه ! إنها ذهبت إلى
النابة التي تملؤها أحيانا ، ونهضت أقصد إلى الباب
فاستعملت مدام بويه حتى أحضرت مظلة بالية
أبقى بها البرد الذي ما زال مستمرا على شدة

ولما بلغت خان الجواد الأبيض واستندت في
الطريق الواسعة إلى النابة كان التلج إذ ذاك يساقط
في فضاء الجو ، والريح تصرخ وتقول ، ومصاريع
النوافذ يشتت اهتزازها ويرتفع صريها ، وكل شيء
سادف عيني وصافح أذني يسبح بالشؤم طارده ،
ويجري بالنقص فله . وكنا قطع الطريق في أيام
الصحو في ساعة ، فإلى اليوم والريح تضرب

(١) يقال سيور الرجل الذي لا يوده التكلم بلفظ موسيو
(٤)

فضحكت . ولكنها لم تضحك واستمرت في
تأنيب زوجها بالجاز والتورية والكناية وأسلوب
الحكيم « وعندي أن كل إنسان لا يضبط منطقته
وليس له على لسانه سلطان يصرفه في وجوه الصواب
من القول ، ويجريه على أصول الحديث الشروعة
وقواعده المألوفة فإنما هو مقلد لأحد أصناف تلك
الأنعام ، يحكي بحمها ، وعلى هذا القياس يكون
الثرثار الهزار كالقرود والبيضاء ... »

وقد شرب زوجها (بويه) هذه الكأس حتى
الغثالة ، ولم ينس يفت شقة !

فلم أفهم طبعا سبب هذه الحلة من المرأة اللؤدية
على زوجها الرقيم ، وإن كنت عهدها لاقيم له
وزنا ، وتماثره على حساب الماضي ، وقد ولى الشباب
وذوى الجلال وهذات نائرة الهوى في نفسها واقتنت
أنها لن تكون فتنة للمالين ، فأخلق بها أن تملأ إلى
الراحة بجوار مذود هذا الذي اسمه وصوته من أنكر
الأساء والأسوات

ثم دعنى السيدة للجلوس وأمرت الخادم أن
تحفف عني عبء الهدايا التي أحملها . وكان للطر بدا
يهطل ثقيلًا ثم أنهار للبرد بسرعة فائقة ، فسيجت
من تكهن « الجحش » بالطر وهنأت نفسى يلوغ
الهزار قبل تساقطه ، ومتينها بالهف في الركن الركن
حيث تنتظري لور بالطبقة العليا من الهزار

ولكن مدام بويه اكهمر وحها ونجهم ، وكلا
زاد أنهار البرد زاد وجهها تقطبا وعوسا . أما
زوجها فكان قد ولى الأديار بعد أن عبث بليحيته
الدكنة الكثة بأمله الطويلة التفره ، فدفعت مدام
بويه في رفق ونظرت إلى^٣ ، قتل لها : لم أراك
مقطبة الجبين على غير عادتك وقد عهدتكم أبدا

دب" في "وسرى إلى" الآين والإعياء وأقبل العرق ،
 ثم العرق يتجعد من جيبين قطرات كباراً بالرغم
 من أنني كنت لا أبح مدفوناً إلى ساق في الجليد
 التراكم . وأخيراً لاح على يدي شبح أسود ، فتوجهت
 نحوه حتى إذا دونت منه ألفتية الناية المنشودة والناية
 المقصودة فتفتست وسمعت الله الذي قرب البعيد
 وهون المسير ، ثم سرت بمخاضة صف من أشجار
 السرور راجياً أن أعثر بالسلك المؤدى إلى المستقر
 الذي كنا نلجأ إليه . وما لبثت أن أسبته فأخذت
 فيه وأمنت في ظلمات الناية ، وكان الشتاء قد جرد
 الشجر من ملاحفه ، ولكن جوف الناية بقي من
 عبث الريح مصوناً

فاستردت طرفاً من نشاطي وميعتي واستجم
 لي بمض جاشي وطمانيتي
 فقد كان أخوف ما أخافه أن تفاجئ الماصفة
 تلك الفتاة للسكينة تفرعها وترفعها ، حتى إذا
 أباسها العرب سقطت مفتشياً عليها ولا تزال كذلك
 حتى تدفن بالحياة تحت ركام الجليد . ولم يختر بيالي
 أن طائفاً من الشرهاء ، أو وحشاً في صورة إنسان
 من المجانين أو طرداء الشرطة ينجأها فيفرسها
 وما إن بلثت المكان المهود حتى رأيت منظرًا
 انتزع له قلبي ! فقد رأيت لور ... في أحضان رجل
 بآمن من الثلج والجليد ، لأن جوف الناية كان
 مصوناً من عبث الريح وحصيناً من عبث الماصفة .
 كانت الناعسة مجتمعة بين ذراعي الرجل وصدره كما
 كانت تطمن إلى ذراعي وصدري

وعند ما دونت من مرقدما نهض الرجل وقال
 بأعلى صوته : من أنت وماذا تريد ؟ فقهنت للراة
 ورأيتي تجزعت وارتفعت وزايلها الرجاء وامتلكها
 اليأس ، ثم استردت شجاعتها وعلت إليها قهها

وجحي كأنما تريد صدري وودي ، وتعلأ فراغ النظرة
 فتضلم أسلاكها الحقيقة وتزعزق قماشها البالية ،
 وتجنب بأطراف رداي كأن لها عندي ثأراً ، فرأيت
 عجلة لبان يقصد إلى المزارع النائية ، وهو يلا ريب
 يمر بالنابة فاقترحت عليه أن يسمح لي بمصاحبة لقاء
 الأجر الذي يطلبه ، فطلف وقبل ؛ وظنفت أننا نبلغ
 الناية في نصف الوقت الذي يقتضيه الرجل ، ولم
 يكن في طاقتي أن أحاده أو أسأله واكتفيت بأن
 تسلك المركبة وتخلص من النظرة مسهلاً لأخطار
 الطريق ، فإنها لم تكن تنفي حيال هذه الماصفة
 الموحجة . ولم تكذب بخرج إلى المراء حتى ارتفعت
 الريح وهبت علينا زوبعة تلجئة أعشت أعين الجواد
 وقادته فلم يصر شيئاً ألبتة ، واختفى عليهما الطريق
 وسدت في وجهيهما المذاهب ، وغابت الكائنات
 أجمع ، وكل شيء في ضيابة كثيفة صفراء جعلت
 شظايا الثلج خللاً تتساقط وتهاوي ، واختلطت
 الأرض بالساء ، وسار الجواد بالمرية على رسله وكما
 شاء ، لا وجهة ولا قصد ، وفي كل لحظة يمر في
 كتيب من الجليد ، أو تنفرز حوافره في حجر ،
 فكانت المرية لا تزال تقلب وتكب ، ووجدت أنني
 بالرغم من انقضاء نصف ساعة أو أكثر لم نصل إلى
 الناية ؛ ومضى نصف آخر ومالاح لنا شبح الناية
 فصممت على الانطلاق على أقدام مسهياً بالإلهام
 الرباني ، فإن الله أكرم من أن يتخطى عني في هذا
 الموقض الحرج . ونفخت اليان بما أطلن لسانه بالشكر
 فنهاني عن مطاوعة الهرم وأذنرت بالوت المؤكد . فلم
 أعبا بإذاره وترجلت أخوض غمار الثلج بارادة قوية
 وعزيمة مدعشة . كل هذا والماصفة في أشدها لم
 تقتر ولم تسترح والجو صريد الجوانب مكفهر التواصي
 لم يستمد أدنى شيء من صفائه ، وكان السلال قد

بلنت أول كوخ جريت إلى النافذة وطلعت أرق
على بابها يدي . فلم تكن إلا هنيهة حتى فتح
مصراعها الخشبي وأخرج شيخ مسن لحيته البيضاء
فسأله للأوى حتى أستريح من وعاء التنب وشقة
الغوص في الجليد . فدعاني إلى كوخه وأكرم
مثنوى ، وكنت في شغل شاغل فلا أشعر بالبرد
ولا بالقرى ، ولكنني كنت متباً فأعدت لي ربة
الحمار فراشاً في إحدى الغرف قضيت ليلة أرق وقلق .
وفي الصباح سمنا أجراس كنيسة القرية تدق دقات
الفرح ، فلم تكن وفاة عادية ولا صلاة ولا زواجاً .
نفرج الشيخ فيمن حملوا فهرعوا ليقموا على الخبز ،
ثم عاد يجبرني بأن حرس التابوت عثر بقتلين في النوبة
امرأة ورجل ، وأن أحدهما قتل صاحبه ثم اتحجر ،
والبعث جار عن رفع القناع عن سر هذه المأساة

وعند ما نطق ديريال بهذه الكلمة تذكرت
الحقيرة الدبلوماسية ، تلك التي أنقلها مني قد نسيتها
في مقصف ديجون عند ما كان الشاعر المرم يتجرع
عفريته الأخضر . إن أوامر كي دورسي (١) تحتم
إن كنا على سفر ألا تفارق حقيقتنا التي تحتوي
رسائلنا يدناً وحيننا لحظة واحدة ، فأنسانها شيطان
المرأة الخؤون . وقد كنت أفاخر بقوة ذا كرتي وقد
صدق ديريال في قائله « ليس من شر في العالم أو أذى
أو علامة إلا في رقاب النساء انهما ووزرها ، وعلى
رؤوسهن تيمها ومسؤوليتها » ففارقته وعدت إلى
ديجون أبحث عن حقيقتي وقطعت حديثه ولم أعد
أراه . ولكنني فطنت إلى أن المرأة التي أحبا وجن
بها كانت أحد القتيلين اللذين دقت عليهما نواقيس
القرية محمد لطفي محمد

وجفورها ووقفت كالبوذة التي تدفع الأذى عن
أشبالها . وقالت للرجل :

اسكت أنت ولا تسكلم فهذا زوجي

فرفع الرجل قبضته ، قتلته :

استبق غطاء رأسك ياسيدي فليس المقام مقام
اخترام .

فقلت : قبل كل شيء لا يملك النيط على
الشتر قبل أن أشرح لك حقيقة الحال . ثم شرقت
بدموعها وصالت عبراتها على خديها وأقبلت تسير
بحوى وهي تقول : إنه رفيق صباي وأليف وحدتي
قبل أن تمنحني السماء نعمة التعرف إليك

وفي تلك اللحظة انقلبت الدنيا في عيني بلون
الدماء ، وسمعت أن أناول عنقها يدي فأفقي على
حياتها في طرفة عين ثم أحطم رأسها بحجر . ولم
أكن أبالي بالرجل الواقف أمامي ، ولكن الله أنزل
السكين على قلبي وقلت : إنك لست زوجتي كازمعت
لهذا الأحن لتزيدني حقارة في نظره وتتهدي البعث
بشرف القران في سبيل جهه . لقد التقطتك من
الطريق ، وقد انتهى ما كان بيننا . وإنى لا أرى أن
أفكلك إلا لأملك أحط وأدنا وأرخص من أن أدفع
ثم دمك بساعة في السجن أو يجبر في جريدة ،
فأسجل النفقة على نفسي وأهبك منحة الاستشهاد
والتنضحة . لن أعود إلى البيت الذي عاشرتك فيه
ولمك تخليصين إلى هذا القديم بأكثر مما أحطمت
لي . وعدت أدراجي لا لأوى على شيء

وفي هذه الأثناء كانت الماصفة قد سكنت
والنيوم تحققت ، واستدأمت على مدى البصر سهل
مثنى بالجليد ، وقد صفا أديم السماء ولاحت الجوزاء
لناظري ، فأبصرت على كعب من قرية صغيرة فيها
أربعة منازل أو خمسة فأخذت سمعي إليها حتى إنا

(١) مقر وزارة الخارجية الفرنسية بباريس

ASPRO
REG. TRADE MARK

اسير
 اكثر الذود ويره
 فوجه رواجاني
 العالم اجمع وقد
 اقترته البرطانات
 وروساء الموزرات
 وانبت مديريين ميمون
 جبروه فانه العظمه

ملیحات
فروشا
فروشن

٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

في جميع مخازن الأدوية
والأجهزة الحثايات

بجرب 'اسبرو'

| | |
|----------------|-------------|
| عرق النساء | لا تغفلوا |
| السرور | وجاء الرئيس |
| ربيع الضمير | الرفيق |
| الحارة العصرية | تأبى الزور |
| | تفتقر إليها |

بعمل كفر غرة

فوسان اسير في ايدى ملائكة
ماء يكون غمره مضيق في
التراب النور والموت
والتراب النور

واحد ذي ثلاث حجرات صغيرة الحجم . ولكنها كانت سفرة سميكة ، ودواخي لفتها متوفرة من التنقل واستقبال اليد وروية الأهل والأحباب

وهما يكن من أمر البيت من التفاهة والضمة فقد كان يوسف لا يبطأ بقدمه أول درجة من سلمه حتى يرفرف قلبه في

صدره وتحتل عيناه بالأحلام وقلبه بالحنين ، ويذكر لغوره ذلك الطفل الصغير ذا الجلباب والطاوية التي كان يقفز على هذا السلم ساعداً هابطاً كل يوم حافي القدمين ...

أي ذكرى وأى أيام ... !

وكان كل مكان فيه يحفظ لقلبه ذكرى تلمس النفس وتشرح الصدر سواء أكان ما يحمل نوعاً من مسرات الصبا أو لونا من متاعبه وهمومه . وكثير من آلام الصغر التي يضيق بها الأطفال يجذبونها إذا كروا إليها في الكبر ثمرة ولذة وتفككة فكان لهذا بطوف بحجرات البيت حالاً متذكراً كأنما يطوف بصرح ولى من أولياء الله ثم يستقر مدة إقامته في أعزها عليه وأحبها إلى قلبه : في الحجرة التي عاش فيها من عمره اثنين وعشرين عاماً بين عبث الطفولة وأحلام الصبا وآمال الشباب

والذي يقيم فيها الآن أخوه سالى وهو ابن عشر ويحتم في هذا العام دراسته الابتدائية . ويخيل إليه — أى إلى يوسف — كلما شاهده أنه يبدت بمثل الحياة التي حيها مرة أخرى ، وأن الحجرة تشهد للمرة الثانية نفس فصول الرواية ولعلها بدأت تبسم وتسخر وتسأم ... وكان سالى يتخلى عن حجرته سميماً متنبطاً لأخيه الأكبر الذي ينزل من قمعه

الذكرى

أَقْصُوصَةٌ مِصْرِيَّةٌ
لِلأَدِيبِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

إذا لاحت في الأفق القريب بشائر عيد الفطر خفت وطأة رمضان على النفوس ، وهوت الفرح الموعود من جفاف شهر الصوم ، واهتزت صرامة التشف في الصدور تحت موجة طرب آننا نطلاتها . هناك تجد ربات البيوت أنفسهن في مكاة الساحر يتطلع إليهن الصنار بأعينها الحائلة هاتفة بهن أن يدعن آيات الكمك اللذيذ وأن يخلقن من المجين كهية الرانس والجيوان والطير

أما جماعة الموظفين الذين تقضى عليهم أشغالهم بالتفرغ في أقاصى القطر فلا يشغلهم في تلك الأيام مثل إعداد الحفائب والتأهب للسفر إلى بلدانهم حيث يسعدون باليد بين أهلهم وحيث تتحقق للأطفال ولهم أحلامهم

وكان من هؤلاء الأستاذ يوسف زينه المدرس بمدرسة أسبوط الثانوية وأسرته المكونة من زوجة وابنته الصغيرتين ؛ فا أتى يوم الرفة حتى كان الأستاذ وأسرته في القاهرة، بل في القاهرة المزينة حيث يقع بيت للرحوم والده في (الفراسة) قريباً من مسجد الحسين . وكان البيت من البيوت القديمة باهت الجدران رث الهيئة ، يصعد إليه الصاعد على سلم ضيق متهدم الدرجات بنير درابزين ، حازوني الشكل كسلم الماكزن . ويتكون البيت من طابقين

على رأسه الأحلام . ومرعان ما كرت نفسه راجعة
عشرين عاماً في خط الزمن غير التناهي، وذكر عهد
هذه الحجرة أيام كانت رفيقة صباه وشبابه وشريكه
أحلامه وأهوائه وشاهدة أفراحه وأحزانه ومسترة
خباياه ومرجع نجومه . ربه ... إنه ليدير عينيه في
أفئدتها طمعاً أن ينفذ إلى تضاعيف جوها الخفي
ويقرأ ما خط من حياته وما سجل من نوازع قلبه
وعقله ووجدانه ... ولقد أتى عليه أوقات يشمره
تيار الحياة وتكتفه متاعها فينسى ذكريات الماضي
في هموم الحاضر ويخيل إليه أن ذاك الصبي الذي عاش
وفرح وتأمل وأمل ويش شخص غريب عنه
لا تربطه به رابطة ألم أو أمل . وقد أتى عليه ساعات
أخر يشوب فيها إلى نفسه فينسى حاضره هارعاً إلى
الماضي البعيد ؛ وتقدم إليه حافظته الثائرة أزهار
الذكريات واحدة فواحدة حتى يخال أنه لم يمر
الماضي إلا منذ ساعات قلائل وأنه لم يجر إلا به وله
وها هو ذا الآن تنشأ ساعة من تلك الساعات
الحالة فتخلق روحه في آفاق بعيدة كالقناهل في غيبوبة
مفناطيسية ، وتتدفق عليه الصور الحائلة في غير ترتيب
زمانى ، فيذكر كيف كان يستيقظ - في نفس
الحجرة - عند الفجر ، ويدلف إلى النافذة يشاهد
بهاء الفجر المشتمل الكون بثوبه الأزرق والنجوم
من فيض الحياة بها تكاد أن تتكلم بأحداث الأزل ،
ويرى البيوت كالأشباح النائمة، ومثدة سيدنا الحسين
في المكان الأوسط منها كالخارص الحفيظ ؛ ويستمع
إلى صياح العصبة المنتشية بيشائر النور وتقطر الندى
حتى يشق القضاء صوت المؤذن داعياً «الله أكبر»
فيهبط على القلوب هبوط الصحة والطمانينة فيملأها
نشوة وبهجة وحنينا ، ثم يصلى العجر فاذا انتهى

منزلة الأب ويتولى من بعده جميع أموره ويصعده
بالترية والمحبة

وقد لاحظ يوسف أن أخاه غير من نظام
الحجرة ، وأنه نقل للكتب التقدم إلى غير موضعه
الأصلي وكان يحب أن تبقى الحجرة محفظة بصورتها
القديمة ، فسأله عن هذا ، وأجاب الغلام :

- إني جملت للكتب بحيث إذا جلست
للفذاكرة جاء نور النافذة من الجهة اليسرى كما
أوصانا مدرس علم الصحة
فابنم يوسف وقال :

« ما أسمع حظكم بئلاميد اليوم فإن لكم من
مدرسيكم آباء رحماء يودون لكم الصحة والسافية
ويشقون عليكم من الأدنى ؛ أما على ألبنا فكان
الحال غير الحال وللدرسون غير للدرسين . وإني
لأذكر العنت الذي كان يصيبنا - في نفس مدرستك
خليل أنا - وما كانوا يلزمونا من حفظ البلدان
والفتور والجزر والحاصلات . وكم من مرة مددنا
على الأرض وألمبت المعى القاسية ظهورنا وبعطون
أفئدنا ... تلك أيام خلت ... أما ألبكم ... »

ثم استلقى الأستاذ على كنبه واستسلم لتيار
التذكر المنب التسلسل لآركا وزوجه وأمه تتحدان
ما شاء لهما الحديث ، وسامياً يجالس ميجي وفيقي
الصغيرتين ويلاصهما

ولم تنس أمه أن تأتي بدفأة وتنضم في ركن
من الحجرة لأن الشهر كان ديسمبر والجو شديد
البرودة يزيد من شدة قساوة العيام ؛ وكان السماء
أشفقت من البرد فثلقت بأردية من السحب -
أضاء بعضها عن لون أبيض ناصع بهيج وأظلم
البعض عن كتل دكناء كالجلال عند الغروب ،
فانكشف جسمه ، وتحفرت روحه للوئوب وحلقت

كيف شامت المصادفة أن تنبه ابنته إليها ساعة
تهم روحه في سموات عهدها الخلو المتطوى فكانما
سخرت الصورة الطفلة الصغيرة لذكور أيها الناقل
قال ساي :

— لاشك أنك أنت يا أخي الذي رسمتها فأنت
صاحب الحجر القديم ، وأنت الذي تستطيع أن
تجيد الرسم ...
وقالت ميمي مرة أخرى :

— بلأ ... اشترى عروسة مثلها
ودلف يوسف إلى قريب من الصورة وتأملها
بين لو رأت زوجها نظرتها الشوق لسأت باهتاهم
عن الصورة وتاريخ رسمها وأجرت في ذاك تحقيقاً
عسيراً ، وكان ما يق منها ظلاً خفيفاً طمست منه
بعض معالم الوجه ، ولكن بقي منها محافظاً على
وضوحه مفرق الشعر النازل للرسول في عبث فتان ،
وما بين عن جمال الأنف الصغير الدقيق . فاشكر الله
إنه كان يجيد الرسم منذ الصغر ، وإلى جانب الصورة
كانت مكتوبة هذه الآيات :

أفنى قد أفنى الماشقون وفارقوا الـ
سوى واستمرت بالرجال المرائر
زع النفس واستبق الحياء قائماً
تقاعد أو ندى الرباب القادر
أمت حبها واجمل قديم وصلها
وعشرتها مثل التي لا تماشر
وهبا كشيء لم يكن أو كنتازح

به الهار أو من غيبته المقابر
إن للصورة والشعر قصة قديمة كانت حصة
قلب ناشئ اصطرع من جرأها فيه الأمل والألم ،
وتيقظت بسببها عواطف شتى وغرباً ناعمة ، وإن
عفت آثار تلك الحياة من قلبه الآن كأنما فاضت من

أشمل الصباح وقعد يذاكر ويحل تمرينات الحساب
ومسائل الهندسة

وإنه ليدكر لهذه المناسبة عهد التلذذ التروب ،
الذي كان يوسف في أغلاله كالسجين أو الأسير
المغلب ، يجهد عبثاً أن يقوم بما يفرضه عليه البرنامج
الثقل الرهق ، وتضطرب أعصابه خوفاً ورجباً من
الدرسين وعصيم الدين كان يكفي تذكركم لتجديد
الدم في المروق أو قطع الأنفاس في الصدور . ولا
عجب فقد كانت القسوة هي السياسة المرسومة لتربية
التلاميذ ، وكان يظن أنها الطريقة المثلى لخلق الرجال
الفضلاء ، فكان عهد التلذذ عهد رعب وإرهاب وعنت .
وإنه إذا جاز له الآن أن يشبه الملم بالفتان يحاول أن
يبدع من ماله أجل الآيات وأمتها فلا يستطيع
أن يشبه مدرسيه القدماء إلا بحصول الضرائب
الأثراك ... ولكنه بالرغم من هذا لا يذكر ذاك
المعهد حتى يملوه الابتسام ويضمره الفرح كأن مافيه
من مسرة فهو له وما فيه من ألم فهو لنيره ؛ راء كايدي
الشاهد الرواية التمثيلية الحزينة فيتمتع بأثرها الجليل
وفيا هو سايح في بحر أحلامه انتبه فجأة على
يد ابنته العنصرية ميمي وهي تهزه ، فالتفت إليها متبرماً
وصاح بها منتهراً :

« إيه يا بنت ؟ ... »

فسألت بصوتها الرقيق للتقطع وهي تشير إلى
حائط الحجر :

« هل حقاً أنت التي رسمت هذه الصورة يا بلأ ؟ »
وتشبع ناظره إصبعا إلى هدفها من الحائط في
المكان الذي كان يشغله المكتب قبل أن يتقله ساي
فرأى صورة طفلة صغيرة في نصف الدجيم الطبيعي
سرعان ما ذكرها عقله وقلبه ، وذكر بعض الظروف
التي دفنته إلى رسمها منذ عشرات السنين ... وعجب

وأخوته كلما جاء أو ذهب يمكن أن ينادى بمثل هذا النداء الذى يخاطب به باعة الفول السودانى « وغزل البنات » ... ولكنه ما لبث أن اعتادته مسامحه وألفته نفسه ، وطفق يدرك شيئاً فشيئاً مكانة والده من القصر العظيم وتبين البون الشاسع الذى يفصل بين واحد مثله وبين أهل ذاك القصر الذين لا يدري على أى وجه من الحياة يعيشون خلف تلك الجدران المائتة

وهو لا يكاد يذكر تاريخ أول لقاء على وجه التحديد ، ولكنه يرجع أنه وقع لأول عهده زيارة قصر سليم بك وهو فى الثانية عشرة من عمره . وكان مطمئناً إلى مكانه المختار من المطبخ وفى يده قطعة (البقلاوة) ، وعلى حين فجأة دخلت إلى المكان طفلة فى مثل عمره لم ير مثلها من قبل ، كانت مستديرة الوجه ، مليحة القصات ، خمرية اللون ، رشيقة القامة ، يفترشها الأسود الحالك خصلات على كتفها ويلمس وسط الرأس فى (ميونكة) حمراء ، ثم تنزل منه شمرات رفيعة مستقيمة على الجبين كرهاذ التافورة ، وترتدى فستاناً أبيض شفافاً ذا منطقة حمراء يكشف عن ركبتيها الصغيرتين ، فألمره منظرها ، ووجدت عيناه عليها فى إعجاب وريبة بمد أن أخفت يده بحركة غريزية قطعة (البقلاوة) وأنبه أبوه إليها فأنحى باحترام وهو يقول مبتسماً .

— أهلاً وسهلاً بوسن هانم
ولاحظ الرجل أنها تنظر إلى ابنه نظرة غريبة فقال يقدمه إليها :

— هذا خدمك يوسف ... إبنى
فدارت عيناهما الجليتان بينه وبين أبيه فى صمت وسكون ثم ولت بسرعة فى خفة أخذة ، وأمرع يوسف وراهما زحفاً على يديه وقلميه كالصنعد ،

غير متبسه واصطخبت فى غير ميدانه . وإنه لمن المؤلم المضحك أن يكون الحائط الجبرى أحفظ لود وأدعى للذكريات الجميلة من قلب الانسان المائل .. وإن تلك الصورة وهذه الأبيات الشعرية لتذكره بأجل ما وهبت حيلته المنطوية بل بأجل ما تهب الحياة لبنها ؛ تذكره يوم الحب الطاهر ، الحب الذى يفيض من قلب طاهر لم تمرره التجارب ، ويخفى أغراضه الرسومة منذ الأزل خلف وجه ملاك سام ، ويخفى أنات الأرض وراء الخن سماوى ساحر ، ويخفى على الطين ستاراً كثيفاً من السحاب الأبيض الجليل

نعم لا يكاد يذكر التفاصيل ولا يحضره الترتيب الزمانى ، ولكن تتدلى فى قلبه الألسنة من الحب بين الحين والحين فيكشف نورها المتقطع عن صور عزيزة فاقته من الماضى

كان المرحوم والده طامح الوجه سليم بك عامر — من سرات القاهرة وأعيانها البرزين — وكان يوسف يتردد عليه أحياناً كثيرة ، وما يزال يذكر القصر الماسى بمديقته النساء وجدراؤه الشاهقة وأبوابه المالية ونوافذه ذات الستائر المختلطة الألوان ، كما يذكر البناء الصغير المنزل فى ركن من الحديقة ذا المدخنة الطويلة حيث كان يباشر أبوه عمله . وكان إذا زار أباه يجلس فى ركن من المطبخ يشاهد عملية الطهى الثرية ، وفن تحويل الخضروات والطماطم والطيبور إلى أسنان شهية بهيجة اللون لذيذة الطعم ويلتهم ما يسطيه من اللحم والخلوى ويسمع فى دمهشة الخدم وهم يتادون أباه بقولهم « يام زينهم » وما كان يظن أن شخصاً كوالده العظيم الذى يتلى قلبه رهبة منه والذى تقف له أمة

التي هي أمضى سلاح في يد الحياة ... واقتطعت
ذاكرته صورة أخرى من الماضي الجليل لا يحسن
معرفة موقعها من حوادث تلك الأيام، ولكنه يذكّر
جيداً أنه بعد اللقاء الأول غير مجلسه من الطبخ
إلى مكان قريب من الباب، بحيث يستطيع أن
يشاهد منه الحديقة طمأن أن يرى الروسة الصغيرة
التي استبدت بأحلامه وأمانه، وإنه كان يراها في
حجرة أخوين لها في مثل عمرها يركبون الدراجة
أو يلعبون « باللي » أو يتبعون في غمرات الحديقة
الربلية !

ففي جولة من جولاتهم عشروا به، فلفت منظره
الغريب أنظارهم وتعامل عنه الصغيران فأجابتهما
سوسن بأنه « ابن عم زينهم » فدنا منه وأنموا
فيه النظر : في جليابه الباهت، وطاقتيه السوداء،
وقبائه الصغير، فجعل قلبه وهم أن يولي فراغاً لولا
أن صاحبه سوسن يصوتها العذب :
— لا تخف ... وتبقى حيث أنت ظن

يؤذك أحد

وسأله أحد الصبيين : وقد نسي اسمهما :

— هل أنت ابن عم زينهم ؟ ...

فأخى يوسف رأسه أن نعم . فسأله الثاني
وعلى فله ابتسامة :

— هل أنت تلميذ ؟ ...

فأخى رأسه مرة أخرى أن نعم ، مما أكردهشة
بين الثلاثة ، فسأله الأول :

— وما مدرستك ؟ ...

— خليل أنا

— في سنة إيه ؟ ...

— في السنة الرابعة

ثم سكّ يوسف لحظة يتألم برغبة في الحديث

فلما بلغ باب المطبخ أرسل بنظره خلفها يشاهدها
وهي تجري في الحديقة حتى أختبأ عن عينيه
طرقاتها المتوتية . إنه يذكر هذا النظر على توغله في
الماضي كأنما لس حواسه بالأمس القريب، ولا ينسى
كيف أنه أيقظ نفسه وقلبه وخياله وبذل موتها
حياة حارة وركودها ثورة هائجة . فلما أن رجع
إلى البيت ووجد — ربما حيث يرد الآن —
استحضّر صورته وخلأ إليها واستغرق في حسنها
وبهائها ... أي حسن وأي بهاء ... ربه ... هل
يحوى الدنيا مثل هذه الفتنة وهذه النظافة ...
لقد عاثر من جنبها كثيرات، منهن أمه وأربع
أخوات — تفرقن الآن في ميوت أزواجهن —
شتان ما بينها وبينهن، إهن من طين وهي نور،
وما كان يظن أن لها لحماً ودماً كحسمن ودمهن،
أو أن يكون بداخلها معدة وأماء كبقية الإنس،
فزهها عن هذا وعن غيره، وتزلت من نفسه منزلة
اللائكة في نفوس المابدين ...

وكان يوسف رقيق المواقف متوذب الخيال
دقيق الحس يجمع هواة الرسم والفنون، وكانت
غريزته ما تزال راقدة في سباتها الذي ظهرا الله
عليها فدفبت فيها الحياة بعد أن نفخت فيها صورة
سوسن من روحها العذب، وغلب عنه حينذاك أنه
يمثل فضلاً من رواية تكررت مشاهدتها آلاف
السنين، وأنه يقع في الأحبوة النصبوية منذ الأزل
لبنى الإنسان، فظن أنه يكشف طالاً روحياً جديداً
يطير إليه على جناح الحب . إنه ليدكر هذا الآن
فيتعجب لهذا الحب القريب، الحب الذي هو فلسفة
الشباب الشاملة، والذي يتساقى إلى مدارج التصوف
والتجلى وينطج إلى مهابى القسوة والأمانية
والقدارة وتكن خلف جميع أوجهه تلك الغيرة

ولكنه لم يقهر أيضاً وفاق لذة الفوز مرة أخرى ، قال الأخ الأصغر :

— الرسم مادة مافهة

— ولكنى الأول فى جميع العلوم ...

— وهذا أمر كافه ...

قال يوسف بحدة :

— إنا فا المهم ؟

فوضع الصبي الآخر يديه فى جيبي البطولون وقال وهو ينظر إليه من عل :

— اللهم أن تكون ابن بك ... وأن يكون لك مثل هذا القصر ...

ووثوه ظهورهم وذهبوا
هنا ما يذكره من تلك النافرة الصيبانية ، ويذكر

فوق هذا أنه عاد إلى بيته ذاك اليوم ينتفض من الغضب والحقد ويملئ كراهية للصبيين . أما سوسن فلم يكره منها قولاً أو فعلاً إذ كانت حبيبة عزيزة جميلة وكان حبيباً عزيزاً جميلاً كل ما تقول أو تفعل . وكان مستمداً فى أعماقه أن يكره الخبير ويحتقره إن وجد منها كرهاً له أو احتقاراً ، وأن يحب الشر وينظمه إن آنس منها له حباً أو تعظيماً ، إذ كانت تبتوأ من نفسه مكاة للثل الأعلى فى كل شئ ، فالخير خير بلاضافة لأضالها ، والجميل جميل على قدر مشابهته لصورتها

إنه يذكر تلك اللوعة الهيامية كالاستغنى الذى يتذكر ضاله حين السكر الشديد ولم يتصل الحديث بينه وبين الآخرين بعد تلك المركة الكلامية ، ولم يرها إلا قليلاً ، وكان إذا مرأ به مرأ مقتضعين كأنهما لا يراه ، أما سوسن فكان يراها كثيراً ، ولم تكن متكبرة تلبية كأنخوبها فكانت إذا التقت عيناها

حتى غلبته ، فسأل الآخرين قائلاً :

— وما مدرستكما ؟ ...

— الناصرية

— ولم لم تدخل خليل أنا وهى قرية من

البيت ؟ ...

فبست فى عيني الشقيقين نظرة إنكار وقال

أكبرهما :

— الناصرية هى مدرسة الأغنياء ؟ وقال الآخر

وكان أشد سلفاً :

— أما خليل أنا فعلى مدرسة الفقراء

وقالت سوسن :

— ماذا بهم بعد للدرسة إذا كانا يذهبان

إليها فى السيارة ؟ ...

فردد يوسف عينيه بينهما وقد غلب على أمره واستخذى خجلاً ومهابة ، وكرهت نفسه المزينة فقال بدون داع ولا مناسبة وبصوت يدل على التحدى :

— أنا أول فرقى ... وأجيد الرسم إجادة

فاقصة ... إلى بورقة وقلم ! ...

فنظر إليه الأخ الأكبر بين الهزء وأخرج

من جيبه بظلاله ورقة وقلماً وقال له :

— إليك ما تريد ...

وزاد اهتمام سوسن فاقتربت خطوة منه وقالت :

— إن كنت شاطراً حقاً فارسم كلباً

فبسط الصبي الورقة أمامه يفتقها لطمثان وجرت

يده بالقلم فى ثبات وخفة ومهارة فصور كلباً

لا بأس به . ولما انتهى منه نظر إليهم نظرة فوز

وظفر ، ونظر إليه الأخوان باحتقار وغيظ ، أما

سوسن فكانت وعلى فيها ابتسامة رقيقة :

— الكلب موضوع سهل ... إن كنت

شاطراً حقاً فارسم أوزة ...

تحفظ شيئاً من قواعدها ، ومدرستها رجل ثقيل القدم يضع على رأسه عمامة مضحكة ...

فاضطرب وصعد الدم إلى وجهه وذكر طاقته السوداء وما عسى أن تقول عنها ، ثم قال :

— كثيرون يؤثرون العبادة على غيرها

— هي في نظري على كل حال مضحكة ...
ثم إن هذا الشيخ قفر ... لحت مرة يده فראيت أظافره سوداء كالطين

وهنا قبض يده وود لو يخفيهما

ومن ذاك اليوم كان إذا نوى الذهاب إلى القصر قصّ أظافره وخلع طاقته ولبس الحذاء بدلاً من القيقاب . وضعت الأيام وهو على تلك الحال ، ينو بالنظر ، ويسعد بالحديث الذي لا يحس الهوى ، ويصان حياً مكتوماً ينمو يوماً بعد يوم . وكانت سوسن تستأثر بحبائمه جميعها ، الظاهرة والباطنة ، البقطة والنافقة ، فكانت مثار أحلامه

حين العمل وحين اللعب ، ولدى اللقاء ولدى الغياب وأوقات الفرح وأوقات الحزن وعند الصحة وعند المرض ، وكانت آخر فكر مودع عند النوم ، وأول خاطر مرحب عند الاستيقاظ . وكان حبه طاهراً سامياً ارتفع به من العالم الصاخب إلى حيث يطلع على المألين كما تطلع الآلهة على المخوقات ، إلا أنه لم يخل من الألم واليأس ، بل الحقيقة أن الألم واليأس كانا من مقوماته الأولية لأنه لم يتفل لحظة عما يفرق بين طبعتهما ، ولم ينس الحقيقة المرة التي جعلت أباه يقدمه لسوسن فيقول : « هذا خادمك وسف » فهو خادمها ما في ذلك من شك ، وهو وأهله من المسوين عليها والمائنين على خات ما لبثها .
حقاً إن الحب من دوافع النشاط والاجتهاد والتطلع إلى المجد ولكنه شك في قدرة الحب على

بمينه ابتسمت إليه أو بادلته كلمة نافذة كانت لديه ألق من الصحة والمافية

وكان مرة جالساً القرفصاء وكانت تلبس في الحديقة على بعد قريب منه ، فافزة على جبل تديره خادمتان من طرفيه ، فلبث يراقبها بينتين مشتاقتين ويمد قفزاتها على دقات قلبه الهلوان . وحدث أن ذهبت إحدى الخادمتين لبعض الشئون ، فتأذنه أن يحمل محل الخادمة ، ولبي مسرعاً سميحاً ظافراً وود من قلبه لو لم تنته تلك الساعة السعيدة أبداً ، ولكن العشيعة تبت خفوفت تستريح ، وخشى يوسف أن تنتهي سعادته ويسود إلى مكانه وكان شديد الرغبة في أن يحادثها وأن يستمع إلى صوتها المذبذب الذي يفضل به فعل التوبة والسجود فسألها :
— هل تذهبن إلى المدرسة ؟

وكان يخشى ألا تتنازل وترد عليه ولكنه سمعها تقول :

— نعم ...

— أي مدرسة ؟

— لاميروديه

— إنه اسم غريب

فاثرتهمرا عن ابتسامة طريفة يرى وميضها الآن منيراً في ظلام السنين للظوية وقالت :

— إنها مدرسة فرنسية

— ألا تعلمين اللغة العربية ؟

فصرت بقدمها الأرض وقالت :

— بلى ... يدرسها لنا شيخ ... هي تقيلة

كريمة ... هل تحبها أنت ؟

— إنى أنا كرها برغم صوبتها وأحفظ النحو حفظاً جيداً ... وأحب الشعر ... لانا تكريمها ؟
— هي تقيلة جداً ، ولما تستطيع ذا كرتى أن

للحديث فسألها :

— ما هذه الكرامة ؟

— كرامة العربي ...

— حاشاك العربي ... العربي ...

فتنهت وقالت :

— أعوذ بالله من هذه اللعة ... أتملم أنه

لا يكدرني في الدنيا شيء إلا لم حفظها ...

فلا الفرنسي ولا الحساب ولا التاريخ بالموم التي

تصجزني ، فجميعها كوم والعربي كوم ...

ثم فتحت الكرامة وأنشأت قلب في مصفحتها

وهي تقول :

— أملى علينا الشيخ سؤالاً صعباً ...

— ما هو ؟ ...

فكان جوابها أن طلبت إليه أن يبيعها إلى أريكة

في بعض منحنيات الحديقة ثم جلساً جنباً إلى جنب

لأول مرة وقرأت السؤال قائلة :

— اشرح ما يأتي وأعرب ما تحته خط :

أشوقاً ولا يحض لي غير ليسة

فكيف إذا خب المطي بنا عشرا

وعلى يوسف أن السؤال غاية في السهولة وأن

في استطاعته أن يجيب عليه في غضة عين فقال :

— إنه سؤال بسيط وهذا البيت موجود بنصه

في كتاب قواعد اللغة ...

فهزت كتفها استهانة وقالت :

— لا علم لي بكتاب قواعد لتتلك هذا ... أما

ما يهمني فهو أنت على على مهل الاعراب

والشرح ...

ثم استمدت للكتابة ... فاعتدل في جلسته

وقطب جبينه استحضاراً لفكره الشارد ثم أنشأ

يقول :

خلق معجزة عظيمة مثل ربط آتسة جميلة كسوسن

ببن خادمها البائس يوسف بن زينهم ...

كانت تلك الأفكار السوداء تنصر قلبه عصراً

وتسكب السم في دمه والورادة في ريقه ، ويلج به

الحزن أنه كان يرمى أباه أحياناً بنظرات الغضب

والسخط لأنه كان القضاء الذي حكم عليه بالضمة

وأزله حيث هو من الدل والمهوان ...

ولكن كانت تسمه السعادة في لحظات أخرى

فيقال نفسه : لم ترضي بالحديث مني ؟ لم تداعبنني

وتسألني ؟ لماذا لا تمال عن مصاحبتي ؟ لماذا تميم

في وجعي تلك الابتسامة الشرقة التي تقتل اليأس

وتهلك الأحران ؟ أليست هي على كل حال إنسامة

قبل أن تكون سوسن ربيبة المجد والشرف ؟ أليست

تخضع لسن الحياة المتبدة النامضة التي لا تميز بين

كبير وصغير ؟

ويشره بالأمل أنه العبي الوحيد الغريب الذي

تراه مراراً في الأسبوع وأنه وسيم الطلعة جميل

القصبات على رغم فقره وضعته ...

ولكن هذه اللحظات السريعة كانت تمر به

مرور النشوة بالسكران وتتركه سريعاً إلى الحقائق

المحزنة . وهكذا فأغلب ما يذكر عن تلك الفترة كان

خليطاً من الهيام والتسالي والألم واليأس ولحظات

قصيرة من السعادة والطمأنينة ، وإلى جانب هذه تبرز

له من غياهب الماضي واقعة مسلية يذكرها بتفاصيلها

جيماً ، وكان في السنة الأولى أو الثانية من المدارس

الثانوية ويبلغ الخامسة عشرة من عمره على وجه

التقريب ، وكان ينتظر مقدمها في مكانه المهدود إذ

جاءته وعلى فيها الابتسامة اللاتكنية وفي يدها كرامة

تقبضها ويصطلمها في ارتباك ظاهر فأقبل نحوها

منتشياً بالفرح والهبة وكأنه أراد أن يخلق أسبانياً

— لن قيل هذا البيت ؟.

وكان قيسرى عنه لم سمع صوتها ونحكتها وقال:

الذى يفهم أن الشاعر يخاطب حيث

وكانت هذه أول مرة يمرى بينهما فيها ذكر

لاحدى اشتقاقات الحب ، فنظر إليها مرتبكا وهاله

أن يرى حمرة في خديها وارتبكا كما في عينها ...

لم ؟ ... ؟ لم ؟ ...

وكانت الاقبامة مازال متعلقة بشفتيها الجليتين

المفتريتين عن در نصيد ، وخصلات شعرها بمنعرة

على الجبين والحدين كلا هب التميم حملها من حسن

إلى حسن ، ففسى الوجود ، وما عاد يرى الأشجار

والأزهار ولا يحس بهات التميم ولا يشعر بهوموه

وتأنيب ضميره ، وما عاد يذكر من هو ولا من هي ،

واستقر وجدانه في هالة من النور تنع من وجهها

الجميل ، فأتم فيها نظرا وهياما

ولم تقو على نظراته فأسبلت جفونها وتدفق الدم

إلى خديها كأن تلك الكلمة الساحرة التي أفنت

من لسانه عن غير قصد أرونها فأنبئت هاتين الوردتين ،

فلج بها الهيام . واستناره ما نبل عليه هيتها من

الاستسلام فال بهامته حتى مس جبينه خصلة من

شعرها وأسكره أريج أنفاسها ... وتردد لحظة ...

ثم لم فاها ... وعلى حين فجأة انتفضت الصبية في

جلستها كن يستيقظ على ضربة في أم رأسه ، وقد

انست عينها ، وصرخت فيها الدهشة والدمع ،

ثم اتصبت واقفة وفرت هاربة ...

رباه ... ما الذى أفزعها ... ولما فرت على

تلك الحال ؟ وما عسى أن تفعل بعد ذلك ؟

وامتلا قلبه رعبا مقام من فوره وانذفع جازبا

في اضطراب شديد إلى باب القصر ثم ترك قدميه

للريح ، لا يلقى على شيء ، حتى انتهى إلى حجرته

لا حرف جزم ... وبعض فصل مضارع مجزوم

بلها وعلامة جزمه حذف آخره ...

ثم هسكت لحظة يختار دياجا للشرح ، ثم استطرد:

أشوقا ولا يمض لى غير ليله ... يقول الشاعر:

أأشتاق ولم يمض لى غير ليله على الفراق ...

واضطرب إلى قطع الشرح لأنه اكتشف فجأة أنه

يجهل معنى خبٍ والعلوى : فنادى ذاكرته ولكنها

لم تسعه ، فاضطرب واربتك واشتد به الخجل وكاد

الدم يشجر من خديه . ولحظت سوسن صمته

واضطرابه فسأته وقد قل صبرها :

— والشر الثاني ؟ ...

فاشتد به الاضطراب والارتباك والخجل ،

وأشفق من أن يفقد مفخرة الوحيدة في الدنيا وهي

ما يزعم من التفوق على الأقران ، فأمر الكذب

والتحايل على التسليم بالجمل فقال :

— خبٍ بمعنى طال ... والعلوى هو الفراق ..

فمضى الشرط كله فكيف إذا طال الفراق عشر ليال

لا ليله واحدة ؟

وأغلقت سوسن الكراسة في ارتياح وطمأنينة

ونظرت إليه ممتنة شاكرة ، فأغضى أمام نظراتها

الساحرة خجلا وخزيا ، متأملا الضمير من

تضليله لها وعينه يثقها فيه ، وذكر في رعب

مفاجأته التوقفة أمام الشيخ حين يشطب قلبه

الأحر على شرح الشرط الثاني ... فأعسى أن يكون

رأبها فيه أو شعورها بنحوه ؟ ...

وكاد يفرق في أفكاره لولا أن سمعها تقول

بصوت هادى عذب :

أأشتاق ولم يمض لى غير ليله

فكيف إذا طال الفراق عشرا

ثم ضحكت وسأته :

القبلتوذاك الرضا لم تمد تقايه في علانية وسذاجة ، بل اقتصر التبادل الروحي بينهما على النظرات والمسمات أو الالتقاء المختلس تحت الجنازل أو خلف جباطت الشجر ، وستر عليها تمارضهما تراهي أطراف الحديقة وعدم إمكان تسرب الشك إلى قلب من يراها مما ، فاشأ زمناً سعيداً في غفلة من الناس والهدر حتى وقع ما قفى عليه بالخروج من جسّته متهوراً مطلوباً على أمره : كانا جالسين على الأريكة التي قبلها عليها لأول مرة وقد انساقت الحديث إلى المستقبل ، قال يوسف :

— هل يمكن أن تسنيني فيما يقبل من الأيام ؟
فنظرت إليه نظرة إنكار وقالت :

— أنا ... مستحيل ...

— ولكني أخشى أن يبدّد أهلك أحلامنا ...
فتنهار آمالي وأقعد سادتي

فردت عليه وقد كشرت عن أنفة وكبرياء :
— أبداً ... لن أسمع بهذا ما حيت ... فصمت

يوسف لحظة يمتع نفسه بحماسها الفنان ولكن لم يطل به الصمت السعيد لأنه تذكر العقبات الأوبد التي تمد عليه الطريق ، فنهّد وقال وكأنما يحدث نفسه :
— ترى هل أبلغ أمنيّتي يوماً فأزوجه منك ؟

وكانت تلك المرة الأولى التي ينطق فيها بتلك الكلمة الخطيرة ، ولقد أنكرتها أذنه وخيل إليه أن قالها غريب عنه ؛ أما سوسن فقد ارتجفت شفتها عن اضطراب وتدفق الدم إلى وجهها فصار كالجان ... ولم يكن يعلم أن مجيئه بأكثر من هذا ... وبعد هتية ذهبت في التفكير والأحلام فسأته :

« أي مستقبل تنتهي ... ؟ » . فأجاب : « أنا ما زلت في مستهل الطريق ومبتدأ العمر ... وكل

هل يمكن أن تشكوه سوسن إلى أبيها ؟ كم كان أعمى مجنوناً ! كيف آتته الجرأة ! يا ويحه فقد خدع فظن عطفها عجة وعبها وداً ، وإذا فضحته عند أبيها فإذا يكون مسيره بل ماذا يكون مسيره والله نفسه ؟ ولكن رجع أبوه إلى البيت كمادته وصرّت أيام دون أن يوجه إليه أي تهمة أو يمرض للفصل من عمله ، فهدأت نفس يوسف وعلوته المواقف التي غاست في قلبه لحظات خوفاً وذعراً ، ونازعه الشوق إلى الوجه الجليل وصاحته ، ورأى أن ما يمكن أن يصيبه من ذهاب لن يبدل ما هو فيه من ألم الشوق مهما ساء وغلا . فحمل نفسه إلى القصر بعد احتجابه تلك الأيام وانتظر ونفسه حيرى ، وجاءته الصبية نسي ، ولما وقع نظرها عليه بدنا على غايلها الغضب فتقدمت منه خطوات ووقفت متحدية ، فأغضى أمام نظراتها خجلاً وألماً ، وانتظر في يأس الكلمة القاضية ، واشتد عليه الحال فقال بصوت تمزقه نبرات الألم :

كانت غلطة شنيعة ... هل أنت غاضبة ؟ فأجابته بلهجة حادة : « طبعاً ... ماذا كنت تنتظر ؟ »

— اعني عني ...

— لن أعفو ...

وهنا رضع رأسه بحركة سرية وقد تبدل وجهه من حال إلى حال ، لأنه خيل إليه أنها قادت بالمباراة الأخيرة بلهجة رقيقة وهي تقاب ضحكة ، فلما وقع نظره عليها وجدها تبسم إليه بشر فتان غفور رحيم ...

وهم أن يقدم منها خطوة ففرت منه هاربة ! كانت تلك الأيام أسعد أيام حياته على الإطلاق ، لا يذكر أنه سعد سعادتها من قبل ولا من بعد رغم تنوع الظروف وأطوار التجارب . وبعد تلك

ثم بليت ريقها وقالت بصوت خافت : « نعم ... » وفرت هاربة من الواقفين ومن عيني يوسف خاصة بعد هذا شد الرجل على يد ابنه وساقه أمامه .. وقد م يوسف أن يتكلم فما أحس إلا بيد أميه تصيب مؤخر رأسه فيقع على وجهه بين الإعياء الشديد والانعناء .. وهكذا كان ختام حديث الحب والمستقبل ... وهكذا كانت نهاية مفاسده في قصر سلم بك عاص

لقد بنا له نصرها أول الأمر غدرًا وخيانة . ولكنه لم يلبث أن انتحل لها الأعداء ... وما كان النضب ولا اللوعة ولا الاعتقاد في غدرها بمستطاعة أن تزعج الحب عن قلبه قيد أنملة ، فأنزوى في حجرته يمانى الحومان والألم والياس للميت شهراً بعد شهر وطاماً بعد عام ، حقاً لقد كان حباً عجيباً رهيباً ... وإنه لن ينسى ما عاش تلك الأعوام التي شهدت أيامها وساطتها ودقائقها مما للألم الشديد والياس والحب الغائب ، وفي بعض ساعات اليأس والشوق رسم صورتها على حائط حجرته التي شهدت آلامه جميعها وكتب إلى جانبها تلك الأبيات الشعرية وجعل يرددتها كل حين حين يفتسي ويشترى

وما كان يستطيع أن يتصور أنه ينسى ... ولكن للألم أحكامها وقد تسرب النسيان إلى طبقات قلبه نقطة نقطة حتى برى وشني وعفا من قلبه الهوى . ثم تقدم به العمر ووظف ثم تزوج وخلف وضاق بالحب ...

وكم سخر من حياته ومن دنياه ... إلا ذكرى واحدة إذا زاره انبسطت أسارير وجهه ولاحت في عينيهِ الأحلام ... ويبد غيبه أن تذكر ... لأن التذكر لقلب كالحفر في باطن الأرض يفجر الماء فياضاً غزيراً ...

حب محفور

صعب يسير مع الجهد والمزعة الصادقة ، فليكن الاختيار وعلى الاجتهاد ... » فكرت لحظة مختار لزواج المستقبل مأجب من اللهن والأعمال ثم قالت : « ألا تستطيع أن تكون من الأعيان ؟ إنني أسمعهم دائماً يقولون عن بلا إله من الأعيان فلم لا تكون مثله ... ؟ »

— من الأعيان ... ولكنها ليست وظيفة ولا مهنة ... الوظائف التي أعنى مثل المهندس والدرس والضابط والطبيب ...

وطدت مرة أخرى إلى التفكير والمناقشة ، وكانت عيناه لا تفارقان وجهها ، فرآه تصنيق عيناه وتفترج شفتاه من الذهاب مع التفكير ، ففتته منظره وأنساء نفسه كما فعل به في المرأة الأولى ، فاقرب منها وهوى برأسه يرد أن ينال منها قبله ... ولكنه أحس بشته ... نعم بشته بشيء يصيب رأسه وسمع صوتاً يصرخ به :

— أجبروا يا كلب .. والتفت مذعوراً فرأى أبا الآنسة الأسفر ينال عليه لكماً وضرباً . وأراد دفع السوء عن نفسه فأمسك بتلابيه ، فتضاعف غضب الأخ وضاعف له الضرب ... ووقفت على بعد قريب سوسن تشاهد ما يقع أمامها بينتين مختلفتين ووجه شاحب كوجه الرضي . ولا يدري كيف نجي الخبر إلى أبيه فجاء يجرى مضطرباً وأمسك يوسف بيسد عن الصبي الآخر وسأله بصوت ملؤه الاحترام « لماذا تجرّ عليه يا سيدي ؟ ماذا فعل ؟ » فأجابه بصوت عال منفيط : « رأيته يحاول أن ينتصب ... قبله من سوسن بالقوة ! ! » فصرخ الرجل : « يا لفظاعة ... هل حقاً هذا يا سيدي ؟ » وكانت سوسن ما تزال ملازمة لحالة اللبائنة التي استولت عليها ... فلما سمعت سؤال الرجل اضطربت كناية ...

التحديث

لشاعر الفيلسوف طائور
بقلم السيد فخرى شهاب السعيد

بالحديث عن أمر إفراجه ،
قال : أى فضول هذا الذى
يلغ بك أن تحضرين أمامك
لتستفككى بالحديث عنى
والعبث بى ؟
قالت ، وقد آلمها خطأه

الذى وقع فيه :

أحقاً ما تقول ؟ إنى لو استطعت أن أستبدل
بأغلاك حُبلٌ لفلت !
وانتفتحت إلى الضابط ترضاه بالمال عساه أن
يفرج عن هذا البائس السكين ... ولكن الضابط
أنهى لها وقال :

— ليس فى الامكان هنا ... إنه نخبة لهذه
التهمة التى ألصقت به ... غير أن أمر الملك واجب
التنفيذ !

قالت : فانا أسألك أن تؤجل ذلك إلى يومين
آخرين ...
فرضي الضابط بهذا ... واستدار خارجاً
والسجين معه !

اتضح « جرازن » من صلاوة وأدعيته وجلس
ينتظر الصباح لينفذ أمر الملك فيه ... وإذا باب
السجن يفتح بشفة فتظهر « المرأة » تحمل مصباحاً
ينير أمامها الطريق ؛ وإذا « الحارس » يتقدم بإشارة
منها فيكسر الأغلال عنه
قال « جرازن » :

— لقد أشبهت - أيها الرحيمه بجنتك هذا -
نجمة الصبح تبشر المريض ، وقد أعطب عليه الحى ،
يمطلع الشمس وأنجلاء ظلام الليل البهيم ، فذكر آ .

أفاض سكان المدينة فى الحديث عن هذا
الاختلاس فى خزينة الملك ، وهاموا بما سيلقاه
« رئيس الحرس » من عقاب صارم إن لم يهتد
إلى ذلك السارق الجرىء !

... وكان بالمدينة رجل غريب يدعى « فجرازن »
جاءها متجراً بما معه من الخيل ، قاتم بهذه
السرقة ... واقتيد مصفداً بالأغلال إلى السجن !!
وإن السكين اسأثر - فى أغلاله - وسط زحمة
من التفرجين إذ بصرت به « شياما الفاتنة »
حين جلست تطل من شرقها على الطريق ...
فاضطربت لما رأت واستدعت إليها الوصيف تسأله
عن هذا الشاب للمجد النبيل ، الذى يقتاده الشرط
اقتياد اللصوص الجرمين ، من عساه يكون ؟ ثم
أمرته أن يستدعى « الضابط » - باسمها -
ليحضر إليها السجين

قال الضابط :

— جاءت متأخرة مساعدتك - ياسيدتى ! -
وعلى أن أسارع بتنفيذ ما أمر الملك به ؛ ليس إلى
غير ما ترين من سبيل

ولكنها ظلت صامته ما تفضم بلفظة ولا تعجب
وأجاب السجين مخاطب هذه التى حسبها تتندر

« وليس حديث هذا الآن ... » أيها الجيب !
ثم ربح الليل سدوله وبشمل بظلامه هذا العالم
تهدأ فيه الحركة وتضمحل الأصوات ، ولا يبق
فيه من آثار التور غير هذا الملل التحيل ...

جلست « شياما » وقد أسندت رأسها إلى
كتف صاحبها الشاب ، وأرخت ذوائب شعرها
للناحم الطوال ، فجلت جسدها ... وبدت كأنها
منه في ليل حالك داج ... قالت تحدث فتأها عن
« بحريره » من السجن :

— إن ماضيه من أجلك كان شيئاً مروءة ...
وأروع منه التصريح به إليك أيها الفتى المحبوب ...
وكانت « شياما » وهي تحدث الفتى بمنقمة اللون
وأطنة الصوت من فرط ما استولى عليها من
الاضطراب والملح الشديد ؛ قالت : ولكنني سأجمله
لك في بضع كلمات ...

— لقد أذهلك فتى آخر لا تعرفه ... أتهم
نفسه لينجيك ، وتقدم بحياه هدية لي فأنداك ...
إن خطيئتي التي اقترفت كان حبك داعياً لها ...
أيها الفتى العزيز !

وكان الملل قد غاب مصاد المكان ظلام حالك
رهيب ، وغمرته لجة عميقة من السكون ...
وسحب الشاب يده من خصر الفتاة ، وقداستولى
عليه وجوه وحيرة أذهلاه عن الكلام ، وعماهوفيه ...
وعلى غرة منه ... أهوت المرأة على قدميه
تستغفره قائلة :

— إفتقر في خطيئتي هذه ... ودع العقاب
فقد فسجزيني بما قدمت يداي من إثم أيها العزيز ...
قال — وقد سحب رجله من بين يديها في
عنف وثورة جامحة وغضب ، ظهرت آثاره في صوته
البجوح :

قالت : أنا حقيقة « رحمة » ؟ وفهمت ضاحكة
حتى اغرورت عينها بالدموع من شدة الضحك
ثم نهبت وقالت :
— بل ليست في هذا السجن صخرة أقصى
من هذا القلب !
ثم أمسكت يده ممتدة به عن السجن ...

أشرقت الشمس على شاطئ « غارونا » ولم
يك بالرفأ غير قارب صغير كأنه كان بانتظارها
قالت « شياما » مخاطب صاحبها :

— نعال .. تعال أيها الشاب الثريب واركب ...
لا عليك أن تعرف شيئاً ؛ وكيفيك — الآن —
أن تعلم أنني « حررتك » من أغلاك ؛ ثم ها أنا ذني
أقنق بنفسى في القارب ملك ...
وانطلق الزورق يجرى سريعاً في التيار الراخر
قال « جرازن » :

— حديثي أيها الحبية ... عن المال القى
بذلته فأقنقت به حربي ، وأقنيت حياتي ؟ !
قالت : صه ! « ليس حديث هذا الآن ... »
وارتفعت الشمس في السماء وجاء الظهر ...
فرجع النساء القرويات وقد ملأن الجرار وأكلن
استحيامن ، فبق شاطئ المسبح فقرأ تنمره أشعة
متوهجة كالنار ...

قال « جرازن » يهيم في أذن « شياما »
— وقد كشفت الريح الهابة الشديدة فتأعها فجلت
محاسن وجهها :

— لقد « حررتني » من أغلال لتوقيني في
أغلال أشد منها وأحكم ؟ إلى لشديد الحيرة مما
أنا فيه !
فأعادت المرأة نقابها على وجهها وقالت :

حجل^(١) موضوع على الفراش هناك ... وإنا هو يجذب « الحجل » إلى صدره في عنف شديد يחדش من شدته صدره ... ثم يدفن وجهه في طيات ملءة من الحرير كانت في زاوية من زوايا القارب الصغير ... ليستروح عبر جسم عزيز عليه حتى ... واحتجب القمر وراء الأشجار فعمّ الظلام الفضاء وساد الهدوء ...

ووقف « جرازن » وأدار وجهه نحو النابتة وصرخ:
— تعالي أينها الحبيبة ... تعالي إلى
وعاد السكون كما كان عميقاً يسود الفضاء فأنا شبح مقبل يسمى من النابتة حتى اتعنى إلى شاطئه
الهر .

— تعالي أينها الحبيبة !
— ها ألهذي جئت أينها العزيز ... إن يدبك المرزتين قد حاولتا أن تقتلاني ، ولكن عمري في الحياة قد امتد

ووقفت « شياما » قبالة الشاب فألقى إليها بنظرة ، وتقدم خطوة إلى الأمام ليأخذها بين يديه ... وهم أن يفعل ذلك ... و ... ولكنه دفعها عنه صارخاً وارثد :

— كيف ؟ كيف جئت إلى ؟
وأدار وجهه ... وقال :
— ابتدى ... اذهبي غني .
وبقيت الفتاة جامدة مكانها برهة ثم انحنت أمامه ... ورجعت سائرة تحنق في الشاب اختفاء الأحلام ...

و « جرازن » في القارب يصورها مكلوم القلب محزون النفس مما يجد من ألم والتباعد !
فخرى شهاب الصعري

(١) حلية من ذهب أو نحوه ترين بها النساء أرجلهن

... وتكون حياتي الشريفة هذه قيمة لحظيتها
اقتربها ؟ وإذن فالنفس الواحد على منها محرم
لا يجوز فيه ؟!

... وظهر الشاب من القارب وأوغل في النابتة
يبتد ... حتى تأدى به السير إلى مكان فيها كثيف
الأشجار ملتف التصون ، استوقفه قليلاً ، فجلس
على الأرض تيمناً قد أعياء الطواف الشاق الطويل ..
ولكن من ذا الذي كان يقتنى أثره جاداً في
السير في هذا الظلام لا تشبه شدة التعب ، ولا طول
الطريق ؟ كأنه في اتباعه إياه ظله الذي لا ينيب ؟؟

صرخ « جرازن » هاكياً منذراً :
— ألسنت بتاركتي أفرد وحيداً ؟
وفي لحظة خاطفة سرية اتنت عليه فتمرته
بوابل من قبالتها وأحاطت جسمه بأغصانها الحار
وقالت بحبيبه :

— كلا ... لن أتركك أينها الحبيب ... لقد
أعنتُ وكان هذا في سبيك أنت .. فأصنع مآواه ..
اضربني إن بدا لك .. أقتلني إن أردت ! :

... واعتدت ظلام الشاب « رعشة » سرت في
جوانبه .. حتى وصلت إلى ما تحت الأرض من
جنور .. وارتفعت في الفضاء شهقة .. وسقط على
الأرض جسمه .. ثم عاود النابتة وجوها العميق ..
وبرزت الشمس من خدرها ، وأرسلت شعاعها
ينير أمام « جرازن » الطريق ، فخرج من النابتة
— على غير هدى — يسير على الشاطئ الرمل
مسرعاً لا يني ، ولا يرتك في السير ... حتى بلغ
القارب الصغير . وقد مضى النهار وظهرت ككتائب
الظلام في الفضاء ... وينظر في القارب فأنا

حتى تبكي أمه ، ويضرع أبوه
إلى الله أن يطفئ به ، ويهرب
منه إخوته ؛ وظل البيت باكياً
ضارعاً وجلاً حتى يهدأ . والرجال
جميعاً غدوا لا ياملونه إلا بمحدر ؛
حتى نساء البلدة يكاد يسمعن
بقنن : « سي صبرى ابن الممدة
حصل له لطف ! » كلا . إن هذا

أكثر مما يطيق . إن هذا وحده كافٍ لأن يذهب
بأرسخ العقول . وإنه ليسائل نفسه أحياناً :
« أصبح ما يرى ويسمع ؟! هل هو حقاً مجنون ؟! »
كلا . إنه أدري بنفسه من كل هؤلاء . لاشك أنه
ضئيف الأعصاب ، ولكن ليس معنى هذا أنه
مجنون ؛ حبه أن يقوم بالليل فينثى أو يملئ ،
وأن يبكي ويشنخ لأقل سبب ، لسبب غناء أو لظاهرة
غير منتظرة . وهو أحياناً يكون غريب الأحوال
وحشي الضحكات ، كثيرًا لتبرداع ، أو مسرورًا
بغير علة . ولكن ذلك لم يبلغ بعد حد الجنون ؛
إنما هو ضعف في الأعصاب لا يحسن الدين هنا أن
يما لجواه . لقد كان في القاهرة وهو غريب أحسن
حالاً مما هو الآن بين أهله . كان هناك على الأقل
صديقه « إبراهيم » ، وأعظم نعم الله على المكروب
صديق يفهمه . وكان لا يحسن في الجو المحيط به
هذه الكآبة وهذا التقيس . وكان يذهب ويبيع
حرًا طليقاً ، لا يجاسبه أحد على ما يقول أو يفعل .
أما هنا فهم لا يكادون يتركوه لحظة يخلو فيها إلى
نفسه ، ويذكر ما أمياه تلك السنين الطويلة من
يأس وخذلان . لقد كانت له آمال وأمانى كبار .
كان يرجو الحياة السعيدة بالحُب والمجد والمال ،

هنريكية

أَقْصُوصَةٌ مِصْرِيَّةٌ
بقلم الأديب شكري محمد عيساد

— عبد الكريم !

فأجاب الرجل مضطرباً :

— نعم ياسيدي

— ماذا جاء بك ؟

فلس الرجل لبده السوداء الطويلة مرتبكاً ،
وقال متلعثماً :

— لاشئ ياسيدي ... إنما أتته قليلاً

— أنت كاذب ! لقد أرسلوك هذه المرة أيضاً .

أذهب فقل لهم إنى لست بمجنون ! وإذا رأيتك
بعد اليوم فسوف أقتلك قتلاً

— سيدي ... سيدي ... سيدي حضرة

الممدة أمرنى

— قلت لك اذهب . إنهم يفرضون على الرقابة
كأني حقاً مجنون ! لم يبق إلا أن يسير ورأى كلما
خرجت من باب البيت خفيراً !

فاجتمع الرجل وجلاً وعلامته الصفراء تلعب في
ظلام الليل المنطش . وتابع صبرى السير وشفته
مازالتا ترتعدان من الغضب . لقد أصبح البقاء هنا
لا يحتمل . فهم جميعاً ياملونه كأنما هو مجنون .
أبوه ، أمه ، إخوته ، كلهم ينظرون إليه مشفقين ،
متحزين ، خائفين أحياناً ! لا يكاد يقبض أو يشور

ولكنها لا تستطيع أن تهبه بعض ما ينزع إليه
فؤاده . هي لا تكاد تنير نغمها الواحدة أو تعرف
على غير وترها الفريد . هي الأخرى لا تستطيع أن
تغلا قلبه ، أو تشمره بمعنى الحياة . لا شيء في الدنيا
يستطيع أن يشمره بمعنى الحياة . وأراد ثانية أن
ينود الأفكار عن رأسه . ولكنه كان يحس كأنما
هو مدفوع إليها دفعا ؛ وكان النسيم الرخي يثير في
ذهنه ذكريات بعيدة . ورأى الجزيرة التي شهدت
غرامه الأول منذ تسع سنين . لقد كان إذ ذاك
على بدء الطريق ، ورأى « منى » وهي يومئذ بارعة
الحسن ساحرة الطرف رائحة اللامع ، وما كانت
الإقوية تملأ الجرة وتحمل النداء إلى الحفل .
ولكن عينها الصافيتين الصادقتين كانتا يحملان
معنى عميقا بليغا بعيدا . وكان وجهها الطلق السمع
الصنبر يمت في القلب لذة روحية لا تقوم ، وينقى
عن النفس الرجز والإثم والشك . فكانا يتقابلان
عند هذه الجزيرة كل يوم فيتحدثان في أي شيء
إلا الحب . ثم تركها خشية أن يتسامع بهما الناس ،
ولكن قلبه ظل ممتلئا بها ، أسيا عليها ، حافلا
بذكرها . وإنه ليدكر آخر لقاء لها . لقد بكت
بومها حتى بل السمع ثيابها ، وبكى هو أيضا ، وبكى
كثيرا . فقد مرق الفراق قلبها الصغيرين . وبومها
فقط جرؤ على أن يقبلها ... في وله ويأس وفي سيل
من المموج ...

وتوجت « منى » بعد ذلك وأجمت ولم يمد
براحا إلا قليلا . ولكن ذكرى غرامه الأول
بقيت محفورة في قلبه طوال تلك السنين : ساذجة
صادقة خالصة صافية كقلب منى . ولقد أحب بعد
منى وتغلبت في حبه ، ولكنه سوف يذكر أبدأ

وذلك الشيء الذي طالما بحث عنه ، ذلك الشيء
الذي لا يستطيع أن يسميه ، لأنه لا يستطيع أن
يحمده ، لأنه لا يستطيع أن يفهمه . ولكنه يحس
برغم ذلك أنه خلق من أجله ، خلق ليبحث عنه ،
خلق ليفنى فيه . وهو اليوم يقف في ريمه الخامس
والمشرين على أطلال حياة عظيمة بائسة . سنون
كان ملؤها الكفاح والقوة والأمل ، فما علم منها
بنير اليأس والضعف والخذلان . أي حلم صدق ؟
أي غرض تحقّق ؟ أي أمل حقق ؟ لا شيء !
لا شيء غير الخيبة في كل ما أمله ورجاه . خاب في
الحب حين أحب ، وخاب في المجد حين طمع ،
وخاب في الحياة كلما حين اضطرب في الحياة كلها .
ولم يفد من كل ما كافح وتامل وأمل غير نفس
مظلمة وأعصاب واهية وقلب مرير . ليت ما كافح
ولا تامل ولا أمل ! إذّا لما عرف الضيق ولا
اليأس ولا الخيبة ؛ إذ لنلماش كما يعيش كل الناس ،
ولسعد كما يسعد كل الناس ، ولضحك وعبث كما
يضحك ويبعث كل الناس . لقد أسرف في الأمل ،
فأسرف عليه اليأس . وارتد قلبه جاحداً بعد
شكران كافراً بعد إيمان

وأحس كأنما ضاقت الأفكار السود أنفاسه ،
فهب رأسه في عنف وضيق كأنه يطرد عنه أشباح
فكره ؛ وأرسل عينيه في الروج المخضرة حوله ،
كأنه يستهوها ويهلهها . كان الليل قد بسط على
الكون جناحه ، وكانت النجوم تلعب في مياه الصيف
الرائحة ، والنسيم يهب رخيّا نديا ، نسيم أمسية
من أماسي الصيف . وكانت المصافير تسقى على
الأشجار المثمرة حواله ، سسقتها الواحدة التي
لا تنتهي . هذه العليمة قد تبدو جميلة أحيانا ،

فيها ، فقد قال له رئيسه وهو يشرح له سير العمل : « إن شبان هذه الأيام لا تتجهيم أساليبنا في العمل ، وكأنهم يظنون أنهم ما داموا قد تعلموا في المدارس العالية ، فمن حقهم أن ينتقدوا رؤساءهم الذين عرفوا سير المولاتب الحكوى قبل أن يعرفوا هم نور الحياة » . وكان ورود صبرى إلى الديوان محل محس ولست بين الزملاء فكانوا ينظرون فيها يكتب باهتمام ويستمعون حين يرون تخط هذا الشاب المثقف خريج الجامعة ؛ وأراد رئيسه أن على عليه إرادته فصادف منه عوداً لا يلبس ؛ واتصل النزاع بينهما ، فراح زملاؤه يبدون أمامه إعجابهم بشجاعته ، ويشجعون أمام الرئيس من جرأته ووقاحته . ولم يكن من دأب صبرى أن يتناقض أو يكذب ، ولا كان في مقدوره احتمال ذلك ، فحنق على كل شيء حتى على أبيه الذى أتى به في ذلك المحيط القدر . ولج به الضيق حتى هان عليه تقديم استقائه وإن أغضب بذلك أهله وأباه وعاد إلى القرية فرأى وجوهاً ملثوية وأنوفاً زافرة وألسنة لا تكف عن ذكر خيبته وضيعته . فلم يطل به للقام وارند إلى القاهرة يميني الرزق من طريق الصحافة . وكان رأيه أن الصحافة مرشدة الجمهور ومثقتة بالصدق والاستقلال والأخلاص ، فرأها إما لسان حزب أو أداة حكومة أو بوق مهرج . ورأى وسيلة التجاح فيها كوسيلة التجاح في الحياة بأسرها : خداع ونفاق وكذب . وإنه ليدكر كلمة قالها له زميل من كبار محرري الصحف : « ليس من الضروري مطلقاً أن أتق بصحة الشيء لأحبه ، ولا أن أومن بقدره هذا الرجل أو ذاك لأمدحه وأشيد بصفاته ؛ إنما العبرة بما أفيدنا

تلك القبلات الوالهة الخجل ، وذلك الوجه الملائكى الخليل ، كصباح في ضباب كثيف لا يستطيع أن يبد من ظلمته شيئاً . وسأل نفسه هل عرف الحب حقاً بمدى ؟ إنه يذكر السكرات اللاتى أحب وأزجى إليهن قلبه الحائر الشاعر التلس . كلهن عبتن به حيناً وتركته ، ولم يعرف قلباً أصدق حباً ولا أخلص ودأ من قلب مناه الصغيرة ... حتى عائدة التي كان يخيل إليه أنها غير من رأى وعرف ، أنها النور الذى أضاء لقلبه السادر ، أنها اللالك المبعوث رحمة للبشر ؛ كان يخيل إليه أنها تستطيع أن تيمته مرة أخرى ، أن تنفض في روحه الأمل ، أن تملأ قلبه بالحياة وبالحب ، فطالوا وطاولته ، حتى ملها ويش منها ، وملته ويشت منه ، وانصرفت عنه إلى فتى ألس الجلد مذهب الحاشية غنث الشائل . ولم يجرب بعدها أن يحب ، ولم عل به قلبه إلى حب ، فقد يش من كل شيء وتبدلت نظره إلى الحياة ، ولم يقد من حبه غير الضيق والتشاؤم واضطراب الأعصاب . وقيل له إن في العمل سلة الموموم والحزون والشاكي ، فأنصرف إليه بكل ما في قلبه اليأس من قوة حتى نال متغوقاً إجازة الآداب ووقف حائرأ يفكر ماذا يفعل . أبوه يريد له شرف الوظيفة والعمل الحكوى ، وهو لا يجد من نفسه القدرة على احتمال ما تخليه الوظيفة من مهانة وضمة . وكاد الأمر يؤدى إلى نزاع بينه وبين أبيه ، لولا أن خضع صبرى ، وترك أباه يدأب ويسى ، يطرق باب كل مظنة للجه أو للتغوذ أو للنصب ، حتى استطاع أن يكسب له وظيفة ثمانية جنهات ونصف ، وعاد يحسب نفسه فائزاً مجدوداً . وتسلم صبرى مهام وظيفته غير متوقع نجاحاً أو بقاء

وتواردت على خاطره صور النساء اللاتي عرف ،
وجوههن الشاحبة وعيونهن التমে ودلائهن القيت .
ولقد كانت تجمع به نفسه فيثور على كل شيء ثم
لا يلبث أن يمود إليهن يحاول أن ينسى ، حتى مل
هذه الحياة المضطربة فقاد إلى القرية منذ أسابيع ،
ينلس فيها ذكريات الصبا ، ويشتم منها روائح
الطفولة ، ويتلمس فيها أثر « منى » . وبالأمس
رأها سائرة تحمل النداء لزوجها ، وما استطاع أن
يتمرفها إلا بصموية ، فقد ترهلت واصفر لونها
وغاص البشر من عيائها ، وذوت فيها تلك الترجمة
التي عرفها منذ سنين ، فبادت امرأة ككل نساء
الريف . وكان يجري في أعقابها صبي قذر اللابس
زرى الهيشة لا شك أنه ابنها . وحين رآه ظل
وجها جامدا كأنها لا تذكر من قديم أمرها شيئا ،
نفيل إليه أن ليس لها بنتا رابطة ولا صلة . وأن
هذه من تلك ؟ إنه لو سمعها توديت بهذا الاسم
لأنكرها ، فليست « منى » لديه إلا ذلك الكائن
الساوي البعيد ، بقى ساكنا هذا الجسد حيناً ثم
مله واجتواه ، ولم يبق له منه غير ذكرى تماوده
الحين بعد الحين ...
وفيم جأؤه هنا بعد ؟ أفليس من الخير له أن
ينهب إلى سديقه إبراهيم يطلب الراحة في البوح
إليه بكل ما يضيئه ويشقيه ؟ يسافر في اللند ، فهذا
خير له ؛ وسيفاقه صديقه بالبشر والترحاب كألف
منه دائماً ، بوجهه الطاق السمح وقلبه الصادق
الخالص ، ونفسه الراضية الطمئنة . وسوف يلقى إليه
بكل أحزاه فيشاطره حملها بثير خبر ولا ضيق ؟
ثم لعله يوفق بعد ذلك إلى عمل . أما البقاء هنا
فليس يجديه شيئا
وبدأت سحب اليأس تتجاذب عن نفسه .

وتفيدة الجريدة من ذلك كله . ولقد أكون اليومهن
أنصار هذا الحزب ، إننا أنا من أنصار ذلك الحزب
الآخر . وليس في هذا من بأس إننا أنا ومحت وإذا
أنا استطعت — من أى طريق — أن أصح موقفي
في عيون الناس .. » ولم يستطع صبرى أن يروض
نفسه على هذا الاعتقاد الجديد ففكر في الاشتغال
بالأدب . وكان له غرام به وإطلاع فيه ، فآلف
مجموعة أناس يصعلن عنها في الصحف قليلا ،
وتحدث عنها التقاد قليلا ، ثم مضت لم يحببها أحد ،
ولم يخط عليها أحد ، ولم تترد ذم ولا استحسانا
ولا مدحا ولا قدحا . وتوت في رفوف المكتبات
حتى نسج عليها الشكوك من خيوطه أكتفا
وأنتى السلاح قاتلها ، وعاد يفتش عن الوظيفة
مرة أخرى

وظل منذ ذلك الحين يتردد بين القرية والقاهرة
يطلب العمل هنا ويطلب الراحة هناك ، فلا يوفق
إلى أيهما . واكتأب واستأق قلبه أسى وحزنا أن
أن رأى الحياة خيت كل ما أمله فيها ، ووهت أعصابه
فنصح له أصدقائه أن يتسلى . وسألهم ما معنى
السلوان ، فاقسموا وأرشدوه إلى دار امرأة من
أوائك اللاتي يحملن خطايا البشر . وأزعج صبرى
فما كان قد طرق هذا السبل من قبل . ألم إلا في
ظروف كآبة كانت تسلبه إرادته ثم تقبه نكما ؟
ولكن الصدمات المتوالية كانت قد ذلت قياده ،
فبات من اليأس مستسلما لكل علاج . وأقبل على
هذه الحياة الجديدة يريد أن ينسى نفسه في قلائدها ،
فكان يظل كالخمر حيناً ثم يفيق فكأنما قدف به
من حائل ، ويحاول محاولة التمسيت أن يطفو إلى
السطح فتحي قواه ويتوص إلى الأعماق . وكان أشد
ما يشقيه سرور غثلق وسعادة كاذبة وهوى رخيص

الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ لأبي العلاء المعري

قصد أبو العلاء بهذا الكتاب الافادة والتعليم ، فتناول فيه عدة علوم ومعارف من شتى الفنون ، وتخير فذلك أجل مظهر وهو تمجيد الله وعظلة الناس ؛ فحسب من لم ير الكتاب أنه إنما ألفه ليجاري به القرآن الكريم أو يمارسه . ورتبه على فصول يمدد بحروف الهجاء ؛ أما الغايات فهي خاتمة كل فقرة منه ، وهي عنده بمنزلة الغافية من بيت الشعر . وقد ظل هذا الكتاب مفقوداً هذا الدهر الطويل حتى انتهى إلى الرحوم تيمور باشا ، ووفق الله لضبطه بالشكل الكامل وشرح غريبه والتعليق عليه الأستاذ :

محمود حسن زكاني

أمين الخزانة الزكية (سابقاً)

وطبمه على ورق جيد ، وتبلغ صفحاته ٥٩٤ ، ووضع به لوحتين بالفوتوغراف من النسخة الأصلية التي طبع منها وهي المحفوظة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية . وهو يطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ، ويباع في جميع المكتبات الكبيرة

وتمت ثلاثون قرشاً صاعاً عدا أجرة البريد

وعاوده الأمل وإحساس الراحة وهو آيب إلى المنزل . وكان البدر قد طلع وكلل بنوره هام الأشجار ، وانقظت أشعة الشمس الأرض كلها ، فكست بالجمال كل ما عليها . حتى الأكواخ الصغيرة إلى جانبها حقول القدر كانت تبدو « كموامات » من فضة . وأحس صبري كأن كل شيء حوله يرقص وينفث . واستلَّ قلبه بالأمل على حين غرة كما استلَّ قبل بالأس . ولبت تلك الليلة هاديء الأعصاب مطمئن النفس فصفنا البيت معه والطمأن . وفي الصباح استأذن أباه في السفر فأطاعه جنهين ، وقال له : « ليس مي الآن غير هذين . فإذا احتجت إلى شيء بعدما فارسل إلى . وفقك الله يابني وسدد خطاك ! »

وهبط صبري إلى محطة القاهرة في نحو الساعة العاشرة وقد بدأ يحس قلقاً مبهماً وتردداً ، أين يذهب ؟ إلى شبرا حيث صديقه إبراهيم ، وحيث الأستاذ حسين حلمي الذي يعتمد عليه في الحصول على وظيفة ؟ أم ؟ وظل بهمة حاراً . ثم تكس رأسه في حزن ويأس ، واتجه صوب محطة (الأتوبيس) رقم ١٤ فركب إلى ميدان الاسماعيلية ، ومنه ركب (الأتوبيس) رقم ٦ إلى الجيزة . وسار قليلاً في شارع سعد زغلول ، ثم طج في عدة أزقة ملتوية ، ووقف أمام بيت صغير لا يدل ظاهره على نعمة . وتردد قليلاً ، ثم أقبل على الباب يطرقة . لن يذهب إلى شبرا بل سوف يبقى هنا ما وانه الوقت والمال . وارتفع من الداخل صوت مألوف يسأله :

— « مين » ...

— افتحني يا عزيزة ... أنا صبري ...

شكري محمد عياد

الجوسق الجبلاني

للقصص الفرنسي جي دي موباسان
بعلم السيد كمال الحري

ترحف على الجوسق بقصتها
وقضيضها ، فغمر الباب
والنوافذ ، وتجلبب السطح
والجدُر ، وترك الرجلين في
قبر بارد موحش ، كفنه
هذه الثلوج الرحبة الآفاق .
ففي هذه السنة ، وقد أقبلت

طلائع الشتاء ، وخطت الطرق من البارز والساجن ،
نعم على أسرة «هوسار» مبارحة الجوسق كماذهبهم
كل شتاء ، فكنت ترى ثلاثة بنال تترك الفندق
الجبلي ، موقرة الظهر باللباس والأمتعة ، مُحملة
بالتياب والأحزمة ، يستاقها أبناء الموسيو هوسار
وتقيمهم الأم جان هوسار وابنتها لوز ، وقد امطنا
بتلاً رابعاً ، على حين سار الأب «هوسار» على
أثرهم مصحوباً بدليليه الأمينين ، وقد كان عليهما
حراسة هذه القافلة ورعايتها حتى حدود القمة التي
تبتدى منها طريق «لوه شى»

أحدقوا أولاً بالبحيرة الصغيرة المنجمدة ،
فظاللت أبصارهم أمواها البراقة وجليدها المتألق ،
وهو يلتصق في أعماق سهل ضيق يندد رؤسماً أمام
الجوسق . ثم سايروا الوادي التلألؤ . وقد التصق في
جنباته سناء الثلج ، وشع في حواشيه بريق الجليد ،
وتحلفت حوله قم بوانخ وفدى شوامخ غرفت
كلها في بحر لجى أبيض من جليد وصقيع

وكانت أشعة الشمس وهي تترسل على بسط
الثلج الوسيمة ، وحزم النور وهي تنسكب على سحراء
الجليد البديعة ، تتماكس وتتراقص وعموج بعضها
في بعض ، حتى لشكاد تحظف البصر وتشتي النظر

لم يكن جوسق جلورانيش ليمتاز من بقية
الجواسق «الألبية» في نسق أو طراز ، فثله كثير
على أقدم الجليد وفي حدود الجبل الصخرية ، التي
تؤدي إلى ذرى الألب الثلجية ، إنما كان يفرد عن
أعداده أنه في الطريق النتهية إلى «جيه سي» ، وأنه
اللاذ الذي يقو إليه السائحون في غدوم ورواحهم
كان يظل نصف السنة مأهول الربيع بسكاته ،
مأنوس الساحة بأهله ، حتى إذا ابتقى الثلج قبابه
في الوادي ، وأنام الجليد سدوده على مسالك «لوه شى»
ظمن عنه «الأب هوسار» مع امرأته وأولاده ،
ناركا على حراسته دليلين أمينين : هما «كسبار هاري»
الكهل ، و «أورليك» الشاب ، ثم «سام» كلب
ضخم من كلاب الجبل . ففي هذا السحن الثلجي
الوحش كان يقيم الرجلان حتى إقبال الربيع ،
وليس لنبهم من متع الحواس ومرافق النظر غير
هضب من الثلج لا تحدد ، وكثب من الجليد
لا تنتهي ، وغير القمم الشم اللامعة ، والندري البيض
الساطعة ، تخطف هضبة «بالورن» بسود من زهربر
وصقيع . لقد كانوا طيلة شهور الشتاء في حصار
هاثل من جيوش الثلج اللجة : تحدد بهم من كل
مكان ، وتأخذ عليهم كل قطر ، ثم لا تكتفي حتى

السطح مشعشة الضوء
 وبينما كانوا يقتربون من حنية «جهى» حيث
 يتحدر الطريق إلى لوه شى، انكشف لهم الأفق
 الرحب عن وادٍ سحري رائع، لا يمثل لخيال ولا
 يتراءى في حلم : هو وادى الرن، توشى جنباته
 أطرزة الشفق، وتموء حواشيه ألوان قوس قزح .
 وعلى البعد من هذا الوادى الحبيب، حيث ينافر
 النظر في مسافة لا تنتهى، كانت تقوم طائفة من
 قن جبال تلجية، مختلفة التكوين متباينة الشكل :
 فضة فة ميثابل قد طعن قرأها في أديم السماء،
 وتلك كتل ويسمواردن الهائلة عملاً للرحب، وهاتيك
 أهرام «سيرفين» تسد القضاء؛ وهناك تحت هذه
 الشارف العالية والقلاع الرقمة، تراءت لهم قرية
 لوه شى، وهى تقبع في هاوية هائلة بعيدة كانت
 تظهر فيها أبنيتها ومساكنها كأنها جاءت من الرمل
 الأبيض تثبت في منارة واسعة سوداء
 وهنا تحف البتال على جانب الطريق المترجة
 المتوجة التى تقاطع وتحوى، وتتمتع وتلوى،
 حتى ينتهى بها اللطاف إلى هذه القرية الخجوة والمسترة؛
 وتحفز المرأى أن فى خفة قرويات الجبل على بساط
 الثلج ثم يقبهما الزوج «هوسار» وهو يقول
 للدليلين :
 — إلى اللقاء أيها الصاحبان فى السنة المقبلة،
 إنى لأعنى لك إقامة هنيئة هذا المام، ويتماقن
 للشميون والظاعنون كل بدوره، حتى إذا جاءت
 نوبة أورليك الدليل الشاب غنم فى أذن الآنة
 لورز وهو يماقها :
 — لاتنسى أن هناك فى الأعلى رجلين وحيدين .
 فتجيب الآنة فى همس : كلا، كلا . وحين أوف
 الترحل أشار الأب بيديه لتسليمة الوداع، ثم هبط
 (٧)

لم تكن نامة متحرك وسط محيط القمم الثلجية،
 ولا ركز يحس خلال هذه الصحراء الجليدية، إنما
 هو السكون العميق والزلة الساكنة تضربان
 بجرانهما على كل شئ
 وتستمر القافلة فى تسيارها، فإذا «هورليك»
 الدليل السويسرى ذو السيقان الطويلة المنتصبة
 ينظف وراءه زميله الكهل «كلسبار» والأب
 هوسار ليلحق بالبال الأمامية التى كانت تقل الأم
 جان وبنها لورز
 وتنتظر الفتاة إليه يذلف نحوها، فتكادهم
 باستدعائه بين فيها التوسل والخرن . كانت كاعبا
 قروية شقراء . فى خدودها النضر لون الحليب،
 وفى غداثرها الصفر موجات باهتة لالون لها، صبغتها
 بها إقامتها الطويلة وسط الجلامد والتلوج، ووصل
 الفتى إليها، فوضع يده على كتل دابتها وراح يطابق
 خطا السيدة على خطاها الوثيدة . وتأخذ الأم
 جان فى الحديث إليه عن شئون الجوسق وتدير
 الفندق الجبل الذى وكل إليه ورفيقه أمر حراسه
 ورعايته . كانت هذه هى المرة الأولى التى يستزل بها
 المام فى أعالي هذا الجبل الثلجى، على حين أن زميله
 الكهل كان قد استم فى هذه السنة خمسة عشر
 شتاء قضاهما سحير التلوج أليف الجليد فى هذا الجوسق
 القصى النائى الذى يدعو به چاورناش . فذلك كان
 الفتى السويسرى أورليك يصنى لتمام الأم وأواسرها
 دون أن يفقه لها معنى . وبينما كان يجيب الأم من
 حين لآخر قائلا :
 — أجل أيها السيدة، كما تشائين أيها الأم
 «هوسار»، كانت نظراته عاتقة بوجه الفتاة لاريم
 وبلنوا بحيرة دوب قبلت لهم فى غور الوادى
 السحيق الضيق بحيرة مستطيلة الصفحة متجمدة

وفي صبيحة اليوم التالي كانت الساعات تمر تقيية
مستمة أمام أودريك، وبينما الكهل كاسبار يدخن في
سرور أمام اللوقد، كان الشاب أودريك يطل من
خلال النافذة على جبال التلج وهي تتلعم وتتوهج،
وكتبان الجليد وهي تقضى وتشموج

ثم خرج أودريك من الجوسق، فأعاد رحلة
البارحة، وجعل يتعرف على الأرض آثار سوافر
البغال التي راحت بلوز الشقراء. حتى إذا بلغ
منشعب الجبل، وشارف الطرف الذي يطل على قرية
لوه شي انطرح على شفير الهاوية وراح يرقب في نشوة
وللة يوتها المبررة. لم تكن جيوش التلج قد دهمت
تلك البئر العميقة بعد لأن غابات الصنوبر للشجراء،
وأدواح السرو الخضراء، كانت تقوم كالجند المدافع
عن هذا الضيق الذي لا تزهت به القرية؛ وكان
التلج لا يسمه إزاء هذا السور من الشجر إلا أن
يتساقط صاعراً على أقدام الأدواح، دون أن يجد
ثمة يتحدر منها لنزو للقرية. وإذا ن فأن لوز الجليّة
هناك الآن في إحدى هذه الأمكنة الدكناء. كم
يقوم بنفس الفتى أن يهبط إليها ما دام ذلك بمكنته
هذه اللحظة! ولكن وأ أسفاه لقد انجذبت
الشمس وراء قبة ويسترويل الهائلة

وأب الفتى إلى الجوسق فألقى الأب كاسبار
ينث دخان سيجاره، وحين شاهد الكهل رفيقه
عائداً قدم إليه ورقاً قلب، ثم جلسا إلى طاولة وجهاً
لوجه وطفقا لبيان «البرسيك» حتى إذا سنا
اللب انكفأ إلى الطبخ فظما ثم رقدا

وتوالى الأيام على هذا التراد: مضية باردة من
غير تلج جديد، وعقيب كل ظهر كان الأب كاسبار
يروح عن نفسه بصيد النسور الجليّة، أو قنص
نوع من المصافير يقحمها طيشها هذه الجبال، على

وأُسرت للتحدر، وما هي إلا دقائق حتى ابتلعهم
الطريق بين طواياه

وينثى الهديلان إلى الجوسق اللوحى جنباً إلى
جنب، بخطوات تقيية وصمت طويل. لقد امتعى
كل شيء، وسيطلان خمسة أشهر متمزلين في هذه
الجبال الثلجية اللتنائية الأرجاء، وراح الكهل يقص
حكاية حياته الجليّة على زميله الشاب. لقد كان
قاطناً هذا الجوسق بصحبة رفيق قديم قدمت به
الشيخوخة من معاودة هذه الحياة، لأن حادثاً من
حوادث القدر قد ينكبه في جسمه الوهون بين
هذه الجبال الثلجية. لم يتطرق السأم إلى نفسيهما ولا
أفسد النزاع ما بينهما من الود في ذلك العام. وفيه
الزراع والشجار، وكل ينقطع بأكله ويقوم
بواجبه! على أنه بالرغم مما كان يحدق بهما من
طُفق السامة والوحشة، فقد خلقا لنفسهما ملاهى
للفرغ ومسلية للحواس. كان أودريك يصنى
لقول زميله والطرف خفيض النفس والمه والفكر
شارد، يفكر في أولئك الراحلين الذين يحملوا منقليل
ويقرب الرجلان من الجوسق، فإذا نكتة
سوداء لا تكاد تبصر، تسجد في خشوع تحت أقدام
التلج الجارية، وتتمرغ في ضراعة على ساحل محيط
الجليد الثلج الواسع

وليطعان باب الجوسق فيتلقاها «سام» وهو كلب
ضخم جبلي، ثم يتمسح بهما ويقرع الجو بنباح
صاخب، ثم يتوالب عليهما في نشاط ومرح، ويقول
الكهل كاسبار وقد استقر به المكان:

— وطني تفك يا صديقي على أعمال التزل،
فليس لدينا نساء لأحارته. نحن الآن في حاجة إلى
الغذاء، فها أقتر البطاطس. ثم جلس الاثنان على
مقعد خشبي وأنشأا يلبخان الحساء

نفسهما على مكروه هذه الحال ، وأخذاهما بإحتال
حياة الجبال

وفي بعض الأحيان كان الأب « كاسبار »
يتنكب بتدقيقه وينطلق بها إلى صيد الورول فيعود
منها من حين لآخر بطاقة صرعية . ولا تسلم
حين ذلك عن الولاية الفاعلة التي ينتم بها الرجلان
في جوسق چلورانباش على شرف هذا الصيد

في أحد الأيام انطلق كاسبار إلى الخلاء لهذا
الصيد ، وكانت درجة الحرارة ترقم الثانية عشرة
تحت الصفر ، والشمس لم تبرح خدوها بعد . وظل
أورليك الشاب راقداً حتى الساعة العاشرة ، فقد
كان نوماً لا يمنه من متاعبة النوم إلا خجله من
رفيقه الذي اعتاد أن يقيم بأكراً . وتبلغ الساعة
العاشرة فيستيقظ صاحبنا ويتناول إفطاره مع كلبه
سام الذي ألف الرقود بجانب اللقود سحابة النهار
وسواد الليل ؛ ويفرغ أورليك من الطعام ، فإذا
الوحشة ترين على قلبه والوحدة تسود نفسه ، وإذا
هو يحس فراغ زميله ويأسى لفراقه هذه الساعات
القصار ، ثم ... ثم يد يد به إلى ورق القلب فلا يجد
من يشاركه فيه . وعلى هذا فقد خرج من الجوسق
ليروح عن نفسه وليتجو من وحدته بضع ساعات

قبل أن يعود زميله من صيده
كان الثلج قد ملأ جميع الأودية والأهضبة ،
وساوى باليقاع التلال والتجاذ الوهاد ، فلم يعد
يطالع العين منظر البحيرتين الرجراجتين ، ولا يلت
النظر بروز الصخور السوداء ، فالقلم الشم خائضة
لجج الثلج ، والقلل المائلة متكففة الجسم بكفن
الجليد لا يفصل قمة من قة إلا أغنية هائلة منتظمة

من تلج ، أو حفر واسعة مبرمة من جليد
ويتوجه أورليك سوب العجين ، ويسرع خطاه
إلى لوورن ضارباً جلامد الصخر بمصاه الحديدية

حين كان أورليك يسيد بدؤه على عوده أو عوده على
بدئه فيقصد إلى ذلك اللطف الذي يشرف على القرية ليحل
هناك ساعة أو ساعتين ثم يعود إلى الجوسق فيلب
الورق أو « المينو » مع زميله كاسبار ، ويكسب
أو يفسر هنات قليلة كأنها يجلان عليها مدار القلب
لبت نشاطه وإذا جاء حدة

في ذات صباح وقد استيقظ الكهل قبل زميله
الشاب ، دعاه إلى النافذة ثم أشار إلى غمامة شبيهة
ترحف إليهما في سرعة وهول ، وتأخذ على الجو
منافذ الأقطار ، وما هي إلا أن أقبلت خرساء عمياء
حتى انحلت بكسلهما على الجوسق للسكين ، وإذا
فرش الثلج الويرة الثقيلة تغطي الباب ثم ترحف
على النوافذ ثم تصمد إلى السطح فيفرق الجوسق
كله في موج من الثلج والصقيع

استمرت هذه العاصفة الثلجية أربعة أيام
بليالها ، حتى إذا انفثت حداثها وهذا غصنها تحم
على القليلين — كي ريا نور الحيرة — أن يزحزح
عن الباب والنوافذ الثلج للركوم ويحتفرا في صخور
الجليد مساكن للورور ، ويتم لها ذلك في بضعة أيام
فيأزمان الجوسق ، ويقعان أمام المدفأة إلى أن يأذن
الله بفرج من عنده

لم يكن أحد منهما ليفتات على زميله في محاولة
أعمال الزلزل أو ممارسة شؤون البيت ، فقد أخذ
أورليك الشاب على عاتقه غسل الملابس وتنظيف
الأواني وتكسير الحطب ، واستقل الكهل بشؤون
الطبخ والطهي ؛ على أن هذه الأعمال التزلية المسنة
كان يتخللها أوقات طويلة لعب الورق ورصف
« المومينو »

أبداً لم ينشب بينهما خصام ، أو يحتدم جدل ،
أوتسوء كلمة ؛ وكيف يحتصان كلاهما هادي الطبع
ساكن القصد حلو الشائل ؛ ثم هما فوق ذلك راضا

واقبل السكين إلى الجوسق يائسا نجس إلى
الوقد يصطلي وقد ذهبت به الأغاين والشكوك
كل منعب

أيمكن أن يكون كاسبار ضل طريقه
وتشابهت عليه مسالكه؟ أيجمل أنه تابع الآن في
أخدود عميق من الجليد كبير الرجل أو مهتم
الذراع؟ يرجعه القرد وتولول فوق رأسه نواكل
الريح الصادرة؟ أيجوز أنه يوالى الصرخات ويتابع
الاستنانات فلا يجد صريحا ولا منقذا؟ وكيف
ينقذه إنسان أو يده له بشر يداً والجبال موحشة
عالية، والوديان رحيبة خالية لا تتحرك فيها نامة
ولا تنفخ ذوذة

ومع هذا فقد أجمع «أورليك» أمره على
البحث عن صاحبه إن أقبل نصف الليل ولم يؤب
من سيده. ويأخذ في تهيئة نفسه وتحضير زاده
وعتاده فيتناول كلاً به الغولاذى ويتمنطق بجبل متين
دقيق ويمتحن صلابة قضيه الحديدى ومقاومة فأسه
للمد الحفر جلامد الجليد. ثم ينتظر إلى نصف الليل
بينما الحطب يتأثر في الوقود والكلب ينط على ضوء
النار، والساعة ترسل في الجو خفقات «بندولها»
الرابع الراعى. كان الفتى يهف السمع إلى عويل
العواصف وحى تلطم وجوه القمم البعيدة، ودمدمة
الريح الناضبة وحى تصفج جدران الجوسق ونوافذه؛
حتى إنأدقت الساعة الثانية عشرة استوى على قدميه
وأيقظ كلبه «سام» ثم فتح الباب وانطلق في
الظلمة لجهة ويسارويل. وفي خلال خمس ساعات
كان يصمد كثيراً ثم يهبط إلى هوة ثم يسود ويقطن
تلمة أو جبل من ثلج أو جليد. وفي كل ذلك
لا ينفل عن تمليق كلابه في سخور الجليد أو احتفاز
طريقه بين جنتل الثلج، أو تمليق حبله بكلابه

الصلبة ملتصقا يصره تلك النكتة السوداء المتحركة
التي كانت تلوح على البمد بين تلك البسط الثلجية
الواسمة. وإنه لكنذلك وإننا الشمس تضيف
للنهب فتتضر خمدود الثلوج البيض بلون الورد،
ثم تدع للريح اليابسة السافية سيلاً إلى أحضان
الثلج تنشر رغاه وتيمتر تشاره وتطوح بمنذوفه
أبديد، ويطلق «أورليك» نداء حاداً طويلاً مهترأ
فاذا رجع الصوت يدوى ويتراجف خلال سكوت
مهب هائل، وإننا رينته يسافر إلى تلك الأمواج
الساکنة الساكنة من الثلج، والهجج العميقة
السحيقة من الجليد، ثم يضل ويفنى في بهاء رحيبة
متناهية من الصقيع. وأرعدت فرائص أورليك
لهذا السكون الروع فغيل إليه أن ذلك الصمت
اللوحي، وتلك الرياح المتجلجلة، وهاتيك الوحشة
الرائثة، تنفذ إلى كيانه وترزول جسامه، ثم تجمد الدم
في عروقه وتجعل منه كائناً ساكناً لا يتحرك
ولا يرم. فلم يجد وسيلة للنجاة من وحشته وخوفه
إلا أن يتنمر الجوسق، ففضى إليه وهو ردد في نفسه:
إن «كاسبار» قد عاد من سيده ولا شك، وكأنى
به قد جلس إلى مقدمه أمام الوقود المضم ومحت
قدميه ما اصطاده من عوول. وبلغ الجوسق فلفت
نظره أن خيطاً من الدخان ولو دقيقاً لا يتصاعد
من الدخنة، ففتح الباب في سرعة وقلق، وإننا
الكلب «سام» يذف إلى به وبجبه ولكن أين
هنرى كاسبار؟ ويضرم الشاب النار وينفج الحساء
آلاماً أن يسود رفيقه كاسبار فيجد الطعام مريئاً
والجو دافئاً، لكنه لم يمد. فكان «أورليك» يخرج
من آونة لأخرى كي يقصر شبحه يذف أو يسمع
صوته يدوى. ولكن الليل أقبل بظلمة الشوة
بلاؤه الثلج ولم يمد «كاسبار»

لحافاً صغيراً ، ثم التمسق بكبله المتعب كي يدرأ عن جسمه زمهرير البرد الذى يلت بشفذ إلى عموقه طيلة الليل . لم يتمض له جفن فى تلك الحفرة الصاردة للظلمة ، لأن الأشباح الخفيفة كانت تراود عينه وخياله ، والريح اللاذعة ترعد أطرافه وأوصاله . وينهض صاحبنا مع الفجر مُصلباً الأطراف من القر ، مجد المروق من البرد ، خافق القلب مرعد الفرائص ، يطن كل خمسة أو عشرة أو هزة نذير مومة فى هذه الأصقاع الثلجية التى لا يعيش فيها إنسان ويبلغ « أورليك » منزله هو وكبله الأعرج ، الساعة الرابعة بعد الظهر ، فإذا المكان خال موحش ، فياً كل الشاب طعامه ثم ينام تماً منهوكة لا يفكر فى شيء . استغرق فى نوم طويل عميق غلاب مما قضاه البارحة من عناء ووعثاء ومشقة ، ولكن أراه يحلم ؟ ! أترأه يسمع هتاف طاقم النوم الذى يهتف فى أذن التأنم المجهود والحالم المكندو ؟ إنه ليسمع هذا النداء الضاحك الصارخ بجميع حواسه ومشاعره : نداء هائل مزعج ما إن يترلق من أذنيه حتى ينفذ إلى أعماق أعصابه الرقيقة النائرة ، وإذا فأن صوتاً يناديه ويدعوه إليه ، ويهيب به من النوم ؟ ذلك حتى لا يرب فيه ، وهنا يذعر الشاب ، فينتفض من سريره إلى الباب ويروح يصرخ طائلاً :

— أهو أنت يا كسبار ؟ ولكن أحداً لم يجه ، وصوتاً أو ركناً لم يتأد إلى سمعه ، إنما هو الليل الطويل المتكرر وشمعة التلوج المتناكسة ، وأنين الرياح النادية ، ثم صفير العواصف القاضية على الجبال والوهاد والحفر ، ثم سكون الموت ووحشة الفناء ، ولا شيء بعد ذلك . ويصرخ « أورليك » : كسبار ، كسبار ، ثم يصنى ويصيح ، ولكن كل شيء يظل أخرس لا يجب

القولاذى إما لإصماده بنفسه أو نزوله ، أو لجراً أو إزال كبله للسكين . وأخيراً وفى الساعة الخامسة بلغ القمة التى اعتاد زميله « كسبار » أن يختلف إليها لصيد الوعول . فجلس هناك ينتظر تبليج النور كانت السماء حين ذلك مشمسة الأديم مستضائة الصفحة قليلاً ، ولكن على حين غرة أضاء الأفق نور وهاج لم يبرق مصدره ففمرت الجبال بسناه اللائآء ، وغرقت السكين بنوره الوضاء ، ثم أخذ هذا الضوء يمتد ويقتر حتى تلاأت جبال الثلج وتلاخ الجليد بسناه الوهاج الرجاى ، إلى مسافة مائة ميل ، وكان يحيل للمين للشهرة ، أن ليس شمساً واحدة تلك التى تطلع كل هذه الأضواء ، وإنما بلورات الثلج ، وصرايا الجليد تيقن كل واحدة منها شمساً لا تمد وأتواراً لا تمد . ثم أخذت قم الثلج العالية البعيدة تترامى لتظن واحدة بعد أخرى بحلها الحر الوردية التى نسجتها عليها خيوط الشمس ، فاستطال الكون كله إلى سنى وسناه وجمال وسحر ، ويفسرح أورليك بعد إذ أخذ حظه من الراحة ، فى الأودية والمضارب ، والأخاديد والشعاب ، عنى الظهر يتصيف الآثار ويتلسس مواقع الأقدام ، وهو يقول لكبله :

— ألا تفتش أيها الكلب الضخم عن آثار « كسبار » سيدك . فيروود الكلب ويجوس ، ويتخلل الحفائر والمضايق والمناثر والأخلود ثم ... ثم لا يجد لا هو ولا صاحبه شيئاً وقبل للساء ، فإذا صاحبنا هو وكبله قطعا فى يومهم مسافة خمسين ميلاً ، وإذا هما من الإجهاد والتعب بحيث لا يقويان على مواصلة السير إلى الجوسقى البعيد ، فيلجآن إلى حفرة منزلة فى قاسية الوادى ، ويبيتان فيها ليلتهما وقد أثنى « أورليك » عليه وعلى كبله

وصامتا صمت اللوت ، قمتقل رواعد الدعر عظام الشاب ويتكفي إلى مُنْزله الموحش ، فيسقط الزلايلج ويحكى قتل الباب ، ثم يهاوى واجفاً راجفاً على كرسي أمام اللودع ، ثم يأخذ في التفكير : إن « كاسبار » الآن رهين حفرة عميقة من الجليد منذ ليّتين ؛ إنه في أخذود سحق ، هو في نضاعة يياضه أهول منظرأ من قطع الليل الفاتحة ، أوعمة المناظر الموحشة ؛ إنه ليحتضر في هذه الحفرة منذ يومين ، ويسموت البائس وحيداً جامد الدم . سيموت وهو يفكر في صاحبه الشاب ، ثم لا تكاد روحه تخرج إلى فاطرها ، حتى تملق فوق الجوسق وتدعوه إليها بدعاء رهيب غامض لا تعرف سره إلا أرواح اللوتى حين تتصل بأرواح الأحياء . إن روحه الآن تلهف بروحه الناعمة ولكن في غير صحة ولا صوت ؛ إنها التود وداعاً وداعاً أخيراً ، أو قل إنها تبقى تمنيقه تنيقاً مؤلماً ، أو لا هذا ولا ذاك ، إنها لتصب على رأسه لتلتها صباً ، لأنه لم ينقذ صاحبها من حفرة السحبة . كان « أورليك » يحس هذه الروح الهائمة الناضبة في كل ما يحيط به من مكان : وراء الجدار ، وخلف الباب ، وفي صحن المطبخ ؛ وقد كبر في وهمه أنها تملق وتطير في جو الجوسق كطائر مذعور ليلى تهاوت على نافذة مضيقه للجحبا . ولقد بلغ الدعر بالفتى لهذه المخاطرة أن كان مهتماً للسواء من خوفه ورعبه ، يريد الحرب والنجاة بنفسه ، ولكن أنى له الجرأة على ذلك ؟ ! لن يجسر على الحرب من الجوسق ، لأنه سيق الشبح المهيب خارجه يترعب به النوازل حتى يكشف جسد زميله فيواريه حفرة تدفأ فيها عظامه ويستريح رفاة . وطلع النهار فهدأ روع السكين قليلاً ، واطمأنت نفسه الراحشة إلى شعاع الشمس ، يؤنسه من وحشة

ويؤمنه من خوف . فطم وأطم كلبه ، ثم جلس أمام اللودع جلسة الباردة يفكر في زميله اللتوى في غيابة التلج . ويدعه الليل فيعتاده الدعر ويل به طيف الأس ، وإنا هو واجف راجف ، وحيد فريد كأوحش ماتكون الوحدة ، وأهول ما يكون الانفراد . هو وحده في هذه الصحراء الثلجية الرحبة على بعد ألقى متر فقط من الممران ، والسكان ، والحياة والحركة والضجيج ؛ وهنا يخطر له أن ينجو بنفسه من هذا القبر الثلجي الواسع ولتَجْرهُ قدماء إلى حيث ألت ... ولكن أنى له هذا وهو لا يجرؤ حتى على فتح الباب ؟ . وعند منتصف الليل ، وحين أعياء ذرع الفرفة ، وأنهكت أعصابه خطرات الطيف ، نام المسكين على مسند المقعد ، لأنه كان يخاف سريره كما يخاف مفارة مسكونة بالأرواح . ولكن بالهول هذا الصوت ؛ إنه ليقمر أذنيه مدوياً بجحلاً صاخباً غاضباً حتى يلقى المسكين أرضاً هو ومقدمه ، ويفيق الكلب فزعاً لهذه الضجة فيأخذ في نباح مدوٍ ثم يدور بأركان المنزل ، ويجوس نواحي الجوسق كي يرف مأتى هذه الضجة ومرجع هذا الصوت ، ولكنه حين لم يجد أحداً أتى بجانب اللودع حذراً قلقاً منتصب الرأس ملتصع العين زجر ويدمدم . وثاب إلى أورليك هدوءه قليلاً فراح يلتبس من « البوفيه ^(١) » زجاجة من الرق طفق بجزعها كأساً كأساً حتى إذا أتى عليها علودته شجاعته المازية ، وراحه حلط القاهب ، ثم تلاشت مخاوفه في جو من الإيهام والتموض

وأقبل الندف لم يذق أورليك طعاماً وإنما اكتفى بجرعات « الكحول » تلهب عروقه الجامدة بمحيا (١) استسلما هذه اللفظة لأننا لم نجد مقابليها في البرية

النظم وتزعد الفرائص ، أرغمته على إغلاق الباب وإسقاط الزاليج . فأغلقه دون أن يتنبه إلى أن كلبه « سام » أتى بنفسه خارج الباب . وترجف أورليك رواعد البرد وهزاهز الفزع فيسرع إلى اللقاة يؤثر نازها ويذكي ضراسها ، ولكنه ما يكاد يفعل حتى يقف شعر جسمه هولاً وذعرًا ، لأن يبدأ خفية كانت تخدش الباب وأنياباً مهوماً كان يقبض هذا الخلدش . ويصق الخوف « أورليك » فيصرخ : أخرج من هنا ، إليك عني . فلا يجيبه إلا أثنين ضارِع وعواء بائس

وهنا . هنا فقط يتأذرا رأسه كل ما بقي فيه من رشد وصواب فيدور كالجنون على نفسه ويقول : — إليك عني ! أخرج من هنا ! ولكن العواء الباكي ، أو البكاء الماوي لا يلتفت لأواصره بل يدور حول الجدران ، ويحدق بأركان الجوسق وينفذ من تحت الباب . واستألق قلب الشاب فرحاً ودهشاً فأسرع إلى منضدة « البوفيه » للزوء صحوناً وكؤوساً ، ثم رفضا بين يديه بقوة الجبارة المجانين ثم وضعا أمام الباب ، قم له بذلك متراس هائل حصين أخذ يكس فوقه أدوات التزل ، وأشياء المطبخ ، ثم فراشه وسريره ووسائده ، ثم كل ما وقفت عليه عيناه من آنية أو آلة أو كرسي حتى لقد ترمم أمام الباب تلّ ينطح السقف ويسد منافذ الهواء

ولكن نداء الكلب الصارخ أصبح الآن خارج التزل عويلاً مبكياً وأنياباً مشجياً لم يلبث « أورليك » نفسه أن أخذ ينجيه بمخله

واختضت أيام وليال وهذا الماومان لا يتقطعان عن الترداد والهوى : عواء متنقل سيار من الخارج يخدش الباب ويلطم التوافذ ويهم بتقويض

النشاط ، وتقيم حول دماغه وحواسه سوراً من نسيان ...

وتالت الأيام على هذا الحال لا يطرق مسممه هاتف رفيقه المودع حتى يأخذ في الاجترار والعبث واللأهول ، ثم ... ثم يسقط على الأرض سكران لا يبى ولا يحس ، ولكن ما يكاد يستيقظ إلا ، نفسه حتى يدوى في أذنيه النداء المائل للربح : « أورليك » ، « أورليك » فيتنصب السكين على قنفيه الراجفتين كأن هذا النداء رصاصة تنفذ في دماغه ، ثم يترجم سكرًا ويمجد فرحاً فيستدعي كلبه « سام » إلى نجدة ، ويتراكن الحيوان وقد أصبح مجنوناً مسموراً كسيده ، إلى الباب يحدشه بأظفاره الرفعة ويقرضه بأنياه الحادة اللامعة ، على حين ينتصب سيده أمام « البوفيه » مهطع العنق مضؤل الرأس صرخ السطف سكرًا يعب جربت العرق الحارة كما يعب مساقى محمود كؤوس الرطبات الباردة ، ثم هنيان ونسيان وغيبوبة ليس منها فرعه المهوم وطائفة اللوم ومهنت أساميع ثلاثة ، فتقد ما عنده من حر ، وما في « البوفيه » من « كحول » ، وأصبح السكين وقد اجترع آخر نقطة من العرق أشد تهيباً للنداء اللدوى وأرهف شعوراً بالظيف الماغت : فإن إيمان شهر على الحفرة ما زاد غناؤ السكين إلا يتفطأ وتركراً في عقله الباطن . فهو يندو الآن ويروح مفرعاً مهوماً لا يفتأ يلصق أذنيه على جدار الجوسق ، أو يرهف سمعه على باب التزل ، والصوت مع ذلك لا ينقطع دويه ولا يقر تهافته : « أورليك » « أورليك »

ففي ذات ليلة قد أخرج هذا النداء الملح عن طور عينه ، اجتر الباب كي يترقب ذلك الشخص الذى يناديه ، وكى يرغم ذلك الصوت الترنك على الصمت والحرس . ولكن رجماً متلجة ترجف

— لكأني به هيكل كلينا «سام» ! قالت هذا وراحت تردد :

— أيها الأب كاسبار ، أين أنت يا كاسبار ؟ وهنا أجابتهما من داخل التزل صرخة مدوية لا تخرج إلا من فم نور هائج . وأعاد الأب هوسار النداء فارتدت الصرخة للربعة تجلجل في أذان الأسرة . ويستمر الأب وأبناؤه اقتحام الباب المدود ؛ غير أن الباب صمد لهم أولاً ثم خضع وانكسر حين دفعوه بقاعة خشية ، ولكن ما كاد يفتتح حتى ارتفعت في الجو صرخة مدوية ، ثم أبصروا وباهول وأعرب ما أبصروا : أبصروا وسط الغرفة رجلاً مسترسل الشعر حتى الكتفين ، طويل النحية حتى الصدر ، أغبر أشمت ممزق الثياب زائع البصر هائل الرأي .

لم تعرف الأسرة أولاً هذا النول البشري ، ولكن الإين لويس قال :

— إنه أورليك يا أماء . ثم أمنت الأم على قوله : — نعم يا بني إنه بسينه رغم شموره البيضاء . وسمح أورليك لأسياده بالاقتراب منه ، وأذن لهم بلس جسده ولكنه لم يجب بكلمة على الأسئلة اللقاة عليه . على أنه الطبيب وضع حداً لكل هذه الشكوك حين أعلن للأسة في القدا أن «أورليك» مجنون .

ولكن أين رفيقه الكهل كاسبار ؟ أى حادث عصفت بعقل السكين ؟ ثم من قتل الكلب الأمين ؟ ؟

تلك أسئلة لم تجد لها الأسرة أجوبة وأسفاه !

كالم المبرى

« حلب »

الجدران ، يقابله عواء من الباخل ، لا يفتأ صاحبه وهو يتبع حركات الأول ينشر أذنيه على الحائط أو يكدس الأشياء على التراس ، أو يبادل العواء الخارجي : نباحاً يباح وأنيناً بأنين

وعسى السماء ، وإذا صاحبتا «أورليك» لا يسمع البكاء اللدوي ولا الأنين الماوي ، وإذا سكوت طويل عميق طويل يرين على جو الجوسق . هنالك تنهات السكين على مقعد خائر العزم موهون القوى مصوق الرأس ، ثم يسلم نفسه إلى نوم عميق غلاب ... ويستفيق «أورليك» بدساعات ، وقد تكون أليماً ، فارغ الرأس من الرشد ، خالي الفهن من التكرى ، كأنما أنزع كل ما في دماغه في هذه النومة التي غرق فيها ، وبحس بالجوع ينهش معدته فيقبل على الطعام إقبال الميم

وأقلع الشتاء بقضه وقضيضه وتلججه وورده ، فمادت المسالك مهيمة والمساعد معبدة ، وأصبح معبر «جهي» سالك الطريق ذخرا الحركة فتتخذ أسرة «هوسار» سبيلها إلى جوسقها الجبلي . وكانت طيلة الطريق في حديث المليلين اللذين تأخرا هذه العنة عن النزول لاستقبالها مع أن ذلك دأبها كل عام . وأخيراً لاح لأسرة «هوسار» شبح الجوسق منعموراً بالتلج حطاط الجهات بالجلبد ، ولكن بابه كان منلقاً ، وخيوط دقيقة من الدخان كانت ترتفع من مدخنته . ويقرب الأب هوسار من عتبة الجوسق فإذا هيكل عظمى لجيوان تافق يطالع بصره . وتحقق المائلة في هذا الهيكل العظمى الذي تناوشته قشاعم الجبال ثم تقول الأم «هوسار»

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول
احمد حسن الزيات

برل امستراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيّة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٢٤٥٥

السرورية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

٣٠ محرم سنة ١٣٥٧ — أول إبريل سنة ١٩٣٨

العدد ٢٩



فهرس العدد

| صفحة | |
|------|---|
| ٢٣٤ | مبنى أنصوبة صرية بقلم الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني |
| ٢٤٢ | خمار لك مرانف بلوزيف بلاكيرد ... بقلم الأستاذ محمد الحفي جمة .. |
| ٢٥٣ | ابولاما — و — مرشكا } لويس جولفد بقلم الأستاذ دروي خشة ... أو الحساء والحبال ... |
| ٢٦٨ | الصورة اللقمة للكاتب الانجليزي جيس ماجوفن بقلم الأستاذ كامل محمود جيب .. |
| ٢٧٤ | الحبة الماشقة للكاتب الفرنسي إميل زولا ... بقلم السيد صلاح الدين التند .. |
| ٢٧٨ | النافقة للكاتب الفرنسي مير لويس ... بقلم السيد عز الدين عزوزي .. |
| ٢٨١ | الأعشى الذي ارتد بصيراً ... قصصى الانجليزي أدون بو ... بقلم طهي خليل ... |

الرسالة

مجلة أسبوعية تهتم بالعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

١٢

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنهما مصرياً ، والبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

فَتَفِي

قصّوصة مصّرة

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المارني

بزة الضابط ففتح إلى التساهل ،
وساعده على ذلك أن صديق
الصاب كان يهون الأمر
ويؤكد أن لا شيء هناك يستحق
وجع الرأس . وكانت فيني هي
التي تقود السيارة فضت بها
إلى حيث أشار الصديق . وكان

الصاب لا يزال منشأ عليه ، فدعى الطبيب وخلا به
وشرع بفحصه والصديق معه وفيني وأخوها في
غرفة أخرى يتمشيان ولا يطبقان الجلوس أو الكلام
من فرط قلقهما على الشاب المسكين ، وقد كبر في
وهمهما من طول النسيوية أنه لا يحالة ميت . وخرج
عليهما الطبيب بعد دهر طويل قائمهما لما وقال : إن
الذي أصاب الرأس لطيف لا قيمة له ، وإن الخلدوش
الأخرى لا خوف منها ، ولكن الذراع مكسورة ؛
وإنه سيثبت إليه في الصباح بطبيب يجبر الكسر
إلا إذا آثروا المستشفى ، ولكنه هو لا يرى حاجة
إلى ذلك

وانصرف الطبيب بعد أن اتخذ من تداير الرواية
والعلاج ما رأى أنه لازم ؛ وبقيت فيني وأخوها
زكريا مع طاهر نحو نصف ساعة ، فعلم أنه أناس
للصاب « حمادة » وأنه طالب في السنة الأخيرة
من كلية الطب ، وأنه ابن عمه وهو يقضى أجازته
الصيفية ضيفاً عليه — أي على طاهر — في
الاسكندرية ، حيث يعمل في بنك مصر . وقد
سر الأخوين أن طاهر أبى أن يد أحدًا غير
حمادة نفسه مسئولاً عما وقع . وكانت فيني تحدث
نفسها بأن تعرض على طاهر أن تقوم هي وأخوها

تلقت « فيني » نبأ — بالتلفون — بأن في
وسمها الآن — إنها كانت لازال راغبة في ذلك —
أن ترور « الضحية » وترآه وتجالسه وتحمّاه .
وكانت تتوقع هذه الدعوة التي ألحت في طلبها ، ولكن
سرورها بها كان مع ذلك عظيماً . وكانت تتألم
نفسها وترحم أن فرحها إنما هو يشغله وزوال الخطر
عنه . ولم تكن تعرف أن هذه مغالطة ، فأرأت
ضحيتها إلا هنية قصيرة على ضوء مصباح السيارة
وهو ملق على الأرض أمامها وقد فقد وعيه من
الصدمة . وكان معها أخوها — وهو ضابط في
الجيش — فأسرع إلى المصاب ليرى مبلغ ما حل
به ، وألقى عليه بجسمه وإذا بصوت يقول : « القلب
ذنبه . لقد قطع الشارع من غير أن يمتي بالتلف
والنظر ، ورأيت أنا السيارة مقبلة بسرعة تخفت عليه
ودفت يدي لأرده ولكنه كان قد مضى ... هو
هكذا أبداً ... » ومال على صاحبه ثم رفع رأسه وقال :
« لا أظنه أصابه شيء خطير ... لعل الصدمة التي
أصابتها من وقوعه على الأرض أقوى من صدمة
السيارة ... على كل حال تعال نحمّله إلى البيت ومن
هناك ندعو الطبيب »

وجاء الشرطي وهما يحملانه إلى السيارة ورأى

وهكذا كنا الأمر من أمها اثناء لازماها
من ناحية وخوفاً من أن تنفص على فيني حياتها
اذا عرفت ما وقع

وقالت فيني لطاهر وهي تدخل ووراءها زكريا :
« ألم تقل له إننا آسفون جداً جداً لا حصل ؟ »
فقال طاهر بإتسام : « لقد تركت لك هذا ...
كان على واجب آخر لهذا العمل الذي لا يعرف
حتى كيف يقطع الطريق »

وتقدمهما إلى الترفة وصاح وهو يتنحي عن
الباب لتدخل فيني وأخوها : « ضيوف يا حمادة ...
افتح عينيك »

وألفت فيني نفسها جالسة على حرف السرير
تبتسم لحادة في عينيه ، وقد سرها أن أخاها استأثر
بطاهر فقالت : « لا أحتاج أن أقول إلى آسفة ، فان
هذا لا يكفي ... فقد جئنا عليك ولا أدرى في
الحقيقة كيف تطيق النظر إلينا وقد كسرنا لك
ذراعك »

فنظر حمادة إلى ذراعها وقال : « أوه هذا ...
إني أكاد أعد طبيكاً فصدقتي حين أقول لك إنه
لا شيء ... ثم إن هذه فرصة لي سأعتنهما »
فلم تفهم فيني مراده وزوت ما بين عينيه فقال :
« صحيح ... بعد أن أعود إلى الكلية سأستبدل بها
ذراعاً صناعية خيراً من الطبيعية »

فالتفت فيني : « إيه ... هل ... هل ... »
فأسرع حمادة يقول : « لا لأن يدي هذه
أصبحت لا خير فيها ... كلا ... بل لأن الأعضاء
الصناعية أصبحت من البقة والإتقان بحيث تفوق

بنفقات الملاج ، ولكنها خجلت أن تخاطبه في ذلك
بعد الذي رآته من مهودة نفسه وحلاوة طباعه ،
وآثرت أن تشاور أخاها أولاً عسى أن يستطيع
أن يحتمل للأمر من غير جرح إحساس هذا
الرجل الكريم

وكانت فيني وزكريا أشبه بالصديقين الجيمين
منهما بالأخوين ، فقال لها وهما عائدان : « غريب ...
لقد استلقت حمادة ... بمجرد وقوع عيني عليه
وهو ملق في الطريق »

فلم تقل فيني شيئاً ، فقد كانت تحس أنها مشغية
على البكاء

وعاد زكريا يقول - أويصبح على الأصح -
بعد قليل : « لماذا لم تدوسي واحداً بمن لا خير
فيهم ؟! لماذا حطمت هذا السكين ؟! »
فقالت : « لو لم أسرك لأخذك ... لو كنت
مضيت إلى البيت مباشرة ... لما حدث هذا ...
فظاعة ... أوافق أنت أنه سيفيق من هذه
النيوبة ؟ »

فقال زكريا : « الطبيب يؤكد .. فلنصدقه ..
وسنرى غداً .. اسمحي .. إني أريد أن تقوم بنفقات
الملاج .. إنه طالب وابن عمه موظف متوسط
الحال .. وقد دسناه على كل حال وكسرنا له ذراعاً
فا فوالك ؟ »

قالت : « لقد فكرت في هذا ولكنني خجلت
أن أعرضه على طاهر ... اسمع ... تعال نقسم
النفقات ... واسمع ... لا داعي لإخبار ماما ... ألا
توافق ؟ »

قال : « بالإجماع .. »

الحقيقة تمهيداً نأمن به الشر الذي نخشاه وإن كنا نستحق أضعاف أضعافه»

ولم تسو حمادة وطاهر هذه الصراحة. وراحما ماين الأخوين من الحب وما يتبادلان من الرعاية، وخطر لطاهر وهو ينظر إليهما أن فيني كانت خليفة أن تنشق زكريا عشق المرأة للرجل لو لم يكن أناها

وحرصا على التخفيف فانصرفا بعد قليل، فقال زكريا لأخته في الطريق: «هيه»

قالت: «هيه»

قال: «لقد قلها أولاً»

قالت: «أحسب أن معنى ذلك بعد الترجمة هو ما رأي في حمادة... الجواب مدهش»

قال: «هاتيه»

قالت: «قلت لك مدهش... ألا يكفيك هذا؟»

قال: «طيب آتينا ياسق... وأنا مستعد فادهشيني... تفضلي...»

قالت: «ماهنه البلاة؟. قلت لك إنه مدهش... ميم... دال...»

قطاطها: «أيوه... أيوه... قاهم... بس أريد أن أسمع هذا الجواب للدهش»

فلما كفت من الضحك قالت: «يا أبله... إننا أعني أن حمادة هو الدهش»

فهز رأسه موافقاً وقال: «وأنا من رأيك... وأحب أن أقول لك أيضاً إنني أعني أن أراه لك زوجاً»

فقالت: «على مهلك... على مهلك... طول

الطبيعة... مثلاً إذا كنت أريد أن أشتغل بتفريح الدجاج فإني على إلا أن أتخذ ذراعاً خاصة أتبعها وأطيع وحسبها»

فحدقت فيه وقها مفتوح... أراه يتكلم جاداً... هل بلغ تقدم العلم هذا البالغ للدهش... أم هو يمزح ليؤنسها ويصرف ذهنها عما أصابه منها؟

وسمعت حمادة يقول: «أعرف رجلاً بترت له ساقه على أثر حمادة ترام... وكان يحب الألعاب الرياضية فركبوا له ساقين مبريتين على هذه الألعاب... ويمكنك أن تصوّري بسهولة أنه أصبح الآن وليس أبيض إليه من هذه الألعاب، لأن ساقه لا تترك له يوماً راحة فيه من الومب والجري وما إلى ذلك

فلم يبق شك في أنه يمزح، ولم يسمعها إلا أن تضحك وإلا أن تعجب بروحه الواسعة الكريمة

وقالت، والتفتت إلى أخيها وطاهر: «زكريا! يجب أن نحتفل بحمادة أفندي في أول يوم يخرج فيه... يتفدى عندنا هو وطاهر أفندي... أليس كذلك؟»

فهض زكريا ودنا من السرير وقال مخاطب حمادة: «اسمع ياسيدي.. هذه الفتاة سربية النسيان.. لقد اتفقنا أن نكرم الأمر كله عن الأم لثلاث تسود لفيني عيشها.. فليس من المناسب أن ندعوك إلى البيت على الرغم من رغبتنا في ذلك، ولكنني أقترح أن تتفدى يوم تخرج في سيدي بشر.. إلى أن نعهد لاطلاع الوالدة المحترمة على

بلاك ... ولا نفس الوافدة المحترمة »

فقال : « أوه ... إذا كان هذا هو كل ما في الأمر فدعني لي ... أنا أدبر المسألة »

وتوثقت العلاقة بين الفريقين وارتقت من الصداقة إلى الحب — معنى بين فيني وحماة — ولكن الأم ظلت لا تعرف من الأمر شيئاً ، فقد كان الأخوان يعلمان أن أمهما تأتي أن تزوج بنتها لواحده من غير أهل اليسار والنفي مثلها . وكانا قد عرفا أن حمادة رقيق الحال وإن كان المرجو — بل الحق — أن يكون مستقبله خيراً من حاضره . ولكن الأم لا تقبل كلاماً كهذا . وكانا يجانبها ويمز عليها أن يصدهاها أو يخيبها لما أملا فيهما ، فقرأيا أن يستعينا بالصبر عسى أن يتيح الله لهما فرجاً

ولاحظت الأم أن الأخوين أصبحا لا يفرقان — ولم يكن هذا حالهما من قبل — ثم كانا كالصين لا يعرف ما بينهما إلا الله ، ولكنه قلما يمضي الآن يوم لا تخرج فيه فيني مع أخوها . فهل ترك زكريا إخوانه جميعاً ... ثم إلى أين يذهبان ..؟ كلما سألت تلتفت جواباً من زكريا فيه من النموض والإجمال أكثر مما فيه من الوضوح والبيان . ويندر أن يزيد فيني على الإقسام ، وما أكثر ما تلجأ إلى تقبيل أمها واحتضانها كأنها تريد أن تصرفها عن السؤال . وإذا قالت شيئاً كان قولها : « ألا بكفيك للاطمئنان أن أخي ممي لا يفرقني ؟ » ولم يكن هذا هو الذي يقلن الأم وإنما كان يشغل عليها أمهما لا يريدان أن يقولوا لها شيئاً ، وكان هذا يثير رغبتهما في المعرفة ؛

ولم تستمدهم أن يكون زكريا قد ذهب يساعد فيني على غرام لها فإنها تعرف عظم ما بين هذين الأخوين من الحب ؛ ولكن إخفاء الأمر عنها منهأه أنهما يدركان أنه لا يثبت على رضاها ؛ ومن هنا كان قلقها

وكانت أرادت أن تقطع القعدة بالـيف . أعلنت يوماً أنها قررت العودة إلى القاهرة غداً ؛ ولم يكن زكريا في البيت فتعبت فيني في محاولة إقناعها بالمدول عن هذا القرار ، ولم يجدها أن تبين لها أن الصيف ما زال باقياً منه أكثر من شهر ، فظاهرت بقلة الاكتراث وهزئت كنفها وقالت : « على كيفك .. إذا كنت قد اشتقت لمصر فلنذهب إلى مصر .. وما الفرق ؟ سيان عندي في الحقيقة .. وأقول لك الحق إنني لم أضجر من الأسكندرية كضجري في هذا العام .. »

ومضت إلى غرفتها وقد شق عليها أن تترك الأسكندرية وتترك فيها حمادة . ولم يميزها أن حمادة سيرجع إلى مصر لا حمادة وأن في وسعه أن يرجع الآن أيضاً .. كلام يميزها هذا الخاطر فاستتقت على السرير وهي تجيل هذا وما إليه في نفسها . ودخلت عليها أمها فقرأتها ساعمة فسالها ما لها فقالت : « لا شيء .. تمب بسيط .. »

وكانت الأم رقيقة القلب جداً وقد مات لها ثلاثة قبل أن تزق هذين ، فهي ضئيلة بهما جداً لا تطلق أن ترى أحدهما من كوما أو مصدا أو به فتور ؛ وكان يقلقها وزبحها أن ترى زكريا يؤرأن يقي في البيت لأنها تتوهم أنه مريض فتروح تلح

الطبيب .. كليه وسأذهب أنا إليه بالسيارة .. هذا أسرع»

فكانت للسكينة تقع على الأرض لأنها أيقنت من لحظة زكريا وهيبته أن الأمر جد وأن بنتها مريضة حقاً وإذا كان زكريا قد قلنى إلى هذا الحد فياويلها هي ...

وجاء الطبيب — وكان هو طبيب الأسرة في الاسكندرية — وكان رومياً هرمًا ذا لحية كثة بيضاء ، ولكنه دائم البشر والبشاشة ، حاضر النكتة وإن كانت نكتته كثيراً ما يفسدها أو يحجبها عجزه عن التعبير باللغة العربية . ودخل على فيني ورد الباب وراءه ، فارتدت الأم راجمة وكانت تشتتى أن تكون حاضرة وهو يفحص ابنتها وقرة عنها وحة قلبها

واستمر الفحص نحو نصف ساعة فكانت الأم تبجن وأيقنت أن الأمر أخطر مما كبر في ومهما إلى الآن . فلما خرج الطبيب خفت ناهضة إليه وقد

ارتسم القلق والفرح على وجهها وفي مينها وقالت له وهي تتناول طبق سترته بكنيتها وتشده منهما : « طمئني يا دكتور »

فقال بلهجة الجد ما معناه : « اطمئني على كل حال ولكن هذا المرض جديد على . لم أتول علاج مثله من قبل . ولست أعرف إحصائياً لهذه الحالة المينة سوى رجل واحد يجب أن تبشوا إليه وتستقدموه »

فدهشت الأم وقالت : « مرض لا تعرفه أنت ! »

قال مبتسماً : « أعرفه ولكني لا أعالجه ... علاجه عند غيري »

عليه أن يخرج ويتنزه ويشم الهواء ويضحك مع الإخوان ويتمش نفسه

وقالت لفيني : « مالك .. لقد كنت قبل ساعة كالوردة النضيرة فإذا جرى ؟ »

قالت فيني : « لا شيء يا ماما .. تعب قليل .. يزول بالراحة .. اطمئني »

فقالت الأم : « سأدعو الطبيب .. حالاً » فلم ترتج فيني إلى هذا وألحت على أمها ألا تفعل ، ولكن الأم أبى لها قلبها الرقيق الضميف إلا الإصرار ، فخرجت إلى التليفون والتفت في طريقها إليه زكريا فسألها وقد رأى وجهها للمتعب : « ماذا جرى ؟ »

قالت : « فيني .. مريضة .. سأدعو الطبيب » فاستغرب زكريا ، فقد ترك أخته على أحسن حال وقال لأمه وقد ساورة الشكوك : « انتظري حتى أراها »

وأسرع إلى فيني فقمت عليه ما حدث ، ففرك كفيه وعيناه تلمسان وقال وهو ينهض : « هذا خير ساقه الله ويجب انتهاز الفرصة التي أحاطت لنا الأم المحترمة .. لقد كنت حائراً جداً وأتبعني التفكير في التماس الحيلة حتى يئست ، فالآن فتحت لنا الأم الباب بورك لنا فيها .. عليك الآن أن تلزى السرير .. المرض يثقل عليك شيئاً فثيقاً .. وعلى أنا الباقى »

فمرت فيني إليه قبله وعاد إلى وجهها الاشراف والوضاعة

وقال زكريا لأمه : « نعم يجب أن ندعو

وأنبأها أن الحالة ميسورة العلاج جداً ولكنها تحتاج إلى وقت وراحة تامة ...

فسأته : « لقد كان في نيتنا السفر غداً »

قال : « هذا مستحيل الآن ... ربما أمكن بعد أسبوع أو اثنين ... تبكاً للحالة ... سأعود مرة أخرى في المساء »

وجلس يمدها صريرتين في اليوم - مرة في الصباح وأخرى في المساء ، ولا يكتف في كل مرة أكثر من دقائق . وظل الحال على هذا النوال نحو أسبوع فقلقت الأم وتبست فيني - أنها الانتقال المفاجئ من الضحك حين يكون معها أخوها أو طبيبها إلى الجحامة والقنور التكلفين حين تدخل عليها أمها ، إذ كلفها هذا التمثل جهداً شاقاً جداً وهذا فضلاً عن الاضطراب إلى ملازمة الفراش

وأحس زكريا أن الأمر زاد تعقيداً لا سهولة ، وأن المخرج أصبح عسيراً . فليس كل المراد أن تبقى الأميرة في الاسكندرية وأن يتيسر بذلك انقاء الحبيبين بل أن ترضى الأم بزواجها

وقالت فيني لأخيها يوماً : « وآخرتها ؟ »

قال : « الحق أقول إنى لا أدرى »

قالت وهي تتجعد : « ألم يبق لهذا الرأس قدرة على التفكير ؟ »

قال : « اسكتي يا فيني ... لا تريدني أمك ...

ما أردت إلا الخير وقد كانت النتيجة ماذا ... هذا الموقف الذى لا تعرف وجه الخلاص منه ... أقول لك أركي الأمر للقادر ... عسى أن تمنح الباب الذى لا نراه الآن »

قالت : « إنى مستعدة أن أترك الأمر للقادر

فسأته : « ما هذا المرض ؟ ما اسمه ؟ »

قال : « أما المرض فأعراضه كثيرة : اضطراب ، خفقان ، حالات متناقضة من التشوة والكآبة ، والسرور والحزن ، كثرة يكون المريض أصح من مصارع ، وطوراً يكون كالذى أجريت له عملية جراحية تركته أسفر باهتاً وضيقاً متهاقاً كالورقة المبلولة ، حالته وأطواره غريبة وشرحها يطول . وأما اسمه فلا أعرفه بالبريسية ولكنه بالفرنسية « مال دامور » ، يعلى باستشارة هذا الرجل وثق به والطمئني إلى النتيجة »

وخرج ومعه زكريا وقال له في السيارة : « يا صاحبي هذه أول مرة أرتكب فيها هذه الخدسية ولا أدرى كيف أطمئنت . ولولا أنى أعرفكم من زمان طويل وأعدكم كأبائى لما كان ممكناً أن أجاريك في هذا البعث ... والآن أرجو أن يكون هذا آخر عهدى بهذا الموضوع وإن كنت أحب أن أطمئن على النتيجة »

وبينا كان زكريا في طريقه إلى حمادة ليحيى بهذا الاخصائى في مرض (اللال دامور) كانت الأم تحاول أن تتذكر هذا الاسم الغريب الذى لم تسمع به قبل اليوم . ولما كانت لا تعرف لنة أجنبية فإن لها السذرة إذا كان الاسم قد طار وأعيامها أن تقتنصه .

وجاء الطبيب الاخصائى مع زكريا ودخلا على الأخت التى كانت تنفض من الاضطراب والفرح والخوف ، وبعد قليل تركهما زكريا ورجع إلى أمه

وما لبث الاخصائى أن خرج فتقدم إلى الأم

أكبر منها ... أقر أن هذا الزواج يجب أن يتم
لمصلحة الاثنين ... على الأقل يجب أن يتم الاتفاق
عليه حتى يفرغ من الامتحان ... وأنا أطلب
مماوتك على خير »

قال الطبيب: « من رأي أن أذهب إلى والهنك
وأطلبها على الحقيقة كلها بصراحة »
قال: « إنك تنسى أن أي من الجيل الأخرى »
قال الطبيب: « قد تصنى إلى إذا كانت
لا تصنى لابنها »

قال: « إلى أخشى غضبها وعنادها ولا أطيع
أن أرى فيني تصنب »
قال الطبيب: « إن الفشل من هذا الطريق
خير من النجاح من طريق الخداع ... ثم إلى
لا أطيع أن أظل أخضع هذه السيدة الساذجة »
قال زكريا: « وما العمل الآن ؟ »

قال: « سأذهب إليها وأكلها ... إنكم أيها
الشبان لا تأتون البيوت من أبوابها أبداً ... تعقدون
البسيط ثم تروحون تبحثون عن حلول مستحيلة ...
لماذا تفرض أن أمك ستمرض حتماً في زواج فيني
من هذا الشاب ... لماذا لم تقدمه إليها وتركها
تفطن إلى مزاياه على الأيام ... ؟ »

قال زكريا: « لأن أعرف أي »
قال: « بل لأنك لا تعرفها ... توهم أنك
تعرفها وتبنى سلوكك على أوهامك ... تمال »

بعد أن قص الطبيب الحكاية كلها على الأم
وهي واجبة من فرط الهشة قال:
« لقد أدركت أن ابنتك لا يعرفك ... هو
يظن أنه يعرفك ولكنه غلط ... توهم أنك عنيده

ولكن هذه الرقعة تلير عقلى ... أعتدى منها
على الأقل »

قال: « مسكينة ... »

وخرج معنى مطرقاً، ورأته أمه فأقبلت عليه
وجرته إلى مقعد وقالت: « اسمع يا ابني . هذا حال
لم يبق لي صبر عليه ولا بد من استشارة أطباء آخرين
ويحسن أن يجتمعوا هنا »
فربع زكريا وأيقن أن كل شيء قد فسد
ولكن الخوف استحث خاطره فقال:

« لا تتمجلى ... إنك لا تعرفين الأطباء ...
ليس كل طبيب صالحاً ... والأولى أن نسأل طبيبتنا
رأيه فيمن يحسن أن يستشار »
فقلت: « هذا ما كنت أنوي أن أصنع ...
إذهب إليه وكله »

فذهب إلى الطبيب الروى فتأمل هذا وقال له:
« ألم أقل لك إلى لا أحب أن أحضر في هذه الحكاية ؟
لقد اضطررتني إلى الكذب وتضليل هذه السيدة
الساذجة الطيبة القلب . ثم اضطررتني أن أشير عليها
بالاستشارة برجل ليس بطبيب وهذه جرعة أخرى،
واضطرت هذا السكين أن يدعى أنه طبيب وهو
ليس إلا طالب طب ... والآن تريد أن أدلك على
على رجل آخر - طبيب في هذه المرة - ليساعدنا
على الكذب النقيض »

فقال زكريا: « ولكن المسألة ليست مسألة
مرض ... إنها كلها فكاهة .. وأنت تعرف ضيق
عقل السيدات مثل أي ... تريد رجلاً لبنها يملك
ضياعاً وعقاراً ... وهذا شاب فقير ولكنه صالح
جداً ... يجب أختي وهي تحبه ... أما أخوها ...

أشد التهم ... على كل حال أراى تداركت الأمر
وأصلحت ما اشتركت فيه من التلط ... ساعينى ...
ورلى اللتى »

ولا أقبل ابناها يستنران إليها بمد أن انصرف
الطبيب ويطلان الصمغ لم ترد على أن قالت :

« خوف القضيحة فقط هو الذى يجعلنى أبلغ
هذا البث منك ... لقد كنت دائماً أقول إن
الأخوين لا يكونان هكذا ... وكنت أخشى عاقبة
ذلك ... لا بأس ... الأمر لله »

ولكنها ما لبثت أن أجبت حمادة بعد أن عرفته ،
فلما أنست فبقى منها البيل إليه سألها عن رأيها فيه
فقال الأم وهى تقبل بنتها : « الحق أنك ممدودة ...
إنه آية ... قلته ... الله يوفق »

براهيم عبد القادر المازنى

وأنتك تجبرن وراء المال ... وغلب عنه أنك لا تظلين
لا بنتك مالا بل رجلاً صالحاً ... لأنك تدركين
أن الرجل الصالح لا يقوم بمال ، وقد أقنمته بخطته ...
غريب أن أعرفك أما التريب خير أما يعرفك ابنتك ،
ولكنه شاب وأنا رجل مجرب ... وأظنك توافقين
على أن لى فراسة فى الناس ... والأآن صار عندما
الرجل الصالح ... ولكنى أنصح لك بالتأمل حتى
تختبرى هذا الشاب بنفسك وترقى أهله وتطلى
على سيرته ... على أنى كصديق قديم لكم أنصح
أيضاً بوجوب الحرص على كتمان هذه الحكاية ...
حكاية المرض والطبيب إلى آخر ذلك لئلا تدور على
أسنة الناس وتصبح مادة للسخرية منكم ... ولا
أدري كيف أعتذر لك عما كان منى ولكن حبي
لكم هو الذى أقننى الرشد لحظة ندمت بسدها

قريباً :

توفيق الحكيم

فى كتابه المجرى

عصفور من الشرق

قصة روائية كبرى تضع الشرق وجهاً لوجه
أمام الغرب ، متجدين عارفين ... من يطالها
يجد المفتاح المفقود لشر الشرق وروحه ...
يطبع الآن بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
فى طبعة محدودة

احجزه من الآن بالمكتبة التى تاملها

آلام فرتر

للساخر الفيلسوف هوزر الاولانى

الطبعة الجديدة

ترجمها : احمد حسن الزيات

وهى قصة طالية تمد بحق من آمار الفن الخالده

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وغنها ١٥ قرشاً

بأمله الرجفة لحيته الكتنة
السوداء ، التي كانت لا شك
مستارة

فلما تقدم إليه الخادم بصحن
القم التليظ وقنينة الجمرة ،
ووضعهما أمامه ، وهم بالانصراف
ليأشركه خدمة غيره من الآكلين
استمهل الرجل بإشارة من يده ،
ثم أخرج من جيبه ورقة مائنة
وستدقاع ، وراح يقول للخادم
في صوت خافت :

— أترى هذه الورقة المائنة؟
فأطرق التادل بإيماءة
الاججاب : أى نعم أراها ياسيدى
فأشار الرجل القامض إلى
ناحيات اللطم فيها وراء العمود
الذى اختفت في ظله مائدته وقال
للخادم :

— أترى هذه اللوائد الست
الرصوصة بجانب الحائط ؟
فالتفت الخادم إليها ، فرأى
إلى مائنتها يجلس رجل منفرداً ،
وعلى المائدة الثانية رجلان ، وإلى
كل من اللوائد الأربع الباقية
قد جلس رجل وامرأة
فقال الخادم : وماذا تريد

ياسيدى من هؤلاء الأضياف ؟

قال الرجل : أريد أن تذهب إلى كل مائدة

حَذَارُ ! إِنَّكَ مُرَاقَبٌ

لجوزيف بلاكييرد
بقلم الأستاذ محمد لطفي جعانه

تصرف بالقصة

جورج بلاكييرد من كتبه
القصة القصيرة المروعة ، وهو نوع
من الرواية الحديثة ، اكتسب حق
الاقامة في مدينة الأدب . وليس كله
وعا ولا خيالاً ولا تسلية ، فكثير
منه مؤسس على فكرة ورأى ومعرفة
عميقة بأطوار النفس البشرية . وكان
ستيفان زفاغ ، أحد أدباء الألمان
السواء للتين إلى أحد الأجناس
السامية ، قد وضع قصصاً في وصف
الحوف والبرية والمغرى ، تطبيقاً على
مبادئ آستاذه سيغموند فرويد ،
فلقيت نجاحاً لا يستوائها على أسس
من الحقيقة الثابتة والأموال للشاهدة .
وقد تناول جورج بلاكييرد في قصته
« حذار ! إنك مراقب » التي تصرب
في سنة ١٩٣٦ موضوعاً مالمه علاقة
بلم الص الرضى وعالجه بمهارة فائقة
ولم يعل جانب الواطم والاجتماع
جاءت القصة حائرة لمرطو الترفيق
التي من حيث القصة والحبكة وتسلب
الأجزاء وتحليل الفيليات النامضة

كان موعد العشاء في مطعم
كلاردويج قد خان ، وهو ذلك
المطم الفخم في غرب لندن ،
في حي وستمنستر الشهير ، يطل
على نهر التيمس وميدان الطرف
الأخر ، ويسمع روائه دقات
(بيجين) وهو ناقوس كبرى ساحات
المالم . وفي أحد أركان قاعة
الطعام وراء أحد الأعمدة البيضاء
الموهة بلون الذهب ، جلس
رجل من الطامعين رقب اللوائد
الأخرى ويسترق النظرات إلى
الجالسين ، وبأخذهم ييسره
وهم لا يرونه ؛ ينظر إليهم ويدرس
حركاتهم وسكناتهم وهو في
نحوه من أنظارهم . وكان الرجل
ضخماً ، ذا عينين خيبتين قد
أخفاها وراء عوينات من الزجاج
الأسفر اللقائم ، وله من ورائها

نظرة ماكرة . وقد جلس أشبه شيء بالنمور
الوحشى ، بفنل شاربيه نارة ، وطوراً يمشط

صاحب الدكان أن يقاسم الجو في عبوسه وكآبته ،
فتراعى لجورج أدبيكت دراج أبداً ما يكون ، وأهمل
ما يُنتظر ؛ فلما أن طلب منه الآفيون أعطاه إياه ،
ومن الروية التي دفعها إليه رد دراهم مضروبة من
النحاس قد أخذها المقاري بيده من صندوقه
الخشبي . فتحول جورج عن بائع المخدر ولم يصبر
عن ازدراده حتى يصل إلى ناديه أو مسكنه ؛
وشمر بعد برهة بتلك اللذة الثابتة للقيمة التي توم
أنها أدخلت على ملكات ذهنه الأسير أتم النظام
والترتيب والاشتلاف ؛ وأحسّ في ظلمات نفسه
الحزينة الولي بشئ : يشبه الشياء الساكن السوى .
وعادت إليه تلك الحالة التي يسترجعها ذهن عقب
خلاصه من برحاء آلام طلالا حاربت زغرات نفسه ،
وأخلّت بجزائها . وهكذا قيّد جورج أدبيكت
دراج اسمه في سجل الدمنين . فلما عاد من الهند
إلى لندن ، وهي مسقط رأسه ، لم يستطع الفكك
من أغلال تلك العادة . وقد ألف أن يتناول المشاء
في مطعم كلاردج بعد أن يكون أدخل السكنينة
والطابينة والاعتدال على ملكات نفسه بجمرته
المخدرة ؛ وكان في تلك الليلة يشعر كأنه نشط من
عقال ، وقد عهد الآفيون مورثاً للخفة والنشاط ،
ولطالما حدها إلى اللعاب والأسواق فاغتنبط ببجولاته
ثمّت ، وكان اغتباطه في تلك الليلة مضاعفاً بفنيل
ذلك السم الذي ابتلعه ، جلس يأكل وحيداً ،
لا صديقة تؤانسه ولا رفيق يؤاكلة ، وكان في بزة
تنظيف على طراز هواة الآفيون يلوح عليه أنه من
الخاصة ، ويأنف أن يمس التسمي شجرة من رأسه .
فلما التقط الرقعة من فوق اللادة تصفحها في لهفة ،

منها ففزع رقعة من هذه الرقاع أمام الجالسين
وتقول : « من صديقي ! » ثم تعود إلى ولله هذه
الورقة المالية تنتم بها ، أهيئت ؟

فنظر الخادم حوله وهو خائف من عين صاحب
الطعم تبصره ، وهو من نظرات الرجل النامض
أخوف ... فلما اطمان تناول الورقة المالية والرقاع
وتولى مسرعاً ليربح المال الذي في يده ، وراح يوزع
الرقاع ، وجعل الرجل يرأيه ويربه وهو يمشي من
مائدة إلى مائدة

كان جورج أدبيكت دراج انجليزياً ثائداً من
الستعمرات ، وقد أدمن التخدير بالآفيون ، ذلك
النبات الرهيب ، باعث الألم واللذة . ولم يكن يفقه
معناه حين سمع اسمه ، إلا أن يفقه معنى المن والسوى .
وكيف له بفهم ما لم يحط به علماً ؟ أما الآن ، بعد
أن مضى عليه عشرون عاماً في نعيمه وجسيمه فسا
أعجب معنى هذا الاسم وأغربه ؛ وما أقرعه في
تؤاده لأوتار الحزن مارة ، ولأوتار السرور طوراً ؛
وما أبينه لأليم الذكرى صرة ، وللفينها أخرى ؛
وكان جورج أدبيكت دراج لا يزال يذكر ذلك
اليوم الذي فتحت له الأقدار في آخره باب الفردوس
والجحيم

كان المصر قد ذاق في مدينة كالسكتا في موسم
« الموسون » والجو ممطر مكثف ، وليس في طاقة
الأرض أن تمرض منظر أبيت للاقباض والكتابة
لمبني أعزب منعب من ذلك اليوم الهندى المبوس
التمطرير ، فصادف في سبيله ، وهو في أشد حالات
الأسى والسويداء ، دكان عقاير ، وكأنما استحسن

فبدأ عليه الخوف، وظهرت في وجهه دلائل الجزع، وجعل يشد على شفته العليا بأسنانه يريد أن يمنعا من الارتجاف

وعلى المائدة الثانية يجلس رجل وامرأة، ظنا وضع الخادم بين أيديهما الرقعة، كانا في شغل شاغل بمحدثهما عما حولهما، فلم ينتبها للخادم وهو يضعها. وكان الفتى اسمه فيكو واسم الفتاة ييليس^(١) وهما في مقبل الشباب، وكانا حديثي العهد بالحب. ومن سنة الطيبة أنها منحت الشباب للبشرة ليكون باعثا لها على الولوج بمحاسن الجنس، حتى تصبح هذه الحاسن في عنينا أجلى مظهر لروح الجمال، حتى إذا اتحدت بين الفتى والفتاة شرارة الحب الصحيح لم تزل تنظم حتى تشمل أشتها جميع الخلق وتغنى الكون أجمع بسناها الباهر. كان يبدو على الشاب أنه طالب علم في إحدى كليات جامعة لندن، أما الفتاة فلم ترد على أن تكون ريفية من يوركشير لم ينقض على ورودها شاطئ الحياة أكثر من شهر، فلا تزال نضارة الخضرة وطراوة الماء وجمال الروج الزمردي، وصورة السعادة البتية ماثلة لقلوبها. ولكنها كانت تراثا ونهضة في الحب نهما في الطعام والشراب، كما كان فتاها جائعا محروما من الاثنين معا، وقد بدأ أصفر الوجه بلون الساج هزيلنا ضاويا، وتجلت هي غضة بضة هائلة هادة، لولا حركة لسانها الذي كان كبنديل الساعة لايفتا ذاهبا جاتيا، رائحا غاديا، بين شدقها الرقيقين الطالطين

على المائدة الرابعة جلس رجل وسيدة من أهل الشمال، وكان الرجل عابسا مقطبنا كأن به ملاء أو سامة. فلما قرأ الرقعة استنضك وقال لصاحبه التي تذاكله: ليت شرى من منا القصود بالذات بهذا التحذير ياماتيليا العززة؟ يلوح لي أن شرورك هواز فعل ذلك لكي يفهمنا أن لندن في عاتباها وأكادها غير مفشتر قيصنا قيصنا !

فأجابته المرأة: إنها لفكرة جميلة من مستر هواز ليخيل إلينا أننا في فصل من رواية شرطية :

(١) ييليس اسم يوناني الأصل سلاه عين

— ومن يدري أنها ليس استدرجاً واستطلاعاً
من أحد خصوصاً يريد أن يثبت من شيء وينظر
أن يدعو علينا ما يؤيد ظنونه ليطش بنا، فإنا علينا
إلا أن نظهر الثبات والثبوت وعدم الاكتراث بتلك
الرقصة القاترة

— كيف يكون الثبات في لندن، وفي مطعم
كلاريدج؟

— كالثبات والبرود في منشستر وفي مطعم
ليوزر حذوك التمل بالتمل. إبدأ بتعزيق الورقة
شذرمذر أو أشمل بها غليونك ثم اشرب كأسك
واضحك بههقهة عالية

فتشجع الرجل وأجاب: الحق يبدك دائماً، ففي
صحة التلث الزوج والسلاح التفل من ماركة
الصنع نشرب، وورق الكأس فاشتغها، وفعلت
المرأة مثله فاجترعت كأسها

وعلى المائدة الخامسة جلس رجل وامرأة. فلما
قرأ الرقصة راح يقول لها وهي إزاءه:

— أدب رائع من هذا الرقيب المجهول،
ولكنك تلمين أنه كلا بلد زوجك إلى إدراك
سرنا استطعت أن تتخلص منه وتروحي طليقة

فقالت: وما بالك لا تخشى فضيحة المحكمة
وشهود الاثبات؟ ألا أنك رجل تضمين إعجاب الرجال
بك وتضئ ما يتابعين من التشفيق وهتك أسرار
حياتك الخاصة

أجاب: حياتك الخاصة؟ بل حياتنا. أقرأت
في صحيفة قضايا الطلاق اسم امرأة غير مقترن إلى
اسم شريكها. وماذا علينا إذا لم يتمكن زوجك من

فضحك الرجل وقال لها: وإننا كما نقولين،
فإن ذلك الوغد رلكو لقادر أن يبيننا الأسلحة،
ثم يفرى بنا سكو تلافيرد^(١)، ليصدرها فتعود
النساء منه، ونحن لا نعلم أنه المصدر المجهول التمثل
رجال الخفية اتصالاً وثيقاً

فقالت ماثلاً: ومتى كان شراء الأسلحة بالجلمة
محظوراً في هذه البلاد؟ أمى تقود مضيقاً أم بضائع
مهربة؟ فقال: التجارة حرة في بلادنا، ما في ذلك
شك، ولكن أسلحتنا لا تحمل علامة للصنع الذي
يخرجها وقد عثر المحققون عليها في كل حادثة من
حوادث القتل التي وقعت في برمنجهام وليفربول
ومنشستر لثلاثة أعوام منصرمة. فإنا نقولك في
هذا الدليل علينا بأننا نشارك الجناة بالساعدة
والانفاق؟

أجاب: إنه ليس دليلاً، ولكن قرينة حال،
حتى ولا قرينة، بل شبهة، والشبهة قد تمل
بالمصادفة أحياناً. لسنا مسئولين عن كل سلاح نرى
لا يحمل علامة الصنع. لو أن كل قاتل ممن ذكرت
كان يحمل على جيبه أو مضمعه علامة التلث الزوج
وضبطت أداة القتل في حيازتك أو حيازتي، إذن
لحق القول علينا، ولكن السلاح وحده لا يكفي،
ولا يثبت المشاركة

— قد تكونين على حق، ولكنك بلا ريب
جريئة، أنصبر على أنفسنا حتى نعطيه دينا القصة
والأسلحة، ولا نعط بهذا التحذير القوي صاخب
وقته ...

(١) إدارة الأمن العام والبحوث الجنائية ووكر التجسس
الانجليزي

ودفع له - ليراقبنا - أجره الرقيق ، وقد خافه !
فقلت : ولم يخونه وهو مأجور منه ومدسوس
علينا ؟

أجاب : لعله أشفق علينا أو استغل ظلم زوجته .
إن مجرد عطفة حنان نحونا ، أو اكتشاف حقيقة
زوجك ، وأنه أكبر نطع في الإمبراطورية ، كافٍ
لتحويل دفة الجاسوس من المداخيل إلى المحبة
الظاهرة . من يدري ؟ لعل الجاسوس هو نفسه
عاشق امرأة مزبوسة وهو يؤاكلها الآن ويشرب
مها كما نشرب

- وهل تراه ينفق مال زوجي في خديته
فيحظى بحب امرأة ومخدرة في وقت واحد ؟

- نعم ... نعم يا عزيزتي ، فيضرب طيرين
بل ثلاثة أطياف بمجرى ، فإذا علينا لو كنا حراقين ؟
فتشجعت صاحبته وقالت : لا شيء حقاً ، فني
صحبة الجاسوس الرحيم نشرب . ورفضت الكأس
فاشفتها ، وفعل الرجل مثلاً فاجترع كأسه

ولما قرأ الرجل الجالس إلى المائدة السادسة قال
لصاحبه مضطرباً :

- أرايت ما كان أغنا من الدخول في مطعم
الطبقة العالية ؟ وما لنا والجلوس في هذه اللطام
الفخمة ؟ لقد راك وحق السماء صاحب الطعم وأنت
تلهيهم الفاصولية بالسكين ، وتثقلين الحب المنتثر
فوق غطاء المائدة فترمينه في فك كالطير ، ثم تلمقين
أصابك وتكادين تلمقين الرءاء كأنك موكلة
بتنظيفه وتنقيته من بقايا الإدام ... وتشربين
الأقداح حتى التامة ، تنمذ الأطباق والكؤوس

مفاجأتنا متلبسين في بيت الزوجية المحترم ، وهذا
مالن تقع فيه أبداً ، فالخير كل الخير في الفنادق
والسيارات !

- وأهل وعشيتي وأصدقاء أسرق ؟

- أهلك وعشيرتك وأهل وعشيرتي ؟ كلهم
يفعلون ما نفعل ويسترون ! قد يكون في مسلكتنا
بعض الاستهتار ، ولكن الناس لا يحقدون على
المشاق لأنهم يستون في الهوى ، ولأن الدنيا
نكره الوتر

- الحق بيك . فهذه مسز ترشلان على جلالة
قدرها وضخامة اسم زوجها وشهرة أيها ، لم تحف
غرامها بسائس خيلها بمد المصارع جيمي والملاك
دوجار . ولادى كويشر التي كانت مروفة بالتقوى
وغشيان الكنيسة في كل أحد من أحاد السنة ،
فرطت في عرضها لتلك الشاعر اللعوك كويكر ،
وعرضت شرف أجدادها وأسلاف زوجها لسخرة
الشهود والحامين والقضاة والجمهور المازي ، وهي
لا تؤمل أن تزوج منه ، ولا تطمع في حمل اسمه
الحقير ، بعد أن حملت اسم زوجها التليل عشرين
سنة كاملة

أجاب : الآن تكلمين عن عقل وتصديرين عن
منطق . ألم تقول في أول حبنا : من راقب الناس
مات غمماً ، ونصحت إلى أن تفوز بالذات .
أنصبر حتى تكتمل خشية المار المزعوم ، وما رأينا
أحداً يخشاه سواها ؟ المالم كما كان ... اقتناص
المال والمدة

فقلت : ولكن بربك قل لي : من يكون ذلك
المحذر اللعين ؟

أجاب : لعله البصاص الذي دفعه زوجك ،

فارغة ، فأرسل إلينا بهذا التحذير الغريب . ألا

ترمين بالسكين جانباً ، وتأخذين الفاصولية بالشوكة وتنقينا عن هذه الفضيحة العارضة ؟

فقلت : كأنك أنت وحدها الحديث النعمة ، لم تصبكي الثروة إلا من أرباح الحرب ، فتخشى امتقاد أصحاب الطاعم وهم لا يلفتون شأواً الخدم في قصرنا . ومن من طبقنا أتن الأكل بالشوكة والسكين كما أقتناه ؟ ألم نأخذ دروساً خصوصية على يد ريدج ذلك الجرسون الماهر في مطعم والدورف ؟ لقد تكسرت أأمل حتى تمكنت من تلك الطريقة المؤلة التي تحم الضفط بالسباية ورفض النمر والتواء الخنصر وتصويب أسنان الشوكة إلى الشواء وحزه بالسكين بمعنى الألفة ، ولكن لماذا يذهب ذهناك إلى قصي في أدب المائدة ، ولا يذهب ذهناك إلى تدوير دقارك ، لتجعل الدخول أقل مما هو ، حتى توفر مبلغاً ضخماً من ضرائب الأيراد ، قُبِيت إدارة المكوس ورامك من قبض عليك بهمة خيابة الخزانة العامة ؟ ليس أكل الفاصولية بالسكين جريمة ، ولكن سرقة مال الدولة بعد استلاب مال القوم هو الجريمة الكبرى والطامة المظلمة .

فامتنع لون الرجل ووقفت الشوكة من يده . وقال : ياك من منذرة السوء : ألا تخشين أن يكون الرقيب منسهماً ؟ إن دقاري دقيقة ، وقرينة الصدق والحقيقة . ومن لم يقل لك ذلك فقد خدعك ، حتى ولو كان أخاك ذلك الحودزي اللئيم الذي رفضه إلى رئاسة المحاسبة في متاجري .

— قد يكون أخي حودزياً كما تقول ، ولكنه لا يشي بك ؛ وإن وشي بك فلأنك بلا شك تستل

مواهبه وتظله ولا تقدره قدره

— أنا ؟ أستل مواهب ذلك القدم الذي لا يعرف الفرق بين الصفر وشرع السفينة ! سأطرده غداً في أولى ساعات العمل . سأرسل به إلى حيث ينتفع بمواهبه ، إلى اصطبلات هوايت شابل ، أو مرابط الخيل في دوبي شار . سيحني أخوك إحالة التماثل ثمار أعماله وأقوالك ... بئس الصهر هو ، وتسكاً للنسب التي يجير وراه الفضيحة والبلاء والنيمة والوشاية يتلوها الوعيد والفند !

— كل هذا إياك لأنني أكلت الفاصولية بالسكين ؟ أم لأنك تحمل هم الحساب المسير بد المشاء . والله ، لقد كرهتني في النقي المفاسي . أنسيت إذ كنت طاملاً ، وأنا موظفة صغيرة ، تُنقد أجرة الأسبوع مساء السبت لتستريح يوم الأحد ونشارك أبناء طائفتنا الضراء والراء ونواسي أهلنا ؟

— لا جرم أننا لقينا آتفاً من آلام الفقر أكثر مما أود أن نذكرني به . وأمامسرات الفقراء وأمالهم ودواحي عزائهم وسلوتهم واستراحتهم من الجهد والنصب ، فانها ما لا يمكن أن يقاس بما نحن فيه من النعمة .

— إذن وجب عليك ألا تتخذ من سعادتك الحاضرة وسيلة لإلحاق الأذى بأقرب الناس إلى . وإلا ...

— وإلا .. ماذا ؟ أعني كلامك . فاني لا أحمل تهديك .

— وإلا فأنني أكون المبلغة عن دقارك وغيرها .

ثانية . وإذذاك التقت نظراته بنظرات الرجل النامض صاحب الرقاع ، فعاد إلى الجلوس كأنما قد خاضته قدامه وخذلته قواه ومضى يصرخ على الخادم : أسرع ! الحساب وكأنما من الكونياك .. كأنما كبيرة من الكونياك ، ثم الحساب ! هم ! أسرع . فلما جاء الخادم إليه بالحساب والشراب أطلع من جيبه رزمة كثيفة من الأوراق اللالية التي جلبها من الهند ، ورمى للرجل بالحساب والبقيش متمجلاً ، ودفع يقيمة أوراقه اللالية إلى جيبه مسرعاً وهو يطبقها تطبيقاً ويلويها ليأعنيها ؛ واشتف الكأس دفعة واحدة وخرج من المطعم متنثراً يحمل رجله حلاً . وكان جورج أدبكت دراج قد هجر الحجرة من زمن طويل ، منذ سود الأفيون ، لأنه أذف اللثة المتولدة من الحمر التي عهد لها نشوة تدريجية لا تزال في سرعة حتى تبلغ القمة ، ثم تأخذ تتحدرونها بهبط فكانت ما هي لهيب مضطرب يشوش البهمن ويشل الإرادة ويسلب ضائلة النفس ، وتحدث اختلالاً في ملكة التمييز والحكم . ولكنه شرب الكونياك صرعاً مضطراً ليعينه على مقاومة الخوف والاضطراب ورآه الرجل النامض فدفع حسابه للخادم ، وتناول قبسته ومضى من المطعم وأدرك جورج أدبكت دراج وهو في أشد اضطرابه أن الرجل النامض بطارده فمدا وهو متخاذل القوى إلى سيارة مأجورة ، ولكنه ما كاد يستوى في مجلسه منها حتى أبصر من خلال زجاجها وجه الرجل الآخر ينظر إليه ، فصرخ صرخة رعب شديدة وقفز إلى إفريز الطريق واظلق يندو صوب إحدى حدائق الزهرة ، ومشي الآخر في أثره يقيمه فمدا يريد محطه الترام ، ولكنه ما كاد يطف في الشارع حتى

— أنت يا سلماء ؟ آخسين چاك مكدوجال بيت في أحضان حية مثلك وهو أعزل ؟ لقد أعددت لك أدلة مادية ترج بك في أعماق السجون . فأتدعي بك قبل أن تمشي في . فذعرت المرأة ولكنها لجأت إلى الحيلة . فضحكت ضحكا عالياً . وقالت : لعلنا نندم على ما دار بيننا ؛ وقد نكون وإهين في غاؤفنا مبالئين في تقديرها ولم يصبنا سوى صرارة الأنف من رفع القناع عن عواطفنا التي كانت مبرومة وقابضة في حنايا أضلاعنا . وماذا علينا لو كنا مراقبين ؟ فتشجع صاحبها وأجاب : لا شيء حقاً ، ففي محبة الفقر التقديم والنفي الطاريء ، ورفض الكأس فاشتفها ، وفعلت المرأة مثله فاجترعت كأسها .

هذا ، وكان الرجل النامض صاحب هذا التدبير ، القابع وراء العمود الأبيض رقب رقاعه وقارنها في لفحة ودقة بصر ، ولكنه لم يسمع شيئاً مما دار على الموائد ، لأن الذين قرأوها لم يلبثوا أن وضموها جانباً فوق الموائد ، وعادوا إلى ما كانوا فيه من الأكل والسر ، إلا جورج أدبكت دراج الجالس إلى المائدة الأولى وهو مدمن الأفيون فقد بدا عليه من دلائل الاضطراب والجزع ما بدا . ثم راح يلفتت بعمه وبسرة وهو في أشد حالات الخوف وشفتاه ترتجفان ؛ والتقط الرقعة مرة أخرى فقرأها ثم وضعها في خوف ووجل ، ورفع يده إلى جيبه ونظر إلى الجلوس ثم لم يلبث بنته أن استوى واقفاً كأنما طعن في صدره ، فجاءه خادم المطعم مسرعاً فقال له : على بقاعة الحساب ! أسرع ! وقد سأمن الكونياك . ولم يتم كلامه حتى نهض من مجلسه

حتى وصله قبل المسافرين ، فاطمان قليلاً واعتزم أن يتخذ القطار المكان الذي يقصد إليه فيريشموند ، فابتاع تذكرة من للشباك وانطلق مسرعاً يريد الركوب ، ولكنه ما كاد بخطو خطوات قلائل حتى أبصر الرجل النامض قد ابتاع تذكرة تين إلى ريشموند ، فاشتد به الجزع ، واستولى عليه القنوط ، فدلف نحو الرجل وقال بصوت مرتجف ووجه مرتعد : « بحق السماء تبتنى ياسيدي ماذا تريد مني ؟ أريد مالاً ؟ » فنظر إليه الرجل النامض بعين ماكرة ونظرة خبيثة وقال : « لم يضرب إلى الآن المال الذي يستطيع أن يُبْرِى مثل بترك واجبه »

فاه بهذه الكلمات بكبر وخيلاء ونظر إلى الرجل نظرة سطوة وعزة ، وكأماً أراد أن يسمع الجمهور الذي حوله تصفيقاً له على ما قال ، وإذ ذاك عاد للسكين بآله : « إذن فإني تريد مني ؟ ومهما يكن فاضل ما تريد مني فوراً ، بلا تردد : » وإذ ذاك رفع يده تضرعاً وعاد يقول : « افضل لي ما شئت ياسيدي حالاً ولا تتمهل ! اقتذني من ألى وخاوفي » فابتسم الرجل النامض وأجاب : لم يمن الوقت بعد ! الناس حولنا كثيرون ، والطريق غاصة بالسابلة . إنك تستطيع أن تقاوم بضعة ساعات

وهنا كان قد وصل القطار ، واندفع الناس صوب الإفرز يطلبون ركوباً ، فالتفت جورج أدبكت دراج وراه فرأى شرطياً يمشي تفت ، فهرع إليه وهو يصرخ : أأخذني أيها الشرطي ، إن إنساناً يطاردني . فنظر إليه الشرطي ملياً بيروء نادر المثال (٣)

رأى ذلك الرجل واقفاً أمام حاووت بدال ، فأنسل مسرعاً حتى بلغ المحطة ، وابتاع تذكرة ووقف ينتظر القطار ، وقد ظن أنه أأكلت من ذلك الرجل الذي كان يتبعه ، ولكنه لم يكده يفت وراه حتى أبصر به واقفاً فوق إفرز الشارع يتشم إسمامة شنيمة وهو يقتل شاريه الشوشين ، فخالس الرجل حتى إن دخلن أنه لا يراه أفلتت من فتحة هناك في جانب الطريق إلى المحطة ، وكان القطار متدانياً ، فكبر أمه وتشجع قلبه ، ولكنه ما كاد ينظر إلى اللوحة الملقة فوق الجدار وهي : — القطار الأول لا يقف بهذه المحطة — حتى تولا اليأس مرة أخرى ومات الرجاء ، والتفت فأبصر الرجل الخفيف وراه يتشم إسمامته الرعبة ، فاشتد قنوطه ، وحاول أن يندفع صوبه ويصيح به : « أسألك بأى حق تطاردني ؟ » ولكنه عاد تخشى أن يتعجل الحوادث وصبر على جرح حتى أقبل القطار التالي الذي يقف بالمحطة فوثب إليه وهو يكاد يسقط . فلما استقر به مكانه في المركبة ظن أن الرجل قد ابتعد عنه وأنه قد أصبح في نجمة من تعقبه . ولكنه إذ وقف القطار ونزل منه لمح الرجل ينزل من المركبة الأخرى فساد فوثب إلى القطار مرة أخرى وهو في أشد حالات الرعب ، وجعل في كل محطة يحاول النزول ، ولكن خوفه من أن يكون الرجل الذي يطارد في القطار جيل يمسكه عن النزول ، ولكنه إذ بلغ محطة سييدة عن المحطة التي كان يظن أن ينزل عندها بمحكم التذكرة التي ابتاعها ، لم يجد مطاردة في غمار الركب والجمهور المزدهم عند الإفرز ، فشى إلى باب المحطة مسرعاً

ثم قال : خلّ عنك أيها الرجل وسر هادئاً إلى بيتك وخذ فنجاناً من الشاي ثم ادخل سريرك ، فإن الشاي والنوم كفيلان بأن يذهباً عنك سكرتك

فصاح جورج باكياً : كلا ! لست في صرعة شراب ، انني مطارد ! إن رجلاً يطاردني . قال الشرطي : هل تريدني أن أقبض على أحد ؟ قال جورج مرتمشاً : نعم أريد أن أسله إليك . فأجاب الشرطي : إذن فاشر إليه ودلني على مكانه من غمار هذه الجوامير ، فنظر جورج أدبكت دراج حوله نظرة ذهول ورعب لا يُقدِران ، والناس متدفقون من المحطة ولم يكن الرجل اللعين في غمارهم . فقال الشرطي ضاحكاً : ألم أقل لك إن الشراب لا يزال آخذاً بلبك ، خير لك أن تستشير طبيباً يداوبك من علة الأعصاب ! وما كاد الشرطي ينتهي من كلامه حتى أشاح بوجهه وولى السكين ظهره وانطلق في الشارع مرصفاً

والتفت المارِب حوله فأبصر عدة زوارق عند ضفة النهر واقفة وأربابها يرتقبون عملاً بغيري جورج إلى أقرب رجل منه ، وأثنى في يده عشرة شلنات وصاح به : أسرع بي إلى أي مكان ، وسأخبرك بالجهة التي أقصد إليها بعد أن تتوسط بنا الماء ... هلم ... ادفع الزورق ...

ولم يكن هناك أثر للرجل الخفيف ولكن ما كاد يجلس السكين في القارب وقد غلّكه التنبه فاستلقى على ظهره ، حتى أبصر عدوه الذي يطارده قد انحدر يطلب الركوب في نفس القارب وقد وقف يكلم

صاحب الزورق وسمع هذا يقول للرجل الخفيف : — معذرة أيها السيد فقد تعهدت لهذا السيد أن أروح عنه بضعة سنيرة في النهر ما به من تب ولهذا لا أستطيع أن أسير بك ... فألقى الرجل النامض في يد رب السفينة ورقة مائة وقال : « لا خير ولا سوء من ركوبي ، فلن يحرم السيد نسمة الزهرة ، ولعلك مستطيع أن تضاعف السرعة بنا فأجاب صاحب الزورق : إننا كنا نذك ، فهل اركب يسدي . وانطلق الزورق بالرجلين ، فذعر جورج وحاول الكلام فلم يستطع ، ولكنه إذ استطاع أن يملك صوته جمل يقول : كيف اجتأرت أن تركب معي في زورق القبي استأجرته ؟ وإذا ذاك جدت الكلمات على شفتيه فلم يتم ، وكان الرجل جالساً بجانبه لا ينظر إليه كأنه غير شاعر بوجوده . فلما تكلم التفت إليه مبتسماً وقال : « لم يمن الوقت بعد للكلام » ووصل الزورق إذ ذاك إلى الضفة الأخرى ففدا جورج يطلب النجاة . هناك لاح بيت صغير فوق رابية ذات شجر ، وكان هذا هو المكان الذي يطلبه والدار الآمنة التي يتصم بها لو أنه استطاع وصولاً وهو يجري ويلهث ويشهق ويزار ويكي ، لأن بينه وبين تلك الدار ثلاثة أميال . وهنا التفت وراءه فألقى الرجل قد حسر عن رأسه ووضع قبضته تحت إبطه ، وكان شمعه يتطاير مع الهواء وشارباه مرتقبين في الريح وقد اتسعت المسافة الآن بينهما ، والرجل النامض للضخم قد تصبب عرقاً وهو يصرخ صرخات مرعبة ، وأخذ جورج يسائل نفسه : أي أمر وأي جرم نبشأ ؟ وأية جنائية ارتكبها ويشفق من الاعتقال من أجلها ؟

فصاح جورج باكياً : كلا ! لست في صرعة شراب ، انني مطارد ! إن رجلاً يطاردني . قال الشرطي : هل تريدني أن أقبض على أحد ؟ قال جورج مرتمشاً : نعم أريد أن أسله إليك . فأجاب الشرطي : إذن فاشر إليه ودلني على مكانه من غمار هذه الجوامير ، فنظر جورج أدبكت دراج حوله نظرة ذهول ورعب لا يُقدِران ، والناس متدفقون من المحطة ولم يكن الرجل اللعين في غمارهم . فقال الشرطي ضاحكاً : ألم أقل لك إن الشراب لا يزال آخذاً بلبك ، خير لك أن تستشير طبيباً يداوبك من علة الأعصاب ! وما كاد الشرطي ينتهي من كلامه حتى أشاح بوجهه وولى السكين ظهره وانطلق في الشارع مرصفاً

والتفت المارِب حوله فأبصر عدة زوارق عند ضفة النهر واقفة وأربابها يرتقبون عملاً بغيري جورج إلى أقرب رجل منه ، وأثنى في يده عشرة شلنات وصاح به : أسرع بي إلى أي مكان ، وسأخبرك بالجهة التي أقصد إليها بعد أن تتوسط بنا الماء ... هلم ... ادفع الزورق ...

ولم يكن هناك أثر للرجل الخفيف ولكن ما كاد يجلس السكين في القارب وقد غلّكه التنبه فاستلقى على ظهره ، حتى أبصر عدوه الذي يطارده قد انحدر يطلب الركوب في نفس القارب وقد وقف يكلم

وسنعود غداً إلى مطعم كلاريدج ، ولعل مستطيع أن أثبت لك أن ما رأيت اليوم كان حقيقة لا ومها وواقعاً لا خيالاً

في جلسة العشاء بذلك المطعم مساء اليوم التالي كان الرجل الضخم التامض جالساً في مكانه الذي كان يشغله ليلة أمس ، وكان يقرب اللوائد التي أمامه ، والرقاع نفسها ، رقايع المشية الماضية أمام مائدته ، وكان يلوح عليه التئيب ، وكان عنيفاً لأن الرجل الجالس على المائدة السادسة كان موليه ظهره ، وكان الرجل جالساً وحده ، وفي المائدة القريبة منه جلس رجلان قويان شديداً الأسر ، وقد كان الماشقان اللذان كانا بالأسر في شغل شاغل بالتنازل والتجوى والسمر عن كل شيء حولهما ، في مكانهما الذي كانا يجلسان فيه بالأسر فلم يحفلا بالحادة والحامد يضع أمامهما الرقعة . ولكن بدا على الرجل الجالس إلى المائدة السادسة أمارات الاضطراب ، فتحفز الرجل الضخم التامض صاحب الرقايع في مجلسه ، وتطاول ومد عنقه ليدير أثر رقبته في معارف وجه الرجل ، فرأى الرقعة تسقط من يده وإذا ذلك نهض الرجلان الجالسان إلى المائدة القريبة ومشيا يريدان الخروج ، ونهض الرجل الجالس إلى المائدة السادسة وهو يشتر في أذنيه مضطرباً راجعاً ، وهنا بدت على الرجل التامض آثار السرور وابتسم ابتسامة خبيثة وأصدر صوتاً خفيفاً ليسنا أشبه بهرب الكلاب ومشي في إثر الطريدة . وإذا ذلك اقضى عليه الرجلان القويان الفتولا السواعد وحملوا إلى

وكان الرجل الضخم على مسافة خمسين ياردة من فريسته ، ولكنه لم يستطع أن يقرب شيئاً من هذه المسافة ، وكأنما كانت المهمة الخفيفة التي كانت تصدر منه وهو في جهاده العنيف يطارده الماراب تدفع هذا المسكين إلى الأمام ؛ وأخيراً وصل جورج ادبكت دراج إلى البار وكان بابها مفتوحاً صفق إليه وعدا يصرخ طالباً النيث ، ووصل الرجل التامض بعده بفترة ، وأبصر من خلال باب الحديقة داراً مضيئة فصرخ صرخة ألمية ، وأدار وجهه وقد علتة سحابة من الحزن ، ثم انطلق على آخر سرعة كأنما قد سطعت وراءه الشياطين تتبع أثره

قال جورج ادبكت دراج للطبيب سكوإير فارمر في حجرة الاستقبال في تلك البار وقد هدأت تأثيره قليلاً : هاأنذا قد عدت إليك ، فدعني في كنفك بحق السموات . دعني في حراستك ، لقد عادت إلى النوبة ، إنرجلاً يطاردي . إن قوة خفيفة تجري في أترى ...

فجمل الطبيب يتفحصه ثم أنشأ يقول ملاطفاً : أؤكد لك أنك قد شفيت الآن من أوهامك وأخيلتك وتأثير العقاقير التي كنت ملحقاً على تماطيلها لقد كان دعبك غريباً ، دعب المجهول والخوف من التامض والهم ، دعب الرم والردة التي تسرى في البدن من الخيال الذي تخلفه الأعصاب الضميقة فتنبث جورج بالطبيب خائفاً يرتعد وهو يقول : بالله عليك لا تطردني من مستشفاك ، دعني أظل في حراستك . فقال الطبيب غففاً من آلامه : هوّن عليك ! سأذهب معك فإن هذا الحادث غريب طلي

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الطالب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي مبادئه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وصدر منذ أسبوع

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زباني

تتمة ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع الكنائس الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

سيارة واقفة باب اللطم وهو يصرخ ويرغى ويزيد
وألقيا به مكتوفاً وأطلقت به السيارة عادية ؛ وعندئذ
عاد الرجل الذي كان يصنع الاضطراب والخلوف
إلى مائدته فاسترسل في عشاءه ، وإذ ذاك انضم إليه
جورج إدديكت ورفيق له

قال الرجل وكان هو سكواير فارمر طبيب
الأسس لجورج ادديكت : أرايت يا صاحبي أنت
الرجل الذي بطاردك حقيقة لا شيئاً ولا خيالاً ولا
وهماً .. هذه رقتة التي تعود أن يكتفها : حذار !
إنك مراقب ! هذه هي الحيلة التي جعل بها يخرج
الفيران من جحورها ، فصل المرة بالفترة . ذلك
الرجل كان مريضاً وكنت أطلبه وقد مكث أشهراً
لدى في المستشفى . وتفصيل قصته أنه وضع قصة
تمثيلية عن التجسس في روسيا القيصرية ، فنجحت
وربح من ورائها مالاً طائلاً . وقد قام بتمثيل الدور
الأول فيها وهو دور الجاسوس فجنى عليه النجاح
والكسب ، لأنه لم يستطع منذ ذلك المهد أن يكف
عن تمثيل دور الجاسوس في الحياة ، وذلك بتأثير
أخيلته وأعصابه . وهكذا مضى يجيل إليه أنه لا يزال
جاسوساً ، وأنه لا يزال موكلًا باخراج الفييران من
مكائنها . فلما عالجته استأملت الة من أعصابه ،
ولكن الة الملبت أن انتكست عليه فساوده المرض ،
ألا فاحمد الله أن هيا لك عشية أمس أن تسبقه يضع
ياردات فقد شفيت من مرضك الذي دهاك من
إدمان المخدرات والمقافير السامة .

يا غلام ! علينا بقائمة الحساب :

محمد لطفي محمد

البحر الأبيض المتوسط
ومضاجه الذي من خواصه المرح
والانطلاق

ولم يكن دى سانت أجانا
يقارف من الحجر ما يخرج منه
وقاره أو ينسبه حله واحتشامه
بل كان معتدلاً حتى في ما كلفه...
وكان وجدانه مشبوحاً دائماً ،
وكان لذلك يعيش في عالم فسيح

من أحلامه الثامنة ، تريد في تهاوله ابتداء
الحبيبتان - إبولاندا ، وفرنشكا - اللتان كانتا
تخشيانه أكثر مما كانتا تحبانه
ولم تكن إحدى الفتاتين تعرف أنها شيء ،
وأن أختها شيء آخر ، بل كانتا تحسان إحصاءاً
عميقاً أنهما شيء واحد غير منفصل . فهما تأكلان
طعاماً واحداً وتشربان شراباً واحداً ، وتغنيان
أغاني واحدة ... ولا يكاد يصيب إحداها صناع
أو نحوه إلا يصيب الأخرى مثله ، بل يبالغ
المارغون فيذكرون أن الشوكة لا تكاد تصيب يد
إحداها ، وهي في أول المزرعة حتى تتأوه الأخرى
من ألم في يدها وهي في آخر المزرعة

ومضت عشرون سنة فلم يحدث أن افترق
الأختان مرة واحدة ، بل كانت الشمس تشرق
عليهما معاً ، ثم تغرب عنهما كما اشرقت ، وكأنيهما
نقطة خالقة مترفة في سلم الوجود الموسيقي
ثم أصيبت فرنشكا بمرض في زورها أو رثها
آلاماً مبرحة ، فرأى أبوها أن يرسلها إلى نابلي ،
عند واحد من أطباء الجراحين ليُجرى لها العملية
اللازمة ، وكان طبيعياً أن تصحبها إبولاندا لتسهل

من لويج جوليج

ايواندا - وفرنشسكا

أن الحبيبتين والخيال

بها الأمتاذ في خشبه

كانتا توأمتين ، وكانت إحداها تشبه الأخرى
في الخلق والخلق ، ويكاد يكون لهما قلب واحد ،
ولب واحد ، وأسلوب في فهم الحياة يجري على نغمة
أهل الجنوب من هذه الملكة الجلية ... إيطاليا
أما أبوها ، الكونت دى سانت أجانا ، فرجل
محافظ نشأ في أسرة من أعرق الأسر التي تترعرع
منذ أجيال مع ورود الأيتام ، والتي يسطر لها بنجاح
مشارف الجبال الضاربة حول نابلي

وماتت أمهما وهما ما تزالان في المهد ، قبل أن
يتأهراهما السادس ، فبنى بهما أبوها عناية كان
يوزعها دائماً بينهما وبين كرومه التي ودها عن
أسلافه ، والتي كان يمني لو تصبح جنة من جنان
بورديو^(١) تجري من تحتها أنهار من نبيذها اللصق
واصنف الكونت إلى عمله ، وغره مائتي من
نجاح ، فاعتزل الدنيا العريضة الواسعة ، واتخذ من
كرومه منقياً اختيارياً كان يشركه فيه ابتداء
الجيلتان . وهو لهذا كان يتقيض عن الناس ويمزف
عن مجتمعاتهم ، ولا يبال أن يكون شفوذاً في رجة

(١) مدينة فرنسية تشتهر بأجود أنواع الفنب وأفخر
الأنبذة

نفس أختها عما كان يلقى لها من الأنباء عن قهوها
الكنبوب

ثم حدث الانقلاب الكلي في حياة إولاندا
فقد لقيت فتى غريص الشباب ريان الإهاب فوق
رُبي (أجيرولا) ، فدخلت من عينيه القويتين
الساحرتين إلى دنيا باهرة زاهية غير هذه الدنيا
التي يعيش فيها الناس

لقد رنا إليها الشاب ورتت هي إليه ، فأحست
في رأسها وفي قلبها بدوار شديد كالذي يحس به
راكب البحر ... ووقع كل منها في فؤاد صاحبه ،
كأنه دنياه ، وكأنه جنة أحلامه التي ليس له سعادة
في غيرها

وكانت إولاندا ثمرة فاضحة قد حان قطافها ،
إذ سلخت من الحياة عشرين عاماً بتمامها ؛ وكانت
ريماً كاملاً في إياه ، يترج بوروده وراحينه ،
ويسبق بشذاه فيملاً الدنيا الباسمة عطرًا ، ووقع في
آفاقها المشرقة الحامه

وكان الشاب في ميمة صباه وعنفوان أيلمه ...
قد قارب الثلاثين ... وتسلح لنامرات الحب بالقلب
الفارغ والمضل الفتول والشمور المرفف ، والنفس
التي برزت من الظلمات كالنراشة ، لتوف على
هالات النوار

وشمرت إولاندا بشيء ينفذ في صدرها كالسبار
الحصى ، وذكررت في هذه الثمرة للفاجئة أختها ،
وشهنتها في حلم من أحلام اليقظة مسجلة في
سريها بالسنتفى وانية شاحبة ، تفجلت من هذا
الطائف النراي الذي غزا قلبها ، فأشاحت بوجهها
عن الشاب ، وقد اشتملت حمرة الحب في خديها ،
فتفتحا عن وردتين فاضرتين ... ثم ولت مدبرة من

عليها ، ونمى بها ... فما كان أعجب أن تصرخ من
ألم شديد في زورها هي الأخرى حيناً كان الطيب
يعمل مبسمة في زور أختها ... بل كان أعجب من
ذلك أن يحيل الدم من نفس المكان الذي كان
ينبجس منه في جرح فرنسكا

تشابه في الخلق يوشك أن يكون أسطورة !!
بل هو أسطورة بالفصل ، أسطورة غريبة
حقيقية !! وموضع الخرافة في ذلك أنها هما أيضاً
كانتا لاتصداقاً أنهما شخصان لكل منهما وحده
واستقلاله ، بل كان شيء من هذا لا يدور في خلدهما
مطلقاً . فليست مبالغة إذن ما رواه المارفون من
أنهما حيناً كانتا شناديان لم تكونا تترقان من منهما
فرنسكا ، ومن عسى أن تكون إولاندا !! وفي
معظم الأحيان كانتا تبادلان الاسمين بسبب ذلك !!
و«م» الفراق بين الأختين فجأة ... وذلك أن
نبا محزناً ورد من سورتيو يقول : « إن أباهما سقط
من عريش عال بينما كان يسالج واحداً من كرومه ،
فكسرت ساقه ، وأنه لا بد من وجود إولاندا
بجانبه ... » ولم ير الجراح مانساً من الأذن لها بالسفر
بعد أن طمأنها على صحة أختها ...

وكانت لية الوداع لية من ليالي الجحيم تأججت
نيرانها وسط الجنة !! وكان عذابها مزيجاً حبيماً من
اللذة المشوبة بالألم . للتضويع بالدمع ، للتضحية
في جرات القليلين اليافعين المذنين

وكانت الأشهر الأولى غراماً^(١) على نفس
إولاندا ، قد شفى أبوها ، ولكنه كان شفاء أشبه
بالزعر ... ثم تأخرت عودة فرنسكا عن أجلها
للمضروب أساييع عدة حتى ثارت الشكوك في

(١) الغرام الغذاب الشديد والثر البائم

طريقه ، وحشت الحظا ، حتى إذا غابت عن نظريه انظرحت في غيضة من آس ... وأنشأت نيكى !
ولقيته بعد هذا مرة أو مرتين ، وعلقتها الشاب بل جن بها ، وجعل يذرع الطريق القدي لقيها فيه لقائه الأول عسى أن يسمده الحظ ببقاياها ، وكان يترخ في ظلال الشاهلوط ، ويستنشى الشقائق البانسة التي تزخرف بها الطبيعة حاشية الطريق كأن قصة حبه قد سجلت في أوراها !
وعرف من أهل سانت أجيانا من هي جيبته وأين يقع بيتها من كروم الكونت الواسمة ... وحته الحب ، فلم يتورع عن أن يزور الكونت من غير مامرفة ... ويبدو أنه كان من أهل كبرى فقد كان يحضر كل مساء إلى سورتو على زورق من زوارق نابل ، لينشق عير الحب في وادي أحلامه

لقد كان إريكو دى سارولا يعيش وحده في فيلا أبرونال ، هذه الفيلا اللينة الشاهقة ، الناعمة في حديد من أحياد أنا كبرى ، مشرفة على خضرتين مأجبتين من بحار الطبيعة ، ها خضرة البحر الموهبة بالقصة ، وخضرة أشجار الزيتون اللوشاة بأذنان الطواويس ... وكان يحيا هناك حياة الناسك المتبذد الذي اعتزل العالم لسر غامض دفين ، لم يعرف الناس منه إلا أن الشاب قد تزخ الشيطان بينه وبين أمه المجوز الحيزون فترك لها الدنيا تتجرع ثمالها الشقية وحدها في قصر أجداده في سالرو ، ثم سافر إلى باريس يطلب الحكمة في معاهدها فلبث هناك ستة أعوام عاد بعدها ليقم في فيلا أبرونال ... ولم ينادر الفيلا طوال هذه السنين إلا مرة واحدة منذ أسبوعين ، حين سافر إلى سالرو ليدفن أمه ،

وليتخلص بدفنها من شجو طويل هو السر القدي لم يقف عليه أحد ؛ وليمود يد أن حشا عليها التراب حرا لا يرى بأسا في أن ينشق عير الحرية من جديد .
فبينما كان سائرا في هذا الطريق المنصور بين سالرو وسورتو ، لقي فتاة الفينانة إولاندا ، فجن بها ، وذهب إلى أبيها المحطم فرفه عن نفسه ، وكأنا وافق شش طبقة ، كما يقولون ، فقد وجد فيه الكونت رجلا تتفق طبائمه معه ، وتلسمج سجايام وإياه . فلما خطب إليه إولاندا على نفسه لم يرفض طلبه ، بل هش له وبش ، وإن يكن قد أسقط في يده لما يملحه من تعلق الأختين كل منهما بالأخرى ولا يدركه من استحالة فراقهما بهذا الزواج الوثيك — إلى أبارك هذا الزواج يا بني ، ولكن فرنسكا ! فرنسكا يا عزيزي إريكو ما ذا يكون خطبا ؟ ! إنها لا تسمح لأحد أن يفصلها من إولاندا إلا بحرب !
— أنا لا أظن أن فرنسكا تقف في سبيل سمادة إولاندا ، إذا كانت تحبها حقيقة ... إن هذا لا يجميل بها أيها السيد ... إنه لا يجميل بها بحال !
— أنا ملك إلى إريكو ، لكنني أعرف من أمرها مالا تعرف ، وأحسب أن أحسن ما يجميلها تتفقان هو أن تزوجا كلتاهما من رجل واحد وتضاحك الكونت حتى يبت نواجذه ، ظنا منه أنه أرسل نكتة نابسة ! وتضاحك إريكو ، أو قل ، إنه قد تصنع الضحك ثم قال :
— بل قل إن الملة هي إولاندا نفسها ، ولكن ، كيف ؟ إنها تحبني كأحبها ، وقد صرحت لي بذلك !

وقالت إولاندا إنها ستصمد بما تقضى فرنسكا
ثم قالت إنها ستذهب إلى نابلي بعد يومين ؛ لكنها
لم تفعل ؛ فقد خرجت فرنسكا من المستشفى ،
وعادت أدراجها إلى سورتو بعد يوم واحد من
ذلك الحديث ...

— إولاندا ، إولاندا ، لقد عدت أدراجي
من أجلك ؛ من أجلك أنت ؛ إلى لم أطق أن أحس
بك ، على هذا البعد الشاسع ، غير سعيدة يا أختاه ؛
— أو قد عرفت يا فرنسكا ؟ أو قد عرفت ؟
— إولاندا ؟ كيف تسألين إن كنت قد
عرفت ؟

— أيها الشقية ؟ ! إنك ما أقبلت إلا لتراحميني !
— إولاندا ؟ ! غفر الله لك ؛ وأقسم لك
يا أختاه أنني ما قدمت إلا من أجلك ، وإنه لا مطعم
لي في شيء ... إنني أعرف أكثر بما يعرف الأطباء
يا عزيزتي ... إنني أموت يا إولاندا ... إنني أموت ؛
— أوه ؛ فرنسكا ؛ فرنسكا ؛ لا تقول مثل
هذا مرة أخرى ؛ إنك ترعيجيني ؛ إنك تقولين
ما تقولين لأنني سمحت لنفسى بالسباح إلى هذا
السارلوتي ؛ لن أصنى إليه بعد اليوم يا أختاه ...
سأطرده غداً ، بل الليلة ... !

— لا . لا . لا أختي العزيزة ، إليك أن تفعل ؛
إنك يجب أن تزوجا ، ولكن بعد أن أموت أنا .
قولي له ليغ عن هذا التزلزلاً أو يومين ،
أو أسبوعاً أو أسبوعين ... أو ... شهراً أو شهرين ،
فلن أعيش أكثر من ذلك ... ثم ليحضر بعد هذا
ولتزوجا ؛

— إن كنت حقاً ستموتين فإني ميتة لامحالة ؛
— إذن فلن أموت ما دمت حية يا إولاندا ؛

ولم يكذب النقي في الذي يلح به ، فقد كانت
إولاندا تحبه حقاً ، وكان حبها له هو الماطفة
الوحيدة التي دخلت بينها وبين أختها فلم تتركها
فيها ، وأحست هي أنها لا تود أن تتركها فرنسكا
فيها ، وكان حبها حباً صارخاً مضطرباً يتأجج في
قلها ، وتبدو لمبه في عينيها ... بيد أنه كان حباً
لا يبدل حبها لأختها بعد ، لأن حبها لأختها كان يتدفق
مع الدم في جميع كيانها طوال هذه السنين ومن قبل
أن تراه الدنيا ... وقد ساءها أن يصرح إريكو
بما بينهما لأبها ، فتصبحت فجأة ، ثم انتهت بقولها :
« أبداً ، أبداً ، إلى لا أقبل أن أزوجك ؛ كيف
تريدني أن أفصل من فرنسكا ؟ إذهب ؟ إذهب
من هنا ؛ لماذا أتيت إلينا ؟ »

وقد بهت إريكو ؛ ولكنه تناول يد الفتاة مع
ذاك ، ثم راح يقبل المبرات الحار التي انتشرت
فوقها من اللينين اللحييتين ، وقال : « ودبك
يا حبيبي ؛ لا ضير إذن ؛ سنتظر حتى تمود فرنسكا
فهي وحدها التي ستضع كل شيء موضعه ... إنها
ستمود بعد أسبوع أو أسبوعين ، وإن شئت فلا
بأس من أن نذهب الآن فنزورها »

فقال إولاندا : « كلا ، كلا ؛ بل أذهب أنا
وتبقى أنت مع أبي ، وسأظل هناك حتى يأذن
الأطباء لفرنسكا بالمودة ، فإذا عدنا ، فلا يجب أن
تبقى هنا لحظة ... »

فقال إريكو وهو يتشم : « فإنا قالت فرنسكا
إن أسد أيامها هو ذلك اليوم الذي تراه فيه زوجين
سعيدين ، فهل تخمضين لحكما ؟ أما أنا فنخاضع
لهذا الحكم من الآن ، وأنا متأكد أيضاً أنها
ستقضى بهذا ! »

قيل ... سعادة استمرت عامين كاملين كأنما كل شيء
في الفردوس ، إن كان أحد في الفردوس ينام ،
أو ينام عينيه !

وفي خلال هذين العامين ، لم تزر إولاندا أباهما
إلا مرة واحدة ، بعد أشهر من زفافها ... وكان
أبوها قد عوفي مما حاق بساقه ، وفرغ لكرومه
التي كان يود لو تصير جنة من جنات بوردو
ثم تغير الحال فجأة ... فقد لاحظ إريكو أن

زوجته تلحف في زيارة أبيها حتى لا يكون بين
الزيارة والأخرى غير أسبوعين ؛ ومع بعد الطريق
الذي يقطعه الزورق في ساطع ذهاباً وجيئة فإنها
كانت تعود في نفس اليوم الذي كانت تغشى فيه ،
أى أنها لم تكن تمكث عند أبيها إلا ساعة
أو ساعتين

وقد يظن في سبب ذلك ظنون شتى ، إلا أن
الوالد الذي تقدمت به السن كان يستأهل من
وحيدة كل تلك الزيارات

ولم يكن إريكو يمتنى بأن يصحب زوجته إلى
سيفالبحر ، أو أن يذهب إليه لقاها حين مودتها ،
لأنه كان يحقت هذه القرية أنها كبرى ، بقدر ما كان
يحقت القرية للمقابلة كبرى ، ولم يكن يود أن يرى
أحد من أهلها . ثم هو كان إلى ذلك بعيداً قليلاً
أبونا ، فكان لا يحرص أبداً ، وكان يدها الدنيا
التي لا يمكن الخروج منها ، لأن كل ما عداهما كان
في رأيه ياباً لا خير فيه

ومضت سنة تالية على هذا الحال لم تكن أقل
سعادة من السنتين الأوليين ولا أقل بهجة ... بل
كانت السنوات الثلاث تبدل بمباهجها إنسان مائة
سنة ، وإن لم تبدل بطولها يوماً واحداً وليلة

وإذا تزوجته ، فإني سأزوجه كذلك ! أنهمت ؟
— فرنسكا ! إنك تحلمين فؤادى !

— يا حبيبتى ! إننى لست فرنسكا فغب ، بل
أنا إولاندا كذلك ؛ وإنك لست إولاندا قط ، بل
أنت فرنسكا أيضاً !

— أجل ، أجل يا حبيبتى ! إن كلاً منا
فرنسكا وإولاندا ، ولذا فإنك ستستغفرن لى إذا أنا
تزوجت من إريكو !

— وإذا تزوجت منه ، فإنى لن أموت !
ومانت فرنسكا بعد سبعة أسابيع ، وبعد سبعة
أشهر زفت إولاندا إلى إريكو دى سارولا
وسمى الكونت دى سانت أيجان بموت الأولى
وزواج الأخرى لأن كلا الحاديين كان شريراً عليه...

— ٢ —

ولم يكده يتغير الحال في قبلا أبونا ... فقد
بقيت سجنًا لا باب له كما كانت ، وكأشما فتح
إريكو في أحد جدرانها فترة لتدخل منها إولاندا
حتى إذا دخلت سدّ الفترة بحجارة مسومة فساد
الجدار أقوى مما كان

ولم تشمر إولاندا بالوحشة في هذا القصر الرهيب
فهي لم تمتد الحياة الجماعية من قبل ، وقد قضت
حياتها كلها في رقة شريك واحد أو شريكين إن
يكن رجل مثل أبيها شريكاً

وكانت سلواها تلك الشفاف الشاهقة تنقلها
وتهبط في مخارمها ، وهذا البحر المصططب تملأ
عينها وأذنها من ألباجهوجر جراته ، فالنظر واحد
هنا وفي سورتمو ... ثم هي قد أحببت زوجها ومالت
إلى ما كان يأخذ به نفسه من عمل ... وقصارى
القول لقد سملت إولاندا سعادة لم تمدها من

الحدود إلى الصخرة الشرفة على الرفا ، وراح يحث
بناطريه التبيين في الطريق ... فلم ير شيئاً ...
والحق ، لقد كانت الظلمات تسدني في عيني
إريكو لما استولى عليه من الغضب ، ولما كان يقاسيه
من التعب ... فقد صعدت إبولاندا من الزورق ،
وهي الآن في طريقها إلى القيللا ، بل هي قد وصلت
إليها ، وهي الآن تفتظه قلقة ساعمة ... أما هو ،
فها هو ذا فوق الصخرة يضرب أثناسا لأسداس ،
لا يدري لم لم تعد إبولاندا « ... أين هي إذن ؟ ومن
يدري ، فقد تكون لم تذهب إلى سورتنو أبداً ،
وإنما لم تكن قد ذهبت فأين تكون ياترى ؟ ومع من
تجلس الآن ؟ أوه ! أتكون الآن في حضن جسد
المسيح ؟ ! »

وهنف السبرين (منادى السفينة) : « ألا من
هو ذاهب إلى سورتنو فليفضل ... ألا من يريد
الأوبة إلى سورتنو فليفضل ! »

وكان الظلام قد أوشك يرخي سدوله على البر
والبحر ، وأخذت التوارب تغلق المسافرين إلى
الزورق الكبير ، ووقف إريكو يحدق ويحلق في
كل الراحلين ... حتى إننا لم يبق إلا القارب الأخير
شعر كأن سكيناً تشق حشاشته وتستقر في قلبه ..
ذلك أنه رأى إبولاندا تنهادر في رشاقة وظرف
متجهة نحو القارب وما هي ذي تثبت فتكون فيه
« إنها هي ... هي إبولاندا من غير ما شك
زوجتي ... حبيتي إبولاندا ... أين هي ذاهبة
ياري ؟ ... إنها لم تذهب قبل اليوم إلى سورتنو ليلا ،
وإنما كانت هي ، فأين كانت طوال هذا النهار ياترى
لقد خرجت صباح هذا اليوم لتذهب إلى سورتنو ،
فأين قضت نهارها كله إذن ؟ أوه ! إن في الأمر

ويتنا كان إريكو مكباً على كتبه في مكتبه إذا
صداع شديد يضطرم في رأسه فيصرفه عن القراءة
ومحسب أن هواء الحديقة ينفضه فيعضى إليها ،
ويضطرب فيها ... لكنه يزداد ألماً ، ثم يحس في
صميمه بضيق شديد ، ويشمر بكبد يجرهم على روحه
لا يعرف مصدره فيفتح باب الحديقة ، وينطلق في
الطريق الموحش الشاحب المؤدي إلى كاري
ويذكر إبولاندا ، فيؤله ألا تكون بجانبه
تواسيه وتسليه ، وتمسح الضيق عن فؤاده
وكانت إبولاندا إذ ذاك ترور أبها ، فتحتك
نفس إريكو بأفكار سوداء قاتمة ، ويتنبه إلى تمدد
هذه الزيارات وكثرتها فيؤولها

ثم يعضى في طريقه حتى يكون عند حدود
يشرف منه على الرفا فيقف ، ويكون الزورق الكبير
القادم من سورتنو قد أتى مرساه ، وقد أخذ
القادمون وأكرمهم من النساء ، يزلون في زوارق
صغيرة توصلهم إلى البر ... وأرسي الزورق الأول ،
ولكن إبولاندا لم تكن من راكبيه ... ثم أرسى
الثاني ... ولكنها لم تنزل كذلك ... ثم أرسى
الثالث فالرابع ... حتى لم يبق في الزورق الكبير
أحد ... يا عجبا ! لم لم تعد إبولاندا ياترى ؟ !

واتصّب إريكو فوق توى الشاطئ ، وراح
يحلق هنا ويحلق هناك ... وقد أخذت مطارق
الصداع تدوي في رأسه بشدة وعنف ... ثم خطا
خطوات فكان في الرفا ، وبدا له أن يسأل الناس
لم لم تعد زوجته فيمن عاد إلى كاري من سورتنو !
ثم ثارت في خاطره فكرة متسكة ! ذلك أنه
ظن أنها ربما تكون قد نزلت من أحد الزوارق
الصغيرة إلى البر لكنه لم يرها ، فصعد فجأة فوق

الشجر ، فلما عرج إريكو ليلج في القصر ، لمح ضوءاً خافتاً ينبعث من غرفة الجلوس ... فدهش أول الأمر ، ثم زال دهشه حيناً على وجود الضوء هناك باجتماع الخدم ليبتثوا ساعة في غيبة السادة أصحاب القللا

وفتح باب الزرفة في سكون ودخل ...

يا لله ! ! من هذه السيدة الناعمة في الكرسي الفاخر قريباً من الصباح ، يكاد يقر رأسها في حضنها ؟ !

أوه ! ! إنها إولاندا ! !

— إولاندا ، إولاندا ! !

ولكن إولاندا لم تتحرك ، بل ظلت غائرة في سباتها تنفّس في ببطء

وأحس إريكو بنصف جسمه الأعلى يلف ويصيه العوار ، وبالنصف الأسفل يردد ، ويقف دمه ، ويحول إلى ساقين من تلج

— إولاندا ... أبداً ، أبداً ، لا يمكن أن تكوني هنا ...

لكنها لم تتحرك ، بل ظلت غائمة خاملة ، وضوء المصباح ينمّس على جنبها الجميل الباهت ، وأهدأها الطويلة الساحرة مُنشرة ظلالها فوق خديها !

— إولاندا ! ! أبداً ... لست إولاندا ! لقد رأيتك تركبين في القارب وتزلين منه في الزورق ... أنت ... لا أحد غيرك ... أنت لست إولاندا أبداً ...

ولم تسمعه إولاندا ، ووقف تلقاءها ساجداً واجماً ، وقد انقشرت ضبابية كثيفة من اللاوعي أمام عينيه ، وبدأت غيبوبة عميقة تستولى على

سرّاً رهيباً ... إولاندا ! إولاندا ! تعالى ! هانذا إريكو ! إرجى ! ... »

لكنها لم تلتفت إليه ؛

بل نظرت إلى السماء نظرات كتنظرات الملائكة ثم رف التسميم فداهب عقارب صديها ... وجلست هادئة ساكنة ... ولم تتكلم

وهمل إريكو نحو للرفأ ، وجلس يهتف ويهتف ... لكنهما لم تنبس ، ولم تلتفت إليه ... وأخذ القارب يبتد ويبتد ، حتى كان عند الزورق الكبير ، فوثبت إولاندا فيه وأخذت مكانها ، سامنة كالطيف ... ساكنة كالليل ... غامضة كالروح ...

وقبل أن يحرك الزورق هبت إولاندا واقفة ، وولت وجهها شطر الشاطئ حيث وقف إريكو ، وجلست ترو إليه !

« إولاندا ... إولاندا : »

واشتمد الزورق ... ولم ترد إولاندا ... فانهمرت المموج من عيني إريكو

— ٣ —

ثم ناب إلى رشده ، وبما كان فيه ، وودع البحر بنظرة حزينة ، وضرب في الطريق إلى أنا كاري ، فبلغ القللا بعد مسرى طويل خيل إليه أنه بلغ به أميالا وأميالا ... ولحنه الكلاب فلم تتحرك ولم تبصيص كلبها حيناً كانت تراه ، بل ظلت ساكنة هادئة كأنما تنظر إلى شبح يتدهدى في الظلام

وكان البيت من وراء يضرب في ديجور خامس ، يزيد البحر في روعته ، وكان كل شيء هادئاً ، والريح توسوس في سكون في أعصان المموج وأفنان

قبل أن يموت هو؟ وما هذا الذي يسمع؟ « أن كنت ، ولم خرجت دون أن تخبر الخدم ؟ » وما هاتان المينان النجلاوان الجليتان البريثان اللتان تنفخان فيه في طهر وسداجة؟ هل هذا إبولاندا حقا؟ وإن لم تكن هيته ، فمن تكون يا ترى؟ ... ولكن ما هذا السؤال وما هي ذي إبولاندا الجميلة المشوقة الحياء ، وما هو ذا هذا الدقيق ، وما هو ذا صوتها للموسيقى الساحر ، وما هي ذي نظراتها النافذة .. وما هو ذا كل شيء ينضح ويقول أنا إبولاندا ؟ ! لقد أوشك للسكين أن يمين ... وعاد الصداق إلى رأسه المختلط كما يموت الوحش الهائل زائراً مزججاً إلى كهفه السحيق ... وانقذ لسانه فلم ينبس بكلمة ... وأشاح بوجهه عنها فقالت له : « إريكو ما ذا بك ؟ هل تشك من شيء يا حبيبي ؟ إنك غير طيب ، أليس كذلك ؟ أنت مريض ؟ » فقال لها وهو متنفذ من الحمى : « لا ، لا ، إنه صداع بسيط ، لا تكلميني أرجوك . هلي بنا إلى الفراش »

وأحست بما يأكل قلبه من ضنن لم تعرفه فيه من قبل إلا مرة أو مرتين لم يبلنا شيئاً من أمره الآن ، فقالت في صوت حزين :

— « إي يا حبيبي ... هلي بنا ... إني آتية ! »

ولم يمه بكلمة وهو ينضو تياها ، وكانت أمابهة ترنجف فوق أزواره ضعيفة موهوبة وأنية ، وسبقته إلى الفراش فتطرحت على ظهرها وأسندت رأسها على الحشية ، وراحت تبحث بينهما في سقف الغرفة وقد هرب الدم من وجهها الرائع الشاحب لم تتحرك إبولاندا ... لم توه ظهرها حتى لا تثير

مشاعره ، وأخذ رأسه يتفصد عن عرق بارد كأنه ينبع من مستنقع ، وكلا زرت منه قطرة جمدت واستطاحت إلى حبة من برد ! ثم رقت رأسها ببطء آخر الأضراس ، وفتحت عينها الواهيتين ، وجعلت تنظر في غير جهة معينة وبغير وعى ولا شعور

ومررت لحظة بعد أخرى ، وظلت نظراتها غامضة زائفة ، كأنها لا تقع على نفس الأشياء التي تقع عليها نظرات إريكو ... محظلة الكعب للسندة على الحائط ، والمنضدة ، والطاس البرونزي المار بالأزهار ثم نظرت إليه واستطاعت أن تثبته

وكانت نظراتها هذه المرة نظرات العارف الواثق ، الذي يروى أن شيء حبيب ود أن يعلّبه قلبه ووثبت من كرسيا فجأة وأخذت تصيح : « إريكو ! إريكو ! أين سكنت طوال اليوم يا حبيبي ؟ أين كنت لقد تنظرتك طويلاً ، فهل حدث شيء ؟ لم تخبر الخدم أنك ذاهب خارج المنزل ؟ »

ووقف إريكو جامداً كالتمثال ، وقد طاف سرب من الهواجس في قلبه ، وأخذ يفكر في التناقضات التي حاول التدرساخر أن يتفقه بها ... فلقد وثق وثوقاً كاملاً أنها لم تذهب إلى سورتو في زورق الصباح ، لأنها لم تمد في زورق الماء ... بل حصل المكس ، إذ شهدا بكلماته يتسافر إلى سورتو في زورق الماء ! وليس محتملاً أن يتسرب الشك إلى ما حدث وتحققه هو بنفسه ... لقد رأى إبولاندا تركب القارب ، وتنقل من القارب إلى الزورق ، ويهم الزورق ويحتويه الماء إلى سورتو ... فكيف عادت إذن إلى هذه الغرفة

— لا شيء... صداع خفيف
— هل... ؟ ...
— لا... ليس البلية... على نهم يا إولاندا...
عنى مساء !
— عى مساء يا حبيبي...
وانطبقت أهدابها كما تنمض الزهرة العذابة
الوسناة ، وبدت لأزيكو فتنة في فتنة ، وجمالاً
ناعمًا منه في سرير واحد ، لا يمكن أن يكون من
هذا الجمل اللاني الذي يتجلى به دار التروور
إنه جمال سرمدى كجبال اللاتكة... نورطى نور
أبدأ لم تكن إولاندا هكذا أبدأ...

وهكذا لم ينمض له طرف ، وكيف ينام من
هو في مثل حيرة ، ومن يضطرب خاطره بتل
وسواسه ! كيف تكون هذه الناعة بجانبه
إولاندا ، وقد رأى إولاندا تركب القارب إلى
الزورق ، ثم تركب الزورق فيهم بها ، ويتمد في
جوف البحر والليل أميالا ، وهو واقف يشهد ،
وقد وقفت إولاندا كالطيف ترنو إليه ولا تسكلم !
المقول ألا تكون هذه إولاندا... والمقول
أن تكون إولاندا الآن في سورتنو... أو في
نابلي... فإذا لم تكن هذه إولاندا ، فإذا إذن ؟
لم ذهب إولاندا إلى نابلي إن لم تكن قد ذهبت
إلى سورتنو ؟
ولكن هذه الناعة هنا من تكون إن لم تكن
إولاندا ؟

ألا يعرف الإنسان زوجته التي عاشها ثلاث
ستين ؟ هل مقول ألا تكون هذه إولاندا ؟ حقاً
إنها جميلة جداً هذه البلية ، وإن لها لجمالاً ليس يمكن

غضبه ، ولم توله وجهها حتى لا يظن أنها تحاول
إغراءه عما في نفسه... ولكن مرأها هكذا يشير
الحنان ويشير الشجون ويشير كل المواقف الملوقة
في أغنى القلوب وأشدّها شماسا

ثم شمر فجأة بضميره يحزّه ويؤنيه ، فقال لها :
« أحسب أنها غلطة يا إولاندا... غلطة مجردة...
فأنا آسف جداً ! »

فأجابته ، وفي نفسها لغة شديدة : « أجل .
أجل يا إزيكو... إنها غلطة »
فراجع إزيكو مشدوها وقال : « أى غلطة ؟
كيف عرفت أن هناك غلطة ؟ تكلمى ! خبرينى
إني أعتبر ذلك اعترافاً بكل ما حدث اليوم »

فقلت له : ولكن يا حبيبي... لقد قلت هذا
فقلته منك...

فقال : هل حقيقة قلت ذلك ؟ ربما ! لأسلم
أنني مغفل ! بل إني أؤمن أنني مغفل... تسنى...
إنسى لي مكاناً ! أنا آسف يا إولاندا

وتنحت قليلاً فاطرح جانبها وقال : قبلينى
يا إولاندا ! لاننا لا قبلينى ؟
فقلت : لأناك... لأناك...

فقال لها بلهجة الأمر : لا . لا . قبلينى !
وانحنى تقبل شفثيه المرتشتين ، فسا كادت
تمسهما بشفثها القابلتين حتى شم فيها رائحة غريبة
لم يكن له بها عهد من قبل... رائحة وطنية كرائحة
أزهار النيلوفر^(١) التي تنمو عادة في المياه الآسنة...
وكانت شفتاهما باردتين مُطْلَبَتَيْن ، فسرت منهما
رجفة في جسمه ، وقشعريرة زلزلته زلزالاً

— ماذا بك يا حبيبي... ماذا بك ؟

قال : وما هذا التمييز الغريب الذى عبرت به
« إنها واحدة سوى ! » فن هي ؟

فقلت : لا أعلم !

فقال لها : « كيف لا تعلمين ؟ إذن فن أنت ؟
أريد أن أعرف من أنت ؟ ثم تناول الصباح القريب
وأدناه من وجهها ، وراح يمدق يصره فيه ثم قال :
ولكنك إولاندا ؟ كيف أتيت إلى هنا ؟ حقاً
إنك إولاندا !

فقلت له : حقاً أنا إولاندا ... وها أنت ذاتى !
فقال لها : لكنى رأيك تركبين الزورق إلى
سورتو هذا المساء ، فكيف عدت ؟

فقلت له : إريكو : ما هذا الذى أصابك ؟
دعنى أنام يا حبيبى : إنه صداعك الذى يقلب رأسك
ثم نعم ! ستبقى فى الصباح !

ثم ملئت فزاعها وقاءت ، وأنشأت تقول :
إلى متعبة يا إريكو فدعنى أتم ... لقد تنظرتك
طويلاً قبل أن تمود :

وكأنما لم شيئاً غريباً فى فما لم يعرفه من قبل
فصاح بها : « إضحى فك ودعبنى أنظر إليه ! »
فتبسمت وقالت : « ولله ! ؟ » ثم فتحت فها الجبل

فبدت ثناياها للؤشرة المذاب ، وراح إريكو يحملق
فيهن ويمدق ، كما يمدق العالم فى أنبوية اختبار
تحوى كشافاً من كشوف العلم

آه : يا لالا اكتشاف المصحب ! لقد لمح إريكو
فجأ بين الشيفتين^(١) الموليتين لم يكن بين نبتى
إولاندا مثله ...

لكنه يذكر أنه رأى مرة فتاة جميلة تشبه
إولاندا ، كان لها هذا الفلج الرائع بين ثناياها العليا

(١) الفلج تباعد بين الأسنان والثنايا على الأسنان

أن يكون من جبال هذا العالم الغامى ... لكنها
كانت جميلة هكذا فى جميع الأحيان .. ولا تناقض
فى أن يكون جبالها القبة أكثر نورانية !

اشتدت الآلام فى شق إريكو الأيسر ، وأخذ
التبرخ ببيض مع القلب فى كياه ... ولم يفتأ يسأل
نفسه أيهما إولاندا زوجته التى ركبت البحر إلى
سورتو ... أم هذه الناعمة منه فى سرير واحد ،
ذات الأمل الغضة اللينة التى تكاد تنمقد ؟ !

وتحركت إولاندا حركة ضمرت كتفها الماحية
الجيلة الفتان ...

وكأنما أثار مرأى الكنف الشيطان الساكن
بين جنبى إريكو ، قد يده القوة الجبارة وأمسك
اللحم الأبيض الخصب فى عنف شديد وصاح قائلاً :
« ألا من أنت ... ؟ قولى ! تكلمى : من أنت ؟
من أنت ؟ ! »

ففرغت من نومها وأخذت تمصيح :
— إريكو ! إريكو ! دع كتنى ! إن يدك
القاسية تؤلى

فقال لها : بل قولى من أنت ... من أنت
تكلمى : من أنت ؟

فقلت له : إريكو ! ماذا أصابك ؟ أجبون أنت ؟
دع كتنى واتركنى أألم :

فقال لها وهو أثر كالمحوم : كيف أتيت إلى هنا
وقد رأيك تركبين الزورق ؟

فقلت له : لم أكن أنا التى رأيتها : إنها واحدة
سوى !

فقال : واحدة سواك : عجب جداً ماذا تمنين ؟
فقلت : أعنى أنك أخطأت ... لقد غم عليك
يا إريكو :

« أخرى ! أخرى ! أخرى من هنا ! أخرى ... أخرى ... »

أخرى !

ولم يستطع أن يقول غير هذا ... أخرى ،

أخرى ، أخرى !

فانتفضت إولاندا مذعورة تقول : « إريكو ... »

إريكو ... ماذا أصابك ؟ ! لماذا تصيح في هكذا ؟ !

أهدأ يا حبيبي !

قالت لها : « أهدأ ؟ وكيف ؟ خبريني من »

أنت أولاً ! »

فكانت : « من أنا ؟ أنا إولاندا ! »

فقال : كلا ! أنت إولاندا ، لقد رأيت إولاندا

ينهب بها الزورق إلى سورتو ... لست إولاندا أبداً

وتنفست تنفسة عميقة ، ثم أرسلت زفرة حارة

ظن أنها تسكت نائمها من بعدها ... ثم انتشرت

ألمها فوق اللادة البيضاء الحمرية كأوراق الورد

القوية ... وقالت : « بل أنا إولاندا ! »

وكانت تقولها ، وكان الصوت يتردد في أذني

إريكو من عالم بعيد قصي ... من عالم غير هذا

العالم ... من الآخرة ... ثم قالت :

— « أجل ... أنا إولاندا ! والفتاة الأخرى

التي شهدتها هي إولاندا أيضاً ... وكل منا إولاندا .

هي إولاندا ، وأنا أيضاً إولاندا ، هي مثل وأنا ... »

مشلتها تماماً .. »

فقال مذعوراً : « إذن أنت فرنسكا ! ... »

لا ، لا ... ليس هذا حقاً ... أرجوك ... قولي

إنك لست فرنسكا ! قولي إنك لست فرنسكا !

وهنا ... حلفت فيه ببسبها البرشين الجليتين

وقالت له :

— بل أنا فرنسكا .. وهي أيضاً فرنسكا ..

تري من تكون هذه الفتاة ... ؟

أوه ! لقد تذكر إريكو ! إنها فرنسكا من

غير ما شك !

إن ثانيا هذه المرأة الناعمة منه في السرير هي

ثانيا فرنسكا .. ذلك حتى لا ريب فيه .. فرنسكا

التي دفنوها في سورتو منذ ثلاث سنوات

ولست ثانيا إولاندا ... إولاندا الحية ... ولا بد

أن تكون هذه هي فرنسكا أيضاً ... هذه المرأة

الجليلة الناعمة في سريره ... لأن إولاندا قد ركبت

الزورق إلى سورتو ، وهو لا يستطيع أن يكذب

عينه ...

إذن ؟ لقد اجتمعت لأريكو آيتان في هذه

المرأة الناعمة في سريره ! كما اجتمعت له آية مائة ،

تلك التي رآها عند الرفأ ، وإولاندا تركب البحر !

أما الآية الأولى فهذه الرائحة العجيبة الآسنة

التي عبق بها عفتها وهي تقبله ، ثم هذه القشمية

التي انتشرت منهما في جسمه فزولته ... لقد كانت

رائحة كرائمه القاب لا تكون إلا للنيولوفر الذي ينمو

في الماء الزاكد ...

وأما الآية الثانية فهذا الفلج في ثناياها .. الذي

لم يكن في ثنايا إولاندا شيء منه ، والذي كان الفارق

الوحيد بين إولاندا وفرنسكا ، حتى كان أبوها

لا يميزها إلا به !

وانزعج إريكو ... وامتلأت خياشيمه بهك^(١)

كرهه لا يكون إلا في ريح القبار ... ثم انتفضت

جلدة رأسه واتصبب شعر فروتها فصار كالآبر

وصاح كالجنون التي الثالث عقله وضاع سواه :

(١) السهك حركة ربح العلم الذي

الفتاة التي رأيتها تركب في الزورق إلى سورتمو !
فاشئت ذعره وقال :

— إنك ميتة ! أنت شبح ! أنت روح
شريرة !

فتبسمت محزونة وسكنت دموعها وهي تقول :
— « إنها لا تستطيع الحياة بدوني ... وأنا

لا أستطيع الحياة هناك .. هناك ! هل تعرف ... ؟ ..
في الدار الأخيرة ... إلا إذا كانت إولاندا هي !
ولمذا فعلى زورني هناك في القينة بعد القينة ، وأنا
أبضا ... أزورها هنا ! »

تقال إريكو : إذن فاشأى أنا ؟ ! ثم هي ؟ ألم
يكن أحجب بك أن تتركها وشأنها ... إولاندا
التي أحبتك أكثر من كل شيء ؟ !

قالت : لقد حاولنا ذلك فلم نستطع إليه من
سبيل ... لقد تحققنا أننا لا نحيا إلا مآ ولا نغوث
إلا مآ ! وأنها لا يمكن أن نحيا أو أن نغوث
مفترحين ! وأنه لمعالجة ذلك يجب أن نقسم الموت
والحياة على السواء !

وعند ذلك أن إريكو وبكى ، وخبأ عينيه يديه
وراح يسكب دموعه ويقول : « آه يا حبيبتى إولاندا !
آه يا عزيزتى ... تعالى يا إولاندا ! » وكأنه ينشج
نشيجا مؤلما ، ويدوى بصوته الجبل بالبرسات في
سكون الليل ...

ثم سكنت فجأة ، وانتفت إلى الفتاة النائعة في
سريره طيفا روحانيا بلا ملدة وأنشأ يقول :

— ولكن لا ... إنها كرهية محققة مثلك ...
لقد خدعتنى طوال هذه السنوات الثلاث كما أنك
خدعتنى ... لقد تسببت لى في الكارثة العظمى
التي حاقت بقلبي ورائت على نفسى وثلمت شرفى !

إنكم شياطين ! يا آلهى سانت أجابا ! إنكم
شياطين ! هيا ... هيا ... إلى الجحيم التي أقبلنا
منها ! »

ثم مد ذراعيه الجبارتين وقلص أسامه ، وأخذ
يقترب من عنقهما ويقترب ... لكنها تبسمت في
غير ذعر ولا خوف ، وقالت له :

— أوه أيها السكين ! مكانك ! إنك لا تستطيع
أن تلحق بى أنى ! إنما الناعة فى سررك هذا طيف .
طيف ! أسمعتم ؟ ! خيال ! أنتستطيع أن تمنحنى
الطيف ؟

وقفت كلانها في عنقه فهاوت ذراعاه ، وتهاوت
هو فوق الكرسي الذى كانت نائمة فوقه من قبل
هذا .. ثم دفن وجهه في راحته ، وجعل يتأرجح
من ناحية إلى ناحية ذات العين وذات الشمال لحظة
تلو أخرى ... ثم راح يكلم نفسه :

— « ماذا أسمع ياربى ؟ ! ماذا عساى أسمع ؟
من يدرينى ؟ من يهدينى ؟ من يمينى في هذه الوحدة
القاسية ! من نصيرى يارب ! ... »

ثم وقفت الكلمات فوق شفثيه كالأشباح ...
ونفض إلى مشجبه ، وأخذ يرتدى ملابس كارتدى
ملابسه رجل ذاهب إلى الشقة لينفذ فيه حكم
الإعدام !

— إريكو ! ماذا أنت صانع ؟ إلى أين أنت
ذاهب ؟ !

— إلى ذاهب إلى سورتمو ! يبنى أن أعرض
الأمر على الكونت دى سانت أجابا !

— إريكو ! أرجوك ! أوتسل إليك ! من
أجل إولاندا الحبيبة لامن أجل ! من أجل أبى
الضعيف ! لا تذهب !

ثم تركت الطريق المؤدى إلى أنا كبرى ،
وسلكت السبيل الآخر المحفوف على جانبيه بشقائق
التمن ... المؤدى إلى القللا من جهة البحر ...
والتي كانت تلقى فيه بطفيل أختها ليتم اتحادها قبل
أن تنعبا إما إلى إريكو ، وإما إلى سوروتو !
وهناك ... كانت تنتظرها فرنسكا !

وبعد أن أخذت يديها المائتين في يديها
الثلجيتين ، قالت لها :

— هذه آخر مرة تلقى فيها هينا يا إولاندا ؟
— أختاه ! لا تقولى هذا يا فرنسكا ! مالك
شاحبة هكذا ؟ إن فى نظراتك شيئاً غريباً لا أنعمه
— لقد عرف يا إولاندا ؟ !

— عرف ... ؟ ... أبداً ... هذا لا يمكن ...
هذا غير صحيح يا أختى !

— بل ... صحيح يا عزيزتى !
— أرجوك يا فرنسكا اقولى إنه غير صحيح !
أؤسل إليك !

— بل هو صحيح ... إنه الحق لا ريب فيه !
وسمعت إولاندا ... وراحت تبحث بينيها فى
السماء ... وفى البحر ... وفى شقائق التمن ... وفى
الدوح ؟ ثم قالت فى صوت ضئيف وان :

— وماذا نصنع إذن ؟ !
— لا شيء ... إلا أن نذهب معاً الآن يا إولاندا
— أما وأنت يا فرنسكا ؟ !

— وهل تؤخرين البقاء وحدك فى هذا العالم
يا إولاندا ؟ !

— وهل أترك إريكو وحده يا أختاه !
— إنه لا إريكو بعد اليوم !
— إذن ... نذهب معاً ... لن أترك يا فرنسكا
(٥)

— بل ليس يد من النعاب ! كيف يحتمل
واحد من بنى الموق كل هذا ؟ !

— أرجوك ألا تنهب ! إنه لا جدوى من
ذهابك ! بل بالعكس ، فنعابك يقتل أبى الربيض
الذى يمضى دراكا إلى القبر ، ويطلق يده بكتنا يديه !
— إن شئت فقل مى !

— هذا لا يمكن ... إن هذا يكسر قلبه
ومعظم روحه !

— كان الأول أن تفكرى فى ذلك من قبل !
— أرجوك ألا تنهب ... أرجوك
— سه ! أيها الهولة !^(١) يا سملة جهنم !^(٢)
أسكتى ! من دمك إلى هنا ؟ !

— إذن أنت مصمم على الذهاب إلى سوروتو !
— طبعاً ، فى زورق الصباح !
— إذن ستلقى إولاندا حين تنزل إلى البر !
— لا إولاندا بعد اليوم !
وسمعت فرنسكا ... فلما فرغ إريكو من
لبس ثيابه قالت له :

— هل تمضى ما تقول يا إريكو ؟ !
— أجل ... لا إولاندا بعد اليوم ... إنها
ميتة مثلك

ثم أردف وهو يفتقل من الباب : « إذهي إلى
المالم الجدير بك ! »

— —

ورأى إولاندا وهى تنزل من الزورق إلى البر
لكنها لم تره ! واختبأ حتى تمر ... وغابت عن الأنظار

(١) الهولة HarPy من عوالم الأساطير تصفها حيوان

وتصفها إنسان (امرأة)

(٢) Hell - hag

ورفضنا مراهبه
 — لنذهب الآن !
 — ولكن ... ألا نبقى قليلاً ؟ لحظات ..
 — نبقى لئلا ؟ ! إننا لم نعد لنا في هذه الدنيا
 — حسناً يا أختاه ! عليك أنت بالمجاديف ...
 — وهل تخفى بالطريق الوعر من تحت الصخرة ؟
 — أجل ... إن زورق النور ينتظرنا ...
 — حيث سمدنا ممّا أليماً طويلاً وأعواماً !
 — أجل يا أختاه !
 — هلى ... لنذهب الآن !
 — هذا خير ... يجب ألا نبقى في هذه الدنيا
 — الكربة المظلمة أكثر من ذلك !
 — نعم
 — كوني أنت عند السكان^(١) يا إرولاندا ،
 — فانه يدعو عليك أنك متمبة ... وسأعمل أنا في المجاديف
 — حتماً يا أختاه ! عليك أنت بالمجاديف ...
 — واتجه الزورق نحو الغرب ... متوابعاً فوق
 — التبعج ... متأرجحاً فوق الموج
 — وذبلت أفتان الموح فوق الشاطئ الباكي
 — وذوت شقائق النعمان فوق الصخور الحزينة
 — وليس في الوجود إلا ماء وسماء ...
 — وكل هذا من أجل الأختين الحبيبتين
 — اللتين لم تعودا قط من رحلتهما إلى الغرب !
 — درينى فنهية

(١) الدقة

ثم هبطتا إلى الشاطئ ، وتزلتا في الزورق ،

كل ثوب مصرى علم من أعلام الحرية

تغزلها وتنسجها لنا

شركة مصر للغزل والنسيج

وتبيعها جميلة متينة رخيصة

أطلبوا منتجاتها من

تجار المانيفاتورة بالقطر المصرى

دواء الانشاء على الانفلونزا الاسبرو

دواء الانفلونزا
في القاهرة
شعبنا لا يأخذ دواء الانفلونزا يحتاج
الاصح في هذه الايام في حالات كثيرة
يرود بانفسه فتنش وجوده . ولكن
يرجو من المشهور ان يكون سهلا
في وقت طويرة منكه ان ننخذ
الاحداث الواجبة التي طرم في مثل
هذه الحالات ، وندبت بعضي الدواء .

61
ASPRO
REGISTERED MARK



وصلت ابناء نقشي الانفلونزا في
شاطير مختلفة . ونلاحظ الانفلونزا
الاشخاص الذين لم يفتوا انفسهم
منها . فقول منعت نفسك عنها ؟ في المظلم ان سوفي الوصاية بان تجعل في متناول يدك
الاسبرو لاستعماله عند ظهور اول علامة للانصابة بذلك تنقذ نفسك من التعب اسابيع
طويلة . وقد اثبتت الذمبة استعمال الاسبرو انهم حصلوا انفسهم باسرع واسلم
واسرع دواء ضد الانفلونزا اعزج العلم . فانا نعرف ان هذا الدواء لا يترك ضررا
فقد زال نصف التعب ، لكون الحزن هو اكبر عيق للانفلونزا . فالاسبرو يزيل الحزن
وقد يساهل بسدود لقرع نفسك بانك تستطيع التخلص من الانفلونزا ... فو ما جنة
ال الحزن منها . قرصان الاسبرو مع شراب البيرن الساخن يقضيان عليها في ليلة واحدة

في اقصر
وقت
وايسلم
الطرق

٢ قرصان اسبرو مع
شراب البيرن الساخن لازالة البرد
والرطوبة الصموية بجحى او
الانفلونزا في ليلة واحدة

قرصان اسبرو مع شراب البيرن الساخن
يقضيان على الانفلونزا
في ليلة واحدة



الاسبرو
يشتمل كغرفة
ج. ب. شريهان وشركاه
القاهرة : ٣ شارع الكية بسيف
٢ قرصان ٥
١٠ قرصان ٢
٢٧ قرصان ٥



اسبرو لا يضر القلب ولا يحدث اضطرابا للبراز الرضحي

الصورة المقبحة

للكاتبه الانجليزي جيمس جودسون
بقلم الأستاذ كامل محمد جديب

الحياة ثم قنفت بها إلى هذا الأوى الحفير
نُسق بكأس مريرة من الفاقة والعوز
والوحدة ، بعد أن كانت ترشف من
رحيق الحياة رشايا سائنا ، وأما الثاني
فهو والتر هو نُن طالب طب أولع بفن
التصوير والرسم ، أرسلته جمعية المواساة
إلى هذه المجوز المريضة ليرعاهما ، وهو

نبيل النشأ والربي فيه الرجولة والكرم والشرف
والنقى جميعا ، وأحس في المرأة التي إلى جانبه عاطفة
شريرة فباسة تتأجج تحاول جهدها أن تكتمها من
الناس ، غير أن الشاب لس بعضا في رنات
سوتها وعنب حديثها وعطفها وحنانها ، فاطمان
إليها واطمأنت إليه

وجلس الطالب الشاب — ذات مرة — إلى
صديقته المجوز يتحدثها يقول وعلى فقه ابتسامة : «إني
أعتذر إليك — ياسيدي — فقلد كان يترادى لي
أنك غير من عرفت ، فإكان لي أن أقص نفسي في
حديث هو بعض قلبك ، غير أن ما أحسست به من
حنانك وعطفك بث في نفسي أنه كان لك ابن
شملت به زمانا عن كل شيء » وتدفقت الكلمات من
بين شفتي الشاب في غير روية ولا آفة ، غير أنها
تساقلت على قلب المرأة كأنها شواظ من نار ، فراحت
تحدث في الفتى علما تستشف ما وراء ، ثم وضعت يدها
على مكان القلب من صدرها كأنها تمسك به أن
يفر وهو يتنفض انتفاضا سريعا ، وأرسلت زفرة
حرى تطلب أذهلت الفتى ... ثم ساد السكون ...
لقد أكرت كلمات الفتى أحزان قلبها وآلام ماضيها
فبثت على وجهها غصونا غصونا ، وفي معجزتها
عبرات تفرق ، ثم انطوت على نفسها كأنها تنشر

لشد ما كان يسيطر على العجب وأنا أشهد
عرا كما عتيقا ما تنطوى دواحيه ، بين ميتدو رئيس
الشرطة وبين عصاة المصوص ، فهو ما يهدأ إلا
أن يكشف ما يحكيون في الخفاء ، ثم لم يستطيعون
أن يظهروا عليه ، وهو عدوم الذي يلقى الرب في
قلوبهم ، ويزلهم زلزلا شديدا بما فيه من خفة
وهارة فتوقان ما كان يديه زعيمهم رافيان . وفي
الحق لقد كان ميتدو يمت الخوف والفرع في قلوب
المصوص جميعا لأنه كان يحمل لهم بين حنايا ضلوعه
ضئينة ثائرة لا تستقر إلا أن يدفع بهم إلى غيابة
السجن

وترادى لي أن ميتدو — وهذا شأنه — رجل
قد نزع من قلبه الرحمة والشفقة ، حين رأيته
— مرات ومرات — يؤدي واجبه في صرامة
وشدة ؛ غير أن القصة التي أقص الآن تبرهن على
خطأ ما زعمت ...

في حجرة ضيقة مضيئة في الطبق الأعلى من
منزل في ميدان (ميلين) جلسا يتسامران في رقة
كأنهما صديقان حيان برغم تفاوت ما بينهما في السن
والطبقة : أما الأولى فهي مسز ليون التي تسكن
هذه الغرفة ، استقرت هنا بعد أن تناوحتها أعاصير

« في نضوج الكبرياء جيمس ليون في السابعة من عمره »

وسيطر على الحجرة صمت عجيب ، وقد راع الشاب ما رأى من جمال الصورة وقتها ، والمرأة تضطرب في مناضبها ... ثم بدد الطالب هذا الصمت بقوله : « ما أجل ! إنها فوق الوصف ! أفتعلمين ، يا سيدتي ، أن عن هذه الصورة قد يبلغ مائة جنيه أو مائتين أو أكثر ؟ » وإبسمت المجوز لما سمعت ثم قالت : « هذا حديث سمعته سهراراً حين كنت أعيش في التبطة والسعادة ، إلى جاني وحيدى جيمس ، أما الآن فلا سبيل إلى ذلك لأنني لا أستطيع عنها صبراً ، فهي رفيقي بعد ولدي ، وهي وحى الهوى والحب لأنها آخر ما رسم زوجي الفنان ، فعلى عني ترجع مال الدنيا » وتهدم أمل الطالب حجراً حجراً ثم ارتد يحدق في الصورة ويقول : « ما أريد أن أشتريها إلا أن تأخذي ، ولكنني أريد أن أرسم أخرى مثلاً » قالت « وهذا أيضاً لا أراضاه فإطيق أن تنهاهها الأبخار » قال الشاب : « إن عينا لن تراها ، وسأحرسها بناية هي فوق عيناك . ولا ضير ، فأنا أدفع عنك ناكاً » وكانت الكلمات تضطرب على شفتي الشاب لأنه كان يستشف الرضى من نظرات المجوز . قالت : « أنا لا أستطيع التأني عن هذه الصورة لحظة من عمري » قال : « ولكن المأل ... » قالت : « إنك تحاول عبثاً » وانطوى الفتى على نفسه في صمت يعض الأمل من النيط وقد شاعت حمرة الخجل في وجهه من أثر الخيبة ، ثم قال : « لا بأس ، فأنا أقل عنها هنا ! » قالت : « ولا هذا أيضاً ، وإنه ليحزنني أن أحول بيتك وبينها أبد العمر » ثم

أمام عينيها صفحات من تاريخها فيها الألم والسرور في وقت مناسك ... واستطاعت — بعد لآي — أن ترد إلى الفتى تحدته وفي صوتها الأسمى والووعة : « آه ، يا بني ، اطو هذا الحديث ، حقاً لقد كان لي ابن ... ابن جميل طاهر كأنه بعض ملائكة السماء ثم ... ثم جفت فيه » ثم غلبتها العبرة ... فقال الفتى في رقة : « لعله قد مات ! » قالت : « نعم ، ودفتته في قلبي .. لقد قدّمته منذ زمان .. لقد خبروني أنه أصبح لصاً فيه الضراوة والشراسة فاسد قهقههم .. أصبح لصاً يستلبي ويستلب غيري من متاعه ومن ماله ثم هو يهبط إلى السجن بين الخين والخين ... تلك خواطر تضطرب في خيالي فتذهب بصوابي وخير لي أن أعتقد أنه مات ... مات في طهره وجهه كما يبدو في هذه الصورة » ثم ملئت يدها بالضطربة إلى ستر ترجمه فبغت من وراءه صورة هي بعض آيات الفن الجليل ، قال الطالب : « يا عجيباً ! إن هذه الصورة تبتس في النفس السلوة ! افتاذنين فانظر إليها حيناً ، فأنت تعلمين أنني أغرمت بهذا الفن منذ زمان ؟ » فقالت في هدوء : « نعم ، فأنا لا أستطيع أن أرد طلبتك جزاء ما جوتني من عطف »

وكشف والتر هوتن النقاب عن الصورة ثم ارتد إلى وراءه وقد تعلق بصره بها يردده هنا وهناك في جوانب الصورة ... إنها صورة سبي يتألق حياة وجمالاً وتشع سمات السعادة والرضا من وجنتيه وقد انسدل شعره البسيط اللهب على كتفيه وهو في مرح الطفولة ونشاطها يتوارى خلف شجرة من أشجار الكبرياء وفي بستانه غصن أنفلكه ثمارها الحمراء وفي أسفل الصورة سطر :

فنوناً... وقبل أن يرح الطالب المكان انطلق إلى (بوب) يسر إليه بعض أمه في خشية وحذر، ثم قال: «و... وإنه ليرأى لي أن بينك وبين رجال بمن كانوا رفاقك سلات متينة تستطيع أن ترشدني إلى

واحد منهم فيه الكفاية والدة» ودهش السجل لحديث الشاب وهو يبدو غنياً ثرياً أميناً: «ماذا؟ أفتريد...؟» قال الشاب في ثورة: «لا، ما أريد ذلك إنني أنشد شيئاً ليس هو بالسرقة وإن بدا كذلك..

إنها صديقتي، وهي تلك صورة فيها الروعة والجمال، ولقد ضقت بها على حين لا أريد منها إلا أن تميزني إليها فأرسم أخرى مثلهما، وأنا رجل فنان، والصورة قد بلغت في الإتيان والدة ذروة الفن؛ فإن أما استمتعت بك فما أطلب إليك سوى أن أستعيرها بالقوة ألبما ثم أردتها...» قال بوب: «نعم، الآن استطعت أن أفهم ما تريد؛ وإن أنت قضت وعك فستقامي وإل أمرك» قال الشاب: «لا تخف فما كان لي أن أغتصب شيئاً هو لن يري يحله من قلبه في المحل الأول» قال الرجل: «إذن أستطيع...

إن كورنج جيم هو الرجل» قال الشاب: «ومن عسى أنت يكون؟» قال بوب: «هو أحد أعضاء عصابة رافيان... وهو شاب فيه الذكاء والقشاط، وفيه الجرأة والقوة، وإنه لقيدير» واندفع الشاب ينشر الأمر كله على عيني الرجل فقال: «لا خير، فسأمل بينك وبين جيم، ولكن حذار أن يكون في الأمر ما يزج السجوز أو ودى بجياتها!» قال الشاب: «لا، لا؛ إن شيئاً من ذلك لن يكون؛ غير أن الصورة هي التي جذبتني إليها فهي قد سمعت فوق كل فن هنا... هنا في اسكتلنده»

أسدت على الصورة ستارها وهي تقول: «والآن أطلب إليك أن تمحو ذكرى هذه الصورة من خيالك، وأن أرى في سمك عنها البرهان على أنك رجل...»

ووجد والتر هوتن في المرأة إصراراً وعناداً فاضل من نفسها وهو يتحدث نفسه قائلاً: «لا خير فسألك ببنتي.. سأالك ببنتي.. وإن أعجزتني الأيام فسأجد من يسرقها!»

وابتدأ هو — في اليوم التالي — يتحدث حديث الصورة فراحه أن يجد في مسز ليون الفتور والجفاف والصمت، فهي لا ترد جواباً بسوى ابقامة فيها السخرية، أو نظرة فيها الازدراء، أو كلمة فيها الاستهزاء، وحز في نفسه أن يرى في مريضته ما رأى، فراح يقلب الأمر بين يدي عقله فيدأ له أن يكف عن زيارتها. وفي اليوم الثالث حدثها حديثه في مرة وطر، وقبلت وهي تقول: إنها شغيت وأصبحت في غنى عن الطبيب. وفي الحق لقد وجدت هي الفرصة لتكسح فيه رغبة تأججت حيناً، وهذا هو نيكلا كريما فأطاع، فالتاقيا...

وتصرمت أيام... وإذا والتر هوتن في نديرة يلعب (اللياردو) مع صديق له، وعلى حين فجأة راح صديقه يحذره: «أفتراك تعرف أن هذا للسجل (بوب) هو من شياطين الأصوص تزع عن السرقة واطمان إلى الأمانة، غير أنه يستطيع أن يستلب مال أي رجل هنا في سبيل دربهات ممدودات أو زجاجة من الحبة ليريك بعض مهارته ودقته، ثم هو لا يهدأ إلا لأن يرد اللال إلى صاحبه؟» فاقسم هوتن للفكرة التي اضطربت في خياله، ثم تشعب الحديث

« لقد قلت إنها عجوز سخماء ، فأننا عساي أن أصنع
 إن هي حاولت أن تدفع عن ذخيرتها ؟ » قال الطالب :
 « إذن فلا تعسها بسوء ولا تبث في قلبها الرعب
 فغير لي ألا أكل سورة من أن يصيبها أذى ... »
 قال الص : « لا خير ، فاجري إذن ؟ » قال :
 « خمسة جنهات ، أفيفيك هذا المبلغ ؟ » قال :
 « نعم ، ويقتال بينك بمد ثلاث ساعات »

وتصدع الجهم ، فانطلق الطالب إلى داره ،
 ووجب إلى عمله . أما الص فطار بهيأ أدوائه
 ومصباحه ثم اندفع صوب دار العجوز في ميدان
 ميلين وقد انصف الليل . وفي هذه الآونة كان
 ميندو وبنارك يفتشان على ... ثم انطلقا جميعا
 نشدت علنا نستطيع أن نقبض على واحد من عصابة
 رافيان

بلغ جيم الدار وقد ماتت الحياة في كل حي ،
 نخل عليه ثم أخذ يرتقي المخرج في سميت حتى وقف
 بإزاء الباب ، ثم دفه دفعة فأننا هو على مصراعيه
 في غير عتاء ولا جهد ، فوقف عند عتبة يتسمع
 فاسمع سوى صوت غطيط العجوز ، ولمع الأمل
 في خاطره حين ردد بصره الحليدي في أرجاء الحجرة
 فرأى على ضوء نار المدفأة الصورة اللقنة معلقة فراح
 يتحدث نفسه : « لا بأس ، سأخطفها ثم أردت إلى
 الخلاه ، وستعلم هي كل شيء عند إنبلاج الصبح ! »
 ثم سار الهويني في حذر وخفة كأنه شبح

لشد ما أفرعه أن يسمع غطيط العجوز ينقلب
 فجأة إلى ألت اليقظي وهو على قيد شبر من الصورة !
 لقد اضطرب قلبه وانفض جسمه ووقف في مكانه
 لا يستطيع حراكا ؛ غير أنها ما لبثت أن اندفعت
 في غطيطها ، فأمسك هو بالصورة ينزعها عن مكانها

وكان الحديث بين الرجلين همسا في مكان خلا
 من الناس سوى رجل زوى الهيئة ، رث الثياب
 أشعث أغبر ، وقد استلق على تضد بإزاء المدفأة ينط
 غطيطا ويتوسد حزمة من المصحف اليومية . وحين
 انطلق الطالب وصديقه إلى الخارج ، رفع الرجل
 النائم رأسه في حذر ووقفة وقد شاع في وجهه
 السرور ، وفي جسمه النشاط ، وفي عينيه سمات
 المكر ؛ ووجد سيمين ببنارك نفسه وحيدا فقفز
 من على التضد في خفة ورشاقة يقول في نفسه :
 « ها هي ذى مؤامرة أخرى تقيس ميندو ! إن
 كورنج جيم رجل ظريف إلا أنه قد هوى . يا أسفا !
 أ هكذا تكون النهاية ؟ إن غاية كل من يسلك
 سبيله أن يتردى ... » ثم انطلق يشتد إلى دار ميندو
 وبلغ الطالب وصديقه دار كورنج جيم ...

أفيكون هذا الشاب لسا وهو يتزى أدبا
 ولطفا ورقة ومطابقة ؟ لشد ما أذهل هوتن أن يرى
 في الفتى الظرف ودماة الخلق وذلافة اللسان فهو
 لا ينلظ في حديثه ولا ينحط بكلمته إلى المامية
 المقومة وهي لغة أمثاله ! إن على وجهه سمات
 الإجرام ، ولكنها لم تسترح نظر الطالب فهو قد
 رأى رجلا مهذبا مصقولا دونه بعض ذوى المناسب
 الراقية ... وتُخيل إلى الطالب أنه رأى الرجل من
 قبل ، ولكن أين ... ؟ متى ... ؟ إنه لا يستطيع
 أن يميز

وألقى الص السمح إلى الطالب وهو يتحدث
 حديث الصورة ، وطلب إليه أن يستيرها له بالقوة
 ويخلف في مكانها قصاصة من ورق تبي عن الخبر
 كله ... ثم قال : « ولن تغفل الطريق فأأهديك
 إلى هناك ، وهي في الطبق العلوي ... » قال جيم :

الحصص : « لا ، لست أنت ، قدماء ! » ثم انتحرت في زحول شديد ...

وعلى حين فجأة اندفع الباب بشدة وصوت أما الصباح نحو الحصص وارتدى عليه ميندو وبنبارك في وقت مما ليحولا بينه وبين أن يفر . غير أن الرجل لم يرد إلى وراه ، ثم ينقض علينا كأنه النسر الكاسر يدافع عن نفسه شاهة في كل مرة ؛ بل ظل في مكانه هامداً لا يتحرك وهو يقول في حزن وانكسار : « لقد قتلها ! قتل أي ! تخنوني إلى الشنقة واشتقوني تحت سمع العالم وبصره » وصاح ببنبارك في طرب : « آه ها ! » ثم أخذ يتهادى في بهجة وسرور وهو يبث بقطعتين من النقود ذهبيتين في يده ويقول : « لقد هددتني يا مستر جيم بالقتل ولكنه يخيل إلي أن السكين قد قطعت في الناحية الأخرى . والآن وقد ضيقت عليك الخناق فلا يجد مهرباً فخذ هاتين القطعتين مكافأة ذهبية لك » ولكن الحصص في ذموره لم يع من شاة خصمه حرفاً ، فهو يردد كلامه ما يحسك عنها

وأمرني ميندو فوضعت في يدي الحصص غلاً ثم سقناه إلى دار الشرطة على حين استدعينا طبيباً يبالغ المعجوز

وفي صباح اليوم التالي بدت ممزليون مصوبة الرأس من أثر جرح في جبهتها أصابها حين انطرحت على الأرض وهي تحاول أن تنفذ الصورة من بين يدي الحصص ، وهي تتوكل على إصرائين . وحين استقر بها المقام طلبت ليتنا أن ترى السجين وهي تقول : إن خطأ قد وقع بالأمس تريدني أن تكشف عنه ...

ووقت الواقعة ... قد أبصرت بالشبح من خلال الضوء الضئيل التنبث من ثمار اللدقاء ، أبصرت به وهو يريد أن يستلب الصورة ... وفي غمضة عين أرسلت صيحة دوت في أرجاء الحجرة ثم ألقت بنفسها على الضيف الثقيل تشبث به ، فهمس هو في أذنها : « دعيني أبثها الآمنة ... دعيني والأصعب عليك صوت عنائي ! » قالت : « لا ، لا أستطيع » ثم سأحت : « اللون ! هيا ! الحصص ! القتال ! آه ! » ثم ماتت الصيحة في أضفاف أمة ضعيفة واهية حين دفنسا يد الحصص القاسية فامحلت على أرض الحجرة كأنها قطعة من حجر . وانفلتت الصورة من يده فأضاء مصباحه وهو يقول لنفسه وقد آله ما كان : « لاشير ، فهي سنال الصورة بعد أيام . ولكن ... ولكن لاذا قسوت عليها ؟ الآن أستطيع أن أنطلق ... » وساد السكون مرة أخرى فراح يبحث عن الصورة ... ووقع بصره عليها ...

واتفض الحصص انتفاضة المحموم تمركه الحلى عركاً شديداً ... انتفض حين رأى في الصورة طفلاً فيه الجمال والطهر والرح في وقت مما . لشد ما آلتته الصلصة فأذهلته عن نفسه فانطلق إلى المعجوز الملقاة على الأرض لا تمي ولا تحس وهو يشحد وفي رنات سوتة معنى الأسى والحزن « أماء ؛ آه ، يا أماء ! يلوحي نفسى ! لقد قتلها ! قتل أي ، يارياه ! » ثم أمسك يديها الباردة وراح يحاول عبثاً أن يردّها إلى رشدها ... واستطاعت المعجوز — بعد لآي — أن تحدق في الرجل الذي إلى جانبها ، قابضت أساور الحصص فصاح : « أماء ! أماء ! إنه أنا جيم ابنك ! » وانفجرت شفتا المرأة في عناء عن مثل

في نفسه أنه محزون يندم على ما فرط منه وفي وجهه
أثر الحزني والدار

قال النائب : « أليس حقاً أنك كنت في وقت
ذات مال فرقه هذا السجين بدءاً وخلفك بين
برائن الوحدة والفقر ؟ »

قلت : « إن مالي هو ماله ، غير أن رفاق السوء
دفعوا به إلى المساوية فتردى . وإنني أطلب إليك
— وقد علت كل أمه — ألا تسألني عن
شيء ... » ثم أجهشت بالبكاء

فقال النائب بحموي وهو يقول : « إن العجز
نصر على ما تقول فادع ميندو »

وجاء ميندو فسأله النائب : « أتعرف هذا
الرجل ؟ »

قال : « نعم ، إنه كورنيج جيم »

قال : « أعتقد أنه أقتحم باب مسز ليون
بألمس ليسطو عليها ؟ »

قال ميندو : « لقد خيل إليّ ذلك غير أنني لست
خطيئتي حين علت أنه كان يزورها »

وألم النائب على ميندو يريد منه اعترافاً ولكن
من ذا يستطيع أن يرغم هذا الرجل الصعب — وهو

سائد المصوص — أن يزل عن رأيه ؟ لقد كان
عينا كل ما بذل النائب من جهد ، فالتفت التهمة

وانطلق كورنيج جيم ليلد على نفسه الشريرة ستاراً
كثيفاً من النسيان . ثم ليكون ... ليكون هو

جيمس ليون ، وليستقر في قرية على مسافة ثمانية منا
رئيساً لمال مصنع النسيج هناك ، يعيش إلى جانب

أمه الحنون في هدوء وطمانينة وقد سكن إلى الجدد
والنشاط والأمانة والشرف . لا يبعد عن الطريق

للمل محمود حبيب

المتقيم

وتصرفت ساعة من زمان وهي في حجرة اللص
فإذا كان ؟ إن واحداً لا يستطيع أن يعلم ماذا كان
منها وماذا كان منه ؟ وخرجت من لندن اللص
لتجلس على كرسي بإزاء المدفأة وعلى وجهها سمات
الهدوء والطمانينة وفي عينيها آثار عبرات مرارة...
وأقبل ميندو عند الظهر فتأدته تسر إليه بحديث
طويل ويده بين يديها ودموعها تتدفق في غير هودة
ولا رفق ، وهو يسألها حيناً ويسمع حديثها حيناً
آخر وفي النهاية قالت له : « لا تنس أنني أمه وهو
وحيدى ، فأفص عنه واصفح كما تنتظر أنت الفجران
من الله » فطلق وجه الرجل من عبوس وحياها
في احترام ... ثم انطلق ...

ثم ... ثم نودي جيم للحاكة وأقبلت مسز
ليون غلقت البابين وسئلت أول من سئل

قال النائب : « أتعرفين هذا الجاني ؟ »

قلت : « نعم ، وهو ابني » فأرسلت هذه
الكلمات دويماً من الهياج والهمس في أرجاء المحكمة

ثم سألتها النائب : « أتعلمينه بالتسلسل إلى دارك
والتمدني عليك ؟ »

قلت : « لا ، إن جيم لا يستطيع أن يجد في
قلبه التسوية فيرفع يده ليقريني وأنا أمه »

قال : « كما أنك تريد أن تقول إنه ليس هو
الذي اتعدى عليك ، فكيف إذن أسميت جيهتك ؟ »

قلت : « لست أدري ، وكل ما أستطيع أن
أقوله هو أننا لم تلاق منذ سنوات وسنوات فلما

رأيتني إلى جاني ألفتيت بنفسى بين ذراعيه وذهلت فا
أفقت إلا والطبيب يعضد جرحى »

وسمع السجين كلمات أمه فما استطاع أن يكتم

يُنزله في معاشي القصر الضيقة ،
وسمعت قرصه صوته يندثر بالوعيد ،
إذنت لأصابعك الجزع ،
واضطربت كما تضطرب أوديت
ابنة أخيه ؛ تلك الحسنة
الرعيب التي تفتحت أوتنها بين
فرسان قساة ، كما تفتح زهرة
الألحاح ، إذا تنفس الصبح ،
تحت قبلات الشمس الضحوك
بين أشواك الجبال

كانت وهي طفلة ، إذا أبصرت
عنها الشيخ ، وقد ضمت إلى
سحبرها الذي زورت^(١) عيناها
وهبت مذعورة تنرفل الدمع . أما
الآن فهي في ديع الحياه . إن نذبتها
يفتات ييثان الشكوى ويرسلان
الآهات . وما زال الفراق يستولى
على نفسها كلما طلع أمامها هذا
الحارب القديم ...

وكانت تأتي إلى برج بعيد ،
تلتقي فيه برشي أعلام ورايات .

فإذا أعياما هذا العمل اللؤس لجأت إلى الله تنبه
حزنها وتدعوه ، وأوليت طرفها في السماء الضاحكة
وسرحت بصرها في للروح الحادرة ... وكمن من
المرات ، يانينون ، كانت تقوم من سهجها وقد سجا
الليل وهف التسم لتنتظر إلى النجوم ... وكمن
من للرات كان قلبها يمتفح لهذا المشهد الساحر ،

(١) يقال زرت عنه إذا توفقت من خوف أو غيرة

الجنينة العاشقة

للكتّاب الفرنسي أميل زولا
بترجمة السيد صلاح الدين المجدد

في سنة ١٨٦٤ كتب أميل زولا
أفابيس راقصة صلت تحت عنوان
« أفابيس إلى نينون » Contes à Nison
« صور الكلب فيها صفة
من صلات صباه » ، إذ كان في
البروقانس إلى جانب تاته نينون ينفذ
السادة ويخونق الله ، وذكر
كيف كان يمس عليها ، كل يوم ،
نوق المصناب ، وإلحاح من البنيوع
ومجان للولد ، أفابيس طرقة :
هي ذكرى لشاب قابل وجب عليه
وزولا من أكبر الكتّاب الذين
مرقهم فرنسا في القرن الثامن ، كان
غنا ، إذا قرأت كتاباته وجنتها
تنفخ بالحياة وتندفق بالشر ؟ وقد
كان يميل إلى الإباحين ، ويمحو
حنوم ؟ وألف قصصاً كثيرة ،
يظهر لك من خلالها أسلوبه للفرق
الذي جمع بين سحر الفن وجمال التصوير

أرمني أذنتك يانينون ! إن
منظر ديسمر يلطم الرجز ،
والهواء يرسل أنيته ، ويردّد
شكواه .. إنها أمسية من
الأماسي الباردة ، التي يقصص
البائس فيها من القر ، أمام
قصر النني النارق في اللذاذ
تحت توهج الذهب ! ... إخطى
حناءك هناك ... وضى حليتك
التيينة هنا .. وتعالى إلى أحضان ،
فسأروى لك قصة من أروع
قصص الجان

نينون ! هناك في ذروة
الجبل قصر عتيق ساد الغلام فيه

وجثم الحزن فوقه .. ما ترين إلا أبراجاً صاعدة
نحو السماء ، وأسواراً أنيقة تنمّاء ، وجسوراً متحركة
مُجهزت بالسلاسل ، ومُلكت رجال أولى بأس
شديد ، لبوسهم الحديد ، يسهرون الليل والنهار على
الشرقات ، ولا يمدون راحة أو سلة إلا بجانب
سيد الحصن الجبار ، الكونت أنكبريان
لو كنت رأيت ذلك الكونت يانينون ، وهو

التمنن وطبا بأفهم ، يلقح تحت أفندامه
ورفع الشاب رأسه ، فذا وجه صبح يطل عليه ...
والثقط التمنن ليضبه لنما وتقبلا . ثم ابتعد عن
القصر ، وهو ينظر لكل لحظة إلى الفتاة .

فلما غيب الطريق للتحدّر قامت أوديت تدعو
الله وتصلى له ، ثم شكرت السماء وأحست السمادة
فرقصت فرحا ، وهي لا تدري لكل ذلك سببا ..
وإذا كان النسيج جلست إلى راية تصلحها ، وهي
تفكر في ذلك الفتى ، ثم دأبت للناس أجفائها فأذبلها
وارتمت على فراشها ... واستسلمت لنوم غرق
مضطرب ، ودأت حلكا ... إنه حلم ساحر يأنفون !
خيل إليها أنها ترى غصن اللارجولين الذى أفلت
من يديها ، وإذا بجنيّة ، ما رأت العين أجل منها
تخرج من زهرة تمتلئ بين أوراق الفسّن الرنمتة .
ولها أجنحة من الذهب ، وكج من الأزهار ، تتدثر
برداء أزرق ، لونه رمز الأمل ، وتتأدبها بصوت
حلو الثبرات :

أوديت ! أنا الجنية الماشقة ! أنا التى أرسلت
إليك لوئيس هذا الصباح ذاك الفتى ذا الصوت
الحنون ... أنا التى ، وقد رأيتك تدرفين الفم ،
جئت لأجفنه .. أضرب فى الأرض ، وأؤلف بين
قلوب الماشقين ! ... أزرور الكوخ ، كما أزرور
القصر ، وأجمع عصا الراى إلى سولجان الملك . أنا
التي أزرور الورد تحت أفندام الجبين .. ثم أربط
بينهم بينين يمتلئ القلب لم فرسا . أعيش بين
الأعشاب ، وفي جُذرى الورد المتأكلة ، ومحت
رقار أسرة الأرواح ... وحيث أضع قدى هناك
يقوم حديث النزول ، ويكون ممسّس القبل لا تبكى
أوديت ، فقد أتيت لأجف دموعك ...

وعادت الجنية إلى الزهرة التى خرجت منها ،
واختفت هناك ...

ومحن إلى تلك اللروج التوابية نحو الأفق البعيد ،
ثم تسائل الكواكب عن ذاك الشيء الذى يتلاعب
بروحها ويثير شجونها ...

ودت بعد تلك الليالى التى ساهرت فيها النجم
وبعد ذلك الحنين اللاهف للحب لو أنها غربت يوما
عنق هذا الفارس المرم فوق صمتها (١) ولكن ،
وا أسفاه ! ما كان لها حول ولا قوة ... إن كلامه
جاء يرب ، وإن نظاره جامدة تقزع ... فكأن
تأخذ الإبرة مضطرة الحواس واجفة القلب وتمود
إلى وشها الشاق !

إنك تأسفين ، نينون ، لتلك الحساء ! إنها
كأزهر الريبة ذات المير الطيب والأريج الشذى التى
يصفد الناس عن رأتحتها ويلهون عن جمالها ... !
كانت تزور يوما بينين حلتين إلى قريتين زبدان
الحرب من الحصن ، فسمعت صوتا عذبا يتعالى عند
باب القصر الكبير ، فأنحنت من الكوة ، وإذا
شاب حلو القسمات وسم المنظر ، نأس العين لمرآه ،
يطلب البيت ، مرسلأ أنشودة بصوت رخيم ، ما
فهمت لها معنى ولكن خفق لها قلبها . ورأى الفم
فى عينها ، ثم قاض ... فساقت درأ من رجب ،
وبلت غصنا من اللارجولين (٢) كان بين يديها ..
وساد سكون عميق ، وبقيت الأبواب مغلقة .
ونادى فارس من أعلى الأبراج قائلا :

إذهب وشأنك أيها القرب ، فليس هنا سوى
فرسان محاردين ..

ومم الطارق أن يذهب . ولكن أوديت ، التى
علق بسرها به ، فما يظرف أو يتحول ، تركت

(١) وقصتها أى كسرتها يقال وقس الرجل إذا دقت عقه
(٢) Margolaine : السسق ، وهو نبات طيب الرائحة
له أزهار كأزهار الياصين ..

أنت ترفين يا نينون أن جيتنا في الوجود ..
انظري إليها ترقص في الموقد، وتألّي لن لا يفكر بها
واستيقظت أوديت وأشعة الشمس تنير غرختها
والمصافير تصدح بالأغاني والتسيم الصافي يداعب
شعرها اللطيف الأشفق ، وقد حمل عبير القنبل
الأولى التي سرتها من الأزهار على جبل .. فهضت
والنفس مغممة بالفرح ، وقضت يومها تنقي نورة
وتنفض^(١) الحقول أخرى ، وترسل انقسامه رقيقة
لكل عصفور يحلّق ، والأمانى تقربها تخفق هنا
وترقص هناك ، ثم تضرب كنفها الصنيرتين
بعضهما إلى بعض بقوة وسرور ...

فلما كان الطفل تركت مخدعها ، وهبطت إلى
ردهة القصر الكبرى فوجدت فارساً يصني إلى
حديث عمها الكونت ، فصدت إلى منزلها
واثبتت مكاناً إلى جانب الموقد تسمع إلى صرصر
ينفي .

ونظرت إلى الشاب ، فإذا غصن المارجولين
بين يديه ، يا لله ! إنه لوئيس ... وعلت وجنتها حمرة
ونضرة ، وكادت ترسل سرخة تدوي في فضاء
الردهة ، ولكنها انحنت على الموقد توثر النار
فيسمع لها حسيس كأنه بث الأحرزان ، ويهايل
اللب ، ويغور الموقد ، وتهيج النار . ولجاجة ينبجس
من الموقد نور شديد وتظهر الحنية الماشقة ، وقد
اقترب منها الثمر ، ومال منها الجيد ... فتجمع حولها
الأزرق بين يديها ، وتنطلق في الترفقة دون أن
يراهما أحد إلا أوديت ...

أما الكونت فكان مسترسلاً في حديثه يقص
نيأ معركة هائلة وقعت مع الكفار ، ويقول :
(١) هضن الرجل للكان : إذا نظر إليه يرى كل ما فيه

— ... قطعوا يا أولادى ... ودعوا أشياخ
الشيخوخة الزاهدة . أبغوا لها الأفاضيس بجانب
النار المشعة ، ولا تجسموا الآن إلى زفير النار سوى
وسوسة القبل ... سيكون لكم يا أولادى من
ذكرى هذه اللطائف التي دقتم بها القنبل ما يخفف
أحزانكم وهمومكم فيها بعد ... واللهم عندما يجب
وهو في السادسة عشرة من عمره ، فالكلام لا يجديه
أشدّ نفماً . إن نظرة واحدة خير من خطاب طويل .
تجأوا يا أولادى وأتركوا الشيخوخة تستكلم ... !
وأظلت الحنية الماشقين بأجنتها ، فندا
الكونت لا يرى لوئيس الحبيب ، وهو يطبع قبلته
الأولى على جبين أوديت الحبيبة للرمشة !

نينون ! يجب أن أنكم لك عن أجنة جيتي ..
لقد كانت شفاقة كالبلور ، دقيقة كأجنة الباب ،
ولكنها أيضاً كانت تغلب إلى غلام داس كثيف
فلا يتجاوزها عندئذ رنين القبيلات ووجيب
الأقنعة ... ليكون الماشقان بنجوة من الميون !
وهكذا ... وبينما الشيخ غارق في حديثه عن معركة
للؤميين والكفار ، كانت معركة القبل قاعة بين
لوئيس وأوديت ... !

لقد حضن الجسم الريان ، وقبل الخلد الأسيل
ودفع الهد التامع ، وتجمع بالطرف الوستان ...
والشيخ في حديثه غارق مسترسل ... !
ليت شمري ما تلك الأجنة ... ! إن الفتيات
ليجسبن أحياناً — كأقبل — فيأمن شر الأوبن
ويتمتن بالحبيب ، أحسّ ما يقال يا نينون ... !

واخضت الحنية الماشقة ، وقد أبغى الكونت
قصته ، وذهب لوئيس شاكراً لمضيفه الكونت ...
ولملت الفتاة مخفها للسعادة ، والأمانى حولها حوّم
تفرغ ، والعين قريرة والبال هادئ

حاجى الحب فى وضع النهار ، والجواسف ، وفى الليل والقسم ريف ، وبجانب البنايع والأوراق تحفّ . أرسلنى الرب لأصرف عنكم أذى الرجال ، هؤلاء الساخرين من كل فضيلة ، وحاجى بأجنحة من لمب وقال : « اذهبي ... ولتتحاب القلوب ! » فيا بشركم ... إني هنا ، أحرس الحب وأرطه ... ثم ذهبت تثقبط الندى غداها الوحيد تاركه وراءها الحبيبين ، وقد عانى فم بغم واشتبكت كف بكف ... !

وبقيا حتى الليل ، فلما دنت ساعة الفراق ظهر الأسى فى نظراتهما فأسرت الجنية إليهما بقول يتخيل أنه راقعما ، فانبسطت أسارى وجهيهما إذ سمعهما . ثم رجواها شيئا . فأخرجت قضيبا معها ، ولست به جينى الماشقين وجأة ... أوه ! يا نينون . مالك دهشت هكذا انتظري ساعتم قصى ...

وجأة اتقلب لرئيس مع أوديت إلى غصنين من أغصان اللارجولين ! ثم من اللارجولين التفض الزاهى . نبتا جنباً إلى جنب ، ولأمت أوراق الأول أوراق الثانى ، واشتبكا . هنا يا فتاتى ... تفتتح أزهار لن يجد القبول إليها يده ، بل تبقى ... ويبقى أرجبهما متضوعاً إلى الأبد !

والآن يا نينون ، عند ما نمود عند الروح الخضره . سنبحت عن أغصان اللارجولين وسنسلها فى أية من الزهرات تجتبي الجنية الحسناء . إن لقصى يا صديقتى منزى ، وما كنت لأقصها عليك إلا لأنسيك مطر ديسمبر الذى يلطم الزجاج وأبث فيك هذا الساء شيئا من الحب ... يحوى ... أنا !

صعود البريه المجرم

أما هذه القلية ، فقد رأت جبالاً كلها أزاهير ، زينت بألوف من الكواكب الصايح نور كل منها أشد وضاعة من نور الشمس

وأصبح الند ، فلما متع النهار زلت إلى حديقة القصر والتقت ثم بقارس حياها فردت له التحية ، ولما ابتعد عنها نظرت إليه ، فأذا غصن اللارجولين معه وطب بالقمح . وهامى ذى أوديت تثقت بالمحبيب مرة أخرى ... لقد عاد إلى القصر بعد أن تنكر بزى فارس . أوام يا نينون ! لشد ما يكون السرور عظيماً عند ما تلقى الحبيبة فتاعا فى وضع النهار ... ! وأجلسها على مقعد مخضوض من المشب تحت ظلال السنديان ، والسان صامت والفعل شارد ، وراحت السيون تتناجى ... والأفتدة تصنى ...

لن أقول لك يا فتاتى ما تحدثت به شجرات السنديان عند ما رأت الحبيبين . إن فى سماع الحبيبة وهي بين يدي المحبيب لمة ما فوقها لمة ، لقد جاءت الطير كلها تستمع إلى لحن الحب ، وتبني أمشاطها فوق تلك الشجرات ...

وسمعت الفتاة ، على حين بقشة ، وقع أقدام الكونت ، وهو يمضى فى الممر الطويل ... فأسابها الرجفة وانتظرت شراً مستطيراً ... ولكن ... إن الينبوع لا يزال يرسل خريره الحلو النجى ، وهامى ذى جينيتا الحسناء تأنى تظلل الماشقين بأجنحتها والهواء رخى ، ويخففان عن الأبصار ، ويمادنان حديث القبلات ... ويقرب الكونت ، فيأخذه العجب ! إنه ليسمع أسواتاً ولا يرى أناساً ! وانبرت الجنية الحسناء تقول :

— أنا حامية الحب ، أضرب على بصر من لا يحب غشاوة فما يسمع أو يرى ! لا يخافا بعد اليوم أمراً ، أيها الماشقان الجيلان ... بل أجيبا

التسافذة

للكاتبة الفرنسية بيزيلويس
بقلم السيد عز الدين عزوزي

لقد أصبحت ، يا عززي ،
عجوزاً في مساء يوم كان عمري
فيه سبع عشرة سنة ! أصغ إلى
ما سأفوله لك فإن قصتي سوف
لا تكون طويلة فتمل أسبوعها !
قد تستغرب وتساءل لماذا
سلبني هذا الحادث البسيط كل

أفراح المستقبل ، وإنك لتقرأ كثيراً من أمثاله في
الصفحة الثالثة من كل جريدة !

لقد كنت متأثرة به في كل حياتي ، لأنني
شهدته أمام عيني وعلى بعد خطوة مني ؛ وأنا
متأكدة من أنك سوف لاتنسى شيء مما شرت
به لأنك ستسمعه كما تسمع حكاية من الحكايات
أو قصة من القصص !

وضعت الآتية «ن» جهتها على يدها وابتدأت
تقص على الحادث ونظرها مثبت في الأرض لارتضه
إلى وجهي لحظة قالت :

« منذ خمس وعشرين سنة كنت أقوم مع والدي
في نزل قديم مقابل كنيسة « سانت سوليس » في
شواحي باريس ؛ وكان هذا النزل خاصاً بالطبقة
الراقية ، على بساطة في مظهره وتواضع ، وكانت
جميع نوافذه تطل على شارع ساكن كككون يمر
في غاية من النفايات .

كان الفصل فصل صيف ، وكانت غرختي التي
أقام فيها مع والدي شديدة الحرارة ذات مساء ،
حتى أنني لم أستطع أن أنام ، فخطرت لي أن أتج
النافذة ، ولكنني خشيت أن أوقظ أبي . وبعد أن

سأحتك في هذا المساء بإصديقي العزيز عن
سبب امتناعي عن الزواج ، لأنني طالما رأيتك مهتماً
لمعرفة ذلك ؛ وإن سأواك هذا لأحب إلي من صمت
الآخرين الذي أجد فيه من الخفايا ما يبرح كبريائي
ليس أحد في الواقع يجهل ما عليه أسرتي من
الغنى وما خلفه والدي من الأموال الكثيرة ؛ وإذا
لم تزوج فتاة غنية مثل فإن سبب ذلك يكون في
الناب : إما طبيعياً ، وإما قبحها ، وإما عاداتها
وأخلاقها . وأنا أترك للناس بعض الاختيار في أن
يحكموا على جميع تلك القروض ، أو أن يختاروا
واحداً من بينها

تقياً بأنني ما رفضت يد الراقين في الاقتران بي
لشيء في أنفسهم ؛ لا ، لا ... إنني ابتعدت عن
الزوج الشرعي وعن الخليل ؛ وكان ابتعادي عنهما
ممزوجاً بخوف لا أدري له تليد ، ولكن هذا
الحوف أخذ يقل في هذه الأيام ؛ ذلك من قبل
الأربيين ، وطائفة الكبر ، وشعوري بأن الناس
قد انصرفوا عني انصرافاً كلياً ، ولم يعد بينهم من
أمرى شيء

إن قصتي ليست قصة حب بائس . لا ... أنا لم
أحب في حياتي أحداً قط

ورمادياً ، ورائضة صغيرتها الصغيرة فوق رأسها
الأشقر ، وكان الرجل ممسكاً بكتفها يقول لها في
لهجة المستعجل :

— وهنا هل تريدن ؟

فتجيب جواباً مذموراً :

— دعني ... دعني

يا عزيزي ، لو قدر لك أن تسمع جوابها له
قلت إنها تسيد للرة اللاتين

قال لها الرجل : ألم تقولين نعم ؟ لماذا تقضين
قولك ؟ إنا هنا في مكان مناسب ، لماذا لا تودين ؟
— لا ... ليس هنا ... ليس هنا

— إذن أين تريدن ؟ أنت لا تحبينني ، كما أنني
أسبحت الآن لا أحبك !

أشارت الفتاة إليه بإشارة السلب ؛ فاشتد غضبه
وصاح بها : « ق تين ، اضطري إلى . تكلمي في
وجهي . هل تصدقيني في حيك ؟ نعم أولاً ؟ إذا
كان لا ، فأنت تملين أن لدى كثير غيرك من
الفتيات الجميلات

لم ينته الرجل من كلامه حتى انفجرت
السكينة بتكبي بكاء مرأ طويلا ، وهي مشككة على
طروضة الشباك حيث كنت مستندة بكتفي ثم قالت له :

— نعم ، إلى أي أحبك حياً جماً ، ولكن ليس
لهذا الأمر ، ليس لهذا الأمر ... أه لا أدري كيف
أحلك ، ولكن ليس هذا هو الحب . أحبك
لأنك لطيف ... لأنك تكلمني على غير ما يكلمني
الآخرون ؛ لأنني أشعر بسرور وفرح عميق ساعة
أراك عائداً إلى المنزل في المساء . إنني أحب أن
أعاطك . أعاطك قدر ما تريد في كل مساء ، في أي
وقت تحب . ولكن منذ أخذت تكلمني في هذه
الأمور ... لا ... لا أريد . على الأخص مع رجل
مثلك يجئ إلى أن العاقبة تحمل في طياتها شراً
مروءاً !!

أدركت ساعة بكاملها نهضت من سريري ولبست
جوربي ، وتزلت السلم العريض مرندية قبض النوم
حتى وصلت إلى ردهة الطابق السفلي . ولا بد من
أن تعرف جيداً موقع الردهة كي تتبين الحادث كما
وقع بمخافه .

كان المنزل سابقاً حديقة تحدد على موازاة
الشارع ، ثم يمت هذه الحديقة لبعض البائنين ،
وأخذت البلدية منها قسماً جعلت به الشارع فسيحاً
أكثر من ذي قبل .

كانت نافذة من نوافذ الردهة تفتح من زاوية
مظلة خفية لا تصل أشعة (الناز) إليها ، ولا
يستطيع المرء أن يبين ما فيها ، ولو خرجت عينه
من عجزها لشدة التحديق !

لما وصلت إلى الردهة التفت فرأيت أنهم لم يتقوا
هذه النافذة الهيبة ، وإنما أغلقوا مصراعها
الخارجيين ، فصعدت إليها ، وجلست فوق طارفتها
إذ كانت قواري قد وهنت من شدة الحرارة ، وأخذت
أستنشق برودة الليل بينهم ، فأحسست أنها سرت
في جميع جسدي ، من أم رأسي إلى إخص قدي !
لقد كانت هذه اللحظة هي الأخيرة من لحظات
حياتي التي شعرت فيها بسرور صاف لا يكدره أمي
ولا تشويه شائبة زعر أو قلق !

لم أكد أركض مكاني حتى رأيت في الجهة المقابلة
للسكان الذي أأما فيه شخصين : رأيت رجلاً يقود
فتاة إلى هذه الزاوية المظلة الخفية !

كان الرجل من أولئك الذين يملكون ثلاثة
أسابيع ويقتطعون بعدها ستة أشهر ، لأن جمالهم
يجوزهم احترام العمل الشريف ، وكانت الفتاة جميلة
رواية فانتة في الخامسة عشرة من عمرها ؛ تحبها أمي
وتحفظ عليها وتمنمها بأحسانها ، لكثرة ما تشترك
معني في أعمال

كانت لابسة ثوباً أسود صغيراً جداً ، وقيصاً

السكنية في عنقه وخرجت تلع من طرفه الآخر !
ثم انبثقت نفورة دم وخرجت من شقوق
النافذة وانصبت على ممرى لترويه
غص الرجل بالسكين فحفظ عيناه وفتح فاه
خفيفاً ، ولم يتنفس الصعداء ، ولكنه لا وقع على
وجهه ، أرسلت - هي القاتلة - في سكون الشارع
ثلاث صرخات كلها دهر وهول . ثم تراجعت إلى
الخلف وأخذت تشب في مكانها كما يشب عصفور أسود
وأيم الله لم أسمع في حياتي كلها صرخات
تفعل بالنفس مثل صرخات الموت هذه !

أما الذي حدث بعد ذلك فإنه لايحكك كثيراً
أليس كذلك ؟
إن أي استيقظت وهي مذعورة ، وانطلقت
تبحث عن خاتمة وجلة ؛ ولما التفت إلى سريري
ووجدته خالياً ناديت باسمي في جميع نواحي المنزل
فوجدتني واقفة فوق ذك الشباك ، وثوبى الموت
بدم القتييل الأحمر فغالبته دى للوهلة الأولى ...
ولكنني لم أقص عليك هذا الحادث لأنني لك هول
موقفي من أي
إن بقية الحادث وتفاصيله الدقيقة لازال تروى
أعماق ذكري ...

كانت سبي سبع عشرة سنة ، وفي نصف ساعة
تسلت فيها من هذه الفتاة كل شيء . أما الطفلة التي
كنت أجمل كثيراً من أمثال هذه الحقائق
تسلت فيها كل أسرار الحياة والحب والموت
وكل ما تسميه القصص بـ « الأمنة » . تسلت
منها من هو الرجل الماشق ، وأخيراً من هو الرجل
الذي يموت !

يا عزيزي إذا كان كثير من الناس يجهلون لماذا
فضلت أن أعيش دون شريك ، فتكهن أنت وحدك
الذي يعرف سبب ذلك !! هـ الربيع هـ

رفع الرجل أكتافه ولفترأسه لفنة استخفاف
ورحة وقال : لك الله من ساذجة مقدسة !
وحشها بكثير من الأقوال التي أخجل أن
أذكرها لك ؛ ثم سحب من وسطه سكين جزار تشبه
سيفاً وغرزها في نافذة في عذانة صدرى وقال لما
بصوت يخنقه الاضطراب :

- والآن ... إلنا وبنت من هذه النافذة تأتي
أخزك !

كان مشهد الفتاة وقد توترت أعصابها وتخلصت
أطرافها قاسياً ، وكان للشارع خالياً من كل إنسان
والحقل ساكناً سكناً عميقاً ، والساعة تدق الثانية
بعد نصف الليل !

كل شيء نائم في هذا الحي الإهذبين الشخصين ،
وإلا أنا المتفرجة للفرجة ؛ كانت الفتاة أمامي
حتى لو أنني مددت إليها بض أصابعي لاستطعت
أن أسبها وهي تقاوم الرجل بشدة وعنف
ثم انطلوت على نفسها وحتت رأسها الصنير
الأشقر ، واصططكت ركبتيها ، وأخذت تلهت
كالحيوان التيب ؛ وكانت كلما أسك الرجل يذراعها
ضمت تخفيها ، وكلا مس ثوبها نازحته يديها .
ولقد ظلت على حالها هذه زمناً طويلاً أكثر مما
تتصور ، ولكنها غلبت أخيراً على أمرها كما غلب
(كارون) الراي وأرداه صريعاً

عند ذلك أخذت المسكنة تقرب القضاء يدها
وتعلق ببعض الثبات للزروع فوق النافذة

لم تكن الفتاة لتعلم أنها تمسك يدها سكيناً وأنها
تدفع بها للمرة الأخيرة ذلك الرجل الذي جرحها
في جسدها وفي روحها جرحاً لا يئتم . إنها ضلت
ذلك دون قصد منها ولا وعي

يا أسفاً ! أي شيء هو جسد الانسان ! إنه طين
رقيق مائع يسيل من ضربة واحدة ! لقد دخلت

تلك التلوات البارزة ، فالتنور
والظلام ، والليل والنهار ، والون
والشكل ، والأبعاد والتسبب ،
والجمال والقيح ، كل هذه لم تكن
في نظره إلا كلمات لا يدرك معناها
إنما كان المال عنوان الثروة ،

أمكننا أن نعتبر صاحبنا من

الأغنياء ؛ إلا أن السلف الذي كان يلقاه من أمه
وأخته اللتين عاش معهما كان يفوق كل غنى ورفعة ،
قد مات أبوه محطوم القلب ، مكلوم النفاد ، لأن
آماله قد خابت في ابنه الوحيد ؛ فنشأ الابن في
أحضان أمه حتى أصبح شاباً منصور الشباب
ورجلاً مكتمل الرجولة مع رقة في الروح وليونة في
الطبع ودمابة في الخلق

لقد كانت الموسيقى بهجة في الحياة وسلوة في
الحنة ، تضيء له جواب قسه المظلمة وتعمل البلم
إلى روحه الحزينة في أشد حالات اليأس والألم ،
فينثي على أنغام البيان والقيثار في صوت شجي
مايدد وحشته ويخفف صكره ؛ وكان صاحبنا
مبالاً إلى الأدب كلماً بإنجيل منذ طفولته ، راغباً
في حبة الإخوان وجمالة الندمان ، يأخذ بنصيه
في الشراب والنكتة اللاذعة والضحك الصاحب
في غير تمنع منه أو دفع من غير

فكانت حياة مزيجاً من اللامسة البامية واللهاة
اللاذعة ، إذ كان سميذاً راضياً ، الحلم إلا عند ما
كانت تماوده تلك الأفكار القديعة فتذكره بمصابه
الآليم فينكتي "إلى بيته مهدوم الأركان متداعى البناء .
قضى الشطر الأكبر من حياته في بيت قدم
على الشاطئ يتبع قسه بموسيقى البحر المتجددة

الأعمى الذي ارتد بصيراً

للقصصى الإنجليزي أدورن بو
بعتله نظري خليل

قيل إنه ولد أعمى فافرد في عالم من الظلمة
الطاحية منذ اللحظة التي حاول أن يرى فيها لوجه أمه
بمينيه المظلمتين وقلبه الماسر بأشواق الطفولة الجائعة
وأسرارها الخفية الثامنة ، ولكن هذه السنة التي
قضت عليه أن يطوى حياته كلها من الهد إلى البعد
في ظلام داس لم يكن قد ورثها عن والده ؛ فقد
كانت أمه ابنة أحد سراة المزارعين على جانب كبير
من الجمال ، زرقاء العينين ، دقيقة القصات ، قوة
التركيب ؛ وكان أبوه شريف الأصل كريم الأرومة
لم يعرف في حياته مثل هذه السنة التي حار الناس
في تليها والكشف عن حقيقة أمرها

ولكن الحقيقة المؤلمة هي أن صاحبنا كان
إحدى هذه الضحايا فلم يشعر يوماً بأشعة الشمس
الليئة إلا أنها نوع من أنواع النصف الطبيعية ،
ولم يفهم من الأزهار المتفتحة إلا أنهاراً وعطورا
أما أحبابه فقد طالما استمتع بأسواقهم الرقيقة
وجلساتهم المزينة وحنانهم الناعم وهم يملكون حده
الناعم بدموعهم المخينة الباقية

لقد كان ظله الخفي مليئاً بالصماب التي طالما
أذت جسمه وأدعت أطرافه . يزجر بالأسوات
الربعة والصيحات اللدوية حتى أن أسنانه كانت تصطك
وتتلاصق كلما لمس أطراف أصابعه الحساسة إحدى

الطبيب الايطالى العظيم الذى شفى كثيرين ممن ولدوا عمياً ، فأرسل فرديناند صديقه وعان ، وهو طبيب للعيون أيضاً ، ليتحقق مدى صدق هذه الاشاعة . فظا عد ذلك الصديق تحدث إلى فرديناند عن ذلك الطبيب الشهير « ييرارا » قائلاً : « إن ييرارا ليس رجلاً ظريفاً ، إلا أنه ليس دجالاً كما يشيع عنه خصومه وحساد . لقد شاهدت بنفسى ... » ثم مضى يصف تلك للمجزات التى رآها بينه ، وهو يرغب فى معالجة فرديناند إلا أنه يشترط لهذا شرطاً واحداً

فتحدثت الأم وقالت : وهو ...

— إنه لا يضمن شفاء فرديناند شفاء تاماً إن كان قد ولد هكذا . فامتنع وجه الأم ثم قالت فى صوت متهدج مضطرب : « لقد ولد أعمى » فقال الرجل : ومع أنت « ييرارا » لم يرَ فرديناند إلا أنه لا يجزم بشفائه . لقد أخبرنى عما أعتقد أنه سواب ، وهو أن شفاء الانسان الذى يولد أعمى أندر ما فى الوجود حتى ليمد من العمر . إن فرديناند يستطيع أن يصر إن كان قد وقع فى تلك الحنة بعد ولادته يضع ساعات

— إننا لا نعرف بطبيعة الحال ، فأنا نفسى لم أرتب فى تلك الحقيقة الحزنة إلا بعد يومين كاملين من ولادته ، وكنت أطلع إليه طيلة تلك المدة — إن ييرارا يضع نفسه تحت تصرفك ، ومع أنه رجل عظيم إلا أنى أخشى أن يكون قمعياً بعض الشيء . لقد قسى كثيراً من الرؤوس والفتاة فيما مضى ، ويخيل إلى الآن أنه يحمل فى جيبته نصف الفكاهة التى تدور على ألسنة الجانحين فى هذا العالم ، إلا أن هذه الفكاهة لم ترده إلا مراهرة وألقاً

ونسيمه الليل ، يفرغ من المدن ويخشى نجيبها ، فلم يكن لينقاد إلى كل هذه المخاوف والتخبرات . وكان كلما مضى إلى منزل أحس بشمور غريب إذ يشعر أن قمحه سترل به وأنه سهوى على وجهه ، أما الشوارع الصاخبة ذات الرائحة الكريهة النفثة ، فقد كانت توله وتؤذيه وتحمل إلى أذنيه الخافتين المرتجعتين أشد أنواع العذاب

وكثيراً ما كان يضيّق بجناحه الرابطة فينفر إلى الجبال الشام الرواسى ، فيجد فى سمها الرهيب الدائم تسكيناً لأحاسيسه الثائرة المحتاجة ، ولكن هذا الصمت الدائم لا يلبث أن يقل عليه فيفرغ من تلك الوحدة الوحشة ويفر من تلك العزلة القفرة إذ يشعر أن الأفكار التى تدور فى خفيه إن هى إلا أجراس تترع فى رأسه ! فياض خلخته أن تموده إلى البيت القديم حيث يجد فى زئير البحر ورشاش الماء الذى يصفى وجهه ويلامس يديه المدهوء والاطمئنان

هكذا قضى صاحبنا أربعة وعشرين عاماً بعد أن فقد كل أمل له فى رؤية عجائب الأرض والبحر والسماء

لقد جاءوا إليه بأساطين الطب ولكنهم جميعاً وقفوا حائرين أمام هذا الرض العجيب ، وبالرغم من ذلك فقد كان صاحبنا يحتمل كل أنواع الممت والاحجام التى كان يمانها فى الفحص والملاج من أجل أمه وأخته ، وكان يشعر فى قرارة نفسه — وهو الرجل القوي دأعاً — أن التشبث بالآمال الكاذبة هو اليأس بينه ، وأن الاعتراف بالحقيقة والتسليم للواقع راحة للضمير وسلاوة وفى سن الخامسة والعشرين جاءه نبأ ذلك

— إن هذا قبيح لاشك ، ولكن يمكنني
احتاله

— أأندى أثر إعادة بصرك لمدة معينة في
فصك ؟ إنك الآن لا تفهم أثر فقدك لبصرك تماماً ،
فانك لا تفكر قط في قائمة عينيك لك ، ولكنك
لو أبصرت فجأة مدة ساعات ، بل قد تكون دقائق
معدومات ، ثم عثت إلى حالك الأولى حيث
لا يكون لك أمل في الشفاء ثانية ... ثم توقف فجأة
عن الكلام :

فأجابه فرديناند : إنني مستعد لأية تجربة تجريها
على ما دام هناك أمل في النجاة

— إنه أمل قوى إذا كنت بما أقترحه عليك

— لك على هذا

لقد كان العلاج كثير الألم بطيء السير ، فقد
قضى فرديناند ستة أسابيع مستلقاً على ظهره في
غرفة مظلمة حاجية ، مصوب السنين وعلى جبينه
بعض الأربطة اللبلة المشدودة ، وقد حيل بينه وبين
الرياضة ، يتبع نظاماً خاصاً من الأكل . ولكنه
احتمل هذا الوضع الشاذ للمؤلم لا يتحرك ولا يذوق
النوم إلا لما ، في شجاعة نادرة وصبر عجيب . فلم
يشك ولم يحاول أن يفلت من العلاج يوماً ، بل
لم يتجمل نبله ومثاقفه خلقه إلا في تلك الأيام المصيبة
القاسية

وفي نهاية الأسبوع السادس من العلاج لم ينزل
الطبيب كعادته إلى مائدة الإطعام فذهبت الخدام
تبحث منه ولكنها لم تلبث أن علوت حاملة أسوأ
الأنباء ، فقد سافر الطبيب على غربة بعد أن حزم
أمتته يديه وحملها بنفسه إلى المطلة

فأنفخ الهم إلى وجعي الأم والأخت وأخذت

— إنني أرحب به على أي حال إذا استطاع أن
يشفي فرديناند . عليك الآن أن تسرع في طلبه ،
فهما يكن من أمر فإن النتيجة لن تكون أسوأ
مما هي عليه الآن

ثم أرسل في طلب الطبيب ، وأسرت الأم
والأخت إلى هيئة الشاب لهذا اللقاء المنتظر . فلما
دنت الأم من الابن صاح في صوت حزين مؤثر :
« ماذا ؟ أطيب آخر ؟ كنت أعتقد أنه لم يبق هناك
أحد . ولكنه لم يأت الطبيب حتى أسلم إليه نفسه
أسبوعين كاملين في عزم قوى وصبر عجيب

وفي نهاية الأسبوعين خرج الطبيب قائلاً : هناك
أمل قوى في الشفاء . ثم أبلغ في تفاصيل علمية
صحيحة لم أعر منها إلا الأطفال قليلة تنم عن قننه
بنفسه وروسوخه في ذلك العلم ، إلا أنه لم يكن في
كل ذلك بالتفاخر أو الواقع من النجاة إذ ختم
كلامه بقوله : « وأظنك تمنرني في هذا .
ولكني أعتقد أنك رجل تستطيع أن تحتمل
حقيقة أمرك

— أجل

— تستطيع أن تحتمل شر الصدمات

— أجل ، لقد تغلبت على كثير منها

— إذن أرى زماماً على أن أقضي إليك بما

أعتقد وهو أنني أستطيع أن أعيد إليك بصرك إلا
أن هذا قد لا يكون دائماً ، ثم تردد ... فقاطعه
فرديناند : نعم ؟

فاستأنف الطبيب كلامه قائلاً : « إنني لا أخفي
عنك الحقيقة ، وهي أن هذا الشفاء ربما يكون إلى

أجل معين . فهل تستطيع أن تحتمل هذا ؟

أن الشفاء قد يكون إلا إلى مدة معينة ١. فتفتت الأم والأخت الصماء إذ لم ينضم الأمل بعد في شفاء فرديناند. ثم ذهبتا إلى حجرة الشاب ليفضيا إليه بجملة الأمر، فاستمع لهما في هدوء وثبات، وأخيراً قال: «لم يعد هناك شك في أن الرجل دجال. ولكنني أرحمك عليه بهذا حتى أعرف النتيجة ولم يبق بيني وبينها إلا بضعة أيام. يا لها من أيام ثقيلة بلغة أيام الهمة!

وأخيراً أخذت «الزقة» نجف وتساقت شيتاً فشيئاً، ولكن «بيرارا» كان قد حفرم من فك الأربطة قبل أن نجف الزقة كلها ونسقط عن الجبين.

وهكذا قضت تلك القلوب الثلاثة الحائرة الأيام الخمسة تمدها بالساعات والكل ينتظر ختام تلك القصة المامية التي تميد للريض بصره وتدينه من أعز ميراث للإنسانية، أو تطيح به بعيداً عن عالم النور والجمال للأبد.

فلما جاءت تلك الساعة ألفتها حائراً متردداً، فقد استولى عليه نوع من الدرع من ذلك المستقبل المجهول الذي يواجهه، جعله يمد يده عن الأربطة فكيف يستطيع أن يتحصل صدمة الإبصار لأول مرة فيرى عالم الناس العجيب، أو كيف يقابل أسوأ الصدمات فيقف على تلك الحقيقة القاتلة: قدمه بصره للأبد!

أما الأم والأخت فقد وقتتا بجانبيه تشاهدان هذا التردد بقلوب واجفة وصبر سلوب.

ثم ابتعد الابن يده وقال: «لا، إني لا أجرؤ على هذا. إني خائف يا أمي. آه! ربما كان الأفضل لي ألا أود تحت هذه التجربة المخاطرة فقد كنت سميحاً

كل واحدة تنظر إلى الأخرى نظرة العهشة والحيرة والاعمول، فقد نال منهما هذا الحادث حتى كاد أن يحطم قلبيهما، فكل كانت هذه هي نهاية أحلامهما المرجوة؟

وأخيراً قالت الخادم: «لقد وجدت هذا الخطاب، ثم ألقته بجانب طبق الأم»

ولكن الدنيا كلها كانت تضطرب وتهتز أمام عيني المسكينتين، إلا أنها استجمعت قواها وتناولت الخطاب وفضته فانجس الدمع من عينها وجري على خديها فلم تستطع أن تفسر تلك السطور التي جرى بها القلم في عجلة واضطراب، فتأولته ابنتها في صمت، ولكن الفتاة لم تكن أقل من أمها ألكا وحسرة إلا أنها تظاهرت بالجلد وأخذت تقرأ:

«الدكتور بيرارا له أن يجعل من نفسه. فان متادته كانت لضرورة ملحة، وإن واجبه نحو نفسه في تلك الفرصة المنادة التي واثته كان يحتم عليه هذا السفر الفجائي. فقد عرض عليه أحد أصحاب الملايين من الأمريكيين مائتين وخمسين ألف ريال إذا ذهب إليه لمعالجة ابنه الذي قد بصره. ثم مضى يشرح نوع ذلك المرض الذي أودى بصير ذلك الابن فزاه إلى مرض بسيط يصيب المصعب البصري من السهل علاجه كما يتضح هذا من قول طبيب آخر في البرازيل. وعلى ذلك وجد نفسه ملوماً إذا هو ترك هذه الفرصة الذهبية فقلت من يده.

وفضلاً عن هذا فإنه لم يبق له عمل مهم مع فرديناند، فمجرد أن ترول «الزقة» المشدودة على الجبين يمكن فك بقية الأربطة التي على العينين، وعندئذ يستطيع فرديناند أن يصير إذا كان مقدراً له ذلك. ثم ختم خطاباً باطلة تصريحه الأول وهو

صوت للمر السنيذ : « سأتى وحيداً حتى أهيئ نفسي لمواجهة وجيكم الجيدين لأول مرة . يجب ألا تدخل على حتى أبلتلك ذلك ، بل لا تحاول أن تفتح الباب . سأعقله دونك وعليكم أن تنتظروا إلى أن أدعوكا

فحاولت أمه أن تستطفه ، ولكنه طامها قائلاً : « آتبعين أن أسفر في عيني أمامك ؟ قد أصرخ أو أوجع . لا أريد أن يطلع أحد حتى أحب الناس إلى على ضفتي . لا . سأكون وحيداً . إن ساعة اللقاء هذه لم امتحن قاس لنا كلنا فلفتته فيها على أى وجه ، قد نحتاج إلى كل قواما حالا ... »

ولما كان من طمتهما الخضوع لإرادته فقد تركاهما أمرهما ثم تبعاه إلى الباب ، وأوصده دونهما ؛ ثم قال لهما وهو يدير الفتاح : « تذكر ألا تدخل على حتى أدعوكا »

ولاشمر بوحده أخذ فك الأربطة ولكن أسابه كانت تضطرب ويده تهتز حتى أنه لم يستطع أن يحمل الكفاف الأولى إلا بعد لأى

ولكن هذا الرجل الذى بقى صابراً على بلواه ربع قرن قد نفذ صبره في تلك اللحظة ، فأخذ يضرب رأسه في أثاث الغرفة في كفاح عنيف ، ويصرخ من شدة الألم كأنه طفل رضيع مع أنه استحل مثل هذه التجارب من قبل في غير تشك ولا ألم . وأخيراً تمكن من انتزاع جميع الأربطة فصاح سيحة محبسة مكبوتة :

إله يصر !!

لقد شمر بأهداب عينيه الجلمدة الخيفة تتحرك

من قبل ، سيداً على أى حال ، ولكن لو قدر لي ألا أبصر بعد هذا فلن أعرف السادة إلى الأبد فلدت الأم يدها ووضعتها على رأسه في خفة وحنان فأخذهما الابن بين يديه وقبلها ، ثم صاح وهو ممسك بها : إنك أنت يا أمي وكذلك أنت يا أختي اللتان قوضتا حياتي . كيف أستطيع أن أهدنك عما في نفسي الآن . ثم أخذ يتمتم في صوت خافت كأنه يتحدث إلى نفسه : « هل تذكران بعض ما أنا فيه الآن ؟ إنكما لا تقدران ، وأنى لكما بهذا ؟ لقد سمحتا تتحدثان عن الطيور والأزهار ، عن الألوان والصور ، عن الأطفال الصغار والشمس والقمر والسماء والبحر . آه ! ولكني أستطيع أن أشم رائحة البحر وأسمع هدير أمواجه . إنى لا ألتف البحر قط ، ولكن فكركي أينها الأم ... » ثم عمرته قشمرة راجفة وهو جالس في مقعده ، ثم ناد يقول في نتمته السابقة : « ولكن إن كان لا بد من احتمال هذه التجربة كما يجب على الرجل فاني أفضل أن أكون وحدي »

فصاحت الأم والأخت في نفس واحد : « وحدك ! »

— ولم لا ؟ إن أفضل صلاة للإنسان هي عند ما يخلو إلى نفسه إذ يكون أقرب إلى ربه . فلك أرى أن أكون وحيداً . لقد صليت منذ لحظة وهذا الإلهام هو الجواب . لقد قضى على أن أكون وحيداً عند إجراء هذه التجربة ... أجل . أجل . الأفضل أن أفضل هذا لمواجهة تلك التجربة التي تمنح عزى وصبرى

وعبثاً حاولتا أن تنفيا عن عزمه فلم يجد دموعهما ولا توسلاتهما لديه شيئاً ، إذ أجابهما في

السفن ، ولكن تلك المعرفة لم تساعده على تمييزها في عالم الحس . لقد كانت هذه الساعة الرهيبة تحمل في ثناياها قصة عالم غريب لرجل حديث العهد به . ثم أخذت مخاوفه تتركه ، وأخذ هدوؤه يباوده ، ولكنه لم يشعر بالرغبة في استدعاء أمه أو أخته . لقد كان منمورا بجو من السعادة الحسية الدافئة ففتر عقله ولم يد يد قادراً على التفكير حتى أنه لم يستطع أن يربط هذه الأحاسيس بأحاسيسه السابقة ، بل لم يستطع أن يصفها فيما بعد

ثم لاحظ أمامه صحيفة عصفت بها إحدى الرياح الموح فجذب لأمرها وظلها شبحاً لرجل قادم . ثم أخذ هدو الجوى يدوى ثم يخفنى في رمال الشاطئ الرابضة فيصل إلى أذنيه قوياً وانحماً . ثم رأى زيد البحر تتقاذفه المياه وتلقي به إلى الشاطئ فصرف بذلك البحر . ولكن هل البحر هو سر ذلك الصوت اللدوى والزيد اللطاف أو هو يشتمل على تلك البقاع النفسية التي تقع على أبعاد عظيمة من البصر ثم تصطبغ بتلك الألوان الأرجوانية الزاهية حتى تنيب في ذلك الأفق النارق في الضباب القاتم الحزين ؟ ثم رأى أمامه شبح غلام يمرق في تلك الرمال

ويخفنى ، فاركب في فحمة . ثم طوذه خوفه واضطرابه لم يكن يدوى شيئاً عن الرأفة . ولم يرغب في استشارة غيره ليعرف منه ذلك لأن يرباها قد أوسى أمه ألا تدعه ينظر إلى امرأة حتى يقف على أسرار عالم الحس الجديد ويتعلم تقدير المسافات وانكسار الضوء لأن يرباها كان يعرف كثيرين ممن قدودا عقولهم عند أول عهدهم بالإبصار

ثم مضت ساعة . فاشتد القلق على الأم حتى دفع بها إلى الباب وأخذت تدق في خفة فسمع

إلى أعلى وإلى أسفل ، ولم يبق في تلك الحقيقة الرائبة أدنى شك . لقد أبصر !

لم ير أول وهلة إلا سحابة شاحبة متحرك فيها الأشباح النامضة الباكنة ، ولكنه ما لبث أن وضع بصره فرأى الأشياء على حقيقتها في صورها وأحجامها ، ثم أخذ يجول في الثرفة يهوى يديه في الفضاء ويحاول أن يعطش بكل المقبات التي كان يظنها تهدئه أينا سار ثم ارتدى في أحد للقاعد بجانب النافذة مرتجف النفس مترايل الأركان

لقد حدث ما كان يخشاه ، فقد استولى عليه نوع من الدرع شديد ، فأحس أن هناك دافساً يدفع به إلى الباب ولكن ما الباب من بين تلك الأعاجيب والألتاز التي كانت تحوطه وتقمه ؟ ثم اقتضى عليه يديه وأخذ يصيح منادياً أمه وأخته ، وربما كان مستمداً لأن يتقاد إلى ذلك المانع ويسى إلى كرامته وكبرياه لولا أنه شعر أن كل أعضائه قد التصقت بذلك القعد الذي كان جالساً فيه ؛ وعلى ذلك لم يكن يستطيع أن يأتي شيئاً إلا أن يجلس ويحمل وينصت إلى تدفق الدم في عروقه وخفقات قلبه المالية المضطربة

كان اليوم لا يزال ذا كناً قالمير والسماء لا يزالان غارتين في هذا اللون الباك الكئيب ، فلم يستطع أن يرى من تلك النافذة إلا ذلك الجزء من الشاطئ المثلث الشكل القى تنطليه الرمال الرمادية الباكنة ، ثم رأى سفينة تتحدر البحر وتغر أمام ناظره فجذب لمرآها وحار في فحمة ، أي عصفور يرفرف فوق الماء ؟ ثم رأى أسراباً من الطيور تحلق في السماء الناشئة ضررها ولكنه لم يصر ذلك للشيء الأبيض اللطاف . لقد كانت لديه معرفة نظرية عن

ولكنه كان في كل مرة يردعا عنه قنصاع لإرادة
مرغمة حاقة. ثم اطمأن إلى نفسه وابتسم ابتسامة
مشرفة عريضة ولكن هذه الابتسامة لم تلبث أن
انقرعت من وجهه انزعاجاً
ما سبب هذا ؟

لقد دفع يده إلى عينيه ومسحهما في خفة ورقة
لأنهما كانتا لا تزالان تؤلانه ثم اعتدل في جلسته
وأخذ يحقق النظر في تلك الأشياء التي أمامه ، ثم
أقبل عينيه وقصصها فلاح له أن البحر والسماء أقل
زرقة ووضوحاً . ولم يمد يديه بين حدود الأشياء
تماماً . هل يعاوده عمام من جديد ، إنه لم يمد يده
في هذا فقد كان منذ مرة قادراً على تمييز أشكال
الأشياء وأحجامها ، أما الآن فقد فقدت لونها
وشكلها ولم تمد يده في نظره إلا بقما غامضة على
منبسط من الرمال ، ثم إنه كان يرى الأنواع الصاخبة
ترتفع وتنخفض ثم يراها تتور وتزد وتقفور على
الشاطئ ثم ترد عنه إلى مكانها الأول — كان يرى
كل هذا . أما الآن ...

ثم قبض في مكانه في هدوء وصمت يدبر عينيه
في حيرة وقلق في الزرقعة . فأصبح يرى ورق الحائط
والأبسطه وكذا الصور التي على الحائط والسقف
وجميع أثاث الغرفة تختفي من عينيه ويلفها الظلام
الهاجي !

عندئذ تذكر ما كان الطبيب الايطالي قد أخبره به
وهو أن عودة بصره قد تكون إلى مدة قصيرة ربما
تكون بضع ساعات أو بضع دقائق . لقد نسي هذا
في غمرة الفرح التي غمرته أولاً ، أما الآن فان الحقيقة
للرعب المبيتة تظلمه كحجاب كثيفة تامة . فلم يمد
يؤمل إلا في اللوث بعد أن شات عنه أحلام المستقبل
البهيج !

دقاتها وعرف منها وأدرك أن هذا هو الباب .
فحده بنظره إذ كان هذا أول عهده به . ثم أعطت
القرع فأجابها من الداخل « لم آتته بعد . إلى
يخبر وأستطيع الا بصار . ولكنه سمع أمه تصيح
غاضبة « ولكنك لم تته بعد ... » فلما أحس أنها
بدلت عن الباب هب واقفاً في حذر ، ولكنه لم
يستطع أن يحتفظ بكيانه ، فهوى على يده وركبته
وأخذ يجبر على البساط واستولى عليه نوع من
الخوف جديد

ولكن الخوف لم يلبث أن تركه ، وسرعان
ما عاد إليه رشده وهدوءه فهال أمره وخشى على
نفسه منبهة ذلك التخاذل والاضطراب حتى خاف
أن يؤدي به إلى فقد عقله بعد أن استعاد بصره .
فزل الهدوء على قلبه كما تنزل قطرات الندى على
الأزهار المتفتحة ، فارتجف عند شعوره التام بظلمة
تلك المسجزة التي حدثت له ، تخفق قلبه ، وجف
حلقه ، وأخذت أنفاسه تخرج من بين أسنانه كأنها
صغير عال ، ورشاه تتحرجان في صدره كأنه طائر
مذبوح

ثم عادت أمه إلى القرع ، وعاد هو إلى جوابه
الأول « لم آتته بعد » لقد سمعها تناديه باسمه في شوق
وحنان ، ولكنه كان يعرف أن الوقت لم يحن بعد
لشاهدتها ، فلم يتجاسر أن يهدي من هزة الفرح
التي تتربها فيه أمه المحبوبة لأول مرة . فساد إلى
التحديق في البحر والسماء

قضى في حمية نفسه ساعتين حتى خف انفعال
الخوف الذي شعر به عندما أبصر لأول مرة ثم
استلقى على الفراش بين الوسائد في حالة من الهدوء
الذي يشل الإرادة ثم عادت إليه أمه تناديه من جديد

أن تصدق ما قوله لك . كان ينبغي لنا أن نمدك لهذا ولكن كيف تنبأ به ؟

— لقد ظننت أنني أبصر . لقد كان هذا حلماً ثم طوفت في المي ثانية ، فصاحت أمه : لا . لا . إنك لا تزال حافظاً لبصرك

ثم أردفت أخته قائلة : وسيتق لك مادمت حياً ! ثم استطلعت الأم : نعم . ستكون قادراً على الإبصار بعد الآن . إن ما علوك ليس العمى ، إلى متى كيف أقمك ! إن الشمس كانت على وشك التيب والفضوء يجبو طاماً عند كل غروب . إنه لم يكن إلا ما نسميه نحن الغروب أو الليل ! ولكن كان لابد من مضي بضعة ساعات قبل أن يتحقق الشاب من هذا بنفسه .

تلميذ منبسط

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى المصروسيه ، والأوديسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأديف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعه ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلد

خلاف أجرة البريد

يجب أن سود ثانية إلى حياة الظلام ! يجب أن يرجع إلى وادي الظلال العميق ! لم يده له يده هذا القبس الضئيل إلا الظلام السرمدي !

ولم يبق له بعد الكشف عن عجائب هذا العالم إلا ليل أشد قتامة بصره حتى الموت ! إذ كان بصره وهو جالس يتلوى ويتألم أن نور عينيه يجبو وشيكاً وشيكاً !

ثم تفجرت أعماق ذلك القلب الكبير حتى تحطمت فأخذ يصب اللعنت على ذلك القدر اللعون الذي يسخر منه إذ لم يكده يذيقه طعم الحياة المائتة حتى حرمه منها وقد فضحت وطالب أكلها !

فصاح وهو يتحسس طريقه إلى الباب في ذلك الظلام الذي ألفه

ثم أدار المفتاح وفتح الباب على مصراعيه وضرب بقوة للتألم للفجوع ذلك الكون الذي كان يجيم على المنزل ثم سقط على الأرض مشتماً عليه ...

فلما عاد إليه رشده ظن أنه قد انتقل من هذا العالم إلى عالم القبر ، لأنه لاح له أنه يستطيع أن يصير مرة ثانية ، ولكن ليس كالرثا الأولى ؛ وأحس أن نوعاً من الضوء اللامع الناعم علاّ الجوى ، ورأى وجه أمه التي كانت حانية عليه كأنه شبح خفيف ! أتستطيع أن تراني يا عزيزي ؟

— نعم . فأما ميت الآن . أستطيع أن أبصر من جديد . فدفنت منه وقبلته ثم تحمت قائلة : « عزيزي فردينا ، إنك حي ، إنك لا تزال في عالمنا المميز . إنك .. لا . لا . يجب ألا نتأقشنا بل عليك

بهجتها وزينتها وفننها
ووثوبها ، فهي أشمة من
الجمال والسر ، وظلال
من الرخاء والبشر ،
ونسبت من الروح
والعطر ، وأخيلة من
الحب والشر ، ومُتَع
من نعيم التمدن الإسلامي

القائم على العقول والجسم ، وسعادة الدين والدنيا ،
وراحة النفس والناس

اتجه الرجلان وتما صهما الصامت نحو الصوت
فجرهما إلى بستان مشرف على النهر قد جلست على
عريش من عرائشه الكاسية بأشبات الرياحين
والزهر جارية في وفرة الجمال وزهرة العمر تسل
هذا اللحن النزلي الشجي الضارع كأنما تهديد
به جبا لا يهجم ، وتناجي به حبيبا لا يسمع !
فدار بين أعظم الرجلين وبينها هذا الحوار

الرقيق :

— لملك تودين أن يكون لهذا الفناء الساحر
سامع !
— لو كنت أوده لأعز على أن أجده
— وهل خلق الله مثل هذا الصوت لينبذ
في الهواء ويضيغ في هذه الخلوة ؟
— سل الليل حين يمت الشمو هل يشته
إلى أذنك . وسل الشمس حين ترسل الضوء هل
ترسله إلى عينك . وسل الزهرة حين تبث المطر
هل يتبته لأذنك ؟
— تبارك الله ! براعة في الفناء وبراعة في

من أفاضل الخب في عصر الرشيد

بهيمة

بقله الأستاذ أحمد حسن الزيات

— ١ —

— ما أجل هذا الصوت ! من أين مصدره ؟
— من صوب النهر ! مولاي
— إن حلاوة وإشغاه لينتان عن ظرف
بارع وسيما نضر

— لعلما قننة في زورق من زوارق الخشبيين (١)
ترف على لوم للما بين البناء والحسن كالعادة

— مل بنا إلى الشاطئ فملتنا ري مصداق ما نسمع
وكان الرجل الذي سأل وأمر طويلا بدين
الجسم أشقر الحجة على وجهه جلالة السلطان
وعزة الملك ؛ أما رفيقه الذي أجاب وأطاع فكان

ساويا له في العمر ، ولكنه كان ريمة للقوام رقيق
البدين أزهر اللون ، تتوسم الظرف من ملاعه ،
وتبين لكاء من وراء لفظه . وكانا بلسان ملابس
التجار وعشيان مشية المستطلع بين القصور الناعمة

القائمة على دجة من كرخ بشلداد في أسيل يوم
من أيام أبريل . وعلى ثلاث خطوات منها كان يسير
رجل وثيق التركيب عظيم البسطة يلحظ لحظات الصقر
ويرطها بين التمر . وكانت دار السلام يومئذ في أيام
المروس (٢) من عهد الرشيد ، قد جمعت فيها الدنيا

(١) كان يطلق هذا الاسم في بشلداد على أهل الترف
والقهر والفتوة (٢) كان الناس يسمون عهد الرشيد
لرخائه وجماله أيام المروس

واللغة ! ولكن هذا القصص الذي لا ثاني له في دنيا
الناس لم يستطع بما فيه من النعم المافق والسرور
التصل والمو المختلف والأشجار المحمولة من كل
أرض ، والأطياف المجلوبة من كل سماء ،
والأواوين المتجدة بالدياج والإبريس ، والبرك
الزداة بالتمثيل والدنى ، والسلطان الذي خضع
له الدنيا ، والجلال الذي اعتر به الدين ، لم يستطع
بكل أولئك أن يمسح عن وجه بهيرة هذه الكآبة
الناشئة ولا هذا السحوم الملح ؛ فقد كانت أغبه
بالوردة المتقطعة على المائدة النازقة في السرور الطائفة
باللغة : تنوى ونعوت وكل ما حوالبها يزدهى
ويشتمش . فهل كان قصر الخليفة أضيئ من قصر
التاجر ؟ أم كانت سيادة ابن وهب أهدى على قلب
بهيرة من سيادة الرشيد ؟ واقع الأمر أن هذه الحال
لم تطرأ على بهيرة في عيشها الجديد ، وإنما كانت
تلازمها وهي في ملك ابن وهب ، وقد تذرع هذا
بالطب والحيلة والحوالي أن يفقه عن جاريته المحبوبة
فما كانت ترداد على عنايته بها ورعايته لها إلا هماً
على هم ، حتى استرأب في حبها إياه فحاول أن يصل إلى
سرهما ويرى متجه هواها فما استطاع . فلما ساءمه
التنخس عليها بالتمن الرشح نزل عنها غير آمن
ولا آسف

كانت بهيرة قبل عامين قد وهبت قلبها الخالي
للمنتظر لفتى من سراته بتداده الطرقات فشقته كله .
تفتل فيه تنقل السر ، وشاع به شيوخ السرور .
ثم تقلبت عليها الأيام والأحداث وهما تملآن من
رحيق الحب ، وادمان في ظل الأمان ، حتى نزل بالفتى
ما ينزل بالترفين للمتطلعين من كساد الحال وهجوم
القاعة . فباع كل ما يملك . ثم عاش على الأمان فترة

الداء وبراعة في الحسن ! ملنا نسمين ؟

— بهيرة

— ولبن تكونين ؟

— لسيدي على بن وهب

قالت ذلك بهيرة ثم حبت الرجل وصاحبه
وانطلقت بين أشجار البستان كأنها عروس
من عرائس الروع ازدهاها الريح فطفرت من
الراح راكنة راقصة

— لقد وقت بقلبي هذه الجارية يا جعفر

— إن شاء أمير المؤمنين كانت في ملكه من اللند

— ٢ —

وفي غد ذلك اليوم انتقلت بهيرة بالشراء إلى قصر
الرشيد بالرافعة ، وكان موج بالحدود والرفدان موجاً
الفرودوس ، حتى بلغ ما فيه من السراى والقبان
زهة ألقى جارية من الروميات والكرجيات
والجركيات والبريات والجشيات ، يرطن
في الأفواف اللواشة بالذهب ، والمصابب الموصعة بالبر ،
والمناطق للنسوجة من المسجد ؛ ويخطر بين دوائر
الحرم موكس من اللال ، نشاوى من الحسن ،
ينفخ بالفتون والحب كما تنفخ الزهور العاشقة
بالطور للزينة في مية الريح ...

أحلبها مسرور الحصى مقصورتها الأنيقة بين
مقاصير سحر وضياء وخت^(١) وأفاض عليها من
الوشى والزينة والحلى ما جعلها قطعة من الفن الجمالى
الخيالى لا تبلىها قريحة شاعر ولا عبقريه مصور .
وانتمرت بهيرة في قبض الجمال والنور والترف

(١) من الخياطى الثلاث اللان استأرن بهوى الرشيد
حتى قال فيهن :

إن سراً وضياء وخت من سحر وضياء وخت
أخذت سحر ولا ذنب لها ثلثي قلبي وترباها الثلث

فكان يسأل إليها في الظلام أو في النفلة ، فيقضى معها ساعة من النهار أو هزياً من الليل ينضحان فيه غرامهما للسور بالحديث المسول والتبذل التدية وفي ذات ليلة طنى عليهما الحب وعصفت برأسهما الصباية فتولدت فيهما نخشة من الأمل والرمز . قال سليمان وهو يثبت نظره المتوقد في نظر بهيرة الساجي :

— لقد أعددت عدة الخلاص ومهت لك سبيل الحرب

— وماذا أعددت يا سليمان ؟

— أعددت لك هذا الثوب التلامي قال بسبه واخرجه تحت الليل حين تخضع الأصوات وتهجع الليون ولا يدخل ولا يخرج إلا برسل الأسرار بين قصور السادة والقادة . وسأكون في انتظارك لدى مشرع القصب من دجلة

فقال بهيرة ودمعها الساجم يتقاطر على خديها تقاطر الطل :

— أنسيت يا سليمان أني ملك الخليفة فلا أخرج منه إلا بالبيع أو بالتق !

— لم أنس يا بهيرة ، ولكن الخلاص ينير ذلك عال

— وكيف يصقل لنا العيش يا سليمان وهو شقاء متصل بمصيبة الله وخيانة الخليفة ؟

— ربك يا بهيرة أخفى هذا الصوت في نفسك ، وفكرى قليلاً في بؤس وبؤسك . ليس لي غيرك وليس لك غيري ؟ أما الخليفة فله ألفا جارية ، وله أضعاف من إنشا شاء . والله يا بهيرة ينفر القلوب جميعاً

— ألا تظن يا سليمان أن المذاب في الحب غيب ، والموت في سبيله شهادة ، وأن هذه الساعة

من العمر ؟ ورأى آخر الأمر أن من الاخلاص لحبيته ألا يحمّلها وزر إسراره ومواقب طيشه ، فباعها على الرغم من تشبثها به وإشارتها إليه على ابن وهب

وحأب زورها يوماً بديوم وهي في قصر ابن وهب من وراء الحديقة ومن خلال السور وهي تنتظره في المربى النعير أهافيه الخليفة يوم تنكّره ، فيساقيان كؤوس الموى ، ويتناقلان حديث الملى ، ويتشاكيان حرقة الوجد ، وينظران نظرات الأسمى للرب إلى دجلة والشباب الأحباب يشترقون على وجهه إشراق البسمة العذبة على ثمر السعيد ، فيذكران كيف كان هذا النهر الخالد مسرحاً لصباحا الإلهي ، وشاهداً على جهما الخالص ، وكيف نظر إليها الدهر الخثون فتقوض الرمح الأمل ، وتفرق الشمل الجميع ، وآل الأمر بهما إلى أن يكون بين قلبهما غازل لا يُستغل ، وبين جسمهما حاجز لا يُفتح

كانت بهيرة وهي في قصر ابن وهب تستطيع أن ترى سليمان وأن تتحدث إليه وأن تترك للأقدار الرحمة إسما في حبها البائس بالثروة الرجوة فيستردها إلى ملكه ؛ ولكنها انتقلت الآن من عش الحمام إلى غيل الأسد ! فنذا الذي يستطيع الدهنون قصر الخلافة ؟ لقد شرب الدهر بيها وبين حبها إلى الأبد ؟ فلا هو يستطيع إليها الدخول ولا هي تستطيع إليه الخروج ؛ فكأنه مات من دنياها ومات من دنياه . وبين الخلافة لأمثالها قصر في الأول وقبر في الآخرة

— ٣ —

على أن الموى كالسكر لا يعرف الحال ولا يحس الخوف ولا يصير السابقة . فقد احتال سليمان حتى ظفر بثياب خادم من خدام جعفر بن يحيى . فكان يدخل قصر الرشيد في هذا الزى فلا يرتب فيه الحراس ولا ينكره الخدم . وعرف مقصورة بهيرة

ساق بها العفو وقصرت عنها الشفاعة ؛ ولكنني أعلم كذلك أن حلك لا يستغني عن عفوكم لا يتماظم ذنب. فبلى لدم سليمان فقد جنى عليه حيي، ووسى إلى علمه وجودي . وهو يلا ولا يرى الساحة صادق التوبة سرى الخلق

: فقال لها الخليفة : إن هذه الجريمة تُنسى بوجهها الواقع سورة الرحمة . فأسألني ما شئت إلا العفو ، فاني لا أُمْنَح إلا ما أمك .
فقلت بهيرة : إذن تدني يا مولاي ألا يُقتل حتى أراه .

فقال لها الخليفة : لك هذا الوعد .
وأرسل وراء الجلال يأمره أن يرد عليه سليمان قبل أن يغنى قضاءه فيه .

فلما خرج الرسول أدارت بهيرة بصرها في السماء والقضاء والطبيعة ، ثم أرجعته وهو يفيض بالجمع والأمل ، ورددة في نواحي السنان ، وفي جوانب السكان ، وفي مرابا الجدران ، وفي حلتها الذهبية ، وفي حليتها الأثرية ، وفي وجه الخليفة ؛ ثم أدخلت إصبعها في عجزها فاقطعت بهما عينيها فصاح بها الخليفة وقد أفزع ما رأى :
— ويحك ماذا صنعت بنفسك ؟

— فديت ببسني حبيبي يا مولاي
— وكيف ذلك يا حقا ؟
— أأنت وعدتني يا مولاي ألا يُقتل حتى أراه ؟ فالآن لا أراه ولا يُقتل !

كان أثر هذا الحادث بالغاً في نفس الخليفة ، فبسط على الماشقين جناح رحمة ، ومهد لها الحياة المميعة في ظلال نعمته . وقامت القادة الميامن دناها بالعيش على نور الحب وفي كنف الحبيب !
الزيارات

التي تلتق فيها على غفلة من الرقيب بين الخوف والأمن ، وبين اليأس والرجاء ، أدنى إلى الحب الصحيح والسعادة الحق من العيش الفرير النام على سهاد الرذيلة ؟

— أطبى الهوى يا بهيرة وأصعب العقل . قال الماشق لا يعيشون بقول الخليلين ولا يخضمون لقوانين المجتمع
وأسلس لسليان السمع والكلام فأوشك أن يحمل بهيرة على رأيه لولا أن قرع باب القصور قارع عنيف ، فاستطير قلب الماشقين من الرعب ، وأيقنا بالهلاك المحتم

وفتح الباب ودخل مسرور قهرمان القصر وسيد الوالي وحاجب الرشيد ، ومعه نفر من الحراس ، فأمر بالقبض على سليمان ، وكان قد سمع بأذان جواسيسه ما دار من الحديث بينه وبين بهيرة

— ٤ —

سيبق الماشقان إلى مجلس الخليفة الخاص متمعين بانتهاك حرم الخلافة والؤامرة على الفرار والخلوة الأثيمة . فسلما عن جليلة الخبر فأحاطا بهيئته ، واستنهم الشهود عن تفصيل الحديث فأدلو به على نفسه . وكان الخليفة مفتوناً بهيرة لاجرب عليها من الوفاء والدكاء والصدق فضا عنها ، ودفع بسليان إلى مسرور بنفذ فيه حكمه

فتقبل الماشق للكنود الحكم عليه قبول من راض نفسه على التسليم بالقضاء المحتوم والأمرا الواقع . وذهب به الوالي إلى لقاء الموت ، ولبثت بهيرة في حضرة الخليفة شاخصة لا تطرف ، واجمة لا تنطق ، كأء أخرجا المجموع من الحياة ، وقصصها بالدهول عن الوعي . ثم أرأت بينهما في سكون ، وحركت لسانيها ببطء ، وأثت بنفسها على قدس الخليفة وهي تقول :
مولاي : إنني أعلم أن الجريمة إنما صنت للشر

هذا البلد الحرام ، فلم يكن ينجو من
حجارة النجنيق إلا إلى شر الصواعق ،
فكان الطبيعة قد ثمرت عن ساقها
للقاتل ، فعى ترى المهاجرين والمدافعين
والآمنين من صواعقها ورجوسها بشواظ
من نار تصيب به البور والمنازل فتدعها
قاعاً صفصفاً كأن لم تنن بالأس .

والحجاج ما يتفك بحالاً مقارعاً يقذف بأحجار
متجنبة وجناحه بيت الله فيهم جدران بيت الله ،
وبرى بيوت الناس فيهلك من يق فيها من أشياخ
عجّز لا قبل لهم بالحرب وأهوالها ، وأطفال برماء
لا يد لهم في جرائرها وأوزارها ، فيختلط عويلهم
وصراخهم بهزيم الرعود وزئير الطبيعة ، ثم تضيق
هذه الموسيقى الروعة في جلبة الانهزام ، ويخفى
التبار التائر حول للنازل للمهودة هذا الشهيد
الرعب لحظة من زمان ، ثم يتجلى فأذا التراب قد
حوى كل شيء ، وإذا المدينة الماصرة المقدسة مقبرة
من القابر !

وامتد رواق الليل فنامت الطبيعة وكفت عن
هياجها وجنونها ، وصفت السماء وأطلّ البدر من
عليائها ونامت الحرب . وكانت ومثمنطقة لم تستكمل
ما تراه من شراسها ، ولم تنم أنيابها ولم يستطر
شرها كما استلار اليوم ففنت لا تنام ولا تنيم ،
وكان في نفوس المتحاربين شرف ووقار فاستراحوا
وأراحوا ، ولم هؤلاء الأبطال المدافعون نوم الأسد
في آجاسها كما لم هذا الجيش الجرّار الذى امتد
زحفه حتى ساقب أبواب الحرم .. سكن الليل وعم
شوارع مكة المغفرة الخالية حيث كان جيش ابن الزبير
يروخ ويندو بطيوله وراياه ، فطوت كف الردى

من التاريخ الإسلامى

لَيْلَةُ الْوُكَاعِ

لِلْأَسْتَاذِ عَلِيِّ الطَّطَّارِ

وَلَى نَهَارِ الْاِثْنَيْنِ ١٦ جَادَى الْأَوَّلَى سَنَةِ ٧٣
الْهَجْرَةِ ...

وخلف مكة وحى ثكلى ملثامه ، عطمة القلب ،
غلمة الأضلاع ، قد غرقت في دماء أبنائها الذين
ضربهم يد الدهر ففرقت جمعهم ، وشنت عليهم ،
فراحوا فريق مصرعون على أرض الحرم ...
وفريق تحت رايات أمية قد أرمضتهم هذه الحرب
الطويلة التى حلوا عناءها ، وقاسوا لأواءها سبعة
أشهر لم تدع لهم أخضر ولا يابساً ، قتلوا من مكة
لواذاً ، ثم تسلقوا هذه الجلاميد التى انتشرت عليها
جيوش أمية النازية ، قاستلوا إليها وأخفوا
لأنفسهم أماناً كما كانوا عوناً لها وجنداً فيها ؛ وفريق
أقاموا على الولاء لابن الزبير ، يذكرون من ملأ
من أهلهم فيفصّون بلاء حزناً وألماً . ويذكرون
من فرّ من إخوانهم فيوادون وجوههم حياءً
وخجلاً ، ثم إنهم ينتظرون للوت بين كل لحظة
وأختها ، ويمشون خائفين في مقام إبراهيم (ومن
دخله كان أمناً !)

وألقى الليل غلاله السود على هذه المدينة التى
عصتها الحرب بنابها وأصابها بأوصابها ، فباتت
تنفّس الصعداء من شدة يوم قاس عبوس مخالفت
فيه الطبيعة الماتية والبشرية الطاغية ، على حرب

وأزاهر المجد إلا من جلايد مكة ومخورها ،
فأمّ بزحفه رموس الجبال ، ثم هبط نحو مكة ،
يستلزي راية الظفر ، حتى امتد بزحفه هذا الذي
كان يحسبه مجيذاً إلى أبواب الحرم ...

وأنتي نظرة القائد الشاب (ابن السبع والعشرين)
على الحرم فرأى الكعبة ، وقد أضاءها القمر يشعاعه
الكأبي ، فبدت مهدمة مصدعة الجدران رهية ،
فراعه ذلك وأخافه ، وعراه ارتجاف شديد هز
كياه كله ، ضاف ذكر كراهه وأعرض عن المجد
والآمان ، ولم يبق في فكره إلا سورة بيت الله
المهدم تظل ماثلة له بعد أن أغضض عينيه عنها ،
فيحس بأنها تقبل على قلبه حتى تكاد تسحقه سحقاً ؛
ويكبر هذا الذي أقدم عليه وتعالى نفسه خشية الله ،
فيندم ويشتد به الندم ... ثم يذكر وعده الذي
وعده للخليفة ، أن يقضى على ابن الزير . ويسيد
إلى النوبة سلامتها ووحشتها ، ويشعره جلال هذه
الغاية ومحوها استئصال ما أتى ، وينهب يلتمس
لنفسه الماذر

أليست وحدة المسلمين وسلامة دولتهم دامة
حياتهم ورأس دينهم الذي قام على توحيد الخلق ،
ووحدة المؤمنين ؟ أليس شأن هذه الوحدة من
واحيات الخليفة ؟ وما ذنبه هو إذا أمره عبد الملك
بضرب الكعبة لتحقيق الوحدة ، وما هو إلا
جندي في طاعة عبد الملك ؟ بل ما ذنب عبد الملك
وهو أمير المؤمنين السلول عن مصالح المسلمين
وسلامة دولتهم ؟ أيعق الملكة شطرين بيت فيها
للفسادون ويهلكها الخلف ؟ وأي جسم يعيش إذا
انقسم جسمين ، وغدا قطعتين ؟ أوليس على عبد الملك
أن ينقذ المسلمين من هذا الخلاف ولو دفع ثمنه حياة
ابن الزير وسلامة حصونه وقلاع ؟ فأذنب عبد الملك

راياه وطوبوه . وهذه الأوعار الصم التي انتشر عليها
جيش الحجاج بكبريائه وعنفوانه ... عمها كلها
صمت عميق وهدوء شامل ، فلا تسمع في ثناياه إلا
سيجة حارس يتنقل شبحة خلال السواد ، أو سرخة
جريح معذب ، ثم يهود السكون

نالت السيون ، واستسلم المتحاربون إلى سيات
أعشى لا تبصر فيه مقلة حلم ، وأوراق القمر عنوبته
وهدوءه على هذه الجبال فبدت جبهة ضامة ، غفا
فراشه سيد الموقف ، وظل الجيوش المظفرة
وقائدها ، وانسلّ في خفية كيلا يشمر حرسه
وأعوانه ، فجلس على باب القسطنطين يتأمل هذه السماء
السايفة ، ويحدق في النجوم التوقدة للتلافة ،
فتفتح عليه باب الذكرى ، فيلج منه ساعات أيامه
فيعيش فيها وينسأ أريجها ... وحلته هذه النجوم
إلى ذكرى بعيدة ، فأحس بأنها عزيزة عليه عيبة
إليه ، فطقق يتأمل سورة تلك الآية^(١) التي قضاهما
في الصحراء وحيداً فريداً قد هجر بلده وحياته ،
ليقدم على بلد لا يعرفه وحياته لأعهده بها ، ويستعيد
خوابه التي كانت تتلجج في نفسه ، وذهب إلى أبعد
من ذلك فذكر أيامه في تلك الأعالى الباذخة ، حين
كان مسلماً لصبيان الطائف ، وأمانيه التي لم يكن
يأنس إلا إليها والتي يحاول أبداً أن يستشف خيالها
من وراء حجاب الغيب ... واستمرأ بقايا تلك الالة
التي أحس بها وهو خارج من دار (مستشار الدولة)
روح بن زباج وقد قلده شارة الشرطة ، فكانت
عنده أكبر من شارة الخلافة ... أين ذلك الشرطي
من قائد الجيش المرصم الذي ترك جنات الشام
الألفان وسهولة الفتيح ، وأبى أن يقطف غمرة النصر
(١) رابع قصة (هجرة مسلم) في العدد للتر من الرسالة

كما أهلك الأم من قلوبهم ، فاندفعت قلوبهم وطارت قلوبهم شامعا ، فقام فيهم يطعنهم ويهدبهم :

— (أنا ابن تهامة ، وهذه سواعقها ^(١)) فلا تخافوا ولا تراعوا

سنة الله التي لا تبدل لها ، وقواته في كونه لا تمنها أمور البشر ولا تبدلها حوادث الأرض ، وما قيمة جند الشام حتى يدع الفلك من أجلهم سيره ، وتخرج الطبيعة من سننها وتخالف طريقها ؟ وانطلق يحشهم حديث رسول الله ومعلم العالم حين استأثر الله بإبنه إبراهيم فكسفت الشمس فظنوا أنها كسفت لوته ، فنبأهم أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينفهما موت أحد ولا حياته ...

فاطمان الجند وعادوا إلى تسديد الرماية وضرب الكعبة ، فمادت السماء إلى زجرتها وزئيرها ، وانقضت سواعقها ، ولكنها أصابت من جند ابن الزبير مثل القى أصابت من عسكر الشام ؟ فأمن الجند وأقبلوا بالون قذف الحجارة ...

إنه لم يضرب الكعبة على أنها بيت الله ، ولكن ضربها على أنها قلعة من قلاع ابن الزبير ؛ ولم يقدم مكة فاتحا ، ولكن قدسها حاجبا عرما ؛ وحج بالناس ولكنه لم يطف ... ولم يكن له إلا الوحدة الإسلامية غاية ، فهو يعلم أن المسلمين كرجل واحد ، فأمر رجل هذا الذي له رأسان ... ؟ ولقد نهأ فقيه مصر وإمامه (عبد الله بن عمر) أن يضرب الكعبة فيؤذي الطائفتين بها ويسفل مناسك الحج ، وشدد عليه في النهي ، فأطاع وامتنع وترك الناس وحجهم ، حتى إذا استكملوا مناسكهم وفرغوا من عبادتهم ، لدى فيهم بالرحيل إلى بلدانهم وعاد يحارب ابن الزبير ...

(١) هذه الجملة من التاريخ

إذا اتخذ ابن الزبير بيت الله حصنا له واحتفى به ، واستغل حرمة ؟ ... أمن حق البيت الحرام على عبد الله أن يدعه أكنافا في ظله ، يدعى ملكا ويشر راية ويتخذ جيشا ، فيلقى في مشر الحج ملكان مسلمان ، ورايتان وجيشان ، وبأي الله والاسلام إلا راية واحدة لجيش واحد يسيره خليفة واحد ؟ أوم يكن أخلق ابن الزبير لو جنب بيت الله أحوال الدنيا وأوضاع المطامع وخرج بجيشه إلى الحل ؟

وانطلق القائد الشاب يفكر في ابن الزبير وعبد الله ، ويسود به الفكر إلى رحلته الأولى يوم صافح سمه للمرة الأولى اسم ابن الزبير ، فإذا هو اسم ضخم عجيب وإذا هو يتلوى على السيادة والتفكر ، والملك الواسع الذي يظل ثلاثة أرباع البلاد الاسلامية ، وإذا اسم عبد الله ضار هزيل ، فإزال هذا يضخم ويسلم ، وما فتى ذلك يهزل ويسؤل ، حتى انزع عبد الله الذي كان قابعا في زاوية قصره في الشام ينتظر أن يتلبه عليه ابن الزبير — انزع العراقين والحجاز ، ونازل عبد الله في قرارة داره وداره ملكه . أليس هذا دليلا قاطعا على أن ابن مروان أحق بالخلافة من ابن الزبير ، وأقدر عليها وأولى بها ؟

وأثنت منه نظرة فوجت على الكعبة ، فأعادت صورتها الرهيبة إلى صدره ، وأحس بوجل شديد ؛ فذكر تهيبه الإقبال عليها ، إذ كانت مثابة الأمن ودار السلام ، منذ الزمان الذي يضع أوله في طغوفة البشرية ؛ وذكر كيف فرغ جنده وأحجوا ، فشد من عزائمهم ، وهون الأمر عليهم ؛ وكيف عيست السماء وبسرت حين شرعوا بتسديد الرماية إلى صدر الكعبة ، وأثقت برجوسها وسواعقها ، قتلتهم مقتلة ، فأردوا وامتنسوا ، وظنوا أن الله مهلكهم

فلا غل التحديق فيه والتجوال في أرجائه ، تقتش
عن هذه الفتاة التي عرفتها في سالفات أيامها ، فلا
تليث أن يجتلي خيالها فتطمئن إليه وتجد فيه صباية
نفسها وبلغة أمانتها ... وترى هذه الفتاة وقد أهديت
إلى بلها الذي خلا كيمه من المال ولكن نفسه
ناضت بالحب ، فشاركته حبه وفقره ، وأقامت من
نفسها أنيساً لنفسه وخداماً لبيته ، وسائساً لفقره ،
تلتقط لها النوى ثم تدقه ، وهي سيدة هائلة تعيش
لبيتها وزوجها الذي تنهل السعادة من نظراته وكلماته
وتقبس المتعة من حبه وإخلاصه . فاستراح قلبها
إلى هذا الخيال الذي ترى ، وشمرت كأن دم الشباب
قد عاد يجري في عروقها بجمارته وتوبه وفورانه ،
وأحست بالنور قد عاد يضيء في عينيها ؛ فاستقرت
على شفتها بسمه عريضة ، طفت صورتها على جبينها
المجيد فأومض فيه بريق من السعادة خالف ورجع
إلى وجنتها ظل من حمرة الشباب الآفل ، حتى لو
أن إنساناً رآها في تلك الساعة لا رأى عجوزاً شطاء
عمياء ، ولكن فتاة في السابعة عشرة ...

وقضت عنها المعجوز غبار السنين الساتة ،
واظلمت تعيش في بقايا ليلة من ليالي زواجها
الحائلة بالفرام والتبل والسعادة ، تنصني إلى أغاني
الحب تيمم همساً من فم ذلك الزوج السمود ، وتدوق
بين ثناياها حلاوة قبلة المصولة وتسمع بأذنيها
وسوستها الناعمة . وتبالغ في التخيل ، فتمد يدها
تماحه وتحنى وجهها في صدره العريض وتلق برأسها
على قلبه الكبير الخافق الذي يخفق أبداً للحب
والمجد والايان ... ولكن رودة الحجر الذي ألقت
عليه رأسها أطفأت جذوة أحلامها ، وردتها إلى
حاضرها ، فذا هو ينشر أكتافاً الموت على مسراها
ومباهج حياتها الماضية تنسى كيف استقادت إليها

وسكن الحجاج إلى هذه النتيجة التي اتت
إليها ، واقنع بأنه لم يأت منكراً ... فساد يتأمل
هذه النجوم السافرة ، وهو عازم على بناء الكعبة ،
وسد هذا الخرق الذي خرقة ، وإصلاح ما أضلته
الحرب ؛ وراح يحدق في القمم الشاهقة التي تلوح
له عن بعد ذائبة أعاليها في الشراع الفاتح الذي يسيل
من صفحة القمر ... فذكرته كرة أخرى يئسه
ومدروسته وقرته الصغرة فأحس كأن قلبه يتازعه
إلى أيامه التي سلخهن فيها ...

— سلاماً أيتها الأرض الضائعة في طريق
الساء ... لقد وفيت لك بندري ، فعدت إليك المجد
ووهبت لاسمك الظفر . وخرجت منك معلم صبيان
ولكنني عدت إليك قائد الجيش المرصم ، فكنت
اسمحك على صفحات البطولة ، فلا يذكر التاريخ عودة
الوحدة الإسلامية إلا ذكر معها (الطائف) !
ثم استغرق في تأمل عميق ...

في تلك الساعة كانت تهدف في طرق مكة
الخالية ، عجوز طويلة ، لا تبالي هذا الظلام الثقيل
الذي يحف بها ، لأن عينيها للتفتيش قد ألفتها هذا
الظلام منذ أمد طويل ... وكانت تؤم منزلاً من هذه
النازل للفقرة ، فتمضي إليه قدماً كأنها هي قد
ألفت طريقه ، وحفظته بذكرة قسمها لكثرة
ما تتردد عليه في الصباح والمساء ، فهي تتخطى هذه
الأقفاص ، وتدور حول الجدر ، لم تقف حتى غيبتها
مداخل المنزل للهجور ، فقيست في زاوية من زواياه
جامدة لا تتحرك ولا تهمس ، كأنها هي بعض أأنه
القديم المرمم الذي ترك أصحابه زهداً فيه ... وجلت
تجيب عينيها المامدتين في أرجاء عالم مجهول ، فيبدو
لها متراً بالألوان الفتاة ، زائراً بالصور الباردة ،

قاهر كسرى وسيد الدنيا في عصره ، ثم خرجت الجيوش لتحو ملك شاهنشاه ، وتخلط سيد الدنيا في أرضه وتمود بأسلابه ، وفيها عاش النبي صلى الله عليه وسلم حياة حتى إذا مات دفن فيها . ثم أغلق بابها لا إلى سنة ولا إلى عشر ولكن إلى ... يوم القيامة . وكان من أمتع أمانها هذه الليلة أن تقف على قبر زوجها الماتل في آخر البادية . في الزاوية التي تلتقي فيها بادية العرب بسواد العراق ، يسائين الحج بالبحر ! فتجدد بزيارة عهد الماضي ...

وكانت تتناهى إليها بين كل آونة وأخرى مرخة من مرخلت الحراس ، أو أنة من أنات الجرحى . فردها إلى وعيها فتأمل هذه الضعافة الواحدة التي بقيت لها من شمس حياتها الآفة إنها عبد الله الذي مجد فيه عبق غرامها زوجها ، وعطر الامجاد التي عاشت فيها وللمارك النبيلة التي شهدتها ، وتدكر فيه تاريخاً طويلاً تلتقي حوادثه الكبيرة بهذا التاريخ الصغير الذي تحفظه لابنها ؛ وتتناهى الله كرى إلى هذا التاريخ ... فلما هي في دنيا قريش ، ودا قريش في حيرة وتلق . قد غابت وفشت في رد هذا السيل الآتي بأكفها الضعيفة . وراة الاسلام ينتشر ويمتد ولا يثبت شيء أمامه قائمات باي قنطله ... ولكنها لم تجده في بيته ، ولا لم أبر هو ... لا يعلم أين هو إلا رجل في مكة وامر : . أم الرجل قنطله ، وأما المرأة فاسماء ... ياروثة هذه الكركيت !

لقد كانت في بيتها تمد الحسم لتحمه إلى رسول الله (فان رسول الله يصعب الحسم ^(١)) وإذا بالملأ من قريش يدخلون عليها ، وهم يعدون ويبرقون ، يزهون يكبريهم الفارغة ، وعنقواهم الزبونيهاهم الزاهية

(١) جملة من التاريخ

السعادة كاملة على يد هذا الزوج الذي تبته الدنيا حين تبع دين محمد فتنا يحمل على ألف فرس في سبيل الله بعد أن كان ماله كله فرساً تطفها وزوجه النوى . وتقيب صور هذا الماضي في الليل السرمدي الذي غمر حياتها وأزعمها بالآلام والأوجاع فتنت لو أنها ماتت وهي بنت الخليفة العبقري ، الذي محب رسول الله وخلفه في أمته . ووقف وحده حين كانت الردة في وجه الناس كلهم . ثم ظفر بهم وساق المرتدين عن دين محمد ليقانوا في الشام والعراق تحت راية محمد ... أو لو ماتت وهي زوج البطل الذي ملأ حياة بطولة وشرفاً وعجداً ثم ذهب لسات في ساحة الشرف والبطولة والمجد ، أو لو ماتت وهي أم الخليفة الذي عنت له الحجاز والجزيرة والعراق وخراسان ... وكاد يدخل دمشق مظفراً منصوراً ... فضاء منه كل شيء ، حتى كانت أمية تدخل عليه مكة مظفرة منصوره واستأست من طلوع الفجر الذي يزع ظلمة هذا الليل فانطلقت تنسجى اللوت وتدعوه بأحب الأسماء وأجملها ، وأذكرها اللوت أحبتها الدين طوام في أحشائه ، فاشتت قرب الأحية — وكان من أقوى رغباتها في هذه الليلة أن تقف على قبر أبيها الذي يجاور أشرف بقعة في ملكوت الله الراسع في الرفعة الصغيرة التي بنيت من الحجر والطين وسعف النخل في المشاي الأولى لاستقرار الاسلام في يثرب ، فكانت مقر أختها الصغيرة ، أحب زوجات الرسول إليه وأفضل أهات المؤمنين وعالة النساء ومعلمة الرجال . ثم كانت صبيط الوحي وصلة الأرض بالسما ، ثم كانت دار الحكومة ، فيها نظمت خطط الحروب ، وأعدت قوانين المجتمع ، وعقدت مجالس التنوير ، ومنها خرجت الكتب إلى شيوخه وملك الفرس كسرى شاهنشاه .. وهراتليوس

ير "فير" الصبية ويتوارون ، وويق عبد الله وانقأ ..

— لِمَ لم تفر كما فرأ ؟

— وَلِمَ أفر؟ وما أنت ظالم فأخفى ظلك ،
ولا أنا مذنب فأرهب عدك ؟

فيجب به عمر ، ويكبر جرأه وبلاغته ...
ثم تبصره وقد علا ، واستعلن أمره ، وضخم
سلطانه ، فاقادت إليه الأمانى طيبة ، وتيمته الدنيا
خاضعة ... ثم أنهار هذا كله ... ثم أنهار هذا كله ...
وراحت السجوز تحديق بينيها التتين حرمتا
النورنى أفق مجهول ، وتفكر فى غير وصى ، فقادها
الفكر إلى دنيا تحبها وتأنفها ، فإذا هى ترى كرة
ثانية بداية هذا المسباح الذى غير الكون
ضوءه ، وغسلت أنواره الأرض من أرجاس ليل
طويل ماتت فى ظلامه الفضائل والمُثل ...
وتفكر فى قوة هذه الرسالة التى انتصرت على العالم
كله ... وترى حاضرها المضى قشجى وتنام .
ما أسرع ما نسي الناس هذه المبادئ وأجدبت
نفوسهم منها ، وهذه أسلاد حراء ، وهذه جلاميد
ثور ، لا تزال غصبة غضرة ... أفنكون هذه
الحجارة وهذه الجلامد أوفى وأحفظ من قلوب
البشر ؟ وإذا نسي الناس أفلا تذكركم هذه الجبال
الشاهقة التى شهدت عزة محمد وإبراهيم إليها لىالى
بطولها يفكر فى خلق السموات والأرض ،
واختلاف الليل والنهار ، ويفتش وراء مظاهر المادة
عن مبدع المادة ... ثم شهدت منبتى الرعى ،
وأشرف عليها هذا العجرفأشاء جناحها وسخروها ،
قبل أن تسطع أنواره فى السهول والقرى . وسمته
وأمنت به قبل أن تسمه ، هذه اللذان العظيمة
المتنورة فى الأرض ، أولاً تذكركم ساحة الحرم ...
ومثلت لها (حين ذكرت ساحة الحرم) الكعبة

فقال لها أبو جهل بلمجة حاول أن يمسها غمة
طاية ، ولكنها جاءت أقرب إلى التصنع والاحتمالك :

— أين أبوك ؟

— وما يدري أين أبى ؟ لا أعلم ؟

فلم يترفع هذا السيد الذى عجز عن ردِّ محمد ،
عن أن يرفع يده على امرأة ... لقد لطمها لطمه
أطارت قرطها ... ومدت السجوز يدها تلتس
أذنبا على غير شعور منها ، ومست يدها جلثها ،
فقد كانت يومئذ حائلاً ... بالبطولة هذا السيد
القرشى الذى يضرب امرأة حائلاً !

ثم استدار المشهد فإذا هى قد انطلقت من دنيا
قريش الضيقة المحصورة ، إلى دنيا محمد الواسعة
الفضيعة . لقد هاجرت قطع الصحارى والقفار ،
حتى أشرفت على نخيل المدينة ، فوقفت على هذه
الجنان الطاهرة ، التى أسس فيها أول مسجد نبى
على تقوى ، فسمعت وحدها هذا النشيد البلى ،
الذى أسفت إليه الدنيا كلها من بعد ، والذى يتردد
إلى يوم خمس مرات فى كل نهار ، تتجاوب به للذكر
فى كافة أرجاء الأرض ...

وهناك وسط هذا النشيد الذى يتألف من
كلمتين اثنتين لم تعرف ألسنة البشر أقوى منها هدراً ،
وأعد فى النفس تأثيراً ، بما : « الله أكبر » : صاح
البشير أن (أول مولود فى الإسلام) قد استهل ،
فانتشرت به صدور المسلمين حتى كان كل واحد
منهم كان أباه ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خفكه ويارك عليه ، ودعا له ...

وتخلت عبد الله وهو صبي يبايع رسول الله .
ورسول الله يتسلمه ابتسامه تفيض بالحب والرضا ..
ورأه وقد شب حتى صار يلعب مع الصبيان
فى الطرقات . وإنه لنى لبيه وإذا بسر القوى المهيبة

لستيقظ مع الفجر قوية نشيطة . فنيّ إلى ظلال
وحدة هائلة تستجم فيها ، وتفرغ لنفسها لتفرغ
من بيد لأعدائها ... ولكن العجز عقلت لحظة
عن عواطفها التي خفتها في صدرها ، فاضلقت
صارخة صاخبة ، فتصورت العجز نفسها بيد
عبد الله فلم تطلق أن تصور ... وعادت إليها أوتئها
فظم عليها أن تفرط بولها الحبيب وهي على عتبة
الموت وهو عمادها وعونها ، وحاضرها ومستقبلها
وهو كل شيء لها ، وعادت تمرض ذكراته مذكاً كان
طفلاً إلى أن غدا شيخاً ، فحس أن أمانها كلها
تختصر ساعة تضم فيها ابنها إلى صدرها ، ثم تنسى
نفسها وهي بين ذراعيه ، حتى تسلم الروح ، إنه
حياتها وهو كل شيء لها ... وراحت تبكي بينيها
التلطفتين بكاء موحياً

وفي تلك الساعة كان في الحرم طائفة من الناس
تحت علم منصوب في ظل الكعبة ، أولئك هم بقية
هذا الجيش اللجب الذي كان منتشراً بين أقصى
خراسان والبحر الأحمر ، وهذا هو العالم الذي خفق
على هذه البقاع تسعة أعوام كملات ... وليس
أروع من الجيش القوي الظافر الذي يسد منافذ
الفناء ، ويحجب الشمس ، وتمنوه الشوامخ
الراسيات ، وتعيد بقله الأرض ، إلا هذه الحفنة
من الرجال الأشداء العابرين ، الذين تحيرتهم
شجاعتهم وعقيرتهم ، فكاوا بنية السيف ، وطرائد
لاوت ، ثم آتوا الموت أعبداً على الاستسلام
والهوان ، وتلك هي حال هذه الطائفة من الناس
وكان في الجمع شيخ مستند إلى جدار الكعبة ،
تموض شعوره البيض في شمع القمر ، يفكر ،
أو هو يبدو كالفكر على حين يتجرع مرارة خيبة

الهدمة ، ضالماً أن يثبت السلون بحمة الكعبة
وهي التي كان الشركون على جلالهم وكفرهم ،
أكثر لها إجلالاً ، وأعد احتراماً ، وصبت
سخطها على ابنها وعلى الأمويين جميعاً
أيستحلون البلد الحرام ، في الشهر الحرام ،
وينسون مبادئ الرسول ولما يعض على وقاه إلا ثلاث
وستون سنة وينقضون عرى الأخوة بينهم ، ويقاتل
بفسهم بعضاً في بطن مكة ؟ ولله ؟ أو لم يبق في الأرض
ظالمون ولا طغاة يقاتلونهم ؟ أينقض السلون أديمهم
من هذا الإرث العظيم ، ويهلونه حتى يبدو في
عيونهم مجداً ، وهو الذي بلغ من خيبة أن أروع
ألم البشرية الماضية بالحياة ، وهو كئيل بأن ينمر
أيامها الباقيات حياة وجداً وفضية ؟

وألمها من ضياع هذه البادية أكثر مما ألمها
من خذلان ابنها وضياع عرشه ، بل هي قد نسيت
ابنها ، ونسيت هذا الملك الذي رفع في مجبوحته
تسعة أعوام جاء يتجرع الآن مرارتها ، ونسيت
ماضيها الآفل ، بل لقد نسيت نفسها وذهبت تفكر
فيها هو أعز عليها من حاضرها وماضيها ، وابنها
ونفسها ، في هذا البداء الذي أخلصت له ، إنه لا ينصر
هذا البداء وعلى الأمة واليان يصطرعن ويقتلان ،
فلا بد من ذهاب أحدهما ، فإلا لم ينهب عبد الملك
فليكن ابنها هو الذي ينهب ولتشر حياة الأمة
بحياة ابنها ...

وكان عزماً خطيراً ، وكانت فكرة هائلة يرتجف
لها أقوى القلوب ، ولكن قلب أساء الذي يحمل
قسطه من الإرث الأخلاق الذي صهره شمس هذه
البلاد في الألوف المؤلف من الستين وأنضجه الاسلام
وهذه لم يرتجف ولم يخف ... كانهما أن تستريح هذه
البلاد المقدسة ليله آمنة — إثر نهار ملي بالخطوب

يثره مشهد تلك الضائع ، لأن أفكاره كلها قد تطلعت بأمة ، فهو يجب أن يصل إليها ، فيمضي مسرعاً ، حتى إذا دنا من هذا التزلز للظلم الموحش تباطأ في سيره ، حتى إذا بلغ باب تهيب الدخول عليها وأحس بالمجز عن مواجهتها بعزمه ، وهو الذي لم يحس السجز عن مقابلة الخسيس المرصم ، ولم يشعر بالضعف عند مجابهة الشدائد والخطوب ، فوقف وأطال الوقوف ، وتهاذفته الأفكار حتى أحس كأن رأسه خلية نحل ... كيف يقول لها : دعيني أذهب إلى اللوت ؟ وكيف يحسك قلبه أن يتخاذل ويضعف أمام بكائها وتوسلها إليه أن يبقى ، أن يبقى إلى جانبها في أيامها الأخيرة ... ؟

كانت الأفكار تصطرع في رأسه ، وهو هادئ ساكن لا يبدى حراكاً ، قد تعلق بصره بهذه المعجوز القابعة في الزاوية يديرها شعاع ضئيل من أشعة القمر يسقط عليها من خروق السقف المهدم ، وكانت أذنه مرهقة مائلة إليها فسمعها تردد اسمه في خفوت ، بلهجة يقطر منها الحب والشوق واليأس والحزن ، فلم يتألك نفسه هذا الشيخ أن صاح : أي وأني بنفسه بين ذراعها ، فرغ لحيته بوجهها ، وخط أنفاسه بأنفاسها ونفسه بنفسها ، وتلجأ ممأ في حلم تمتع نشوان ...

ثم تنهت المعجوز ، وذكرت نذرها الذي نذره لوحدة الإسلامية وعزمها الذي اعترفته ، تخلصت من عناقه برفق وقالت له :

— ما جاء بك ؟

فغار في جوابها ولم يدر كيف يعلن عزمه على اللوت ، ثم آثر أن يرى ما عندها وقال لها :

— (يا أماء ، قد خذلني الناس حتى ولمي وأمل ، ولم يقم مني إلا اليسير من أمحاي ومن

قاعة ، ومحسن من حوله زميراً بارداً ، فكان بحاجة إلى صدر دافئ ، يقبض من حرارته الحياة والأمل ، ولقد كان شيئاً في الثمانين ، ولكنه لا يزال حياً لأنه ذلك الطفل الذي يشرع في أحضانها ثم ينطبع فيها ويرفع وجهه المشير إلى وجهها ويقطف بينه ثمرات الحب الحلو من حينها الوادعتين ، ويثبت أمامه تبت بوجهها وشعرها ...

وملاّت نفس هذا الشيخ صورة أمه ، نفس اليوم المصيب ، وغفل عن تصور النصر الذي أظلت منه كما فلت الطائر الجليل من قفصه ، ثم يوغل في مسارب الساء ، وخيئته التي جعلت حياته سوداء فارغة كظلام الليل ، ولم يد يد فكر إلا في هذه البصورة التي أطرت من بهاها وسجوها جناحين طار بهما إلى أيامه الخوالي فتثقل في رحابها الواسعة ...

... لم يق له من صورة هذا الماضي العظيم — من علم أبي بكر والوزير — إلا خط واحد ضئيف كلب ، يوشك أن تمدو عليه الأيام فتحموه اليوم أو غداً ، لم يبق إلا ذات النطاقين أمه ، أسماء الطليعة التي كانت تاريخاً حياً ، وكانت الفضيلة المجسدة ، فانطلق إليها يودعها قبل أن يموت ، وكان اللوت الشريف أبلج أمنية لهذا الشيخ البطل الذي خسر الملك والجيش ولكنه لم يخسر الشرف ولا البقرة ؛ بيد أن هذا الشيخ يخشى أن يدع هذه المعجوز يحمل معها آلام الشكل والوحدة ، حتى تبلغ بها قبرها القريب ... فكيف السبيل إلى إكراهها على التسليم به ، والرضا بموته ؟

وقام الشيخ من مجلسه يسلك هذه الطرق الموحشة التي سلكها أمه في المزعج الأول من هذا الليل ، فلم يقف في طريقه على الأطلال ، ولم

ولم يفرّ بل ثارت في نفسه حماسه ؛ وصرخ في عروقه دمه الذي يحمله ميراث عصور طويلة من النيل والشرف ، وتوثب إيمانه في صدره وأشعره أنه يقدر بهذا الإيمان على الدائم كله ، فـلـ أبوك سيفه ورجع يريد أن يثار لمحمد فإذا محمد صلى الله عليه وسلم حيّ يبلغ دعوة ربه

فكان أبوك أول من سل سيفه في سبيل الله ، فسطع من سيفه الوميض الأول لهذا الصباح الذي غمر الكون بالضياء الذي أشرق من سيوف المسلمين في بدر وهوازن والقادسية واليرموك ونهاوند ...

أغلايز حماسك حديث أبيك ؟

فلم يجب عبد الله ، وآثر أن يظل ساكناً فرجت قول :

— يا ألسنى ، لم بعد يتحرك حديث أبيك ، فلن أحدثك عن أعماده ... فهل تثير حماسك شجاعة جندك صغية بنت عبد المطلب ؟ إنك تعرف حديثها ، وتروى خبرها مع حسان بن كابت في الحصن ... فهل أطفأت لهذا الحياة لمحب الحماصة في صدرك ، فأنت في حاجة إلى قبس تقتبسه من اصمأة ؟

فبرت عينا الشيخ واشتملت النار في عروقه ، ولكنه أزمع السكوت لنفضي العجز في حديثها ، فألمها أنه ساكت لا يجيب ، وحسبت سكوتها جنبا وهلكاً ، فراحت تبالغ في تحميسه ... قالت :

— أخبرني ... أنصت ذلك الصم الزكي الذي أهرق على عتبات المجد ؟ سرعان ما نصبت سورة مصعب ابن أبيك ، ذلك الذي طاف الشباب واللال والرقاية ، وجنا عقيلتي قريش ، عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وذهب ليوت شرفاً جيئاً تحت راية الخليفة عبد الله بن الزبير

إذا كنت تعلم أنك تدعو إلى بطل ، فلم فرطت

ليس عنده أكثر من صبر ساعة والتقوم يطوفني ما أردت من الدنيا ، فأراك ؟ (١)

— أهذا ما جئت لأجله ؟ .. أجمعت نفسك عتاء السير فوق أنقاض المدينة المقدسة التي هدمتها وتركها أطلالاً لتقول لي إنك جئت وفقدت حينك وشجاعتك ؟ أجمعت تحتى بصدرى من الموت الذى سقت إليه هذه الألوف للؤلؤة من المسلمين ؟ أهذه هي خاتمتك يا ابن الزبير ويا من جده أبو بكر ، ويا من جده عبد المطلب ؟

ولم يكن عبد الله يتوقع أن يسمع منها ما سمع فطلق ينظر مشدوهاً يود أن يصبح من الفرح لأنها رضى له بالموت في مسمان المعركة ، وذلك أقصى ما يريد ، ولكنه لا يدرى إلى أى غاية ترى فيكم صيخته ويصمت ...

— مالك يا عبد الله ، أنصت أعماد أبيك الذى يجرى دمه في عروفتك ... فتمال قرب أحدثك بأعماد أبيك :

في عشية من عشيا الاسلام الأول خرج أبوك من بيته هذا ، فتسكب طريق الحرم حيث تمثل قريش بجيروتها وشركها ، وأمّ هذه الجبال القريبة يحمل في نفسه بهاء هذا الدين الجديد فهو يجب أن ينفذ إليه وأن يستمتع بزملة هاتئة ، فلم تكذب محتويه أعلى مكة حتى طرق أذنيه حرس مرعب ارتجفت له أضلاعه ، واضطرب قلبه ، وأنساء غايته التي خرج من أجلها . لقد سمع أن محمداً قتل ، وانطلقت هذه الشعلة التي أضادها الله ليقبس منها العالم ضياء نهار دائم ، وجفّ هذا البنوع ووقف الاسلام الذى جاء للعنينا كلها من عند هؤلاء الثفر القتل الذين أسلموا ، وكان أبوك يعلم أن قريشاً التي قتلت محمداً ستحمو هؤلاء الثفر وتبديهم ، ولكن أبوك لم يخف

وللدينة وبره بأية وبى، ألم إلى قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت فأبني ثواب الصابرين الشاكرين)

وسكنت المجوز، ومدت يدها تلمس عبدالله لتودعه الوداع الأخير، فلما أحست أنه قد ذهب، فارت أحزانها دفة واحدة، وهوت على الأرض

وأسدل الستار يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣ للهجرة على هذا الشاب الذى هجر مدرسته وصيابه، ونزل من الطائف وحيداً شريداً فهدت له عبقريته سبيل المجد، ووطأت له أكتاف العظيمة، فأعاد إلى الأمة الإسلامية وحدتها وسلامتها وبني في صرح أعجدها ركناً ضخماً، ما كان أعظمه وأزهاه لو لم يطلع بدماء الأبرياء... وهذا الشيخ البطل الذى سمع به نفسه حتى صارع الخليفة في الشام ثم صارعه حتى سلبه ملكه وسلطانه. ثم خسر كل ما ربح، ولكنه مات أشرف ميتة وأعجدها فكان موته مغلوباً ظفراً بارعاً ونصراً مؤزراً... وهذه المجوز التى لم يعرف كرمج بنات حواء من وقتت مثل موقفها أو نخت مثل تضحياتها أو دانتها في نبها وشرف نفسها، وإخلاصها لوطنها ودينها رحة الله على الجميع!

عن الطنطاري

منار الرشيد

كتب حديث يكشف عن أسرار الوجود ويشرح الحقائق ويرى القادري الروح ويعرفه بالله لؤلؤه إبراهيم السيد بشارح كنيسة الرهبان مرة ٣١ ويصاغ في المكاتب الشهيرة

بهذه الأرواح... هذه الأرواح من الأرواح التى ذهقت في سبيك؟ أكان جنى هذه المارك النبيلة أن يحمل الخليفة الدين ماتوا تحت رايته، ليزدان به موكب الحجاج؟

ما كان جديك أبو بكر ولا كان أبوك الزبير جياناً ولا رعديداً، أفتنتنى إلى هؤلاء الذين أروعوا التاريخ بأحاديث الكارم ثم ترضى أن تساق وأنت شيخ أبيض اللحية إلى دمشق، ليلب بك جيانها وليشربوا إليك بأساميهم، يقولون: هذا الذى كان

ولم يعد عبد الله بكك صبره، فصرخ:

أماه! كفى... إني جئت أودعك...

وأثنى بنفسه بين ذراعيها، فتحصنته فأنها بالبرع. قالت:

آخذيني يا عبد الله؟ (ما هذا صنيع من يريد الموت) (١)

قال: ما لبسته إلا لأجلك، وما لي به من حاجة...

وترعه فألقاه... ثم تخلص من ذراعيها برقى: — أماء... وداعاً (ولا تدعى الهداء لي، فوافقه ما دعاني إلى الخروج إلا النضب لله أن تستحل عماره، وإني مقتول في يومى، فلا يشتد حزرك وسلى الأمر إلى الله، فإن ابنك لم يتمد لإشارتك، ولا عملاً فباحشة، ولم يجر في حكم الله، ولم يتدر في أمان، ولم يتمد ظلم مسلم أو مهاد، ولم يملتنى ظلم عن عمالي فرضيت به... اللهم لا أقول هذا تركية لنفسى ولكني أقوله تمزية لأنى) (١) وأسرع تفرج وأمه تدعو الله:

(اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك التحيب، والقلبا في هواجر مكة

فاسينويكين

للقصصى الفرنسى أونور بدي بلزاك
بقلم الأستاذ دريى خشبة

بملاحظة أهل هذا الحى - فوردج -
ودرس أخلاقهم وطبائعهم . ولم أكن
أناق فى ملابس بل كنت أبدو بينهم
فى ذى أهل الأعمال ومتهم ؛ فكان ذلك
يسبب على الامتراج بهم ؛ والانسجام
كلا عادوا أدراجهم بعد الفراغ من
العمل ، أو اجتمعوا لبعض شئونهم .

ومن هنا أصبحت قوة ملاحظتى لهم غريزة فى
نفسى ، وملكة أفند بها إلى صميم أرواحهم ،
وأتأمل بواسطتها فى أدق شئونهم ، كما كان يتأمل
دراويش ألف لبة ولبلة بكلمات سحرية وتواويز
يرددونها فى جوامع فراسهم ودعائمهم
وكنت كثيراً ما أتقى أثر طائل عائد مع
زوجته إلى بيته بعد الحادية عشرة مساءً أو قبل
متصف الليل ، بعد خروجهم من الأمييجو كوميك
لأسلى نفسى بالضرب وراهما من البوليفاردي بونت
أوشو إلى بوليفار بوماوشيه

وكأنا يبداون أحاديثهم عادة عما شاهدوا فى
للهمى من الخليل ، ثم يتدرجون من ذلك إلى أمورهم
الخاصة . ولم يكن الأمهات يبالين أن يميزن
صغارهم ليلاحقوهم ، وهن يكلمن أزواجهن ،
ويحسبن مصروفات اليوم التالى ... وهنا ترتفع
شكواهن من غلاء أعنان البطاطس ، ومن طول
الشتاء وارتفاع أسعار القود ، والطالب للقباز
ومن إليه ... يتماطلون ذلك فى حوار بورجوازي
ملى بالصياح ، يشف عن طبائعهم وطبائعهم ،
وغرائزهم الكبوة وغرائزهم

وكنت أصنى إليهم فأحس كأننى أحدم ...
بل كنت أشعر كأنما أجالهم على ظهرى ، ونالهم
الخصوفة تطلقنى فى قدى ، وبهم يجلجل فى صدري

حدث أننى كنت أسكن صفة فى شارع صغير
يسمى شارع ليجيير ، متفرع من شارع
سانت أنطوان من ناحية النبع القريب من ميدان
الباسيتل ، ويتعنى عند شارع السيريزى . وكنت
أقضى ليلتى فى غرفتى الموحشة فوق السطح مكباً
على كتيبى مستغرقاً فى مذاكراتى ؛ كما كنت أفضى
سحابة النهار فى مكتبة أورليان القريبة من مسكنى
وكنت آخذ نفسى بحياة التشف والزهة ، وهى
حياة لا يحصى منها لكل عامل مجد ، فكنت
أستكثر أن أخرج للزهة المجردة فى البوليفار
بوردون إذا ما صفا الجو واعتدل

ولم تكن قوة فى العالم تقربنى بالانصراف عما
أخذت به نفسى من المطالعة والدرس ، إلا هذه
القوة البجبية التى كانت تنبث فى مبدأ غرباً إلى
لون آخر من ألوان الدراسة غلفت أشد الاختلاف
عن دراساتى . . . أما ما هو هذا فهو شتى الميعق

• منزلة بزاك فى الأدب الفرنسى كثيرة ذكرته فى الأدب
الانكليزي . وهو من أفند الكتاب على التصور وتحليل
المجرمين وخطبتهم ، وهو يغلو فى ذلك حتى يحبه القارئ
من اللطيفين ولاسيما حين يتناول الأدب للكشف . وقد
يشعر القارئ غلال من طول مقدمته لكنه حين يغلس إلى
القصة يتنفس الصفاء . وأقصوصة فاسينويكين أحسن
ما تلى به أدب بزاك ، ولهذا السبب اخترتها بمرغم طاقى
مقدمتها من ألتاز . ول بزاك سنة ١٧٩٩ ومات سنة ١٨٥٠

أحد أن ينفذ إلى أغواره ليطالع على العجب العجيب
من مضاحكه ومآسيه نمة !!

ما أشد جهلنا بقصص الحياة في هذا الحى ،
تلك القصص التي لا تصلنا روايتها إلا بطريق
الصدفة ، وبلا اتفاق !

على أنني لست أدري كيف احتفظت بقصص
التالية كل هذا الزمان الطويل دون أن أنشرها على
الناس ! ربما كان هذا لكونها من الصفحات
العجيبة التي تنظّل مطوية في ذاكرة المرء حتى تخرج
منها بطريق الصدفة ، كما تخرج (الزهرة) الراجعة من
سندوق النسيب ... وكفى في القصة من أمثال تلك
القصة ، وستظل غنينة ثم مثلاً ، حتى يأتي دورها
فلا يكون بد من خروجها منها كما خرجت

كنت أستأجر امرأة مسكنة كانت تحضر
إلى صبيحة كل يوم تنهض بشئون غرضي ، فوصل
سريري وتمسح حذائي ، وتنفض ملابسي ، ثم تمد
فطوري ، وتذهب بعد ذلك إلى مصنع قريب كانت
تعمل به في إدارة آلة لقاء عشرة سليلات في اليوم
في حين كنت أدفع أأهلها أربعة فرنكات شهرياً .
وكان لها زوج فقير يصنع صناديق العمام فيحصل
منها على أربعة فرنكات يومياً ، وذلك هو الذي
اضطر زوجته إلى العمل ليوملاً نفسيهما وأبنائهما
الثلاثة ويمشياً عيشة بين الرخاء وبين الكفاف

وسع ما كانا فيه من ذلك الضيق قاني لم أر
مثلهما أمانة وعفاف يد . وما أذكره لها بخير هو
وقاؤهما وجههما لي . ففي المجلس السنوات التي تركت
فيمن مسكني ، كانت الأم فيلان تحضر إلى كل
علم في يوم ميلادي حاملة باقة من الورد ، ويضع
برتقالات ، بحبة لي في هذا اليد ... وكنت أعلم
أنها لم تكن تدخر قلماً لهذا الغرض ، ولما كنت
(٣)

وشكروهم تتردد في قلبي ، وأرواحهم تسري في
كما تنساب فيهم رويحي

وعلى هذا المنحط كانت أحاسيسنا كأحلام اليقظة ،
نذوب مما كنا نذوب الشمعة تحت اللب ، أسفاً على
ما يصيب الإنسان من ظلم أخيه الإنسان ... وهكذا
كنت أفرج عن نفسي بالاطلاق من دراستي
الحاسية إلى هذه الرياضة الذهنية التي كانت موهبة
عظيمة منت بها السماء على ، فأصبحت لي بناية حاسية
من البصر الروحاني ، كهذه الحاسة التي أرى بها
المسوات عن طريق عيني

على أنني حررت في تليل هذه النعمة الجديدة
فلم أدر ما بعثها ، ولا القوة النامضة التي تصدر عنها ؛
وكان أكبر ما يجفني منها أن تكون إحدى هذه
القوى الكامنة التي تنتهي إلى الجنون حين يُساء
تصرفها . ولم أحاول استكناه هذه القوة ، وكان
بجسي أنني امتلكها ، وأني أذلها لأتاري ... وكفى ؟
وبما يجدر لي أن أشير إليه هو أنني كنت قد
بدأت في تلك الأيام بتحليل الكتلة البشرية الهائلة
إلى عناصرها الأساسية ، وتقدر مافي هذه العناصر
من خير ومن شر . وكانت هذه الضاحية التي
اخترت مسكني فيها أحسن حقل لاستنبات مجاري
واستنباط قوانيني ، فقد كان يعيش فيها الأبطال
والمتحرمون والصلحاء الأعلام ، جنباً إلى جنب مع
الأوشاب والرعاع والمميج ؛ وكانت الفضيلة في أسمى
مدارجها ، تختلط بالذلية في أحط درجتها ؛ وكان
الفقر يكم أنفاس الجميع ، والحاجة تهيم على
الأقدار والكرامات ، والجرم طيب الكل ،
والنفوس الفائرة الشبوبة تتبدد في جحيم من الألم والهوز
فكم أنف مأساة وألف جيمة كانت تحمل
صامتة في ظلمات هذا البلد البائس المكتئب ! والله
كم أنف حسناء وألف قلب مضطرب لا يستطيع

وعزّن العزّ الشاب الأرجواني ... ورائحة العزّ
التي تتفوح منه ... وصرخات الفرح والمرح ...
وأن تتخيل أنك في هذه القاعة وسط القوم ، بين
العالم للمساكين والفقيرات البائست ، تشركهم
في عرسهم التواضع

أما فرقة الموسيقى فكانت تتكون من لاعب على
كان ، وعازف في ناي ، وناقص في ضمار ، وكانوا
جميعاً من أعضاء ملجأ الميمان القريب . وقد دفعوا
لهم سبعة فرنكات أجراً كاملاً عن هذه الليلة البهيمية ؛
وبالطبع لم يكن أحد ينتظر أن يسمع بهذا الأجر
اللطيف إلى يتهوّن أو ويسي ... ولذلك كان
عرشهم (حيناً اتفق) لأن أحداً من الموجودين
بالترفة لم يكن ينى بأحصاء الفئات الموسيقية ،
وأخطاء النوتة ، وسائر ألوان التشاز التي كان يقع
فيها عيباتنا المحترمون ... أما أنا ... فلي الله ! لقد
كانت موسيقاهم قرأ في أذني ، وكابوساً على قلبي ،
وقد تلفت من الضيق فوق نظري على الثلاث الأعمى
وقد رثيت لحالم فضضت الطرف عن ملابسهم
الرقمية ، وقيامهم للرقة ، وقد كان من السير علينا
أن تدين سجنهم لأنهم وقفوا يمزفون في نافذة
عالية ، فكان الضوء يسقط على أفتينهم تيمناً بذلك
وكانت أوجهم في الظلام ، ولم أدر ما ذا دفعني
نحوم ، إلا أن تكون القوة الكامنة التي حدثتك
عنها في المقصة الطويلة للناضية . لأني وجدتني
أنتلج بروحي في كيان الأعمى المجوز الذي كان
يمزف على الناي . وكان الموسيقيان الآخران في صرح
دائم وسرور مستمر . بكس صاحب الناي الذي
ما أحس نخلة فنان أو عقل فيلوف قد اتفق لما
مثل خلقه أو عياه ... وتستطيع أنت أن تتخيله
إننا دمت في ذا كرتك طيفاً لهاذي ، ودلّيت على
على وجتيه نابة كثيفة كثة من الشمر الأشيب

أمطر - حين تأتي بالورد والترتال - أن أقترض
ورقة مائية يشره فرنكات لأدسها في يديها مساعدة
لها ، مدفوعاً بامل الحاجة التي شربنا معها بكأسه
إننا عرفت ذلك من أسره هذه المرأة البائسة ،
فأصل ما بك الله أنها جاءت إلى ذات يوم لزوجني
في أن أشرعها بالذهب إلى بيتها للمشاركة في عرس
أختها ، وهو عرس تعرف أنت بما قدمت لك مقداره
من الرزق وشيق الاستعداد

وقد وعدتها أن أذهب ، وكان أول ما فكرت
فيه هو البالغ الذي أستطيع أن أعينها به بعد أن
أنمّج في العرس التواضع كواحد من أهله
وأقيم العرس في الطابق الأول من بيت قديم
فوق عزّن للصور بشارع شاركتون ، في غرفة
كبيرة أضيئت بضوء مصابيح زيتية ذات مرابا من
الصفائح ؛ وصفت فيها مقاعد من الخشب بحلة
بسواد كثيب هو سواد القدر من غير شك ، وقد
اشترك في العرس ثمانون مدعواً لبسوا أحسن
ما يلبس في يوم الأحد ، وحلوا أقصافاً من الزهر
البائع ، ثم أخذوا من الرقص بنصيب مبالغ فيه ،
ومن المرح بكأس دهاق ، حتى لكأنما كانت الدنيا
موشكة أن تنتهي ليماد

هذا ، وقد جبل الرجال وأزواجهن يتبادلون
نحيات خيحات ، ويتراشقون بأهات قاصحات ...
وكذلك كان يفضل الفنان والشباب والكواكب
الأتراب ... وكان يبدو على وجه الجميع أمارات
عجية من نشوة الفرح لا يسمو إليها الوصف ،
ولا يستطيع تصويرها القلم

أفرايت إذن إلى هذه المقصة الطويلة الملهة ؟
إنها لا تمت إلى قصتي بسبب ، فدعها جانباً ، ولا
تذكر منها إلا أراً طيفاً يكون كالهواء الذي تنفس
فيه القصة ... فقط ... يجمل أن تذكر للنظر ...

ذلك الماضي الزلوم كان ما يزال مكمّماً تحت آية على الشقاء القديم... فمن هذه الجنوات الخادمة هذا القبس الذي بدأ يتشرب به قلبي ، ونسأب بالحلم والسُّهل في عروق !

أما المازنان الآخران فقد كانا بهشان للخطر ، وكانا كلما انتهت صلة أفرنا من الزجاج في كأسهما فأذا شربا ما هو حسبهما ، ملأاً لصاحبهما شرباً فاحشاً في تأحب وشكر لها بإعادة من رأسه ... وكانت حركاتهم في كل ذلك تحمكة مضبوطة حتى لتتسبب أنهم غير عيان ... والمعجب من أسرهم أنني حيناً أدت منهم أحواشي ، بل وقوا أن بالقرب منهم رجلا ليس من المال الذين تكتنظ بهم العرفة النفسية ، ولذا قد قاموا إلى وقار مصطنع ، وتعللوا المدوء وبيل السم

وقلت أخطأ صاحب الناي :

— من أي أطراف الأرض سمت بك قدمك يا صديقي يا صاحب الناي ؟

فقال في لهجة إيطالية : « من البندقية ! »

قلت : « وهل ولدت هكذا أعمى ، أم ابتليت بهذا عن كهرض ؟ »

فقال : بل ابتليت به قديماً ... تقلة لعينة ذهبت بنورما !

قلت : إن البندقية مدينة جميلة ، وإطالبا حلت بالسفر إليها !

وقد هاج ذكر البندقية شجون الرجل ، فقد رقصت أسأريه وبدأ عليه التأثر ، وقال :

لو أنني ذهبت إليها ملك لوفرت عليك كثيراً من وقتك !

وهنا تدخل صاحب المكان فقال : « لا تكلم الووج عن البندقية ، وإلا فأنك تخرجه عن طوره فيلهم كل هذه القناني ... » وقال صاحب الزمار :

البراق ، ثم موته وجهه للبوس الصارم بما يتبع المي من مهارة وحزن ولأواء ... لقد كانت عيناه البيضاء تأنجان بلهيب حتى ، تشله رغبة نائرة فائرة ، فيتفضن حينه ذو الخطوط والتشوق والأسارى ويدوكأه حائط أرى لبيت فوق ملاطه تصاريف الزمان

وكان الرجل يتفخ في نأبه في غير مبالاة وبدون اكتراث ، غير معنى بأحد ممن سمى إلى المرس ؛ وقد كانت أسأبيه تبهر فوق مغاغ الناي في ارتقاء وحيناً اتفق ... ولم يكن يأبه بألوان النشاز التي يحدها بدم مبالاة ... وكأنه كلف في واد والراقصون والراقصات في واد ... فلم يكن عزفه يؤثر في حركاتهم أو حركاتهن ... وقد استنبط أنه إيطالي الأرومة ، وكانت المראה التي يكتسها في أعماقه تجل منه هوميروساً مجوزاً ، يكت في صميمه أوديسة قد مسحتها يد الشفاء وهالت فوقها تراب النسيان ... ومع شقائه الذي ليس كمثله شقاء فقد كان عظيماً في مظهره ، وكان جور الزمان يزيد في منظره روعة أي روعة !

إن من المواطف القوية ما يدفع الإنسان نحو الخير أو نحو الشر ، فإذا كانت الأولى خلقت منه بطلاً منوراً ، وإذا كانت الثانية جلست منه جرمياً أليماً ... وقد تصافرت عواطف الشر كلها فنحت وجه هذا الأعمى الإيطالي الصارم الجبار !

إنك لو رأيته لماك أن ترى بداوات النعمة تبثت كالذهب المحترقة من فجوى عينيه ، أروع مما ترى إلى عسبة من قطاع الطرق شاحرة خناجرها في فتحة كهف سحيق ، أو كما تنظر إلى سبع جائع يقضم قفبان قفصه

لقد خبت نيران اليأس في صدره ، وبرد الحلم المنقذ على جبينه ، ولكن أترأ من دنان

قال : في أيام الشدة !

وكان زميله صاحب السكن يمرض عليه كوباً من الخمر فتصاح عنه ... لأن الحديث الأولم عن ذلك للناشي الذي أقدمه شهيتاً إلى الشراب
مسكين هذا التليل البندق الذي ابتلاه الله في ليرده فجأة إلى ذكريات ماضيه البعيد، حين الشباب
غض والعصا في يده ...

قبيسي ! هذه البندقية ! عروس الأدرباتيك !
لقد شهدت خرائب وآثاراً في وجه هذا البندق
الذي كان كله خرائب وآثاراً ، ولقد رأيتني أرتد إلى
ما قبل نصف قرن فأشيت جيئة وزهاياً في المدينة
الجبلية التي يشقها ساكنوها ... وهأنذا أطلن
من الرياتو إلى الجرائد كئنا ، ومن الرياتو دجلي
شياقوني إلى الديدو ، ثم أرتد إلى السات ماركس ...
تلك الكثرائية التي لا تطلوها كثرائية في حسن
البناء وروعة التركيب ... وهأنذا أردت الطرف في
نوافذ الكاسا دورو ذات النقوش والتصور ...
وها هي ذى القصور الباذخات وعجائب النباتات التي
تنطبع في الذاكرة فتظل ألوانها إلى الأبد في صفحتها
كالأحلام المنظمة التي لا تقوى الحقائق المجردة
على عومها

ثم هأنذا أرى تيار الحياة الجارف يرتد فيك تسبح
بأكسبه وأحزانه هذا النيل الذي يتطاير كالشرر في
تضاضيف الزمن !

لا جرم أن أتكلم هذه كانت تضطرب في
نفس صاحبي البندق الأعشى ... بل هي كانت تخطر
فيه أسرع ما كانت تخطر في بالي ، لأن فقد حاسة
البصر يساعد الميمان على حضور البديهة وسرعة
التفكير ، وتركيزه تركيزاً عجيباً

ثم ترك فاسينو آتته وموسيقاه ، وزل عن
مجلسه في النافذة ، وقال : « لم تخرج من هنا »
وقد سرت كلامه في أذني سريان الكهرباء ، فأعطيته

« هلم فلنمرز الآن يا حادي كناد ! » وانطلق
الثلاثة يمزفون الرقصة الريفية ، لكن أخي صاحب
الثاني لم ين يفسكر في البندقية بدليل ما بدا على
جبينه الجسد من الأشراق وما شاع في وجهه
الهاطل من الجذل

وقلت له : « وما عمرك يا صاحبي ؟ »

قال : « ثمان وثمانون ! »

قلت : ومنذ كم سنة سميت ؟

فأجاب : ها ... منذ خمسين ! تقريباً !

وكان يرسل جوابه في حيرة وتلدد عرفت
منهما أنه كان يأسف لشيء عيّن أعز عليه من عيّن
منع من يده

وقلت له : إذن فلم يدعوك دوجا !

فأجبت بما قال : « أوه ! إنها مزحة ! ومع
ذلك فأنا نبيل بندق ، ولو أردت لكنت دوجا أعظم
من أي دوج آخر »

وقلت له : وما اسمك أيها الأخ ؟

قال : هنا - في باريس - أعرف باسم بيركانيه
وهو اسم أردت به تسمية للسجل . أما في إيطاليا
فاسمي ماركو فاسينو كين أمير قارسية

قلت متعجباً : ماذا ؟ أنت حفيد الزعيم العظيم
فاسينو كين الذي أترع أراضيه دوقة ميلان ، بعد
إذ استولى عليها محمد السيفو !؟

فصاح متأثراً : « مرحي ! لقد تعرضت حياة ولده
للخطر في ظل السكونتي ففر إلى البندقية وسجل
اسمه في الكتاب الذهبي . والآن لا كين ولا
الكتاب الذهبي في هذا الوجود ! » قال ذلك وبعث
عليه علامة الأفعال والتأثر ، وكانت حماسة الوطنية
تهيج في أنفاسه ، ثم يذهب بها الضيق من الحياة
وقلت أسأله : ولكنك إذا كنت في البدا
نيلاً يندقي فلا بد أنك كنت مثرياً واسع الثراء ،
فكيف إذن بددت ثروتك ؟

مملكة لي خويده من صبايا أسرة فندرام ، جميلة الخلق ، فتاة الجسم ، ساحرة القنات ، متزوجة من أحد رجال مجلس الشيوخ الذي كان هو الآخر يسبها عبادة ... وكنت أتي في سبيل غرامي هذا من أحوال لا تصبر على بعضها الجبال ... وكنت عرضت نفسي للقتل المحقق من أجل قبة سحرية أطبعها على شفتيها الرقيقتين ... فبينما كنا نتساق كؤوس الحب الصافي كلكسين طاهرين إذا زوجهما يفجأنا ، وإذ به ينقض على سلاحه يودلو أغمدته في صدري فيسكت به أُناسي ؛ وأتيت بحركة سريعة جعلت يخطئ الأصابع ، ولم يكن مني سلاح مثله ، فتمكنت لحسن الحظ من عتقه ، وقبضت عليه بكتلتنا يدي ثم ضفطت ضفطة هائلة ، فسقط البائس ميتاً ، في سبيل النقا عن عرضه ... وشرفه ... ثم أغريت يانكا - وهذا هو اسمي حبيبي - على الحرب مني ، لكنها رفضت - ولم يكن هذا جديداً من حال النساء ... فغبت على وجهي في الأرض وحدي ... وصدر الحكم على "غيايا" بالشنق واستعفاء أملاكها ، بيد أنني كنت أعرف هذا المال من قبل ، فخلعت من جواهري وأموالي ، ونحس صور تيتيانايت - بندقيات - انتزعتها من إطاراتها ثم لفت بالفرار إلى ميلان ، ولا أنيس لي ، ولا من حبيب واسيني إلا ... ذهبي ... ذهبي الكثير الذي أحبته قبل أن أحب أحداً آخر ... وللذهب مني قصة تبدأ من قبل أن أنشق قفصاً واحداً من هواء هذه الدنيا ، فقد قيل إن والدتي وحت عليه وهي حامل بي ، وقد أُرذلك في جنيها ، فلما نزل إلى الدنيا لم يكن يشق شيئاً عشقه للذهب ... فلما شئت كنت أزين بالجواهر والآلات النالية ، وأحمل مني كيساً يحوي مائتين أو ثلثمائة من المونيات أبدها بنير حساب

وحينما قال ذلك ضرب يده في جيبه ثم أخرجها

فداهي وانطلقنا من غرفة العرس ، حتى إذا كنا في الشارع التفت نحوي في انكسار وقال لي : « ألا تميدين إلى البندقية ؟ ألا تأخذني منك إليها ؟ ألا تتنازل فتكون عاقلي ؟ ألا ترد إلى هتقي وإيماني ؟ إنك إن ضلت فإنك تصبح أغني من عشرة يويكت مالبية من يويكت أمستردام أو يويكت لندن . إنك تصبح أغني من روكشيلد ! وقصاراي أنك تحصل على أضعاف هذه الثروات الخرافية التي ربما تكون قد قرأت عنها في ألف ليلة ! »

لقد كانت بدوات الجنون تلوح في خيالي الرجل ، ولكن حرارة الإيمان التي كانت تفيض من منطقتي جعلتني أطيعه ، بل جعلتني أتي إليه بزماي - أنا البصير ! - فذهب يذهب في نحو ميدان الباستيل في وحي عجيب ، حتى إذا كان عند بقعة موحشة دانية من النهر ، عند ملتقى رعة سانت مارتن بالسين ... وقف قليلاً ، ثم جلس فوق صخرة عمّة ، وجلس أنا تقاءه ... وهنا ... كان منظره رائئماً وقوراً ، وكان شمسه الأشيب يثلاً في ضوء القمر كسلوك من فضة ، وكان كل شيء ساكناً ، ولم تكند نسمع إلا نجيج الحركة الدائبة في ظلام البعد ... وكان النسيم الليليل يزد في سحر المكان ، ويضيئ إليه أستار الخيال

وبدأت الحديث قتلته : « إنك تتحدث عن اللالين إلى فتى باع ابنه عشرين ؛ أغضبته أنه يهاب الردي فلا يتحمله للحصول عليها ؟ ولكن ... ليت شعري ، ألم تكن تهزأ بي ؟ »

فأجابني في اهتمام : « ألا لا طمعت على شمس غد إذا كان حرف واحد مما سأقوله لك غير صحيح ... حينما كنت في سن العشرين كما أنت الآن غض الأهاب فينان الشباب ، كنت نبيلاً بموهبي ، غنياً ضخم الرأه ... ثم ... نفض قلبي بالحب ، وجبرني نيار الترام ، وكان ذلك سنة ١٧٦٠ ، حين

يقولون إن الجروح تتعلم في الشباب أسرع مما تتعلم في غير هذه السن
« وعرفت أنني لا بد مشنوق بعد حين ، أو
قائد رأسى . وكان القبو الذى جُست فيه قريباً
من البحر كما وعت ، فقلت على المرب بقب الحائط
والفرار برقبتي وروحي جميعاً

« وكان الحارس كلما فتح باب القبو دخل
بصيص من النور كان يكشف على ضلّاته جدران
سجنى ، فرأيت مكتوباً على كل منها : (ناحية القصر)
(ناحية التربة) و (ناحية الأقبية) . ثم لحث
رسماً على هذا الجدار الأخير لم أهم كثيراً به ،
وعرفت بعد أنه صورة للقصر البوتي . وقد أثار في
تلقي إلى النجاة ذكراً لم أعهد في من قبل .
ولما جئت أتلس الحائط بأصابي وأحس ما عليه
من النقوش ، وكان الظلام دامساً شديداً الحلك .
واستطعت آخر الأمر أن أسمع كلمات عريضة
عرفت منها أن حافرها يجير من يجي . بعد أنه قد
قلقل حجرتي كبيرين في أسفل أساس البناء ، ثم
أفرغ أحد عشر قدماً في الأرض بما على الحجرتين .
وأنه كان يستعين على إخفاء آثار الحفر بثر التراب
المتخلف فوق أرض القبو حتى لا يكشفه الحارس .
وكان هذا احتياطاً لا داعي له من السجن البائس ،
فقد كانت أرض القبو عميقة بعدة درجات من باب
بحيث لم يكن يُسنى السجانون بتنشيشها ، ولا بإلقاء
نظرة مجردة عليها ، ولم يكن منظرها في هذا الظلام
الدامس يثير شكوك من ينظر إليها

وا أسفاه !! لقد جهد السجن كل هذا الجهد
لينجو ، لكن جهده لم ينفعه لأنه قتل ، وما نقش
في حائط القبو عرفت أنه كان عريباً أو من أصل
عربي ، فلولا لى بضعة لثلاث شرعية لما استطعت
أن أصل ما أقطع من عمله الشاق ، لأجوا أنا بنفسى ...
فشكراً لهذا الدبر الشرقى في أزمير . حيث تملت

عمودة بحفنة من الذهب ووصل حديثه فقال :
« الذهب ! أه من هذا الذهب الذى أصبح دعة
الحياة في هذا المصر كما كان في كل عصر ... إلى
أستطيع أن أحسه على بدو وإن كنت أعمى بإصباح !
ومن غريب ما يحدث لي أنني أنف بالبدية أمام
دكان الجواهرى أشبع شيطاني الكامن بمواجهة
اللائي وإن كنت لا أرى منهن شيئاً ... وهكذا
كان هذا الشيطان رائدى إلى الخراب ، لأنه قادني
إلى التهرب لألب بالذهب ، فما زال يندعنى حتى
حطمتي ، وقعدت جميع زوقي ... ثم طودني الشوق
للح لقاء يانكا ... فاسترقت الخلق إلى البندقية ،
ومازلت أطوى إليها السبيل مستخفياً حتى لقيتها ...
وخبأتني الحمية مندما ستة أشهر مررت بالخلم في
أحسن ما يكون بين المشاق ... وورق في روحي أن
أنهى الحياة على هذا النسق السهل الجليل المواتي ،
لولا أن شرر بحال البروفيدور ، فبت ميوه
وأرصاده ، حتى فأجأنا يوماً في فراشه الهانق ،
وهي غائبة في حضنى السيد ، فكانت بيننا معركة
هائلة ، لأنها من أجل الحياة ! على أنني لم أخل
الرجل ، بل جرحتة جرحاً بالثأ ... فلما صاح بالندم
أقبلوا مسرعين ، وهنا اشتدت المعركة ، وساعدتني
يانكا في الاجهاز على الرجل ... يانكا التي رفضت
من قبل أن تهرب مني ... هاهي تى تقف إلى جانبي
لتناضل عني ، ولتتقى عدة طمعات من أجلي ، وتسمى
أن تموت مني في تلك المعركة الحامية ... ولما ضاق
الندم بي ، ألقوا على عيادة كبيرة ولقوني بالقوة ثم
سلموني إلى قارب — جوندولا — وأسرعوا بي
إلى سجون البوزي ، حيث قذفوا بي في إحدى
(زنازينه) بعد أن احتفظت بقبضة سننى المكسور
وقطعة من صفحته ، احتفظت بهما ، وصممت على
حمايتهما ولو بروحي ، لعلى أنهما أتعن لي يوماً من
الأيام — ولم تكن جروحي بذات خطر ، والناس

وبعد أن اتخذنا كل الاحتياطات الواجبة في مثل هذا التمييز دعوت صاحبي فبطنا إلى كزنا الجمهورية الخمين! « يا لها من ليلة! لقد وقف السجان مسبوها أمام زنايل اللاتي وسندايق الذهب ، ثم انطلق فجأة يرقص ويغني ، وينقل كالفراسة من غرفة التحف الفضية إلى قبو الذهب ، فاشككت أن للسكين قد أوشك أن يبين ... وقد خفت أن تخلت الفرسة من أيدينا بهذا الترق وذاك الطيش ، فلم أتركه يستمر في تحكه ورقسه وجنونه إلا ريثما أملاً جيوي وكل فجوات ملابسي بجيو ما رأيت ثمة من لآلي وجواهر وملسات ، ثم بحث به أن يزود ، فأنكفأ يقف في جيوبه هو الآخر ما شئت له نفسه ثم أسرته أن يملأ أكياساً كانت ملقاة في زاوية فأنفصها ذهباً ... وحذره أن يمس اللآلي لأنها تنم عن حلمها فيضبط وينال جزاءه ، فعزف عنها ، في حين كنت أنا أغافل وأتقى منها لنفسي ما أشاء فأدسه في ثيابي بين البطانة والفلهرة ، ورغم ما كان يستولي علينا من جشع فأنلم نحمل من الذهب إلا ما قيمته ألفا جنيه إذا ما وزن ، وقد رشوا الحارس الواقف كالفرير عند البوابة بكيس فيه زرة بشرية جنيت ، أما اللاحون فقد أوهنهم أنهم إنما يخدمون الجمهورية بمساعدتنا ، على ذلك أبحرنا حينما تنفس الصباح أو كاد

وحينما كنا بآمن في عرض البحر ، طودني أشباح الذهب واللاي . واضطربت في ذهني صور الكنز العظيم الذي خلفناه وراءنا ، وبدأت أذكر ذكريات اللالين التي كانت منذ ساعة في قبضتنا ، فقدرت قيمة الفضة بثلاثين مليوناً ، والذهب بشترين مليوناً ، واللاي والماسات بأضمار ذلك ... وهنا ... شمرت بجمي الذهب تسيطر على مشاعري وتسلط على وجداني ، وتسر في تمنائي !

ثم رسونا إلى أزمير ، وركبنا البحر ثانية إلى فرنسا ، وكم شكرت الله وصليت حينما ركبتي في

هذه القاعة الكريمة التي بها أظلت من سجنى ! لقد ذكر للسكين في قفصه أن الحكومة البندقية قد قبضت عليه واستصفت أمواله ثم حكمت عليه بالإعدام ... فيأله ما أشبه المجدود الموار!

« ووصلت ما أقطع من عمل الرجل ، وليت شهرأ كاملاً أحفر قبضة سيق المزز والقطة التي بقيت من صفحته ، وكنت أنسرق في السرداب فوق بطني وصدرى ، وأعمل أغافري في التراب .. وكذا ذكرت دنو الوعد الذي تبقى لأمثل أمام قضائي ، وأن ذلك سيكون بعد يومين اثنين ضاعفت مجهودي لمسة الاستباه حتى أسعفى الحظ ، وأدركني رحمة السماء ، فرائتي أسبل إلى نايه لم أكن أحلم بها ...! »

« وهنا .. يلعب الذهب دوره من جديد بإصاحبي المزز! الذهب واللاي ... ثروة البندقية كلها .. ذهب ... لآلي ... ماس ... كل هذا يا صديقي خطف بصري وأذهل شيطاني

ولم يكن يجزني عن هذا الكنز إلا عارض من الخشب كان لا يدان أزيه لأصل إلى هذه الثروة الطائلة ... غلفت ملابسي وعملت طارياً بكل قواي حتى أرحته قليلاً ... ثم تميت فجلست أستجم ، وسمت بلب الكنز ينفتح فجأة ، فنظرت فإذا دوچ البندقية نفسه يدخل ويدخل وراءه عشرة من رجاله الأقوياء ، فينظرون إلى أكوام الذهب وزنايل اللآلي ، فهتت من حديثهم أن ههنا نجوى الجمهورية ثروتها العامة وغنائمها من التزو والحروب وفكرت وفكرت ... فهداني التفكير إلى

ضرورة إشراك السجان مني في حمل ما نستطيع حمله من هذا الكنز ، والحرب إلى أقصى آفاق الأرض ... ولم يتردد السكين في قبول اقتراحي ، بل أقدم عليه بقلب أشجع ألف مرة من قلبي ... واتصلنا بمجيتي يانكا فقامت من جانبها بمساعدة هائلة ، وأعدت هي والسجان قوارب النجاة ،

السفينة الفرنسية لأنى أصبحت يأمّن من كل حين ولأنى تخلصت من شريكى المحرم فى الجريمة ... ولم أجد أفكارى فى السواقى المحتمة لهذه القفلة الشنقاء ، بل لم أكلّف نفسى قبل أن تفرق بكلمة شريكى عن هذا الحرم ، لأنى كنت ألحظ أنه يكاد يمين من الفرح عا أعاءت السرقة عليه ... فانظر كيف اقتضت المقادير منى وقد يشدهك أن أذكر لك أننى ما عرفت شيئاً من همد البال حتى بست ثلثي ما حملت من اللآلى والماس فى لندن وفى أمستردام ، وإلا حيناً تخلصت من الثبر الذى منى بأن استبدلته بكل أحمر رنان وقد لبنت مستخفياً فى مدريد ما يقرب من خمس سنوات ثم رحلت إلى باريس بعد ذلك تحت اسم أسباني مستعار ، حيث عشت عيشة كلها سمة وبلهنية

وفى هذا الجو الفردوسى من السعادة ، وفى ذلك الباب الأخر من البذلة التى جعلها ثروة ستة ملايين من الجنهات ، قضت المقادير أن تلحق بالمسى وقد علقوا الناعمة التى زلت بسمنى من إقامتى فى مكان موحش — الزنقة — بيد أننى علقته بما هو أدنى من ذلك إلى الحق ... ويلاه ! لقد قتلت بصرى من طول ما بكيت على يانكا ... فقد ماتت !

ولكن لا ! ... ليس ذلك أيضاً ! فاسمع إلى تلك القصة : « لقد وقتت فى شرك حب جديد ! سيدة من غايات باريس بحث لها فى نوبة جنون غراى باسمى وسرى . ولقد كانت على صديقة من صديقات مدام دى بارى ... وقد كانت هذه العلاقة سيكاً فى ربط أسباني بإسبانيات لويست الخامس عشر ...

وقصارى القول ... لقد أتيت إلى كل إلى حبيبتى الجديدة التى أشارت علىّ بشد الرحل إلى لندن لاستشارة طبيب من أطباء الميون المشهورين فيها ، فساقرنا من فوراً . وبعد عيشة راضية منمنقة بالقبل ، منسولة بدموع الحب ، هجرتنى حبيبتى فجأة فى المايجيك ... أواه ! صديقى ! لقد هجرتنى

« اسمع يا صاح ! لقد كتبت بخصوص هذا

النسي المترج بذكريات يكانكا !! ولكن سرعان ما علا ميزان الذهب ، وشال ميزان الحب ... ونكس ميزان الشباب !!

وقال في صوت مهدهج : « إني أرى الذهب دائماً ، في منى وفي بطنى ... وإن روحي لا تنى تسبح في عالم متلائي بأشواء التضار والجواهر واللأس الثمين ... إني لست أعي كما عساك تظن ، فاقهّب والؤلؤ يضيء لي حلك ليل الدائم ... ليل قاسينو كين القديم الشاب ، لا أنا ... فقد تقلص عني لقي إلى مسى !! آه ياربى !! لقد حل عقابك بالقائل فلم تفلح ... بورك يا قدوس ! ...

ثم ذهب يردد صلوات كثيرة لم أعن بالثبث منها ... فلما هب واقفاً قلت له : « هل سذهب إلى البندقية ؟ إني مستعد » فهلل وجه الرجل وصاح : « إذن لقد لتيت رجلاً ببدلول اليأس » . ومددت له ذراعى ظف ذراعاه عليه ، وذهبت معه ملجأ الميمات . وقد لقينا في الشارع جماعات اللدعورين يصيحون ويصخبون في طرقتهم إلى منازلهم وقال لي وهو يضغط على يدي : « هل نبدأ رحلتنا من غدا ؟ » قلت له : « بمجرد أن يقيس لنا مبلغ من النقود ! » فقال : « بل نطلق على أقدامنا ! إني سأشحن ! إني مازلت قويا . وأنت ، إنك مازال شاباً موفور الشباب ، وستدفع القوة في كيالك حيناً تنظر إلى ظاهير القلب تحنط عينك

وتوفى قاسينو كين قبل أن ينتهي الشتاء بعد شهرين طويلين قضاهما في مرض عزال .. لقد أصابه برد شديد لم يحمله ... مسكين !

معنى ضئيلة

(٤)

الكنز إلى التوصل الأول^(١) ، ثم إلى امبراطور النمسا فسخرامنى ، وكتبنا إلى السلطات بضرورة مراقبتي أو زجى في بيارستان ... فهل أنت ... هل بنا إلى البندقية ... لنذهب إليها في زى شحاتين ، لنود منها من أحباب اللالين ... إني أستطيع بذلك أن ارد أملاكى ، وستصبح أنت وارثى ... إنك ستكون أمير قازى !!

وسكت الرجل ، ودارت بي الدنيا ... ونظرت إليه ، ثم إلى الدين ، ثم إلى التربة ، فغيل لي أننى أنظر إلى قنوات البندقية ؛ ثم رددت في وجهه الغضن عيني ، فغيل لي أننى أنظر إلى جدران الباسيل ، غائصة في مياه البندقية كذلك وتلبث برهة لا أبس ، ودار بخلدني أن الرجل قد أخذ يستريح بي ، ويظن أنى أرئى له كجنون كما رئى له الآخرون ، فبدأ وجهه يتقلص ، ويعنى بالأساور ، ويسبر عما يشيع فيه من فلسفات اليأس ، وخطجات القنوط

ومن يدري ؟ لراعاهجت هذه القصة ذكريات البندقية في قلب الرجل ، فطلق يكي شيا به وبني حبه ... آية ذلك أنه أدنى نايه من شفثيه ، وأخذ يلعب لحناً مؤلداً ، حنوفاً ، لم تقع فيه لحنة أو نشوز ... ولاخرو ... فقد كان لحن حبه الصانع ، وشبابه الولي

ثم امتلأت عيناه المياوان بالدموع .. وسرت الموسيقى في هواء السنين تجلجل وتكسر مع أمواج النهر .. ملو أن عابراً أسهماً بحجر قلبه . لو قد ينصت إلى موسيقى الذكريات .. موسيقى لحب الننى .. الذى يرسل من حضارة آخر صرخة من صرخات الألم وراء اسمه

(١) تالينون قبل أن يكون إمبراطوراً

٢٧ قصص (مارك مسجلة) اسپیرو ٢٧

أسبرو

كيفية الاستعمال
أدخل المسبلة
أو رأس أسبرو
تربط الصدغ والأذن
وتثبت الذراع واليد
والزخات والأظفار الخ.

أسبرو في
معجمنا أسبرو محمد
سلاوي حسن باعجاني

ASPRO LIMITED
SLOUGH, BUCKS



سَلِّ الْأَعْيَارَ الْوَارِدَةَ مِنْ جَمِيعِ الْأَحْصَاءِ الْمُدَوَّلَةِ عَلَى الْأَسْبَاطِ فِي قُرُونِ الْفُلُورِ
وَمِنْ قُرُونِ الْفُلُورِ زَادَ الْعَامَ فِي سِتْكَتَيْنِ (١) اِمْتِثَانِ الْخَلْقِ (٢)
أَرْوَاحَ الرُّسُلِ السَّعَالِ الْمَطَاسِ الْفُجْجِ وَالْمُصَنَّفِ فَاسْتَعْمَلْ قُرُونِ
مَدَامِ اسْبَاطِ غُرْفَةِ عِبَادِ الْقِيَامَةِ فَتُخَفِّقُ اِمْتِثَانِ الزُّرُورِ سَرِيحَةً وَتُضَمُّ
الْعُدَى وَتَابِيْعَتِهَا عَلَى اسْبَاطِ مَصْلَحَاتِ وَخَزَائِنِ قُرُونِ مَدَامِ اسْبَاطِ
الْبُيُوتِ أَوْ قِيَامَتِهَا لِمَا لَهَا مِنْ رُوحِ الْوَلَدِ مِنْهُ بِطَرِيقَةِ تَرْبِيَةِ الْأَعْيَارِ بِطَرِيقَةِ
فِي الْقِيَامَةِ وَاجِدَ حَقَّ مَسْعَدَةِ دُونَ اِطْمَاعِ الْهَدْيِ الْخَالِصَةِ الْاُدْوَارِ الْاُولَى مَدَامِ اِطْمَاعِ
وَأَمَّا فَتُضَمُّ وَتُخَفِّقُ الْمَرْحَلَةَ الْخَالِصَةَ بِطَرِيقَةِ تَرْبِيَةِ الْأَعْيَارِ الْاُولَى مَدَامِ اِطْمَاعِ
مَدَامِ حَرَاةِ الْبُجْجِ كَرَلَيْهِ تَرْبِيَةِ اسْبَاطِ الْوَلَدِ الْاُولَى مَدَامِ اِطْمَاعِ الْاَعْيَارِ وَتُجَدُّ اِلَى اِلْمَصْفَا
اِلَى الْوَلَدِ وَتُجَدُّ اِلَى اِلْمَصْفَا اِلَى الْوَلَدِ وَتُجَدُّ اِلَى اِلْمَصْفَا اِلَى الْوَلَدِ وَتُجَدُّ اِلَى اِلْمَصْفَا اِلَى الْوَلَدِ

المبارقة بطرد الأفاضل من
جرب السيرة

في الحالات الآتية

اللفظ المنزلة
 أو جاع الرأس
 اللفظ
 التراب الزبد
 التنبؤ النجا

الأسعار ٢ قصصان ٥ مليمات ١٠ اقراص ٢ قصصا ٢٧ قصصا ٥ قروش

اسيرو
بشغل كثر غرة

قرصان امير في ايام مدله
ما يكون غرضه مضيه في
التراب الزهر والحبوب
والتراب الموزين

جريت الاسيرة
اليوم
قرصان محمد علي

الحُبُّ وَالْفَتَكُ

للكاتب الفرنسي أرمأن بيكر
بقلم الأستاذ محمد بلطف جعته

بالأمّ المطلق الذي لا يكون قط إلا بشيء
منكرًا ، والذي ما زال ينتن الخلاص
من ريقته

قلت له : لم يكن هذا عهدى بك
يا إدوار ، فقد كنت باقمة الروح ،
ومقمتنا في الأفراح ، وأخذنا إلى كل لمو
برى . فما الذى طرأ عليك حتى

غير طبعك وبدّل خصالك
وأصبحت تمت المانى نمت
الصاحب ، وتنتب بلوك وبكي
شجوك وأشجائك ... أما أنا
فلا أحب إدامة الإطراق والتفكير
والهم ولا الاسترسال مع الخواطر
الحزنة والانقطاع في تيار الهواجس
الترحة ، وشأتى أن أفرق بين
الخواطر الحزن وأخيه بالفكرة
السارة ، والذكرى المفرحة .
فقال إدوار :

— إن هذه الخواطر الحزينة
التي تعمل فطرتك الطروب على
مطاردتها ، مع ما طويت عليه
من حزن ، واحتوته من شجن ؛
تكتسب لذة وتورثي متاعاً . ومنذ لبت يد الحوادث
بمقدراتي ، وأوردني حسن التلن بالدينيا وناسها ،
ووفرة الثقة بصدقهم وإخلاصها ، والانخداع
بظواهر الأمور ، سيجلّ العناء والألم ، صيوت
للحزن ، وتآقت نفسي إلى الأسى ؛ فسرحت
خاطري في أودية الكرى ، وإن من الحنين ما يستحب ،
ومن السموع ما يستمغب

تصريف بالقصة

« أرمأن بيكر Armand Bickert
كاتب فرنسي يوني (نسبة إلى يون)
الرومانو نشأة . درس القانون ودخل
الجنديّة ، وغان غمار الحرب العظمى
وتخصّص في كتابة القصص التي
تكشف عن حياة بعض رجال الجيش
وقد أكتفه دواستعرف في الأسلوب
ودقة في الوصف . وقد ترسم خطي
بعض كتاب الروس ، لأنه عكف على
تحقيق ما طالعه من مؤلفات تورجيف
وتشيكوف وتولستوي ودوستوفسكي
وأندريف . لما نرى أدبه متأثراً
لأيدمدى بالشعور والمخاء والحزن
والطيرة . وقد نال جائزة فيبينيا
Femina بعد أن نشر تلك القصة التي
دلت على طوكيه ، وهو يرى في
للأرض القلب وعدم الرفاء ما يجعلها
أداة الفراق السريعة من الرجال وعدم
البقاء على الحب ولو كان حباً لأول »

قال إدوار ديون ، وكان
رفيق في المدرسة الثانوية ، وقد
ضرب الدهر بيننا أكثر من
ثلاثين عاماً :

من شأن الحزن أن يرجع
بصاحبه إلى العصر الماضي ،
فيشبهه في عالم الخيال كل نعمة
كان في سالف الأيام بأثرها ، وكل
مسرة لا يسها ، وكل لذة خالسا ،
وكل غبطة ماقرها ، وكل متعة
لامسها . ويطل به الوقوف على
أخيلة تلك اللذات واللطايب ،
ويكثر به التلوم على أشباح هاتيك
المباهج واللطايب ، مبدياً ما بها
من طريف المحاسن ، مما كان قد

خفي على اللرد منها أيام يباشر حقيقة هذه النعم
واللذات ...

وكذلك الذكريات تدبج بعد انتقاد الأشياء
لوم ، غوامض أسرار كانت أيام وجدانه تتيب
عن النعم ، فلا يدركها الفهم ولا يحيط بها العلم .
فمن ذلك ترى يا صاحبي أن الحزن تخيم من فوقه
الذنة ، وأن البلاء الذي تحتله إذ ذاك لا شبه له

لهذا الرجل، لاريب، بأخيراً وشاماً غامضاً؛ وأن سرّاً مجهولاً يحيط بحياته. وأظنك يا أخى لا تزال تذكر دروسنا في علم النفس، فأول وأقرب ما يبدو لنا من خصائصها هو الوجدان السمي بالتطلع، والليل إلى استكشاف الجديد والتلذذ به؛ وقد علمنا أن كان له سابق خدمة عسكرية في الموسار، حيث أبلى بلاءً حسناً. ولم يصر أحدنا الملة التي من أجلها ترك الجيش وهو في مقتبل العمر، وطالب نفسه بالاستقرار في آنسى، حيث عاش عيشة جمعت بين الفقر من ناحية، وبين التبذير والإسراف الهلاك من ناحية أخرى، فكان لا يزال يسير على قدميه، لا يركب قط مطية ولا ينفع في كساء رث قديم؛ ولكن طعامه كان بين أحمائه مشاعراً مشتركاً، وكان خوانه لا يخاله مستباحاً، وساطه لعدائه منتهكاً... لا أقول إن مائدته كانت رداحاً، ولكن الحجرة كانت تفيض من دناه فيضاً وتهلل من أفداحه هلالاً. وكان أشد وله وشغفه بالماية، ينضب الأهداف ولا يزال يرميها بطلقات بندقيته... وقد بلغ في الرماية مبلغاً لم يُسمع به، ولا يكاد يصدقه إنسان؛ وكان حديثنا كثيراً ما يدور على النساء والتهار والبارزة؛ ولكن سيقان (وهذا اسمه) لم يكن يشاركنا في هذا الحديث قط؛ وكنا إذا سألناه: «هل يلزم قط إنساناً؟». أجابنا بإيجاز وجفاف: «أى نعم قد فعل ذلك». ثم يأتي ذكر التفاصيل فاستعجننا أنه لا بد أن يكون قد قتل رجلاً في مبارزة، وأنه يحمل صه السفوف في عنقه، ويشد وزره وإعنه إلى نياط ضميره... ومهرنا ليلة للقامرة وجلس ليوزع الورق بعد أن وضع على المائدة الخضر ألف فرتك ذهباً. وكان من عادة سيقان

قلت له: لقد تركتك وقد أحزمت إجازة التلميم الثانوي من «لسيه لوى تيز» وكنت تنوي أن تهم دراستك في إيكول سترال، فقد كانت مواهبك الرياضية جد متأنفة

أجلب: نعم... ولكن والدي ألحني بكلية سان سير الحربية، لأن لأسرتنا تقاليد من عهد بوناپرت، وكان لي جد وعم وخال حلوا السيوف وعمرضوا الرماح، وغاضوا غمار الحرب تحت لواء الأمبراطور نفسه، فلم أعص له أمراً. ويسد أن تخرجت برتبة اللزلام في سلاح المدفعية، تمهيداً لتزقيق إلى صفوف أركان الحرب، حينوا إقامتي في بلدة «آنسى» ولعلك يا أخى لا تعلم كيف تكون عيشة الضباط في الجيش، ففي القدادة التدريب المسكرى وامتطاء صهوة الجياد، ثم التنداء مع القاعنم في مطعم يهودي، وفي الشى الراح والسمر والميسر في الأيام الأولى من الشهر، عند ما تكون أكياسنا حاضرة بالرتب. ولم يكن في بلدة آنسى في ذلك العهد بيت واحد مفتوح، ولا خاة واحدة سالحة للزواج؛ فكان بأنا التراور، وأن تلاقى في مثوى أحدنا، حيث لا ينصر إلا وجوه الرفاق؛ ولم يكن يخاطنا لارجل واحد من اللسكين (مكذا كنا نسمي كل شخص خارج الجيش اعتزازاً بأنفسنا وازدراء بالآخرين)؛ وكان هذا الرجل الملكي يتأخر الثلاثين، فصدناه—لحدماً أعمارنا—شيئاً كبيراً. يا للزور! وكان يتأخر علينا بفضل حنكة وتجربة، وكان لما اغرد به من طول الصمت وعمق السكوت وعبوس الوجه، وذبرة اللسان (حين يسمح لنفسه أن يتكلم) وصراة التهكم، وقع في نفوسنا وأثر بليخ. وكان يجيل إلى أمتتنا الفتنة الطائشة أن

فانسحبنا واحداً إثر واحد . ومضت ثلاثة أيام ولم تقع البارزة والضابط المتدنى لا يزال على قيد الحياة قلنا : أمن الجائر أن سيلفان لن يبارز خصمه ؟ إنه إذن لمولود من جديد ، وكأنه ورد سجل الأحياء ليومه . واقتنع سيلفان من الضابط بمحنة وإهية ، ثم ساله وصافه ، فسقط سيلفان في أعيننا مشرّ الضباط الشبان ؛ لأننا رأينا الجين رأس الساوي . ولكن هناك رجالاً يكفي مجرد النظر في وجوههم لأن تعتقد فهم الشجاعة ، وكان من بينهم ذلك الرجل التامض . وما برحت الأيام أن تحت من صفحات أذهان رفاق ذكرى الحادث . واستعاد سيلفان فتوذه بيتنا وسابق هيئته ، ما عدى أنا وحدي ؛ فقد زالت كرامته من نفسي ، وأستره وأزله حتى تنكرت له وجعلت أحجل من النظر في وجهه ؛ وأنت منه اللة بدلالة أنهم بمفاتحي لشرح لي حقيقة حاله ، فجئت أروغ منه إلى أن ملّ وانصرف . وما لي برجل أغضى على القذى ، واحتمل الإهانة ، وترك صيفته ملطخة بالمار دون أن يحرك ساكناً لتنتقيها من تلك الوصمة ؟ وكنا مشر الضباط الثقبان نرى الشجاعة كبرى المحامد وعليا اللثاق وفُضلى الخصال ، وقد يجعلها بسطنا ذرية إلى كل منكر ، وشفياً في كل وزر ومأم ؟

وفي يوم من الأيام زارنا في ديوان التكتات وقال : « أيها الأخدان إنه قد طرأ عليّ ما يوجب رحلي من التو واللحظة . وإني لماسفر البلة وأرجو ألا تضنوا عليّ بجؤاكتي على مائدة الرذاع في بيتي فلها اللادة الأخيرة التي أحظى فيها بشرف الاجتماع بكم كسابق عهدنا » قبلنا دعوته ، وفي اللود

إذا تصدر مجلس اليسر أن يلزم تمام الصمت ، فلا يجادل ولا يخاصم ، ولا يلج باب حوار أو مناقشة . وكان بيتنا في تلك اللة ضابط جديد ، ورد حديثاً فرقنا فأق في خلال اللعب بهفوة غير مقصودة بأن زاد رقاً واحداً في حسابه . فتناول سيلفان الطباشير في سكوت مسكون وقيد المدد على محته كمادة ، وحسب الضابط الجديد المختل أن سيلفان أخطأ فشرع يناقشه الحساب ، فلم يحفل به صاحبنا واستمر يوزع الورق دون أن يبره التفاهة ، فغند صبر الضابط . وتناول الأسفجة ومحاها ما ظنه خطأ . فتناول سيلفان الطباشير وصحح الحساب ثانية ، وكان الضابط قد لبست الحجر رأسه وأحت الم في عرقه ، وهاج النيط عواطفه ، وأثار خاطره شحك القوم ، فطار الغضب في دماغه وعداها على رب النار إهانة ، وأمسك بشمعدان نحاسي كان على اللادة وقف به رأس مضيقنا ورئيس منضدة اللعب فراغ الرجل وأفلت ، وقد كاد الراجم يفلق جبهته كعلق النوى .. عند ذلك تولانا الدهر والروع والهمش ، ونهض سيلفان في سكيبته وهو يحرق أنياه حنقاً وعينه تتأرججان غضباً ، ولكنه ملك زمام نفسه وأحسن القبض على الجام أعصابه الهتاجة في وقت لا يمك فيه أقوى الرجال مشاعره وقال للمتدنى : سيدي المزرك تكرم عليّ وتفضل بالانسحاب من اللعب ، وحمد الله أن هذا الحادث قد وقع في داري ؛ فانسحب الضابط وهو يقول إنه مستمد أن يبارز خصمه بأي سلاح يختاره . ولم يشك أحدنا في عاقبة هذا الأمر ، وحسينا صاحبنا الجديد التهور في عداد اللوق . واستمر اللعب دقائق معدودة ، وشهدنا اقتباض صاحب النار ونجمه ،

بعض مجالسنا على الشراب أتى ضربت برتو الشهير
الذي قد تضي بذكره الشاعر الفريد ديشيني فصرت
موضع الإعجاب وعطى التكريم ووصفني للشيد زيريه
في أحد تقاريره الرسمية بأنني «أذى ضروري للجيش
وبلاء لا يد منه»، وانضم إلى فرقنا في حديث
من أسرة نبيلة، ذو جمال وذكاء وفتنة، فزعزح
من مكاني، وتهدد سلطتي، ولكنه شرع بخطب
ودي فقلقيته بإعجاب وشفوة، فأحجم عني
واستشعرت له نوعاً من البغض السكامن، ولما رأيت
حظوة لدى النساء ألح على الكرب وأكل النبط
شغاف قلبي، ثم التفتينا في مرقص بدار سرى من
أعيان أورانج، وقد خسته ربة العار — وكانت
صديقة لي — بالحفاوة والعناية واللطافة، فدنوت
منه وهمت في أذنه بلفظ جارح، فثار على ثورة
الأسد، ولطمني على وجهي، فقبضت على قائم
سيفي، وأغشى على النسوة، فافترقتا لتنتقي في القبة
نفسها بميدان البارزة وكان الوعد إذ ذاك قليل
الاكتراث بالموت، فحدثت نفسي: «أية فائدة
هناك في انتزاع الروح من شخص لا يجمل للحياة
شأنًا ولا يقيم لطول العمر ونا؟»

فقلت له: انظروا أنك غير متأهب للموت
الساعة وأراك تستمد لقاء صديقك وما كنت عن
ذلك بمناسك

فأجابني: إنك لا تخشى من ذلك. وعلى كل
حال فسأبقى لك على طلاقة تطلقها متى شئت وسأبقى
أبدًا مستعداً للاسهداف لما تحت مشيتك

فأخبرت الشهود أنني لا أريد الاطلاق اليوم،
وبذا انقضت البارزة وفقاً لقانونها^(١) ثم اعترلت

(١) وفقاً لقانون البارزة لا بد أن يكون اللطم المطلق
واخفاً

المضروب ليت دعوة فألقيت تحت كل إخواني،
وكان سيلفان في أحسن حال من الانشراح فسرى
إلينا جانب من سروره وطربه، وجعلت أباريق
الحرق تفيض أعضامها، والهدنان يتدفق مدامها.
ولما هم القوم بالانصراف أذن لهم جميعاً وقبض على
يدي واحتجزني، فلما خلا للسكان من الجمع أجلسني
إزاهم وقال لي: لعلنا لا نلتقي بعد اليوم، فأرى
قبل الفراق أن تتفاهم في أمر بيتنا قد غشيه الشك
واعتوره الغموض. لملك عجبت من إسماعي عن
مبارزة السكير الأحمق رودولف. على أن حياته
كانت في قبضة يدي، مذ جعل لي حق اختيار
السلاح، ولكن لو كنت أضمن حياتي كل الفئان
لما أعنيته قط من البارزة، ولما ترددت لحظة في
استئلال روحه من بين جنبيه، ولكن ليس من
حق أن أعرض حياتي للهلاك قبل الأخذ بثأر قديم
وسبب ذلك أنني قد لطمت على وجهي منذ ستة
أعوام، ولم أشف نفسي بعد من اللطم الذي ما زال
حيًا يرقق

وما كنت ممن ينأى عن التناحر حتى الموت. ثم
جسل سيلفان يتحرك في جملة كالمناظر الثاني، كن
به هم باطن وألم عميق، ولم يبق في وجهه أقل أثر
مما كان فيه آنفاً من الجذل والجبور، وكانت سفرة
لونه وريق عينيه وكثافة الطباقي التبت من غليونه
وفه قد أعادت شخصه حياة الشيطان، وسورة من
مرعدة الجحيم، وأخيراً تكلم فقال:

قد علمت أنني كنت ضابطاً في فرقة الموسار،
وكان القسق والنجور والبشارة هي للنهب والرف
المأثور في ألبينا، فكنت شيخ الفاجرين وإمام
الفاستين وزعيم أهل الفراغ والخلاعة، فاتفق في

وقال : إن حياة في قبضة يدي ؛ ولو أنت اقترحت أن تجلس على قنوسات نخاعة ثم رشقها لما امتنعت ثقة بتعديدي وماجئ ، وإنني أن أصيب إلا الهدف ، ومن الحال أن أخلفه أو أتسله ، إلى ما دونه من أجزاء بدنك وأوسالك

قلت : إن هذه لتجربة لم يفلح فيها غير غليوم تيل فيا أعلم

قال : غليوم تيل ؟ إنها لأسطورة ابتدعها أهل سويسرا تعجيداً لبطلمح الوطني . أما رماجي خفيفة لا ريب فيها . ثم قال : « انظر ! » ، وكان قد حزم كل أمتته وحاجه ، وربطها استمداً للشحن ، فلم يبق بالدار إلا جدرانها العارية اللقبة من آثار مرابيه وصراجه . وقد نُقِشت فيها المنحوتات طولاً وعرضاً ، فكأنها الأسفنجية أو قرص من شمع العسل وكنت أصغى إلي حديثه في سكوت وقلبي موزع بين عواطف متضاربة ومشاعر متكافئة

ولكنه أيقظني من ذهولي بقوله : ما تقول في مصاحبتك إلي ، لتكون شاهدي ؟ وبجاء خطر يالئ خاطر عيب ! لماذا لا أحب هذا الشيطان الذي يمثل الموت في شخصه ، لئلي أن أعني الخطر المدام عن الشاب المسكين وزوجته الجميلة اللذين ما عرفتهما إلا من وصفه لئلي أعو آبه الموت التي أثبتت ذلك للتمرد على الحياة والسعادة بلم الانتقام عن تلك الأسرة الناعمة بأشع أيام الزواج في مستقبل العمر . ولحت في وجه سيلفان أنه كان يدرك خطايا نيتي فأسرعت بقبول دعوته قبل أن يفكر في الدول عنها ؛ وأخذت إجازة شهر من الكولونيل ديوا الذي ظن في الظنون ، وغمر بيته وهو يجر إذن التبرجح المؤقت ، حسباً أني سأقضي الأسابيع

الجديدة وتستر في آنسي ، ولم يمر بي يوم إلا فكرت في الانتقام ، والأخذ بالثأر . والآن قد آتت الأوان ، فقد وردت إلي رسالة من أحد أصدقائي يباريس يخبرني أن خصمي الجليل الفنان قد اقترن من فتاة حسنة . فهاأنذا متوجه إلى باريس . وسوف ترى هل يستقبل الموت غداً وهو مستمتع بالزواج يمثل تلك الشجاعة التي استقبل بها يوم أسلفني الطلقة الباقية وتهدد باستمداه لتلقيها من غدارق في أي يوم أشاء

فقلت له : إنه انتقام متأخر يا صديقي سيلفان ! فضحك ضحكة جهنمية شيطانية ، وبدت نواجزه حتى لكأنه مفستو^(١) يسخر من الدنيا وما فيها وقال : كلا نأخر الثأر كان أشع وأعذب وأوقع ، وما قيمة حياة أستها من جنبيه وهو لا يسيأ بها ، مذ كان في ميمة الشباب وعدم اكتراث الفتوة ؟ الآن ، والآن فقط ، قد عرف قدر الحياة وذاق طعم لذتها ! فلشد ما يكون الموت ألياً في حسابه ، عند ما يرى أنه ينادر هذه الدنيا تاركاً وراءه المال والجمال وفسحة الآمال ، والشهرة والاقبال ، وعمراً طويلاً يرجو أن يقضيه في أحضان قريته الفاتنة ! في قصرها الفخم . ثم نهض سيلفان وروى بقيته على الأرض وأخذ يقبل في الحجرة ويدبر ، كأنه النمر الضاري في قصه الضيق

ثم قال : لقد عشت ما مضى من عمري بيد الصفة التي تلقيتها على خدي كظلي ، على أمل تلك الطلقة النفذة لشرفي ؛ وأدراك تهونها وأنت الذي ازدريته إذ رأيته أعفو عن صاحبنا الآخر ... قلت : أو أوافق أنت من إسمايه ؟ فضحك ثانية

(١) اسم إبليل في قصة فوست الشهيرة

دى لاقيسيل لاقيه ، وصديقنا ورفيقنا فى المدرسة
بنفسه ! غاولت تسكين جاشى ، وزعمت لتبريق دوى
أنى عرفت مقره مصادفة ، فقدمت لزيارته . وجلسنا
وأخذنا بأطراف الحديث ، فإلثت أن وجدته كما
عهدناه سهل الحديث ، عذب الكلام ، صرح الطبع ،
خالياً من التكلف والتسل ، فزادنى وحشة وهيبة
وارتباكا . وكنت كلما همت بمصارحته بسر زيارتى
أرجم على " واعتراى خيال لا عهد لى به ، فلم تكن
الحياة من طبعى ، وإن كانت فى سبيل إتهاد حياته ،
وتخريب آمال ذلك الوحش الراضى المتربص فى
قوكريسون ولا يلبث أن يظهر على مسرح تلك
الحياة الهادئة ليورد ذلك الصديق الفريد والزوج
السعيد موارد التلف ، من أجل صفة ساخرة
سقطت جريمها بالتقدم . وتناكدت فى تلك اللحظة
أن الحياة مأساة مفقدة بيدة النور وإننا لا نمدو
أن نكون ممثلين مسخرين لأدوارنا التى تتقن لعبها
على الرغم منا .

وإذا بالكوثيس قد دخلت بشتة فأسرع إلى
احتشاشى وخجلت فقد كانت مفرطة الجمال ، ناعسة
الطرف ، فاعة القد ، فقدمنى إليها الكونت بأحلى
عبارات الاعزاز والترحيب وهما لا يملكان أنى نذير
الموت . فقد كنت كلما أمنت فى الحديث تضائل
أمل فى إتهاد الرجل لا أعلمه من غليان التنبؤ فى
قلب ذلك الجبار المنتقم المتجرم بالحياة ، المحروم من
الحب . وأخذت أظفر إلى الجدران فاستوقفتنى
صورة تحمل مشهداً طبيعياً ولكن اتى أدهشنى
من هذه الصورة لم يكن جلالها وبديع صنمها وإنما
وجود تقوى متجاوزة فى أدعما على أثر طلاقات
قارية ، قتل للكوت : فأنه إنها لرميات مسعدة !

الأرمية فى منافى باريس ومباهجها أمتع الروح
والجسد بين غوانيتها ، ولشد ما ندمت على أنى
لم أستشره وأشركه فى أسرى ! فله كان يهائى عن
طبعى واندهشى وقد جلبا سادق وشقائى ؛ فلما
بلغنا ضاحية قوكريسون على مقربة من باريس
استأذنت سيلفان أن أسبقه إلى العاسمة حيث كان
يقطن خصمه فى بولفار دى نوايس ، لأتصرف إلى
الزوجين قبيل وصوله ، وأهد السبيل لبلوغ أمنيته ،
قبل وقال :

— حسن ! سأخلف كما أشرت ، فأنت
كشافى وطليعى ونذير الهلاك إليهما ، ولكن
احذر أن تقع فى شباك جمال تلك الأنثى فتضد على
السادة التى تقذفنى وهى اختطاف روح زوجهما من
بين جنبيه . فلم أعقب على فكرته ببواب واكتفيت
بإنسامة حائرة رسمتها على شفى يد الاشفاق والخوف
مما ، وإن كنت أتلعب تلغها وأتحرق تشوقاً لرؤية
الزوجة التى ظننت أنى أسى لإتهاد بلعها من
الوت المحقق . وكان سيلفان قد دلى على معالم القصر
ولم يبح لى بإسم صاحبه

ولما بلغت القصر قدنى أحد الخدم إلى حجرة
الكتابة ، ليعلم مقدى ، وكانت الحجرة مزودة
بكل آلات الترف ، فالجدران مبطنة بباطر الأسفار ،
عملاء بالماثيل والدي ، وعلى صفة للوقد المنحوتة
من المرمر السنون ، مرآة عظيمة ، والأرض
مفروشة بالقرابي والطنافس . وأخيراً فتح الباب
ودخل رجل بهى البلمة جميل الصورة يتأخر الثانية
والثلاثين من العمر فتأكدت أنه خصم سيلفان
ورب العار . فإكلان أعظم حيرتى عندما تقدم إلى
محتضناً يقبلنى ! لقد كان هنرى جوردينو كوفت

قال الكونت : وماذا كان من مهارة ذلك
الراى وحفقه ؟

قلت : لقد كان وحفك ، ربما أبصر بالباية
على الجدار — إنك تبسمين يا كوتيس كالرثابة في
صحة قولى — أقول : لقد كان ربما أبصر بالباية على
الجدار فيصيح بخادمه قائلاً : « جوزيف هات لى
المدس » فيأتيه جوزيف بالمدس فيطلقه فاذا
الباية قد انصحت على مكانتها ؟

قال الكونت : هذا مدعش ! وماذا كان اسم
هذا الرجل ؟ . قلت : سيقان

فصاح صديق متفتشاً في جملته : سيقان ؟
أنصرف سيقان ؟

قلت : كيف لا أعرفه يا صاحبي وقد كان
صديق الحميم ولا يزال ؟ لقد طغرنا عشرة الأخ
إخوته ، على أنه قد مضى الآن أسبوع على آخر
عهدى به أو تعرفه أيضاً ؟

قال : إذن لا يزال على قيد الحياة !

قلت : وعلى قيد عشرين ميلاً من باريس وأظنه
يقع في ضاحية فوكويسون

فانقطع وجه الرجل وجمد في مكانه كأنه أصيب
بطنمة نبلاء في ظهره . فأدركت الكونتيس ماطراً
على زوجها من التنوير وقالت : أنصرف أنت أيضاً
يا عزيزى ؟ فقال : أجل أعرفه حق المعرفة ! ألم
يتنك قط نبياً عجيب وقع له في حياته ؟

قلت : أتشير يا هنرى إلى حادثة الاطمة التى
أصابها بها رجل نذل خسيس في بعض الرأقص ؟
(قلتها لأبعد عن ذهنهما دونهما من الخطر وأبنت لهما
جملى المطلق بما ينتظر الزوج)

فقال : ألم يصرح لك باسم هذا النذل الخسيس ؟

(٥)

فقال : أجل ، إنها دميت صائبة ! إنك
لا شك تحسن الرماية مثل

فسرى انتقال الحديث إلى لياب الموضوع ،
وتثبت أن أجده منه مدخلاً قصدي وقت :

— أحسنها بعض الشيء . إنى أستطيع أن
أقرطس بطاقة من بطاقات الزيارة من مسافة عشرين
خطوة ، بشرط أن تكون الندادة بما قد تمودت
الراى به

فقال الكونتيس بلهجة للكثرت بالموضوع :
« حقاً ؟ » ثم التفتت إلى زوجها وقالت :

— وأنت يا عزيزى أنتستطيع أن تفعل ذلك ؟
فأجاب : لى فاعل ذلك يوماً ما وعلى كل حال
سأحاول هذا . على أنى لم أكن في أبهى السالفة
بالراى الآخرق ولا الطائش السهم ، ولكنه قد
مضى الآن أربعة أعوام على آخر عهدى بالرماية .
فأسقط في يدي ، لأننى اقترنت أنى قد أسل في
مفاوضتى مع الوحش للربص في أكلم فوكويسون
إلى تبادل طلقتين بدلاً من أن يدفع الكونت حياته
ثمناً للطلقة الموهوبة الباقية ديناً في عقه ، وأن يكون
هو البادى بالطلقة فيصرع سيقان قبل أن يتمكن
من إزهاق روحه . ولكننى تجلدت وقلت :

— حقاً ؟ إذا كان الأمر كما قلت فما إخطاك

فأدرك على أن تصيب بطاقة على مسافة عشرين خطوة
فإن الرماية — كما لا يخفى — تحتاج إلى التدريب
اليوى ؟ وهناصا نملده بالخبرة ، فإن أعملنا التمرين
فقدت يدنا الحنفى والتمسيد . وقد أذكر أن أشهر
من رأيت من الرماة كان لا يزال يشترن كل يوم
ثلاث صبرات قبل تناول غذائه وكان قد تمود ذلك
تموده الأكل والشراب

« حنجلة ^(١) » الحصان . فلما بلطنا ساحة الممار
بصرنا بمركبة وخبرنا أن رجلا في انتظارنا بفرقة
الطالمة ، فسألت قبل صاحب القصر من هو وما اسمه
فقبل لي : إنه أبى أن يسمى واكتفى بقوله إنه له
مع الكونت حديثا في مسألة خطيرة ، فلم أرتب
طرفة عين في أنه عدونا استبطاني فجاء يتقاضى روح
صاحبي من زوجته ومنى . فأسرعت إلى الغرفة
فألقيت في التلالم رجلا أشعث أغبر لا عهد له بمحلى
ذقته منذ أسبوع ، وكان واقفا قرب صُفَّة الموقد
فدنوت منه وقرست في وجهه وإذا ظلى لم يبق !
قيد شجرة : سيلفان نفسه !

فصحت قائلاً : سيلفان ! ولا أنكر أنى
أحسنت إذ ذاك أن شمر رأسي يقف ويتصب ،
فما أدراك بحال الكونت ! ولكن سيلفان كان لبقاً
وخبيثاً ، فلم يد حقه على بعد أن تركته يتقل ،
وقنع بأن حديجى بنظرة أبغ من الشاب وأشأم ،
تفسيرها : لقد طاب لك اللقائ يا غلدر ؟ وليتك على
الأقل لم تُفرض بىرى . وإلدره الكونت بالتحية
ودعه إلى الراحة والاستجمام والمشاء . فأجابه :

— ما لهذا جئت أيها السيد النبيل ، فإن
مأموريحى لا تمكننى من قبول ضيافتك . والرجل
لا يؤاكل من يزم مصماً على قتله

فقال الكونت متبهاها : على ذلك ! استرح
أولاً ثم اقبل ما شئت فإن في الوقت سمة
فقال سيلفان وهو يمحرق الأرم : إن لي عليك
طلقة ، وقد أتيت أطلقها فهل أنت مستعد ؟ وكنت
من فرط هلى وروعى لا أنكر إلا في مقدم
الكونتيس أوجوه وأخشاء

قلت : كلا إنه ما ذكر لي اسمه قط !

فأقبض الكونت ابتسامة ساعمة حزينة وقد
غلدره بشره ، وحديثه نفسه يعض ما وراء الأكمة
وقال وقد عراه أشد الاضطراب والافتعال : أنا هو
ذلك النذل

فقلت متصنفاً الأسف : ممذرة يا مزرى وعفوا
فقد أخنى عنى الأمر

وكانت المائدة قد أعدت وقال الخادم في أدب :
« إن الطعام ينتظر آكليهم يسدي الكونتيس ^(١) »
فنهضنا واكتفيت في هذه الليلة بهذا القدر من
الكلام الذى هيامه لي القادير ، وقلت في نفسى وأنا
أقوم متلكتلاً لأجلس على خوان هذين الزوجين :
إلى هنا ينتهى مشهد من مشاهد تلك الرواية ، وإن
الرواية لم تهم فصولاً . وقصيت في ضيافتهما أسبوعاً
وأنا لا أمك أن أناهما في نيا الكارثة التى ترميها
بها فوكريسون

وفى ذات مساء خرجنا على خيل لما تنزه في
غابة بولونيا وشرع جواد الكونتيس يرح ويهوج
في عطفه ويترى ، ولمه لمع فرساً راقه منظرها ،
وكننا في موسم الربيع عند ما يحلو للذكران من
سائر المخلوقات أن تشق لتنتج تضاعف عدد
الضحايا من الطير والحیوان والإنسان . فذعرت
الكونتيس وترجلت وأسلتني زمام جوادها وعدنا
إلى القصر في مركبة ، غير أنا سبقناها إليه إذ
كانت فضلت السير على الأقدام لقرب المسافة بين
الغاب والثوى ، ولذهب الروح الذى أصابها من

(١) يقول خادم الغرفة Madame la Comtesse est servie أى تمت لها الخدمة بأعداد المائدة

(١) الحنيطة كالزعرورة والحنيطة وللضمضة

وتأرجح . ثم إلهما حثوا مسدسهما ، وعلنا القرفة ثم اقترعا فوقعت للكونث التوبة الأولى كما حدث في القرفة السالفة^(١) ففرحت بنته ، ثم عدت فذكرت الفرق بينهما في الرماية فان صاحبي مضى عليه أربع سنين لم يتمرن خلالها مرة ، أما خصمه فكانت الرماية غداء اليوى

وقال سيلفان عند ظهور القرفة : ما أسمد حظك يا كونث ! وتناول هنرى مسدسه وأطلق فأخطأ وقال : الحمد لله إنها لم تصب ضيفي ؛ فأننى أفضل الموت لنفسى على أن أس شعره من رأس من أتيل على زائر أو لو كان مصمما على قتلى . وكنت أعتقد صاحبي غلما في قوله . وتمتعت لو تصل تلك الكرمة إلى أعماق قلب سيلفان فيتجبل ويسدل ، ولكن أنى لأنسال البليس أن تصفح أو تنسى ؟ فقد رأيت سيلفان كأه الشيطان فرفع يده بالسدس يسده ... وفي تلك اللحظة فتح الباب ببنته ودخلت الكونثيس ، فأبصرت وجهها يتوهج من الوجد توهج التبنس للشتل . أما الكونث فقد عاد وجهه من تأثره أبيض من منديله . وصاحت الزوجة الشابة صيحة منكورة وألقت بنفسها على عنق زوجها ، فأعاد حضورها إلى زوجها كل قوة وجلده وقال لها : مابالك يا حبيبتى ! ألا ترين أننا نزعج ؟ ما أشد فزعك ورجبك ! إذهبي فاشري كوبة ماء ، وعودى إلينا فسأفدعك إلى صاحبي التقديم وزملى . فلم تفلح كلامه منه في إزالة الشك منها وبقيت مرتابة حيرى فالتفتت إلى سيلفان الريب وقالت له :

— خبرنى بالله أحقا ما يقول زوجي ؟ أحقا

أنكنا نزعجان ؟ إن غريزتي لا تخفى في ردي

(١) هنا يؤيد رأينا في قانون البارزة الذى يخفيه البياض

وكان مسدس سيلفان بارزا من جيبه . وكأننى قد صفت واستطعت سخرأ لا أمك أن أفوه بكلمة ووددت لو أغض على هذا الشيطان للتجسد رجلا لأعسمه الحياة بحجة الخناق عن النفس أمام الخطر المؤكد . ولكن التندر لم يكن من طيبى . وكان الكونث أسرع من البرق قد قاس اثنتى عشرة خطوة وأخذ موقفه في أحد الأركان ورجبا خصمه أن يسرع باطلاق مسدسه عليه قبل قدوم زوجته . فردد سيلفان لحظة عاد إلي فيها بعض الرجا ، ولكنه طلب نوراً فأحضرت الشموع وأغلقت الأبواب ، وأمر الكونث ألا يدخل علينا أحد ثم رجا أن يطلق مسدسه . فاستخرج سيلفان السدس من جيبه ثم صوبه نحو صدر صديقى وسده وكنت أمد التواني . وقد كرت الكونثيس ونهمن في تلك الحجره التى كانت روضة من التميم فالتفت في لحظة قاعة للاعدام . وصرت دقيقة أهول من يوم التيامه وعند ذلك فتح الله على وحلت عقدة من لسانى ونظقت متلفظاً :

يجيل إلى أن هذه ليست بمبارزة ، ولكنها جريمة قتل مصحوبة بسبق الإصرار والترسد . وأنت يا صاحبي سيلفان لم تتودد والله أن تنجاني بتسديد سهامك إلى صدر رجل أعزل أو رأسه . خفض الشيطان يده وقال :

— بماذا تقضى إذن وأنت صديق الطرفين ، كما أرى ؟ ولا أخفى عنك أن الكونث رمانى وأخطأ فالور على . قلت : أولى لك أن تبدأ الأمر من أوله مرة أخرى وإن كان مدينا لك بطلقة :

فقال : نزلت على إرادتك ، فيما بنا نريد القرفة لنمنع البادى ، فأحسست كأن الأرض تميد بي

فجئت الضابط النوب وأفضيت إليه بكل ما جرى .
فدون أقوالى وانتقل إلى مكان الحادثة وطلب من
قاضي التحقيق أن يخصص الاهتمام ويخصص الأدلة .
وشهد خادمان بما جرى كما رويته ، فأطلق سراحي
وقرر بأن لا وجه لائحة المعوى فقد كانت المباراة
مباحة في الفرق بين رجال الجيش . وقال قاضي
التحقيق وهو يهتشي بالنجاة من غدارة ذلك الوحش
القاسى : دقة بدعة . إن القانون فوق العرف ، والعدل
فوق القانون . وبعد شهر علاج وعناية فائقة ،
استمادت الكونتيس وعيها وقوتها . وكانت إجازتى
قد انتهت فاستأذنتها في الانصراف ، وأنا أحسب
أنها تهرن مقدى عليها بشر ما أسأبها في أعز إنسان
لها . ولكنها استمهلت واستيقنتى قائلة : لقد
قدت بلى وحبيبي ، ولم يكن لك في مصاييد ،
بل لقد تأثرت له في التو والساعة ؟ ووليتك سبقت
القدر بمسكك إلى خصمه وخصمك

ولكننى علت أنها تكون جناية قتل لا مبرر
لها ، وأن للروح لم يكن ليفرها لك لا أعلمه من
إبائه النذر بطبعه ، فإن شئت جدت إجازتك ولو
ألياً معدودة .

قلت لها : بأى عذر ؟ وإن إجازة الضابط لا
تتعد إلى أكثر من ثلاثين يوماً ، إلا لالة واحدة .
قالت : وماهى ؟ قلت : الزواج . قالت : فليكن
هذا عذرك على بركة الله . قلت : إنها لا كنبوية
غليظة فلا أتوى أن أقعد على عروس لم أختارها
وما زال قلبي خالياً . قالت : من يدري ؟
فاكتفيت بهذا التلميح وطرقت قلبي فرحاً .
وتناولت قرطاساً وقلماً وكتبت طلي ، فقالت وهى
تداعبني مداعبة حزينة

وكانت كلمات لو قيلت لصخر لذاب وفتت ،
ولو قرئت على حديد للان وسال
ولكن سيلفان الذى لم يرف قلبه الشفقة قال :
— إن زوجك يا سيدى لا يزال يمزح ، فقد
لطمنى مرة على حر وجعى وهو يمزح ، وأطلق على
رصاصه أنفذها في قبعتى وهو يمزح . والآن إنارماني
فاخطاني إنما كان يمزح ، فلا حرج على الآن إذا
رأيتنى أيضاً أريد أن أمزح
وهل أثر هذه الكلمات رفع مسدسه ليسدده
إلى صدر صاحبي فالتفت الكونتيس بنفسها على
قدميه فقل الدم في عروق وجهت أن أنشب أنفارى
في عنقه حتى ترهق روحه قبل أن يشهد زوجها
مصرع كرامتها ولكن الكونت تسجلني بنظرة
غاضبة وصاح بها :

— انتهى يلما تله أما تستحين ! أما تحجلين ؟
وأنت يا سيدى هلا كفتت عن السخر والاستهزاء
بامرأة ضميعة مسكينة ؟ مسكينة ! خبرنى أأنت
مطلق أم مسك ؟ فقال سيلفان : بل مطلق

وفي تلك اللحظة أطلق ، وأسأب الكونت في
رأسه ، ففر صرياً وكانت الزوجة قد أغمى عليها
من الدمع وم سيلفان بالخروج يد أن انحنى يحينى
قتلت له : مكانك واقترع . وخرجت القرعة لي :
فتناولت مسدس الكونت وصوته وأطلقت طلقة
نجدلاً سبقتني إلى تسديدها يد الناية واخترمت صدره .
وتكوى كالآفى وخلصت إلى ساحة القصر وفادت
الخدم والحوذى الذى جلبوه قتلنا الكونتيس إلى فراشها
وعهدت إلى وصيفتها أمر الناية بها حتى يدركها الله
بطيفه والطبيب بملاجه . وركبت للركبة فاضلقت في
قبل أن أستيقن من تلك العثرة ، إلي دار المحافظة

وكتبه وأخفوا كل ما كان يذكرها بشخصه ؛
وقالت لي وهي ترحب : قد آن لرب الهار أن يحمل
منها عله ، كما حل من قلب زوجته ؛ فامتضت في
قرارة نفسى ولكننى واقتها في تنفيذ مشيتها
وقديماً قالوا : « إرادة المرأة من إرادة الرب (١) »
والقول قولك وأنت الأمرة الناهية في قصرك

وبعد هذا الاقلاب بشهر واحد ، صحت من
نوبى وكنت أعتزم أن أصحبها في زمة خلوة
فقبلها قيلة الصباح ، ولكن شفتى ارتدتا جامدتين
قد كانت جثة هامدة وقد أسلمت الروح ، على
ما زعم الطيب أثناء النوم ، بعد رؤيا فاجعة سببت
بنته وقف دقات القلب . ومضت على هذه الحوادث
أعوام كانت أمراً وأدعى ما حيت من العمر ،
فاشتغلت بالزراعة وجعلت أثناء ذلك آسف على ما فات
من لذة العيش في الجندي ، وآسى على ما سلف من
حياة الزواج والحلب . أما زوجها الأول وخصمه
الذى قتله ، فقد دفنا متجاورين

محمد لطفي محمد

(١) مثل فرنسى سائر Dieu Ce que femme veut
le veut

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

— وإن سألتك عن اسم تلك التى سئمت
بمشاركتك ، أولاً بسألتك ليشاركوك أفراح
زفافك ؟

— قلت : هذا الذى لا أعلمه وكاد القلم يقع
من يدي . قالت : أكتب : الكونتيس بورنيوا
دى لايسيل لانيه ؛ فأهويت على وجهها وبدا
وعنفها أقبلها وأشم رائحتها الطيرة ، وأذرف الدمع
السخين من فرط سعادتي وحزناً على سلفي . وهنا
سكت ادوارد يون ، فظننت أنه وصل إلى آخر القصة
ولكنه عاد فقال : « وقد قضينا ثلاث سنين أسعد
ما يكون زوجان وأدهشني سرعة النسيان الذى
جر ذوبه على ذاكرة الزوجة . وكنت أعاقب نفسى
كلما شعرت بالهم يمتد في غيلى ، فإنها لم تنس
قربها ، إلا بسببي . والمرأة إن فقدت الأمل في
أحب رجل إليها ، فإنها يحكم الطبع والطبيعة ،
تبادر إلى التفتيح عن غيره لتستلقي به ، وقد عشنا
في جو من الصفاء والحب لم نشفه شائبة ، غير أنها
كانت أحياناً ترى منى فيها يرى النائم أشباحاً ترعبها
فتنهض مذعورة تبكي . فافأ ما فطحت عينها ورأيتي
بجانبها عاودها الممشاتها والتصقت بي ، كما يلصق
الطفل الخائف بصدر أمه . وقد أدهشني أنها كانت
تحتفظ بكل ما في القصر من ذكريات المأسوف عليه
زوجها الراحل ، قديدى وقديدها ، فهذه صورة
النخمة في البهو وغرفة الطعام ، وتلك نياحه النالية
وزنه السكرية على المشجب ، وكتبته وأوراقه لا
تزال حيث تركها ليلة مصرعه ، وخيله اللطمة مازال
في اصطبلها المار بأمر السائين وأجود اللطف
وفي يوم من الأيام نهضت زوجتي وجمت الخدم
في قاعة الاستقبال وأمرتهم أن يقلبوا القصر رأساً
على عقب ، ففعلوا تصاور للرحوم ونياحه وأسألته

— أبلتكم أيها القائد نبأ من أحب
نفخ عن قلبه هواء ؟
قال : لا
قالت : فوالله لو ملكت أن أترع طيفه
من قلبي لفعلت

وسكن كل شيء في القصر الملكي
لا يسمع إلا وقع خطوات حراسه ، ولم كل من فيه
إلا الملكة فقد ظلت ساعده الجفن تقب في فراشها
كالحموم ، وكان الحب المكثوم الذي تحمله لحارسها
قد أعيأها ووجت لو أقضت به إليه
ماذا سينها وقد علم الناس أنها مستهامة به ولم
يق من يجهل هذه النار التي تستمر في صدرها سواء
وقامت إليه متكررة في ردة الليل ترتدي ثوب
وصيفة ، ومرت بطرفها فأراه يمشي إلى شاطئ
غدير القصر فدخلت إليه ، وما وافت مكانه حتى
ترنحت كأنما تمشي على الصراط ، وكلته في رقة اهترت
لها أشجار الحديقة طرباً وقالت إنها وصيفة الملكة
أصابها الأرق فحادت إلى الحديقة لتقتل بين أشجارها
ما بقي من الليل

ومضت تحده عن الجو والحرب ، وقالت فجأة :
— حريت بك الملكة ذات يوم فنجبت لهنوئك
ولمينيك اللتين تتمران من ينظر إليهما بسحرهاائل ،
وحديثك فلم تضطرب ، وحاولت إغراءك على النظر
إليهما فيمست وهي التي تنهبها نظرات الجنود إننا
مرت بهم ، فكيف كان ذلك ؟
— تلك طبيعتي لا أحفل بشيء سوى واجب
حراسها كما ترى
— أحبب الملكة ؟

من تاريج الهند رأيتك

بعل محمد بن محمد بن مصطفى

.. واقبل رسول أمير « جوبال » إليه يحمل
نبأ رفض « راند » ملكة البنغال الزواج به
واستطار الأمير إذ تنهد آماله ، وأقسم ليدخلن
بلادها قائماً غزياً

ونفخ في صور الحرب ..

واقضت جحافل الأمير على جيوش الملكة
والتمح الفرعان عند حصن « فانيا » واقتصر جند
العدو في الوادي يمل يد التهب حتى ترك المنطقة التي
احتلها خراباً ..

وانكفأ شيجارا قائد الملكة إليها راجياً منها
أن تقتدي بنفسها بؤس الشعب وويلات الحرب
ثألاً لما بصوت يستدر روافد المموع :

— لورأت إلى السماء تسيل في ميدان الحرب ،
ولوسمت إلى أنين الجرحى وبكاء الأم ونواح الزوجة
وصباح الولد ، لأخفك الجزع على مصير شريك
— إني لا أكره أن أكون زوجة الأمير ،
ولكني لا أريد خداعه . ولكم أود لو أقض قلبي
من حب حارس أبد الدهر ، ولكن الأمر خرج
من عفتي إلى قلبي

— تستطيع مولائي أن تستخلص عقلها من
بين يدي هواها ولا تدع للحب سلطاناً على نفسها

تقاوم خلالها فأرآ تستعري صدرها وشوقاً كالجنون إليه ، وكانت كلما هاجها الوجد جلست إلى نفسها تسكب من عينيها الجنتين قطرات لتطفئ هذا اللهب الذى يتوهج من قلبها ؛ وسقطت مريضة وعطت أنها مشرفة على الخطر ولا سبيل لها إلا جواره ، فرحلت إليه

وشمرت للالكة أن قلبها قد انفلج لما قيل لها إن القائد قد قذف بحرس القصر إلى ساحة الحرب ونظرت إلى القصر خلواً منه نظر التريب الحائر إلى بلد حله ، وتخاذلت أعضاؤها واستندت إلى متكا وتحننت بصوت خافت :

— أبخوض « نوجا » تلك المارك التى يظلمها للوت ؟

فاصفر وجه الوصيفة وتحننت : نعم

قالت : إلى ليحزنى أن يموت

وقامت إلى الميدان تنهب الأرض وتنقل من نجد إلى وهد حتى وصلت إلى جبهة القتال ، وعطت بقربه من الخنادق الأمامية فاندفعت إليها كالظبية الطريدة تتخطى الأشلاء والعماء

وإذ رآه على جواده الأشهب يثر الملاك على جمع الأعداء نسيت ما لقيته في سبيله من أحزان وآلام ، وحرت تستقبله بين ذراعيها لكنه أبدها في رفق زاده فتنة وزادها جنونا

قالت بصوت يفيض أسى :

— ألا زلت يا نوجا على ضلالك القديم ؟

— نحن في ميدان حرب لا ميدان حب . ولا يليق بملكه ...

— .. أ يكون ملكى عقبه بيتى وبين آمالى ؟

— إلى أجلسها لعلها ولأنى جندى في حرسها
— فإذا ما أمرتك أن تفتح لها جوارب تفكك وتجلسها في سويداء قلبك ؟

— .. مالى إلى ذلك سبيل ؛ ولودخلت الالكة إلى قلب حارسها البسيط لئناق بجمالها وملكها وقلوب اللوك والأمراء التها الكين على أقداسها ، وإلى لأتقع بكوخ يحوى زوجة أنظر فأجد رأسى يلو رأسها — ما أظنها تريدنى لإزينة في مجلسها ودمية لقصرها ، لا أملاك لنفسى حقاً وحى تمك كل حق ، فإذا غلست أو غدرت فذلك من أحكام نفسها — أرفض يداً تمتد لرفك إلى عطاء رجال البلاط في القصر ؟

— ما طلى وجه الأرض شيء أبغض إلى من يجد ينشأ على كنف امرأة

قالت : من أى صخرة من الصخور أو هضبة من الهضاب نمت هذا القلب الذى ينطوى عليه صدرك ؟ وزفرت زفرة كادت تساقط لها أضلاعها ، وطدت من هذه كما يمود القائد المهزوم من ساحة الوعى لا تمك حتى دمة تفرج بها عن نفسها

وتلقنها وصيفها بقلب هالع وقالت تخفف عنها ما بها :

— ماذا ينيك يا مولاتى من أمر جندى في حرس رياضك ؟

قالت : « ذهبت في إليه نفسى اللعينة فردها إلى صدرى حزينة بأكية » وتهاقت على عذعها ومضى الليل لم تطعم خلاله النعص . وفى الصباح رحلت إلى قصرها في جنوب البنغال عل قلبها يتبدل إذا ما أبدلت سكنائها . وقضت ثلاثة شهور كانت

تولى النهار ورائدا في متقلها متقلب على نار
مما يساورها من آلام ، وتخصت ثورة قلبها عن حب
رايض يهز كياتها لحارسها الشرير وعلم بأسمها
وقفت حيلها وبانت لا تقترح على دهرها شيئا إلا
رحمة لنفسها برحة حبيها ، وأخذت تنظر إلى ماء
البحيرة بنظر سأم وقد قام في نفسها نزاع رهيب
بين الإقدام على اللقاء نفسها فيه أو الإبقاء على حياتها
وطرق أذنبا صوت أقدام تقرب منها فأدركت
أن جنود الأعداء قد أمروا لأخذها

وخفق قلبها حقيقة الرعب ... والفرح لما رأت
نوبا ... نعم نوبا بلحمه ودمه بين يديها يسألها
ما شأنها وما مقامها في هذا الحصن الثريب

وقضت إليه جملة حالها
ورأت نوبا أن الشجاعة في غير موضعها جنون ؟
ف هناك حارسان مسلحان بالباب وليس ثمة طريق
للنجاة سوى البحيرة

وحلها وأبى بنفسه في الماء
وأخذت رائدا تقرب الجهاد المائل الذي يينه
ليصل بها ساجدا إلى الشاطئ الآخر وكانت تنظر
إليه كما ينظر الأطفال إلى آبائهم وهم يصرعون

دب الشفق في حاشية الأفق لتسمع الإلحمة
الرياح تطلق رؤوس جبال الهند . ومشيا طويلا
لا ينيس أحدهما كأنما قد امتثل سكون الليل إلى
فؤاديهما ، وأضناها السير فحملها نوبا فودت لو ضل
النجر سبيله لينزل حاملها ما ظل الظلام
وبلغ قصرها وتسلل عائدا إلى ميدان القتال

سقط حصن قائنا وما حوله من القرى تباعا

إنني فتاة يا نوبا وفي صدري قلب هام بك ودعني
اليوم إليك لأقول لك إلى أجلك وإني لا قيت في
كلماته عنك أوصافا وأسقاما
ترى هل تنصر لي يا نوبا من الوجد مثلا
أضمر لك ؟

— قائنا ما أقسمت غير حاث أنى لأحل بين
جنبي سوى الإخلاص لقلبك
واستيقظت فيها كبرياء الك وكبرياء الجمال
فراءه أمون على نفسها من أن تذوق لأجله ألوان
الشقاء ، وابتعدت بنفسها عن طريق الحب ونسيت أنها
كانت مستهامة به فأصرته به أن يشرد في أفاق البلاد
ومضت كليلة اللحن تقطع الطريق إلى قصرها وفي
صدرها نار تحبس أثرها اللاذع في السويداء من قلبها
وقطع عليها المدو سبيل العودة فكنتوا لها
وفروا بها لا تدين باللال والأكام ، وهناك على
حدود البنغال أودعت حصنا تحوط ناحيتين منه
بحيرة « الرجاديت » حتى نهبا لها سفرة أمينة إلى
قصر أمير جوبال

الشمس في وقت الظهيرة بركان تنفجر من
فوهته النيران ، وأخذ نوبا تحت خيوطها النارية
يضرب في بطون الوديان وقم الجبال . وقلب طرفه
يبحث عن ظل يتفأه فشر به على مرى البصر تحت
دوح يدور حول بناء شامخ كأنه درع مسرود
وما اقرب منه حتى سمع أنهن فتاة متوجة قدنا
منه متوقفا في مشيته وقلب طرفه فلم يجد رائحا ولا
غاديا فاعتلى دوحة فراء وتلى من غصن فيها إلى
سقف البناء

سنيمة له أن الساعة قد دفت . وسجلت « راندا »
أن الدهر قد بدأ يكفر بحسنه ما أسلف من سيئاته ،
وساخها نوجا فأحست بجمرة يده تلمح كل جارحة
فيها ، وشمعت لذلك بلذة صغرت إلى جانبها عزة
الملك ، وودت لو علقت في ظله تنعم برجولته الفضة
وجاله ...

وانشقت حناجر الشعب تهتف بحياة « نوجا »
واعتز كيائها جذلا له وحميت في أذنه بصوت حالم
— هلم إلى التاج يا نوجا أعلمه عليك لأعيش
في ظلك فتاة تهواك من أعماقتها

وفزع نوجا لهذه المفاجأة وقال :

— جميل أن تهزأ بي الأقدار فتحي لي عرشاً
أنتوؤه وقصراً أسكنه . ويضع الدهر عينيه
فيسلبنيهما أشد ما أكون بهما سعادة ، وأعود من
هذا القصر الكبير إلى كوخى الصغير . فاذنا ما أخذت
على الأقدار عهداً ألا تسترد ما وهبته فاني قائل
ما تأمرين ...

لقد أدبت ما على لك والوطن لم يدفعني لذلك
التاج الذى تظنين أنى أسبو إليه . وهناك على
شاطئ قدير القصر سأواصل حراسك لك كما كنت
من قبل

ورأت فيه الملكة من ماني الرجولة ما زادها
به كلفاً ، فأخذت تحاذه وتدور حول قلبه علما تجد
منفذاً لوصوله ، لكنها أخفقت

ويشة أرسل الرجل الجامد أنه خلفته خائفاً
راندا زفرة حب

وعقد الملح لسانها لما رآه يسقط بين يديها
صرعاً في دمه ، وتالت الأسوات : القاتل .. القاتل ..
(٦)

واستولى جنود المدو على جميع الخنادق المحيطة به
وشمر نوجا أنه قد بدل من نفسه نفساً غيرها
فراى الملكة بين غير عينيها ، ورأى فيها التضحية
له فازدادت في نظره حسناً وملاحة غفراً ، وهب
يصول في الميدان كالليثا وشك الصيادون على اقتناصه
وانتشر من روحه إلى أرواح زملائه الجنود حية
هائلة فكروا على الأعداء بجهلهم ورجلهم

وانتهز نوجا زعر العدو الفاجى فصر بهم للضربة
القاسية وانذغ وراء ظفر الأعداء وهو واثق أن
النصر لن يخطئه حتى انجلى آخر جندى عن أرض
الوطن العزيز

وسفلت حياة نوجا الجديدة بما تحفل به حياة
رجل عظيم
ألم يهزأ بالملحوب ويختل الأموال ؟
لقد أتى على الملكة وعلى تاجها ..
إذن « فليحي نوجا منقذ الوطن »
هكذا هتف الجنود

الشوارع يومئذ ترخو بمجموع الشعب على جانبي
الطريق والمدينة في حلة زاهية من الأعلام وأخذ
كل يقرب في لهفة قدوم نوجا على رأس جيشه الظافر
وأكلت النيرة قلب « شيجارا » قائد الملكة
فأشمر له بين جنبيه شراً مستطيراً

ها هي ذى الملكة قد استوت على عرشها ترقب
في شوق قدوم وجلها — ها قد ابتسم لها نثر الحياة
ومألها القدر .. وترجل نوجا عن جواده واقرب
منها مهتال الوجه . وهمس « شيجارا » في أذن

الصباح وسقط خيط من شماعه إلى جبينها الساحة
فإنها بها يضاء العارضين متجسدة الوجه كأنما حمرت
على جلستها سيمون طاماً أو تزيد

واستبلت بها الذكري وذهب إليها الحزن ،
فأخفت تهم على وجهها في المدينة وما جاورها تسال
التداة والروح : ما فعل الله بجيبها . والناس بين مشفق
راث لا يعرفون كيف الجواب عما يسألون

ومر أحد الرعاة يوماً بمقبرة المدينة فرأى فيها
امراة قد احتضنت قبراً جديداً فارتاع لمرآها وسألها
عن شأنها فلم يجبه ، فدنا منها وقلبا فإنها بها جثة
باردة ... يا لقسوة القدر !!
إنها الملكة !

محمد محمد مصطفى ،
بإدارة مدرسة البوليس

لقد كذبت راندا عينيها وإلا فكيف يموت
جيبها في لحظة

ونظر إليها نوبيا وألمم يتدفقي من ثقب سهم
رائش نفذ من ظهره إلى قلبه وفي عينيها بسمه الرضا
نجت راندا إلى جانبه جثو المابد في سلامه ، وسرى
من روحها الحزن تيار قوي انتقل إلى شعور الجميع
فجملوا كأنهم نصب

وأشفق أحد الجنود أن تخرج نفسها فقال لها :
رحمة بنفسك يا مولاي . فأجابت شاردة :
— ماذا لقيت من الدنيا لأحرص على البقاء فيها ؟
واعتمدت ذراعه حتى بلغت غرفتها وتهاكت
على مقعد ، وقد شرمت أن نفسها تسرب من بين
جثيها ، وظلت بين دموعها وأحزانها حتى انبج

كل ثوب مصرى علم من أعلام الحرية

تغزلها وتنسجها لنا

شركة مصر للغزل والنسج

وتبيعها جميلة متينة رخصية

أطلبوا منتجاتها من

تجار المانيفاتورة بالقطر المصرى

التنافذة

لأستاذ محمود خيرت بك

تسبقتني إليها كأن بها قوة منطليسية
تجذبني نحوها . وكانت على ما عهدتها في
الصباح فتذكرتها إلى منزلي وأنا أفكر فيها
وقد بلغ من أمرى أنني كنت أتخي
كل يوم لو أن ليلى لا تطول فأسارع إلى
الوقوف تحت تلك النافذة وأنا ذاهل مشرد
أشعر في ضباب خواطري بشيء مشوش

لا أتبين حدوده ولا أسأل إلى فهم مناه
ما كانت تلك النافذة إلا إبطاراً خلا من صورة ،
أو شيئاً مفتوحاً من ميون تلك الغرفة ، ولكني
لا أستطيع أن أنفذ منها إلى قرارها
وكنيت على عادي أسراً من أمامها فلا أسمع ولا
أحس شيئاً ، حتى طرق أذن ذات يوم صوت من
داخلها فلم أعني فقلت لا ريب في أنه صوت ربة
الهار وقد امتلأ منه مسمي وأخذ يلعبني كما تلعب
الريح بالشارب
وكثيراً ما كان وهمي يحاول أن يسورهم لي ،
فأضحك على غفلي إذ قد تكون صورة ناطقة
بالهامة وإن خدع صوتها السامع كما يخدع صوت
الكروان . ولكني أعود فأكتب خيالي لأن
القبج لا يتلازم منه جمال الصوت ، ولأن الأندلس
التي تخلي الجميلة قل أن تهمل عليها بجل هذا الصوت
المغيب الرخيم

وعند ذلك يتفصح لسبي أفق الخيال من جديد
فأراها معجزة من معجزات الحسن وآية من آيات
الفننة ، وكأنني أنظر إلي عينيها وخديها وقدها فلا
يمادني إلا لحظ ساهر وورد فأسر وغصن متأود
مياد ، حتى كنت إذا صيرت أمام دارها أكاد أم
باعتصام بابها لأملأ عيني منها وأنسج حداً لهواجسي
التي كانت تريد في عذابي

... نعم لصديقي كانت تلك النافذة موضع النداء
والوداد . وكنت وأنا متجه في الصباح إلى عمل
أجدها مغفلة فأسير قدماً لا تتحرك لها نفس ولا
تأخذ كثيراً أو قليلاً من التفاني . وكان يستوى
عندي أن أجتاز الزقاق المظلة عليه أو أن أسلك
طريقاً آخر

وكثيراً ما كنت أسمع من إخواني أن في الحياة
قوة خفية تسوق الإنسان أحياناً إلى حيث لا يريد
أو تدفعه إلى عمل هو بعيد عن التفكير فيه ، فكنت
أثور عليهم وأحتد متمصياً رأيي في أن الإنسان
بحواسه وعقله مسيطر على أعمال نفسه حر في
حركاته ؛ حتى إذا كان يوم نهيات عنده للذهاب
إلى المديوان أخذت طريقتي إليه دون أن أجتاز ذلك
الزقاق . ولكني بعد إذ تركته خلفي بنحو أربعين
متراً انكفأت راجعاً وأنا أحس في أعماق نفسي
حافزاً إلى العودة بفير أن أقوى على دفعه . وما كنت
أسلك الزقاق بعد ذلك حتى وجدت النافذة مفتوحة
وسمعت كأن بالترفة حركة فوفقت أمامها لحظة ثم
استأنفت سيرى

وإذا كانت ساطعت العمل بالمديوان قد أنستني
تلك النافذة وما كان من أمر عودتي إليها رغماً مني ،
فأنني لما حان موعد الانصراف وجدت قدني

مهرت تحت نافيتها شمعتي بإقسامه أو أقتت إلى زهرة، أو أرسلت لي في الهواء قبة فأذهب إلى على نشوان سعيدياً

وكثيراً ما كنت أراها في الصباح بعد حلم نمت بطيئها فيه حتى كأني لم أستيقظ منه . وقد مضى على ذلك شهر وأنا أستقبل عند مطلع كل شروق شمس وجهها الصبوح تبسم في نفس نشوة جديدة تريد في ناري وتضاهي حرقتي فأعني لو أنني أصل معها إلى آخر كتاب الهوى الذي تبادل مطالعته كل صباح ، حتى إذا غلبني الوجد وغابني الجلل عولت على أن أضع بينها وبين حداد الزواج وكانت سنّها لا تتجاوز سبعة عشر ربيعاً ، فعلى إذن لا تزال غداً ، كما أنها لم تفتح قلبها لنسري وإلا كانت أهلكتي وسدفت عني . فاستقر هذا الرأي في نفسي وأرجأت تنفيذه إلى الند

وقطعت تلك الليلة مضطرباً أقلب في فراشي وأقلب ما فكرت فيه على كل وجوهه إلا وجهاً واحداً هو : من عساه أن تكون ؟ ومن هم أهلها وعشيرتها ؟ فأقرأ من محاولة البحث في ذلك . إذ ما فاجئني من نسها مها اتضع أو ملها مها ارتفع

وما أردتها إلا لذاتها : لجلها وسحرها وفنتها وقد عولت عند الصباح على ألا أسلك ذلك الزقاق لأخرج إلى إعداد نفسي لتحقيق تلك الناية ، وكذلك عند عودتي لداري . وبعد أن ارتحت في مضجعي قليلاً قفصت منزلاً ، وأنا أهر من الفرح ببقاياها

ولكنني ما كدت أدنو منه حتى ألقيت نافيتها منقاة وعلى الأرض من تحتي ذلك الأصبص مطروحا هسماً ، فاقبض سدري وأظلمت الدنيا في عيني . على

وبينا أنا ذات يوم اجتاز ذلك الزقاق سمعت حركة عند النافذة ، فما أن رفت بصري إليها حتى خفق قلبي وساخت روعي لأنها كانت فوق ما تخيلت ؛ وكانت تنقأ أصيصاً به غصن يحمل قرنفلاً ، فلما أبصرتني غلب عليها الحياء وحلوت أن تراجع فأندفع الأصبص يهوى من فوق ولكنني تلففته قبل أن يصل إلى الأرض . ويظهر أنها ارتاعت خشية أن يسميني ، فلما رأيته أهرعت إلى الباب وملت من فجوة ساعداً بضاً كالماج تتناوله وهي تقول : « كتر خيرك » . قلت لها : « بس كده ؟ » وعند ذلك برزت لي رأسها الجليل وتولتني قرنفلة قبلتها وشتمتها ، فأخذت تركز في نظرات طوبقة كلها فتنة وسحر ، وجسمها بريئ وأناقها تتلاحق . ثم أسرعرت ترو الباب رويداً رويداً ولكنها عادت ففتحت وكنت لا أزال في مكان حاراً ذليلاً فقلت لي : « كفاية كده » ، وهي تبسم ثم ... اختفت ولقد أخذت مجلسي أمام مكنتي وأنا لا أشعر إلا بأنني في الزقاق أجدق في النافذة وألقف الأصبص ... ثم تلك القرنفلة وتلك الإقسامات المذبة وفيها كل أسباب النبطة ومعاني الرضى . على أنني انتهت من حلمي والقرنفلة لا تزال بين أنامل قريبتها من عيني وفي أروبيها بعمي وأمطرها قبلي ، ثم أخذت أناملها وقد خيل لي أنها فرع من ذلك النسنس اللدن الناعم يحمل إلى أروج أنفاسها . وبعد ذلك ينتقل بي تأملي إلى أنها زهرة لا تهرأ أكثر من يوم . فهل ما بدأت أشعر به من إقبال الحظ لن يتجاوز هذا الذي ؟ أم أنها ستضحي زهرة أخرى أشهى منها هي زهرة الحب ؟

أصبحت هذه الفتاة غراي وشغلي ، وأنا كما

هزة لا تلبث أن تتلاشى ، وقد حرمت تلك الأمل
الرخصة التي كانت تقطفها وتقتطع إلى بها ومن
خواطر الحب التي كانت تختلج في صدرها بسببي
عند كل حركة من تلك الحركات

أما على بالدوان فقد أمهله إمالاً ولذلك
اعتزلته ، ولي من يساري ما يكفي . وقد ورثت
عن أبوي نحو مائتي فدان من أجود الأرض بركة
التنخل ، غير بستان واسع مكثظ بمختلف الأشجار
للثمرة

ولمك تذكر يا صديقي أنك يومئذ نصحتني
بذلك لأتولى شؤونها بنفسي ، ولأسترجع بلهواء
الطلق ومناظر الريف ما ولي من مفااتي على أثر تلك
الصدمة التي كتمت عنك سببها

ولكم حاولت بالعمل أن أنسى فأخفقت عاودتي .
ثم أتى لي ثلث التسيان والجرح الذي أصابني فادح لا
يندمل ، فأخذت قواي تفعل يوماً بعد يوم حتى
اصفر لوني وشحبت وجهي وطار عيني وكاد
جلدي يلصق بمنظلي

وعند ذلك فكرت عمي في الكتابة إليك
لتسارع إلى الاتفاق مع طبيب قدير ينتقل إلى . فلما
خصني صرح بأنه لا يجيد علة ما لضيق . وساد بعد
ذلك صمت قطعت به بولي : إنني أعلم أن علي لا يرجي
لما به . فقال : أنت إذن تعرف طبعك فلم لا تذكرها
قلبي أوفق إلى شفائك أو لي على الأقل إلى درء خطر
هذا الضعف عنك . وعند ذلك عدت إلى صمتي ،
فاقترب مني وأخذ كفي بين يديه وهو يقول : لم
تكتفها عني . إن الحاميين والأطباء قل أن ينجحوا
في عملهم مستغلين عما يمل به أصحاب الحقوق والرضى
من قصادهم . على أن أسراهم دائماً في حزم معين من
سدورهم وقد أقسموا على ذلك قبل مباشرة منهم

أنني أخذت أطرق الباب طوقاً متوالياً فلم أغفر
بجيب ، وعند ذلك أقف مهوياً حاراً أسائل نفسي
لم آتت هكذا بهذا الأوصيس ؟ وإذا كانت قد عزمت
على الرحيل فلم لم تكاشفي به وأنا أمام نافذتها
كل صباح ؟ ثم أقول لابد أنها فوجئت بهذا الصفر
وأنها انتظرتني ، فلما لم ترق كعادتها لم تر إلا أن تأتي
بوعاء زهرها ليكون شاهداً على انتظارها وبأسها
وبينما أنا أطرق الباب أطلت عيوز من منزل

قريب وقالت : إن أهل هذا البيت انتقلوا منه . وعند
ذلك دار رأسي وتعميب عيني ولا سبياً عند ما
قالت لي إنها لاتعلم عنهم شيئاً لأنهم كانوا لا يختلطون
بأحد من جيرانهم . وهكذا تحطم قلبي كما تحطم هذا
الأوصيس . وأخذت أرجع إلى تلك القوة الخفية
فأراها هي التي جعلتني أنكس على عيني يوم صادفت
النافذة مفتوحة ، وهي التي جعلتني لا أصر من تحتها
في صباح هذا اليوم فتدحرج بغير أن أودعها ، فهي
إذن التي أرادت بكل ذلك أن تسخر مني وتسلّي
على حساب ألي !

وأخيراً جمعت حطام تلك الآنية وحملتني
إلى داري

كنت أذهب بعد ذلك إلى عملي وأنا أسلك
هذا الزقاق لعل تلك النافذة تفتح يوماً ما مصرعها
لتضم بيننا نظرائي . وكنت أعني لو أن عيني تبيان
من حفرتهما إلى مصرعها لتنتظر من خلالها أخصابها
أرض تلك الحجرة التي طالما نمت بخطواتها

أما ذلك الأوصيس المحطم فقد عنتت بسياته في
قطر كتي . وكنت دائماً أملأ منه عيني كأنني
أمام متحف يضم بقايا آنية قديمة غنية . على أنني
استبدت به سواء وأخذت أتهد تلك الزهرة التي
سقتها يداها . وكنت كلما انبثقت منها قرنفلة تمرقني

الذي أنت فيه جلاك تساني وقاما سدا بين
ذا كرتك وبينى

على أنى مع هذا سأنح لك نظاماً دقيقاً تتبعه
فى طمالك وشرايك ورياضتك وأرجو أن تكون
عند حسن ظنى من قيامك عليه واتباعه . ومع ذلك
فأسرسل إليك من التند ممرضة فى مستوصى بل إنها
رئيسة ممرضاته ، وليست إلا أختى وستحمل إليك
تفصيل هذا النظام ، فأكرر رجائى ألا تمارضى
فيه . وعمما قريب تعلم كيف أنى بفضل مساعدتها
سأرد بأذن الله حياتك إليك من جديد . وعند ذلك
انصرف فأرسل إلى فى صباح اليوم التالى رقية
حددتها موعد قيامها وساعة وصولها ، فأرسلت
بعض أتباعى لانتظارها

وبعد ثلثى ساعة طرق أذنى صوت جلبة فى
عرصة الممار فأدركت أنها أثبتت ، ولكن عمى
أسرعت إلى وأخذت تقرب كفاً على كف وتقول :
كيف يا ولدى يرسل طبيبك بمثل هذه الممرضة ،
وهى أولى بالتمريض منك لأنها لا تكاد تخطو من
شدة ما حى فيه من الضعف والهزال ؟ وعند ذلك
دخلت وهى تتحامل على نفسها مستندة إلى أحد
الخدم حتى إذا وقفت على مقربة منى وحدقت فى
سقطت منشياً عليها فأسرعت نحوها ووفت رأسها
يبدى قائلاً :... تلك الصورة التى كانت ترين ذلك
الإطار القديم ...

أما الآن فالحمد لله على ما استرجعنا من العافية
وعلى ما كتب لنا من السعادة . وهامىذى وأنا أخط
لك هذا إلى جانبى تنفذ نظراتى من عينها إلى ظهرا
الذى أصبح محراب حى ، وما كانت من قبل لتنفذ
إلى حجرتها من تلك النافذة . محمودة غيرت

وعند ذلك ظلت صامتة وقد تضمضت نضى
وأنا لا أدرفنى أن أعخذ من هذا السر الدفين جازاً
إلى إجابته . ولكنه استمر فى عتبه قائلاً : كيف
تصر على كتمان أمرى حتى ؟ إننى الآن لم أعد
طبيبك ، فقد انتهت مهمتى معك فلكم تكرمنى
باعتبارى أخاك أو صديقاً . ثم اعلم أنى لن أقوى
على العودة دون أن أقف على ما يهدك لأن
ما أصبحت فيه من سوء الحال مما يجزئى ويجزئ فى
قلبي . تكلم بإعزى ، تكلم بحق هذه العمة الطيبة
الرجيمة .

وعند ذلك فاضت نفسى بالشجون ، وأهمر من
عيني الدمع ، وأخذت أقص عليه ما رويته لك فى
هذه السطور وأنا أحييه بأنى لا أعلم من أمرها
شيئاً لا اسمها ولا أوسرتها ولا مكانها

ومن الغريب أنه بعد أن سمع عنها هذا البيان
اللمهم انبسطت أساريره وارتاحت نفسه . بل لقد
كان يجئ إلى أنه يشتم وهو يحاول ألا ألحظ
ذلك . ولما انتهت من حديثى قال : إن حادثتك هذه
عجيبة ، ومع ذلك فقد وقع ما يشبهها لكثيرين
أعرف منهم شابة جميلة كذا يصصف بجائتها الحزن .
ولكننى أقصتها بالكف عن الجرى وراء أمل
لا قائمة منه ، وقد سمعت لأرشاوى فلم لا تضع
نفسك فى موضعها يا سيدى وهى فتاة ضميعة وأنت
شاب قوى ؟ ثم إن مثل هذا للرض النفسانى وخيم
العاقبة على من لا يكون قوى الإرادة ماضى الزم .
وإنى لأعرف أن لك مذهباً طلالا كنت تمتاز به
وتتمسك به ، وهو أن لكل إنسان لو شاء سلطاناً
من نفسه على تصرفاته . وكثيراً ما كنت تحتج بهذا
الذهب على إخوانك ولوى وإن كان الزمن واليأس

أتم القصة . بل عثيت أن أقول
إني لم أترجمها إلى الانكليزية .
لأن أصلها الفارسي كما تعلم
موضوع بقلم حاجي بابا . وإن
لم توجد منه نسخة غير التي
عندي ... ثم طرأت على أعذار
خاصة اضطررت معها إلى عبور

المحيط إلى أمريكا . وهناك كدت أنسى كل شيء .
في العالم القديم

ولما عدت إلى انكلترا وجدت خطاباً ورد
عليّ من فارس من موظف كبير فيها ، فبادت إلى
ذهني الأفكار الآسوية . ولا فضضت الكتاب
وقرأته لم أعناك نفسي من الصباح : « هذا هو
التشجيع ! إن هذا الخطاب القصير أكثر تشجيعاً
لي على الاستمرار في كتاب « حاجي بابا » من أي
مشجع آخر . وسأتلو عليك هذا الكتاب ثم
أخبرك لماذا رأيته مشجعاً . وقد كان الكتاب
باللغة الانكليزية وبهذا الأسلوب الغريب :

صديقي العزيز :

أنا غصبان عليك ، وليس غصبي بشيء سبب .
لماذا وضعت كتاب حاجي بابا يا سيدي ؟
الشاه غصبان عليك ، وقد حلفت له أنك لم
تكتب هذه الأكاذيب ولكنه قال : بل كتب
كل الناس غصاب عليك . إن الكتاب كله
أكاذيب فمن أخبرك بها يا سيدي ؟ لماذا لم تسألني ؟
هذا سيّ جداً منك

تقول إن الشعب الفارسي قد يكون كذلك
ولكن الشعب الفارسي لم يسيء إليك ، فلماذا تمنعته

حاجي بابا في انكلترا

تأليف جيمز موير
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

مقدمة المؤلف

يا ثارني العزيز :

لو أنك قرأت روايتي « حاجي بابا في اسفهان »
لوجدتني فيها قد طمعت القراء على ألا أعود إلى
الكتابة مالم أجد تشجيعاً . فإن وجدت هذا
التشجيع وصفت له حياة « حاجي بابا » بد سفره
إلى انكلترا سكرتيراً للسفارة الفارسية

هذا ما عاهدت عليه . ولكنني بهذا العهد
وضعت نفسي أمام مشكلة لا أعرف كيف يكون
حلها لأنني والحق أقول لا أعرف ما هو التشجيع ،
وإنما هي كلمة تورطت فيها . فإذا كان التشجيع هو
ثناء الصحف فإن الأكاذيب لا تشجع ؛ وإن كانت
إشارة الجملات فهي لا تتناول الكتب وإنما تتلصق
من عنايتها موضوعات تكتب عنها وليس لها بالكتب
علاقة ؛ وإن كان التشجيع من القراء فاني أعترف
لك أن معظم القراء في انكلترا يشتركون في الكتب ولا
يقرأونها ، والطبعة الأولى من كل كتاب ستباع ،
سالحاً كان أو غير صالح . ولا يستطيع المؤلف أن
يعرف أهل نبيع كتابه أم لم ينجح ، ولو أن ألقا
من النسخ قد بيعت منه

ولما كانت هذه هي الحالة فاني كما يقول « حاجي
بابا » وضعت ذراعي البلاء على صدر الاحمال ولم

أرسلت لي بعض الأصص النالية كان ذلك جيلًا منك »

ولقد تسألني أيها القارئ لماذا أجد التشجيع في خطاب مثل هذا . ولقد تظن أني كالأرجل الذي أراد أن يمرض جواده للبيع فأخذ يصفه بأحسن صفات الخيل ، ولكن الجواد رجع أمام المشترين فلم ينجح من ذلك بل قال إن جواذي يجب المدابة لكنني أؤكد أنني لست مثل هذا الرجل ، وأؤكد أن في الخطاب تشجيعاً كثيراً . ذلك لأنه يدل على أن كتابي أثر تأثيراً كبيراً في شعب محي كالشعب الفارسي . وقد يكون هذا التأثير حافزاً له على التفكير . وأنت إذا أسببت الفارسي في كبريائه فأنت تصفيه في أقدم شيء له . حاول أن تضر من فارسي ثم انظر إلى حد يصل به الغضب إليه ، لكن التفكير يجعل تلك الخلة إلى دأب على محاولة الإصلاح . فإذا ما استطعت أن تبين للشعب الفارسي عيوبه فإنه لا يلبث أن يصلحها ويحيلها إلى عاصم ، بمسك الشموع الخاصة التي تعرف أن بعض صفاتها مريب ولكنها ترضى بها على أنها كذلك ... ولقد حاولت في الصحافة التالية أن أبين أوجه التناقض بين الفارسيين اليوم وبين الشعوب للحضرة . وفي رأي أن الواهب الطبيعية في الفارسيين لا تنقص شيئاً عن مواهب أرقى الأمم ؛ فأحاسيسهم محي ، وذكاؤهم متوقد ، وأنفسهم عالية ، وهم أهل شجاعة ونخوة ، ولكنهم — على الرغم من كل هذه الحسنات — في نهاية المجهل . فإذا وجدت فيهم حكومة سالحة تقي بالطمع ساردا كما كانوا في وقت من الأوقات من أكبر الأمم . ولقد حرصت على محاكاة لغة صديقي فكشفت إليه الرد الآتي :

بتلك الصفات سواء أكانت فيه أم لم تكن فيه ؟ ولقد أرسل الشيخ عبد الرسول خطاباً طويلاً إلى الشاه يذكر له فيه أنك تحدثت في الكتاب عن مقتل زوجة الشاه ، فلما سألني جلالته عن ذلك حلفت له أن الشيخ عبد الرسول رجل كذاب . ولقد علمت أنك أسيفني في كتابك باسم « ميرزا فيروز » وأنت طمعت في . علمت ذلك وأنت وصفت كلامي بالسفخ ، فحق كان كلامي سخيلاً يا سيدي ؟ أنت تظن أن كتابك يدل على حق ، ولكن الواقع أن كتاب حاجي بابا عمل في نهاية الحفاقة . وأعتقد أنك أسفت على تأليفه

الانكليزي يقولون إنه كتاب عظيم ، ولكنني أرى أنه ليس عظيماً . وأنا صديقك القديم فلا بد أن تكون حافقاً على جداً لمصاحفي إليك رأيي ، ولكني مخلص في صدقي . وأرجو أن تضع رواية أخرى تمدح فيها الفارسيين ؛ وسيبرر كتابك هذا أيماناً الكثرة أمام الشاه بأنك لم تضع كتاب حاجي بابا أرجو عدم المؤاخذه . فأنا لا أعرف كيف ألتقي ، ولنفي دائماً هي اللغة البسيطة وأنا صديقك المخلص ... ولكن لماذا كتبت عنى ؟ الله أعلم !

حاشية :

« اشتريت منزلاً جديداً يا سيدي وأنا الآن أحسن كثيراً مما كنت تعرفني . ويقول الانكليزي إن أمريكا عملة بالفضة والذهب وإنك غني جداً . وأنا أحب الزهور الانكليزية لأغرسها في حديقة منزلي الجديد ، وقد أخذ الشاه كل أواني الخزف التي كانت عندي ؛ وبما أنك كتبت صفحات كثيرة عن « ميرزا فيروز » فأبست إلى وينور بعض الزهور لأنني دافعت عنك أمام الشاه وحلفت بإملاك ، وإذا

حاشية :

عندى الآن زوجة ياسيدى وعندى أولاد وأنت
وزير كبير وعندك ذهب وقضة ، وبما أنك كتبت لى
خطاباً سخيلاً وقلت : إني أ كذب فابث إلى
بذهب وقضة ، وإذا أرسلت لزوجتى وأولادى بعض
شيلان كشمير كان ذلك جيلاً

جيمز مور

عزمت بعد ذلك على إنعام القصة على لسان
« حاجى بابا » أو بالحري عزمت على ترجمة ما كتبه
« حاجى بابا » باللغة الفارسية فى وصف إقامته فى
إنكلترا وحرصت على روحه وأسلوبه . ولدى القاري
صورة واضحة فى خطاب ميرزا فيروز تبين شخصيته
ولكن هذه الصورة ستزيد وضوحاً بما سيلى عنه فى
أثناء القصة ، ولست متحيزاً للإنكليز ولا مضطرباً
على الفارسيين ، وسأكتفى ببيان أوجه التناقض على
حقيقتها وللقاري حكمه ، ولنى أطيل إلا حيث تدعو
الحاجة إلى ذلك لأن شر ما أخشاه وبخشاه الكاتب
أن يراه القاري ' مطيلاً عملاً ، وكل رجائي إليكم
أيها القراء الأعزاء إن رأيتم أنى أطلت فى بعض
المواقف أن تذكروا أنى مضطرب إلى الإطالة

الفصل الأول

حاجى بابا يجمع الهدايا من أصفهانه

أرسلنى للشاه إلى أصفهان مبسوئاً من قبله لأجمع
من أهالى المدينة الهدايا التى سيستبها بجلالته مى
إلى إنكلترا بعد أن صدرت إرادة بتسليمى سكرتيراً
فى لندن للسفارة التى تعين فيها فيروز خان سفيراً
ووزيراً مفوضاً ومندوباً سامياً لجلالته
وأصفهان هذه هى مدينتى التى نشأت فيها ابن

(٧)

لندن فى ١٠ سبتمبر سنة ١٨٢٦

صديق العزيز :

تسلت خطايك وأرجو ألا يقصر الله ظلك .
أما عن كتابي « حاجى بابا » فلماذا لم تقرأه يا سيدى
قبل أن ترسل إلى خطايك ؟

إن الشيخ عبد الرسول كذاب كبير وغبي
جداً ، ولكنتك « ما شاء الله ! » ... ولكنتك
رجل ماهر ياسيدى . فانت وزير وأنت تعرف القراءة
والكتابة ياسيدى ، وأنت تقول إن كتاب « حاجى
بابا » كله كذب . نعم كذب ، وكذلك كتاب
« ألف ليلة وليلة » وجميع الكتب الروائية فى فارس
وفى غيرها . لماذا تنقبض على إذن يا سيدى ؟ تقول
إن الشعب الفارسى لم يمس « إلى ... نعم ظنهم لم
يقتلوا ولم يمتدوا على ديني وهذا حسن ، ولكن هل
هذا هو كل شيء يثيق ويطهم ؟

وقول : إنك صديق وإنك كذبت على الشاه
وحلفت على الكذب ، وهذا حسن جداً ياسيدى ؛
ولكنك قلت شيئاً غير لطيف : قلت : إن أمريكا
مملوءة بالذهب والفضة وإلى من أجل ذلك يجب أن
أكون غنياً . لماذا يا سيدى ؟ أيلزم بالضرورة أن
تكون أنت غنياً لأن للشاه غنى ؟ هذا غير لطيف
ياسيدى وأنت وزير كبير وعندك قصر جديد ،
ولكنك مع كل حال فى حاجة إلى بنود للزهر
لنرسها فى حديقتك فسأبث إليك بها وبالأصص
إذا ما حلقت مرة أخرى أمام الشاه من أجلي

أرجو الصفح فانى لا أعرف كيف أناقض
ولكننى أنكلم فى صراحة . لماذا كتبت إلى هذا
الخطاب وأنا صديقك القديم ؟ الله أعلم !

« بك » وتصفني سكرتيراً في السفارة
وما زلت حرصاً على التأديب في مخاطبة الناس
فلا أقول لإنسان « أنت » بل « أقول أنتم » ولا أقول
لراي « اجلس » بل أقول « أرجو أن تشرفي
بمجالستك » ومع أني كنت رغباً في ألا أغير هذه
اللغة فإني ما كنت أستطيع تشييعها لو أردت لأنني
اعتدتها . ولأن الكلمات اللطيفة كانت أحلى في
أذني من الأنتام

وكان مني أمر من الشاه يبين حدود مهمتي .
وفيه أن حاجي بابا هو معهود فيه من الحكمة
وسداد الرأي قد كلف من قبلنا بجمع رؤوس من
السبيد والإمام لإرسالها هدية منا إلى شاه بلاد
الفرنجستان . وليكن هؤلاء السبيد والإمام ممتازين
بصفات خاصة حازقين في غثف القنوت أوفياء ليري
فهم هذا الملك الكافر مثلاً حسناً من عبيدنا

وعهدنا إلى « حاجي بابا » بأن يجمع رؤوساً من
الخيول العربية والتركانية لإرسالها إلى شاه
الفرنجستان أيضاً ليمجربها الكفار بما في بلادنا
عما لا نظيره عندهم ، وليكن في جملة ذلك مئة
أسيلة ثلاث في بلاده سلاله من الخيول الشرقية ،
ويكون ذلك برهاناً على حسن صداقتنا

وعلى « حاجي بابا » أن يجمع ما يليق بجاهنا
الشاهاني ، ونحن ملك للوك ، ما يستطيع جمعه من
النسوجات الحريرية ومن القطيفة ومن مصنوعات
يزد وقاشان ما يدل على أنه لا يوجد في العالم ذوق
سليم مثل ذوق رعيتي ، ولكي ينسج عباد عيسى على
منوال ما تنسجه نحن فيحفظوا لنا جيل تعليمهم .
وليكن بعض تلك النسوجات للرجال والبعض
نسائياً ليكسو ملك الفرجستان زوجته ومخاطبه بما

حلاق وفارقتها فقيراً مملماً ولكنني أعود إليها
الآن رجلاً عظيماً الأهمية

دخلت شامخ الأنف أنظر في كبرياء وعظمة
إلى أهلها كأنهم تماثيل من الأحجار . ومن حسن
حظي أن أبي وزوجها فقيه للكاتب كان قد بارح
المدينة ، وأقام في قرية بعيدة عند سفح الجبل . أما
صديق القديم « علي محمد » باب الخان الذي لو كان
حياً لصحني في كل مكان ولننفي بمرأته إتياني من
إظهار الكبرياء ، فانه قد مات عليه رحمة الله

وكنيت أعجب السير في الطريق الذي كان فيه
حانوت أبي الحلاق في أيام طفولتي حتى لا يراني
أحد جيرانه القدماء . ولم أصر كذلك في الطريق
الذي كان فيه منزلنا القديم

وكان حاكم المدينة يجهل أصلي فاحترمني من
أجل المهمة التي بشت بها ولم ينقص من احترامه
شيئاً . وكانت المهمة سامية جداً لأنني أمثل الشاه
ولأه خول لي أن أأخذ ما أشاء من أي إنسان
وأدرجه في قائمة الهدايا . وكنيت أقول في نفسي :
« أنت سميد يا درحاجي بابا » ولا بد أن يكون
الكوكب الذي ولدت ساعة بلوغه الأوج هو أسعد
كوكب في السماء ، فإن ذوق أهل أصفهان وأهل
شيراز أصبحت كلها في يدي ، ولي أن أختار أية لحية
فاتت من شعرها ما أشاء . ولكن تجاربي الماضية
جعلني أشنع بدلا للحكمة على ظهر الاعتدال . ولا يقوتني
أن أذكر أن لقيت الرسي أصبح « علي الجاه »
أي صاحب الجاه العالي . وهذا القاب مطمح أنظار
الفارسيين فلا يوجد فارسي لا يتمنى أن يتأله ، ولكنني
مع ذلك فضلت أن يلقيني الناس بالقاب السابق وهو
« عالي الشأن » وهو لقي قبل الحصول على رتبة

فكيف تأتي بلرتين؟ وليست مثل نجد في أين لنا بللياد؟ وكذلك لست في بلاد البحرين فإن هي الجواهر؟ ولست في خراسان فكيف تحصل على الحرير؟

لما سمعت هذا القول من الحاكم عرفت ما الذي يريد لأنني أعرف الفارسيين وأعرف كيف تنشأ الصاب وما وسائل تذليلها بينهم. فهمت في أذهي أنني لست بلرجل الذي يريد الاستئثار بالنفع وأنني سأفعله ما يزيد على الحاجة. فما كنت أطلب بذلك حتى ابتسم وتلاشت الصاب. وفي ساعت قلائل كان القصر مملوفاً بالمبيد والإماء والحرير والشيلان والسجايد؛ وجاء التجار من كل مكان يقدمون لنا خاضعين أحسن ما عديم

ولكثرة المروض من الرقيق، ولأنني عضو في السفارة رأيت أن أختار ما ليس له شبيه في مزايده لأنني مسؤول عن روعة الهدية. فاخترت الجواهر من الترسيمات للوجودات في أدق بيوت اسفهان لتكون لمن قيمة في حريم شاه الانكليز. وكان بينهم حشوية واحدة امتازت بخفة نومها؛ وإذا نالت فإنها تبقى مفتوحة البينين؛ وقلت إن الشاه الانكليزي سيسر بها سروراً كبيراً لأنها تلم عند يابه فتحميه من دسائس الحرير. وكان من مزايها أيضاً أنها ليس لها غطيط فهي لا ترجمه في نومه

وكان من بين الجواهر أيضاً واحدة تحسن الطهي حتى لقد سمعت أن الذي يتنود الأكل مما تطبخه يبيت ضحك العمر المتاد. وهل يريد الملوك أكثر من التمتع بطول العمر مع جودة الأكل

أما المبيد فكان بينهم زنجي قوى جداً لا ينبله أي إنسان في المصارعة فهو يستطيع أن يحمل رجلاً

لم يحمل مثله. وليكن مع هذه الأمتعة بعض الأحجار الكريمة ومقدار وافر من الحناء والكحل والأعراط والأساور والديابيس واللناطقي والغواصم والآلاتي اللاتقة بأن تهدي إلى ملك أجنبي من الملوك؛ فلا تستملوا شيئاً من هذه الآلاتي ولو أرسلتم كل ما في البحرين

وعليه أن يجمع الزمرد والمقيق والبرجد ليتنود ملك الفرنسيين بالتخلي بذلك من كل عين شريرة، وليجمع فوق ذلك كل ما اشتهرت به فارس من السروج والسيوف ونماذج الخطوط الجلية والصور والتمثيل، والطلاسم التي تطرد الشياطين. وبالجملة كل ما يفرح به المهدي إليه ويليق بمكانة المهدي

الفصل الثاني

«ماهي بابا» يصف جمعه للهربا

عرفت هذا التفويض على حاكم المدينة فوجم ولكنه لم يستطع أن ينطق بحرف. وحاكم المدينة هذا هو ابن وزير المالية، وقد أدهشه أن يكلف بهذه المهمة أحد غيره وأن يكون التكليف من غير أبيه ولما كان رئيس الوزارة عدواً لأبيه وله فقد ظن الحاكم أن هذه إهانة متعمدة. ولما قلت له إننا نريد البده بالعمل قال: «كيف تمكن من جمع كل هذا؟ إن أهل المدينة فقراء، والذي تطلبه لا يوجد في مدينة واحدة من مدن العالم»

قلت: «لو كان الرأي لي وحدي فأني أقل من التراب. ولكن متى أمر الشاه وأمره يجب أن ينفذ بنبر مناقشة»

قال الحاكم: «هنا ما لست أشك فيه يا حامي بابا» ولكن اسفهان ليست بلاد التوبة

كنت أنحك بهذا القول على لحيتي . ثم عرضت عليه الهدايا التي جئت لإرسالها لشاه الفرنجستان فسرَّ رئيس الوزارة وقال لي : أنت يا صاحبي يا جدير بالثقة ، ولكن ليس من الآن أحد في هذا المكان وأريد أن أنبهك إلى أن « فيروز خان » الذي سيكون سفيراً ورئيساً لك بمحسدك على قيامك بهذه المهمة التي كان يريد أن يكلفه الشاه بها لينفذها بنفسه أو ليرسل أحد أتباعه ، فاحذر من عدوانه لك وأخبرني بأعماله عند ما تصلون إلى الفرنجستان وأخبرني رئيس الوزارة أنه تحدث مع سفير انكلترا عن الترض الذي أرسلت من أجله ، وأن هذا السفير اللعين حديثاً أبدى رغبته في رؤية الهدايا قبل إرسالها ، وتقبل أن يكتب الخطابات التي سترسل على لسان الشاه ووزرائه إلى انكلترا ، لأنه ليس في الحكومة الفارسية من يعرف اللغة الانكليزية ، كما قبل أن يأتي لنا بترجم انكليزي يعرف اللغة الفارسية لكي يكون مترجماً للسفارة الفارسية في لندن

دُعِيَ السفير بعد عودتي إلى زيارة الشاه ليرى الهدايا ، وحضر هذه الحفلة « ميرزا فيروز » الذي تعين سفيراً ، وقد كان كلا السفيرين لا يعرف ما هي هذه الهدايا قبل أن تعرض عليهما

اجتمع الوزراء والسفيران في « الديوان خانة » وهي قاعة الاستقبال في قصر الشاه ، وقد زينت القاعة في هذا اليوم كأحسن ما تكون الزينة وحليت النافورة بالآزهار وأدبرت فكانت مياهها تنثر على الزهر كالأمواج على حدود الحسان . ثم أدبرت التواك والمثلجات وأسهرني رئيس الوزارة برض الهدايا فجئت بالجوارى والبيد والخصيان وعرضهن

ويبقى به على مسافة طويلة كما يفعل غيره بسلامة خفيفة ، فهو يا كل كبشاً كاملاً في الرجوة الواحدة وأما إماء الحرم فقد اخترت منهن اللائي الساحرات السيون الروافيات الأجسام . ولما لم يكف من توافر فقه شرائط الجمال في أصغهان فقد جئت بأهل الجيلات في شيراز ، وجمعت بعد ذلك من الجواهر والثياب وغنظ الأنصاف أحسن ما هو موجود فيها وعينت عناية خاصة بالثياب والمجوهرات التي ستهدي للملكة الفرنجستان ، ومنها البراقع المحلاة باللعب والحبرات وأقراط الأنف والكحل والأسباغ للشفتين والخدين والتبرليوضع منه على الخد شكل الخال

واخترت فتي جيلاً من الخصيان الثركسيين لتكون للملكة في حراسته « آغا » وهو قوي ما كر لا تستطيع للملكة أن تفلت من رقابته سواء أكانت من الشياطين أم من اللاتكة

وقبل عودتي إلى طهران اقتصمت مع الحاكم ما زاد على الحاجة ، وخصصت جانباً لأهديه إلى رئيس الوزارة وخيأت ما جعلته من نصيبي بين أمتيت وآليت ألا أطلع أحداً على هذا السر

الفصل الثالث

سفير انكلترا يعرضه على الشاه

وصلت سالماً إلى العاصمة والهدايا محملة على البغال والجوارى على الموائد فوق ظهور الخيل والبيد . يمضون حول موكي ، قصصت نواً إلى منزل رئيس الوزارة ، وفي أقل من لحظة صدر لي الإذن بمقابلته فقممت له النصيب الذي استخلصته من الهدايا ، وأقسمت أني لم أحفظ لنفسى بشيء . ويطم الله أني

قال رئيس الوزارة : « ومن الذي يمتننا عن ضرب الخادم ولو لم يكن رقيقاً ؟ إن كل إنسان معرض لضرب ممن هو أكبر منه إلا جلالة الشاه شاه الله . قالشاه يضرب الوزير ، والوزير يضرب الموظف ، والموظف يضرب الناس »

ولما رأيت أن مجادلة السفير على هذه الطريقة لا تؤدي إلى إقناعه تطلعت وقلت له متواضعا : « ولكنك يا غفمة السفير لم تعرف بعد مضايها هؤلاء الأرقاء ، فأجدي الجوارى تحرس باب الملك عند نومه حتى لا تخونه نساؤه الأخريات ، والأخرى تطيل عمره بمجودة ما تطبخه »

قال السفير : « إن الأحوال في بلادنا تختلف عن الأحوال في بلادكم ، فإن الشاه الانكليزي ينাম هادي البال كأني فرد من رعاياه ، ولا يخاف من الاعتداء عليه وهو نائم ، وهو يأكل من أي طعام ، ولا يخاف من أن يدهسه السم فيه ، وهو يثق بطباخه كما يثق برئيس وزرائه »

قلت : « وهذا الزنجي يا غفمة الوزير مثل « اسفنديار » فجسمه من النحاس وذراعه من الحديد ، ولا شك أنك لا ترفضونه فهو ضروري جداً في حاشية شاهكم »

قال السفير : « إن عندنا مصارعين من جنسنا ، ولكنهم إذا سلبوا حريتهم فقدوا قوتهم . إننا لا نقبل الرقيق بحال من الأحوال »

عند ذلك هتفنا جميعاً : « هذا عجيب جداً ! » وازرعج ميرزا فيروز من إحال سفره بلا هدايا . وقد كنا نعتقد أن نجاحنا في لندن يتوقف على قيمة الهدية التي نهدىها كما هي الحال عندنا

وقال الوزير : « وعلى كل حال فأنتنكم لا

فوقب السفير الانكليزي مندهشاً وقال : « ما هؤلاء ؟ إن الانجليز لا يقبلون الرقيق في بلادهم »

قال رئيس الوزارة في هدوء : « ما هذا القول يا غفمة السفير ؟ أليس عندكم عبيد ؟ كيف إذن تقومون بالأعمال ؟ »

قال السفير : « إن كل من في بلادنا أحرار وكل من يدخلها يصير حراً »

قال رئيس الوزارة : « ولكن هذه الهدايا للشاه الانكليزي نفسه ، وإننا لم يكن مسموحاً في بلادكم لأى فرد بامتلاك العبيد فلا يمكن أن يكون شاهكم كسائر الأفراد . من الذى يطبخ له ؟ ومن الذى يدخل معه الحمام ؟ ومن الذى يخرسه حين ينام ؟ أليس هذا من عمل الرقيق ؟ »

قال السفير : « ليس للكننا الحق في امتلاك الرقيق ، فهو في ذلك كأني فرد من رعاياه ، وهو يستأجر من يخدمونه والملك نفسه من أشد الناس عدواة للرقيق فهو لا يكتفى بمنه في بلاده ولكنه يستعمل نفوذه وقوة دولته في منعه من البلاد الأخرى »

فتح الوزير عينيه وفه وقال وهو شديد البهشة : « أظن النشوة لا تصل بكم إلى هذا الحد . كيف تمنون الرقيق ، وكيف يبيت هؤلاء المساكين إذا حررناهم ؟ إنهم لا يستحسنون سادة أكبر من بقائهم معنا . فإنا تركناهم فاتهم يموتون جوعاً ، وم أبناءنا وأجزاء من ممالكنا »

قال السفير الانكليزي : « ولكنكم تستطيعون قتلهم » فقال رئيس الوزارة : « أين هو الأحمق الذى يحرق منزله بيده ؟ كيف قتلهم ونحرقهم ؟ » قال السفير : « هما تكن الحال فإنك تستطيعون ضربهم ولا مسئولية على أحدكم في ذلك »

النوادر ولما رآته عند نومه وتلحمة زوجته وتربية أولاده، وكل هذا المبدد من النساء في حاجة إلى خصي لأننا لا نهم أن جميع النساء في بلادكم يختلفن عن نساء بلادنا فلا تكون لكم حاجة بمن يتجسس عليهن... فقال السفير: «مهما بدا لكم غريباً فإن هذا هو الواقع. وليس على نساتنا رقابة، ومع كل ما للملك من السطوة فإنه لا يستطيع إخضاع امرأته لرقابته أو منعه من الخروج من المنزل أو مقابلة الناس. ولفضل ذلك لكان حكمه كحكم من يماق النمر بشيء عاكة، وقوانيننا تمنع ذلك. ومن المستحيل أن يكون في بلادنا من يتجسس على المرأة زوجها. ثم أريد أن أعرف من أين تأتون هؤلاء الخسبان؟»

فقال رئيس الوزارة: هل تظن أننا تأتي بأناس يختلفون كذلك؟ كلا فإن كل موظف مفضوب عليه أو كل أسير حرب نفعل به كذلك»

ارتجح السفير الانكليزي من هذا القول أيماً إزعاج وأمر على ألا يقبل الخسبان في بلاده وكان الشاه يسمع ذلك ولا يتكلم، وقد بدا على وجهه الغضب لرفض جانب من الهدايا. وفي ذلك ما لا يدل على حسن النية، لأننا نحن الفرس نرى رفض الهدية من أكبر علامات الاحترار، وهو بين الملوك من بوادر الحرب. لكن لما عرضنا على السفير الانكليزي قبول الجياد وافق وأبدى علام الشكر والسرور. وكذلك قبل السيوف والدرع ومنها سيف «تيمورلنك» وآخر لنادرشاه وهو الذي كان معه لما فتح مدينة «دلمى» وخوذة جميلة للشاه اسماعيل، وقميص طرز بأية من القرآن كان لمحمد شاه

ترفضون هذا الخصى الشركى فهو لا يقدر بمن» فقال السفير: «إننى لا أعرف مهمته فأمر؟» قال الوزير: «إن للملك زوجات وجوارى كثيرات ومن بالطبع في حاجة إلى مرهق أمين، لأن المرأة لا تستطيع الخروج من المنزل إلا تحت مرهقة أحد من أتباع زوجها فالنساء غير مأمونات ولا عمل للفتنة بهن»

فأدهشنا السفير عند ما أجاب بقوله: «ليس للملك عندنا إلا زوجة واحدة وجميع الرعايا راقبون حسن سلوكها لأنها ملكة وليست في حاجة إلى خصي»

صحنا جميعاً: «لا إله إلا الله! هذا غريب جداً!»، وقال رئيس الوزارة: «وكيف يكون ملكاً وله زوجة واحدة؟ وما هي الفائدة إذن من كونه ملكاً؟ ما الذى يفعله شاهكم إذا مل من زوجته؟»

فقال السفير: «إن الجواب على هذه النقطة بعيد عن فهمكم لاختلاف عاداتنا وعاداتكم. إن المرأة عندنا مثل الرجل في حقوقها وفي احترامها وقد تولي الملك عندنا كثير من النساء»

فكر رئيس الوزارة ثم قال: «هذا غريب جداً! إن عاداتنا تخالف عاداتكم مخالفة كبيرة فالنساء عندنا في حكم الدم، ونحن لا تثنى بهن ونعتقد أن المرأة لم تخلق إلا لتضاه حاجة الرجل ونحن لا نفهم خضوع الرجال لحكم المرأة إلا كما تفهمون خضوع النمر للتملاج»

وقال فيروز خان: «إننا لم يكن للشاه الانكليزي غير زوجة واحدة، فلهذا بلا شك نساء كثيرات لحفظ ثيابه وللرقص والثناء ولتقص

المدراوىش الانكليز اسمه « القديس جورجيو » وأنه يقتل وحشاً يهاجم شاه الفرنجستان . وهذا الرسم متناه أن يلاهم آمنة . وقد كان مثل هذا الرسم على شريط من الحرير في أسفل الخطاب الذي بداخل الغلاف ؛ وكان وضع هذا الغلاف في أسفل الخطاب سبباً في مناقشة حادة بين السفير الإنكليزي وبين رئيس الوزارة لأن الأخير رأي أن وضعه كذلك يعد اعترافاً من ملك الانكليز بأنه أسفر من شاهنا ملك الملوك . وقد ظهر لنا من هذه المناقشة أن هذا الملك يعتبر نفسه أكبر من كافة الملوك حتى الشاه

الفارسي نفسه

ولما جاء دور الكلام على الخطاب الذي سترسله إلى ملك الانكليز قال رئيس الوزارة : إننا سنضع خاتم الشاه فوق العنوان فرفض السفير ذلك ونحن رفضنا أن نضع الغلاف في ذيل الخطاب ، ثم تم الاتفاق على أن يكون العنوان وخاتم الشاه في سطر واحد وأمر الشاه بإحضار أكبر اللشئين وأكبر الكتاب لإنشاء الخطاب وتسطيره بخط جميل ، ثم يترجم السفير الإنكليزي الخطاب ، وترسل الترجمة مع الأصل لجمال خطه . وقد اشتار اللشئون لهذا الخطاب زهرات اللثة التي تزوق ويسحب فمهما على الرجل السادي ، ولكن تتناقلها الأفواه لجمالها . ولست أذكر من كل هذا الخطاب إلا الجملة الآتية « عند ما تعرض حديقة الأزهار التي أعوادها كلات هذا الخطاب والتي روائمها ممانيه ، وتسيمها الاخلاص للتجلى فيه — عندما تعرض هذه الحديقة لتجلى عينك المتأفنين في سماء وجهك ، وعندما يسطع عليها ضوء نفسك من هذين التجيين ، وعندما تستشعر غير هذا الاخلاص ، عند ذلك أعني أن

قال الشاه السفير الانكليزي : « اكتب لأخي ملك الانكليز بأن يضع القمص تحت ثيابه كلما خرج إلى الحرب فإنه يضمن له النصر في كل موقعة »

وقبل السفير كذلك مع الشكر أن نبحث إلى ملكه بالنسوجات الحريرية والشيلان والسجاجيد والجواهر والمصوغات والمدايا للرسلة باسم الملكة ؛ وقد ابتسم عند رؤيتها وقال إن جلالها ستر بما أهدى إليها وإن كان من المستحيل أن تلبس شيئاً من ذلك »

ولما تم الاتفاق على ما يرسل وما لا يرسل عاد السفير بعد شكره للشاه وتركنا ضرب عن دهشتنا لتراة أهل البلاد التي يسكنها هؤلاء الفرنجة

الفصل الرابع

خطاب من كبيرة زوجات الشاه إلى ملكة انكلترا كان من أهم الأمور التي يجب قضاؤها قبل سفرنا أن نصكب خطابات إلى شاه الفرنجستان ووزرائه كاتي وصلت إلينا عندما جاء سفير انكلترا إلى طهران — الخطابات التي ترجمها لنا السفير ولكننا لم نجب بإنشائها ولا بخطها ، ويظهر أن الانكليز ليس عندهم ذوق في الانشاء . ولقد أدهشنا وحيرنا شكل ختم به على غلاف الخطاب الانكليزي للشاه ، لأن عليه رسم رجل على ظهر جواد يقتل حيواناً مفترساً . ولقد جئنا للمساء ليفسروا لنا هذا التز فكان جوابهم بالظن أن هذا الرسم يمثل بطل التاريخ الفارسي « دسَم » يقتل الشيطان الأبيض ؛ ولكننا لما سألنا فيما بعد من أحد الفرنجة قال : إن هذا الرجل عظيم من كبار

هنا الخطاب جيء بنشء الدولة لوضع الصيغة النهائية ، وهذا هو نص الخطاب :

« أدعو لجلالتك دعاء طاهراً كمرض مريم
السفراء البرىء من كل تهمة . وسلاى إليك
كشهادة عيسى لأمه . وبعد فيا لؤلؤة الجبال
الكنونة فى أمداف العظمة ، وإاكوكب العقول
التجلى فى سماء الحكمة ، أطال الله ظلك ، وأكّد
روابط المودة بين بلادك وبلادك بمنى جبريل عليه
السلام ، وعطر علاقتنا بروائح الاخلاص

وقد كان تبادل السفراء سبياً فى فتح باب
الصداقة على مصراعيه ففتنّ بلابل الأقلام ، على
أعواد الحب والوثام ، وتلّبت زهرات المطف على
أغصان الصداقة والسلام .

عبد اللطيف النشار

« البقية فى العدد الآتى »

تكون على عرش الصحة متوجاً بالسادة والراء
هذه جبل من الخطاب البليغ . فكيف يفهم
عقل الرجل السادى أن معنى هذه الكلمات هو :
« عندما يصل إليك خطابى أرجو أن تكون فى
صحة جيدة »

بقى خطاب كبيرة زوجت الشاه إلى ملكة
انكلترا رداً على خطابها . ولقد كانت هذه الملكة
تجهل هوائدنا فلقبت زوجة الشاه بقلب ملكة إيران
وأهدتها صورتها فى إطار على الجواهر

وبالرغم من أن زوجة الشاه ذات نفوذ فى القصر
فإنه ليس لها أقل نفوذ فى الدولة . وللشاه أن يقتلها
ويأتى بشيرها دون أن يشمر بذلك أى إنسان .
ولكنه كان من الضرورى على كل حال أن يصل
إلى ملكة الفريجستان رد على خطابها

وبعد أن حاول كتابة القصر أن يضموا نص

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى
المصرلوسيه ، والأوذيسة لهومبروس ، ومذكرات
نائب فى الأورفانوفيتى الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومنقولة .

التمن ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجره البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالوثام الاولى

٥٠ السنة الاولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجره البريد وقدرها خمسة قروش

فى الداخل عشرة قروش فى السودان وعشرون

قرشاً فى الخارج عن كل مجلد



صاحب المجلة ومديرها
ودعيس تحريرها المشغول
احمد حسن الزيات

برل انستراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في اللامك الأخرى
١ عن السدد الواحد

امودارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٩
العتبة الحفراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة اسبوعية للقصص والبريق

نصدر مؤقثا في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثانية

أول ربيع سنة ١٣٥٧ — أول مايو سنة ١٩٣٨

العدد ٣١



فهرس العدد

| صفحة | المقام | أقصصة مصرية .. | يُلم الأستاذ إبراهيم عبدالقادر للزنى |
|------|-------------------------|-----------------------------------|--------------------------------------|
| ٣٤٦ | الصفر .. | لقصصى الايطالى بوكانشو .. | يُلم الأستاذ محمد كامل حجاج .. |
| ٣٥١ | أمنية .. | أقصصة مصرية .. | يُلم الأديب عبد الحميد جودة السحار |
| ٣٥٥ | شجار أطفال .. | لكاتب التركى الكبير رشاد نورى | يُلم الأستاذ السيد خفخف حوقى الماودى |
| ٣٥٨ | مؤذن بحداد .. | من القصص الرق .. | يُلم الأديب محمد فهمى عبد اللطيف |
| ٣٦٤ | ماروتو .. | لكاتب الايطالى ماسوشيو سالرنيتاتو | يُلم الأستاذ فربى خشية .. |
| ٣٦٨ | يوم القاء .. | من التاريخ الاسلانى .. | يُلم الأستاذ على الطنطاوى .. |
| ٣٧٣ | الزوجة للوروة .. | لكاتب الروسى اسطفان بوريانف | يُلم الأستاذ محمد لطفى جمعة .. |
| ٣٨٠ | حاجى بابا فى انكلترا .. | تأليف جيمز مور .. | يُلم الأستاذ عبداللطيف النشار .. |
| ٣٩٧ | | | |

وقال : « غريب ! فتاة جميلة مثلك
لا تلبس حلياً ؟ وهؤلاء جميعاً عثمودون
هنا احتفالاً بك ؟ غريب ! »

وهوى بكفيه إلى غنفيها بتحسس
ثنية الجوربين عليها عسى أن تكون
قد خبأت هناك شيئاً ، ولما لم يجد شيئاً
انصرف عنها وهو يهز رأسه مستغرباً

وغادر الثلاثة البيت ، كما دخلوا ، من الباب ،
سفاً واحداً لا مترشحين ، ولا محلين ، ولا متلفتين ،
كما كان دخولهم وتفتيش السيدات أسراراً عادياً كما
يحدث كل يوم ! فلت الأسماء وانطلقت ، بمد
طول الاحتباس ، وتصادمت الأجسام بمد أن
استردت قدرتها على الحركة

ودخل صاحب البيت وهو يتفح ويمسح العرق
التصبب والمحط على كرسی فخف به الوجودون
وألحوا عليه بالأسئلة ، وهو لا يجيب . ثم انتظمت
أفئسها فقال :

« اطمئنا ... لم يضع شيء ... كل ما أخذه
ألقوه في المحلض ... يظهر أنها مزحة . ألا تبص الله
هذه الساكن الخلوة ... لو لم يكن بيتنا يبدأ عن
الساكن لما اجتأ هؤلاء الأشرار أن يركبوا بهذا
الزواج البارد للزيج ... ولكن لا بأس ... والآن
سيدي وسادتي ، تستطيون أن تعودوا إلى الرقص
والرح »

وتفرق الدعويون يستميدون ما فقدوا ، وأقبلت
« إحصان » على أختها تقول لها :

« هاتي الخاتم يا جليبة ... »

ولم تتم كلامها ، إذا صبح أنها كانت تريد أن
تقول غير ذلك ، فقد دخل بينهما في هذه اللحظة

الخاتمة

أقصوصة مصيرة
للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

« خبي ختمى ... بسرعة ! »

« ماذا ؟ »

« خذني ... أخفيه ... ألا ترى هؤلاء الثلاثة
القبليين في مثل ثياب الأوشاب ؟ أسرعى ... يا لك
من بلهاء ... لا بأس ، سأتركه هنا ؟ فأعلن أحداً
يلبس هذين أو يدس يده بينهما »

ودست الخاتم بين يدي أختها الناهدين الراسخين
وتركتها ومضت

وكان الثلاثة الأوشاب ، أو الذين آثروا أن
يتنكروا في هذا الزى يتنقلون بين السيدات على
مجل ، ويزعون عنهن ما يسهل زعمه من المحلى ،
ويتكهنن ما بين ذائلة مفتوحة الفم باحظة العين ،
ومنشى عليها من الخوف ، وصارخة تستغيت وتصيح :
« أدر كوني ... يا بوليس ! » وكان بعض الرجال قد
حاولوا أن يصدوا هؤلاء الأوباش ولكن فوهات
المسدسات ردتهم وأرخت أبيضهم إلى جنوبهم
وألصقت ظهورهم بالجدران

وتقدم أول الثلاثة من جليبة ، وهي واقفة
تنفض ولا تكاد تقوى ساقها على حملها ، وترى
الكرسى إلى جانبها ولا يخطر لها أن تقدم لفرط
ما اتابها من الاضطراب والجزع ، وتناول كفيها
ورفهما وهو يتألمها ثم سمد عينه إلى وجهها

أنا أيضاً ، فأريد أن أراقص أحداً غيرك ...
ولكنى أرجو أن تقوى لإحسان حين تربها في
الصباح إن الشيطان لا يياس ... وإلى اللقي يا فتاتي
الحسنة »

واستيقظت جليلة عند الضحى ، فكان أول
ما تذكره هذا الشيطان الذى لم تر وجهه ، ولكنها
لا تزال تشر كأن ذراعها على خصرها ، ودخلت
عليها إحسان وهي تلم بهذا وعيناها مفتوحتان ،
فاحتاجت أن تهزها — وإن لم تكن نائمة — لتردها
إلى هذا العالم ، وقالت لها : « الحاتم ... هاتيه »

فأفقت جليلة جداً لما دست أسابها بين يديها
فلم تجده ، وقالت وهي تنهض وتهز قبضها وتنفضه :
« لقد كان هنا ... لا أذكر أنى أخرجه ... لقد
كنت أرقص مع أحد ضيوفك واضطرم وجهها
لهذه الاله كرى) ثم عدت إلى غرفتي وغت ... »

فصاحت بها إحسان : « من كان هذا ؟ إن
الدعوى ليسوا لموصياً ... تذكرى ابن وضته »
قالت جليلة : « لا أعرفه ، لقد كان فى زى
شيطان ... ورجامى وهو يودعنى أن أقول لك إن
الشيطان لا يياس »

قالت إحسان : « لست الله عليه ... لن أرى
الحاتم بعد ذلك أبداً . لقد سمع حيث فشل لموصيه
الدين جاء بهم »

قالت جليلة : « لست قادمة ... إنه أحد
الضيوف ... وإذا كنت تعرفينه فلا شك أنه سيميد
إليك الحاتم »

فصاحت إحسان : « يا بلها ... إنه ليس

شاب فى زى شيطان ، وأحاط خصر جليلة بذراعها
وهو يقول :

« هذه رقصتي »

فهزت إحسان رأسها وقالت لنفسها : « لا يياس
ولا داعى للجلبة ، فإن الحاتم فى أمان ولن يخطفه
مراقصها وإن كان عفريتاً »

وقال العفريت للجليلة وهو يطوف بها : « ما أحلى
أن رقص الشياطين والملائكة معاً ! » وسوب عينه
وهو يهمس بذلك إلى صدرها ، وكان يذنبها منه
ويشد عليها ، وكانت هي تحاول عبثاً أن تتخلص
من هذا الذى يشبه السناق ، فيخيل إليها أن حديثه
البادئين من قبحى الفتاة تومضان ساهرتين ، فتقول
له بصوت كاعا براه الضعف والتفترو الخوف والرغبة
وهذا الخدر الذى سارت تحسه يدب فى جسمها :
« أرجو ... يسمح لى » ثم تجيل عيناها فيها حولها
وهي تحدث نفسها أن عليها أن تفلت من أسر يديه
فلا يزيدا ذلك إلا اضطراباً

وأسر إليها : « أسف ... هل نخرج إلى
الشرفة ؟ »

قالت : « نعم ... من فضلك لا أريد أن أبقى
هنا ... سأذهب إلى غرفتي »

فقال : « سيكون ما تريدن يا مصفورتى للجليلة »
وظل يراقصها وهو يتخلل بها الدعوى حتى
خرجا إلى الشرفة ، ثم مال بها يسرة حتى وقفا عند
باب ، وهناك أنحى عليها ، وحتاها على ذراعها ، فاقطع
رباط تدبها ، وسمع هو الصوت قابضم واعتدل ،
ودفع أسابيه بسرعة وخفة والتقط الحاتم ، وقال
وهو يلتصقها : « والآن أستودعك الله ... سأذهب

تتمنى أن يسود لثراه كما هو لا في زى شيطان ،
وإحسان وهي روح ونجى في البيت ، تدعو الله
أن يظل أسمد بعيداً مخافة أن يقتن باختها الحسنة
الصابحة الوجه ...

ومضت الأليم ، وفي نفس كل منهما أمنيتهما ،
وكانت جليلة تجد نفسها على الأيام عاجزة عن إحسان
الظن باختها إحسان ، وكان استبداد هذا الخاطر
بأنفسها والحاسه عليها على الرغم من مجامعتها له
وئودتها عليه ، يثيران غيرتها ويدفعانها إلى العناد ،
فتأبى أن تقبل من أختها وزوجها شيئاً ، وترفض
أن ترافق أختها إلى حيث تذهب ، وتصرف على البقاء ،
وتطيل خلوتها بنفسها

وفي مساء يوم ، دخلت غرفة المكتب لتמיד
كتاباً وتستعير غيره ، فالتفت أن لست أسامها
أوراقاً على المكتب فأطارتها ، فأمنحت لتמידها إليه ،
فأجابها تقرأ في واحدة هذه الرسالة الوجيزة إلى
زوج أختها :

« أسفة جداً ، وقد تركت لك رسالة وردتني
من أسمد وهي تقص عليك القصة كلها ، فلا حاجة
بك إلى شرح مني ، فأستودعك الله

إحسان »

فقرضت جليلة أسنانها ، ومزقت الرسالة على
غير عمد منها ، ثم نظرت في الورقة الأخرى التي
ذكرتها إحسان في كتابها قترأت فيها :

« عزيزتي الجلمدة النعبة

لقد يئست ، وإنك لتطلين أنى لا أستطيع أن

ضيفاً ... هو ابن زوجي ... أسمد ... وهذا خام
أمه ، وكان يريد أن يحتفظ به ، ولكنني أغريت
أباه بأن بطليني ؛ فهو يكرهني ويحقد على ، وقد
فسد ما بيننا بعد ذلك فأثر أن يعيش وحده ، فإن
به غنى عن أبيه ، ولا يزورنا قط ... والآن قد
استرده ... »

ولم تر جليلة أن تنهض عن سريرها فبقيت
مستلقية عليه تفكر ... إذن لم يكن أسمد يراها
جبية ، ولم يكن يدعوها عصفورة ، وسهمس في
أذنها بألفاظه المسولة إلا ليخدعها ، وكان الخاتم
هم الوحيد ... وكل ما يفيقه هو أن يسترده ، على
حين كانت هي لبلاستها توهم أنه مفتون بها !

ودار في نفسها خاطر آخر أوسع وألم ، ذلك
أنها عاشت إلى الآن بريدة عن أختها أكثر الوقت
لأنها كانت في المدرسة ، فهل كل ما دفع أسمد إلى
مناداة بيت أبيه هو انتزاع الخاتم منه ، وإيثار
امراء أبيه به عليه ؟ ! ألا يمكن أن يكون قد رأى
من إحسان ما جعله يفر منها حرصاً على كرامة أبيه ؟
ولكن جليلة نفت هذا الخاطر المتكرراتى فأداته
التيرة في نفسها

ولكنها لم تكن غخطئة ، فافتر أسمد من بيت
أبيه إلا لأن إحسان تطارده فيه ، وإن كانت لم ترد
على التودد

وهكذا اتفق في ذلك اليوم أن كانت انتنان
تفكران في أسمد — جليلة وهي راقدة على سريرها

فضحكت وقالت: «إنها لا تشر أنك موجود
فلا تجمع نفسك، وغيرك أن تقصر ...»
ونفض أسمد — فقد سمت جليلة حركة نذل
على ذلك — وقال وهو يتمشى في الغرفة:

«إنك لست أخأ لهما ... لا يمكن أن تكوني
أخنها ... أنت ... أنت ... لا أعرف ماذا أنت،
ولكني أعرف أنك ماكرة خبيثة، وكل مجي أن
تكون هذه الفتاة الطيبة الساذجة أختك ...
مستحيل»

وفي هذه اللحظة دق الجرس ففتح الخادم الباب؛
ودخل الزوج — زوج إحسان — يمشى بخطى
سريعة، ومن حسن الحظ أنه دخل من ناحية
أخرى فلم ير جليلة، وأبصر زوجته على أريكه،
والسيجارة بين أصابعها، وابنه يتمشى مطرقاً،
فوقف ونظر منها إليه ثم قال:

«هل هذه الرسالة منك يا أسمد؟»

فنظر إليها أسمد ثم قال: «نعم يا أبي»

وفي هذه اللحظة خطر لجليلة خاطر بمثل سرعة
البرق، ففتحت الباب وهي تقول: «هذا أنت
يا عمي!! أوه ما هذا الذي بيديك ... رسالة أسمد
إلي؟ أشكرك ... لقد خفت أن تكون قد وقعت
في يد أختي، فتبقي إلى هنا»

فنظر الرجل إلى الرسالة التي في يده، ثم رفع
عينيه إلى ابنته، وتنفس الصعداء، ثم التفت إلى
جليلة وسألها:

«أهي رسالة منه إليك؟»

أزورك في هذا البيت، ولكن في وسك أنت أن
توريني، ويجب أن توريني، فإن هناك أسماً أريد
أن تتفق عليه. وأعلى أني لم أذق طعم الراحة منذ
استمدت الخاتم»

فقهمت كل شيء، ولم يخف عليها أن هذه
الرسالة لها، لا لأختها، ولكن التي لم تستطع أن
تفهمه هو أن تخاطر بأختها على هذا النحو، وتهجر
بينها وزوجها وتذهب إلى من لا يريد لها ... إذن
يجب أن تذهب هي إلى بيت أسمد لتتدارك الأمر،
وتصلح الخطأ وتمنع الفضيحة

ولم تجد عناء في دخول البيت بلا استئذان،
فقد كان بيتاً صغيراً، تحيط به حديقة، ومن السهل
التسلل إلى أية غرفة، إذا كان هناك شبك أو باب
مفتوح

ودخلت حتى صارت في غرفة تتصل بأخرى
يباب موارب، فوقفت وراهم ساكنة فقد سمت
أصواتها، وإذا بأسمد يقول:

«إني لم أكتب إليك هذه الرسالة، وأنت
تملين ذلك»

وقالت الأخت للنامرة: «بالطبع أعرف هذا.
إن هذه الفتاة التي تفتتك وتديك وتلبك بك،
لم ترد على أن تضحك مقهمة لما قرأت رسالتك
إليها ... إن قلبها من حجر ... أو هو لوح من
الثلج ...»

فسألها: «هل تتبين أنها لا تبادلني حباً يجب
وأنا لن توافي على الزواج؟»

فقلت : « بالطبع ! ولن تكون غيرة ؟ إن
أختي لا تحبه ، فهو لا يجيء إلى بيتك ، ولهذا
طلب مني أن أجيء أنا إليه ، ولما رأيت أن أختي
جاءت اختبات ، لأن أسعد أشار عليّ بذلك ووعد
أن يتخلص منها بسرعة فأنها تفترض جداً على أن
أتصل بأسعد »
وهنا تناول أسعد يد جليّة وقال : « إذا كان
لا مانع عندك يا أبي من زواجنا ، فأرجو أن تقنع
زوجتك بالواقعة »
فقال الرجل : « إن اعتراضها لا يمكن أن
يكون إلا سخيّاً . تعالى يا إحسان . لئلاّ لم تحدثيني
بكل ذلك من قبل ؟ كان يجب أن تشاوريني فإن
جليّة كبتني ولها علىّ حقوق ... على كل حال حصل
خير ... تعالى نخرج ... ولندعهما ... »

وسأل أسعد :
« أظنك لم ترى رسالتي إلا بعد أن خرجت
أختك »
فقلت جليّة : « صحيح ، وقد مزقت كتابها
إلى ألياف ، ولكنها لا تعرف ذلك ، فستظل قلقة
لا تدري هل عرف زوجها أنها هت بهجره أو لم
يعرف »
فقال أسعد : « إن هذا القلق أقل مما تستحق .
هاتي قبلة ، ولنخرج إلى الدنيا ... »
وترع الخاتم من إسمه ووشه لما في أسبعا
إبراهيم عبر القادر المازني

الصيف خفيف هذا العام

لأن

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

معتدلة في أثمانها .. جميلة في ألوانها

فبادروا بأخذ طلباتكم

زوج حبيته ثم مات ، وقد أوصى بثروته العظيمة
إلى ابنه الصغير ، وبعوه دون أن يمقب ينتقل
لليراث إلى أمه التي كان يحبا زوجها حباً يقرب
من العبادة

أقبل الصيف فذهبت الأرملة كماداتها
لتصطاف في أملاكها في الريف وكان بينها قريباً
من بيت فريديريك . وبغسابة هذا الجوار تعرف

ابنها فريديريك وكان يتردد عليه ويأهو بكلاب صيده
وطيوره ، وقد شاهد البازي الذي تحدث الناس عن
مهارته ففطن به ، ولم يستطع أن يطلبه منه لأنه كان
يعرف شدة تعلق فريديريك به ، ولما علم أنه يستحيل
عليه أن يحوزه ساوره المم والتلق حتى مرض ،
ثم عرف والده بسبب مصابه قائلا : « أماه ، لو كنت
تتمكنين من الحصول على بآزي فريديريك لما جلتي
الشفاء وعودتي للصحة » صممت الأم هتبه
وسبحت في أحلامها وتأملاتها فأذا تعمل مع من
أحبها طويلا ويد ثروة لاسادها وهنامها فكانت
تقابل منه هذا العطف بالقتور ، وكيف تستطيع أن
يطلب منه آخر شيء لديه وماه يعيش ويحصل على
قوة من الصيد به ، وهل يحسن أن تحرم نبيلاً من
أنفس شيء لديه ؟ احتارت في أمرها ولم تدر ما ذا
تجيب ابنها والتمت الصمت ، ولكن الطفل ما فتئ
هموماً ملحاً في طلبه ، وفي نهاية الأمر تلب الحب
البنوي على كل اعتبار وعزمت على إرضاء ولدها
بأي ثمن كان وصممت أن تعرفه بأنه سينال البازي
وستذهب في طلبه وقالت له : « لا تحزن يا بني وفكر
في شغائك ومحتك ، وأول شيء سأعمله في الصباح هو

الصقير

للقصصني الإيطالي بوكاتشو
بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

كان بفلورنسا شاب من النبلاء الأغنياء يدعى
فريديريك أليبري من أسرة عريقة في الجيد ، وقد
هذه الفن والطبيعة وجلا منه في كاملا كيا
لا نظير له بين أبناء النبلاء التوسكانين ، وقد وقع
في حبال الحب كما جرت العادة بين أترابه ممن هم
في صفه من السراة ، فقام بسيدة من الأعيان تدعى
چن كانت تعتبر من أجل وأحب نساء فلورنسا ، ولم
يدع وسيلة لاساتلها إلا تغفها ، من ولأه فآخرة
وألماب فروسية باهرة ، وهذايا عظيمة . كانت هذه
السيدة متمسكة بالقوى والغفنية ولم تحفل كثيراً
بهذه التفقات الجنونية ، ولكنها لم تحترق قط هذا
الشاب الظريف . لم يتطرق اليأس ولا اللل إلى
فريديريك واستمر في طريقه وإسرافه حتى أضاع
ثروته ولم يبق لديه إلا شيء قليل يعيش به في حالة
بؤس لم يدخر من ماضيه الفخم غير بآزي مدرب
على الصيد ، ولقد أصبح أشد تعلقاً بحبيته رغم
فقره للدق الذي أوقته فيه ، ورأى أنه لا يستطيع
أن يعيش عيشة تليق به في المدينة ، فصمم على
الاعتكاف في البنية الصغيرة الباقية من أملاكه في
الريف ، فكان يصطاد في أغلب الأحيان بصقره
ليسرى عن همومه وليكفيه مؤونة السؤل . استمر
على تلك الحال رديحاً من الزمن مرض في أثناءه

في هذه اللحظة الحرجة ؟ فاستشاط غضباً ولمن ثروته العائمة وأخذ يهرول في أنحاء البيت، والأدنى أنه لم يكن عنده درهم ولا شيء . يقوم بقيمة حتى يرهته . ولما اقتربت ساعة النداء صار في أمره فوقع نظره بشتة على البازي الذي كان معلّثاً في قصصه فقسم على تضحيته ليقدم شيئاً مناسباً للأيم التي شرخته بزيارتها ، ثم لوى عنقه وثف ريشه ثم وضعه في النار . ولما نضج الطعام ذهب إلى الحديقة ليدعو السيدة وصاحبها لطعام ؟ وبعد انتهاء النداء دار حديث لطيف ، ثم رأته مدام جان أن تطلع فريدريك على مر زيارتها قائلة : « أذكر أيها السيد كل ما صنعت من صنوف الناية وحياتي الشديدة التي جعلتك تنظن بأنني فلسفة متوحشة ، ولا أشك في أنك تدعش حيناً تلم السبب الحقيقي الذي قادني إليك ، ولو كان لك أولاد لكنت تعرف قوة الحقن الأسمى ، وإنني واثقة أنك ستعترفني ، ولكنك لأولادك ، ولدي ولد واحد ولا أستطيع أن أهرب من القوانين العامة للأزمات . وهذا الذي يضطريني أن أتصدى للمقول وأخالف إرادتي وأطلب منك شيئاً أعلم أنك تمزقه كثيراً لأنه أصبح لك الزمزم الوحيد لضياح ثروتك ومامو الإلازيك الذي أطلبه . إن ابني مريض وهو تواق للحصول على الصقر وأخشى إن لم أحضره له أن يقتله الحزن ، ولذلك أؤسر إليك لا بحق الصداقة فلست مدنياً لي فيها بشيء بل أؤسر إليك بطيبة قلبك وحبك لخير المام الذي لم يكذب فيه الظن قط والذي يميزك عن جميع الناس ، وسيكون

الذهب لإحضار الصقر قسر الولد لهذا الوعد وتحمست سمته في الساء

وفي الصباح ذهبت أمه وإحدى السيدات إلى بيت فريدريك ، ولما دخلت وجدت في الحديقة ينظما لأن هذا اليوم لم يكن مناسباً لصيد البازي ، وقالت للخدام أن يعلن مجيئها لتحدثه في شأن من الشئون . تصور أيها القاريء دهش فريدريك ومفاجأته بهذا الخبر السار ، فطار من الفرح عدواً لاستقبالها ، وسلم عليها بكل احترام من بيده ، فقدمت إليه مدام جان وحيته بكل لطف وأدب ، وبعد تبادل التحية قالت له : « لقد أقبلت ياسيد فريدريك لأراك على الناية التي بذلتها حيناً أحببتني حيناً يزيد على المقول ، والكافأته حضورتي أو السيدة لتناول النداء منك » فأجابها بكل لطف وتواضع « إنني لم أخسر شيئاً قط لأجلك ، بل بالعكس فأنك أعددتني لكثير من المزايا ، ولئن عرفت بشيء منها فالتفضل راجع إلى المواقف التي نفختني بها ، وهذه المكرمة التي منحتها اليوم لجليلة جداً وقد أتلجت صدري وشرحت فؤادي ؟ ومع أنني فقير فإني لا أريد أن أسيع هذه المنة بقرى التي قدستها » وبعد هذه الجملة اللطيفة صحبها إلى الحديقة وترك بصحبها البستاني وصاحبها التي أقبلت معها ، وذهب ليهي الطعام . وهذا النبيل الشريف لم يشمر في حياته بقسوة وطأة الفقر مثل ما شعر بها في هذا اليوم الذي أقبلت فيه أعز الناس لديه ، وكان يوده أن يهيئ لها ولجبة فاخرة ، فبالله إذا لم يجد شيئاً لديه

لك ابني مديتنا بصحته وربما بجيائه ، وستملك بهذا الصنيع قلبه وقلبي مدى الحياة »
ولما رأى فريدريك أنه لا يستطيع إرضاء هذه السيدة لأنه ألحها ما تطلبه خفتته العبرات قبل أن يفوه برد ، فظلت السيدة أنه يبكي حزناً على قد بازيه وكانت تنير رأسها فيه وفضلت أن تترث إلى أن يجيب فقال لها : « إنني منذ خفتت للمرة الأولى بمحاسنتك تيقنت أن الثروة كانت تناوئني في كثير من الأمور وكنت أشكو من شدة ما تعرضه علي ولكن كل ما سر علي من يؤس وآلام لم يك شيئاً بجانب بلية اليوم ، وستترك في قرارة نفسى صراحة لا تقارقي . هل تستطيع المصائب أن تسد إلى طعنة أظلم وأقسى من صدمة اليوم حيناً أرى أنك تفعلت بزيارتي في هذا البيت الفقير مع أنك لم تتنازلي بزيارتي حيناً كنت غنياً ثم تطلين من شيئاً لا أستطيع أن أحضره لك . ما أضناك أبداً الحظ المائر الذي ما فتىء يشطهني . لقد تحملت بصبر جميل أستاذان الزايات والمحن ولكنني رزحت تحت هذه الصدمة إذ ليس عندي الآن بازي ، وبمجرد ما شرفتني وأظهرت رغبتك في تشرفي بالثناء مني فكرت أن أحضر غداً أرقى مما اعتاده الناس فذبحتم الصقر دون تردد لمهارته المظلمة في الصيد ؛ ومن سوء حظي لم أوفق لأن أقدمه لك حياً . وبعد هذا الحديث رأى أن يقتضا بأن أحضر الرأس والريش والخيلين

دعشت مدام جان ولامته لوماً شديداً لدمجه
— إنني أعلم ذلك ولكنني أفضل رجلاً محتاجاً إلى المال على ثروة محتاجة إلى رجل . ولما رأي إخوتها أنها مصممة ألا تتزوج غير فريدريك وأنهم لا يستطيعون أن يبالغوا أنفسهم أنه شريف

كيس صادقوا على زواجهما ، ولقد أظلموا عرساً
 في منتهى الفخامة
 لقد صير البؤس الزوج الجديد حكماً بصيراً
 بمواقب الأمور فأصبح مقتصداً يدير شؤون الثروة

الحديثة بحكمة وفطنة وعاش مع زوجته التي أحبها
 عيشة سعيدة هنيئة متمتعة بمطعمها وحنانها

محمد كامل مبراج

إن أردت أن تحترف مهنة التنويم المغناطيسي وتصبح منوماً بارعاً

وتؤثر بالمغناطيس عن قرب وعن بعد وتحصل على دبلوم في هذا الفن

(٢) تستبدل مرضك بصحة ، وبؤسك بسعادة ، وفشلك بنجاح (٣) وتستغل مواهبك
 وتستخدم قواك المغناطيسية لتذلل عقبات الحياة وتسيطر بها على الطبيعة وتؤثر بها على من حولك
 في حالة البيع والشراء والمطالبة وتصبح ذا شخصية بارزة وتحقق كل أمل تنشده (٤) إن
 أردت التخلص من العادات الضارة كشرب المخان والادمان
 على المخدرات ولعب الميسر والنورستانيا والمهستيريا (٥) ومعالجة
 أمراضك العقلية والاضطرابات النفسية والمصيبة ، (الخوف ،
 الوم ، الكآبة ، الوسواس ، الأرق ، التلثم (الجلجلة) ،
 الإمساك المزمن ، النخافة ، السمعة ضعف الذاكرة
 والإرادة) (٦) أو إن كنت محامياً أو خطيباً أو ممثلاً أو بائناً
 وتريد أن تكون موضع ثقة ومخرج كلامك مشعباً بالتأثير
 المغناطيسي ، أو أردت معرفة مستقبل أمورك (٧) وإن



الضابط النيل الدكتور أحمد سليم عيسى
 الحائز على دبلوم معهد الشرق بدرجاتها
 العليا : الصوف الثقة والصناعة ، وقد
 تخصص في الفنون المغناطيسية واستحضار
 الارواح ومعالجة الامراض النفسية فنهته
 وتنشئ له النجاح

كان لك حاجة عند شخص تريد التأثير عليه عن بعد فاستخدم
 قواك الخفية التي سندربك على استعمالها واكتب إلينا حالاً
 فنرسل لك تعليماتنا مجاناً بالبريد . فقط ارفق ١٥ ملياً طوابع
 بوسنة للمصاريف واطلبها من الأستاذ ألفريد توما مدير معهد
 الشرق لم النفس ٣٣ شارع الملك بحدائق القبة بمصر

المحرر بنشر صور الفنازين ، فأسرع نجيب غل الماسجة واستخرج من جيبه صورة حديثة له فوضها مع الحل في غلاف ، بعد أن استوعب شروط الماسجة عشرات الرات ، ثلثا ينسى شرطاً قد يفسد عليه الفرصة المواتية.. ثم أخذ يحصى الأيام ، ويتقرب صدور

المجلة على أحر من الجمر... وقبل اليوم الشهود بأيام أوصى بائع الصحف بإحضار نسخة له نادى بائع الصحف نجيباً ، فنزل مسرعاً بقلب يخفق ، وقلم المجلة وراح يقلب صفحاتها بلهفة ظاهرة ، حتى وقفت عينه على صور أشخاص ، ولكنه شعر بضيق شديد وأثنى بالمجلة حاقاً وهو يقول :

« إذا كان نشر صورتي صعباً فلا أظن كتابة اسمي تحت مقال بهذه الصبغة » ثم تناول قلماً وورقاً وراح يقدح زناد فكره ، فلم يسمعه فكره ، فتناول صحيفة يستمد منها اللون ، فوقع بصره على عنوان « حكم وأمثال » فقال في نفسه : « لم لا أجمع حكماً وأمثالاً أضع تحتها اسمي كما فعل صاحبنا ؟ » وبعد لأى وفق إلى جمع مثيلين اثنين وحكمة واحدة ، أساقف إلهما من عنده : « الصبر مفتاح الفرج » وأرسل كل ذلك إلى إدارة تلك الصحيفة

وشاء ريك أن تظهر الحكم والأمثال مذيعة بأعضاء « نجيب » فطار فرحاً وابتاع عدة نسخ صار يوزعها على الأتارب والأصدقاء ، وأسرع إلى مكتب البريد وأرسل إلى أخيه الموظف واد مدني نسخة ، بعد أن وضع حول حكمه إطاراً وسود كل ما عداها... لو كان محرر تلك الصحيفة يعلم

أمنية أقصصة مصريّة للأديب عبد الحميد جودة السحار

تناول نجيب صحيفة الصباح وأخذ يتصفحها ، وكلما قابل مقالة قرأ عنوانها وتقرس في اسم مؤلفها حتى انتهى من تليب جميع صفحاتها ، ثم أخذ يستعرض الصور التي تزين الصفحتين الأولى والأخيرة ، وطوى الصحيفة ووضعا على ركبتيه وراح يفكر في أحباب تلك اللقالات والصور... « أليسوا بشرّاً مثله ؟ ولكن لم يتمتعون بتلك الشهرة العريضة على حين لا يسمع به أحد ؟ ولم لا يعمل على نشر صورته ، أو على كتابة اسمه بحروف الطباعة على الأقل ؟ » ثم أغمض جفنيه وراح يحلم ؛ فرأى صورة تحل الصفحة الأولى من إحدى الصحف فشر بنشوة وهزة... واستغرق في أحلامه فرأى الأعمدة الطوال تكتب من أجله... ثم من أجله هو... ولكن في أى موضوع ياترى؟ إنه لا يدرى... ولماذا يتب نفسه في ذلك؟ ها هي ذى صورته ، وهذه أعمدة الصحف تفيض بذكره وكفى...

نادى نجيب بائع الصحف واشترى منه مجلة أسبوعية وقع فيها بصره على صور بعض الفنازين في إحدى الماسجات فراح يتأملها في حسرة وهو يردد : « يا لحسن حظهم ! يا لحسن حظهم ! » ثم تابع القراءة ، فصر على مسابقة جديدة وعد فيها

فأراد أن يلتقط صورة للعامل فجاء نجيب يتمسح حتى وقف إلى جواره وهو يردد في نفسه : « شيء خير من لا شيء » ؛ وواظب نجيب على شراء كل المجلات ولكن الصورة لم تظهر

وبينا هو يتمسح إحدى المجلات قرأ : « أهدي الوجه إبراهيم ... إلى الراقصة جميلة ... قرطاً من اللاس ... » فتسحب في نفسه : كيف لم يهتد إلى ذلك قبل الآن ؟ إن التمرن إلى راقصة وإغرائها بالمدايا يجمل المجلات تردد اسمه . ألم تذكر المجلات اسم إبراهيم ... لأنه أهدي إلى راقصة قرطاً من اللاس ؟ فما بالك لو أهدي إليها أقرطاً وأساور وغيرها ... ؟ نعم سبهدي إلى جيلة المدايا التي ستذكرها المجلات كما ستذكر اسم الوجه نجيب ومتافسته لإبراهيم

تودّ نجيب إلى الراقصة ، فتوطدت العلائق بينهما ، وصارا يظهران في شارع عماد الدين معاً ، ويقضيان الليالي في الحانات ودور اللهو . وتطورت العلاقة على الأيام وأحب نجيب جميلة حباً جارفاً ، وراح يتفق عليها ينفخ ، فتدهورت حاله ولم يد يستطيع مواصلة الاتفاق ، فأصبح كلما ذهب لزيارتها أعلت خادماً بنياً بها ، وكلما لقها ازورت عنه . إلى أن لقها ذات ليلة بعد انتهاء الرقص فأخذ بينها غرامه ، فسخرت منه ، فثار وهدد ، لكنها لم تأبه له وابتعدت ساهرة

أظلمت الدنيا في عينيه ، وشعر بالهم يفور في عروقه ، فاستل مدية وجرى خلفها وطمعها طمعة أعتبها صرخة شقت الفضاء وسقطت مقرجة بدعائها

وأقبل وراءه باب السجن ، ورأى نفسه وحيداً في الظلام ، فأخفى وجهه بين راحتيه ، وأخذت

هوى صاحبنا لتشر له كل يوم حكمة ، فيضمن رواج صحيفته بفضل ما يقوم به نجيب أفندي من العناية والتوزيع

ومن ثم استمر نجيب يرسل المقالات إلى جميع الصحف والمجلات ، ولكن بدون جدوى ؛ فيئس من هذه الطريق وراح يفكر في طرق أخرى ، كأن يتربق وفاة أحد أفرأائه فيظهر اسمه في إعلان الوفاة بين أسرة العقيد النزيه ... ولكن الموت بُعد عن الأقارب ومد الله في أعمارهم نكابة به فكر نجيب طويلاً ، فهداه تفكيره إلى تناول مادة سامة ، وبذلك يضمن ذكر اسمه في حوادث اليوم ، فاشترى (حامض الفتيك) وخففه بالماء ، وتناول جزءاً

يسيراً منه فسقط يتلوى ويصرخ . وأسرع الحلاق الجارور لنزله فيمن أسرع وتمكن من إسعافه دون إخبار رجال الإسعاف ، زحماً منه أنه بذلك يؤدي خدمة إلى نجيب أفندي . فلما أفاق نجيب أوسع الحلاق سباً وشتماً وقال له : « أنت مزين حقاً ، تدخل فيها لا ينيك ! » . ومنذ يومئذ يكره هذا الحلاق الثقيل الذي فوت عليه فرصة ذهبية !

وحدث أن سافر إلى الاسكندرية ، وجلس على الشاطئ في يوم هاج فيه البحر ورفضت الריاء السوداء ، وأخذ يتأمل الأمواج المتلاطمة وهي تتكسر على الشاطئ ، ثم رفع رأسه فرأى فتاة طائشة استخفت بالموت وتزلت إلى البحر وراحت تسمبح بنور إلى بعيد ، ونجاة علاصاها تطلب النوث ... هاهي الفرصة تسنح ... هيا أيها البطل واغتنمها ... ولكنه وأسفاً لا يعرف السباحة . وقف على الشاطئ والألمى يهصر قلبه ... لا على الفتاة المسكينة ، بل على الفرصة السانحة التي لم يجي نفسه لاستغلالها . أسرع عامل الإقفاذ وعاد بها إلى الشاطئ ؛ وكان أحد مصوري المجلات يتجول هناك

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

الصور تتناح في غيظه مرعاً ، فكان يرى أطوار
حياته يتلو بعضها بعضاً إلى أن رأى جنايته وكيف
أقدم على ارتكابها ، فقلعت عضلات وجهه ، ثم
فكر في الندم المثل ، وما يجنيه له من عذاب ،
فتعلم ، ورجاء تذكر الصحف ... نعم ، متكتب
الصحف عنه ... !

والتمت في عينيه ابتسامة ... وأسفا ! لقد
دفع الثمن غالياً ، ولكنه ظفر في النهاية . ستعثر
المصحف صورته بلا ريب ، وستحدث عنه كثيراً
وتنشر المقالات الضافية ، ولكنه دفع الثمن حريته
وحياته ... !

عبد الحميد عبودة السمار

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الطائف

أبي العلاء المعري

طرفة من دوائع الأدب
العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ،
وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقضو أبي العلاء إنه عارض به
القرآن . ظل طول هذه القرون
مفقوداً حتى طبع لأول مرة في
القاهرة . وصدر منذ أسبوع
صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زنتاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

تأليف
محمد عبد الجبار

ميسر نظم الترجمة بمؤازرة الزراعة
فريق زينة إلهية العلياء في القرون العظيمة



يحذفه الآباء والأفهام وسأل تكوين الأخلاق وتوهمها
وطرق التربية الوطنية الاستقلالية والأخلاق والإرادة
ويحذفه الأدياء الصراخ بين القديم والحديث (مستحقة)
وفلسفة الفصح وشيرات الفصح والأفعالات النفسية
ودراسات أدبية خاصة بالمستحقة وتوهمها
ويحذفه النساء في الأمانة
بجانب على كل من يريد تربية أولاده بزية صحيحة أن يقرأ « النموج »

بمن حرم وعشرون قرشاً صاغاً على ورق لين

وأربعون قرشاً صاغاً على ورق كوشية

يسباع بكتبة النهضة بكتبة الإيجال بالخرطوم وبكتبة زيان وبكتبة مصر

هذه البقاع البعيدة والصقع الوحش !

— دحك من هذا الزراح يا فرخندة

إنك تتجاهلين حالنا ! وإلا فانك

تهرفين بما لا تهرفين ! إنك لا تهرفين

الحاجة بل الفقر المدقع ، وإذنا كنت

تجهلين حالنا فاعلى أنه على أثر خروج

زويجى من وظيفة جعل المائتون

بطالبون بمالهم علينا يريدونه دفعة

واحدة ... فأصبحنا بين عشية وضحاها طعيز من

دفع كراء الدار الى نكسها

— أنا لا أجهل ذلك . لقد أخطأت فى

زواجك من هذا الكهل المتقاعد . لا أدري أية

ميزة له أطعمتك فيه ؟ أجهله أم ماله ؟ أحسبه أم

نسبه ! أسكره أم وظيفته ؟ إنه ليس سوى كهل

متقاعد قارب المقد الخامس من العمر . فلأمال ولا

جمال ! وعدنا هذا ليه ابنة من زوجه الأولى المتوفاة .

— أسكنى بالله عليك . . فأنا أيضاً لست

صغيرة ! وهى من زوجى الأول بنتان لا واحدة

— أنت لم تبلى خمسة وعشرين عاماً بعد وأنت جميلة

كلوردة ! ولولم يتزوجك هذا الرجل لكان هناك

الشرات ممن هم خير منه يتقدمون إليك لترضى

بأحدهم بدلاً ويكرمون ابنتيك من أجلك ! وهذا

السام الذى تشرين به بل هذه الحشرة التى استولت

على حواسك إنما هى من نتائج رعوتك ! وعند

ما نصمت نحن إلى نغمت الموسيقى وأنتام الجازبند

فى ملاهى استانبول تتصنين أنت إلى طنين القلب

فى النهار وعواء الكلاب فى الليل

أحسن القصص التركية

شجار أطفالك

للكاتب التركي الكبير رشاد نورى
بقلم السيد خلف شوقى الداودى

— إذن ستعودون فى قطار الساء ! مع أى

كنت أتوقع أن تبقى عندما يمين أو ثلاثة . ولم

كنت مسرورة لذلك ! فأنا بك مسافرة ممكنة على عمل

— ماذا الله ! أنا أبقى هنا ؟ ولو بقيت لاصح

الله فلا بدنى من أحد أسهرين إما اللوت وإما الجنون

— وما ذا أقول أنا ؟ أأست ذات روح ؟

— لا ، ولكنك لا تملكين عقلاً تدركين به !

والأ فكيف تستطيع الواحدة صبراً على هذه الحياة

الوحشة واستانبول على مقربة منها ؟ وأين تلك

الملاهى والمراقص ودور السبا والحدائق الفناء من

هذه الحياة للقفرة فى ذرى الجبال وبين أكوام

التلوج ويطون الوديان ؟

— لا أقول هذا يا عزيزتى (فرخندة) ! ولا

تكذرى اللوم ! فأنا لست قانئة بهذه الحياة للملة ولا

راضية عنها ، ولكن ما العمل و « الحاجة » هى

التي تحملى على ذلك ؟

— كلام فارغ ... متى ضاقت مدينة « فروق »

الكبيرة بك وزوجك حتى تضطرا إلى السكنى فى

(١) خلا من مجموعة (أحسن القصص التركية) لعام ١٩٢٧

نشرت لأول مرة فى مجلة « الهلال للصور الرسمى آى » التركية

التي تصدر فى الآستانة

ما تبدلت أفراسهم أتراساً واقبل سرورهم إلى شجار... ولو استرق السمع أحد لسمع سونا رقيقاً بدل على أن صاحبه يجهش بالبكاء.. ولقد أثار هذا الصوت غضب السيدة ناجية وأثار أعصابها، وكانت قد حركتها ذكرى السينا واللهاى والسارح والراقص فى الأستانة، فقامت من مكانها مقبلة الجبين والمحججين وهي تقول :

« الحق أننى أهضم كل شيء هنا ، وليس لى ما أشكو منه ، ولا يضيرنى الفقر كما أنى لا أشكو من كبر سن زوجى ، ولكن اللى لا أستطيع الصبر عليه هو هذه الفتاة « باكيزة » ابنة زوجى .. إنها ستبقى بأولادى اللى بما تسيه لهم من م وغم .. من يدري ماذا صنعت بهم حتى جلتهم على الصراخ »

لم تكن باكيزة غير طفلة فى العام الثامن من أعوام حياتها .. لقد كانت جدتها تكفلها إلى ما قبل ستة أشهر، لكن العجز السكىنة توفيت بذات الربة فاضطر أبوها إلى أخذها عنده ..

لم يتقطع صوت بكاء الطفلة فلم تستطع ناجية هائم الصبر فقامت غائبة إلى شجرة جوز كبير حيث اتخذ الأطفال من ساقها أرجوحة يلعبون بها ويقضون فيها أوقاتهم . وكانوا مجتمعين تحت ظل الشجرة الرافد .. لقد كانوا أربعة أو خمسة أطفال بينهم فتاة فى السادسة من عمرها تبكى من دونهم ، وكان التراب الذى يسيل وجوها يختلط بدموعها ويتحدر على خديها تاركاً آثاراً تشبه السواقى الصغيرة .

ما اللى صنفته بالأولاد أينما الحبة الرقطاء ؟!

كانت هذه المحاورة تدور بين أختين فى الرضاعة وقريبتين من مبيد ، قضتا أعوام طفولتهما باللعب معاً، وبسببها دخلتا مدرسة واحدة . ولما أصبحتا على أبواب الزواج تقدم « معلم عود » إلى فرختة فتزوجها بحب ، وهامى ذى سميدة بزواجها تفضى أوتلت تاريخها فى مشاهدة الروايات السينائية والمراقص ونميا حياة عصرية

أما ناجية هائم فلم تكن ذات حظ سعيد كأختها إذ أنها تزوجت من ميكائيل ظهر أنه غير كفؤ لها، وأنه مقامر سكير ، وبعد أن قضت معه ثلاثة أعوام بالشجار والجدال طلقها وفر هارباً مع إحدى الرافصات إلى سورية ! ولقد أثرت هذه اللصبة تأثيراً سيئاً وكبيراً فى ناجية هائم ولقبتها بدوساً فى الحياة كان من أثرها أنها لم تبال بما كان يتظاهر لها به أحد شباب الجيران من حب، وبما كان يحاول به لفت نظرها من غناء وضرب على الود ! وفضلت الزواج من كهل يدعى على رضا عضو محكمة على الشاب اللده بمحبها ...

أما هذا البيت « الفقير » « الموحش » كما وصفته السيدة فرختة فلم يكن سوى بيت رقيق واقع فى حديقة كبيرة وفى منزل عن البلدة انظر على رضا إلى سكنه على أثر إحالة إلى التقاعد لأسباب اقتصادية وجعل يقضى أوقاته فى حرث الأرض وزرعها .

وبينا كانت الأختان يتجاذبان أطراف الحديث كان الأطفال يلهون ويلعبون فى أقصى الحديقة ومصراتهم يكاد يصم الأذان ، وهم فرحون جذلون على ما يظهر من أسوأهم وألناغتهم . ولكن سرعان

بها تأمرها أن تهز الطفلة أختها ..

أدركت با كيزة أنها ستقال ضرباً مبرحاً من زوجة أبيها إن لم تهز أختها ، فأطاعت مكرمة ومدت يدها بحركة آلية الى الحبل فأخذته من يدها وشرعت تنجده وتهز الأرجوحة والعمود تتفرق في ما قيعا . وكاد الأمر يقف عند هذا الحد لولا حادث بسيط . فقد وقت الطفلة « أفسر » من على الأرجوحة وإن على شفتها أثر دم . ومع أن الرقعة كانت قضاء وقدر إلا أن ناعية هاتم اعتقدت كل الاعتقاد أن ذلك لم يكن إلا إنتقاماً وتشفيكاً من با كيزة .. فقامت القيامة وقار التنور ... وأخذت تولول وتنور وتهدهدها بنظام الأمور .

عاد على رضا بك بعد الحادث بقليل إلى داره وكان أول ما أبدته به زوجة الشكوى من ابنته . فقال لها :

« رويدك ! لا تهتمى كثيراً فانا أعرف أن جسدها وبها روية سيئة وأنها الآن بحاجة الى من يربها روية صحيحة » قال ذلك وصاح بابنته بصوت أجش .. فجاءه خائفة وجلست وهي تمل ما يضره لها أوها . فأمسكها من يدها كما يمسك الشرطي بيد المجرم وذهب بها الى شجرة الجوز الكبيرة وأوقفها أمامه يحاكها كما يحاكم المجرمون ... جلس على رضا قبالة ابنته با كيزة .. وجعل يتخلل الأمور التي كان يقوم به لما كان عضواً في المحكمة وشرع يحقق مع با كيزة بذلك الروح : روح « المستنطق » القديم . أجل إنه كان كهاكم حقيق في هذه الساعة .. أمامه « متهمة » وهناك مدع . أما « التهمة » للوجه اليها فتتجسر في :

هكذا قالت السيدة ناعية هاتم تخاطب ابنة زوجها قبل أن تتحقق من منم المتدى ؛ مما يدل على رسوخ الاعتقاد في غيبتها بذنب الفتاة إن صدقاً وإن كذباً .. قالت لها ذلك وهي واقفة أمامها ويدها في خصرتها عقدة فيها النظر تريد منها جواباً ! أما با كيزة فلم تجب بشيء رضع حاجبها بامتصاص ناعية صبور ذنب منها ؛ ولقد حمل هذا الطفلة (أفسر) على التملق بأذيال أمها والتشكى لها من با كيزة واتهامها بدم هزها في الأرجوحة :

« أمه اخلي هذه الصبية النحوسة على أن تهزني في الأرجوحة » قالت ذلك وأجهشت بالبكاء للصنوع ..

— هزي أختك قليلاً يا هذه .. ما الذي يضرك ؟ .

... ..

— الظاهر أن ذلك يحس كبرياء الهاتم ؟

... ..

— ولكنك تعرفين ارتداء اللباس التي أضمنها لك بإذابة نور عيني وتعرفين أكل الأطعمة التي أقضي الساعات الطوال في إعدادها لك ؟

... ..

لم تكن السيدة ناعية هاتم تقول ذلك بلهجة أم تؤنب ابنتها ، بل بلهجة عدو متتقم يصدر وأمره الى عدو من أعدائه الأعداء أوقمه سوء طالع تحت أمره .

كان وجه السيدة ناعية يحاك وجوه الأموات باصفراره عند ما مدت يدها الى طفلها وسجلتها لتجلسها على الأرجوحة .. ولما أتمت ذلك أمسكت بطرف الحبل وأدقته من ابنة زوجها اليقظة وساحت

عند ذلك رفعت با كيزة رأسها وعيناها ممتلئتان بالدموع وقالت :

« إني لم أضع أى أبداً فقد كنت أعمل كل ما تأمرنى به ، وفوق هذا ألاحظ إخوتي وأخوانى كأحد الخدم ... وإننى لم أقم بأية حركة تدعو إلى الشكوى ؛ ولكن مع هذا كله لا ترضى عني ولا أدرى ما الذى أعله حتى أجلب رضاها ... ؟ »

قالت با كيزة ذلك وهي ترفع يديها نحو أبيها مسترحة سائلة أن يُلها على طريقة لإرضاء زوجها والدموع تسيل على خديها ... « إنهم يستدون على ويشربوننى أشد القرب ... ولكنى لم أشتكم إليك ، وسوف لا أشتكى لأننى أعلم أنك لن تصبى إلى شكواى ! » وأردفت قولها هذا بالكشف عن ذراعيها وسدورها وقبتها وطلبت من أبيها أن ينظر إلى آكار المعصى والقرب للبرح الذى كانت تتلقاه من أخواتها وأهمن . وشكت إلى أبيها ما تقاسيه من ظلم أخواتها اللواتى أصبحن أقد أعدائهن مقلدات أمهن ! وكيف أنهن ياملن معاملته ظالمة : « إنهن ممنعن من الجلوس فى الأرجوحة ... لا لسبب سوى أننى أهرز نفسى فى الهواء طائلاً أكثر منهن ! لقد أجمن الجلوس فى الأرجوحة لجميع بنات المحلة إلا لىلى ... زبدة فى النكابة ! . وكلما حاولت التقرب من الأرجوحة يهاجمنى بالمصى والحجارة والسب والشتم ... وفوق كل هذا يأمرنى بهز البنات التتريات ، والويل لى إن رفضت لهن أمراً ! هذا قليل مما أتسبه من الأطفال وأهمن كل يوم ... لقد كنت ألقى كل هذه للماملات وأنا

تملأها إسقاطاً أختها الصغرى من الأرجوحة وتسببها فى جرح شفتيها » وأخيراً صاح بالتهمة الصغرى بصوت خشن يقول :

— أصبحك هذه الأعمال ؟
—

— لقد أصبحت فتاة مراعية وفى الثامنة من عمرك فضلاً أصبحت قليلاً ؟ وهل تعامل الأخت أختها هذه الماملة ؟

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكان ، ولكن لم يمر أسبوع من الأشهر الستة التى حلت فيها عندما دون شكوى أمك منك ... رحم الله جدتك ... يظهر أنها كانت تترك لك الحبل على التارب ولم تتركك عن هذه الرقاعات وأمثالها ... والآن لنترك ما مضى إلى ما مضى ... وهيا عدينى بأنك سوف لا تصيدن سيرتك الأولى وستكونين ساكنة هادئة راضية مرضية مطيعة أوامر أمك تفعلين ما تؤمرين لم نجب با كيزة أبها . وكل ما فعلته أنها رفعت حاجبها الكثيفين ونكست رأسها إلى الأرض بذل وانكسار شأن البيتائى . أما وجهها فقد كان يصعب تبين اللون الذى كساه لظلمة المساء التى سادت

لقد فسر على رضا بك الوالد هذا السكوت بالصبيان ... فزاد ذلك فى حتى الحاكم القديم وحده فما كان منه إلا أن مد يده إلى الفتاة وأمسكها من كتفها الأيسر وهزها هزاً عتيقاً وصاح بها والنهيط

أخذ منه مأخذه :

— إني ألك يا شريرة ، فلم لا تبجينى ؟ وهل أصبحت صاب بكاء !

نحكت الطفلة عندما رأت أباهما يتأثر لمصابها .
وقالت : كانت جدتي الرحومة تقول لى دائماً :

« تعتبر إحدى عيني الأب عمياء فى حياة الأم ،
أما بعد وفاتها فيصبح أعى ولو كان بصيراً .. »

وأما سبب عدم بث شكواى إليك يا أبت فهو
أنى لم أشأ أن أسبب لك الآلاما . وهب أنى فأنحتك
بكل هذه الاعتداءات فإذا تستطيع أن تصنع ؟ ..

كان على رضا عنياً رأسه إلى الأمام ينظر إلى
الأرض غارقاً فى بحر عميق من التفكير ... لقد

تصور حياته التى ييمها مع زوجته الثانية ، وكيف
كان ضيقاً أمامها ضيقاً لا يكون إلا من الذين

قد تجاوزوا سن الكهولة ، ضيقاً هو أقرب إلى
الذل منه إلى الضعف ، وكأن باكرزة الطفلة قد

أدركت هذا الضعف فى أبها عندما قالت :

« وأنت ماذا تستطيع أن تصنع ؟ » ولكن لا ،
إن هذا اللوظ الممل القديم لا يشبه غيره من

الرجال ... وليس من الذين يقولون أن يحبوا فى ذل
وخنوع واستكافة وعبودية ، فقرر لساعته أن ينفض

عنه غبار الذل . والتفت إلى ابنته وقال لها وفى نبرات
صوته حزم ظاهر :

— اسمى يا بختى ! إننى أنا أبوك ، فلا تسمى
ولا تخافى ولا تحزنى ! انى يتدى عليك أحد بعد

اليوم . قال ذلك ومد يده إلى الطفلة ورففها فى الهواء
يلطفها ، ومن ثم أدناها من فمه قبلها وهو يتفرس

فى عينها يتخيل فىهما صورة زوجته ويطلب منها
المغفر على ما فرط منه فى جنب ابنتها باكرزة .

لقد انقلب على رضا بك فى ثوان معدودات إلى

صابرة ولم أنبس يفت شفة لئلا أسبب لك الآلاما بل
كنت أكتفها عنك ... ولكن يظهر أن كل هذا

لم يرد لم غليلاً فأرادوا أن يزدوا فى الإيقاع
والتشكيل فى فوشوا بى إليك ... »

كان على رضا بك ينصت إلى ابنته باكرزة وهو
يكاد يتميز من التيقظ من هول ما يسمع ... ولقد

لام نفسه لوماً شديداً لعدم انصافه بنتاه باكرزة
كل هذه المدة ... رفع بصره إليها تخيل إليه أنه

لا يرى ملففة فى الثامنة من عمرها ، وإنما يرى سيدة
رزينة ماقلة ، ورأى عينها السوداوين تضيضان

بالمسوح كما يفيض الزئوع بالله . لقد رأى من بين
أهدابها الطويلة المبللة بالمسوح صورة أمها الرحومة

تبسم وهى تنو إليه بينهما الجليتين

كيف ذهبت عن باله باكرزة ؟ ... كيف قصر
فى السؤال عنها والمطاع عن حقوقها وهو الذى

سلخ ثلاثين عاماً من حياته فى المطاع من اللظالم
واحقاق الحق وردع للمتدين ؟ وكيف يجوز لرجل

كلى رضا بك أن ينفض الطرف عن هذه الاعتداءات
التي وقعت على ابنته ؟

لقد اتقى ضمير الحاكم السابق ، وامترج بالحنان
الأبوى الذى لا يصبر على حيف يلحق بشجرة فؤاده .

فنظر إلى ابنته وهو يحاول أن يخفف من التأثير
الكبير الذى استولى عليه وراح يمدد ويكرر

ما قالته قبل لحظة :

« وسوف لأشكتى لك لآنى أعلم أنك لن
تصنى إلى شكواى ! »

إن هذا ليس بصحيح يا بختى . من قال إن
الآباء لا يستمعون إلى شكوى أبنائهم ؟ إن هذا
هراء ١١

وهذه باكية قد انكشت في جلاها - كن ارتكب ذنباً يخاف العقاب عليه - وقبت في مكانها خائفة وجهه غير جاهلة بأنها سبب كل هذه «الروبة» التي نارت في البيت فهدمت أركانه ...

لم يمتض لها جن طول الليل . ولا انبلج الفجر بنوره ولاح ، نزلت إلى الطابق الأول ومرت في طريقها بفرقة أبيها وكان لا يزال مضطجعا على الأريكة غارقا في منامه . فظنرت إليه نظرة كلها حب وامتنان وتذكرت أنه قد قام بمقها ونحى راحته في سيبلها ، وتذكرت أنها وإن كانت ابنته وأنه مجها حبا جما إلا أنه سوف يتأثر جدا لفراق امرأته . . وربما لا يتحمل آلام الفراق ...

لقد أراح النوم على رضا بك فذهب عنه الغضب فانبط وجهه وكان التامل يرى فيه الاضطراب والالم للمض ...

وقفت باكية تفكر ... وبعد التفكير العميق قررت في نفسها أن تعمل من أجل راحة أبيها فتحتق من الأنظار حفظا لأركان هذا البيت من الانهيار وإكراما لأبيها ... فدخلت إلى الغرفة تمشي على أصابع رجلها حذرا من أن توقظ أباه ، فقبلت حبيته وغابت عن الأبصار ... ولم يقفوا لها على أثر حتى كان اليوم الثالث من اختفائها ... ففي ذلك اليوم ، وجدوا جثتها في بئر موجودة قرب قصر قديم ... لقد شاهدوا صخرة كبيرة مربوطة في عنقها بجوفا ، واتضح لهم أنها تمسدت وربط هذه الصخرة بيدها خوفا من أن يكون الماء شخصاً فلا يكتفى قتلها ...

الليب - «الراق» ح . ترقى الدارودرى

شخص آخر فقد تبدلت معاملته لزوجته وتغير حاله مع ابنته باكية . طلب من جميع من في البيت أن تنامل باكية معاملة ممتازة كما لو كانت أميرة صغيرة . لقد جعل يسأل ابنته مساء كل يوم عند عودته إلى البيت عما إذا كان قد اعتدى عليها أحد في غيابها . لقد كان يريد أن يقف منها على كل صغيرة وكبيرة تخصها ... وعندما يبلغ مسامحه وقوع اعتداء عليها أو أن أحداً تظاول عليها باللسان تقوم قيامته وينال على زوجها وبنتها لوماً وتأنيبا وضربا إذا اقتضى الأمر

لكن هذا الحال لم يدم طويلا فقد ضاقت ناجية هاتم بهذه الحياة ذعرا ولم يبق في قوس صبرها مترع فتصادمت مع زوجها وتناجرا وتناذا بأواع السب والشتم ، ومرة بلغ الجدال بينهما حداً لم تطق معه صبرا فأغى عليها من شدة التأثر وأخيراً قررا الفراق بالطلاق

كانت آخر ليلة من ليالى ناجية هاتم في البيت ، فهذا الأثام مرفوع وهذه اللابس قد حفظت في الصناديق ، ويسود البيت سكون يشبه سكون المقابر كلاهما مصران على الفراق .. فالسيدة ناجية قد قررت مناداة البيت مع طفلها إلى « استانبول » وكانت ملاحظها لا تدل على رغبها في هذا الفراق ، أما على رضا بك فكان وجهه أشد اصفراراً من وجوه الموتى .. وعيناه غائرتين في الحاجر .. ها هو ذا يقطع الحديقة ذهاباً وإياباً لا يستقر على حال من التلقن ... فهو لم يدخل غرفة نومه إلى قبيل الفجر . ولقد حله فرط يأسه على الاضطجاع على الأريكة وقضاء ليله عليها بدلا من السرير

ما كان يستطيع أن يجيد عن ذلك ، فقد استترقت المهنة شعوره ، واستبدت بمواطفة ، وطبته على غرابها في ميوله وروغياته ، وسقته على هواها في سماعه وتقاسيمه ، فكنت إذا

ما اشتملت بنظرة ، ثبت في قرارة نفسك أن هذا الرجل إنما يعيش عيش السالطين ، وينهج نهج الزهادين ، فكنت تقدر له نهاية شريفة ، وخاتمة حميدة ، وأخرة خافضة بالأجر والثواب

ولقد كان أهل بشارد يقدرون له هذه النهاية ، ولكن للقدر تقدير آخر أفاض ، وقد شاء الله أن تكون نهاية هذا الرجل الصالح نهاية الآثم الفاجر ، وخاتمة خاتمة الردة الكافر ، فانه في يوم وقد ارتقى سطح للمسجد ينادى على الصلاة الوسطى كعادته ، وكان قد سكن بجوار المسجد نصراني حبط المدينة منذ أيام ، فلع ابنه ذلك النصراني على سطح المنزل وكأنها طلعة الصبح ، أو غلطة القمر ، فأخذته رقتها وقتته خفتها ، فأتته من أذناه وهو يتحدث بصنع الله الجميل ، ويلهج بذكر الحور العين . فلما سعد للأذان في اليوم الثاني كان من حظه أن رأها كما رأها في اليوم الأول ، وقد عمل في قلبه أن رأها تهنس رؤيته ، وتبسم نظره . ومنعت أيام تكلمت فيها السيون وخفتت القلوب ، وتيقظت الموامف ، وأحس الرجل بإحساس غريب يدخل على قلبه ، وشعر بطلائف يجول بين جوارحه ، واعتراه مثل القهول فكنت تراه حالم النظر ، صادر الفكر ، شارد القلب . حتى لقد انصرف بالله عن الحراب وقل جهده في الطاعة وصار كل وقته يقضيه على سطح

من القصص العربي

مؤذنين كبراً

للأديب محمد بن عبد اللطيف

حدثت عنه أحد الذين انتهى إليهم خبره قال : لقد كان حيد السيرة ، واضح السريرة ، اسمه « صالح » وهو اسم وقع على مناه ، وانصل عساه ، فإ عهد الناس عليه إلا التقي والصالح ، ولا عرفوا عنه إلا الورع والاخلاص ، وما رأوه إلا قائماً في الحراب يدعو الله ، أو على سطح للمسجد ينادى لله كان يؤدي واجب الأذان في مسجد بشارد العظيمة ، وكان ندى الصوت عذب الثبرات ، حلو المقاطع قوياً ، يخرج نفسه من نفسه ، وينبث صوته من قلبه ، فكان طائفة لها به ، وروبة للجاحد ، وزجراً للغرط . وأكثر ما كان يتضح فيه ذلك ويظهر إذا ما هب مع نسيم الفجر الليل والكون خاشع منعت ، حتى لقد كان يخشاه أولئك الساهرون في بشارد على الكأس والساميون بآتياب اللذات ، فإذا ما الليل ضربه ذنب السرحان نهضوا عن مجالسهم قبل أن يدرهم « صالح المؤذن » فيزعجهم « بشارد » ، على ما فرطوا في جنب الله . ولقد سلخ في أداء مهمته أربعين عاماً كاملة ، فظل هو هو على ما عرفته مهمته من أول يوم وقاد وإخلاصاً ، ما وثق ولا أهمل ، ولا أدخل بواجب المهنة وما يليق لها من مظاهر الجلال والورع ، وكأني به

(١) لهذه القصة حقيقة في كتب الأدب وقد توسلت في وضع حوارها على ما تخيلناه

يجب إلى مضجع الفتاة الشريفة في غير مبالاة ولا حرج ، كأنه قد أمن الرقيب ، واستخف بالحاي ، ونسى الله ...

قال الرجل : مهلاً يا فتاتي ، فاجئت إلا على وعد من نظريك ، وما أحسبني أذنت إذا كنن قلبي قد سمع النداء قلبي ، وإني لأحس أنك تبادليني عاطفة باطقة ، وشعوراً بشعور . ولقد انطلق لسانك بتقيصتي وهي قصيدة لا أقبلها منك إقراراً لحقي ، وإن كنت أرضاها إشباعاً لرغبة الدلال فيك ، فالدلال من شيم الحسان ، والدلال كما يقولون هو روح الحب بهيماً وبه يندم ، وكل ما أرجو ألا يكون كلامك عن عقيدة ، فماد الله أن أطلب في حبك شهوة البدن ، أو رغبة الجسد ، ولكني أطمح أن تصل بين قلبي وقلبك ، وأن تنمي روحي بروحك ، وأن تفرغني قبض رضاءك وعطفك نصيبك من قلبي كما قد عهدت

وما لي بحمد الله منك نصيب
وما أدعى إلا اكتفاء بنظرة

إليك ودعوى الماشقين ضروب
قالت الفتاة : كأنك قد فهمت خاطر نفسي ، فأنا ما أردت إلا اختبار هواك ، ولن يربيني منك أ كنت تكتفي بالنظرة ، أم كنت على مذهب « فتى قريش »^(١) في البعث والفتك ، قدديماً قال صاحبكم :
وقد زعمت ليلى بأني فاجر

لنفسى قاتها أو عليها فجورها
ولكن قل لي بربك : كيف أستطيع أن أقرب
بين قلبيين يا عدت بينهما القيد ، وأن أخرج روحيين
فرق بينهما الدين ، وكيف يمكن أن أبلدك ما تريد

(١) هو عمر بن أبي ربيعة

السجد رقب طلبة صاحبه ، ولقد كان يؤدي واجب الأذان فإ يدري أأداء على التمام أم قصر ، وهل تمرى فيه الوقت أم تأخر ، فكان كما يقول القائل :
وأسلى فأغفل الله فيا بين سبع وأربع وعان
ومواقيت جهتها لست أدري

ما أذان موقت من أذان
وفي ليلة من الليالي ، انطلق الرجل على سجيته وانطلق مع طبعه ، واستكان لمرزقه ، فربص حتى سكنت نائمة الناس ، وأيقن بجمل التزل إلا من فتاته فدخلت إليها في ولاء واحتراس ، حتى وانها موافاة المهجور للواحة الظليلة .. وقال الرجل فيما قال لفتاته :
ها هو ذا جسمي قد انتقل إليك بسد أن عصفت بقلبي ، وسلت روحي ، وسلبتني القلب والرشاد ، وما أحسبني متفقاً بنفسى إذا ما تحطم أمل عندك وخاب رجائي فيك . فيأمنى النفس ، ويأريج القلب ، ويجال الهوى ، ويسلاة الكتيب ، ارحمى سبباً قد نمذب في هواك
واسئلي أن قد كلفت بك

ثم انصلى ما شئت عن علم
قالت الفتاة : أهكذا أنتم يا أهل الأمانات ! !
تخضعون الناس بطواهركم ومظاهركم ، وما أنتم من وراء هذه الظواهر والمظاهر إلا نفوساً عرطمة بأحوال الرذيلة ، وأفئاد الشر . لقد غشيت الناس في حقيقتك يا دعي الصلاح اغشيوك في كثير من صفاء الروح ، وطهارة النفس ، ولو تكشف لهم بإطناك لرؤا فيك أخا الشيطان ، وللموا أن ذلك الصوت الذي يطلق بإسم الله فيحضمهم على البر ، ويهيب بهم إلى الطاعة ، ليس إلا صوت متافق ، أولي به أن يكون واعظ نفسه ، وزاجر قلبه ، فلا

أنا في عقيدي ، وكوني أنت في إيمانك ، ولكنك
سويًا في الحب ، قلبي وقلبك يخفان بالسرور
التوافق ، والإحساس المتبادل ، إحساس الحب
النبيل ! !

قالت الفتاة : ما كنت أعلم يا صاحبي أنك من
الإصرار على عقيدتك إلى هذا الحد ، فليتك في
مثل ذلك من الإخلاص للحب الذي زعمه ، ولكن
يخيل إلي أن لسانك يقول شيئًا وقلبك يطوى شيئًا .
ولو كنت كما تزعم من الترام في لما أبيت دغيتي .
وما دمت تزعم أن الدين لله ، والحب للقلوب ، فلا
يسمى إلا أن أكون كما تحب ، على أن تعرف لقلبك
حقه من المتاع واللذة ، فيما اتبعني إلى النافذة التي
تطل على دنيا الحب وعالم الترام ، وليست هذه
النافذة إلا كاسًا من بنت الكرم ، أو إن شئت
قل من رحيق الحب ، تقيها بشفتيك ، فإذا أنت
في دنيا من النشوة والأنس والسرور ، وإذا أنا لك
بروحى وقلبي وجسمي ، فما الحب إلا لروح والقلب
والجسم ... وما أداة ذلك إلا العبوة تدكها الكأس :
ما يبتنا رحم إلا إحاداتها

والراح حرمتها أولى من الرحم
قال : وبحك يا مكررة ! لقد أردت لي ما هو
أشنع وأفظع ، وجردت على سيفك هو أمضى وأقطع ،
كأنك تريد أن يكون مثلي في الناس كمثل ذلك
التناسك الذي تحمده الشيطان بدخول صومته ،
فراهنه التناسك على أن يكون له منه ما يريد إذا
استطاع ذلك . فلما كان بعد ذلك بأيام ظهر الشيطان
قريبًا من الصومعة في صورة طائر مهيب الجناح ،
يحاول أن يطلع فلا يقدر ، ويصاحل للهبوض فلا
يستطيع ، فلما رآه التناسك انحط قلبه شفقة عليه ،

من عواطف الترام ، وأنت تعلم أن الحب والعقيدة
صنوان بيتان في جذر القلب ، ويستويان على الصدق
والإخلاص ، فمن الواجب أن يكونا على غرهار
واحد من التوافق ، وفي لون واحد من الصفاء .
وما أناذي بين يديك لك قلبي ، ولك روحي ، ولك
جسمي ، ولك مني كل ما تريد في الحب على شرط
أن تكون لي على ما أرغب من العقيدة والإيمان ! !
قال : وما رغبتك في عقيدتي وإيماني

قالت : رغبتني أن يتحد قلبي في الحب والإيمان ،
وأن يكون اتجاهنا نحو السماء اتجاهًا متفقًا في الشكل
والصورة ، حتى إذا ما دعونا الله ، دعوانه بصوت
واحد ، وبلفظ واحد ، فهات يدك لتكون على
هدى المسيح حيا وإيمانًا ، وليبارك لنا جنان وإيمانًا ،
وليشم لنا برأيه وحياته ! !

قال الرجل : عفا الله عنك أيها الفتاة ،
ولا كان علي من إثم قولتك ، وأرجو ألا تكوني
مصرة على رغبتك ، فأنا رغبة نائية ، وأما ما أردت
أن أعرف قلبي في الحب لأنكره في الدين ، ولا رغبت
في قربك لأشتمد عن الله إلى هذا الحد ، ولكني
هو يتك على أن الدين لله ، والحب للقلوب . فحرام
عليك أن تلمسي على أربين عالمًا قضيتها قائمًا في
نواشي الأحقاد أدعوا الله والله ، فإذا ما نظرت إليها
في أطوار الماضي تراءت لي كأربين خريفًا من
نور تمتد إلى مثله في تنابح المستقبل ؛ وإن روحي
لترف في وسط هذا النور كالنراشة ساعدة هابطة ،
فرحة جنة ، وناميك به من نور رباني ينمى
الجوارح ، وينفذ إلى الجوارح ، ويخف بالإنسان
إلى عالم كه الطائفة والراحة والخلود ، فلا أكن أنا

مدرك من والد الفتاة ، فأثى بنفسه من سطح البار
يريد النجاة ، ولكنه صدك الأرض صكة قوية كانت
القباضة ...

وأصبح الناس من الند وفيهم حديث المؤذن
فأثع شائع ، على أنه قصد إلى ابنة النصراني بالفاحشة
فأبى عليه حتى يقول كلمة الكفر ويأكل لحم
الخنزير وشرب الخمر ، فكفروا وأكل وشرب ، فلما
دب فيه الشراب احتجزة فوق السطح حتى يحضر
والها فسقط فأتى واحشدا الناس حول جثة
الرجل فسخوه على وجهه حتى انتهوا به إلى حربة
كما يقول الرواة

محمد فرهمي عبد اللطيف

فهم فاحشه حتى إنا صار به إلى جوف الصومعة ،
ظهر الشيطان في صورته ، فلم الناسك أنه غلب
على أمره ولم يسه إلا أن يجيب الشيطان إلى رماه
تغيره الشيطان بين الزنا أو القتل أو الخمر ، قدس
الناسك في نفسه أن الخمر أخفها احتمالاً ، ورأى
أنه إنا شربها فلا يضر إلا نفسه ، ولكنه لما شرب
سكر ، ولما سكر عرهد ، ولما عرهد انطلق إلى قرية
قرية فأغوه امرأة بلونا ففعل ، فصادفه زوجها
فوكزه الناسك قففى عليه ، ثم عاد وهو يتوه
بأوزار الوبقات الثلاث : الخمر والزنا والقتل ، وكانت
الخمر هي التي دفعت به إلى كل هذا ، وألقت على
ظهره هذا الوزر الثقيل !

قالت الفتاة : كأنك تريد أن تدخل دنيا الحب
وأنت روح الناسك وقلب التفتت وترمت المأبد ،
غير لك أن تعود إلى اللذات والمحاب لا ترعما إلى
نور الدنيا ... ويملأ الله أنى ما مكرت بك بإصاح
ولكني طلبت لك أمنية التمني ورغبة الراغب :
وكم قالوا : تمنى ! قلت : كأس

يطوف بها قضيب من كتيب
ونملات تساقطى حديثاً

كلحظ الحب أو غص الرقيب
قال الرجل : ماذا ؟ كلحظ الحب أو غص
الرقيب ! لا والله إنك لأغص في القلب والناظر ...
وأمتع لنفس والخطر ...

... وسمع صوت والها يطر البلب ،
فهضت الفتاة فرقة ، ونهض صاحبها مروعاً
تقول : لقد ذاع السر ، ويقول : لقد انكشف السر .
وسرعان به ما دفعت إلى السطح ليختنق ، وتحت
الباب لوالها ليدخل ، وحسب المؤذن أنه لا بد

تصريب

| | | | |
|---|--------|------------|-------------|
| أخطاء مطبعية في قصة (ليلة الدواغ) في الرواية عدد ٣٠ | | | |
| الصفحة السود السطر | المخطأ | الصواب | |
| ٢٩٤ | ٢ ٢ | شر الصواعق | شرى الصواعق |
| ٢٩٥ | ٢ ١٥ | للخليفة | الخليفة |
| ٢٩٦ | ١ ٢٣ | الرهيبة | الرهبه |
| ٢٩٧ | ١ ٩ | التي | اللائي |
| ٢٩٧ | ٢ ٢٢ | تبعت | تبعت |
| ٢٩٧ | ٢ ٢٦ | يخفق أبداً | يصفق أبداً |
| ٢٩٩ | ٢ ٢٦ | أشرف | أشرق |
| ٣٠٠ | ٢ ٣ | عقلت | غفلت |
| ٣٠٠ | ٢ ٢٤ | بنية السيف | بقية السيف |
| ٣٠١ | ١ ٥ | يضطجع فيها | بضجع فيه |
| ٣٠٢ | ١ ١٦ | قرب | اقرب |
| ٣٠٢ | ١ ٢٨ | من عند | عند |
| ٣٠٣ | ١ ٨ | جيبها | صبيانها |
| ٣٠٣ | ٢ ١٤ | صارح | صارح |

وكانت الفتاة من أسرة سارا-يبي
التي هي في الدواية من أهل المدينة
فكان هنا التفاوت بين الأسترين
سبب عذابهما ونوع مأسأتهما ،
والهوة السحيقة التي تجول بين
أطعماهما في العلة المقدسة التي تقرب
ما بين الجسمين كما قرب الحب بين
الروحين

مَارِيُوتُو
لِلْكَاتِبِ الْإِيطَالِيِّ مَارِيُوشِيُوسِ الرِّينَانُو
لِلْأَمْتِنَاذِرِيْنِي خَشْبِه

ولا ريب أن القبة هي أشهى ثمار الحب وأطيب
جنتاه، لكنها كما يقول الشعراء تلعبه ولا تقاتنه ..
ومن الشعراء من يدعوها رسول الآلهة ، لأنها
أول الثيت ...

من أجل ذلك لم يستطع المبدعان على هذا
المهوى المذرى استبعاداً ، ومن أجل ذلك سما أن
يكونا زوجين برغم ما بين الأسترين

وكان لهما صديق راهب أو غسلي ، ما كادا
يشكوان له حلما حتى انبجست الرحمة في قلبه ،
والحموع في عينيه ، وانطلق بهما من فوره إلى
الكنيسة ففقد لهما واستمان على إنجاز ذلك بالكتمان.
وهكذا ظل ما بينهما سرهما وسر الراهب . وهكذا
تم لهما ما أبته التقاليد والطبقات . فقطعا من ثمار
الجنة على غفلة من الأفق حتى استيقظت ، فذهبت
تسى بينهما وبين الناس لتخرجهما من فردوسها
الجميل .

ذلك أنه كان بين ماريوتو وبين أحد التلاء من
سادة سيناً عدواة ، فاستطاع الشيطان للتبظ أن
يؤجج جنونهما بالقيمة بين الخصمين ... ولم يلبث
الجدال أن صار نضالا ... ثم تناسكا ... ثم وكزه
ماريوتو قضى عليه ...

أحبا ماريوتو ما جنانا في أعماق قلبه ،
وجعلها أغنية روحه ، ومزج غرامها بدمه ، وجعل
اسمها الحبيب إنجيله القدس الذي يردده ويهتف به
في يقظته وفي منامه ... ثم راح ينشد في أنفاس
الصباح ونسبات الأصيل ، ويضيلها في لآلاء النجوم
وصفحة البدر ... وكما لقيها فوق سيف البحر
أرسل عليها حبه وآلامه تتوسل له تحت قدميها
الجليتين وتطلب له الشفاعة .. حتى عرفت أنه يحبها
وأنست فيه الفتاة لمهارة وقهاء وصدقا ففرقت
له ومالت إليه ، وجزته على دموعه وحركة بإتسامة
بريئة ما لها قلبه ، وازكول من شدة أسرها كياه ،
وفتحت له أبواب السماء يطلع منها على عالم من الحب
سرمدى ، لأنه من صنع اللطيف الباري ...
سبحانه !

وباركت قلبهما يد الله ، وأخذنا يلتقيان خفية
ليتاهدا على الحب وليروداه بدموعهما ، وليقطعا من
ثمره إذا أنبع ... قبة أو قبلتين ... ثم ليأخذنا في
حديث أدم من قطع الروض ، وأبهى من وشيه
يرف على شفاههما رفيف التسميم ، ويتدهدى من
أعينهما الغائمة كأه رُق السحر
وكان ماريوتو من أسرة متوسطة من أهل سيناً

وركب البحر إلى الاسكندرية ، فلقاه عمه بالبشر والبشاشة ، ووجد فيه مؤنساً له في دار التربة... ولا يلح له ماريوتو بسره ، لم يشأ الرجل التئيل أن يثرب عليه أو أن يعزله ، بل أذهب عنه الحزن بكلمات طيبات ، وغلا فناء بصلاح الحال وتلاقي ما وقع بينه وبين أسرة التئيل من خصومة وعداء... ولم يكن ذلك من الجد في شيء ، لكنه كان مبالغة في إكرام مثنى الفتى ، الذى استطاع أن يخلب لب عمه بأسلوبه النثراي الحزين الخنون... وعهد إليه عمه بمض صهامه التجارية لتشتله قليلاً عن أحزانه ، ثم أشركه معه في منزله الجليل على شاطئ البحر الأبيض ، فكان ماريوتو كلما فرغ من عمل النهار ، خلا إلى نفسه في الليل ، ففتح النافذة الملحة على البحر المتيد ، وراح يتنسم أنفاسه ، ويستروح صباه ، ويقرأ من حبيته أو يكتب إليها ، ويشل ذلك كله بدموعه الحار الطاهر ، فكانت هذه اللحظات على ما فيها من ألم وما بلغت به من عذاب وهم ، أسعد لحظات حياته ، لأنها شمر للآسى وأحلامه ، تطفو على سطح الحاضر ، وتملأ بالآمال غلام المستقبل

وتعالت الموم على جياوزا فزادتها جمالاً ، وهام بها شباب المدينة هياماً جعلهم يترامون على قسميها في كل طريق ، كما يترامى الفرس في اللب . وذهب كثير منهم إلى أبيها يحيطونها على أنفسهم ، ويحورونها بكل ما يملكون ، وكان الوالد كلما كلما في أحدهم تملقت واتصلت المآذير ؛ فكان الأب الحائر يترقب بها ويتلطف ، ثم ينزل عند مشيقتها ينير ما حجة ولا برهان مبين ، ثم يصرف شباب المدينة في حذب وفي استعجاب

وهكذا ظل السر الهيب دفيناً في صدر الفتاة نفسها ، ولكنه مع ذاك كان مصدر سعادتها

(٤)

وكان عليه بد هذا أن يفر من المودة أو يدفع رأسه غماً لجريته ، فلبث حيناً مستخفياً عن أعين الناس ، فلما ضاعت جهود رجال الشرطة سدى في البحث عنه صدر الحكم عليه بالنفي المؤبد...

وقد تكلمت الموم ساعة الوداع ، وضم الحبيب حبيبه بنفس في صدره ، ويتزود لفراق طويل لا تنتهى صمارة ، وليس معروفاً مداه ؛ يا لتسوة القادير توقظ الحنين من سبات عميق كله أحلام !

لقد راح كل منهما يروى في معنى صاحبه للثرونتين بالموم ، وكلاهما بالفراق أنجذب بمضهما إلى بعض قلوعة وفي شجن ، قفر الشفاء المذبة على الخمود المحترقة ، هائمة حائرة تلتبس المزاء ولا عزاء ، وتشد السوان ولا سلوان !

ولقد كان صدر أحدهما يكلم صدر صاحبه بدقات القلب وخطرات النفس ووجيب الروح... حتى سكنت القبل... لأنها لا تقنى في ذلك الحال شيئاً ، وصمتت الأعين... لأن الفراق الذى لم يكن منه بد قد حم...

وطمأنها ماريوتو ، فذكر لها أنه نازح إلى الاسكندرية ليقيم عند عمه للثرى الفتى ، وأنه سيكتب إليها من هناك ليتصل القلبان على ذلك البعد ، ثم أكد لها أنه لا يد عائد إلى إيطاليا الجلية وواصل وإلاها حبه ، ولو كلفه ذلك حياة وفي غمرة من الحزن ، وثورة من الآسى والنفجبة ، افترق الحبيبان ، وفي نفسيهما صمارة ، وفي حشاهما موم ووجد وألم .

واطلق ماريوتو إلى شقيق له فكشف له عن سره ، وبث شكواه ، وتوسل إليه أن ينشر ظل حمايته على زوجته ، وأن يكتب له عن أحوالها ، وأن يكون حارسها بالثبات عنه... حتى يعود .

وسجنت الفتاة وشكرت له ، وانطلقت إلى دارها فتلقاها أبوها بمثل ما كان يتلقاها به كل يوم وكل ساعة ، وما كد يكرر عرشه عليها حتى قبلته ، فظفر قلبه من الفرح ، وطبع على رأسها قبلة المطف والحنان

وذهبت في الوعد الذي حدهه لها النفس ، فأعطاهم زجاجة صغيرة تحوى الجرعة السحرية الماثلة ... ثم ذكر لها أنه لم يصنع لها السم الذي رغب فيه ، بل صنع منوماً يدع شاربه في حالة تشبه الموت لمدة ثلاثة أيام ... « فإذا حسوت هذه الجرعة وتنشاك الناس ، وظن أهلوك أنك ميتة ، حملوك إلى قُبُورنا لتدفعي فيه ، وسأزورك في اليوم الثالث وأتولى إيقاظك بنفسى ، وبهذا يكون ما بينك وبينهم قد انقطع ، فتستطيعين السفر إلى الإسكندرية حيث تلقين زوجك ، وحيث تكللاً كما عيّن السادة ... »

واغبرورقت عينا جيانوزا بدموع علوية ، ثم قبلت يد النفس ، وانطلقت إلى بيتها تحمل أحلاماً راتمة جميلة

وجلس تكتب كل ذلك لحبيبها ماريوتو ، فلما فرغت أهوت على الخطاب تلم اسمه الحبيب في كل سطر ، وخرجت لتدفع بالخطاب إلى من يوصله إلى السفينة الشرقية ، فلما طوت ، فتحت النافذة ، وسمت صلاة قصيرة ، وتتمت بسم ماريوتو ، ثم شربت الجرعة الثمينة ، وانطرحت في سريرها .. واغمضت عينها ودخل الخدم في الصباح بالورد والبنفسج وروائح الريح المولاهن ، فلشد ما ذهبت قلوبهن وجفلت نفوسهن لأن سيدتهن لا تسقيظ

وأمرع أبوها وبعض ضيفه فوقوا فوقها مسبوهم مأخوذين ، ثم استدعوا أطباء سينافا تنع طبعهم ولا أفطحت حيلهم ، بل ذهبت جميعاً أدرج الریح

البائية ، ولقبتها الحزينة ، والتبع ذاك الحرير الذي تحتلط فيه آلام الماضي وآلام الحاضر لتثمر غناؤف المستقبل

وضاقت بها أفانين المآذير فلم تعد تدري ماذا تلقى منها ولماذا تدع ، فلما أحست أن الشكوك أخذت تساور أباهما من جراء هذا المجتمع ، وأنه يلح في معرفة سرها ، تلقى قلبها الخفاق ، وسدوت نفسها بالسهمامة ... ثم ذكرت الراهب الصغير الذي في وسعه أن يصنع كل شيء ... فانسرت إليه ، وذكرت له ما كان من فرار ماريوتو إلى الإسكندرية وما كان من إلحاح أبيها عليها بالزواج ، وما حرصت عليه من كتمان زواجها على أبوها ، وكرهها أن تبوح به خشية ما يجر إليه من عواقب ... ثم سكبت حباتها بين يدي القس وشرتها على قسميه ، وتوسلت إليه أن يخلصها مما هي فيه بجرعة من السم للقدس تريخها من هموم الحياة ، وتحول بين الفضيحة وبين سرها وجهاً^(١)

وقد تردد الراهب أول الأمر ، لكنه سرعان أن رق لفتاة ، ولأن قلبه للحبيب النازح ، فتناول كأساً روية من الخمر وجرح ما فيها ... وكأعما شرب منها شجاعة ، وعب حماسة وإقداماً ... فقبل وجهه ، وريت على كفتي جيانوزا ، ثم وعدنا عدة جميلة ، وأمرها أن تنطلق إلى ذوقها فقلس لهم فلقاها القياد وترضى عن مختاره أبوها بملأ لها ...

(١) يلاحظ القارى حين يبلغ هذا الحد من القصة ذلك الشيء الكبير بينها وبين روبر وجوليت لناكبير ، وقد ولد الكاتب سنة ١٤٢٠ ومات سنة ١٥٠٠ وهو بذلك قد سبق شاكير بحجة كبيرة ، ثم هو أيضاً منفي هذا الضرب من الأدب الذي استقى منه كاتب قصة جوليت لويجي داپورتو (١٤٨٦ — ١٥٢٩) التي أخذ منها شاكير موضوع مأساة الخالدة . وستقل قصة لويجي لقراء الرواية بعد هذه القصة إن شاء الله . أما شاكير فقد كتب دراماه بين سنتي (١٥٩١ — ١٦١١)

يسره ... فإنا قرأ ؟ ...

« جيانوزا ... لقد ماتت جيانوزا يا أخى ...

فتجده ... وهذه غايه كل حى ! ...

« لقد كنت أوتر ألا أبحث إليك بهذا التبا ..

لكنني اضطرت أن أجتاك بالحق لهذا قلبك ،

وتستريح نفسك ، وليرحمها الله بالآيمان ! ... »

ولم تنحدر عبره واحدة من عيني ماريوتو ...

وأنى له أن يبكي ، وليس أعصى من السمع في هذه

للأسى التي تزلزل النفس ، ولا تنجس لها العين ...

وشاع في نفسه الحزن الصامت الذي ليس أنكى

منه مرارة ولا أحر وجداً ...

وعتبا حاول عمه أن يواسيه ... وسم الزوج

الحزين أن يحرم من فوره إلى إيطاليا ، ليقف على

ترى حبيته ، وليسقيه بدموعه ، ولينشق هذا الهواء

للريض الذي نشقته قبيل موته من أجله ، وقفاها

بسييله ... ولأنه لا يليق به أن يمضى شيئاً في سينا

بعد أن قضت حبيته ، وتحملت الأذى والموان

من أجله

وأرست السفينة في نابلي ، واضطلع ماريوتو

في ثياب حاج إلى سينا ، واشتري آلات رأى أنها

لا بد منها لينقب بها حائط القبر ، حتى يتيسر له

الدخول إلى حيث تدور رقات مبدوءة ، فيجزئها

حزناً يحزن ووقاه بوقاه ، ثم ليأتم جنبها إلى الأبد ،

لأنه لا يطيق البقاء بعدها

واختبأ في الكنيسة إلى أن جث الليل ، حتى

إنما نام الجميع ، وأمن أن يمر به أحد ، أخذ في

نقب جدار القبر ، وأعمل فيه آلاله ... وقبل أن

يفرغ من هذا شمر به حارس القابر ، فنفخ في

صوده ... وظل ينفخ فيه حتى استيقظ الرهبان ،

واجتمعوا عليه ... لكنه كان قد فرغ من عمله ،

واختل داخل القبر ... وفي ظل شمعتين صفراوين

وقرأ رآهم على أن يتركوها حتى اليوم التالي ،

« فقد تكون نائمة بتأثير شلل في المدة لا يزول

إلا في هذا البلاد » لكن اليمادات ولم تستيقظ

جيانوزا ، فلم يمد يد من دفنها ، لأنها ميتة ما في

ذلك شك

وخرجت جميع عفاردي سينا يهابين وراء

الأران ، ويعملن أفنان الزهر إلى مقابر سانت

أوجستين ... ثم عاد الجميع وكل قلوبهم تحرق ،

وملاء نفوسهم أشجان وأحزان ...

وخشى الراهب أن تستيقظ جيانوزا في ظلام

الليل البهم فتدعر ، ولا يكون من موتها لهذا

السبب من بد ، فحشى إلى القبر هو ورفيق له ،

ونقلا التابوت الخلى إلى غرفة الخاصة

وحانت الساعة الموعودة ... واستيقظت جيانوزا

من سباتها العميق بين يدي الراهب المفروز ،

وأخذت في الاستعداد للرحلة ... الرحلة للنشودة

إلى فردوسها المفقود ... إلى ماريوتو ... إلى الزوج

المريز الذي اقتضت في سييله أصرم العقبات !

وقد دبر لها القس ثياب راهبة . وبعد أن دعا

لها بخير ، انطلقت إلى ميناء يزا ، حيث ركبت في

سفينة متجهة إلى الاسكندرية مع كثير غيرها

وقد لبس البحر بهذه الحفنة من السفن شهوراً

طويلة ، وكأنما كان ذلك لتمام للنساء . وذلك أنه

لما علم جارجانو - شقيق ماريوتو - بما كان من

وفاة الفتاة ، فإنه أرسل إلى أخيه كتاباً طويلاً

ينمها إليه ، ويطلب له الصبر والسوان . وقد وصل

الخطاب قبل أن تصل جيانوزا ، وقبل أن يصل

خطابها الذي سطره إليه قبيل تمسحها الجرعة ...

فوامها للسجين إذا عثر بهم الحظ ... وإنما لج بهم

الشار ! !

مسيكين ماريوتو ! ! لقد قض خطاب أخيه

يدين مرثجيتين ، وتمتأه أن يتلو فيه خبراً

حيثها للشوق تحضر إلى الاسكندرية فيدمها هذا
النبأ ...

يا عين ! اسفحي شتوتك ! ويا قلب ! لا يقف
خفقانك ! ويا نفس ! تاتقلي في عيظ الأحزان
أفكاً !

وأخذ الشيخ وامي جيانوزا ... ثم عرض
عليها أن يرحل معها إلى أليلى ثم إلى سينا ، ليلقيا
ماربوتو حياً أو ميتاً .. فاستغرقت الفتاة في البكاء
وشكرت لهم المزمز ما غمرها به من عطف ولطف
وتنكرت جيانوزا من جديد في مسح الرهبان
وعمت شطر الشاطئ لتركب البحر في كنف الرجل
الطيب ... وعت بهما الفلك إلى الشاطئ التوسكاني
حيث أومت عند يومينيو ... وحلت الفتاة ضيفة
عزيزة على السر فيقولوا ... فيقولوا التني صاحب فيللا
فيقولوا ... هم ماربوتو ... التاجر الأسكندري ...

وهي فيللا جميلة قرية من سينا

وكانت نهاية الفجبة أن ماربوتو للسكين قد
نقد فيه حكم الإعدام قبل وصول زوجته وعمه
بثلاثة أيام ! !

وما ذا يكتب القلم في هذه النهاية المشتومة ؟ !
أوه ! لقد سكب الدم الطيب مواساة في دمعه
بين يدي جيانوزا ... فإذا صنعت رية ؟ !

وقبلت أن تقضى البقية الباقية من حياتها
للتكودة في كسدير !

ولم تستطع أخواتها الراهبات أن يواسينها بشيء
فقبلت جيانوزا

ولم تزل تذيبل وتدوى كل يوم

ولم تفتأ تصهر قلبها ودموعها بالبكاء على ماربوتو
حتى لفظت نفسها الأخير ! معنى ضحية

شاجنين ، وقف على رمس رثته رمس حيثته
وكانت التقارير السرية قد انشرت في أيدي

الجواسيس تملن وسوله ... فلما قبض عليه ...
وسيق إلى قضاة ... باح لم باعترا في جامع ناجح ،
وساعده دموعه التي كان ينضح بها بكائه ، فهاج شجون
التظارة وجفر في قلوبهم شأيب الحنان ، حتى إن
كثيراً من النساء وبعض أسدقائه ، عرضوا على
الحكمة أن تسمح لهم بمشاركتة في جبروته ،
أو إلقائها كلها على كواهلهم ، إذا كان ذلك شافكاً
لا إطلاق سراحه ... ولكن ... ههنا ! ... لقد
زجر كبير القضاة ، وتهدد المحضون إن تدخلوا في
إجراءات المدالة ، أو اعترضوا سيولها ... فصمتوا
... وانتهت المحاكمة ... وصدر حكم الظالمين النساء
بالاعدام ! !

ووصلت جيانوزا بعد لأي وبد عناء شديد
إلى الاسكندرية ، واضلقت من فورها إلى بيت الم
المزمز الذي تلقاها كايته ، وأعز الناس عليه

ولم يثنأ أول الأمر أن يضجها بسفر ماربوتو ،
بل تركها تسرد عليه قصة موتها اللذي ، حتى إذا
فرغت منها تبسم الرجل الخبير ، وترفق ثم ترفق ،
ثم ضحك ضحكة عالية مبالغة في ترفقه ، ثم ذكر لها
أن ماربوتو قد تسلم رسالة من شقيقه يتنهاه فيها
وأنه منذ ذلك اليوم لم يعد إلى البيت ، وأن أكبر
ظنه أنه رحل إلى الوطن ...

يا آخر الأبناء السود ما أشأمك !

مسكنة جيانوزا ! أبعد طول التصال في البر
والبحر ، وبدلاً من أن تنضم إلى صدورها للندب

يرى المحكوم عليه وهو يساق إلى
 جبل للشقة في بهاء الشمس ،
 وابتسام الريح ، وتحك الروض ؟
 إن المرء لا يجد في الكون إلا صورة
 نفسه ، وشيالة عواطفه ، فأى شيء
 يجده (عبد الله) وليس في نفسه
 إلا ذكرى ماضٍ بارع قطف ثماره
 أمدأ طويلاً ، ثم عصفت به رياح

الفناء فسوّح بخته ، وذوت غصونه ، وسورة
 مستقبل فامض يسلم إليه أمه السكينة ، لا يدري
 من أمره شيئاً ولكنه لا يشق به ولا يطمئن إليه ،
 وهو بينهما يحس طائماً غتاراً إلى ... الموت !

وبلغ (عبد الله) أبواب الحرم ، وهو في ذهلة
 عميقة فإذا هو بأبي صفوان عبد الله بن صفوان بن
 أمية بن خلف ، فأنى عليه نظرة فارغة كأنه ينظر
 إلى رجل من العالم الآخر لا يصره ...

— سيدي ! أمير المؤمنين !

...

— لقد استطاع رجال أن يفتحوا لك طريقاً
 إلى المراق وهذه هي ركائبك ، وهؤلاء هم حرسك .
 فتلفح يا سيدي بهذا الثوب وسر في أنان الله !

فلتب (عبد الله) سامتاً ، شاخصاً إليه ببنيه ،
 يردد هذه الكلمات التي سمعها ترديد من لا يفقه
 لها معنى ، كأنما هو قد أضل فكره وقعد ذكاه ،
 أو كأن هذه الكلمات قد خلصت إلى نفسه بعد أن
 اطرحت ممانها فجاءت خالية لا تدل على شيء ...
 فريح ابن صفوان وأشفق أن يكون قد أصابه سوء ،
 وجعل ينظر إليه ببتنين تجلّي فيهما الإخلاص

من التاريخ الإسلامي

يَوْمُ الْقِتَاءِ

لِلْأَسْتِذَاعِلِ الطَّنْطَاوِي

لأخرج (عبد الله) من اللزل المهجور ، كان
 الليل قد عمس فانبجبت ظلمته عن سنا السحر ،
 والصبح قد تنفس فتضوّعت أنفاسه الناعسة في
 أرجاء هذا الوادي للقدس ، وكان الكون لا بأساً
 ثوب شاعر مدّه ، أو عابد متبتل يضرع النفس
 بحس سماوي لا تصل إلى الإحاطة بوصفه لنات
 البشر ... ولكن عبد الله لم يلتفت إلى شيء من
 ذلك ، ولم يلق إليه وعيه ، لأن الدنيا قد ماتت في
 عينيه منذ غرم على الموت وسلك سبيله ... وماذا
 ينفع السحر وجماله رجلاً فرغ من ذلك كله وخطفه
 وراه ليستقبل حفرة الموت التي لا تضيئها أشعة
 الشمس ، ولا يصل إليها رواء السحر ؟ وماذا يرى
 للسلول اليائس في صفاء السيون ، وتحك الورد ،
 وغناء المصافير ، وهو يعلم أنه سيموت ويحتويه
 هذا القبر الوحش ... فلا تدري به الينابيع ولا
 تكف عن وسوسها وتترديها ، ولا يحفه الورد
 ولا يمسك تحكه حزناً عليه ، ولا تأبه له الطيور ولا
 تقطع من أجله غناها ... والشمس لا تقفأ تطلع
 من بعده تتمر الكون بلائها ، والقمير لا يزال
 يريق على الدنيا وابلا من نوره النقي ... وكل شيء
 يبق على حاله بينما يكون هو قد ذهب وأحى ؟ وماذا
 (*) انظر (لية الوداع) في العدد (٣٠) من الرواية

— هل قلت إن الطريق مفتوح ؟ أأستطيع
أن أخرج من مكة ؟

ولم يكن ابن صفوان ينتظر منه الرضا ، فاستخفه
الطرب لرضاه ؟ ونسى أنه يكلم خليفته وأمره . فجعل
يهرّ يديه بشدة :

— نعم ، نعم يا سيدي ، أسرع ، أسرع بالله ،
أخشى أن يموت الأوان . إن الفجر سينبج !
فينساق (عبد الله) في الطريق الذي أراد له

ابن صفوان ، ويكاد يمضي فيه ؛ ثم يذكّر أنه ويؤد
إلى نفسه مشهدا وهي قابعة في زاوية البيت ،
حزينة ملثاعة ... هل يدع أمه وحيدة بين برائن
هؤلاء الذين يرام وحوشا ؟ لا . وتوقف ، وبدا
عليه التردد

— سيدي ! إن الوقت قصير

— لن أزع أي

— وكيف ندعها يا سيدي ؟ إن الجند
سيحصلونها ملك إلى حيث تمضي ، أو يضعونها
حيث لا تنالها أيدي المجاج

فما دبت عبد الله حماسته ، ولكنه وقف مرة
أخرى يفكر ... هبّه وصل إلى المراق فإذا ؟
هل تكون المراق خيرا له من المجاز ؟ لقد ضاعت
المراق يوم ضاع مصعب . فهل يذهب إلى خراسان ؟
لقد مد الأمن رواقه على هذه المدن ، أفيقلبها ساحة
حرب ؟ لا ، لن يقتل الأكلاف من المسلمين ليمش هو !
وراح يمرض البلاد كلها في لحظة ، فلا يجد
بقعة لم يلغها ملك أمية ، أفيمضي إلى بلاد الكفر ؟
وضاقت عليه الأرض بما رحبت فاستصغرها وزهد

للأخير ، والحب للوالد ، والوفاء للصديق . ولا عجب
في ذلك فقد كان يرى في (عبد الله) أميره ووالده
وصديقه ، ويؤيه من نفسه الحب والإكبار .
وجعل ابن صفوان يحدق فيه فيراه حائبا على تردد
هذه الكلمات ، ولكنه يرى وجهه تنبسط أساريره
وتعطف على جبينه نور الفكاه ، وتبرق عيناه ببريق
البقرة ، فيطمئن ابن صفوان ويعلّم أنه قد عاد إلى
نفسه ...

نشط (عبد الله) واستبشر استبشار غريق
رأى خشبة النجاة ، وطاشت في نفسه آماله ، وأورق
غصن ماضيه الهادئ فبسط ظلاله الندية على حاضره
القاتل للفر . فأحس كأنه يسمع أبواق النصر
التي كان يسمعا في سالفات أيامه ، وانتهى إلى
أذنيه صدى ألتشيد النظم التي كان يهتف بها جنده
تحت رايته المنصورة ، وشعر كأن قد عاد إلى اسمه
عطره وجلاله ، فرجع يثيق من أفواه الكلمة
الماعين الذين ذهبوا ينشرون عقبه في بلاد العرب
والعجم ... وكثرت الأيام راجسة فإذا هو يرى
عبد الملك وقد روعه اسمه وأزقته ، ويصير رأى
الختار الذي ظفر بمامل الأمويين يسقط على قدى
عامله وأخيه مصعب ، ثم تقوى هذه الصور في نفسه
وتجيش وتوج حتى تبلغ هذا الحاضر الذي يعيش
فيه ، ثم تمتد إلى آفاق المستقبل ، هذا المستقبل الذي
ولد ونما واستكمل نموه في لحظة ...

وطفت موجة الفرح على نفسه فأحس كأنه
في حلم ، واختلطت عليه الحقيقة بالوم ، فأخذ يد
ابن صفوان ، وسأله نشوان فرحا :

الأخرى ، وحيث تلتطم رياح الجزيرة ، وتراقص نسائها اللينة ... هناك يا ابن صفوان يشوى قبر مفرد منزول : هو قبر أبي !

لقد مات أبي شهيداً . ولكنه لم يمت في المركة الجراء ، وإنما مات على يد وعد دنيء ، فضع قبره في تلك القفلة ... أفيستوذك أن يموت ابنه وسط اللعنة ، فيقوم قبره في بطن مكة ، فيشير إليه الناس قائلين : هذا قبر الشيخ الذي مات شهيداً في المركة اللطيفة ، وتحدد أيديهم إلى السماء يسألون لي الرحمة والنيث ، ثم يحسبون بقلوبهم غفافة أن يهزها هذا الدرس الصامت ، فتنفجر من الحاسة !

لماذا تأتي علي أن أموت ميتة أخي البطل مصعب ، وأنت الذي عجد مصرعه ، وأخذته مثلاً للبطولة والنضحية والشرف ؟ ألا يسرك أن أشتري يدى حياة هذه الأمة ، فتعود السعادة إلى هذه البقعة الطاهرة ، ويحيم عليها الأمن ، وتستمد لتعمل رسالة الله إلى الدنيا ... حرة ثانية

إنك لن تستطيع أن ترد ما قلت . أرجع إلى الزهرة الجافة روادها وعطرها . رد على الشيخ المرم شبابه وقوه . أعد للنهار الآمل ضياء !

لقد اتعنى كل شيء !
فلن تكون خاتمة حياتي أن أفر تحت ثوب امرأة ...

وأخذ الثوب يقبله بيده ، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة ، فيها آيات التنوُّط للرعب ، والاستبادة المائلة ، والاقدام الخفيف

— لا . يا ابن صفوان ، إن عبد الله بن الزبير

فيها وفترت حمة . واضلنا هذا الليب الذي وقد في نفسه وخطف نوره على جبينه ، فاستل يده من يدى أبي صفوان ، وقال له بصوت رهيب :

— اسمع يا أبا صفوان !

فأدرك ابن صفوان أنه سيسمع نياً لا يسره — فقد خلق وجه (عبد الله) بأنه ملازم على الموت قبل أن ينطق به لسانه ، ولكنه أدهش أذنيه وذهب يستمع ، فقال له (عبد الله) :

يا ابن صفوان ... أخبرني . أفي طوقك أن ترد على العالم بهاء الشمس ونورها إذا غمره الليل بسواده القاتم ؟ إن لكل نهار ليلاً ...

فقاطعه ابن صفوان وقد رأى بارقة صنعت من أمل خالول أن يتسك بها

— ... ولكل ليل فجر يا أمير المؤمنين

ولكن هذا النجر لن يسطع على من بين رايات الأمويين استظل بها . ولا تسرب خيوطه من خلال هذا الثوب الذي رضيت لي الفرار فيه ...

بل إنه سيسطع . إني لأدري بتأثيره تلوح يمشاء زاهرة من وراء باب الموت . ولا بد لي من ولوج هذا الباب يا ابن صفوان ، فلماذا تأتي علي أن ألبه حراً مجيداً ، وترضى لي أن أطبع على لحيتي البيضاء وصمة العار الجراء ، وأن أختم سفر حياتي الماحدة الحافة بالبطولة بأبشخ خاتمة وأبدعها عن البطولة والمجد ؟ أتأني علي أن أموت ميتة أبي ؟

في تلك الرمة التي تنكسر على جوانبها أمواج البحر كل مساء ، ويحمل الرافدان دجلة والفرات العنبر المير من أعالي بلاد الروم ليغسل به حواشها

أكرم من أن يتشح بثوب امرأة . لا لن أفرّ
(ينس الشيخ أنا إذن في الإسلام إن أوقست قوماً
ثم فررت عن مثل مصارعهم ^(١))

— سيدي !

— ابن صفوان !

ثم التفت الأذرع في عناق جمعت فيه الصداقة
والحبة والتضحية أروع قلوبها ، ثم تلمس الشيخ
من فزعاي ابن صفوان وأسك برأسه قبليه بين عينيه
— جزاك الله خيراً يا ابن صفوان ، فلقد والله

وفيت لي حين غدر الناس بي ، ولم تني حين تركني
إبنائي ، فكانت صداقتك أوثق من الولادة ، وأمن
من النبوة ، ولقد كنت رفيق في اليوم الأسود كما
كنت رفيق في الليال البيض ، ومنفت وأجزلت
ولم تدع لي إلا حاجة واحدة ، فأخبرني هل ترضيها لي ؟

ففرق نفس ابن صفوان ويطفر الجمع من مينيه
— ولو كان في قضائها موتى !

— بل فيها حياتك إن شاء الله ، فانا أعزم
عليك إلا ما مجوت بنفسك

— معاذ الله يا سيدي !

— أئني لتفرعيني في حياتي ، وتسكن عظامي
بمد موتي ، إنا أنت مجوت بنفسك . قل إنك فاعل !
— معاذ الله يا سيدي ، أموت ملك كما حيت
ملك !

وكان الفجر قد أتبلى وأردت هذه الأوعار
والصخور وأرقت ، فضاع هذا الحديث الخلف في
جلية الجيش للتصير وإدعاه . قطع (عبد الله)

(١) هذه الجملة قطع من التاريخ

الحديث واتشى نحو الكعبة بأمر مؤذنه بإعلانه
الفجر ، وكان محتفظاً بملطته وجلاله ، فكان هذا
الفشل للتابع وهذه الخيبة الشاملة ، لم تقل منه
قليلاً ولا كثيراً . وكان جنده الأوفياء ينظرون

إليه فيمسيهم بجلده واحماله ، وتسرى فيهم هذه
المرّة ، فيطوون جوانحهم على قلوب ملؤها القوة
والأمل . وهل في الدنيا أقوى من عصبه تريد أن
تموت ؟ إن العدو يفزعها بالوت ، ولأوت أكبر
أمانها ، فكان عدوها خلد لها ، مسخر لرغبتها !
ودوي صوت المؤذن قوياً وانحاحاً ، فجابه من
تلك الأوطر صوت آخر واضح قوى : الله أكبر !
الله أكبر !

— الله أكبر من هذا الجيش وهذه الدنيا ،
ولكن هؤلاء قد نسوا معاني (الله أكبر) وأشاعوا
جوهرها

ذلك ما كانت تتأجى به نفسها هذه المجوز وراء
سور الحرم

وكانت قد أوت إلى هذه الزاوية لتودع ابنها ،
وتحفظ بذكرياته الأخيرة ، وتسمع جرسه ، تحزن
في نفسها هذه الصور التي ستكون من بعد يذوب
حياتها ، وستعيش بقية أيامها بذكرياتها . وقد لبثت
هذه المجوز في مكانها من التزلزله الجور ، بمد أن
ودعها ابنها ، تبكى وتتأقضا شتى الأفكار ، حتى
نالت منها متاعب اليوم ، وأوقار الشيخوخة ،
فاستسلمت إلى نوم مزعج متقطع تضطرب فيه
الأحلام للرعبة ... فرأت ابنها بأيدي الجنود
السايقين تنوشه رماحهم وسيوفهم ، فوثب قلبها
من صدرها وجعلت تصيح وهي نائمة : دعوه .

ذلك إلا محساً خافتاً يعلم منه موضعها ، فكانت تهمس باسمه ، وقويت هذه الرغبة في نفسها ، حتى لقد توهمت أن ابنها قد دلف إليها بمااتها ، فدفث يدها تماقه فسقطت على جنبها ... وكان قلبها يرتفع في صدرها حتى يبلغ حنجرتها ، ينوب حزناً وكدأً ، ويسيل من عينيها التفتشتين قطرات من الصبح ... ولكنها لبثت ساكنة صابرة على قضاء الله

انتقل هذا الشيخ من صلاته ، وقد رقى الظلام ، وانبثت فيه أشعة الفجر ، فأراقت على الحرم ظلالاً من النور ، فاستطاع أن يتأمل في أحبابه الذين لبثوا على وفائهم له لم يخلفوه كما خلفه ابنه حمزة ، ففرت على وجهه سحابة من غم حين ذكر أن حمزة قائم في هذه الساعة تحت رايات المحتاج ينتظر أن يرى أباه مطلقاً على خشبته ، ليرقص في مأتمه ، ويظهر بإسلامه ، وكاد يجارى غضبه ويقذفه بلينة حمراء تسلسل في أصلاب ذريته ، فلا ينجو من جناها السموم جيل ؛ ولكنه أمسك ولم يجب أن يكسب أولاده هذا الشر المستطير في آخر لحظة من حياته ... وينظر إلى هؤلاء الفتية فيروته شبابه الزهر ، ويضنّ بهذا الصبا الفص على الموت ، ويعلم بأنه ميت لا ينقمة دفاعهم شيئاً ، فأرادهم على الحياة وزينها لهم ، واجتنى إلى إقناعهم شتى السبل ، وأفانين الأساليب ، فأبى لهم وفاؤهم ومروءتهم ودينهم وما كانوا يستقدون من ضلال الأمويين إلا الموت ...

فرقت نفس هذا الشيخ ، وغمرها الحب (٥)

دعوه لي ، لا تقتلوه ، قد ترك لكم الخلافة فأتواكم لى ...

وأقالت مذعورة وقد طار النوم من أنماها ، فلم تطلق البقاء وابنها على حبة الموت ، فقامت تحمل ألاسها وأولجها ، وأقال هذا القرن الكامل الذي يجثم على ماها ... هذه السنين المائة ... وتوجهت تلقاء الحرم ، وكانت تفكر في ابنها ، ملنا عليها لو أنها أخذته من بين غراب الموت ثم عاشت معه في ركن منزل من أركان هذا الكون الواسع ؟ أيرضى عبد الله وقد تم له الأمر وأطاعه الناس كلهم أن تمشي عجوز بجانب ابنها ؟ ألا يجد لونه إلا في ألي ... ومعت العجوز باستئزال السنات على عبد الله ، ثم رجعت إلى نفسها تفكر في عبد الله فإذا هو لا يقر ولا يهدأ ، وإنا هو ساعة حيناً زلت خربت ، وقلبت الأرض عاليها سافلها ، فلا يقر لهذه الأمة قرار ...

وكانت قد لبثت الحرم فسمت صوت المؤذن يردد التكبير ، فيعود الصدى من هذه الأوطار يمثل تكبيره ، فأصغت فإذا ما حجبته صدى أذان أهل الشام ، فألمها هذا الاقسام وجعلت تتكلم محساً كأنها تخاطب نفسها :

— يا هؤلاء الذين نسوا ماني (الله أكبر)

وأضاعوا جوهرها ...

وفي تلك اللحظة تقدم هذا الشيخ الذي كان أمير المؤمنين ، ووارث كسرى وقيصر ، ليصل آخر صلاة له في ظل الكعبة ، فسمته العجوز ، ولم يكن بينها وبينه إلا جدار قصير ، فزاعها نفسها إليه ، واشتافت إلى عنقه وشبهه ، ولم يكن يكلفها

فنهف هؤلاء الجنود هتافاً عالياً ، وأنشدوا
ألمنيح الحرب ولكن أسوأهم ذات في هزيم
العود التي تفجرت من حلق الأمويين وم
منحدرون من أوطارهم وأسلامم التي اعتصموا بها
يتدقون نحو أبواب الحرم . ودارت المركة في
البقة للقدسة التي كانت ملجأ للناس ، ومثابة الأمن
في الجاهلية وفي الاسلام !

بلغ هذا الزحف أبواب الحرم الأقدس ،
واشتركت في حل وزر هذا الزحف مدن من الشام
تعاونت على البعث بحجرة المسجد وإراقة الدم الزكي
على أرضه الطاهرة ، فكانت حصص يجتهد على الباب
الذي يواجه الكعبة يحاول أن تقتحمه لا لتطوف
بالبيت الشريف ، ولان تقوم فيه لرب العالمين ، بل لتستريح
فيه حرمة المم الحرم في الشهر الحرام في المسجد
الحرام ... وكانت دمشق على باب بني شبة ، وكان
أهل الأردن على باب الصفا ، وأهل فلسطين على
باب بني جحج ، وأهل قنسرين على باب بني نعيم ،
وكان الحجاج قائد هذا الجيش الذي هدم بيت الله
في ناحية الأبلج ... تدقت هذه الجموع براياتها
وكبرياتها وقوادها وجندها ، وسلاحها وعنادها ،
وحاسنها وهتافها ، ولكنها لم تستطع أن تتقدم.
ردما وحده هذا الشيخ !

هذا الشيخ الذي أدته الأيام من الثمانين فكان
من حقه أن يستريح أثر حياة ساخنة ، وأن يقضى
بقية أيامه في دعة وهدوء .. قد جفا راحته وهناءه
ووقف وسط الحرم كالأسد المأخوذ يدافع عن عرينه
بليده البيضاء وشيته الهية قد دارت مقلته

والرضا ، فأحب أن ينظر إلى هذه الوجوه ، وأن
يجمل صورها زاداً له من دنياه في جولة الأخيرة ،
فقد كانوا ثمانية ذلك الجيش العظيم ، وبقيّة أولئك
الأبطال النظاريف ، الذين كان في وسعهم أن يقتلوا
قيصر من كرسية في القسطنطينية كما قتلوا كسرى
من عرشه في اللاتين ، لولا أن ألقى بأسهم بينهم ،
فأصبحوا يحسبون بعد القائد المسلم في الانتصار على
القائد المسلم ، ويرون للمركة الظافرة هي التي تاكل
إخوانهم في الدين وفي النسب ، ويرون الفتح الأغمر
في استباحة مدينة الرسول ، أو البعث بقصبة الخلافة
وكان هؤلاء الفتية قد لبسوا الحديد واتخذوا
للمنافر لا يبين منهم إلا الحدق . فلما أرادهم (عبد الله)
على كشف وجوههم أزاحوا هذه المنافر فأضأت
وجوههم كما تضيء الأنوار ، ولكن شمعها وميض
الجمال الفاضل ، وبريق الاخلاص والذكاء ، فأشجاء
أن تكون هذه الوجوه فريسة السيوف بعد ساعة
واحدة ، وأن يذهب هذا الشباب الناضر وأن يحضر
جيش المسلمين هؤلاء الفتية الأعانوس : ومن
مستصبيه سيوفهم الماضية يتألم بها قبل أن يموتوا .
فمد يدهم إلى الحياة ورجسوا بأبواب

— قال : أما إذ أيتيم (غلا رعمكم وقع السيوف
فان الدواء للجراح أشد من ألم وقعا . صونا
سيوفكم كاتصونون وجوهكم . غضوا أبصاركم عن
البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ، ولا تسألوا عني
لئن كان سائلاً عني فاني في الرعب الأول . اعملوا على
بركة الله (١)

الكعبة ، وأشلاء القتلى ودمائهم وهذه البقية
الباقية من جنده ، تنلب عليه الأمل لاجل "السلطين ،
وعزف عن الطعام والشراب فلم يفكر فيهما ولا
في الراحة السعدة أثر هذا المجد الماحط ، وإنما أقبل
يريد أن يعطي في ظل الكعبة فيناجي ربه ويستغفره
ويودّع دنياه ... ولكنه لم يذن من الحليم حتى
وقف صرخباً قد اهتز من مفرقه إلى قدميه كما تهتز
القنبرة في الريح النكباء ، وقطع عينيه يمدق ...
إنه لا يشك في أنها هي ...

— يا إلهي ... ما الذي جاء بها إلى هنا ؟
ودنا منها متلصصاً يمشي على رؤوس أصابعه فاذنا
هي سائمة جامدة لا تتحرك ولا تنبسط
— أي ميتة ؟

واقترب حتى حاذها فأحسّت به وصاحت :
— من أنت ؟
فلم يجب ، فنادت تصرخ :
— من هذا الذي يمد يده إلى امرأة مجوز ؟
ويلكم أما كنتم أن دفت إليكم ابني لتقتلوه ...
آه أين أنت يا عبد الله ؟
وسمها تبكي بكاء خافتاً فتحرك ، فنادت إلى
تصريحها :

— قلت لك ابتعد أيها الودع ، أنسيم
أخلاقكم ومروءتكم ، واستبدلتم بها هذه الأخلاق
التي ترى البطولة في البطش بسجوز عبياء لا تريد
أن تؤذي أحداً ؟ لو أن عبد الله كان حياً ؟ أين
أنت يا عبد الله ؟ عبد الله ...

وراحت تنسج نسيجاً أليماً ، حتى لقد ظهر أنها
ستشرق بدمعها ، وخال روحها سترق في نسيجها ،

الثتان تنفضان الشر على هذه الأبواب ، فكلاً رأى
باباً انتفتح كزّ على أهله فردم على أعقابهم ، فكان
يحمل مرّة هاهنا ، ومرّة هاهنا ، حتى ارتفع الضحا
ولم يقرّ الشيخ ولم يهدأ ... فأحس بالوق في أعصابه
وكلت يده . وأى رجل يستطيع أن يجاله مثل هذا
الجلاد ؟ وأى رجل يقدر أن يقف وحده في وجه
هذا السيل الطامى من البشر ، وكلما أزاح من طريقه
واحداً حلّ في مكانه مائة ... فوقف لحظة يستريح
وتلفت فاذنا هو يابن صفوان لم يفارقه

— أبا صفوان ، ويله فتعاً لو كان له رجال !
والله لو كان قرني واحداً كفيته^(١)
فيقول أبو صفوان :
— أي والله وأنت ...

وتدور رحى الحرب من جديد قد دفنها الحجاج
دفنة انطلقت على أثرها مدوية مرعدة تسيل على
جوانبها السماء ، وترهق الأرواح فيدوران معها ..

حتى إذا زال النهار وتلهمت شمس مكة فجمعت
على الناس نازين : ناز الحرو وناز الحرب ، ضاق ابن
الزير وأصحابه ذرعاً فجمعوا بقية عزمهم ، وأقدموا
إقدام الستميت فلم يرجعوا حتى أجلسوا هذا الجيش
المرمّم من الحرم وردوم حتى بلنوا بهم الحجون
وكان في طوقهم أن يردوم إلى أبواب الشام ،
ولكنهم كانوا عشرات من الناس يحاربون الوفا
مؤلفة !

ورجع عبد الله إلى الحرم وقد نلت ساحتها .
إلا من الحجارة التي تثرتها المنجنيقات من جدار

(١) هذه الجملة من التاريخ

لتكثيرهم حرماً للدينة وتأييد نخيلها ، وأشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لولادة هذا الرجل الدين يكبر للمسلمون اليوم لوفاء ...

رحمة الله عليك يا أبا خبيب ، أما والله لقد كنت أنهلك عن هذا ، ولقد كنت والله سواماً تواماً وصولاً للرسم^(١)

لأأقدم عبد الله ، تساقط الشاميون تحت سيفه كانتساقط أوراق الخريف ، وازاحوا من بين يديه ، ولكن رجلاً ممن عجز عن مواجهته في المعركة ومقابلته بالسيف ، قذفه بأجرة ضخمة ، فحل الجبان العديد ، فأصاب بها وجهه وهشمه ...

أحس عبد الله كأن أعضائه كلها قد مزقت واستلقت من جسمه دفعة ، وشعر في رأسه بأشد من لقع النار ، ودار الكون من حوله وتداخلت في عينيه للشاهد ، فراغ بصره ولم يدري شيئاً ، ثم هوى ... ولكنه نهض بعد لحظة واحدة . نشيطاً سليماً يكاد يتوهم من الصحة والنشاط ، فأقدم بحالاً ، فلم يمرض له أحد ، فسحب ، وأغار على الثوم ، فلم يرعه إلا أنه يحترق الجوع ، لا يمنعه أحد ، حتى جاز الجيش كله وصار إلى القضاء والحربة فوقف يشكر ويذكر أمره ... فلم يعرف منه شيئاً ، ولم يجد في أعماق نفسه إلا لالة لا توصف ، وطرباً لا يحد ولا يبرئ . فرجع يرغل في هذا الجيش ، فأنا هو يحترقه مرة أخرى ، ويتنقل بين كتاباته وفرسانه ، ثم ينتهي إلى القضاء ... فينظر حوله ويصيح أن يلو هذه الجبال الشاغرة ، ثم يجلس على قفة من قفنها البواذخ يشكر في أمره . فلا يكاد

وأحس كأن قلبه يقطع بسكين ، ونسي الحرب والنضال ، وهم بأن يلقى نفسه بين ذراعها كما فعل في ليلة الأس ، ثم يحملها إلى بقعة من أرض الله الواسعة تقضي فيها لياليه الباقيات ، ثم ردة الحفاظ والدين وهذه الناية التي باع نفسه من أجلها ...

وكان يسمع اسمه يرتجف في غضون الزفرات يخرج بصوت مكموم ، يهاب قلبه كأن فيه قسماً من قلبها المحترق ، تخاف أن يتلوه ضغفه البشري . وانتهى إلى أذنيه هتاف أهل الشام وقد أقبلوا ككرة أخرى كما يقبل البحر بمدة على الساحل بعد أن نأى عنه في جزر طويل ، ضاف مكانه حياض أمه ، وذهب يستقبل الموت ، وقد مات من قبله مزاراً ...

وكان في شعب من شعاب مكة النائية عن الحرم ، شيخ جليل قد اعتزل الحرب هو وأصحابه ، لأن دينه لم يبيع له أن يجارِب أبناء دينه ، وصروته تخمه من تجريد سلاحه في وجوه إخوانه ، وذهب ينتظر في هذا الشعب النائي

كان عبد الله بن عمر ممترلاً يحسر لأصحابه عما يخاض نفسه من ألم التفرق للمسلمين ، ومحدثهم حديث الرسول الذي جاء بالإسلام فألف بين القلوب ، وجمع الناس جميعاً ... ويربب انكشاف هذه النعمة . فسمع التكبير (ظهر يوم الثلاثاء ١٧ جادى الأولى سنة ٧٤) يتجلجل في حلق الشاميين ، فاسترجع ومدّ يده إلى عينيه الهامدتين فسح دمة خال أنها تفرق فيهما ، وأقبل على أصحابه فقال لهم :

— ألا تسمعون التكبير ؟ والله لقد كبر المسلمون مثل ذلك من قبل ، في ليالى الهجرة الأولى ، وارتجت

(١) هذه الجملة من التاريخ

— هو هناك ... أرى هذه النقطة الدقيقة
اللاعة في أقصى المحيط؟

عبدالله: من للتكلم؟

ابن صفوان: من هو الذي يتكلم؟

— أنا؟

يضطرب عبدالله وابن صفوان ، ويحيلان
بصريهما في أرجاء الكون فلا يريان أحداً

عبدالله: من أنت؟ أقول لك: من أنت؟

— هأنذا! (ويظهر لها)

عبدالله: زيد؟

— نعم: أنا زيد!

عبدالله: ولكنك قدمت منذ زمن طويل!

زيد: نعم ، لقد كنت منذ زمن طويل

عبدالله: كيف تكون ميتاً ، وأنت حي تنطق؟

— كما تنطق أنت!

— ولكني لم أمت ...

— نعم يا سيدي ... ولكن تمال مي!

ويصعدون بخفة البرق وسرعته ، كأنما كانوا

يطيرون بين جناح ، فلا تمضي لحظة حتى يشرقوا
على مكة ...

زيد: ألا ترى يا عبدالله؟

عبدالله: ما هذا الذي أرى معلقاً على رمح؟

زيد: رأسك؟

عبدالله: رأسي أنا؟ هل جئت يا زيد؟ عهدي
بك رجلاً قتيلاً عاكلاً. هذا هو رأسي لا يزال مركباً

بين كفتي!

زيد: وهذه هي جنتك مصلوبة!

عبدالله: (وقد أخذته حيرة ، فجعل ينظر في

ينتهي من أمانة حتى يصير في أعلى الجبل من غير
أن يشتم عشاء . أو يقامى تيباً ، فيزداد حيرة
وعجباً ، وينظر حواله فيحسر له البصر عن عوالم
عجبة تخرج بالنور ، وتزور بالشاهد الباصرة التي لم
ترها عين بشر ، فيأنس إليها ، ثم تقلب عليه حيرته
المحبوبة اللذيذة ، فيحجب عينه بكنهه وينطلق يفكر ،
فإذا كتمه تشف عما وراءها كأنما ينظر من خلال
زجاج صافٍ شفاف ، فيجفو مكانه ويعرّ هائماً على
وجهه فإذا هو يعض بسرعة البرق ، يخرق الصخر ،
وينفذ من الجبال ، فيزداد دهشة ويبالغ في صروحه ،
ثم يسمح من يدعو بأصبعه ، فيقف ويثقل فإذا هو
بابن صفوان ...

فيقبل عليه فرحاً بلقاءه .. ولكنه يرتد فجأة ..

— أنت ابن صفوان؟

— نعم يا سيدي ...

— ولكن ...

— ماذا؟

— إن بصري ينفذ من خلال جسمك!

— وأنا يا سيدي أرى ما وراءك؟

— وبحك ، ما هذا؟ أين نحن؟

— لست أدري!

— ألا تذكر شيئاً؟

فيذكر ابن صفوان ، وينظر حواله :

— بلي ، أذكر اللوحة؟

— للوحة؟ أي لوحة؟ ها . لقد ذكرتها ،

لقد طاعت صورتها إلى قضي ، ولكن ... أين

نحن ، وأين جيش الحجاج؟

زيد : ذلك لأتكم مت !
عبدالله : أليس في الموت قيد ؟
زيد : بلى ، وكلنا مطلقون (ولا تحسبن الدين
قتلوا في سبيل الله أموالاً ، بل أحياء عند ربهم
يرزقون) ، والآن ... هلم بنا !
عبد الله - دعني أرى أذى وأهلها ...
زيد - لا . إنه لم يجيء أهلها فعمل بنا
فينطلق الثلاثة إلى النسيم اللطيف في السماء . كما
تنتقل السجود إلى العذاب الهام في الأرض !

حل السلام في هذه البقعة التي خلقها الله للسلام
الهائم . ونزل الحجاج زيل الأوضار عن الحرم ،
وبرغ القواعد من البيت ، ومرت الألباس راعاً فووري
ابن الزبير في لحده ، واستغفر الحجاج من جرعة
سلبه كما يصاب الجرمون والفسدون ، وكادت الجروح
تندمل ، وأوشك الناس أن يستميدوا هنامهم
وسادتهم ، بعد هذه الحرب الحامطة الضروس ،
ولكن أسماء لم تسرح ولم تهنا ، ولم يبق لها من
الدنيا إلا قبر عبدالله ، تلبث الليالي والنهارات
عاكفة عليه تبكي وتدعو وتنادي عبدالله ، وكانت
تخيل كأن شخصاً قد ألم بها تصرخ فيه :
- من أنت أيها الوغد ؟

فيتلج الصمت سيجها ولا تسمع من مجيب ،
فتعود إلى مجرع الألام وأحزانها . وإنها لفي مقامها
على القبر في وسط ليل ساكنة ، وإنها يد تلمسها
لساً رقيقاً ، فيذكرها مسها بآلم غامض يفيض
باللذة والأنس ، ويردها إلى ماضٍ بعيد لا يتبينه
ولا تمرغه ، عالم عبدالله والزبير . فتحاول أن تمسك

جسده ، ويجسّه ...) ، لا أشك في أنك قد جنت
بأزيد ، إن جنتي صحيحة ...
زيد : إنها جنتك ، ألا تسمع ؟
يصيح عبدالله بصممه ، فيسمع حديث القوم
حول جنته الصلوة ، ولكنه لا يصدق ...
عبدالله : مستحيل ، إن جنتي كاملة ألا تراها ؟
تلك بقايا حشرة حقيرة ، وأنا وبحك أدخل في
جسم حشرة ؟
زيد : ولكنك عشت فيها أكثر من
سبعين سنة !

عبدالله : قلت لك ، مستحيل ... لن أرضى
أبداً بهذا السجن الضيق الخائق
زيد : ألا ترى إلى هؤلاء الذين يحفون بالجنة ؟
عبدالله : بلى ، أرى حولها كثيراً من هذه
الحشرات الرضية ...

زيد : هذا هو جيش الحجاج !
عبدالله : أرواح بشر تدخل هذه الأجساد
الحقيرة وتسجن فيها ؟ إنني لأختنق من تصوّر
الحياة فيها لحظة ...

زيد : كما يحس هؤلاء بالاختناق إذا تصوّروا
أنهم عاشوا لحظة في بطون أمهاتهم . لقد نسيت
سجنتك الثاني ، كانوا سجنهم الأول !

عبدالله : ولكنني لم أمت ، أنا في غمرة
الحياة ...
زيد : إن هذه الحشرات تسمى الحياة الحقيقية
موتاً ...

عبدالله : يا لفتاوة ! ولكنني لم أمت ، بل أنا
لم أعرف الحياة إلا اليوم

— على ، على ، ولكن ... والله . ما ذا أرى
— لقد حسبوني مت . ولكنى ذهبت لأحيا
الحياة الحقيقية مع أبي بكر والثير . تعالى يا أماء ،
تعالى !

— هأنذا قد جئت ... عبد الله ! أدركنى
إنى أحس كأنى أطير . بل أنا أطير حقاً لقد عدت
شابة ... ملأنا أرى ؟ عبد الله ... هـ ...

— سهلاً يا أماء . سنلتقى لقاء لا افتراق بعده
— أقلت أ ... أ ...

ولامر الناس فى الصباح على قبر أمير المؤمنين
وجدوا أمه ذات النطاقتين أسماء بنت أبي بكر الصديق
ميتة على القبر !

على الطنطاوى

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لأميرتين

مترجمة بقلم

محمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

بهذه اليد لترقصها إلى شفتها فأنها لم تمسك إلا
الهواء . فيختلط عليها الأمر وتعود بالله وتعديها
إلى كل جهة تلتس صاحب هذه اليد فلا تقع يدها
على شيء ... ثم تشر بصوت مستمر يطن فى أذنها
ثم يقوى حتى يشبه هزيم الرعد ، ثم يستحيل إلى
نخبة هائلة تحسب أن لم تسمع مثلها الأرض وتشر
بزلال عظيم . فتدب بها الأرض وتهرب شدة وعنف ،
ثم تحس يدها تقبض على خناتها ، وتطير بها مع الرياح
الأربع ، لا بل الرياح الأربعين . فتصوم فى أرجاء
الكون بسرعة البرق الخاطف حتى تصير الدنيا
كلها خلاء فى نظرها . لأن نظرها لا يستقر على
شيء . ثم تلقى هذه اليد فى أعماق هوة سحيقة فلا
يوق عضو من أعضائها إلا أساه كسر أو حلم ،
وتجتمع عليها البرودة القاتلة والسمت المربع والظلمة
المسكافة ، فلا تقي من بعد شيئاً

ولكنها تستفيق على صوت عجب إلى نفسها
يذكرها جرسه ورويته بموالم تعرفها وتحبها . فأنها
هى فى دنيا عبد الله قرية منه ، بل هى تسمع صوته
يدعوها . يدعو أمه بأحب الأسماء إليها . فتدب يدها
تسمع دمة الفرح ، فأنها هى مفتحة العيون تيمر
عالمًا من النور كل ما فيه جيل ساحر ، وإذا هى
ترى (عبد الله) وقد عاد شاباً يفيض وجهه بشراً
تتمد ذراعها تهاقه ، تهاقه حقيقة ...

— أهذا أنت يا عبد الله ؟ ... كلا كلا . إن
عبد الله قد مات . فمن أنت وبك ؟

— أنا عبد الله ! سرعان ما نسيتى يا أماء . أنا
تذكرين ليلة دفنتى إلى الموت ؟

تلقاً اتصلت بمساعدتهم ، فتأثرت
نفسه ، وجال في خاطره أنه لو
استطاع أن يرشد هذا الجمع إلى
كتب ما يتقد ، وإلى أن مبيوده
لا يسمع ولا يبصر ، لا فضل ، حرماً
على هذا الأمل ، أن يزول .. وهذه
الفكرة ، لا يحول إلا بخاطر ونبي
أويهودى .. لأن هذين المتبدين

.. الوثنى واليهودى - يتمسكان
بمعتقداتهما وتقديس مصودحاتهما .
أما الوثنية فلا أعظمها كانت
عقيدة .. لا أدري كيف أغلب
الفكرة على الأخرى ... لقد
كان راسكى ذلك النقى العظيم
مجنوناً في شبابه . ولعل أشد
أواع الجنون ، جنون الشباب ،
إذ كان يشتد من حرارته ،
ويستمد غلوائه من غلوائه ،
ويأخذ ضرامه من مضطرب
عواطفه ، ولا نجد شباباً خلواً من
رائحة الجنون ، إذ كان الشباب
شعبة منه . لقد بدأ جنونه بمد
أنقرأ قصة الآباء والأبناء
لتورجنيف . نعم ماذا تقول ؟ هو
ذلك الرجل الذى أثر في ذهن
راسكى أكبر الأثر . لأن
تورجنيف كان عقلاً وكلامه
معقولاً . فإن طلاب الجامعات
والمدارس الفنية العليا قدمت

التورجنيف الموروث

للكتبة الرسمى سطفان بوريانف
للأستاذ محمد لطيفي جعبه

تعريف بالقصة

استطاع بوريانف من كتاب الضد الأول
من القرن العشرين وهو خيد زوراديك
على الصور الروسى الشهير الذى عاش
أسداً في مقاطعة جنيف (شاتو دو بزيه
فير) وقد عشت سوزة الشهيرة والجلو لرجاء
في متحف جنيف للتصوير الحديثة ثم
تمت مشاهدتها على الجمهور وهي تمل
الصلب وقت الغروب في ساحة التنفيذ
للمهورة في الانجيل
أما الحفيد استطاع فقد حقق القنات
ولا سيما الألمانية والفرنسية وقضى شطراً
من شبابه في جبالينق ولينردون وقرية
توتون وتعلم ضرراً من الموسيقى وثقناً
من الأدب ونشر أول قصصه « حل
كانت أوى مجنونة » في مجلة « داشستوت
كرويتسكى » ثم كتب قطعاً مسرحية
منها « قطار الحياة السريع » والرقصة
القريبة « وأحب في المسرحين من عمره
لزيهورا دنكلن الرائعة الأخرسية
الشهيرة تله في حبها وتبتك وصحبها أسداً
وهجرت يتابع مولاهم فأتبع إناجياً
خزيراً ، ولكن أدبه أمسى مطبوعاً
بطابع المزن والخيال ، ومصيرها صعبة
الأم المعلن ومن أظهر قصصه « الزوجة
للوردة » وفيها من الهك والمحق
للكتيون على التندر والأناية واختلاط
البوغ بالقوة أحياناً واسترجع الحب
بالانظام وجريان دم القتل والنسق في
شريان واحد مما يصعد لهذا الكتبة الفد
بالفوق . هذا ولا يزال هذا الأديب
على قيد الحياة في ديغون ، وهي قرية
فرنسية ملاصقة لمفود سويسرا

نعم ! هو نفسه ذلك النقى
العظيم الذى ذاعت شهرته في
أعحاء العالم ، وطبق صيت عبقريته
الخافقين ، فلا كاروزو ، ولا
شاليابين نالا شأوه . لقد كان
صديق صباى ورفيق شبابه ،
وأليف ختوى وبنوعى .. لا أذكر
بالدقة اسم القرية التى كانت مسقط
رأسه ، ولكنى متأكد من
اسم المقاطعة التى ولد فيها وهي
بادوى ، وعاصمتها كيف . حل
كان يهودياً لأدري .. لا أعظم
ذلك ... ربما غير أننى أعلم أنه
نشأ فقيراً وقاسى من الآلام
الحاجة ما أوردته مهارة القلب
وغدقة الحقد على المجتمع . وأذكر
أننا كنا ذات يوم في معبد من
المابد فالتفتنا للمعلن قائمين
يضرعون لتمثال المعبود يتمسكون
منه قضاء الحاجات ، وكان من
بينهم مرضى وذوو طاعات
والمسكون تملت أناملهم برهم

كنيسة نوردام دي يارى ، على مقربة من مرض
جثث القتل والنزق وللتحرين : « ألا إن في
الاجترار على السماء والتسخط من مظاهرها ترويحاً
عظيماً لقلب الغنى بلهم ، الترع بإلياس . يحلولى
يا دوشنكا ! أن أخصص كل يوم بسبع دقائق للسماء
أتمرد فيها وأتود ، فأسترجع لى ! » . هل أحب ؟
نعم أحب فى لوزان امرأة اسمها زينا ، أعنى زينا بيد
كانت طالبة فى الجامعة ، ولكنها من ذلك النوع
الذى نشأ فى أوائل الجبل ، الطالبات للتزوجات من
طلاب زواجاً حراً . وكانت زينا رخيصة الصوت
جداً ، وزوجها يتن التوقيع على السكان ، والنفخ
فى الناي ... وكفى يوم مشرق بهيج قضاء رامسكى
فى دار زينا وزوجها ؟ وكفى من لقاء حلو وحديث
لبيد ؟ حتى أصبح رامسكى أعز عزز فى البيت ،
وأحب زائر ، وأحب جليس ؟ وكانت زينا تميل
إليه ونحب قربه وتميل إلى سمه ، حتى لقد كانت
توسيه بشراء الفطائر والحلوى لتأكلها فى غيبة
زوجها كالأطفال . أنا أقول لك دار ... وبيت ...
تساعماً ... أو مبالغة ... لم يكن هؤلاء الطلاب
وللمهاجرين الثاثرين دور ولا بيوت . إنما كانت غرقاً
مدعومة مؤتمنة بأبسط الأثاث وأقفره . زيتنها جال
الرأى ووفرة الكتب وجنون الشباب الذى كان
يتفتقر كل شيء ولا يلقى إلى المستقبل نظرة . كانت
الشار مكوة من غرقتين مطلتين على البحيرة ، وعلى
حطة السكة الحديد ، جال فى النهار والليل ، وحركة
دائمة يقابلها سكوت مدعش وجلال متجلى فى طبيعة
الجبال والأمواء وأسواء الأشعة الثلاثة ووجه زينا
الشرق ، وصوتها الغنى المنون . ظم يلبث أن
أصبح الشاب رامسكى من التحصين للوسيقى ...

للعالم مناظر جديدة مدعشة . فإلى خيائنا نشأ
ونضيات شباب ، بدأوا يسخرون من الاعتقادات
العامة والتقاليد للمنسلحة والمادات المحترمة فى الحياة
الاجتماعية ، وشرعوا يتباحثون فى تهذيب المجتمع
وتأسيسه على قواعد علمية ، وكان من ذلك أنهم
قبلوا النظام القديم حتى فى أخيه الأمور وسفاسها .
فأما الذين كان منهم فأعفوا شعورهم ، وأما الأثاث
فقصص من فروعه . فكانت طواهرهم وأزيائهم
وأحاديثهم عريضة لسخرية الناس وهزئهم ، ولكنهم
كانوا يهزأون بذلك ولا يكتفون ، إذ كانوا قد رفضوا
أنفسهم عن مستوى ما يسمونه بالرأى العام ،
واحتقروا الرسوم والطقوس ، وكانوا لا يترفون
إلا بمذهب العمل الصالح لصالح الجماعة ... وصرخوا ..
أى وحق الشباب والجنون - صرخوا بأن الاسكان
المتنوع فى صنعة الفن فى حرته خير من بوشكين
أو شكسبير وأعظم قدراً ، لأن الإنسانية أحوج
إلى الأحذية منها إلى الشعر ولما أطلب ...

— لا ! لا ! ملحداً ... كان رامسكى ملحداً ؟
من يدري ؟ ولكن الذى أعلم عن ثقة ويقين هو
أنه كان يكره الفقر ، يمد أن رأى الفقراء ينزلون
على جور الأعتياء ، والشمعاء يرضون بظلم الأقوياء .
وقد سمته مرة يقول فى حالة أشبه بالعبادة : « ليسفنى
الأعتياء على هذه الأرض ، وليرهنقى الأقوياء ، فأتى
لواقف يوم القيامة على باب الجنة ، أحول بينهم
وبين عرائسها ومقاسيرها ، شاكياً إلى الله سوء
ما لقيت ، راضياً إليه الظلمات التى عانيت » ..
هل هذه صلاة ملحد ... ؟ هل يذكر للحد يوم
القيامة وباب الجنة والإله ... ؟ ولكن رامسكى
هذا نفسه قال فى ذات ليلة ، وكنا ندور حول

العيش ومحاياة البرؤس؛ وكنت أنا نفسي أفضل غرفة لا تفضل غرفته في حي «إبور النور» وكنا نجهز طماننا لثقتنا بأيدينا «على موقد الكحول». وكان رامسكي ممرضا للصداع، فإذا انتابه باقى بنفسه بعد المشاء ملطبا على التكأ غير مستبعب بمصباح، وكان بعض جيرانه يتشاورون في أمره قائلاين: «إنه فقير! لا يستطيع أن يشعل ولوشمة واحدة» أى والله! حتى جاءوه يوما بمصباح، فكان يشكروهم ويشرح لهم أوجاعه وغنايه، ولكنهم كانوا لا يقولون عنه إلا «جارنا القديس!»، ولم يملوا بأن في نفسه من الألحاد والمهرطقة ما يكفي لتكفير جميع القديسين وندقتهم!

وفي تلك الآونة تلقى دروس الموسيقى في معهد فيلهارموني بجوار معبد اليهود، ذلك الميتاجوج اللتينق الميم الذى يحمل في أعلاه خاتم سليمان، كما يحمل للذنب القديم علامة سوابقه. وكان الأستاذ كريستوف باقى دروسه متعلوما متبرها، فلما رأى رامسكي وسمع صوته أيقن أنه عثر يكثر ثمين، فاقطع تعليمه وتدريبه، وصى حثيثا حتى ربطت له إجازة للمهد مرتبا ضيلا يكفيه بالكاد طمعا وكاء.. ولكن أستاذنا لم يلبث أن عرفته إلى أعيان المدينة وهواة الفنون من الطبقة الفنية فكان رامسكي يحزح في خيرهم ويحمد عليهم، ويلين النظام الذى قضى عليه بالحاجة إليهم، وكنت أخفف عنه وطأة التهم والمهرزاعمان هؤلاء الأغنياء بحاجة إلى جمال صوته. وقد تعرف بآنسة بولونية تدعى منسكا، وكانت سيدة حلوة المحضر، جذابة الحديث، لها في الأدب قسط ومن الفن نصيب، ولقد فرح بها رامسكي فرحا عظيما فاقترحت عليه وهو في وحدة تدعوه للأقامة معها في بيتها في

ولم يكن هو يدرس شيئا مميئا في جامعة لوزان سوى التوقيع على المانولين والثناء أحيانا مصاحبا لزيانا في لثريدها قطعاً من موسيقى فاجنر. نحن الروس شعب عجيب غريب الأطوار. لأن الذى تبرع ببناء الجامعة في لوزان أحد مجائنا الأغنياء لينال شهرة خاصة على حساب العلم والوطن، قد تهافتنا عليها، حتى حسبناها مبرانا لنا عن أباينا، وحتى سنت حكومة مقاطعة (فو) قانونا يحرم التحاقنا بالجامعة.. كانت الحوادث التى أرويناها لك قبل هذا التحريم ولكن راكوفسكي زوج زينا شمر بتقب البوليس السرى له، لأنه كان من المشبوهين التهمين في مؤامرة تشاركوفى سيلو التى قتل فيها دى ويت بطل تاميلوف، ففر بيل إلى فرسواه على مسافة مليون أو ثلاثة من جنيف. وهو حين فر لم يبق صاحبه الآخر بفراره، فلا تسل عن حزن رامسكي وابتناسه، فقد حرم سلواه الوحيدة، ولقاء زينا وسرها وحديثها الرطب اللجل.. وكان هذا الرحيل مميئا للجنفاء بين راكوفسكي ورامسكي ومدعاة للقطبية والماء.. على أن راكوفسكي كان رفيقا بصاحبه، حديثا عليه مكرما له، وكان يهتم بشأه ويعنى بماله، وقد نصح له قائلا: «تزوج وسافر» ولكن هذه النصيحة كانت فكرة أفلاطونية محضا. لقد كان الزواج ينير حب مستحيلا. ولم تكن امرأة تملأ قلب راكوفسكي سوى زينا.. ولهذا فإنه بعد ذلك الفراق البشر مرض مرشا شديدا، فانتقل إلى جنيف وسكن في غرفة حقيرة في شارع كاروج — ذلك الشارع الذى اتخذه المهاجرون الروس مستقرا لهم، وكانت تلك الترفة فوق «مفلق حشب» مطلة على جدار قائم مشوه بالاعلانات المخيفة، وكان رامسكي يعيش أحسن

وأُتيحت لي ممارسة تلك المهنة الشاقة في مقاطعة جنيف ، ولكن قاضي التحقيق لم يكتف بتبريى للقطاع عن صاحبي وأمر بإفهامي إلى يام ودمستر وهما عاميان يهوديان لم يشتهرا بشيء سوى القضاء التجارية ودعوى الإفلاس ، وهذا الذي جعلني أعتقد أن رامسكي يهودى ، وأن اليهود في جنيف هم الذين اكتتبوا فيما بينهم بأنساب هذين المدرهين الذين لم يحنثا القطاع في قضايا القتل — غير أنني كنت مدفوعاً بصداقتي وحبي وإعجابي ، وذكريات للشباب والألم — أكثر من المواقف الفنية ، فلم تكن معلوماتي القانونية تزيد عن معلومات الطالب الحديث المهد بالخروج من الكلية ينقصى التدريب وتنقصى الحنكة ، وسهارة الاختيار في الحياة ... قدّمت لقاضي التحقيق عريضة تقتضى استيفاء بعض نقاط التحقيق ، وقد استهلها قائلاً : « إن حادثة القتل التي وقعت في جنيف ، مرة ١٩ شارع فيوجيراندييه ، ليست من السهولة كما يبدو للأنظر السطحي للتسرع ، ليست من تلك الجرائم العادية التي تقود إلى السلاسل والأغلال ، وتسوق الجاني إلى الاشتغال بألبسة الجرم ، وسترة القتال ، بل إن في مصرع والوفسكى التسوب إلى صديقه رامسكي لمنصراً رهيباً أدهب وأغرب بما يظن الباحث السطحي أو الرقيب للسمتير » وكأني بهذه المقدمة لمريضتي قد قمت أثقاً جديداً لقاضي التحقيق موسيو بوا تليفان ، ذلك الناحص للدق الرعب ، الذي لم يطبق قواعد الرحمة يوماً على أحد ممن أوقفهم سوء الظالم في غيابه . وكانت تلك العريضة مقدمه لاعتراف رامسكى الذي قال للقاضي :

« إن الرجل الذي قتله أى ديمتري والوفسكى ، كان رفيق في المدرسة وقرينى في الجندي ، وابن

بولفاردى مائى ، فأذعن ... وكانت تأمه ، كما ترأى الأم وليدها ، وتطلف عليه وتهتم له ، وتريد أن يمجده زوجة تكون برداً على روحه الحزينة الوحيدة وسلاماً ، بل إن رامسكى كتب يقول لها : « لا أكذبك حاجتي ، أنا لا أريد إلا امرأة » .. من كان يظن ؟ هل سلا رامسكى فأنثته زيناً وهي على قيد مليون منه ؟ أم أن الفقر واليأس قطعاً نياط قلبه وعوا ذكريات الحب والشفقة من صفحة ذهنه المشتملة بنار الألم ؟

يبد أن الآنسة منسكا وجدت من سمحت فيها الخير لهذا اللقن الثريب الألوار ، وهى الآنسة جوزال ديريه واللودة من أم روسية لواء سويسرى ، وكانت حسناء فأنثت لم نجر العشرين ، فأوقع بصرامسكى عليها ، حتى يوم كل من رآه أنها نزلت في حبة فؤاده وأنه راح في جالها صباً ملهماً . ومضى شهر فسألها الزواج ، ولكنها قالت ذلك بالرفض ، فظل مع ذلك في قربها شهرين آخرين . ولكن لم يلبث أن تقاطعا وتهاجرا بئسة ، ولا يعرف أحقق الناس ماذا يجري وراء الستار ، لأن جوزال نفسها والآنسة منسكا سكنتا عن ذلك ، ولم تشر لأحد أسرار هذه اللامسة الغريبة بالفرن والصخرية . ولم يخسر رامسكى هذه الرفقة الحسنة التي أراد أن يظفر منها بالزوج الخلسة المطوف ، بل خسر من أجلها صداقة أستاذة كريستانوف لأنه اتهمه بالخيانة وارتكب في سلوكه مع جوزال

وفي يوم من الأيام اختفى رامسكى فجأة من مقره ، وعلنا بئسة أنه قتل كرافسكى صديقة القديم وزوج زيننا الجميلة . وكنت قد تخرجت عامياً ،

من دعة هذا الارتباط الرقي ، فاحترمت أوتيتها ووحشيتها، وترك لها فراشي ونمت على مقعد عتيق في دورة المياه . فلما رأت عفتي واحترأي لها أكبرتي ، فسألته عن نيتها في العودة إلى دار صاحبها فأقسمت بأنها لن تعود إليه ، فأنهزت هذه الفرصة فسألها يدعها على نفس طريقة عشرتها لرا كوفسكي ، فأعرضت عني وجعلت حرارة الرفض نصيبي ... ثم تحكت تحكما طويلا ماليا وأنا الرجل القوي المنيد الذي لم يسكب عبرة واحدة ، ولا ذوقت يوما دمة متحذرة ، ولم أعرف العرب ولا الخوف ، وقفت أمامها مرثجفا مرثدا ... ولكنها علمت بمدى ضخمتها فاعتذرت قائلة — أوسل إليك أن نضع — فأقسمت أنا ، ولو استطعت الآن أن أصبح من نحكها ، فما أنا بمستطيع أن أسفع نفسي من تلك الالبسامة . إنك يا سيدى القاضى لم تجد أى باعث على ارتكاب الجريمة فهل تجد اليوم باعثا ؟ هل تزعم أنه النيرة ؟ إن النيرة من شأن الطبيعة الحادة ، والزواج المستعر الناري ، وليست من شأن رجل هادئ الزواج رصين العقل ، إرد الماطنة كشأى . إذن فهل يكون الباعث هو الانتقام ؟ هذا أقرب إلى الحق وإن كانت إلا كلمة قديمة لا حساس جديد وشعور غريب مجهول . لا بد لي أن أقول أن زينا خيبت أملى وفضحتى أمام نفسى مرة أخرى ، كنت أعتقد أنها جودتها إلى بيت ديمتري را كوفسكي — بطل مؤامرة تمار كوي سيلو — لن تجد الهناء ساعة واحدة ، وأنها سقندم على رفضها مطلبي . ولهذا السبب اجتهدت في تعجيل صلحها . ولأننى أنني لم أحاول السلو على سعادة أسرة ، فلما لم تكن قد رزقت منه ينسل . ولكن ديمتري قد راح بها صبا ، فأبى فرق بين سب وسب مادام الأمر خاليا

فريقى ، وإن كانت وجهة درسى غير وجهته ، فهو رياضى وأنا موسيقار . ومحال أن يقال غي أنى كنت أبغضه ، لأنه كان في نظرى بطلا ، وكيف لا يكون بطلا وهو اللهم في مؤامرة تشار كوي سيلو التي قضت على حياة دى ویت أحد أبطال تامبلهوف ؟ لقد قيل لي من أقرب الناس إليه أنه متقلب في آرائه وعواطفه ومشاعره ، وإنه شديد التطرف في أفكاره التحولة الثيرة ، فكانت زوجته وأسدقوه يتبرونه تارة طفلا وتارة امرأة ، ولكنهم كانوا في الوقت نفسه مجبونه وينفرون له هناءه وهفواته

وكان را كوفسكي يوم مقتله في الواحدة والثلاثين من عمره ، وكان متزوجا من هذه السيدة زينايد التي ادعوها توددا — زينا — وإذ كنت رأيتها يا حضرة القاضى وهي أرملة عزوثة لما أنت بقادر على أن تعلم كيف كانت قبل القتل . إنها فقدت كثيرا . هذه وجنتها قد ذلت ، وهذا خدعها الأسيل قد أعظم ، وبشرتها الناعمة قد ظهر فيها التضدد والنضون ، وعينها لا تشرق ولا تبرق كما كانت بالأسس ، ولم تعد تضحك ، وكانت أبدا مومضة ضاحكة . وقد رأيتها عرسا في « ساحة الخطى المفقودة »^(١) فكلمت أسمن لتغير الذي طرأ عليها . إنها لم تستطع أن ترمقي إلا بلحظة ساخطة متوحشة . واهأ للسكينة !

لقد غضبت زينا يوما على زوجها البطل ، بطل مؤامرة تمار كوي سيلو ، وفرت من بيته والتجأت إلى غرفتى الحقيبة شارع كاروج ، وكنت أعلم أن زواجهما ارتباط عرقى لا عقد شرعى ، وأنا نفسي

(١) ساحة الخطى المفقودة Pas Perdue فناء المحكمة لأن الناس يروحون ويمشون في انتظار مجالس القضاء لعل هنا أمل التسوية والله أعلم

في قتل زوجها ، وقد ألفت هذه الفكرة حتى
لكنها ولدت مي . ولكني أردت أن تعلم زينا
أنني أنا الذي قتلت زوجها وأريد أيضاً أن أعجب
عقوبة القانون ، وإن كان عقابي لن يفي زينا عن
نكبتها شيئاً . وقد زرتها للمرة الأخيرة وكان ذلك
قبل المشاء ، ومضيت نحوض في حديث عادي
وكنت أتكلم بدقة وإيجاز ، وجلت حتى تستقر
على عقرب الساعة وقد عزمتم على أني إذ نطق
الساعة يجب أن أكون قائلاً . حتى إذا بقي على
الليد سبع دقائق نهض ديمتري عن الشكاً متاثلاً
متبلاً وغادر الحجرة وهو يقول : سأعود بعد هنية .
وهنا أخلفت زينا وترس وتنايل حتى أوشكت أن
تقع كأنها صمقتها تلك القوة للتوحشة المفترسة
الرعبة التي كانت تطل من عيني ؛ ثم وثبت إلى جانب
زوجها وكأني في تلك الآونة قد رجعت وتحت
(ديمتري ديمتري ... إنه ...) فقال : ما ذا تريدني ؟
قلت في صوت خشن خفيف إنها تعتقد أنني أريد
أن أقتلك بهذا التمثال النحاسي . ورحلت أرفع
في سكوت وخفة وصمت ، التمثال تقدمت رويداً
نحو ديمتري فشنخض في بصره مصغراً مذهولاً
مبهوتاً وهو يكرر هذه الكلمات : « هي تعتقد »
ورفعت ذراعي في رفق وأنا أشير بالتمثال وألوح ،
ويبدأ ديمتري في مثل رفق يرفع ذراعه وعينه لم
تتأدرا وجعي فصحت به في غلظة أن قف ! وعند
ذلك تراخت ذراعه وبقيت عينا مستقرتين علي ،
وبدت على شفثتي إنسامة ضئيلة وصرخت
زينا صراخاً مرعباً مرعباً ، ولكن الوقت قد أزف
فأهويت على رأس صاحي أضربه فوق جبهته وقد
أنبأت الطبيب أن جمجمة التمثال مفتحة مهددة ، مع
أنني ضربت ديمتري ثلاث ضربات ليس غير واحدة

من القدرة والمقد الشرحي في الحالتين ؟ ألا تراه
أكثر جلالاً وشباباً وأقدر على فهمها وإدراك
عواطفها ؟ غاية ما في الأمر ، لعلها لم تجدني مطواعة
أخروفاً كالأخر . فهي لم ترفضني لأنها تبغضني ،
بل لأنها لا تستطيع أن تركبني بشير سرج ولا لجام
كما ركبت الآخر . فلما كنت في جنيث في للمرة
الأخيرة وكنت زائراً بريئاً لا أفكر في شيء من
الماضي ، وذلك قبل مقته بشهر جهي قائلاً : « إنني
مدين لك بهذه السعادة ! ثم التفت إلى زوجته
وسألها : أليس كذلك يا زوجتي العزيزة ؟ وما أكثر
التعجب المتحلفين من شرائط الزواج الشرعي إلى هذا
الوصف ، كأنهم يطمثون به إلى تسوية مع كرم
أمام أنفسهم . ما أعظم أثر التقاليد في العقل البشري
حتى لدى الذين نحرروا منها أو زعموا ذلك ...
فظنرت إليه ثم تحت (نم) وخنكت عيناها
فضحككت ، وضحكتنا جميعاً وديمتري يضمها إلى صدره ،
وكأننا يستحيين من شيء أممي . ثم قال ديمتري
نم ! لك يا صديقي قد خسرت الصيد الذي كنت
تنبئ بمد أن أحكت نفسك !

هذه النكتة الباردة المؤلة الثقيلة قصرت من
حياته أسبوعاً كاملاً . كنت أري وجهها للبسم
وعيناها الباهر للشرق الناعم فكنت أقول لنفسني :
أما سبب كل هذا ؟ أردت أن أرسفها في أغلال
زوج مغفل بمد أن أظننت من قيوده ، لكي ترى
بنفسها مبلغ خسارتها يوم رفضني فإذا بي أراي قد
أعدتها إلى الرجل الذي أحببت . لقد بدا لي موقتي
غريباً ، كانت زينا بحب حديثي ومنازلي فإذا انتهينا
من الحديث والنزل تركتني في رفق مبهجة إلى
ذراعي ذلك الوغد ديمتري يطل مؤامرة تسار كوي
شيلو ! فأردت أن أنزل زينا المذاب والألم ففكرت

لقد كان كريستوف الموسيقار التانيغ أول أساتذ رامسكى، لا زال مقباً في جنيف. ولكنه تحول عن يته الأول بجوار معهد الموسيقى، إل بيت جديد في خط سان جورج، قصصت إليه وشرحت له كل مواقع لصاحي، فأرسلت إلى قصاصات من جورنال دى جنيف و« تريون » وغيرها بعض أخبار تلميذه القديم وقال لى: « لو أسلم هذا الأحمق حنجرته وأذنيه لى، لكان الآن من كواكب اسكالات ميلانو وأوبراهاوس في نيويورك، ولكن ذكوره كانت أقوى من ميوله إلى الشهرة، وعلى كل حال فإن الذكورة اليقظة دليل على المواهب وأرى نظرى فيه لم يجب ... ولكن يا سيدى لم أعلم بعد سبب تشرفى بزيارتك »

قلت: أن قنع مدام راكوفسكى بالزواج من صديقنا الذى يكاد يجن حباً بها قال: أه زينا؟ ولكن ألا تعلم أن هذا الجنون رامسكى كان اتهمى بمنازاة خطيبته الأولى التى كانت عرفت إليها الأنسة منمكا البولونية... وكانت تدعى الأنسة جوزال دبريه

— إنه غيور فظيع. وحسنًا فعل المهر بالتفريق بينهما، فقد كانت البنت تتفن الفناء من طبقة سورانو، ولو وقت لى لجلبها تنق ساليويه وتوسكالوسى دي لامرود... والجمع بين نوايع الموسيقى من رابع المستحيلات

وكان الأستاذ كريستوف قد ليس مطففة وتناول قيمته وعصاه، واستقلنا سيارة الفخمة التى أهلهاها إليه راجا كوترا لا بد أن علم عنيته (ممتاز ييجوم) أسرار الفناء الإفرنجى. وبسد دقائق مملودة كنا فى اللحظة التى أمدت إحدى غرورها فى شيان دى لاروزريه فى شاميل ترميض الماشق

إذ كان واقفاً، واثنين وهو مطروح على أرض الترفة. لقد كانت الفتيات الثلاث شديدة فاسية ولكنها ثلاث لا تريد»

لقد كان حلماً مروعاً، اتقل فى طرفة عين من عالم الخيال، إلى الحقيقة، وتنتظر القضاء بين السلم إلى رامسكى، وخشوا أن يوقسوا به المقاب الذى يستحقه القتلة، لثلا يكون ممدوم المسؤولية فيقوسوا فى جهالة تفسد شهرة المدل. لقد وجد ديمرى راكوفسكى مقتولاً حقاً، ولكن زينا زوجته وهى شاهدة الرؤية الوحيدة قالت إنه سقط من أعلى الهرج فجرح رأسه بمحدي البرزين ثم اسلم فى حجر السلم، ولم يكن رامسكى حاضراً، ولكنه عند ما علم بمصرع صاحبه توم أنه قاتله، وهباً له الخيال رسم هذه الصورة. وهذا الاعتراف الطويل البليغ ليس إلا وليد تلك المقولة المليئة. وقد نعلمها وهو متوهم أنه يدخل السرور على نفس القاضى باتفاقان، الذى بدأ باستجواب الشهود بعد اعتراف التهم فكذبوه جميعاً وفى مقسمتهم الأرملة المحزونة زينا. وقال الدكتور دى: « إن فرحه بخلاص المرأة التى كان يحبها من ربة الزواج السابق، وتأكده أنها سوف تكون له بلا مزاحم، أذهب عقله بئس. هذا نوع من الجنون المؤقت المارض ويؤزل حتماً إن اطمان المريض إلى نتيجة الحادث الذى ألقده سواه » ولا يكون الاطمئنان المذكور إلا بزواجه زينا ولو زواجاً من ذلك النوع الذى يتم فيه التفاهم بالاتفاق العرق، ما دامت هي لم تكن تعرف سواه. ولكن من ذا الذى يشفع عند أرملة محزونة لم يمس على فقد بلها بمحدث مروح سوى بضمة أليم بحجة الحب الذى ملك على العرس ليه وأفنده سواه حتى نجبل أنه قاتل الزوج المالك

في أقل حاجة إلى عنايتك . أما الآن فهو في حال
من تأمل الله وتاملت الملة تدعو إلى بروز رحمتك
من خسر السكند والحزن على زوجك الراحل لتتجلى
نحل الجبال والجبال بالإحسان إلى هذا الليل
للهموف « فاعزوق عين زينا بالهموع وسأت :
— أين هو الآن ؟ فأشار إليها كريستوف
بالاستعداد لاتباعه . فلما بلغنا المسجة حيث كان
الدكتور إدوار كلايريد يدرس حالته النفسية ليمنى
بصحة على أساس على ووقع نظرا عليه وجدناه
شاحب اللون خفيا عريبا ، وكان جبينه فارقا في
لثة من المرق البارد . فلما أخذ بصره بحبوته
للرجوة تحك وفتح ذراعيه وقال لها : تعالى قلبيني .
فضحكت زينا ضحكة بلهاء وظلت جامعة في مكانها ،
فقال رامسكي : تعالى ! فارتجفت ، ثم احمر وجهها
وبدت في عينيها أمارات العطف وأقبل نحوه ،
فأثارت على الخوان في مظهر الدليل الخاضع التوسل
ثم أقلت بنفسها بين ذراعيه وهي تبكي بكاء الفرح
فنظر كريستوف إلينا وقال : لم يعد لنا مكان
هنا ، فقد اتصل العاشقان ، ولم يعد للشباب مكان
في هذه المسجة فقد غنى وفاة زوج المرأة التي كان
يحبها ...

وبعد ربيع ساعة خرجت من نجرة ٢٤ شيان
دي لاوزره بجي شاميل سيارتان تيران يطه ؟
الأولى قل راسكي وخطيتي التي لم يمض على رملها
عشرة أيام، وفي الثانية الأستاذ كريستوف الوسيطار
أستاذ راسكي وطيبه التي تمهد بإعداده لفناء
فاوست ولوهنجرن بدستة أشهر، وقد برّ بوعده .
هكنا الحياة ... وهكنا الحياة ...

محمد الطفي محمد

الفتون ... وما أن وقت عين كريستوف على
وامسكى حتى صرخ قائلاً: « لا لا لا لا لا رارا
رى دى مو ا سالو مون ديرنيه ماكن » فرغ
المعوم للجب والتناء صغيرة تلك الأثوداة الخفيفة
التنوعة من إحدى أوبرات فاجير يردّد أطفالها
والحائبا وأنتمها كأنه مجموعة من البلابل تنفرد في
دوحة في أحلى أوّل الربيع

وكانت زينبا لاتزال تقطن البيت الذي قضى فيه زوجها نحيبه ، فزارها الأستاذ وعزاها واستدرجها حتى روت له خبر راسكي وكيف أنه يهتم نفسه بإطلاق بقتل زوجها ، لأنه كان يحبها ويطعم في الاقتران بها ، فلما أخفق في أمه اختل ميزان عقله ، فأشفق كريستوف على هذا النصف الضعيف ، ولما مضى ساعة على افتراقها ، وسأل زينبا عن سبب إعراسها عنه فقالت : لقد كنت سميعة السادة كلها . وأما ديمتري (أى اللحوم بلها) فلم يكن حبه لى فى أشجار قلبه ، لأنه كان ينجس عن أى حب عميق (فتنفس كريستوف تقافلاً لأن بداية ذكر مساوى الزوج للتوفى نذل على نهاية طيبة لصالح الماشق الذى على قيد الحياة) وكان القتل ملهاته يؤثره على منام البيت ومباحج الزواج ، ولكننى لم أكن أحب سواه ، لأنه كان أبداً متوكل الصحة يفتابه الصلع وينهكه الأرق . وكنت أرى فى ترميضه والسنابة برغابة أعظم السادة وأكبر التهمة وهذا النصف الثانى من حاجتى للأومة

فقال كريستوف : أى نعم ! المرأة يوم تحب تفقد شخصيتها والحمد لله ، لقد عوضك يازنار أيضاً بمرض وعلايل بليلى الملك لم تنطق على راسكى لأنه كان قوياً صحيح البدن مافى ... فلا تجدته

تريد أن تخلص من المهمة التي عهدنا
بها إليك ؟ « فصببت الصمغ
من عيني الصغير وقال : « كلا .
كلا ، ولكنني آسف يا جلالة
الشاه على فراقكم »

سر الشاه من هذا الجواب
وقال : « أحق هذا ؟ إنه ليرثيني
منك أن تذهب إلى حيث وجهتك

حاجي بابا في الحكمة

تأليف جيمز موير
بترجمة الأستاذ عبد اللطيف الشار

الفصل الخامس

السفير رحل حاجي بابا بإفرامه

فتبعض وجعي في بلاد الفرنجة
قال السفير : « إن شاء الله ! وردد الوزراء
الثلاثة هذا الدعاء » ثم ابتسم الشاه وقال : « إنك
ستعرض في أثناء السفر لأخطار البحر وستعرض
في أثناء الإقامة لمناشرة غير أبناء دينك . ولكنك
سترى العجائب والثرائب من المبادئ والأخلاق .
وسترى كل ما يحظر بياك وأنت مقيم في فارس »
فقال ميرزا فيروز : « أظال الله عمر مولانا
الشاه ولا قصر ظله . إنني أقل من التراب . وكل
ما أتمنى أن يبعض وجعي في تلك البلاد لترضوا
جلالتكم عني ، ولي قبل السفر أمنية أضعا على أعتاب
عروشكم — ثم سكت منتظرا أجواب الشاه . فقال
الشاه بعد فترة : « قل ! »

قال فيروز خان : « إنني أظال الله عمرك
سأعرض للموت في البحار المتأطحة الأمواج بين
مملكك للسيدة وبين الفرنجستان . وخطر البحر
لا يذكره فارس إلا وقلبه يرتجف . وأمنيتي أنه
عند سفرى يكون أهل منزلى وابني الصغير موضع
عطفكم ورعايتكم وقد بسطت هذه الأمنية وجلالتكم
الرأى فيها »

فقال الشاه : « أقسم برأس الشاه أن أحقق

أخذنا غير الخطاين التقديمين خطابات أخرى
من وزرائنا إلى وزراء الفرنجستان . ولم يبق علينا
قبل السفر إلا أن نستأذن الشاه فاستعرضنا للتجعين
في الساعة المباركة التي يكون فيها سفرنا ، فاختاروا
اليوم الذي مات في مثله عمر ابن الخطاب لأتينا نحن
الشيعة تترك بهذا اليوم

وقبل ذلك الموعد يوم استأذنا الشاه . ودعا
الشاه السفير الإنكليزي وكان جلالته جالسا على
عرش مرصع بالجواهر ، كذلك كان البساط والوسادة
التي يتكى عليها ، وكان رئيس الوزارة ووزير
المالية ووزير الخارجية واقفين على سلم العرش عندما
دخل « ميرزا فيروز » ودخلت من ورائه . فاستدعى
الشاه أولنا وتركت واقفا بالباب

وقد رأى « فيروز خان » أن واجب اللياقة
في هذا اليوم يقضى بأن يتصنع هيئة الحزين . وجنا
أمام العرش بحالة تدل على أنه محرم يطلب الغوا أكثر
من دلالتها على أنه سفير عين ليعزل الشاه
قال الشاه : « لسانا يبدو عليك الحزن ؟ هل

بالأحجار الكريمة . ونحت هذه الصورة آيات من الشعر نظمها شاعر الدولة « عسكرخان » وقال إن هذه الصورة مرسومة على امرأة حتى إذا ما نظر إليها شاه الانكيز رأى وجهه بجانب وجه الشاه الفارسي . وقال إن هذا الخاطر البديع من مقترحات عسكرخان . وإليه قال لتوثيق السلاق بين المسلمين ودولتهما

ثم أخرج الصورة التي تقدم ذكرها من تحت الوسادة . وأمر بإحضار عسكرخان ليقرأ الآيات أمام السفير فحضر وأنتسدها انشاداً جميلاً كمال الخط الذي كتبت به . وهذا معنى الآيات :

« انهي أيتها الصورة المحسودة مزداة برسم ملك ، فأنا ما وصلت الملك الآخر صرت مزداة برسم ملكين . وكما برسم عليك رأسان متوجان فكذلك سترسم على امرأة المحبة دولتان صديقتان ، وسيكون صديق كل دولة منهما صديقاً للدولة الأخرى والدمو عدوها جميعاً

« انهي أيتها المرأة المحسودة واجبي على صفحتك الصافية بين الأخوين »

دعش الجميع من جمال هذا الشعر ومن اقتنان قائله . وأكد السفير الانكيزي للشاه أن الملك « جورج الثالث » سيسر كل السرور بهذه الصورة وبالآيات

كنت في أثناء هذه اللذة الطويلة واقفاً عند الباب لا أجرؤ على البخل ولا يدعوني أحد ، فلما كاد المجلس أن ينتهي وأمر الشاه « فيروزخان » بالانصراف أشار إليّ بأن أقدم فقدمت وقبلت الأرض ، ودعوت لجلالته بطول الحياة فأمرني بالوقوف وقال لي : « كن دائم اليقظة وتسل الأشياء

هذه الأمية . ضع رأسك على وسادة الثقة لأنه مهما يحدث لك فأنك عندي بمكافة ابني . وقد عينته منذ اليوم بوظيفة في القصر على الرغم من صغر سنه . وسيتلقى العلم مع آبائي على أن يتسلم فيما بعد مقاليد عمله . وأجريت منذ اليوم رزقاً على أهل منزلك فكن مطمئناً »

عند ذلك جثا « فيروزخان » مرة أخرى حتى لس الأرض بيمينه وهتف الوزراء الثلاثة : « ماشاء الله ! ماشاء الله !

وهنا حضر السفير الانكيزي ومعه شاب من أبناء جنسه وهو الذي عين مترجماً للسفارة الفارسية في لندرا وجعل « مهنداراً »

أذن لها الشاه في المجلس فأنحيا ثم جلسا . وقال الشاه : « هذا اليوم سعيد الغفال على الدولتين يا جناب السفير . وإلى لأرجو أن يؤدي تعيين السفير الفارسي عندكم إلى الزيادة في حسن التفاهم » فأنحى السفير الانكيزي صرته وقال إنه يتمنى دوام الملاقاة الحسنة بين دولته وبين إيران . فقال الشاه : « أرجو أن ينال سفيرى الخطوة في دولتكم وأرجو إبلاغ حكومتكم أنه سائر تفتي وإني إظهاراً لهذه الثقة أدخل عليه هذا البرد »

ثم خلع الشاه برده وأعطاه فيروزخان فلبسه وقبل الأرض . وهناك الوزراء على هذا الشرف الرفع ، ثم سأل الشاه السفير الانكيزي هل هو راض عن الهدايا التي ستوصل إلى ملكه ؟ فأجلب السفير على ذلك بكلمات لطيفة وقال إنه لا ينقص هذه الهدايا إلا صورة الشاه في إطار جميل

عد الشاه هذا الجواب بديعاً ، وقال إنه كان ينتري ذلك وإن صورته لهي الآن في إطار مرصع

فراق فارس هو السفير نفسه لكثرة من ترك من
الباكين على يده ، وم البيد والجواري وزوجته
وابنه وأصدقائه

وكانت بلاد الفرنجستان في نظر الفارسيين بلاداً
تكد تكون خيالية لا وجود لها إلا في القصص .
سواء أكانت حقيقية أم خيالية فإنها في نظرها بلاد
محمقة لأن أهلها يأكلون لحم الخنزير

ولقد اشتهر عن شهرة لا أعرف سببها ، أنني
لم بأخلاق الأوربيين وعاداتهم ، ولعل منشأ هذه
الشهرة أنني كنت وضعت تقريراً عن أوروبا وقدمته
للشاه مستعيناً على وضحه برجل تركي كان موظفاً
بالأساتذة

وكان أعضاء السفارة يسألوني : هل في البلاد
التي سنذهب إليها طعام غير لحم الخنزير أو شراب
غير الخمر ؟ وأخذ أمين المشتريات مقداراً عظيماً من
الأرز خشية ألا يوجد شيء منه في تلك البلاد كما
أخذ عدة زجاجات من شراب شيراز ، وأخذ حلاقنا
يسأله : هل في انكلترا صالون ؟ وتساءل الطباخ :
في أي نوع من الأواني ينضج الأوربيون طعامهم ؟
ولا يفتوني هنا أن أذكر أن للترجمة الانكليزية
أرسل لحيته وشاربيه منذ أن انضم إلينا . وكان
أغلب ثلثنا من قبل ذلك أن الترجمة خفوا وليس

في وجوههم متابت للشمع كأنهم بعض نساءنا
وكنتم منذ عودتي من (أصفهان) أفكر في
الوسيلة التي أعمل بها «فيروز خان» بعد أن وثقت
أنه يسيء الظن بي ومحسبي سأحبس عليه لرئيس
الوزارة الذي اخضعني دونه بمهمة جمع الهدايا والذي
هو عدو له لا يتكلم المدا

رأيت أمام ذلك أن أسلك مع السفير مسلكاً

لنأفاه لنا .. تعلم أكثر ما تستطيع تعلمه من اللغات
الفرنجستانية لترجم بعض كتبهم فإننا ضلت ذلك
كنت مستحقاً عنايتنا الشاهانية

قلت : « على العين والرأس كل ما تأمرون به
يا صاحب الجلالة »

ثم تهممت وخرجت مع فيروز خان . وكان
أول مكان ذهبت إليه قبر حبيبي « زينب » فدفنت
عند ذلك القبر مائة « طومان »^(١) للفقير
مستجاب الدعوة يمجدها في وقت من الأوقات
فيعدو لصاحبة القبر بالرحمة

الفصل السادس

أعضاء السفارة

كانت السفارة الفارسية في لوندرا مكونة من :
ميرزا فيروز خان (سفيراً) . ميرزا حاجي بابا بك
(سكرتيراً) . محمد بك (تشريفاتي) . إسماعيل بك
(أمين مشتريات) . أنا بك (رئيس الكاتب) .
هاتم بك (رئيس الخدعة) . عباس بك (ياور) .
حسين بك (ياور) . تقي الدين (فراش) . صادق
(سايس) . فريدون (حلاق) . حسن (طباخ) .
محبوب (رفيق وأمين صندوق) . سيد (حاجب
السفير)

وفضلاً عن هؤلاء فقد كان معنا عدد كبير
من خدم الاصطبل . وكان معنا أيضاً هذا للترجم
الانكليزي الذي لقبناه بمجتمدار السفارة ؛ وكان
قليل الإلمام باللغة الفارسية حتى لا يكاد يقوم بواجب
الترجمة قياماً صحيحاً

ولقد كنت أقل الأعضاء أسفاً على فراق فارس
لأنه ليس لي قريب فيها ، وكان أكثرنا حزناً على

سيد كرى بد أن أغيب عن بلادي؟ وهل سيمتنع رئيس الوزراء عن دس السائس وإثارة الوشائيات؟
قلت: «إن كل ما تظنون هو الصواب، وإن كل كلمة تقولونها هي الحق، وإن اشتهاركم بذلك هو الذي جعل الشاه يختاركم للسفارة. وأنت تعرف الوزراء والأعيان قتل لي بالله من فيهم يصلح لتمثيل الشاه أمام الملوك الأجانب غيرك؟»

إن الذي أعتقد أن الشاه قد اختارك من تلقاء نفسه بغير تأثير أو اتباع مشورة لما يعرفه عنك. وإلا قتل لي إذا هلم يخترك فأني إنسان كان يختار؟
قال فيروز خان: «لا أحد يا حاجي إلا... لا أحد يصلح لها غيري! لقد صدقت»

وقال التشريفاني: «ما شاء الله! من مثل مولانا فيروز خان في صفاته؟ إنه أذكى الأذكياء وأفصح الفصحاء»

وقلت: «نعم! نعم! لقد اختاره الشاه من أجل ذلك، وإنا كنا جميعاً نعرفه قالشاه لا يجهله، ولذلك كان اختياره في موشه»

وقال التشريفاني: «إن جلالته ثاقب النظر صائب الرأي». وقلت: «ليس مولانا فيروز خان نظير في العالم كله». وقال التشريفاني: «أنظر إلى شخصه! ما شاء الله! إنه أجل الشباب وأقوى الرجال فهو الذي يمثل الشاه وليس أي إنسان سوله يصلح لتمثيله»

وفي أثناء ذلك كان ميرزا فيروز خان يصني إلينا وغضبه يتحول إلى سرور. والتفت إلينا بوجه مهمل بشراً وقال: «الحمد لله على هذا للنسب فإن الذي قلتموه أعجبني وقد رأيته صدقاً»

حسناً لكي نزيل من ذهنه هذه المخاوف، وكنت أعرف الجانب الضعيف من نفسه، فعمل ذلك أمر إرضائه علي، فإن تجاربي السابقة دلتني على أن التفاف هو أحسن الوسائل لاستحلاب ود الإيرانيين، فإذا ما استطاع أي إنسان أن ينطق بالكلمات الملسوة فلن يصعب عليه اعتياد أي إيراني من لحيته

ولأجل أن أتمكن في كل فرصة من مناقشته التزمت أن أسأره في كل طريق ولا أعرك إلا وفق حركته، ولا أسير حتى يأمرني بالسير، ولا أذهب إلا حيث يوجهني، وأن أواقفه على كل رأي وأطربه عند كل مناسبة. وقد كان يحسب نفسه خطيباً مغوياً ويفتخر في كل مكان بأنه إنما ندب سفيراً لفصاحته وذلاقة لسانه وقوة جنته. وهو يعلم وكل الدين حوله يعلمون أن رئيس الوزارة إنما يث به للسفارة ليستريح الناس من ذلك اللسان

لكنني آليت على إرضائه فصرت أفصح له طريق القول بكثرة الاستفهام وحسن الاستماع. وكان كثيراً ما يجره الكلام إلى الاندفاع في التعبير عن ضغائنه والتهور في وصف خصومه. وكان في هذه الحالات يترك الحذر فيتكلم أمام الخدم والأتباع بكل ما يروقه، وقبل سفرنا بساعات فاذل ذكر اسم رئيس الوزارة فقال: «أرجو الله أن يحرق عظام أبيه في قبره! أرجو الله أن تتزوج أمه من حمار مثل أبيه! أدعوه تعالى أن يسلط عليه مائة كلب تمزق لحمه وتنهب عظامه! إن شاء الله سأتمكن من الأخذ بشاري فأته السبب في بئس عن أهلي ونبي من هذه البلاد»

ثم نظر إلي وقال: «أنت يا حاجي يا رجل عرف الدنيا وخبر أهلها فهل تظن أن الشاه

الفصل السابع

لا أشرب للماء حتى تصير أذنه في جيبي . فاطمتموا
إلى ذلك بأفندي »

قال الأفندي التركي : « إن مولاي الحاكم
يهدي إليكم صباحاً شرباً ويبلغكم أن هذه القوة
غير مسموح بها في هذا البلد » فاحتد السفير وقال :
« ما هو غير المسموح به ؟ ما هو ؟ ما هو ؟ ألا أطلع
أذنيه ؟ أنت لا تعرف ميرزا فيروز . أقسم برأس
النبي وبالحيز الذي أكلته عند الشاه وأقسم بروح
الباشا وبغيرك أيها الأفندي ، وأقسم برأس علي
أيضاً ألا أذوق الماء حتى تكون أذنا صادق في
جيبي . إنا نارسبون ولا بردنا عما نريده كلمة من
الباشا »

قال الترك ولم يهتم أقل اهتمام بمحنة السفير
وانغمس : « ولكن الباشا ذا الثلاثة الأذنان أمرني
أن أبلغك بأنه لا يسمح لأحد بقطع أذان الناس في
بلده » فصاح السفير الفارسي كالجنون : « ثلاثة
أذنان ! هل يهدني بأذناه الثلاثة ؟ قل له إن
أذنان خمسة عشر ! قل له إنها سبعون ! قل له إن
لي ألف ذنب ! وما دامت أذناه قد دخلت في الموضوع
فإن أذن صادق ستقطع — ستقطع — ستقطع »
ثم نادى بالفراش أن يأتي في الحال بأذن صادق
ولمعه ولمن سائر أعضاء السفارة . ثم التفت إلى
الوظف التركي وقال وهو يتكلف العقل : « أبلغ
الباشا بحياتي وقل له إن كان له ذنب واحد قل
خمس عشر »

عند ذلك وقف الترك وانحنى ثم خرج وهو
يقول : « لا إله إلا الله ! » وصر في الرعدة بالفراش
عائداً وفي يده طبق به أذنان يسيل الدم منهما ، ففهم
أتهما أذنا صادق

سافراً من طهران ، فلما وصلنا إلى تبريز أقفنا بها
بضعة أيام جئنا في خلالها هدايا أخرى . ثم سافرنا
إلى بلاد الأرمن وهي بلاد جرداء قاحلة قامت منسها
على سفوح جبال مكللة قمها بالثلوج . ثم تجاوزناها
إلى بلاد الكرد فأرصرهم . وهذه بلاد قابعة للترك
يحكمها باشا يقبض نفسه - للإرهاب - يقبض الباشا
ذي الثلاثة الأذنان . وقد زارنا وأكرمنا وقدم السفير
هدية مثل هديته . لكنه حدث في اليوم التالي
حدث أوجد سوء التفاهم بين السفير وبين الباشا .
وذلك لأن السائس صادق تخلف عنا بنير إذن ، ثم
اتضح أنه ذهب إلى بلاد الأرمن لترض من
الأغراض فغضب السفير وأقسم أن يقطع أذنيه

ولما دسجته أعضاء السفارة حتى ينفذ السفير
حكمه فيه . ولكن الباشا الترك علم بالأمر ، ورأى
أنه ليس من حق أحد غيره أن ينفذ الأحكام في
هذه المدينة ، فأرسل أحملوظيه لإقناع فيروزخان
بالمدول من عزيمه حتى يتأخر الأراضي التركية

كان السفير محاطاً بأتباعه عندما جاء اللوظف
التركي ، وكلف السفير لا يزال في حمة التفتب
والسكايت القاسية تتدفق من شفقيه ، غياه اللوظف
بالسلام ثم جلس أمامه باحترام

قال السفير : « لماذا جئت ، وماذا تريد ؟ »
فاستغرب التركي لمجة السؤال وقال : « لا شيء ! »
قال السفير : « هل علمت ماذا فعله هذا الكلب ؟ »
لقد غلب بشير إذني ليرتكب للنسكات في بلاد
الأرمن . إني لن أترك هذا الذنب بشير عقاب .
إني لا أترك الحميز دون أن أؤدبها ، وقد سلفت

وقال إنه يسمع الموسيقى الفارسية فيخال أن المهر يتساقط

فأجابه سفيرنا عسداً : « وأنا أسمع الموسيقى التركية فأخال أن المهر تنهى »

الفصل الثامن

الشركية

كان بمن زارونا أيضاً مدة وجودنا في الآستانة ووزراء الخارجية وكبار الموظفين في تلك الوزارة ، وكان وزير الخارجية مشغولاً بأدب اللغة الفارسية فأهدى سفيرنا نسخة مذهبة من ديوان حافظ الشيرازي . وكان هذا الوزير واسمه ياراك افندي من أرق الناس وأكثرهم أدباً وظرفاً ، وقد أهداه السفير جواداً لاعلم من عاداته أنه من هواة الخيل . ولكن هذه الهدية أوقفته في حيرة لأنه لم يعرف كيف يرد لنا الهدية التي تقابلها . فمئداً منسوجات أجود من النسوجات التركية ، وكذلك الشيلان والسجاجيد ولا يليق أن يهدينا من البضائع الانكليزية ونحن مسافرون إلى انكلترا . ولكنه بعد تفكير وجد ضالته وعزم على أن يهدي السفير الفارسي جارية شركسية أجل من القمر ليلة النصف ، وقال إنه اشتراها من تاجر من تجار الرقيق يدعى « خرسيس أوغلو » ، وإن ذلك التاجر أخبره بأنها أميرة من أميرات بلادها ، ولكنه لا يصدقه وهو يرجو على كل حال أن يسر « فيروز خان » هذه الهدية طلبني هذا الوزير التركي وعرض علي أن يرسل هذه الهدية إلى مولاي فظاهرت بأني أجل ذوقه ووعده بأن أستشيريه وأخطره برأيه ولا عدت إلى السفير أخيراً فرفض الهدية في

وإلغى مما أهداه سفيرنا من الجرأة ، فانه أدرك أن البقاء في المدينة أكثر من ذلك يرضه للنتظر فقرر الخروج منها في نفس اليوم ، فخرجنا ما عدا صادق فانه أصيد إلى طهران بأمر السفير ، وقد علمت أنه عاد وأذنه في رأسه لأن الفراش قطع أذني نيس وجعلها كشكل أذني إنسان إرضاء للسفير في حدة

وصلنا إلى الآستانة فرحبت بنا السلطات التركية وخصصت لنا قصراً في اسكوتاري وعينت لنا مترجماً تركياً في أثناء وجودنا بالاصمة . وفي هذا الوقت تركنا مترجماً الانكليزي ، وأقام في السفارة الانكليزية التي زرناها . ورد لنا السفير الزبارة . وبعد بضعة أيام سافروا إلى أزمير التي يسميها الأتراك أزمير الكافرة ، لتربك منها السفينة التي تقلنا إلى بلاد الفرنجستان

وقبل منادرتنا الآستانة زار سفيرنا « الصدر الأعظم » وأهداه هدية مثله . وإلغى من المداوة المتأصلة بين الأتراك وبين الفارسيين ، فقد أظهر الوزير التركي عطفه علينا لما أخبرناه بأننا سنسافر إلى بلاد الانكلز . وحضرنا من مكرم وخداهم وقال إنهم دهاة يتلاعبون بأقوى الرجال

لكن الأتراك أقدر منا على كتمان ما بأنفسهم ولذلك لم يظهر لنا أحد الأتراك عدواة بمكس فيروزخان الذي أظهر عدواته للترك في عدة مواضع . فمن أمثلة ذلك أنه اجتمع في حفلة مع بعض الأتراك المصريين الذين يشربون الخمر ويستمنون إلى الفناء في السهرات البامة . فقال أفندي ترك إن الموسيقى التركية قد أصبحت من أرقى موسيقات العالم لتطورها وتشبعها في الهد الأخير بالروح الأوربية

على أن ذلك لم يكف فطلبوا إلى وسية لا يلجأ إلى مثلها إلا شيطان مثله . وذلك بأن دعا عدداً من أفراد القبيلة إلى حفلة شراب فلما سكروا استدعى كاجر الرقيق فخلعهم بواسطة أعرافه إلى الشاطئ وقتلهم على السفن . ولكن التاجر قتل معهم بعض أفراد الأسرة ومنهم زوجة الزعيم وابنتاه وأبنائه وأخوه

وفي أثناء الطريق رأوا كاهناً يمشى فقتلوه أيضاً مع الرقيق ، وقد يموا إلى أفراد مختلفين . وكان حظ الشركسية في بيت الوزير ، وعرف أن اسمها صريم ولكنه أصر على تسميتها باسم «دلفريب» أى مستبعدة القلوب لما جلبها من سلطان

وقد وصف السفير جلجلا بأنه أروع ما رآه . ووصف ذكاهما بأنه نادر ، وقال إنه سيعلمها الفنون المختلفة التي يجمل لها مكانة ممتازة في بلاد الأوربيين وقد وجد عندها أتم استعداد لتعلم الخياطة والطبخ والرقص والموسيقى والفناء ، وكل ما تتنازع به امرأاة على أخرى . وقال إنها لا تعرف شيئاً عن الدين ، ولكنها قبلت أن تكون مسلمة وتخلت بالشهادتين قال السفير : « من يدري ! لها تكون سيباً في سوء حظي أو رفضتي »

الفصل التاسع

أعضاء السفارة بظامرويه أُرْسِروا على ظهر الباطنة وصل إلينا الخبر بأن باخرة إنكليزية تحرسها مدعرة حربية في انتظارنا بأزمير لتقلنا إلى لندن . فسافرنا إلى تلك المدينة ووجدنا فيها — خلافاً لما نسمعه في البلاد الأخرى — عدداً كبيراً من التجار الأوربيين واليونان والأرمن . ولعل الأتراك سموها

بأدى الأمر ثم تردد في قبولها ، ثم رأي أنه لا يليق رفضها ، فوافق على شرط إخبار الوزير بأنه كان يريد أن تكون الهدية من نوع آخر

وعند انتهاء هذا النهار جاء خادم الوزير يقول جواداً على ظهره هذه الشركسية مبرقمة لا يظهر شيء من وجهها ولا من جسمها فأعطى السفير الخادم التركي مبلغاً كبيراً من المال . وذهبتا لنزور الشركسية ثم اجتمعنا بعد ذلك ولم يكن السفير يفتنا فقال التشريفاتي : « لو كانت زوجة السفير حاضرة لفرجته حتى مزقت جلده على قبول هذه الجارية » وقال تقي الدين : « إن السيدة بيده عنا الآن وستشير الأحوال قبل عودتنا »

وقال سعيد : « لو أن الجارية من أى جنس آخر لكان شرها مأموناً . أما وهى شركسية فإن خطرها شديد لأن هذا الجنس ملعون » فقلت : « ليس لنا إبداء رأينا في هذا الشأن فالجارية متاع خاص من أمتة السفير وهو وحده صاحبها »

قال الجميع : « نعم نعم وإننا لنكون أحط من الكلاب إذا ظننا غير ذلك »

وفي الصباح التالى أخبرني السفير بقصة الجارية كما سمعها منها ، وهى أنها بنت زعيم شركسى كان يقيم بالقرب من شاطئ البحر الأسود . وكان لتسوته على قبيلته بقلب بابن الشيطان ، وكان سكيراً يندفع وراء عواطفه إلى الغفلة ، وكانت الناصرة أحب شيء لديه فهو يضحي من أجلها بكل شيء ، وقد تزامن مع زعيم قبيلة مجاورة وهو أغنى وأقوى منه ، فخر على نفسه الهمار ، لأنه اضطر بسبب الخسارة التي لحقت به إلى بيع كل شيء من أملاكه وأرقائه

قائه غير مستمد للمخاطرة بمجاعة في البحار وبسفينة يتودها الكفار إلا في ساعة ميمونة

وعيننا حول الترجم والريان إقتاعه بأنه ما دام الأمر متعلقاً بالسفر بمرأى الساعة للميمونة هي التي تهب فيها الرياح الملاعبة . وإنه إننا أصراً على التأخر فربما تغير الجو واضطرت السفينة إلى التأخر لموعده آخر قد يكون أيضاً ملائماً للريح ولكنه لا يلائم علم الفلك

وعندما ينس الانكليزيان وهما بالههاب حدث حادث عذبة فآلاً واستغتنبناه من علم الفلك ، وذلك أن السفير طلس حريتين ، وكل فارسي يعرف أن هذا القول الحسن يدل على أن الساعة مناسبة للسفر فقال السفير : « الحمد لله لقد أذن الله لنا بالانتقال » وأعلن موافقته على السفر

فلم ينتظر الانكليزيان حتى تضع هذه الفرصة بل طلبا إلينا القيام في الحال، ففى السفير ومشيت بجانبه ووراءنا الريان والترجم ثم سائر أعضاء السفارة فلما وصلنا إلى الشاطئ سمنا سفيراً بصم الآذان، ثم رأينا على سوارى السفينة أناساً من الانكليز كالهوانات يمشون فوق الجبال (كالشيخ على) يهلون شيراز ، وفي أقل من لحظة رأينا هؤلاء الهلوانات رفوف الأعلام على السوارى ، والتزويب أنه على كثرتهم لم يقع أحد منهم عن الجبل وإن فهم عدداً من الصغار في السن لا يفلون مهارة عن كبارهم

ولما سعدنا سلم السفينة انزعجتنا أشد انزعاج لأن مدفعاً فيها أخذ يطلق القنابل فكادت أرواحنا تفيض من الفزع ، وقال السفير : « بسم الله الرحمن الرحيم ! ما معنى إطلاق المدافع الآن ؟ هل أعلنت الحرب فجأة ؟ وسكتنا جميعاً لأننا لم نجبرؤ على الكلام

من أجل هذا السبب بالدينة الكافرة . وأهلها يشربون الخمر جهاراً في الأماكن العامة والخنازير تمشي في أزقتها . وقد نزلنا في هذه المدينة بمكان أعدته لنا الحكومة

قلت أمستنا وخيلنا إلى السفينة التي سنسافر عليها كما قل إليها مقدار عظيم من الماشية والابن والطيور والماء

وسئل السفير هل يجب أن ينام على سرير ثابت أو متحرك ؟ فجبنا من هذا السؤال لأننا لا نعرف مكاناً لننوم غير اللراب المحشوة بالقطن والتي نقلها ونبسها على الأرض وتنام فوقها . وتركنا الاجابة على السؤال حتى نمان النوعين في السفينة واتضح لنا فيما بعد أن السرير الثابت في السفينة هو للتصق بمائلها ، وأن السرير المتنقل يثبت من أطرافه الأربعة في الحائط وليس بينه وبين الأرض قوائم وقد كنا نجعل شكل السفن لأننا لا نعرف في بلادنا غير الزوارق . ولكننا لما رأينا السفينة دهشنا لأنها مدينة صغيرة ، ففيها غرف وشوارع وأما يكن للخيول وأخرى للبضائع وأما يكن خاصة بالآلات البخارية

ولمعرفة الترجم بادارتنا أوصى بأن يجلس في السفينة مكاناً للشركية بعيد عن أنظار الرجال . ولما طلب إلينا الاستعداد للسفر استدعى السفير التشرىفاتى « محمد بك » وهو على علم ببادئ الفلك . وأمره أن يبين لنا الوقت المناسب للسفر . وقبل أن يجرد للفرصة الكافية لأبحاره في النجوم جاء ريان السفينة مع الترجم واستجبنا وقال :

إن هذا أنسب وقت للسفر فالريح ملاعبة . لكن السفير رفض أن يتحرك حتى تدله النجوم على الساعة للميمونة . وإنه مهما تكن أفكار الانكليز

بعض السفن تحمل أرومة أمثال هذا العدد أو أكثر وأحجام مدافعها أكبر كثيرًا من أحجام هذه المدافع» قال السفير: «لا إله إلا الله!» ثم التفت إلينا وقال: «ألم أقل لكم إن الانكليز يجدون للدافع بهذا الشكل في مناجهم؟ لقد صدق رأيي فان مثات من الأعوام لا تكفي كل الحدادين لصنع هذا العدد من المدافع

فقلنا: «نعم نعم نحن آتينا وسلمنا بما قلت ساعة أخبرتاه» إن هؤلاء الانكليز كالشياطين ليسوا كالرجال، وسنجد أحداث غريبة تحدث بها عنهم عندما نرجع إلى إيران»

ولم نكد نفرغ من حديث قصير أقل من النية للصلاة حتى رأينا السفينة تتحرك على ظهر الماء فقال السفير: «لقد أصبحت أرواحنا في يد الله فن يدرى هل تعود إلى أهلكنا سالمين؟»

ثم تلا كل منا الشهادتين استعداداً للموت
(ينبع) عبد اللطيف النشار

حتى اضطلع دوي المدافع ووقف المترجم الانكليزي أمام السفير وقال: «إن المدافع أطلقت نكرباً لسمادته وأن الانكليز لا يميون بهذه التحية غير الملوك ومعلمهم»

فقال السفير: «أشكر لكم هذه التحية وإن كنتم أزعجتموني. ولكن لانا هذا الاسراف في القنابل؟ إن عدد الطلقات التي أطلقت تكفي لتخريب مدينة «طوس» فكلم عدد المدافع التي تملكونها؟»

فأجاب المترجم: «في هذه السفينة ٤٤ مدفعاً وهي مدافع صغيرة لا تستعمل في الحرب وعدد المدافع التي تملكها الدولة لا يحصى»

قال السفير: «هل تنسى أرباباً وأربيين بالمد أم على سبيل التقدير كما تقول ستين يوماً مثلاً أو أربعين ليلة، والقصد أنها أيام وليال كثيرة؟»

فقال المترجم: «كلا بل أقصد إلى العدد باللات» وقال ريان السفينة بواسطة المترجم: «إن

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتابات اعترافات فقي المصلحوسيه، والأوذيسة لهومبروس، ومذكرات نائب في الأرواق لتوفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعه ومنقولة.

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

نبايع مجموعات الرسالة مجلدة بألوانها الذهبية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك علماً أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد



الرسالة

مجلة لدراسة التراث العربي والفكر

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة : تصور مظاهر العصرية للامة العربية
الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة : تحمي في النشء اساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشرك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك المأخوذ سنون قرشاً ، والخارج ما يساوي جنباً مصرى ، والبلاد العربية بنحو ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل امسترك عه سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الملكة الأخرى
١ عن العدد الواحد

الوزارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحي الخفراء - القاهرة
تليفون ٤٧٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نفقة

السنة الثانية

١٥ ربيع أول سنة ١٣٥٧ - ١٥ مايو سنة ١٩٣٨

العدد ٣٢



فهرس العدد

| صفحة | |
|------|---|
| ٤٠٢ | ميسى أنصوبة مصرية بقلم الأستاذ إبراهيم عبد الحامد للزنى |
| ٤٠٧ | شجرة الكمثرى للسحرة . لكتاب الاسباني بوكاتشو بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج ... |
| ٤١١ | سوسن النورية أنصوبة مصرية بقلم الأستاذ عمود بك خيري ... |
| ٤١٩ | ابن الحب أنصوبة من التاريخ الاسلامى. بقلم الأستاذ على الطنطاوى ... |
| ٤٣٠ | الملك والبرويش بقلم ولفرىد ستايلفيش بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ... |
| ٤٣٧ | غيرة لكتاب السويسرى سولومون جنتلر بقلم محمد عبد الفتاح محمد ... |
| ٤٤١ | حامي بابا في انكلترا تأليف جيز مور بقلم الأستاذ عبد الحليم النشار ... |

العبيدة صبراً وحلماً وتسامحاً وحكمة
ومقداراً من « الحصانة » تمنع أن
يشتر الرء بالظواهر . وتلك بعض
ثمار المعرفة التي اكتسبها في ذلك
المرض الذي يسميه الناس :
« العبيدية » ولا يخطر لهم أنه
يمكن أن يُرى فيها غير العقاقير

وخطر لطلبة والقطار ينهب به

الأرض أن من الحماقة أن يتوهم الآباء أن عرض
بناتهم على الشواطيء يجعل يتزوجن . ورجه
القطار وهو يفكر في ذلك فكأنما رجع ما في رأسه
أيضاً فعاد يسأل نفسه : « ولكن هل م يرضون
بناتهم ليزوجهن ؟ أليس الأسح أن يقول إن تيار
الزمن جرفهم ، وأنهم لم يستطيعوا مقاومته ، فهم
لا يتون شيئاً ولا يردون أمراً ، وإنما يتزلون على
حكم التيار ؟ على أن الهم على كل حال أن هذا
المرض يزيع العين ، والرجل يستطيع بعد أن يرى
كل هذا الجمال للتنوع المحشود أن يروض نفسه على
الصبر على طمام واحد . وطبيعى أن يقنع بالفجعة
وكسرة الخبز اليابسة من لم يجلس إلى اللوائد الثقلة
بالوان الآ كال الشبية ، ولكنه إذا جرب هذه
الطوبى المثيرة فإنه لا يكون آدمياً إذا ظل يمد
الفجعة نعمة من الله ! »

وسأل نفسه مرة أخرى : « ولكن هل معنى
هذا أن الأولى أن تُرد البنات عن حمامات البحر
وما إليها ؟ » هز رأسه وقال لنفسه : « مستحيل .
ثم إن الحياة لا تطيب بظنك حتى لو تيسر ... كان
يمكن أن تطيب لو أننا ظلفنا لا نرى على الشاطيء كل
هذه اللغات ، ولكننا أكلنا من شجرة المعرفة فلا

مصحح

اقصوصة مصريه
للأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني

جلس « طلبة » في القطار المائد به من مصينه
في الاسكندرية يفكر في « وردة » ، فاستطاعت
الاسكندرية بمن حلت بين من الفتيات اللاتي
جن من كل مدينة وقرية ليعرضن جمالهن
وقفتن على شواطيء البحر أن تسميه سحرها ودلها
أو تصرفه عنها وتحوّل قلبه إلى سواها . وإن
الاسكندرية لمفسدة أى مفسدة — كذلك جعل
يقول لنفسه وهو يتر في مقدمه من فرط السرعة
التي يمدو بها القطار — ماذا يظن هؤلاء الآباء الذين
يتكون بناتهم يتجردن على الشاطيء ، ويصبحن
لاهن كاسيات ولاهن عاريات ؟

ولم يكن طلبة من الطراز القديم أو المحافظ ،
فقد كان ابن عصره الذي لم يشهد سواء ، ولكنه
كان فقي أكسبته حياته وعمله اتزاناً قلما يتاح في
مثل هذه السن : فقد كان سيدلياً ، والميدل يرى
كل صنوف الناس ، ولا يسه وهو يستقبل الزيان
ويرحب بهم ويتلقى « أوامرهم » ويصنى إلى حديثهم
وتزتهم في أحيان كثيرة إلا أن ينظر ويفكر
ويقارن ويقابل ، وإلا أن يقف على كثير مما يبنى على
الشبان أمثاله في أعمال أخرى ، وإلا أن يلم بمجالات
قلما تمر نظارها بأفكاره . وقد أفاد من عمله في

الخيال لا قيمة له ، وإن الجمال الحقيقي هو الذى يجهد نفسه فى خاطرك ، ويروض عليك من صوره وريحته ألواناً ومنايا ينضب لها صميم . وهذه مزية وردة ، وإن كانت هذه أيضاً آفتها ، فأنها زبئية ... لا تمتزج حقيقتها — إننا كانت لها حقيقة — ولا تستطيع أن تتناولها وتقول هذه هى فى يدى ... كلا ... مستحيل ...

وارتقت لسينه وهو يفكر فى « زبئية » وردة سورة « ميمى » الوديمة ... ميمى البنية التى لم يبق لها من الأهل سواه ، ففى بيته — مذجات بها أمه — كالأخت ، أو إن شئت ، كالطامة ، تقضى له حاجاه ، وتسد له أشياءه ، وتشهد البيت ، وتدبر أموره ، فى سكون ومع الانسجام المأمم ، ومن غير تأفف أو نخبر ، ولا تطلب إلا أن يكون راضياً كأم الببال قرر العين ... أنراها تحبه ؟ إن هناك ما يشير إلى ذلك وضى به ، ولكنها لا تقول شيئاً ، ولا تجترى على أكثر من إقبالة السرود حين يسرها ، ويخيل إليه أحياناً أنها كانت تبكي أو أن السمع يتحير فى عينيها ، ولكنه لا يدري ... لا يدري ... ثم إنه لا يريد أن تحبه ، كلا ... فانه يجب غيرها ...

وجرى ياله البيت المشهور وهو يتناول حقيقته وينزل من القطار فى محطة القاهرة :

« جنتا بيللى ، وحي جنت بغيرنا

وأخرى بنا مجنونه لا نريدها »

فقال بصوت مسموع : « أعود بالله ! ما هذه المسخافة ؟ قد تكون ميمى مجنونة ، وإنى لمجنون بوردة ، ولكن وردة على التحقيق لا تحب أحداً غيرى ... نعم لا يبدو أنها تحبني كما اشتعنى وأتحنى . ولكن من فضل الله أنها لا تحب سوى ... هذا شيء على كل حال ... يمكن أن أقنع به الآن ...

قناعة لنا بشيء بعد الآن ، ولا سبيل إلى الصبر على الحرمان ... »

واعتمد فى مقدمه وسأل نفسه هذا السؤال « إننا كان الزواج هو الناية ... لا تفل الناية ... فانه على كل حال ليس إلا واسطة . ولكن قول إننا كان هذا الزواج هو النظام المقرر فأيهما خير للرجل المدرك للمفكر ... أن يتزوج واحدة من أولئك اللواتى لا يخرجن إلى البحر فى ثياب الاستحمام ولا يرفرن السينا ، ولا يبرزن للرجال ، ولا يرفرن من الحياة إلا الأكل والكسوة والجلوس على الحشايا ، ولا تخشى عليهن الفتنة لأنهن لا يترضن لها ، أم أن يتزوج واحدة من هؤلاء للرحل ، الصابحات الوجوه ، البيضاء الأجسام ، الرشقات القوام ، اللواتى يحسن الحديث والسمر ، ويرفرن كيف يُحتمن ويضتمن ، ويصطن الحياة كلها فرحة دأمة ، ونيا مبقية ، ومتعمسة مستمرة لكثرة ما فيها من التنوع ؟ وهز رأسه مرة أخرى وقال : « مشكل والله ! وعقدة لأعرف لها حلا ... فذلك الجاهلة لا تكون إلا ملة ، وإن كان المرء يسمه أن يلتمس وأن يسكن ، وتلك التلملة المدنية العريضة أحلى وأمتع ، فى أول الأمر على الأقل ، ولكن السكره تذهب ، وتزول النفوسة ، وتجهى الفكرة ، ويحتاج المرء إلى المسكون والرضى والاطمئنان ... الراحة على المسوم ... وأن الراحة مع الخفة والتفقل المأمم والشك الذى لا سبيل إلا إليه ولا حيلة فيه ؟ »

وطال تفكيره فى هذا وما هو منه بسبيل ، ولم يجد فى هذا الراحة ، ولم يستطع أن يهتدى إلى رأى فيها عرض على نفسه ، فاقبل إلى « وردة » وشرح بصورها على هواه . وكان يدرك وهو يفضل ذلك أنه يُفيض عليها من خياله ، ولكنه كان يقول لنفسه إن الخيال أمتع من الحقيقة ، وإن الجمال الذى لا يحرك

لا تشكر فيه ، ولا تنال أجادها بهذه الأزهار الجلية
أم نسبها ولم يخطرأها ياله . ولكن ميمي لا تستطيع
أن تقول له هذا وإلا ظن بها الظنون

وأحست ميمي وهي تنفض لطيفة ثيابه التي يجب
أن يرتديها بثورة همة على وردة ، وشمرت كأن
وردة تخون طلبة لأنها مشنوقة بسواه . وصيح أن
وردة لا زوجته ولا خطيبته ، ولكن هذا لم يمنع
ميمي أن تسخط على وردة وأن تشمر لها بكراهية
شديدة زيدها ملها أنها غير محقة فيها

وخرج طلبة ، ومعه طاقة الزهر الأبيض ،
وبقيت ميمي وحدها ، لا أنيس لها إلا خواطرها .
نم هناك أمه ، وأخته ، وخادمة ، ولكن ما أنساها
بهؤلاء ؟ وهي مضطرة أن تتكاثف أمامهن الابتسام
وأن تتظاهر بتبر ما تبطن ، وهذا بلاه آخر ...

ولم يطل غياب طلبة ، فقد عاد ، ومعه طاقة
الزهر الأبيض التي خرج بها ، ففتحت له ميمي
الباب وارتمت منهوكة .. أذهلها جمعه ، وأذهلها
طاقة الزهر التي تتدل بها يده ، فارتدت ولم تقل
شيئا ، وتركته يدخل وهو مطرق لا ينظر إليها ولا
إلى شيء ، ويرى بطاقة الزهر على اللائحة ، وينهب
إلى غرفته ، ورد به حتى لا يدخل عليه أوزجعه أحد
وبسب قليل سفق ، فذهبت إليه أخته فرداها وقال
لها : « ابني إلى ميمي » . ولم يكن هذا مستغربا
فقد كانت ميمي هي اللوكة به في الحقيقة ، وكانت
أمه يسرها أن ترى ميمي تقوم به بحاجته وتتكفل
بأموره ، وكان رجاءها أن يفلن ابنها إلى قيمة ميمي
فيتخذها زوجة

وذهبت إليه ميمي فقال لها : « اجلسي ،
واسدقيني »

قالت : وهي تجر كرسيا : « نعم »

قال : « وردة ... إنك تشر فيها كأعمرها ، فلا

ومع الارتياح ... ولكن من يدري ... ؟ »

وساوره الشكوك وهو يشتري طريقه طاقة
من الأزهار البيضاء التي يصر أن وردة معها ،
وظلت تساوره وهو يدخل شقته ويثني بالحقيقة ،
ويتلقى حمة ميمي بتصور لا يبينه . وقد سخط على
نفسه وأوسمها قريبا وذما ، وقال لها : « هذه وردة
يشرق وجهها لك ، وتكاد تفتح ذراعها ، وتبدو
كأنها تريد أن تنضمك إلى صدرها أناهد ... الحق
أن صدرها جميل ... وأنت تقابلها بهذا الفتور ...

إن هذه خسة ، ماذا جنت الفتاة حتى تصدحها هذه
الصلصة ؟ وتبلغ في صدرها بجمع بك ؟ أم صدرها !
... الحق أنه جميل ... قلها كله جميل ، فيها لين ،
تساب كاللؤلؤ القراق ... ثم إنها ودية ، راضية ،
حالة الطبع ، لامة العين دائما ، أوه ميمي .. ميمي ؟
إنه يجب أن أفكر في وردة ... »

وكانت ميمي في هذه اللحظة تنصع للورد في
الزهرية ، فزعم طلبة : « ماذا تصنعين ؟ »

قالت باستغراب : « أرتب الورد ، أليس ... »
ولم تنمها ، فقد انزع منها الأزهار وهو مقطب
ولفها في ورقها كما كانت ، وتتم وهو يفضل ذلك :
« ترتب الورد ! أراها تظنني جئت به لأزين به بيتي ؟ »
وقال بصوت عال : « دعيه هكذا ... إنه لوردة »
فأحست للسكنينة بمثل شكة الخنجر ... يسود
من الاسكندرية بعد خمسة عشر يوما قضاها هناك
ثائبا عنها ، ولا يذكرها بزهرة واحدة ، ومعه هذا
« الخوض » كله ، يحتفظ به لوردة ولا يخطر له أن
من الرحلة الراجية ألا يجزها على هذا النحو ، ماذا
كان عليه لو اتفق أن يجي به إلى البيت ؟ ولكن ..
ولم تسترسل في هذه الخواطر اللؤلؤة ، فقد كان

عليها أن تنهي له ثيابا أخرى يلبسها ليزور وردة !
وإن ميمي لتعلم أن وردة مشنوقة عنه بشيرة ، وأنها

نحني عن شيئا... ما هي الحكاية ؟

قالت : « أي حكاية ؟ »

قال : « إن المرأة تعرف عن المرأة أكثر مما يستطيع أن يعرف الرجل . ثم إن النساء يتحدثن فيما بينهن بما لا يتيسر العلم به للرجال ، فأخبريني ما هي حكاية وردة ؟ »

فكرت قولها : « أي حكاية ؟ »

قال : « ألا تريد أن تخبريني ؟ إذن سأعرف كل شيء وحدي » ونهض فخرج ...

ولم تستطع ميمي أن تكلم ما بنفسها ، فحدثت أمه بما سألها عنه من خبر وردة ، وتركها تتصرف كما تشاء . على أن الأمر لم يمتح إلى تصرف من الأم أو سواها ، فقد أراد طلبة أن يف على جلية الخبير وأن يعرف من هذا الشاب الذي رآه خارجا معها من بيته يوم عاد - أي طلبة - من الاسكندرية ، وذهب إليها ليسلم عليها ويقدم لها الرود البيضاء التي يحبها وتؤثر جمالها على سواها من ضروب الزهر . وكان هو يهم بالنزول من الترام في محطته أمام بيته ، فلما رآها خارجة ومعهما هذا الفتى الغريب الذي لم يره قط من قبل بقي على سلم الترام إلى المحطة التالية ، ثم عاد إلى بيته . وما خير أن يذهب إليها وهي خارجة ؟ ومع فني ؟

وكان « طلبة » ممن يؤمنون بأن الخطأ للسقم أقرب المسافات بين شعبتين ، فذهب إلى أبيها وسأله عن هذا الفتى من عسى أن يكون . وكان بين أسرة طلبة وأسرته وردة من الصلات الوثيقة القديمة ما يسمح له بمثل هذا الاستفسار الذي كان خليقا أن يصد - لولا ذلك - فضولا غير مقبول . وكانت وردة وحيدة أبيها ، وقد ماتت أمها ، فرق لبنته جدا ودلها تلميذا شديدا . فقال الأب : « هذا حتى ... خطيبها ... وعلى فكرة ... أعلن أنه من

الأوفى ... تعرف ما أعنى ... ولا مؤاخنة »

فهو طلبة رأسه وقال : « نعم أعرف ... يحسن بي أن أكف عن زيارتكم حتى لا أثير وساوس الخطيب ... ولكني بإعني من عسى أن يكون هذا الخطيب ؟ إنه طارئ ولا شك ، فاني أعرف كل ما يدور فيكم ، ولا أذكر أنني رأيته أو سمعته به وما غبت عنكم إلا خمسة عشر يوما . أفى خمسة عشر يوما يعرف وردة ، ويخطبها ، ويقنع الأمر ؟ »

قال : « ولم لا ؟؟ يوم واحد يكفي ما همنا قد

قد سألنا ووقفنا أنه شاب طيب حسن السيرة »

قال : « وهل سألت بإعني ووقت ؟ »

فقال الرجل بلهجة اللئاف : « ما هذه

الأسئلة ؟ »

فقال طلبة وهو يهض : « أنا أعرف أنك لا تستطيع أن تكذب ... وأستطيع أن أعرف أنك لم تسأل ولم تستوثق ، وإنما تابعتك وردة في هذا كله ... مبارك على كل حال ... وأستودعكم الله »

ومضت الأيام وطلبة يبالغ نفسه ، ورونها على الانصراف عن وردة ، واستطاع شيئا فشيئا أن يقنع نفسه بأن الخيرة في الراجع ، وأن الزواج لا يكون مؤديا إلى السعادة إذا كانت للفتاة مدلة كوردة كل هذا التبدل ، حتى لتتخطب لنفسها من تشاء ، ولا يسع أباهما إلا الواقعة . وعاد - شيئا فشيئا أيضا - إلى ما كان يفكر فيه وهو عائد من الاسكندرية ، ويسأل نفسه عنه : « أي الفتاتين خير ؟ واحدة نشأت على الطاعة والشفقة أم أخرى مدلة تعرف حمامات البحر والخروج مع الرجال ؟ » وزاد السؤال تعديدا فجعله هكذا : « أيهما خير لثلى : فتاة ودسية كيمي يحبني وتطينني ولا تعرف سواي ، أو فتاة في غير واجباتها لي وإن كانت

الطويلة للمريضة الزاخرة بجلال الخلق، والتي تضيق مع ذلك بفتاة واحدة ؟؟

وطال للتردد، وضمت الأيأم، والسكل حائر، حتى طلبة بدأ يستنرب، وطن أن ميمي لا تريد، وأمه كان غطتا فيا تومه دليلا على ميلها إليه وتلقها به؛ وكان من فضل هذا أن سنا إليها قبله، شيئا فشيئا أيضا... حتى كانت ليلة فناداها، فلما دخلت عليه مارحها بما نأبت عنه أمه قبل ذلك في الكلام فيه

فقال له: « لا... إنك تحب وودة، فأنا لست لك »

قال: « أهو هذا؟ » وسرته هذه الثيرة وأيقن من حب الفتاة وقال: « اسمي يا ميمي، قد كنت أؤم أي أحب وودة، ولكن المرء قلما يعرف نفسه. ولو أني كنت أحبا بالني الصحيح لما استطعت أن أسلوها بهذه السرعة. وقد كنت أعجب... المرة تحت عيني وأنا لا أراها... »

فقاطعت: « لأنك لم تكن ترى إلا وودة »

قال: « نعم » فلما خلت منها حياتي استطعت أن أضع يميني. ومن واجبي أن أشكر الله، فلو لم ألتقي وودة لما استطعت أن أظنني إلى المرة التي كنت ذاهلا عنها... وإذا كنت محببتي كما أعتقد وأرجو، فإن من واجبي أن نحمدي أني اختنت وودة أليما، فكانت هذه الفتنة سبيل المعرفة ووسيلة الهداية... أليس كذلك يا ميمي؟ »

وأراد قلب ميمي أن تقتنع، فالتفتت، ولم تندم قط بعد ذلك على أنها أطاعت قلبها ولم تطع كبريائها. وقد كان من الممكن أن يكون الأمر على قبيض ذلك، ولكن طلبة كان صادقا حين قال إن فتنته كانت سبيل للمعرفة، وإذ عرف نفسه بعد أن ضل قليلا.

برهم هير اتقار المازني

تنقصها مظاهر الطراز الحديث؟ أم أخرى كوردة تخطف لنفسها من تشاء ولا يسع أباه إلا المرافقة؟ وانتهى من هذا إلى التفكير الجدي الرزين في ميمي، ولم يجالجه شك في أن ميمي ستفرح حين تعلم أن رايه استقر على الزواج منها. وقد خاطب أمه في الأمر ففرحت، وحدث أخته ففرحت، وكاد يحدث الخادمة، وفي يقينه أنها لاشك ستفرح فقد ريت - أي الخادمة - في بيته

كل امرئ فرح بالإممي، حين كلمها أمه. وفي قولنا إنها لم تفرح شيء من التساهل في التفسير، ذلك أنها فرحت لأن هذا هو الذي كانت تطمح فيه وتطلع إليه، ولكنها كانت تعلم أن طلبة يحب وودة، وألما أن يشق طلبة، وأن تنذر به ونحوه وودة، وسرها أنه لم يفر بها، وحز في نفسها أن طلبة إنما اتنى إليها ورغب فيها لأن أمه في ورده خاب. وكان هذا أوجع ما حاته من الاحساسات، وتنازعها الرغبة في إرضاء حبا بالقبول والرغبة في إرضاء كبريائها بالرفض؛ وكانت أحيانا تميل إلى الرفض وهي تشتت ويكاد قلبها يمزق من فرط الحب، ثم تميل إلى القبول، ولكن الألم يمزق أعصابها ويثقلها، حتى

وترى الأم والأخت هذا منها تستنربان وتكران هذا الكاء، ويخطر لها فكرة أن هذا بكاء السرور، وتكرة أخرى أن ميمي لا تريد طلبة زوجا لها، ولكنها لا تستطيع أن ترفض لأنها قيمة لأهل لها ولا يات إلا هذا...

وكان هذا بعض ما خطر لميمي وقطع قلبها، وزادها حيرة، فهي إذا قبلت الزواج لا يسها أن تنسى أن قلب طلبة مع وودة، وإنما رفضت، فقد قضت على حبا ووجب عليها في هذه الحالة أن تترك اليب، ولكن إلى أين في هذه الدنيا

شجرة الكمثرى المسخوة

للكتاب الشهير يوكاشو
للاستاذ محمد كامل حجاج

ليحل محل زوجي من هذه الوجهة؟

وهو شاب شريف محبوب .

ولقد رأيت أنه أجدر من غيره .

ولقد تبين لي حبه وأصبحت

لا أفكر إلا فيه ، وإن لم ألتصق

بحبه فأنني أموت كدأ . وأظن

أنك لا تحجبين عن مساعدتي .

فرفيه بالطريقة التي ترين أنها مناسبة بما أكنه له

من المواقف المتأججة ، واجتهدي في إقناعه بالحجج

إلى عند ما أدعوه

طعانت الخادم سيدها ووعدها بتنفيذ رغبتها ،

ورأت فرصة سانحة لخطابة ييروس ، وكان ذلك في

نفس اليوم ، فأسرت إليه بما دار بينهما من الحديث

فدهش الفتى من هذه المفاجأة مع أنه لم يلاحظ

شيئا من ذلك قبل هذا اليوم ، وخلف أن

يكون هذا شراكا منصوبا لاختباره فقال لها :

« إنني لا ألتصق بصدق ما تقولين ، ولا أظن سيدي

تكلفك بهذه المهمة . وإن كانت أرسلتك حقاً فلا

أظن ذلك إلا مزاحاً . وإنني أرى عهد سيدي فلا

أسمه بهذه الأمانة ، فلا تكفي نفسك مشقة مجادلتي

في هذا الموضوع مرة أخرى . فأقهرته لسك بقسوة

رفضه وقالت له : « مهما كان ذلك يضايقك فاني

لن أناخر في إخبارك بما تكلفني به سيدي . وقصاري

القول أرجو أن تكون بصيراً حكماً »

ولاعلت السيدة ليديا جواب ييروس فضلت

الوقت . ويمد بضمة أليم خاطبت خادماً في حيا

التأجج فقالت لها : « إن الشجرة لا تقطع بضربة

واحدة . ويجب أن تسدي الكرة مع ييروس التي

كان بمدينة أرجوس اليونان تبيل تقدمت به

السن ، فأراد أن يبحث له عن زوج تكون له موطناً

على شيخوخته ، فتزوج من ليديا وكانت من أسرة

عظيمة جميلة عجيبة . كان الرجل غنياً جداً يتفق

بسخاء ، وكان مولماً بالصيد ، وكان له عدد كبير من

الكلاب والسمور والخدم . وكان من بين حاشيته

شاب حسن الوجه أنيق المندام يعمل كل ما يطلب

منه بمهارة وسرعة ، فكان موضع ثقة سيده

شغفت ربة البيت بهذا الشاب ، فكان لا يهدأ

بالها إلا إذا رأته أو تحدثت معه . ولقد زاد حبا

ضراماً فلم تقو على كبحه ، وسمعت أن تفارقه به .

وكان من بين خدمها امرأة تدعى لسك تبيل إليها

وتتق بها ، فقالت لها ذات يوم : « إن ما صنعت به مني

من الجليل وتملق لي ينهدان بطاعتك واحتفاظك

بالأسرار ، وأمل ألا تبوح لأبي فرد كان بما

سأسره إليك . إنني خيبة قوية كما ترين ، لا ينقصني

شيء من الجمال واللال ، ولو كان زوجي من سبي

أو كنا متاهلين في المزاج لأرضي رغباتي . وأعترف

لك بأنني لست عدوة لنفسى حتى أبحث عمالاً أجدهم

عند زوجي . وما وجد الزواج إلا لفتنة بملذات

الجب التي حرمت منها . وقد وقت عيتاي على ييروس

سيدك حكيم بصير بالأمر كثير الشكوك فسأريك كيف أخضعه على مرأى منه وأجله بطن أنت ما شاهده لم يكن إلا وحماً . دهش بيروس مما قاله سيده وانتظر بفارغ الصبر طريقة التنفيذ

وفي ذات يوم أوم زوجها ولية فآخرة لأصدقائه فأخفت زوجته الباشق ولوث عنقه أمام بيروس وجميع الحاضرين ، فصرخ زوجها قائلاً ماذا فعلت ؟ فلم ترد عليه وانتفتحت إلى القبلاء الحاضرين وقالت : « انني انتقم من هذا الباشق لأنه سبب لي كثيراً من الآلام مما لا يمكنكم أن تتصوروه ، فطالاً أبعد عني زوجي إذ يأخذني ويخرج الصيد قبل طلوع الشمس كل يوم تقريباً ، وقد سمعت من زمن على قتل هذا الطائر ، ولكنني انتظرت هذه الفرصة السانحة لأشهدكم أ كنت محقة في عملي أم لا ؟ فظن الحضور أن الزوجة ما أقدمت على هذا العمل الفظيع إلا لشدة تعلقها بزوجها وطقفوا ينضحون . ثم انتفتوا إلى زوجها وقد كاد يتميز من النيت وقالوا له : « أفضل هذا الطائر على زوجك ؟ ولقد أحسنت بأن تخلصت من مزاحها . ولما دخلت الزوج إلى غرفتها تهادى الحضور في مزاحهم حتى أت نيكوسترات فآخرة حزنه وطلق بضحك مثله من هذا الانتقام الوحيد في يده

وقد استبشر بيروس من تنفيذ الشرط الأول وغرق في بحار أمانه

وبعد أيام كانت الزوج تداعب زوجها وكان مهلاً مستبشراً فآتت الفرصة سانحة لتنفيذ الشرط الثاني فجعلت تدله وتماقنه ثم زعت خصلة من ذقنه فتألم الرجل أيما ألم وغضب وقال لها فكرى ماذا تملين ياسيدي ؟ فقالت له : « أتناقض ياسيدي من خمس أو ست شعرات وأنا لم أغضب حيناً جردني

يريد أن يكون مخلصاً لسيدة . ترقى القصر للناسبة لتصورى له فرط غرامي وتبارح الآلى ، فليس من فائدتك ولا من فائدتي أن تهمل هذا الموضوع فانك تجازفين بحياة سيدتك

فزنت الخادم سيدها ووعلتها بأنها ستحاول إقناعه بكل الوسائل . ثم ذهبت إلى بيروس فوجدته معتدلاً للزواج مسروراً فقالت له : « لقد قاحتك منذ بضعة أيام وقلت لك إن النار اشتعلت في فؤاد سيدتي وإن استمرت في رفعتك فانك ستخطر بصحتها وحياتها ، ولا تكن عديم الشعور أمام آلامها : أى نخر أن تكون محبوباً من سيدة ذات شأن كهذه ! تروق أمرك فستصبح في مأمن من الفقر ، وسيكون لك أغر السلاح وأجود الخيل وأجمل الثياب وأغلى الحلوى بخلاف الذهب والفضة . وستقابلك اليوم بذوايع مفتوحة ، فلا تنزع ذراعيك منها إن كنت لا تريد أن تكون لها عدواً أو تصبح فقيراً معدماً تنضبط في دواجير البؤس والفقر . إنك تضحكني حيناً أفكر في أوهامك وخزيباتك

فكر بيروس طويلاً وتأمل في كلام لسك وقال لها : « انني طوع أصرعاً إن كانت تقضى بحسن نيتها لأفنى أعلم طابع زوجها . ولربما اتفق الاثنان على أن تمنعني الحب لتختير أمانتي ؛ ولدى وسيلة إن عني فتقها المأنت إلى أمانتي وسلمت لها قيادى ، وهى أن قتل باشق زوجها في حضوره ، ونزع خصلة من شعر ذقنه وترسلها إلى ، ونزع ستاً من أجل أستانه » وقد وجدت الخادم وسيدها أن هذه الشروط الثلاثة لا يمكن أداؤها ولكن الحب لا يندم الوسائل للحصول على رغبته . فأرسلت إلى بيروس تنبهه بقبول هذه الشروط . وطلعت تظن أن

التي احتفظت بها طوال هذه اللدة ! ومن الحق أنها لو تركت أفست جميع أسنانك . وقد ترف الجرح كثيراً من الدم ، ثم شرب أكسيرا مقويا وادعى على سريره كاليت

ثم أرسلت زوجها السن إلى يروس دون أن تضع شيئا من الوقت . فاطمان لها وقال إنه طوع بإشارتها .

كانت الحسنة لا تأكل جهدا في إظهار حبها ؛ وكانت تعد الساعات كالستين ولم يبق عليها إلا إرشاء

حبها على مرأى من زوجها ، وأخبرت لسك يروس بالهول الذي سيلبه . ثم تصمت للرض ، وذهب

بعد الظهر لقلابة سيده ، وفي هذا اليوم يجلس رب البيت مع زوجته . ولما رأتا الاثنين مجتمعين أظهرت

رغبها في استنشاق الهواء في الحديقة ورجعها أن يقودها إلى ، فاستندها زوجها من جهة ويروس من

الأخرى وذهبا بها إلى شجرة فكري وجلس الثلاثة على بساط جميل من الخضرة . وبعد آونة اشتت

السيدة أن تأكل من الكعكة فوجت يروس أن يتسلق الشجرة ويقطف بعض الثمار الناضجة فاطاع

وصعد وتسمع أنه رأى سيده يداهب ويمائق زوجته وصاح : ما هذا يا سيدي ؟ وكيف تحول لك نفسك

أن تسلم هنا في حضوري وأنت يا سيدي أمانحطين من مثل هذا اللب ؟ كنى ، فان هذه الأمور لا تجري

أمام الناس . أليس الليل طويلا ؟ هل خرجنا إلى الحديقة لأجل هذه الأعمال ؟ ألم تكن عندكم

غرفة وأسرّة كافية ولاتمة ؟ فقالت المرأة لزوجها : ماذا يبنى بهذا القول ؟ هل فقد حياء ؟

— لا يا سيدي فاني لست بمجنون . إلى أرى جيدا ما أراه . ثم قال لزوج يداهمك من قوله :

« إنك تعلم حقا »

من شمرى منذ هنية ؟ وقد أرسلت الحسنة في نفس اليوم إلى يروس

والشرط الثالث هو بلا شك أصعب الشروط ، ولكنه لا يعصب على المشاق ذوى العقول الراجحة .

وكان لزوجها حاجبان من أسرتين عظيمتين أحدهما يشرف على شرايه والآخر على طعاسه ، فلو محتهما

سيدتهما أنهما أبحران وأوصتهما بأن يبعدا رأسهما إلى الوراء حينما يقدمان إلى سيدهما شيئا فقلما بوسية

سيدتهما

وبعد بضعة أيام قالت الحسنة لزوجها : ألاحظت سحنة حاجيك حينما يقدمان إليك شيئا ؟

— نعم لاحظت وقد أدت أن أسألها عن السبب — لقد لاحظت ذلك من زمن ، ولكنني خشيت

أن أغتلك في الأمر . والآن قد لاحظ ذلك غيري قد رأيت أن أحفرك ، ولا أعلم سبب ذلك ؛ وإني

أصارعك بأن راحة فك كربة جدا ، وربما كان ذلك من سن نخرها السوس . ثم اصطجبت إلى

الكوة وفتحت فم ثم قالت له إن سنك متخورة ومتفتنة ، وإن خلعها أبست للضرر عن أسنانك

الأخرى .

— سأبحث في طلب الجراح ليقلمها

— إن هؤلاء كالجلادين ولا يستدعى الأمر حضورهم وسأخلعها أنا بنفسى دون أن أحدث لك

ألا . ثم أخرجت الخدم ولم تترك إلا لسك وأوصدت الباب ، ثم أنجحت وجعلت رأسه في حجر

الخدم لتسك به ثلاثا يتحرك ثم تحت فم وخلت أجمل أسنانه بشكل عنيف تركه يصرخ من

الأم وبكت هنية كالنفسى عليه . وفي هذه الأثناء أخفت السن الجلبة التي خلعها وأبدلها بأخرى

نخرة متفتنة ثم قدمتها له قائلة : « انظر إلى السن

— إننى لا أعلم مطلقاً .
 ثم قالت زوجته : ربما تراهى له ما يقول
 — تأكدى من قوى يا سيدتى فلمت وإمّا
 — إنزل إذن !
 — ولا تزل قال لى أراك الآن منفصلاً عن
 سيدتى وبيداً عنها
 — إنك تحلم يا مسكين ، لأنى لم أبح مكانى
 ثم قال يروس : ربما كانت هذه الشجرة مسحورة
 فأراد الزوج أن يتحقق بنفسه من هذه السألة
 ليتأكد إن كانت الشجرة مسحورة . فصعد بدوره ،
 وما كاد يستوى فوق أغصانها حتى قام يروس
 وزوجه بمشيل دورما من عبث وعناقى
 — ماذا تصنعين يا سيدتى ؟ وأنت يا يروس
 أتخدم سيدك بهذه الصفة ؟
 ثم أسرع فى النزول فوجع الماشقان كل منهما
 إلى مكانه والزموا السكون والحشمة
 — ما هذا يا سيدتى ، أقترفين هذه الفضاء
 أمام عيني ؟ وأنت أبها الرغد ... فقاطعه يروس :
 « إنى أعترف أنكما كننا حكيemen عند ما
 صعدت على الشجرة . والذى ظننت أنى رأيته لم يكن
 إلا سحراً . والذى يكلم إقتاعى أن سيدى ظن أنه
 رأى شيئاً لم يكن
 — لا يحاول أن تستر فأ رأيته لم يكن سحراً
 ولكنه حقيقة . ثم قالت امرأته إنه مجنون مثل
 يروس . وأظن أنك قادر أنت تتصور مثل هذه
 التصورات على حسابى ، وإن كان الأمر كذلك ،
 فاني أنور
 ثم قال يروس : « أهين سيدتى بمثل هذا

الكلام ، وهى مثال الاستقامة والصفة ؟ ثم قامت الزوجة
 متصنعة الغضب لتضلل زوجها الأبله وهى تقول :
 — أظن أنى بعد هذه الأعوام الطوال أجبراً
 على إقرار هذه الفضاء على مشهد منك ؟ وتأكد
 أنى إننا كنت أريد شيئاً من هذا القبيل لا أعدم
 الوسائل لارتكابها دون أن تشر . وإننا كانت كل
 هذه اللصائب من هذه الشجرة للمسحورة فاني لا أريد
 أن تؤذيى بعد هذا أو تضر امرأءة غيرى . ثم التفتت
 إلى يروس وقالت له : « أحضر فأساً واقطع هذه
 الشجرة واحرقها » فصعد بالأسر . ثم التفتت إلى
 زوجها وقالت له : « وحيث أنى أرى الآن عدوة
 قضيتى ممدودة على الثرى ، فاني أعفو عنك وأسامحك
 وأوصيك من الآن فصاعداً أن تكون عندك فكرة
 أحسن من تلك عن امرأتك التى تحبك أكثر مما
 تستحق ألف مرة . ولقد سر الزوج أن رأى عقيلته
 تغفو عنه واعتذر ليروس عما فرط منه من الشك
 ودخل الثلاثة القصر متبطين مسرورين
 وبهذه الطريقة خدعت المرأة زوجها وخاتمه
 وفضحته . ومن هذا اليوم عاش يروس مع سيدته
 بدون كلفة يتم معها بمئات الحب بحرية أوسع من
 حريته حيناً كان تحت شجرة الكثرى
 محمد كامل مجاي



ثم قال يروس : « أهين سيدتى بمثل هذا

من بعض نواويس التريزة
التي لا تخضع لسلطان
واقدمعاج هذا الموضوع
كثير من الكتاب انتهوا
فيه إلى الحد الذي ذكرته.
ومع ذلك ألم يقرأ أحدكم

سَوَسِيزُ النُّورِيزَةِ

لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ بَلِّخَيْرِتْ

قصة كاييس ؟

قلنا وما هي قصتها ؟ فقال :

إن هذه الفتاة ابنة خنّار ونحو لم يُعن بها ، حتى
إذا أنست (صرّوا) المجوز في حنجرتها مرموقة
وفي قوامها ليناً أقبلت عليها تملها الفتنة والرقص ،
تفرجت زهرة ناضرة وخليفة خلافة ، أقامت في
أنطاكية وإسكندرية دولة للشهوة خدامها الأشرار
والحكام ، وفجّرت فيها بحراً للفسوق تخرج لوجهه
بالنصار تطوّه بقدمها اللتين ما عرّضا غير أحوال
الفقر . وظل هذا شأنها : كأماً مترعة تطوف بها
يد الليالي على الشقاء التي أعطتها الهوى حتى بلغ
بافنوس الناسك مدينة اسكندر الأكبر مقام في
نفسه أن يصدها عن سبيل النوايا ويفتح قلبها
إلى دين الله

ومن أعجب الأشياء أن هذه الفتاة الميغاة
النائمة المتحركة في كل ذي سلطان تفتّت إلى
نفسها التي تنقلت الشهوة فيها أنوار الهداية فهان
عليها أن تتيه وأن تحرق قصرها وما ضم من متاع
ونعيم حتى لا يبق أمام عينها أثر كان من ماضيها
أما ذلك الناسك فكأنما أفرغ فيها كل
ما وعت نفسه من هدى وقوى ، حتى إذا وجد
الشیطان عنده مرمئاً خصباً فزع فيه من روحه
غوايته فأشمل قلبه بهوى تلك العالحة ، وهكذا

جرّنا الحديث في بعض ليالي سمرنا إلى طائفة
من الناس لا تصور المرأة وتفر من ذكرها لأنها
في نظرها شيطان . وقد احتدم حولها الجدل
وتشعبت الآراء حتى صاح أحدها وكان يسمع ولا
يشترك في الحديث :

أراكم قسوتهم عليها وأسرقتهم ، مع أن الله حين
خلق آدم خلق حواء إلى جانبه ليطيب بها ولتسكن
نفسه إليها . أما أنها شيطان فقد يكون في بعض النساء
شياطين ، وكذلك في بعض الرجال ، والإنسان يحمل
في مطاوي نفسه الخير والشرمما ؟ فإذا رجح أحدهما
كان ملكاً أو شيطاناً . ولولا ذلك لما جاءت
الشرايع بتعديل نسبتي الخير والشرين للناس

على أني لا أتصور كيف يستغنى رجل كأننا
من كان عن المرأة وقد ركّز الله في كليهما
الشهوة ليسونا كليهما وليتحقق بقاء النوع .
إننا نحسن الحاجة إلى المرأة كأنحس الحاجة إلى
الطعام والشراب . إلا أن من الناس من يهيم
بها هياماً فلا يملك الصبر عنها كالنهم يجعل
معدته فوق ما يطيق تتختم . كما أن منهم من
ينظر إليها كوسيلة وقية من وسائل الاستمتاع
حتى إذا بلغ غرضه منها زهد فيها - ولكنهم
جميعاً لن يجيدوا مفرأ منها وإلا كانوا نازنين على
الطبيعة ، لأن حاجة الرجل إلى المرأة وحاجتها إليه

عامياً في مصر كان علماً من أعلامها صادقة ظروف
قلبية أصبح على أثرها يجمل القراءة والكتابة كأنه
لم يتعلمها . بل إنه كان لا يذكر اسمه ولا يعرف
كيف يكتبه . وهذه مسألة ثابتة من مسائل الطب
الشرعي . فمن يدريك أن بعض هذه الظروف وقت
لصاحبك وكان سببها للرأة . بل من يدريك أن
الرأة أيضاً قد تهيم في يوم من الأيام هذا المحوس
الطائفي الذي تمكن منه وصرفه عن العمل النافع
الذي خلقنا الله ؟

وعند ذلك طرق أسباعتنا وقع أقدام تقترب منا
ثم دخل علينا حسن أفندي الحلو نفسه وهو يصيح :
على شرط ألا تترسوا لذكر الرأة . فضحكنا وأخذنا
نحسبه ونضرب عليه لاقطاعه وقد لفّ حول
طربوشه عمامة خفيفة ترك ذوائبها تدلّ على إحدى
كتفيه . وكانت أسباجه تمرّ على جبات سبخته
حتى إذا ما فرغ قال : والله لقد هزنى الشوق
فاستأذنت إخواني القبة لأزورك

كم كنت أودّ لو أنكم أخذتم مهدياً مثلي فكنتم
تقطعون الليل والنهار بالبادة بدلا من هذا الهذيان
الذي أنتم فيه . إنكم يجهلون مبلغ حلاوة الأيمان
بالتوجه إلى الله والفناء فيه . لا تبحثوا عنه في
المساجد أو غيرها ولكن ابعثوا عنه في بواطنكم .
استمعوا إلى الصوت الذي يشادكم بين جنوبيكم .
ولكن لكم فاض من أنضمكم هو الضمير ، وراود
يجول بينكم وبين الرجوع هو خشية الله . ثم إذا لم أن
تفعلوا عن ذكره فانه يذكر الله تلمنن القلوب . اني
أصبحت أحقر هذا الوجود الفاني وزخرف هذه
الحياة الكاذب . أشعر وأنا في حضرة الله كأنني
ملك أمصر في ملكوته وأصبح في سبوحه . أصبحت

هداهما ولكنه نزل ومات غسراً . والشهوة الثائرة
قد تسمف بالناسك كما ردّ قوى الله الضالين إلى
حظيرة الهدى

ويلوح أن أباول فرانس واصل هذه القصة
أراد بهذه المقابلة بين الهدى والضلال في نفسين
متنازعتين أن يضرب لنا مثلاً على أن عارية
الربان نفوسهم لقتل ما غرسه تكوينهم فيها من
الشهوة إنما هي خروج على الطبيعة البشرية التي
لا يقهر سلطانها

نعم إن هذه الشهوة كانت أكثر نكتنا في
نفسها منها فيه ، وله من صلاحه ونسكه رادع ولها
من ماضها المضطرب مُفرّج إلا أنها في الواقع ستمت
مدة حواسها تكرار هذا اللون من طام الشهوة
فناخته . ولذلك كان انتقالها إلى نور الهداية طبيعياً ؛
وكذلك يافئوس الذي ظل طول حياته يحارب
شهوته ويضبط عليها حتى انضجرت ؛ قد كان نزوله
على حكم التفرزة طبيعياً أيضاً

وعند ذلك صاح أحدنا : وما قولك في أخينا
الحلو وهو مع حسن سورة وشبابه وميسرته يمت
الرأة ممتاً ، حتى أنه ليستقل أن يمرّ ذكرها بسمه .
بل إنه لينادى المجلس الذي تُذكر فيه . وربما كان
هذا هو الذي هبّاء إلى الانعلاج في البراوش
ومشاج الطرق فاقطع عنا . فاستمر في حديثه
قائلاً إن هذا لا يثير من القاعدة التي ذكرتها .
وانما نرضأ أحياناً أحداث الدهر للانسان وتصدمه
في بعض خصائص عقله فيقوم بين ذاكرته وبينها
سدّاً . إذ لكل عاطفة تيجش فينا ويشمر بها غتنا
مكاناً بين ثلاثه قد يتأثر بمثل الأحداث فننقد
هذه العاطفة ونأن فنقدما بلورها . وإننا لأعرف

وفي إحدى تلك المرات بعد ذلك الحادث الذي وقع له عند أسدقائه أسمى عليه الليل وكان الهواء رطباً عتيلاً والتمرد قد برز من جانب الأفق ينشر على الصحراء غلالة رقيقة من نور هادئ لطيف، فطاب له السير أمامه على غير وجهة. وكان كلما ابتعد عن الأهرام لاحت أشباحها من خلفه كالخيال الجبارة تشرف على قضاء هذه الصحراء التي مرث عليها القرون وأشرق في ربوعها العلم والبأس والحكمة من عهد للولك الأقدمين. وعند ذلك يفكر في عظمتها وعظمة من شيدوها. ولكنه لا يكاد يرفع بصره إلى السماء وإلى هذا القمر الذي يسبح فيها من ملايين السنين حتى تلوح له منبلة حقيرة في جانب عظمة الله وقدرته. وتأخذ هزة ساحرة فينتقل لسانه بالتكبير، وكأن الأهرام من مضضات الصوت ترجع صدى صوته عالياً يندى في أجواء هذا الفضاء

وكان في أثناء سيره تمر قلعاه بنظام أوفر طولاً وحجاً من عظام الانسان فيذهب إلى أنها من بقايا الجمال الناقصة

وعند ذلك ينتقل بخاطره إلى هذا الحيوان العجيب فهو ساكن رابط الجأش على عكس الخيول يقطع لمج الصحارى التي لا تنتهي بشيء أن يقف ودون أن يأكل أو يشرب. لا يؤثر فيه التيب أو أنه يتحمه صابراً. وإذا مرض كتم حرشه لا يلبده وقائده الذي يسمع من بعيد زفير الوحوش وصهيل الخيول وأصوات الناس لا يسمع وهو على قيد خطوة منه غير شهيق وزفيره دون شكوى أو أنين، حتى إذا أفهك الجهد وغلبه الألم وأوحى جلده الحرمان وشمر بأنه موف على الملاك هوى إلى الأرض ومد

أحس أني لم أعد مادة بل معنى. لا يشغلني عنه شغل من أمور الدنيا ولا يستهوي بريق ضلالها ويأطلمها. على أنني لم أبلغ هذه المرتبة إلا بعد جهاد عنيف مع حواسي، وحرب طويلة بيني وبين نفسي. والحمد لله على أنها ماتت. لقد ماتت. إنها ماتت. الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

وكان رد ذلك بصوت طال، وقد أخذ يدور في الترفة وجسمه ينتفض وبصره زائع، ثم سقط وقد غاب عن سواه وتعلبت أطرافه... فأسرعتنا إليه فنفض وجهه بالياء والمثل ونذلك بالكحول ونحرك أطرافه برفق، حتى إذا عاد إلى سواه وفتح عينيه تملكه الغضب وأخذ يصيح: لم أقتضوني؟ لم تدروني وشأني؟ إنني كنت في الحضرة القدسية، وقد ارتقت من دون أستارها وغرقت أنوارها... والله لا نسئ ولا كم جلس. ثم انقلت من بيتنا وسدى تكبيره وتلهيه يصل إلى أسماعتنا ثم يصف شيئاً فشيئاً حتى انقطع

وكان حسن افندي يملك غير أطيانه قصر آفي الزمالك أحد لأسرته، ومنزلاً بالجزيرة يطل على رعة السواحل قريباً من محطة السكة الحديدية، وهو قديم شيد أجده، وكان يقيم به ويستقبل في ضائه الفسح إخوانه في الطريقة، فكان في أغلب الليالي ويحفاة في ليالي الحضرة بموجهم وتدوى أسواتهم في أركانه بالصوات والأذكار

على أنه للترويح عن نفسه كان في كل أسبوع يستقل عقب صلاة العصر ترام الأهرام إلى كازينو مدينة الجزيرة، حتى إذا استراح به بعض الوقت سدد إلى الصحراء يستنشق هواها قلباً ثم يعود

ولكني سمعت صوت مزماركم عند الأهرام فشفقتني
فجئت

— أهلاً وسهلاً ، يا صرحاً يا صرحاً !

— وهل هنا مقامكم دائماً ؟

وعند ذلك ضحك الشيخ وقال :

— كلا يا سيدي . إننا قوم رحّل نطوى
الأرض ولا نقيم حيناً نخط إلا مقدار ما نأخذ
تسلياً من الراحة . إنك ترى هناك وسائل عيشنا
نطرق الحديد ونطلي النحاس . ومن أولادنا من
يبحن السير فوق الجبال المشدودة والوئب والقبوران
في الهواء وغير ذلك من الألعاب البهلوانية كما أن
منا من يطوف بهذا القرد وذلك الجحش أزقة القرى
التي نستقر في ضواحيها . على أن من نماننا أيضاً
من يمدن قراءة المخطوط بالودع ...

— بالودع ؟ ... أتم إذن ؟ ...

— قلها يا سيدي ولا تخف ... إننا من النور ؛
من هؤلاء الذين يسب أهل المدن عليهم سواعق
احتقارهم ومقتهم ، والله وحده عليم بما تنطوي عليه
نفوسنا من الرذائل والأناصاف ، ورعاية الجليل ؛ لا قبل
الضمير ولعلك ليس لنا وطن وأيوناً ويقيدنا ، ونهم
على وجوهنا في طلب الرزق طليقين لأننا نشق
الحرية وقدمها . أما سخط أهل الحواضر علينا فلا ن
فريقاً من الناس — وليسا منا — يمشون
ويسرقون تحت ستار هذا الاسم الذي يضم طوائف
النور جميعاً في الشرق وفي الغرب ...

— وفي الغرب ؟ ...

— نعم وربما أدهشك أنني أبجد اللغة التركية
وأنسكلم الإسبانية قليلاً لأنني طفت في شبابه
بالأندلس وبالأناضول واختلطت بالنور للتجولين

عنقه فوق الرمل ثم أغضض جفنيه مستلماً لصبره
كان حسن يلبس عظمة الله في السماء وشمسها
والأرض وما فوقها وما في جوفها وما في نفسه وما
هو دونها وهو يقول :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ولقد سرقه جمال الطبيعة وسحرها فكان يسير
أمامه لا يلوي على شيء . حتى إذا ابتعد من الأهرام
وأحسن التمتع ففكر في السودة لولا أن صوت مزمار
(أرغول) طرق أذنيه وهو يظهر ويختفي في موجات
الريح ، وكأنه أنه حزين تشق سكون الليل ، فقام في
نفسه أن يقصده فلمه حفلة ذكر قامت في وسط
الصحراء ، وتحت قبة السماء الصافية بيضاء عن
ملاهي المدينة وشروها

وأخيراً بلغ مكان الصوت فإذا به صورة
مصغرة من قرية متقلبة متواضعة تكون من ستة
أخبية من الشعر على مسافات متقاربة وقد انتثر
من حولها فرسان وبعض حير وعدد من خراف
ومعز غير قرد وكلب كان ينبع عند قدميه . وعلى
مسافة غير بعيدة هربة كبيرة يظهر أنها ممددة للنقل
ولمّا دنا من أهلها حياهم فهدوا لتحتته ثم
أعدوا له قرواً غزير الصوف جلس عليه . أما رئيسهم
وهو شيخ أبيض اللحية طامع في السن فصاح
ليمدوا له القنوة . وكانت البقعة تخرج بالرجال
والنساء والأطفال يحتمون إلى صوت المزمار ، كما
أن خاتة حلوة التصبغات في العشرين من عمرها كانت
ترقص على سوتة ، فلما وقع بصرها عليه فرت لتختفي
خلف تلك الأخبية

— شرفت يا حضرة الأندلس

— الله يحفظك . ليلى لا أكون قلت عليكم .

لا تصور كيف يطيب الزواج عند نفسيين يقوم بينهما سد من الكراهية والبغض
وكان حسن أفندي يتألم في نفسه ويستغفر الله في سره ، ولكنه مع ذلك أكبر هذا الرجل وأعجب به فنهض وهو يقول : ليت يتيسر لي الاجتماع بك مرة أخرى . ومع ذلك فلم لا تشرّفتني أنت بزيارتك ... ثم دله على منزله وحيا . وكان الشيخ قد أعد له إحدى الفرسين واثنتين من رجاله يرافقانه ولكن كم كانت دهشته لما بلغ للكازينو وقد رأى سوسن .. أملمه !

إذن هي لم تنم كما أوصاها أبوها . ولعلها كانت أيضاً تنصت إلى ما دار بينهما من الحديث . ولكن ما الذي دفع بها إلى تقبّه ؟ ألهذا أرادت أن تتعّج عينها بسحر ذلك الليل الفاتح ؟ ولكنها كانت تنم به أيضاً وهي إلى جانب أبيها . ومع ذلك فقد كانت وهو يمسد إلى عربة الترام واجبة مشدودة نكاد عيناها تقتلان ما حبسته فيهما من الدمع ، وتكاد صرخة الألم المكتومة في صدرها تنطلق من شفتيها وصرحت به كذلك حادثة رعى معها وانصرفا ذليلاً من لندن حضرة أبيها ، ولكنه كان يكره المرأة ويجهل معنى الحب ومعنى المذابح فيه ، فما كان يشعر بما شعر به ذلك الفتى من الحزن ولا بما كانت تحسه من النشوة وقد أصبح فؤاده طليقاً
كانت هذه الخواطر تزاحم في نفسه على أثر وصوله عند منتصف الليل إلى داره . ولكن التعب الذي عاياه كل فوق احتياجه فأنحدر إلى فراشه واستسلم للنوم

وكان حسن أفندي يحرص على أداء الفروض

فيهما . بل رعا أدهشك أني أنكلم بلنة عربية لا عيب فيها لأنني حفظت القرآن صغيراً وقرأت الكشكراوى والأشعوى بالأزهر ، بل إن ابنتي لتقرأ وتكتب لأنني علمتها . ولو لم يمت أبي لكان لي اليوم شأن آخر . وهكذا اضطرت إلى أن أخلفه على هذه القافلة

وعند ذلك انطلقت من خلف الأخبية صرخة شقت القضاء لفتت الشيخ ومن معه وإذا بسوسن ابنته (وهي تلك الفتاة التي كانت ترقص) تملو حتى ارتعت في حجر أبيها وهي تقول : ألم أقل لك وله إله لم يد زوجي ؟ ثم أنهملت دموعها فأخذ يلاطفها ويداعب خديها بأصابعه النخيلة ويقول : نعم ياسوسن لقد طلقتك فلم يد لك بك صفة . طيبي نفساً واقتدى إلى الخباء فنامي ، وعند ذلك مسحت دموعها بطرف ثوبها وصدعت بأمره . أما هو فتأدى على ذلك الزوج (واسمه برعى) وأنبه وحذره من الاستمرار في غوايته وإلا طرده . فتراجع غفولاً حزينا ثم اختفى . وبعد ذلك التفت الشيخ إلى ضيفه وكأه أدرك ما يتردد في نفسه فقال : إن الزواج عندنا سهل يا سيدي يكن فيه رضى الطرفين وشاهدان منا — حسناً ، ولكن هذا الطلاق ... ؟

— والطلاق عندنا حتى لها . ألم تجز الشرية أن تكون المصمة بيد الزوجة ؟ لذلك كان جاراً في طائفتنا التي نشأت على المساواة والحرية . وهكذا لا يتحكم الزوج في امرأته وهو يرى نفسه مهدداً بهذا الحق فيجهد أن يصون علاقته معها بإحسان والحب !

— وإذا كرهها أو كرهته ؟
طبيسي عندئذ أن يستعمل كل حقه ، فانت

فبزره طرف خياله في عاصفها ويؤمن بالله وعظمته في ستمه . ولكنه يكون قد انتقل بها هذه المرة من سفاء الروح إلى كثافة المادة

ثم يذكرها حين لحقت به وهو بهم بالعودة والسموع حيرى في عينها وهي حزينة غاشمة لأنها أعجبت به وما لها بها إليه ، فيشر كأنها أخذت تهبط رويداً رويداً إلى أعماق نفسه . ولكنه يذكر أيضاً موقف ذلك الفتى اليأس منها وما أسابه من الانكسار والالة عندها فيقول : سبحان الذى أخذه بها وأذلها في . ولكنه يود فيخيل إليه أن شيخه الذى طاعده على التقوى عند رأسه ينظر إليه شزراً ويؤنبه على ما فرط في حق الله فينتبه مذموراً وقد انتفض جسمه وثلث نظرائه ، ويدرك أن الشيطان إنما يوسوس له ليخرجه من رجة الله كما أخرج آدم من جنته فيمود بالوهم على نفسه الأمانة بالسوء . ويسارع إلى البكاء والتندم والاستغفر

وغل حسن اضدى على هذا أياماً ينساها ثم يحزن إليها ، ويصرف نفسه عنها ثم يسود إلى ذكرها ، كأنها هي متقطعة تذهب وتعود ، وكان لسورتها مدأً وجزراً فلا تكاد تنصرف عن خياله حتى تطفي عليه إلى أن جاء يوم دخلت عليه فيه وهي تتخطر كالنصن قاتفرجت أسارىه وأشرق وجهه وقد مد إليها ساعديه ليضمها إلى صدره وهو يقول : تعالى يا مستودع شقائق ونيسى ، وأخيل يقطلى وحلى ، لم أخطف أبوك وعنه فلم يزنى ؟

قالت : لقد انتقلنا إلى مقبرة منك . أنظر . ثم أخذته إلى نافذة قبلية تطل على فضاء استقرت الثقافة في وسطه ، ثم قالت : ولكننا لن يطول بنا المقام هنا فقد عزم أبى على الرحيل مع الصبح غداً ، ولهذا

في أوقتها ولا سبأ صلاة القمر . ولكنه لا استيقظ كان التهار قد ولّى ودخل الليل ، وهو مع ذلك لا يستطيع الحركة عملاً خائراً كأنه يروح تحت حمل ثقيل ، وكانت أعصابه مشدودة وخواطره مفككة .

على أنه نهض أخيراً وصعد إلى سطح البار فرأى القمر يبدو قرصه عند حدود الأفق ولكنه لم يابه له وهو الذى حين رآه بالأمس انتقلت به نفسه إلى قدرة الله وعظمته ، ثم مدَّ بصره إلى التراب قائداً بالأهرام تلوح أشباحها الشاغرة من بيد ، فتذكر اليلة الماضية ورحلته إلى تلك الثقافة وتذكر ذلك الزمار الذى كان يعزف على قترات النف وتلك الصبية التى كانت ترقص كأنها عروس الصحراء

وعند ذلك انبسطت نفسه واستقرت خواطره وأحس ديباً يجرى في جسمه ، ونشوة تمشى في في مفاسله ، وهو لا يهتدى إلى سبب ذلك . ولكنه يعود فيذكر تلك الفتاة الجلية الرشيدة اليتيمة فلا يشعر نحوها بتلك الكراهية التى تناوأت في عينيه كل بنات حواء . بل إنه كان يجد فيها دليلاً تاملاً بنظرة الله . وهكذا ينتقل بتلك النظرة من الكون بأسره إلى تلك الفتاة التى أصبحت شنه يراها إذا نام وإذا استيقظ وإذا صلى وإذا سبح ، وهو على كل حال سعيد راض ما دام أنها صارت وسيلته إلى الاتصال بالله ...

غير أنه يسود فيذكرها وهي ترقص ، وقد دعا يثنى كالخيزرانة وردفاها يترجرجان كأنهما الموج ، ونهداها يطلان من فتحة قميصا كأنهما هرمان صفيان ، ثم يندرج إلى عينها وماتشاه من سحر الفتنة ، وإلى أنهما الحل الحقيق ، وشفتها القرمزيتين الشهيبتين ، وابناسمتها التى يتشم الوجود كله فيها

... خرجت بنير أن تردد أو تلتفت قوية
عزيرة وهي التي لية تعقبته كانت تفيض عيناها
بالدمع وملاعها بالأسى خائرة ذليلة
ولا ريب أنها كانت تحبه وتهاك عليه وقد
فرغ قلبها من برى . والطبيعة تنفر من الفراغ ،
قلوبنا لن يبيت بنير الحب ؛ ولا يفتأ عاصراً به لأنه
غناؤه وجنته

على أنها لم تكبره أيضاً ساعة غادره على تلك
الصورة . وإنما وجدت نفسها بين دافعين من حب
تمكن منها وتقاليد ورثتها واستقرت في دما . ولو
أنها كانت من غير بنات النور لاحتفظ بحبه
ولسخرت من تلك التقاليد القاسية الجافة وأساسها
من متاع الدنيا ضياع وقصور وحلي ومال وترف
ونعيم ، ولكنها آثرت على كل ذلك أسألها البالية
وحليها الرخيص الكاذب . بل إنها عافت نفسها
أن تتزوج من غير قبيلها بقى لا يعمل في نفسه
وفي ذمه عاداتها وتقاليدها . وهناك هان عليها ذلك
الحب ونعيمه في سبيل رعايتها والقيام عليها

ولو أن حسن أفندي كان تأثر خطواتها عند
رحيلها رأى كيف أنها أسرعت إلى خباء أبيها
وارتمت عند ركن منه تمليل وتئن وعيناها تسكيان
الدموع السخينة وسدرها يرتفع وينخفض تحت
تأثير أنفاسها للتسارعة الحارة ، وللم إلى أي حد
هو عزيز على نفسها ، وإلى أي حد هي تحبه وتوجد
بجانبها في رضاء . ولكنها هان عليها أن تحصل
هناءها يدها على أن تكسر بتلك التقاليد

أما هو فكان عند انصرافها حاراً ذاهلاً وقد
سلمه شرطها إذ يستحيل عليه أن يخضع له أو
يشكر فيه؟ وله هو أيضاً من كرامة تقاليده ما يقف

أسرعت إليك فقد لا أدراك بعد ذلك ... ولكنها
حدقت فيه كأنها تتحسس ما يبعث في صدره وقد
حدته نفسه أن يخالسا قلة فسبته إليها وعند
ذلك ملوحتها بساعده وضمتها إلى صدره فدبت
حرارة جسمها الباقي فيه واستيقظت الشهوة
الكبيرة في نفسه وقد تورت أعصابه واحتقن
وجهه واتسعت حدقاته وتلاحقت أنفاسه فغلبها إلى
منضدة قريبة وقد أخذ الراك المتيف يضطرم بين
لجوده وقواه حتى قلب شيطانهم بها ، ولكنها
دفعته بساقها إلى بعيد ، ثم قفزت إلى مقربة من
الباب تضحك بجل فيها وتقول : لقد أخطأ حسابك
فأنا كنا نحن بنات النور لنؤخذ قصباً ، ولكن
إننا كننا إلى هذا الحد نجبي فلم لا نتزوج في ؟
— فقال :

رضيت يا سوسن وستكونين هنا ملكة على
عرش قلبي ، وساحبة الأمور والنهي في هذه الدار
وفي كل ما عاك يدى ، وستترقين بعد الذي أنت
فيه في الدياج والذهب والحلى ...

ولكنها عند ذلك أشاحت بوجهها عنه قائلة :
مالي ولكل هذا الذي ذكرت ؟ إنني لن أغتبر هذه
الأشغال التي على ولن أستعيب من هذا القصد بشيره
وإن كان من الحرز ، ولا عن هذا القصد وهذه
المنال بسواها وإن كانت من اللطاس . لقد درجتنا
على القناعة . حسبنا بالشمس والهواء والحرية نينا
نمرح فيه ، ومع ذلك فإن بيني وبينك من فوارق
البدواة والمضارة سدا ... إلا إذا زلت على ديننا
وعشت ممنا كأنك منا . ولكنك لن تفعل غير
لك ولي إذن أن ننسى ما قلت . ثم انطلقت نحو
الباب ...

حداً له واجبه وعذابه ؟ وهكذا عاد فانطرح فوق سريره وغلب سلطان النوم ، ولكنه كان نوعاً فلقاً مضطرباً حتى استيقظ فجأة عند النجر على ضوءه وجلبه من جانب ذلك القضاء فأسرع إلى النافذة ولكنه لم يجد للأخية أثراً . ورأى العربة نهياً للرحيل يتقدمها أفراد الثقافة ومن خلفها شبح لم يكن غير شبح سوسن لأنها كانت تتلفت إلى جهته كأنها تزود منه وتودعه، فطارقت نفسه جزعاً واندفع كالسهم إلى الطريق . ثم أخذ يندو وينادي حتى لحق بها ...

« القاهرة »

محمد خيرت

ما يقف حائلاً بينه وبين الاسترسال في هذا الحب . والتقاليد عقيدة كالفين من خرج عليها كان كالرند . ولذلك حمد الله على أن وقف بهما الأمر عند هذا التقدر وعلى أن قاتلها سوف لا تقيم أكثر من سواد ليلة ثم ترحل فلا يعود يفكر فيها ولا يلبث أن ينساها

وقد كان من أسباب الترفيه عنه أن تلك الليلة كانت من ليالي الحفصة وقد أبل إخوانه فانحط فيهم وأخفوا يذكرون الله ويتلون الأوراد ويرتلون دلائل الخيرات . ثم انصبوا للذكر فأكاد يرتفع صوت الثأى ويضئ للنشد : يا ملجى اللى وحلو الثنى . حتى انتقل خاطره إلى الصحراء ينصت إلى صوت ذلك الأرغول وهو يثير الحنين . وينظر إلى تلك الفتاة وهي تملأ عينيه بسحر تأودعها وتنهيا . وعند ذلك ذكر ما كان من أمرها معه فصرخ صرخة هزت للكان وسقط على أوتها بشير وعى فنقلوه إلى غرضته ثم انصرفوا وهم يهللون ويكبرون لأن روحه الصالحة النقية فازت بالخطوة عند الله وتجلت عليها أنوار السماء ...

ولم تلبث هذه التشية قليلاً حتى أفاق فأخذ يبكي كالطفل وقد أدرك أن حبه قد تمكن منه وأن علته بها أصبحت بحيث لا ينفع فيها طب ولا يصرها عنه سلاح أو تقوى . وعند ذلك انتقل إلى تلك النافذة فأذا بالسكون شاملاً وإليام التي كانت توج بالحرارة ساكنة هاجسة فيحرق فيها كأنه يتبين أيتها محوى تلك القاسية التي نعم جفناها بالنوم وهو يبد عنه

ولكن لم يواصل التفكير فيها وقد انقطع كل ما بينهما ، ولم لا يحاول النوم هو أيضاً فيضع به

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

٤٠ بلاغة الرب جزءان (مختارات من سفوة الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني والإيطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)

٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحجرات وبه روايتان تمثيلتان)

١٨ نبات الزينة الشبية (على إحدى وتسعين صورة فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكاتب الشهيرة

وكتب الزراعة تطلب من

شركة للبزور المصرية بميدان إبراهيم باشا

ساهرة... إلا عين سيد غريب
يذكره هذا الليل الساجي ،
وهذا البدر المثلّ ، بلده وحبيه
فيؤثره الشوق ، فهو يطوف
بهذه الرابع ويده على قلبه...
وعيوناً أخرى خلال هذه
البيوت البعيدة التي تسكن فيها

الرذيلة وراء هذه الأنواء الكلية التي ترتجف من
الحجل ، وهي تضرب بأشعتها آتية وسط النضاء
حيث يجلس على التينات ثنيات بائسات يمرضن في
استحياء أجساداً عارية تطفح بالشهوة... ينتظرن
حاراً يسوقه القنار إلىهن فيسنة اللذة ، ويطعمنه
من لهن... ليطمين درام يحملها إلى أسيادهن
الذين يكرهونهن على البناء ، ولا يكون نصيبهن
بمد ذلك إلا أرغفة من الخبز مسجوة بالهم والشرف
والوحد...

تلك هي سنة قوم لم يتأدبوا بمد بأدب الاسلام!
فلما مال ميزان الليل ، وغلبت التعب ، ولم
يطرفهن طارق ، تسالن إلى يوتهن فتمن على فرش
الدار ، إلى الصباح ، ليستقبلن من يقذف به القدر
اليهن من الرجال... ولم يبق إلا فتاة صغيرة ، تنظر
إلى السماء بينين زرقاوين بلون السماء ، تفيضان
بالظهر... رغم أنهما في وجه بني ، ولما قم صنير
حلويطلق بالصفاء من غير أن تحرك شفتاه الرقيقتان ،
وكان هذا الفم وودة من ورد الجنان الخالدة ، غير
أنها لا تنوي ولا تذبل ، وأنهما من لحم ودم ، وأنهما
تشم بالهم ، وتلس بالشفاء... وأنف أغريق جميل
كأنه أنف فينوس ، وشعر أشقر متموج يبرق

مَزَلَتَارِيحِ الْأَسْلَافِ

ابن الحب

للإستاذ علي الصلح خطاوي

(الطائف) ... تلك القرية المسحورة التي
سارت ذات يوم - كما تروي الأساطير^(١) -
سارت من ربوع الشام يتياسها وجدولها وبساتينها
ورواضها وزهرها وغمرها طلائف حول الكعبة ،
ثم تحلقت الجبال حتى استقرت في أعلى جبل
(غزوان) ، وهجبت على سرير من السحاب حالة
بالسهول والأنهار والنعمة والخصب ، لتستقظ مع
الفجر فصنع المظاء والقادة ، وتحذف بهم إلى الدنيا
الواسعة ...

(الطائف) ... مدينة الحجاج ...

نامت (الطائف) في تلك الليلة الساكرة التعمراء
ولفها الليل بنلالة رقيقة ، ينفذ من خلالها شماع
القمر فيبدى عماسها الفاتنة ، ويحسر عن يوتنها
الخفية بين الأشجار كأنها أسراب من المشاق قد
تخللت في هذه البساتين ، لتقء إلى عزلة مسيدة ،
تنم فيها بذكري اللقاء الماضي ، وتحلم بقاء جديد ..
وأوى الزراع إلى يوتهم فناموا بين أحلمهم ، كما نام
الراة إثر نهار حافل بالتجوال الفاتن في هذه الجبال
الكاسية بالمشب والزهر ، ولم يبق في المدينة عين

(١) راجع (اليافوت) في (سيم البلدان)

فصَّحَّها على قارعة السيل تلخ فيها الكلاب ... إنه يصرفها كما يصرف دابته ، ويصنع بها ما يصنع بثوبه يلصقه أو يرميه في الطريق ، أو يهديه إلى صديق ، أو يرضى له التعريق والتمزيق ... وذكرت عريضا الذي حرقته مطامع سيدها - وجسدها الذي أبْلته وحشية الرجال طلاب اللذة ، من كل شكل ولون ، فانطلقت تبكي ... وذهبت هائمة على وجهها ، حتى ابتعدت عن هذه البيوت ، وإذا هي بشبح يسير في شعاع النمر ، متشعبا بثوب أسود لا يبين منه شيئا ، فظلت من رجليها ... ومشت إليه ... فلما رآها ارتاع وارتد ، وعجب أن يرى فتاة ستيرة كأنها هي حوراء من حور الجنان تسير عارية تحت ذوائب الليل ... وسألها : مالك أيها الفتاة ؟ - مالي ؟ ماذا ترى ؟

فلم يجب وجمل يحقد فيها تحديقا شديدا ، مأخوذاً بجملها ، وهي تنظر متعجبة لأنها كانت من السفاجة والصفاء بحيث لا تدري جمالها وفنتها ، ولأنها لم تجد من الرجال من يرفع عينيه إلى وجهها ، وإعاجزهم جميعا يخفضون عيونهم إلى غير الوجه ... فبال هذا الرجل ؟

وصهت دقائق حسبا كل منهما دهرًا حلويًا ، ثم قال لها بصوت حلو رقيق ، وقد أشفق عليها أن تنال برودة الليل من هذا الجسم اللدن الناعم الذي خلق لينم بدفء الحب :

— لم لا تدخلين إلى دارك ؟

فأجابته هذا الجواب الذي ألفتته حتى ما تفكر في منتهاه ، ولا تدري منه إلا أنه واجب عليها تزويده كآلة جامدة :

— بشرة دراهم ... هل تدخل ؟

تحت أشعة النمر كبريق الذهب ، وجسم أبيض لبدن ، له لون الباج ، ولين الحرير ، وسحر الحب ، وفضل الخمر ... فعلى وردة غت في غير أرضها فزادت إلى جمالها جبال الندرة ، وهي ملك هبط من سماء فوق في هذه البقعة المثلثة بالرَّجس . ولو أن لصحية أسلوبنا نحن البشر وتفكيرنا لكان مكان هذه الفتاة بين ذراي أم تضمها إلى صدرها الفياض بالبتضحية والاخلاص ، أو زوج يذيقها الحب والوفاء ، ويكنم سر هذا الجمال أن يشقو ويستعلن وتبث بقلبيته الميون السارقة ، والأيدي المجرمة ... ولكن الحياة لم ترها إلا هذا المكان الذي تمرض فيه الأجسام البشرية لكل وحش بشري ... أفرايت الزهرة اليانعة تلقى بين أسنة المعبى ؟ والحمل الضيف يرى بين أنياب الدقاب ؟ كذلك كانت هذه الفتاة وقد قذفت بها الحياة بين ذراي كل وبش فظ غليظ من ذئاب البشر وكلابهم ... هي زهرة ، ولكن الرياح الباتية قطفتها من غصنها ثم ألقتها بين الأشواك البرية لتجف عليها وتذوى ، هي وردة ولكن النهر الجياش اختطفها من منبتها ثم رى بها في الحقل لتموت تحت أرجل البهايم والبشر ... هكذا صنعت بها الحياة . إن لصحية أسلوبا لا نعرفه ، ولا تصل إليه مداركنا الشريرة ...

لبثت هذه الفتاة جالسة تطارد النوم الذي يبيت بينهما التامعتين من غير نفاث ... تأمل أن تجد امرأ يدفع إليها المال الذي فرضه عليها سيدها حين أردادها على هذه الحياة الباعرة ... فنزلت على إرادته ، وجعلت جسدها مائدة لكل جائع ... وهل تستطيع له مقاومة وهي أمته وملك بيته ، محلها من وطنها البعيد فهل من كأس يملأها حتى شبع وروى ،

وتذوق للمرة الأولى لثة التبلات المسولة ،
التي تخرج بها النفسان وتتحدان ، وتعرف حرارة
الصدر المحب ، وحلاوة الناق اللذة ... فتلقى بنفسها
على صدره ، وتمتع للمرة الأولى قلبها وجسمها معاً ..

ولما خرجت تشيمه كان الليل قد تصرم وبدت
ملاح الفجر من وراء الصخور ، تنسل الأرض
بالنور ، بعد أن خلت عنها رداء الظلام . فوقفت
الفتاة تنظر إليه وقد أحست بأن هذا الحب ينسل
نفسها ويطهرها ، وأن الفجر قد سطع على قلبها فبدت
ظلمته ، وتنهت في نفسها ذكريات ماضٍ بعيد
حبيبته قد مات منذ زمن طويل فأذا هو حي قد
أكسبه الحب يقظة وقوة ، وطفقت صور هذا الماضي
تتدافق على نفس الفتاة فتبصر سبباها الطاهر كثلج
الصباح ، وحياتها في تلك الحائل البعيدة ، في أرض
قارس ، كغراشة تطير خلال الورد ... ولكنها
لا تدب هذه الصور ، ولا ترى منها إلا خيالات
ضئيلة . لقد مشت عليها السنين فحبها بأفئدها ..
ثم تفكر في حياتها الحاضرة ، التي تخوض حباتها
الهنسة ، وتمرض لها صور هذه الأجساد البشمة
التي تست جسدتها ، وطاقته وقبضته منه
لنفسها ، فيمررها ارتجاف شديد ، وتواري وجهها
بكفها حياء وخجلاً ... ثم تذكر هذا الحب الذي
مس قلبها بكهربائه فأشبهه وزكاه ، فتزم على التوبة
لتصل ماضيها البعيد الطاهر ، بمستقبلها الذي طهره
هذا الحب الوليد ...

وزغت الشمس ولم ينمض للفتاة جنف .
فدخلت منزلها تستريح وإذا هي رجل يدخل عليها

ووثبت بين يديه تسي إلى البار بخفة ظلي أغلت
من شبكة المصائد ، وتبعها حزناً متألماً يفكر في
هذا الجمال الطاهر كيف هوي الرذيلة على تدينه ،
ويأس لها ، ويتمنى لو استطاع أن يسمو بها إلى أفق
الطهر والصفاء ... حتى بلغت البار ، فدخلت ودعته
إلى الدخول ثم أغلقت الباب ، ووقفت بين يديه
تنظر ما يريد ... يا لهذه المسكينة التي عاشت وسط
الرجس ولكن قلبها ظل نقياً طاهراً ، لأن الخطيئة
لم تنسل إليه ... فلم يبد الرجل حراكاً ، فجالت
تنظر إليه حائرة وقد بدأت تتشامو تنظريه الفنون .
ماله لا يصنع ما يصنع سائر الرجال ، يأخذونها عارية
كشعاع القمر ، فيحبون بها ، ويسخرونها للناسم
كأنما هي أداة لا تنقل ولا تضر ، ويضطرونها إلى
فتح صدرها وشففتها لقبصهم ووحشيتهم وأقذارهم ،
ثم يلقونها بعد أن تسكن أجسادهم الجشمة ، كما يلقى
الرداء رتقالة امتصها حتى لم يدع فيها إلا قشرة ممزقة
خالية من الماء ...

ماله لا يفضل شيئاً من هذا ؟ إنه يزرع ثوبه
فيقلبه عليها يحفظها من برودة الليل ، فيبدو من
وراءه شبابه وجماله ، ويثابه الحريرة الناعية ، ثم
يأخذها برفق ويمسحها على ركبتيه ، وينطلق يسألها
عن أصلها ومتبها فيلطف ودعة ... ويلقى في أذنها
أحداث الحب الساي التي لم تسمعها من قبل ، فيجني
في نفسها الطهر والفضيلة ، ويشملها من أردان هذه
الحياة الداعمة ، فتص كآبة جناحها الذين
حطمتها يد الأيام قد فتتا من جديد ، ويمس بأن
هذا السيد الذي يبط عليها هذه القيلة هبوط ملك
الرحمة ، يطير بها في آفاق لم ترها بعد . ولكنها آفاق
واسعة كلها نور وعطر ...

— أحب أن تعرف من أنا؟ اقرب لأخبرك
ويلقى في أذنه ذلك الاسم الكبير ، تسقط
يد بكر على جنبه ، ويستقر لهذا السيد ، ثم يخرج
يائساً يقش خلال البيوت عمن ييمه اللذة .
ويأخذ هذا السيد يد الفتاة إلى دارها التي
أعدّها لها ...

وعد الحب رباطه المقدس بين قلبيهما ،
فأصبحت هي حياة لا يعرف الحياة إلا ساعة يكون
مهما ، واختصرت دنياه كلها فكانت نظرة واحدة
في عينها ، وملأت نفسه هذه الفتاة التي ظهرت له
نجاة ، كما تظهر الشمس نجاة من وراء الجبل فتملأ
الوادي نوراً وحياة ...

لقد نسي هذا السيد المجد احدى ينتظره في مكة
والمركة الكبرى التي رقب فيه قائدها ومديرها .
ذلك هو الحب ، أقوى كائن وأعظم مخلوق ...
يستطيع الحب أن يحو من النفس سورة المجد
والجاء ، والفضيلة والريذة ، والطموح والحسد ،
ولكن لا يحوئ شيء ...

الحب أحجية الوجود ، ليس في الناس من لم
يرف الحب ، وليس فهم من عرف ماهو الحب ..
الحب مشكلة العقل التي لا تحل ، ولكنه
حقيقة القلب الكبرى ...

الحب أضف مخلوق وأقواء ، ينتهي في النظرة
الخاطفة من العين الفاتنة ، وفي الرجفة الخفيفة من
الأخنية الشجية ، وفي البسمة اللومضة من التفر
الجميل ... ثم يظهر للوجود عتياً جباراً ، فيني
الحياة ويهدمها ، ويقيم العروش ويثلمها ، ويضل في
الدنيا الأفاعيل ...

ينتهي أن تمنحه اللذة فتأمل في وجهه فإذا هو
بكر التقى أشد شباب الطائف وأقوام ، فيرعها
مشهده ، وروعها كأنها هي عذراء لم تفارق خدر
أما ، فتبتدعه مضطربة ... فيجبه ذلك منها ،
ويظن أنها تداعبه ، فيبالغ في الاقتراب منها ويأخذ
بيدها ، فتجسّ للمسه كأن حية سوداء قد التفت
على عنقها ، فيقشعر جسمها كله ويقف شعر رأسها
وتصرخ به :

— أبتدعني ! فيضحك الرجل ويكرر
من الضحك ، ويشد على يدها ليجنبها إليه ..
فتعود إلى صراخها ...

— ماالغزال فافراً هذا اليوم ... تعال
— قلت لك دعني ... دعني ... لست لك
فيصبح بها ساخرأ : لن أنت إذن أبنتا العذراء
البول ؟ أزوجك ؟

ويوغل في الضحك ويضمها إليه فتطمم وجهه
وتوغل في الصراخ ، فينضب الرجل ويقسو عليها
— ألم تقل لك إنها لا تريدك ؟

صوت هادئ مترن ، جبل بكرأ يرسل الفتاة
ويثبث إليه ، فيرى سيداً كامل الشباب ، موفور
الرجولة ، بثياب ناعية تشعربالسيادة والنقى ، وتطمئن
الفتاة وترى فيه حبيبها ومتقدماً . ثم يخاطبها الخوف
عليه لأنها تعلم أي رجل هو بكر ، ذلك الذي لا يقوم
له شاب في هذا البلد ولا كهل ، وتنتظر نهاية هذا
المراك ، وقد أعدت نفسها للدفاع عن حبيبها
ويصبح به بكر منضجاً :

— من أنت أبنتا الرجل الذي يتجرأ على بكر التقى ؟
ويرفع يده عليه ، ولكن الرجل يقبض على
ذراعه ، ويقول له هادئاً :

أو ينفضون في الناي تلك النعمة الفاتنة التي يتوارثها
الزعة جيلًا عن جيل فلا يفقدها التكرار لحالاتها
ولا جملها ، فلذا انبسطت الشمس وتصرمت
الظلال أوا إلى الفار فاشأا روحًا واحدة في
جسمين ... حتى إذا وقعت الشمس للوداع خرجا
مرة أخرى إلى الصخرة يودعان الشمس ، فينظر
كل منهما بأربع عيون ، وبهمس في أذنها وهي
في حضنه ، صدرها إلى صدره ، وخدها مستريح إلى
خده ، بألم شديد الحب العذبة تتسمها بروحها
وتجيب عنها بلغة عينها ، حتى تنيب الشمس ويبقى
الليل ذوائبه السود على الدنيا فيمودان

الحب ربيع الحياة للزهر ، ولكن الربيع ينتهي
ويأتي الصيف بجمارته ، والحريف بشعوبه ، والشتاء
بزمهره ، ولا بد أن ينتهي الربيع ؛ أيام الحب كأمس
مترة بالغمرة الآلمية ، ولكن الكأس تفرغ
ويحس الإنسان بالظما ، ولا بد أن تفرغ الكأس ؛
طشا في ليالي الحب ما عاش الصيف ، فلما بدت
طلائع الحريف وغمرت الطلائف وسخورها ، وعلا
صوت الواجب من بطن مكة يدعو هذا السيد ... لم يبق
بذ من الفراق ... إن الحرب تدور هناك وراء هذه
السفوح البعيدة ، يخوض قومه لظاها أفتيق في
نجمه من نللي الحرب ، وهو السيد الشريف
والفارسي للملم ؟ أيتقلب قومه في غمار المركبة للشتملة
ويتقلب هو في أحضان امرأة يقطع من عينها
السحر ويذوق من فها الخمر ؟ لو أن رجلا من قريش
لم يكن في المير ولا في النغير رضى بهذا القرار
لكان له سبة البحر ؟ فكيف بسيد المير وبطل
النغير ؟ لم يبق يد من الفراق ... ظميرق قلبه

كأنما يلتقيان دائما فيتحدان عن ماضيها
وحاضرهما ، ويكشف لها من أسرار قلبه مثلما تكشف
له من أسرار قلبها ، فكان هذا التكشف طريق
الوحدة ، والفناء في الحب ، حتى إذا لم يبق لأحدهما
سر يمكنه من الآخر لم يبق له (أنا) يتفرد
بها عنه ...

لقد طهرها بحبه ، وصهر ماضيها للوث فأحله
بنار الهوي جوهرًا خالصًا ، ورفضها من الحضيض
الصنيق الذي كانت تغلب في ظلماته إلى سماء عالية
رحيمة . وليس كالحب إذا خلص مظهرًا للنفوس ،
ومصلحًا للأسم ، وحافزًا إلى الفضيلة ...

الحب مدرسة الله الكبرى ، وقانونه الأقدس
لولا الحب ما أشرفت الشمس وغمرت الأرض
بنور دها ، ولا منحتها الحياة والنور . ولولا الحب
ما التفت النمن على النمن في النسابة النائية ، ولا
عطف النلي على ولده في الكناس البعيد ، ولا حنا
الجليل على الوادي التمزل ، ولا أمد النبوع الجدول
الساحي نحو البحر . ولولا الحب ما بكى الغمام لجذب
الأرض ، ولا ضحكت الأرض بزهر الربيع ، ولا
كانت الحياة ...

كأنما يجزبان كل غداة حين تسم الشمس بسمها
الأولى ، فيجلسان على هذه الصخرة المنفردة للطلقة
على البساتين القريبة ، والنفار البعيدة ، فيشاركان
المصافير غنائها ، والورد ضحكها ، والنسيم همسه ،
والنور طهره وصفاه ، فيتحدان ويتناغيان كحيتين
ضمتهما وكر ، وما ينتظران إلى الزعة يسوقون
أغنامهم نحو السفوح المشابة يتنون أغانيهم الساحرة

فصحت فيها الأمواج . لقد أورتك الألم ... والألم
حصاد الحب ، فهل تقفري لي ؟
أى ألم يا حبيبي ؟ أنا سيدة ... سيدة جداً .
وانطلقت تقيه في فمه ...

— ولكن الواجب يدعونى إلى الذهاب ...
— بردى ألا أذهب ، وأن أبقى معك أبداً ،
ما ذا يصنع الانسان يا حبيبتى ؟ .. أحمين أن يقال
أنى فردت من المركة ؟

— وأنا ؟
— سأعود إليك ، أحلف لك أنى سأعود ...
— وهذا الذى فى أحشائى ؟
— مانا ؟ مانا تقولين ؟ أنت حامل ؟

— نعم
— آه . لىنى ا
واستطاره للفرح فأقبل يضع قبلاه من وجبها
وعنقها حيث تبلغ شفاته
— لىنى أبقى حتى أراه . لىنى أبقى . هذا
إبن الحب ...

— إبنى ، إبنى ، أتوسل إليك ، مانا تخشى ؟
— أخشى المار ، أنها سبة المهر ، فدهنى
أذهب . سأعود إليك ، أفضنينى إذا أنا ذهبت ؟
ألتقين بنفسك فى أحضان غيري ؟ لا لا ، إنك لن
تسى . إنك ستقومين على رية ابنتا . ستشدين على
العظمة والمجد ، ليكون رجلاً يحمل قسطه من إرث
أبيه ... وإذا سألك عن أبيه فلا تخبره من هو أبوه .
دعيه ينشأ مستقلاً كالزهرة المنبثقة فى الجبل ، ويمش
حراً كالطائر الذى يترد على كل غصن . لا تخبره
من هو أبوه ، بل أعديه لنهم هذه الحقيقة ، حتى
إذا صار أهلاً لنهمها ، وغدا كفوا لجل هذا الاسم

شطرن ، فبعد شطراً فى هذه الأعالي المخضرة
الساحرة يحلم بالحب ، ويتجرع غصص الكركيت ،
وينهب بالشر إلى ميادين المجد ليألم فى سبيل الوطن
ويحمل جرحه القاتل ليأسو جرح أمته ، ويضحي
بالحب فى سبيل الواجب ...
وتنهيا للوداع ...

وعلا زوران مرابع الموى وبجالس الحب ،
فيودعها ذكرايه وقليه حتى انتهى بهما اللطاف إلى
هذه الصخرة للشرقة على الصحارى النائية ، فجلس
إليها وأخذ فتاة بين ذراعيه يضمها ويخفى وجهه فى
عنقها ويخلل ثيابها ، ويضم عنقها كما يريد أن
يتروذ منها لأيم الفراق . وأخذت هي بنشوة الحب
فجلت تشد يدها عليه وتثبت بشعره ، وترى رأسها
على رأسه ، وتسمى لو أن هذا الحب يصنع المعجزة
التي ينتظرها المحبون أبداً ... أن يحو هذه (الأنا)
و (الأنت) ويحمل الباشقين شخصاً واحداً كما
جسلاهما روحاً واحدة ، وترى وهي بين ذراعيه كأن
بينهما بعد المشرقين ...

وكان عند أقدامهما بستان جميل ، قد خلطت
خضرته حمرة الشقائق الفاتنة فأراه يمدق فيه ، وفي
عينيه دمة ، فراعها ما ترى ، وانطلقت تماثله ...

— اسمي يا فتى ...
— أنا سامعة ؟
— أريد أن تنفري لى ؟
— وم تستفري أنى أياها الحبيب ؟
— لقد كان حسي وبالأ عليك . لقد كانت
حياتك ساكنة ساجية كليل اللطاف ، فلأما حبي
زهر برأ ورفقاً وودعاً . لقد كانت مثل الهبة الهادة ،

طفل رقص في شمع الشمس ، وهو بالألعاب إلى شيخ يأس يتأمل في الظلام ، لقد نزع ثوب الفرح الزاهي ، وليس ثوب الكآبة القاتم . لقد انحصرت حياتها في أسر واحد هو التفكير في الحبيب الذي أكسبه طول الفكر سورة سحرية بأرعة لا يملكها بشر . فكانت تقيس من ترى من الرجال بهذه الصورة التي استقرت في خيالها فلا يسحبها رجل ولا يحفظه ... بل لو أنها نظرت إلى صاحب هذه الصورة بشكله الحقيقي لما أعجبتها !

أرادت أن تفرق غرامها في لجة العبادة فكانت تؤم مبدت قومها في الصباح الباكر ، لتق إلى صلاة عميقة ، فلا تجد في هذه الآلة المصنوعة من الحجر ما يشير في نفسها الورع والخشوع ، وتبتل لها مطرقة النحات الذي صنع هذا الآلهة ... فتعانف عبادة ، ولا يرونها منها ما كان يرونها وهي سفيرة من نار المبعثان الذي نشأت في داره ، ولكنها نسيت عبادة هذه النار منذ زمن بعيد ، فبقيت حائرة لا تطمئن إلى عبادة

ما أشق المحبين ! يعيشون كما يعيش الناس ، ويا كلون كما ياكلون ، ولكنهم يعيشون في دنيا لا يمر بها الناس ولا يصلون إليها ، تنسحق الدنيا بالحجب إذا جفاه محبوه حتى ليكاد يجتثق فيها على سمها ، ويجد في العش الضيق الذي يلجأ إليه مع محبوه دنيا واسعة ، ويتألم الحب في الذائد ، إذا لم يذوقها معه من يحب ... والطبيعة الجلية سواد في عين الحب قاتم إذا لم تفرها مقلتا المحبوب

كان عمل هذه الفتاة أن تطوف كل يوم بهذه المنازل التي ولد فيها حبها ونما . فتبكي وتذكر وتقبل الأحياء والأشجار ، وتسير مع الهم أحياناً تظن

كنت أنا الذي يظلمه عليه ، وإن لم أكن حياً فأسأله من يخلع عليه اسمي ...

ووقت الفتاة تنظر إليه وهو يتحدر في هذا الطريق الضيق ، الذي يجتثق حينا وراء الصنخور ، ثم يظهر ويوالى سيره نحو الزمان حتى غلب عن ناظرها ، فظلمت تلقاء البلد ، فإذ هي تشكرها وإذا هي لا تصرف من هذه الدنيا شيئاً بعد أن ثابت عنها دنيا الحب تنفث قلبها واضطرب ، وحسبت تنادي حبيبها وتلح في النداء . وتشير إليه وقد غلب عن ناظرها وراء الأمان البعيد . فلما لم تجد حبيباً تيقنت أنها لن تلقاه أبداً . فغرت على وجهها بأكية متحجة ولم يبق لها من الحياة إلا ذكريات هذا الحب الذي ولد شاباً قوياً ، ولكنه مات طفلاً صغيراً وهذا السال الذي أبقاه لها الحبيب . تنفث منه على نفسها وولدها وترضى به سيدها ليدعها آمنة مطمئنة إلى حياة شريفة لا تدنسها الرذائل ، فكانت تتألم وحيدة كشمة تشتمل في البهو الخالي ، وتقر نفسها بالأحزان فلا تجد من تبثه أحزانها . لم يكن لها إلا الحب ، فكانت تمنق الحب في الليل وتساره في الطريق ، وتناجيه في الصباح ، وتناجيه في المساء وتصبه إلى هذه الأماكن التي عرفت فيها المصادة ولكنها لا تجد في كل ذلك إلا الألم . إن كل ما ترى يذكرها بالحبيب فيزيدها لوعة ، ومتع ليالي المصادة تستحيل إلى آلام ، فيا ليت الإنسان لا يذكر ، إذن لا تألم ، إن ذكرى اللفة مؤلة . وذكرى الألم لا تسر .. أو ليس من أكبر النعم على الإنسان أن ينسى ؟ لولا النسيان كانت الحياة لا تنطق !

قد قوى حبها واشتد ولكنه استحال من

ترتل صلاة الساء، والشمس نائمة على سرير الأفق صفراء كأنها مريضة ناص رأسها في عشرات الوسائد ، ونحن متماقنان صدرى إلى صدرك ، وعيناي إلى عينيك ، وخدى ملصق بخدك ، أقبل عنقك وتروغ شفقتك بشمري ، ثم نهتني إلى مشهد القروب ، فلففتنا فنظر إليه مشدوهين ، حتى غبنا في قرارة حلم يجمع من أحلام الحياة ...

أذكر ... ؟

أذكر مسرانا في هذه النابة الصغيرة المثقفة ، وقد دخلوا فيها وحدا وتركنا الدنيا بضجبتها وسخنها حين نمتي وحيدتين ليس معنا إلا الحب الذى يربط بين قلوبنا ، تلتفت حولنا فلا نرى إلا جفوع الأشجار للتأققة ، تتسلسل من كل جهة حتى يصل البصر طريقه خلالها ، وأغصانها متشابكة من فوقنا كأنها سقف مرفوع ... لم أكن أشعر بالوحدة لأنك معي ، وهل كنت أجتني من دنياي أكثر من ذلك ؟ حسبي أنت من الدنيا ... أذكر ذلك ... ؟

أذكر تلك الشجرة المتمزلة الوحيدة التى كان لها في تاريخ حبي أجل الآأار ؟ أنا أنا فسامرة أذكرها وأفكر فيها ...

لماذا أذكرني لذة الحب ؟

لقد كنت راضية بالحياة مطمئنة إليها ، أعيش في الظلام ، فلما عرفت الحب عرفت النور والسمو وعلت ماضى اللفة ... فلا النور دام ، ولأنا أطيع

الرجوع إلى الظلام ! »

ولست أستطيع أن أعيد كل ما قالت ، لأنه مكتوب في كل قصة غرام ، وهل الغرام إلا قصة واحدة تكرر أبداً ولا يمل البشر تشيلها ؟ وهل تمر ليلة على

بأن الحبيب حاضر معها . قتهم بيناته وبشه شكواها ثم تبعها وحيدة ، فيجب قلبها ويشد خفقانه ، وتسقط على وجهها فتبكي وتذوب وحيدة لا يدري بها إلا الله ، وكانت تأمل أن يعود فتنتظره على الطريق وتربق الدقائق فإذا تصرم النهار ولم تره عادت إلى منزلها آيسة عزوة ...

وافتتح بطنها من الحبل ، فبانت تحمل أفعال الحب في بطنها وقلبها ، وعزت عن الطعام والنام ، فرق جلدها وتهاوت جسدتها ، فلم يعد في طوقها أن تطوف بتناسك حبها ، ومنازل هواها ، فكانت تحبي الليالي ساهرة مؤرقة ، تنجس النجم ، وتساقل الليل عن حبيبها ، وتخطله من وراء الصحراء كأنه معها

« أين أنت أيها الحبيب ؟ هل تنام الساعة أنا مطمئنة ، أم أنت بين ذراعي غيري ؟ قد نسيتي وعوت من فمك ذكرى هذه البنى التى طهرتها بحبك ، ولكنها لونت شرفك وبجديك بماضيتها الدنس ؟ لقد كان حبك لى قبياً كآء السماء ، ولكن شهوى المضطربة عكسرت صفاءه ... أنا الطائر الضيف الذى حلم الدهر جناحيه فألف حياة الأرض مع الحشرات والهوام ، فجئت أنت من السماء لترفضه بجناحيك القويين إلى السماء ، فرضته حتى استطاع أن يملأني فيها ، ولكن هذا التراب الذى ظل طائفاً به قد غيّر جناحك أيها الصقر ، أفلا تعرف ؟

قد قنعت بك من الحياة ، حتى ما أبالي إذا وجدتك ماذا خسرت ، ولكن بماذا أقتنع وقد خسرتك أنت ؟

أذكر ساعة جلست إلى الصخرة وحيدتين ، والطير

كان ملء الليون والأشنة ، تمر السنون فلا
تزيد إلا ذكاء ونبوغاً ... وكان سيدياً يتم بحب
أمه ومالها ، ولكن أمراً واحداً كان يفتن عليه
هذه السعادة ، ويؤله أشد الألم ، ذلك أنه لا يعرف
من هو أبوه ... وكثيراً ما سأل أمه وأطال عليها
السؤال ، ولوّن لها الأساليب . فكان يمنحها من أن
تخبره إرادة أبيه . فتظل متصمة بالصمت ...
وكثيراً ما أمضى الساعات ساهماً واجماً يفكر فلا
يهتدي ...

فأزعم أن يكون بفضله أبا نفسه ... وأن ينزل
من هذه الجبال فيناصر في الحياة ...



ظل ذلك السيد القرشي يفكر في الفتاة ويصالحها
بالسأل ويعترف أخباراً عنه ويقوم سبيله ، ولكنه
انصرف عن الحب ولم يمد له في حياته مكان . إن على
عاقبه عيناً ضخماً ، إنه يقود إحدى الفئتين في أعظم
ممركة عرفها تاريخ الانسان من يوم هبط آدم من
الجنة إلى يوم تقوم الساعة ... الممركة بين الحق
والباطل ، بين الحرية والاستبداد ، بين المستقبل
للتنظر والماضى القديم ، بين الحضارة والبدولة ...
وكان هذا السيد قائد الفئتين للناصرة عن الباطل ،
فجاء الباطل جولة ثم اضمحل ، فإذ انوار الذي
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يضيء الجزيرة ثم
يخرج إلى الشام والعراق ، فترقب عليها رابعت محمد
ظافرة منصوره ؛ وإذ أبو سفيان هذا السيد القرشي
جندى صغير في جيش محمد ... ذلك أن مقاييس
المنظمة قد تبدلت ، وأن الدين الجديد لا يعتمد على
التسب ولكن على الكفاية ، ولا يعرف الطبقات
ولكنه يقر المساواة . فهبط أبو سفيان ، حتى صار

بلد فلا ترى في أحشائه علقماً مدقاً يسهر ويتألم ،
بينما ينتم الناس آتين لا يرجعون المحيين ، لأن الحب
شيء لا يدري به إلا المحبون !

ولبثت الفتاة على عذابها ، حتى أحست بلجنين
يتحرك في بطنها ... فذهبت تنفخ وحدها عن هذه
اللفة التي شاطرهما متمتها الرجل ...



واستهل الوليد جيلاً كآثره ، حلوا كالأمل ،
تقياً كطليح الربا ، تبدوا في عينيه كبرياء أبيه ، وجمال
أمه ، كما يبدو خيال السماء الصافية في البحيرة
السائلة ، فتدثلاثان بهما كما يتلجج الجدول بجياه
الينبوع الصافي ، ويترددان فيهما كما يتردد صدى
أنشودة الراي في مسارب الوادي العميق ...

فغضته إلى صدرها الفياض بالحب ، ونذرت له
حبها وحياتها ... وعزمت أن تكون له أما لأنه
ابنها ، وأن تكون له أماً لأنه ابن حبيها الغائب ،
وأن تنشئه على الكبرياء والمجد والسيادة ، تزولاً
عند إرادة الرجل الذي أحبت ، ورجاء أن يحمل هذا
الوليد اسم أبيه الكبير ...

وتكامل مثلاً يتكامل الثمر في أوائل الثمر فلم
يلبث أن صار بدرأ في كل عين ، ونما مثلاً ينمو
النصن النص في فرائل الروض ، يرتفع في الربيع
ليدرك نيسان ويستمتع بجماله ويزينه بورده ، فلم
يلبث أن ملأ ببطره كل أنف ، وزايد كأه أغنية
عجب بدأها همساً في جوف الليل ثم استطال بها
صوته حتى ملأ الفضاء ، فلم تلبث أن صارت أغنية
الحب على كل لسان ، ويقوى كآه الحب يفتق
في القلب ، فلم يلبث أن صار جماً مستقرّاً في كل
قلب ... كذلك أصبح هذا الغلام ...

— (أما إنه ابن عمك) —
 — وكيف ذلك؟ —
 — (أنا فنتخت في رحم أمه سميته) —
 — (فأينمك أن ندميه؟) —
 — (أخشى هذا القاعد على النبر أن يفسد على إهابي^(١))

وذهب أبو سفيان إلى معاوية ، وقد استيقظت في نفسه ذكريت حبه القديم ، وطلق ينظر من وراء سبعة عشر طاماً إلى تلك الفتاة التي أذاقته السعادة ، وفزعته نفسه إلى الاعتراف بإبائها علناً ثم تناء أنه لم يحين الوقت بعد ، إن اسم أبي سفيان لا يحمله إلا قائد كبير ، أو وال أو أمير ، فليترص وليتأمل ؛ ولكنه شيخ كبير هو هامة اليوم أو غد فمن هو الذي يحمله هذا السر الذي يضيق به صدره؟ ليس له إلا صدر معاوية ، وذهب إلى معاوية (كسرى الرب) ...

إسمع يا معاوية ... أنصرف الفاكه بن المنيرة؟ لقد كان هذا الرجل زوج أمك ... أمك هند بنت عتبة بن ربيعة التي جمع الله كبر النفس ، وكرم الوالد ، فلم يقو على حفظ هذه الأمانة ، واختطف ... وتحاك إلى بعض كهان الجن ... وجزعت أمك وخافت ، فقال لها عتبة :

— (أني أرى ما حل بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لسكرته عندك) —
 — قالت : لا والله يا أبتاه ، ما ذاك لسكرته ولكنني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطيء ويسبب

(١) جل من التاريخ

جندياً ، وارتفع هذا الرجل الذي لا يملك نسباً في هاشم ولا أمية — وليس له جلود من غزوم ، ارتفع صرخته حتى صار أميراً للؤمنين ووارث كسرى وقيصر .

تبدلت الدنيا كلها ، فإذا الدعوة التي كانت تكافح لتغلب مكة ، قد استتجعت مكة وأهلها والمجزرة كلها ، في حرب الأعداء الذين سر قوا حرية الشعوب وعشوا بثرات الانسانية ، وإذا القرية التي كانت منقطعة وراء الرمال قد سارت منذ هبطها محمد قسبة الأرض ووارثة للدان سلطانها ، وشركة القسطنطينية في بلادها . وإذا هذا المسجد الصغير البني من الحجارة والطين وسقف النخل ، ينبأ الأيوان العظيم بشرفاته ودعائه ، وقصر الشالسيه بزخارفه وقوشه وقبابه وأبراجه ، ويصير ندوة الدنيا ، ومدرسة العالم ...

ففي ذات مساء دعى الناس إلى الاجتماع في هذا المسجد ، وكان المسجد دار السياسة كما كان دار العلم والعبادة — فوافدوا عليه من كل سوب ، فلما اجتمعوا قام أمير المؤمنين فبشر الناس بفتح جديد وقدم إليهم شاباً لم يروه من قبل يدعى زباداً ليصف لهم هذا الفتح الذي جاء بخبره ، واستشرف الناس ونظروا إليه ، فلما أبصره أبو سفيان وكان في أصل المنبر إلى جانب عليّ خفق قلبه واضطرب ... إنه ابنه زباد — ابن الحب — وجلس أنفاسه ليصني إليه ، وقد خاف عليه القضية ، فإذا الفتى الجليل الوسيم يخطب خطبة يملك بها الأبواب ، ويستهوى القلوب فلا يملك نفسه أبو سفيان أن يقول لعل :

— (أصبحك ما سمعت من هذا الفتى؟) —
 — (نعم)

ولا آمنه أن يسمى ميمياً يكون على سببه) (قال: إني سوف أخبره لك^(١))
 وخجلاً له خبيثة ضررها، ثم قدموا إليه أمك
 في نسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب يده
 على كتفها، ويقول أنهض، حتى دنا من أمك،
 فقال لها، أنهض غير متهمة ولا جانية، (وستلدين
 ملكاً يقال له معاوية^(٢))
 فهض إليها الفأكة فأخذ يدها، (فترت
 يده وقالت إليك عني، فوالله لا حرصن على أن
 يكون ذلك الملك من غيرك^(٣))، فكانت امرأتى ...
 وكنت ابني ...
 فافاحت بشارة الكاهن، فأعلم أن لك شريكاً
 في ذلك الملك ...
 الذي يستصرحك من أعماق قبره، برن في أعماق
 قلبك، لترفع ابنه الذي أنبتني من قلبه وجبه وتخلع
 عليه اسمه، وتتمحه حقه من لوث أريك وإرث
 أسرتك للأجد ...
 أتصرف من هو ذلك الأخ؟ أتصرف زياد بن عبيد
 الذي خطب على منبر المدينة بين يدي عمر، غبراً
 بالفتح؟ ذلك هو ابن أريك، ذلك هو (ابن الحب)
 فاجزني هل تحفظ وصيتي؟
 — نعم فأبى نعم
 — إذن قرّ عيني وهي تحت التراب ...
 وذهب أبو سفيان يذكر لبالى الحب!
 على الظنطاري

(١) جل من الطارخ

في ذلك اليوم تسمع صوت أبي سفيان أريك

الصيف خفيف هذا العام

لأن

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

معتدلة في آثامها .. جميلة في ألوانها

فبادروا بأخذ طلباتكم

وكاليد ينهبها تودد وجهها
إلى كل من لاقته وإن لم تودد
هذا البشر والبشاشة
والإبتهاج التي هي أُم عناصر
الحسن والجمال في المرأة لا تجتمع
إلا مع الأدب والتواضع والرفقة ،
ولا تتوافر إلا إن ينعم ببشاشة

هنية وحياة رضية
وكان الملك فضل الله سالماً
ودعاً ، تقياً مؤمناً ، يقرب من
بتوسم فيهم الاخلاص ويثق بمن
يظهرون التقوى ، ويلقب لهم
وضيق عليهم تزلماً إلى الله وقربى .
قدم على بلاطه يوماً درويش
من التصوفين حديث السن ،
جميل الصورة ذو فطنة وذكاة
وأدب وظرف ، فأقام أياماً بين
الحاشية والبطانة ، فاستطاع أن
يجنب إليه القلوب ويقتن الآلباب
برقة شائمه وحلاوة طيبه ، وظرف
خصله ، وعذوبة حديثه . وكان
الفتى التصوف جَمَّ التواضع ،
كثير الاطراق ، ذا قناعة وفتنة ،
غزير المعرفة ، فضى خبره إلى
الملك وإياع الأمين الذي وصفه في
حسن تقديمه في غيبة
فتأقت نفس الملك إلى رؤيته
وساع حديثه والسرور بارتشاف
سلافة غداسته ، فأوفد أمينه

الملك والدرويش

بقلم ولفرید ستا بلشيز
لأستاذ محمد لطفي جمعة

تعريف بالقصة
ولفرید ستا بلشيز كاتب انجليزى
مقل ، أحب الأسفار في الشرق وكان
ذلك غيب قراءته قصة « حلى بابا
الأسفهانى » التي كانت لها شهرة
فاخرة . فراح في إيران وجذب إليها
شعر الخيام ، وأدب الخيام وحافظ
والفرودوسى ، وقد دون أسفاره في
مجلدين وكتب بضع قصص قصيرة
منها قصة الملك والدرويش التي جعلها
على غمت الوثائقيات الحديثة ، وأعا
المركبة بالقول بين الأرواح ، لا بين
الأجساد . ووصف الحيلة الشرقية
على هذا الأسلوب البارع نادراً في
الأدب الأوروبي . فالمعجزة « بلا كود
بجازين » التي تنقل عنه هذه القصة
الرائدة « إنها خارجة من أعماق
الشرق كلية من ألف ليلة ، عليها
مسحون أحلام الوديان المأدبة والجبال
الناطقة وفيها ألوان من حياة اللوك
البعثة ويضئ المرويش المخادعين
الذين يجربون بالأرواح ويسرقون
الأجساد ويتصوبون شيأ كهم لأجابههم
قبل أعدائهم ، ويصيدون غوس
من أحسنوا إليهم ، وهم ينجون تحت
مرصفتهم غوساً أسود من غياة
الجلب وأعمق من الأبار الثابتة »
وقد أثرنا تحريرها لقراء الرواية علم
يجدون فيها من اللذة ما ذكره نافعا
الأرب .

كان في بعض أقطار الفرس
— آذربيجان — ملك اسمه
فضل الله ، وكان عادلاً رحيماً ،
رؤوفاً بعبته ، كريماً على قرائهم ،
ساعداً على ساداتهم ، شاعراً
سيوف جنده للثوود من حياتهم .
يجوس خلال ديارهم لينصف
الظالم للظالم ، فأعما بواجب الحكم
خير قيام ، ناصياً بميزان العدل
والإحسان . ومن حسن سيرة
وسماحة نفسه أنه كان يبيت على
أنه يوافق ووثام مع زوجته الحسنة
أنوشروان . وكانت الملكة
أنوشروان غمزجاً للوجه
الضاحك المتبشر اللطيف المبهل ،
الناطق بما يجيش به الروح من
مشاعر الفرح والطرب وعواطف
الرفقة والظفر والحنانة ، فأجال
في مسفات ذلك الوجه الفارسى
البديع ماء البشر والبشاشة ،
وكساه رونق الأنس والإبتهاج ،
ونضرة النعم والأمن والطمانينة

والتي ذكر بحاسنه وقضائه فدهاء إلى مجلس العرش
تطلب لللك في استقباله ، وأقبل عليه حتى أزال
وحشته ، فوجد ما شاء علماً وأدياً ، ثم شجبه
فأساب ما لم ينتظر ، دهاء وأرباباً ، وسمة حيلة ،
وجال وسيلة ، وبُدغور ، إلى تجربة وحكمة وغزارة
حكمة . وألني حقيقة الرجل فوق التي فاع ، وأبصر
في صورته وعقله وبصيرته وبصره بالأمر أكثر
مما قصرت في نقله الأقوال للأسماع . فصرح الملك
بهذا التصويف التام " أعظم الفرح ، وكأنه ظفر
بناية الأمان ، وندرة الدهر ، ورايح للمستحيلات .
فتمسك به وأذنه ونسى بهذا النيف الجديد كل
النداء والسَّمار ، واكتفى به عن جميع الوفود
والزَّارين . وأراد أن يختص به نفسه وأن يستيقبه
في بلاطه ، ليستمتع به ما بقي من أيام عمره التي
تجلبها صحراء عجيبة بدون استمرار موده ، ففرض
على المرويش السيد أسبي ما لديه من المناسب
والرتب ، وبذل أقصى ما يملك من المال والنشب ،
وحسن له أعلى مناصب الدولة ، حتى رئاسة الوزارة
وجلال الإمارة ، لم يبتخل بهما عليه ، وهي تلك
الوظائف التي رأى سادة البلاد ومشيعتها وصفوة
خيارها وزعمائها يتكالبون عليها ، ويتهاقون على
لحمها تهاقت الفرائس على النار ، مهما بلغت بهم السن
وقطعوا من أشواط الحياة ونفوا من مفاخر الجيد
في السلم والحرب ، فما زالت بهم حكمة تدعوم إلى
معاودتها ، ولكن المرويش اللبيب تنحى شاكرراً ،
وأبى مستندراً قائلاً :

— مولاي ! لست وربي سبحانه أرفض بطراً
ولا أتردد مطلاً ، ولا أضغف تعصناً . ولا أحرّم
نفسى من جميل عطفك تركاً . أستغفر الله

وأستميتك عفواً . ولست وحقك بالله عني التي
يظهر التواضع الكنايب ، ليزداد في ظنك قدراً ،
فأنا بحاجة إلى هذا كله ، أو بعضه ، ولست بمن
تخفى عليه حقائق الأمور ، ولكنني طاعتت القنوضى
ألا أقبله منصباً ، ولا أقبّل روى بسلاسل
الأعمال في هذه الدنيا ، لأنني قد آرت الحرية على
كل ما عدلها . فإن صدقتى ، ولا أخالك إلا متفضلاً
عليّ يفتك ، تركتني أعيش في أكنافك فاعماً
برحمة الله ورضاك ، كما أنا وكما كنت دخلت أول
يوم في رحابك . وإلا فأطلقني أذهب أنى شئت ولك
الشكر على ما أؤلّيتني من فضلك السابق . فلما أسنى
الملك العادل الرحيم فضل الله إلى حديث نديمه
ودرويشه ، تضاعف إيجابه به ، ودبّت ففته في
ورعه ، فخصه بأوفر نصيب من الخطوة والقرب ،
حين أحياء أن يجمعه وزيره ومشيره
ولما كان المرويش يتقن ركوب الخيل ويحسن
الكر والفتر ، ويجيد الرماية ، مما لا يتوافر إلا لأبناء
اللوك وخاصة الخاصة ، فكان يدعو أحياناً إلى صيد
الظباء على سهوة الجياد ، فيرى من ضروب الفروسية
عجياً . وفي ذات يوم خرجاً يلهو وأن في بعض الحراج ،
وقد انقطعا عن الحاشية والأتباع وأرّس المرويش
من الملك ميلاً إلى سماع حديثه فأنشأ يقص عليه
بعض نوادر أسفاره ومخاطر أيامه السالفة ، ومناصرات
ماضيه ، فساق في عرض أخباره أنه كان في جزيرة
« ديسكا » من جزر الهند الشرقية ، فصحب رجلاً
من شيوخ البراهمة ، وإسماً من أمتهم ، وقطبا من
خيرة أقطابهم ، هو مركز دائرة الوصول عندهم ،
ومنيح نهر الحقيقة في عرضهم ، وجمع أسرار الطبيعة
لهم ، سادن الميكل ، وأمين خزان الحكمة . وقد

قال الهرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك وأغرب

فضحك لللك وقال : إلى هنا وكلت غزاة ذهني فلا تجرى وراء ذلك ، وهبط طير العقول فلا يحلن فوق ما ظننت

قال الهرويش ، وهو عابس لا يفارقه الوار ولا يمارى لللك في سروره : إنما السر هو إحياء جثة ميتة بنقل روي إليها

فهت لللك وقال : التضمص أو التناصح

قال الهرويش : فليسمه مولاي بما شاء من من الأساء . إنما هو البعث والاستبدال وتوهر الموت فقال لللك : إن الذي يؤمن به يكفري به ، فقد كان عقيدة الجوس وأتباع زارشت . إن البعث لا يكون إلا سرّة واحدة ، يوم القيامة . ومعجزة إحياء الموتى لم يهبها الله إلا نبياً واحداً ، فقال الهرويش : لادخل للكفر والايان ، فإنها صناعة وذريعة ، لا كرامة ولا معجزة .

قال لللك : إن في كتبنا خبر حسن بن صباح الذي رأى حاراً يحمل حجارة ، ويتكلم في الطريق وساقته يسكزه والحار يميكي ، فدنا منه وتحدث إليه ثم قال : إنه صاحب فلان ، رفيق صباي وزميلي في المدرسة ، قد تجمعت روحه جلد حماره . ولكننا قرأه كما قرأ شمر صاحبه الخيلام على أنه حديث خرافة وتسلية للنساء ومزاح الأغراب

قال الهرويش : واللك أسر حديث قلبه الله أماناً ترى المشب وتمرق الكلاً بأسنانها وأنيابها وتطرد القلب بذنها ، وكان ذلك تهدياً له وإذلالاً لنفسه بيدطنياه وظله ، وقد كان ملك آشور ، ففزا ديار الملك ليلى ودمر بلاده تدميراً وتركها طعمة

شاء الله الواحد القهار والفعال لما يريد أن تكون وفاة هذا البرمي بين ذراي الهرويش

فلما جاءه سكرات الموت ، وبليت روحه التراقي ، ولم يبق بينه وبين « الانفصال عن جسده » ونوبه الأرضي والانسلخ عن جلده والوثب عن كسب إلى العالم الثاني ، سوى بضع ثوانٍ ، أو قل بعض أنفاس تتردد ، أو ما إلى أن أناسي إليه ، فطاطت رأسه حتى لامست فيه فباح لي بسر من أخطر أسرار ، وأخذ على عهد إليه وميثاقه ألا أبوح به ما بقيت في نابضة

فوقف لللك مذهولاً من إفراخ الخبر في قالب التشويق حتى طارت نفسه شامعاً في سبيل الوقوف على حقيقته . فقال للهرويش على سبيل التخمين والحس « لعله صناعة الذهب من اللادن الخميسة ، أو حجر الفلاسفة »

قال الهرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك وأغرب

قال لللك : لعله نبع الحياة الذي إذا شرب منه الشيخ جرعة عاد إليه شبابه ورجع إلى صباه وأقبل على الفئات يرتشف ككوسها كما كان قتيبا

قال الهرويش : كلا ! يا مولاي بل هو أعجب من ذلك وأغرب

قال لللك : لعله بساط سليمان أو فرس نهبان الذي يثقل من مكان إلى مكان في طرفة عين

قال الهرويش : كلا ! بل هو أعجب من ذلك وأغرب !

قال لللك : لملك تستطيع رؤية من تحب وتخطبه وتناجه وأنت منه على بُعد شاسع ومسافة تطويها الجباد في أيام

خرج من جسده ، فتأدده جثة هامدة ملقاة على الصعيد ، وانسلّ في جثة النطي فتقمصها ولبسها وأحياها بروحه ، فأنهضها وإنا النطي حَيّ يتنزي مرها ، ويتوهم طها ، حتى أقبل على الملك يتمسح به ويحوم حوله ، ليثبت أنه درويشه وبذيه وأنيسه ، وأنه لو كان ظلياً غير الذي أمماه الملك ، لأسلم مرها به للريح ، وتعلق بأذيال القرار

ثم انبرى النطي للبعث المشب والكلاب يرعابا ما شاء . فاعترضت عين الملك الطاهر العلوية بالهموع على « غزاة » الذي كان منذ برهة بذيه وأليفه وعشيرته . ولكن النطي ما لبث أن خر إلى الأرض جثة هامدة ، وفي نفس تلك اللحظة تحرك جسد الدرويش بيد مموهه ، وبدت عليه دلائل الحياة ، ثم نهض كأصح ما كان وأنشط ، فأقبل عليه الملك يقبله ويهنئه وقد دهش من تلك المعجزة الخارقة وأقسم عليه بكل عزيز ورفيع ومقدس ، إلا ما لقنه هذا السر العظيم . فاعتذر الدرويش وتأبى وادعى أن شيخه البرهي لم يأذن له في تلقيته أو البوح به دون سابق رخصة ومرمان ، فإن مثل هذا السر ليس بالشيء الخمين ... وما زال كذلك حتى بدأ مولاه يتذلل إليه ويهون لهبه ، فوقف عند هذا الحد من التأني والتبهي ، وماعم أن أذن ثم لقنه سر الآفة مضمناً لفنّين السريانية . وأراد الملك أن يجرب المعجزة لنوه وساعته . وكانت جثة النطي لا تزال طريحة على التري ، فسمد الملك نحوها وتلا الففتنين ، فما هو إلا كلع البرق حتى انتقل روحه إلى جثة النطي وخر جسده إلى الأرض ميتاً في تلك اللحظة أقبل الدرويش الخائن على جثة الملك وهي خلاء من الروح وقل إليها روحه بسرعة (٥)

لنثار وجسب عدوه المظالم في قفص من حديد . فقال الملك : لقد حسبك تمزح ولكن إيراد المثال يضع حداً لقبيل والقتال . قل لي ريك أيها الدرويش أين تنهب الأرواح عندما تتأد الأشباح ؟ أينهب الملك السادل والحكيم الخبير والشاعر الأديب والجمال الناضر إلى حيث لا عودة ، إلا يوم التشور ، حيث يردون عار النعم أو دار الشقاء ؟ وعلام العلم والأدب والتفكير والأحلام والرجاء إنا لم نطل حياة الإنسان أكثر مما نرى في هذا الوجود ؟ فقال الدرويش : حذار يا مولاي فقد كنت تحذّرني منبة النظر في هذه الحكمة الإلهية ، وما أنت فانتدب حظ البشر ، لأنهم يعيشون على سطح الأرض مرة واحدة ، وتستكر على الموت أن يطوى صفحتهم قبل أن يستمتوا ، أو تواتهم أجلم في الوقت الذي أن أن يجيئنا غار جهودهم ، وينتفع الناس بنعيمهم ... ولعلك أيضاً تجد الزمان الذي ينهب بين الموت والبعث أطول مما يستحقه الفضلاء من السجن في البرزخ والأعراف وما إليها فقال الملك : ما أسرع تنقل الفكر الإنساني ! فإين نحن من سناعة البرهي التي لتفكك إياها . هيا بنا إلى الصيد يدرويشي العزيز ، فإن فيه انصرافاً عن مزالح الزندقة ونجاء من الوقوع في مهاوى المهرطقة .

وفي تلك اللحظة سنع لها ظلي ، فرماه الملك فأسماه ، ثم أقبل على الدرويش فقال :

— دونك جثة هذا النطي التبر ، فأرني آيتك وأثبت لي براعتك وأعد له الحياة أو أعد الحياة إليه ، بعد أن أوردته بسهمي مورد الخوف .

فلم يك إلا كلع البصر حتى رأي الدرويش قد

وطد الهرويش في شخص الملك إلى قاعدة ملكه وعاصمته ، يتوخ طرباً ويمتثل تبعاً ، تتناول الصولجان وتبوأ عرش الدولة . ولكي يأمن ضياع العرش المنتصب والتاج السليب ، أصدر أمره إلى الرعية بإعدام كل ما يحويه الأجسام من وحوش الطباء حتى يهلك فيها يهلك هذا الظلي الذي تقمصت فيه روح الملك الحقيقي . ولكن الأقدار أحات الملك فأظت من سهام الرماة والمتقيين بتقمصه في جنة ببل ميت كان قد بسر بها لقاء على الأرض عند جزع شجرة عين مثمرة

وفي هذا التقمص الجديد طار الملك سالماً إلى بستان قصره الذي كان الهرويش يعمره مع الملكة وكانت تشمر نحو الهرويش التقمص في جسد زوجها بنفور أوحته إليها الفطرة الشفافة والحس الرفيف والنفس للشرقة بالنور الروحاني على بعض الخفايا فلم تبذل فراشها لروح غير روح زوجها . ولم تقبل على الهرويش الخائن يوماً .

هناك وقع الملك البليل على فنن أيكه بمجوار نافذة الملكة وشرع يفرود ويرتل حتى هز برنين صوته أركان المكان ، وأرقص بشجا حثينة النسمون والأفنان ، وحتى فنن الملكة واستهواها ، فدفنت إلى النافذة طرباً بألماء واشتياقاً إلى نغمه . فأحزنه من الملكة أن رأها قد سرت بحجته ، وابتهجت لأنيته ، وقد كان مراده أن يهيج أحزانها وأشجانها ويستثير رحمتها ورأفها . وما كان أعظم ضيقه وألمه وهو عاجز أعظم العجز عن الانتقام من عدوه والاستمتاع بزوجه والمودة إلى ملكه . وزيده كداً أنه غير قادر على شرح حقيقة حاله لأقرب الناس إليه ، وهيات أن يصدقه أحد حتى إن هو

البريق الخاطف وتناول قوس الملك وكناته وسدد سهمه إلى شخص الظلي للشمث على روح الملك يريد إصابته وإعدامه ، حتى إذا زهقت روح الملك من جثة الظلي بهذه الكيفية ثم لم يجد جسماً تتجسج إليه ، ذهبت بطبيعة الحال إلى عالم الأرواح أو ذلك البرزخ الذي كان الملك يسحب لاختزان النفوس الفاضلة في أكنافه . وهذا هو الموت الزؤام بسينه . وبذلك يكون الملك قد مات موتاً لا مراء فيه ولحن بالأعراف أو عليين . وقد أصبح الهرويش هو الملك ولا يظن أحد إلى حقيقته إذ كان يتقمص جسد الملك وصورة فيود إلى البلاط ويحمل الأكره والصولجان ولبس التاج ويمر ذبول التباء القرضى ، ويقبض على أئنة الحكم ، ويصرف في الدولة كما يشاء ، له الأمر والنهي والمزة والجلال . وقد أدرك الملك الحبيس في جثة الظلي هذه الحلية البعيدة النور ، وكشف له عن سر الهرويش الشرير وما كان يضره له من سوء جزاء له على إحسانه إليه وبره به وتفضيله على رجال بلاطه وأهل حاشيته ، غنى الملك الظلي وحرق الأرم ، ولكنه لم يكن يملك الانتقام من عدوه وهو في موقف الفريسة من المفترس ، والصيد من الصائد السدد سهمه إلى جسده ليهريق دمه . ولكنه بدلاً من أن يذيب كبده غيظاً وعجزاً راغ من السهم ، فأظت من شرك الردى وهام على وجهه في الآفاق... وكل السيد في جوف الفرا . فاكتأب الهرويش منبهة ثم أخذ في مطاردة مولاة والبعث عنه في الآكام حتى أعجزه التتقيب فصاد من حيث أتى راجياً أن يلقى الظلي حنقه على يد صائد آخر ، فإن الطباء السمينة قصيرة الأعمار

ملك زمام التعلق البشري أو وجهته الطيبة فصاحة
سحبان وحكمة قس . فرضى من الدنيا بنصيبه
الجديد ولبت ودحا من الزمن ينشئ نفس زوجته
بالألحان في كل صباح ، حتى استندعت صاحب
طيرها وأمرته أن ينزل أقصى ما لديه من الحلق
لاقتناص ذلك الببلل الصداح . غير أن (الببلل
الملك) لم يحوج صاحب الطير إلى بذل أدنى مجهود
لاقتناصه ، بل وقع في يديه طامثاً غتاراً متنزراً
فرصة الأسر لقدن من زوجته
فلما عرض عليها ومسا حاشيتها من الوصائف
اندهش الجميع لما رأيته ينفر منهن إلا الملك فإنه
سقط عليها فيسمح بها ويتشبت بأردائها ثم اختبأ
في جيبها ففرحت بما أبداه الببلل من الحبب إليها
والتحبب عليها دون سواها ، وأصرت به أن يحمل
في قفص من الذهب الرصع بالمجوهر في غرفتها
بشرط أن يبقى مفتوحاً حتى لا ينشر بضيق الأسر
ولذلك جعل الببلل بفضل منزله الجديدة وزلفاه ،
يبدى للملك من أساليب الملاطفة والداعية ما تسمح
به طبيعته وخلقته . وجعلت الملكة تقضى
الساعات العديدة الطوال في مداينة بلبلها وملاعبته؛
ووجد الببلل الملك سلة وعزاء في حاله هذه مع
الملكة ... لو لا ما كان يذكره أحياناً من دخول
البرويش عليها في ساعات المو والعب ومنازلته
الملك وهي تبدى نفورها منه وتتلق الأجواب دونه
وكان غائب العرش (البرويش) كثيراً ما يحاول
استجلاب مودة الببلل ، ولكن بلا جدوى ، إذ
كان كلما ازداد قرباً إلى الطائر ازداد الطائر منه بدأ
وقرة ، بل ربما أوسمه لكرأ يتخلبه وهراً بمقتاره
مما كان فيه ملهات للملكة ومسجبة

وكانت الملكة أوشروان كلفة أيضاً بكعب
مستأنس بيت مما في حجرتها ، وكان سديتها
الأبكم وتابعها الأمين ، ومازال لها ولياً وكفى وقد كرى
زوجها حافظاً حتى كان يشار كمال النفوذ من البرويش
التخني في جسد الملك . وكان الكلب بمحك الاختلاط
قد ألف راحة سيده ويمزها من غيرها ثم تعود راحة
البرويش مذ كان ينشئ القصر على صورته القديمة .
فلما وجد فيه راحة لا تشبه تلك التي تعود شها
راح يطس وينبع ولا تهدأ أثره حتى يفارق
البرويش غرفة الملك . والكلب أقوى شئاً من
الإنسان، ولهذا كان أعرف باختلاف روائح الناس
من الناس أنفسهم . فاتفق أن ملأ هذا الكلب
ذات لية وأهل القصر كلهم رقود إلا الببلل الذي
أبصر موت الكلب ، فالتق نفسه إلى التغمص
في جثته ثم ما لبث أن صنع ذلك فتترك جثة الببلل
وأحيا جثة الكلب التي حلت فيها
فلا تسل عما أصاب الملكة من برح الوجد
وحرقة الكد عند ما استقيظت صباحاً فرائت جيبها
الببلل ميتاً وكان سلونها وعزاها . فاضطرب بمره
واضطاع صوته عقد هتائها وفقدت البقية الباقية
من صبرها
فاستدعى الملك الكاذب (البرويش) وصانها
وأقبل مهن محاول إقناعها بيطلان حزنها ، لأسر
نافه كمالك طير حدير . ولكنه عتياً حاول وحاول .
وجعلت الملكة تبكي وتندب عما أذاب من كبد
البرويش رحمة بها وردها حتى وعدما أن يرد الروح
إلى بلبلها . فإنه مازال يلطم في رضاه ، وتحدته
نفسه الخبيثة بدم اليأس من خدامها ، حتى ينال
منها مأربه وهو في نظر العالم كله زوجها إلا في

الله المحي للميت البديء البديء . وبلغ العجب من الملكة أقصى مبالته

وكان الملك الحقيق يرى ذلك كله ببيني الكلب الذي تقمص جلالاته في يده ، فاكاد يصير الهرويش قد خرج من جسمه (وهو الجحيم الذي كان الهرويش يحتال فيه مذ تقمصه في الثأبة يوم الصيد) حتى خرج هو من جثة الكلب كالسهم الماروق ، فاسترد جسمه قائلاً : « هذه بضاعتنا زدت إلينا » ثم هجم على البلبل الكاذب (التضمن روح الهرويش) فلوى عنقه وقصف رقبته

عند ذلك طوبت الملكة بكاءها ونحيبها ، ولكن زوجها الملك مالبث أن أضاعها حقيقة الأمر من أوله إلى آخره مؤيداً قوله بمجئتين دامتين الأولى جسم الهرويش الذي مازال متروكاً في الثأبة ، والأمر الذي أصدره الهرويش بإعدام جميع ما احتوته البلاد من طيلاء الوحش . وهكذا تنم الملك زوجته بقية العمر في رغد وصفاء . محمد لطفي جمعة

نظره لملحه بحقيقة أمره ، وفي دخيلة نفسها لشموها بالتفوق منه .

وقال لها : ولكن علينا أن نتفاهم أولاً قبل أن أخطو هذه الخطوة الخطيرة ، برد الروح إلى بلبلك الذي تؤثرينه عليّ .

إن ما أخذته عليك في عهدنا الأخير من طبيعة الصخب والقسوة وميلك إلى غصامي والتبرم بي وإرسال الزفير والشهيق ، وسكب الدموع ، لما يحزن النفس ويهبطها ، وما يدعوني إلى أنهاء إليك بسوء الخلق وحسب الشر ، ولم يكن هذا عهدي بك منذ خرجت إلى الصيد وقد كنت تدعى ذلك الهرويش السكين الذي جندلته بهم خاطيء أصاب أحشائه فزرها .

فقلت له : إن بعض هذه الطباع التي تكاد تمسحك وتمسكك على أنهاء بسوء الخلق وحسب الشر إنما هي ثمار أنتجتها نفس هذه التربة التي أنتجت الحلو الطيب من الحامض وعامد الصفات كالرحمة والمحبة والرفقة ، فأنا رأيت الضدين من الخلق النامض حيناً ، وعمود التضحية وخالص الوفاء أحياناً ، فلا تحسبن هذا التناقض مظهرًا من مظاهر العناد الكاذب والاستبداد الباطل وبعض الدلال والتجني . عليك أولاً أن ترد روح بليلي إليّ . فوعدها بذلك وعدها الواقع ، فحبست طوقان دمعها وتساءلت منهشة : أيّ له ذلك ؟ ولم تهده من قبل برد الأرواح وسيد اللوتي إلى عالم الأحياء حتى ولو كانوا طيوراً ، وإن ملك هذه الموهبة الخارقة ، فلم يرد روح درويشه العزيز الذي كان يؤثروه على كل من عداه من التدمان والبطانة ؟

ولكن الملك الكاذب لم يجيبها ، غير أنه أخرج على مقدم ثم أرسل روحه في جثة الطائر فماش بلئن



حياة الخافت قد استلها يوماً
وقال له :

— بُعِي العزیز - إن لربة
الصحة على لندرا : رستا من
الشاء الكناز تاذهب بنی بهالی
مبدها وقدما قرباناً علی مذبحها
وكان للمبدع بعد بحسرة
وبعن متابعین ليس غیر . ید
أن ألیکسیس وقف من حیثه

موقف النازح إلى سفر طويل دونه المحيطات
والبحور . وبالحس السخین یسبح من عینیه، والحزن
المیق یتسم علی شفتیه، بدأ سقرته والشاء أمامه
تذبذب ديهيا للضطرب البلى . سار یتهد تهد
الحزون ویزفر الزفرات الحمرار . فشت أشجار
الصفصاف علی طول التدر تشاركه التأوه والأین،
وصر بالنظر التی حوله من سندس جمیل منفر
بأنواف الزهور القواحة المطار كأنه حالم لا یأخذه
سحرها ولا یناله عیبرها . وكيف ینتبه إلى نك
الجنان وهو هكذا حزين النفس جرح القلب مكلوم
التؤاد؟ وهل لمن كتب علیه التوی عن حییه والبعد
عن ألیفه أن یفكر فی غیر هواه ، وأن یحس سوی
الحنین إلى لیلاه ؟ وهل یری الماشق اللذیف الصب
التم فی كل ما یری من جمال الطیعة وسحر المناظر
إلا وجه حییه التائی یزید فی ألایهب الحب ویسجر
نیران النرام ... كان براها إلیان سیره وحیداً مع
غتمه ... كان براها فی جوسقها ناعسة وسناة ،
أومضطجعة بقظاة فی ظل صخرة مشرقة علی التدر
القرقان . بل كان یسمعا تنادیه وتردد اسمه . وبث
التفکیر والخیال فی قلبه ناز الجوی ، فتهد . وظل

مِنْ أَحْسَنَ الْفَصَصِ

غزوة

للکاتب الیوتیرى سولو مون چسنار
بقتل محمد عبد الفتاح محمد

لا ریب أن النبرة هی أخت المواقف جماء
بین الناس ، وأسرعها تشبهاً بالصدور وأقواها علی
التعلق بالأفئدة ؛ بل هی كالأرق ینفث السم بوخر
من الثاب بسم ، وكالتقرب تسرح الملاك بفسرة
من ذنبها الواهی الضعیف . ویری القاری فی هذه
القصة كيف تسبق هذه الماطفة الخبیثة بالره فتقیمه
وتعده ، وتقم حیاه بالیؤس وتترع قلبه بالیأس ،
وتعرض علی صفحة ذهنه للضطرب صوراً متتابعة
من الوسواس والأوهام

كان « ألیکسیس » فتی ذارمة ، غریض
الشباب، بادى الفتوة، أسمر الإهاب ، یزخر بالرجولة
الناجحة الكاملة ؛ وكانت « دافن » كاعبا فتاة ،
ساحرة رأية ، میاسة كالنصن ، مشرقة كالبدر ،
طاعرة كالزنفرة ، وقد تماهدا علی الرفا فی الحب ،
وأقسا علی الاخلاص فی الهوى . فذلك أترعت
« فینوس » مع سائر ربات الحب كأس حبهما
بالعادة والمناة ، فراحا ینهان بحیة رغیدة وعیش
تغفرج فی ظل غرامهما اللندى الفیاض

ولذ غافل أبو ألیکسیس للشفاء من مرض
عضال کاد یصر عوده الوامن ، ویطی سراج

وسيم جذاب ، له صوت سُرْنٌ خلّاب ، إذا ما تكلم
سحر ، وإذا ما أُنشد وتقي بهر ، وإذا ما عزف
على قيثارة مَسْ أوتار القلوب ، وهز كوامن
الشجون ، وبث إلى الأقدسة الحنين إلى المشق
والهيام . ثم إن بيته مُلاصق لبيتها ولا يفصلها عنه
غير الجدران ... يا لوعد الجبل لقد شغفها حباً ...
أوه .. ذريني أيها الأوهام الباطلة .. دعيني أيها
الأفكار الآتمة .. »

ولكن تمعت جنود النيرة في ذهنه وأترعت
محموها شفاف قلبه ، ودفعت السحاب لتقال
والنيوم الكثيفة إلى ساء حبه اللازوردية الصافية ،
وسلبته الراحة والمناة آتاء الليل وأطراف النهار .
ففي أحلامه بالليل ، وفي تخيلاه وأوامه بالهزار ، كان
يرى حيثه تحظر كمنهات المصباح النور ، وتغيب
كالنفس الفتيان ، نحو التندريز النحر ، تحت ظلال
الأشجار الشجراء اللقاء لتقابل دافيس الذي يروح
ينفي لقاها بصوت الهوى الساحر فيشغف أذنها
بحلو أنشائه ، ويطلب رَمَمِيَّها برُخيم ألحانه ...
ورآها بعين النيرة تبته ما تبته له من الحب عن طريق
لحظها الفار ، وتشرع لهوامها بلنة الميرون السواحر ،
وسدورها التناهد الأشم يلو ويهبط مع أنفاسها اللامعة
التي تنير عن شدة المشق الفين . ورآها كرة أخرى
تأتمتع تحت ظلال الأغصان الوارفة التشوي بيتا يدب
دافيس ديب السارق في جنح الليل الناسق فيقترب
منها ويقترب حتى يطوق بصره بدنها الطرى الفتيان
فيتأمل جمالها الوستان ويشمل من حبسها الفتيان ...
وينحى عليها ثم يلثم يدها في توق فلا تتبته ، فيقبل
خدها في شوق فلا تفيق ، فينهال على فمها الوردى في
حرارة ووجد فلا تسقط »

هكذا حاله وهو يسير وراء غنمه . ولم يكن ليقتبه
من هذه الأفكار ويثوب إلى نفسه إلا ليلين هذه
الشاء البطيئة الكسال . وودلو كانت طيراً يطير
أو غزالاً يلوى الأرض طياً . وأخيراً بعد طويل
من التفكير والسير وصل إلى اللبيل المقصود

ونحرت اللحم ودفعت الأناسي ، فماد من
حيث أتى طائراً على أجنحة حبه العظيم . وبينما
هو يبعد في السير على أرض حطية . تَحَصَّصَتْ
شوكه قلبه وانتزعت فيها فصببت له ألماً شديداً
فقد به حتى عن الحيو إلى الكوخ الجائهم
على كعب منه . والتقطه زوجان طيبا القلب وتوليا
علاجه من جرحه الهوى الألم يمض الأعباب
البرة بيتا دأب هو على أن يتمم بين الفينة والفينة ؛
« يا بؤسى وشقاى ! » . وأخذ يتبطل الساعات
ويشغل الهواقي ، ويناشد الشمس أن تحت السير
نحو النيب ، حتى إذا ما دلكت تراج يضرع إلى الليل
أن ينجاب وينجلي . ولم يكن ذلك وحده هو
الذي أفض مضجعه وأقلن باله ، بل راحت بعض
الآلهة المناة التمساة ينثرون في قلبه بذور النيرة .
فجاشت في قلبه البرساوس وتقلب على فراش حشوه
التفكر والم . وطلقت الأوهام تُوعَل في رأسه
القلن الجبران ، وراح يقاول نفسه في تحمة أشبه
بالحنيان :

« إيه أيها الآلهة ! ما هذه الأفكار السوداء ؟
أنتشر بي دافن ؟ محض وهم واقتراء ... ولكن
المرأة هي المرأة ... ودافن جميله حَسَّان ... من
ذا الذي يراها ولا يشبهها ؟ من ذا الذي لا يسميه
دِلَّها وتجنبا ؟ .. ألم يدأب جاراها « دافيس »
على التقرب منها والتمزق فيها ؟ .. وهو لا تكرران

ضوء القمر الشاب الحزين كأبداع ما يكون طشقان
وتسمر اليكسيس في مكانه يرتد من الرأس إلى
القدم، وراح يفكر: «ماذا أرى! إذن فقد صدقتي
الآلهة.. وتحققت أوهامي.. إذن لقد أعدتني الآلهة
الرحيمة المادة للصدمة فأطاحتني بكل شيء علماً..
يا لي من يائس نفس... أين الربة التي أهتمت بك
الحقائق؟ حكى أيتها الإلهة فساعديني على الانتقام،
على الانتقام من ناكثة اليهود.. النادرة الكنود
حكى فاسقي هذين الخائنين ثم عقبني أنا الآخر
وتأبط الشاب ذراع الفتاة وسارا تحت ضوء
القمر متجهين نحو جنة من الآس والبفسج حيث
يقوم تخال فينوس.. سارا يتناقلان الحديث
ويتجادلان الكلم يننا طمع وجهها بمناي السادة
والنبطة.. وقال اليكسيس في نفسه: «آه! إنها
زاهبان إلى جنة الآس حيث تساقنا—أنا وهي—
كؤوس الحب مفرقة.. حيث باحت لي بسر قلبها،
وأسكرتني بخمرة حبها. هاها يدخلان إلى الحرج..
لقد غابا عن بصرى.. لعلهما الآن في ظل شجرة
يتناغيان، أو على شفة الندير يتشاكيان.. ولكن
لا.. لقد عادا إلى الظهور ثانية. إلى ألح فستانها
الأبيض ينمكس عليه ضوء القمر من خلال الفروع
والأغصان.. لقد توقعا عن المسير إذ أتيا على بقعة
ستنسية يكسوها المشب الطويل والحناشئ الكثة
النامية.. يا للضيعة والتمرد.. كيف لمرى تسمح
ربة الحب لمهذين النادرين بتدنيس جلال الليل الساجي
وجمال القمر للتليج الزاهر.. بلى.. إجلما يشهد
القمر خياكتك وغدرك، وتتمتد النجوم إلى كلات
الحب الآثم التي بها تتناحيان.. ألا لعنة الشيطان
عليكما.. ولكن ما هذا؟.. أببل يترد وحام

هنا يصرخ اليكسيس بأعلى صوته: «يا لي من
يائس مسكين! ما هذه الأفكار السود التي يخالها
خيالي؟ لماذا أراي لأأحيد عن هذه الأفكار قيد
أنملة، ولا أراها تفك أسارى مقدار لحظة؟ لماذا
أشتى نفس بهذا الرعم الباطل وتلك الصور الزائفة
التي أنهم بها طهارتها وأثال بالإفعال فيها من
إخلاصها ووقاتها؟»

وتصرمت ستة أيام طوال ولما ينتهم جرحه بعد،
فلم يستطع الصبر أكثر مما صبر؛ وعيناً حاول الزوجان
أن يتنياه عن السفر.. فواصل رحلته بعد أن طاق
مضيقه وشكر لها سنيهما.. واصل السير على قدر
ما سمح به جرحه الحى.. وكان الليل قد وقب حينها
اتمى إلى حيث يقوم متوى حيثته التالية. وكان
القمر الزاهر يترجل رويداً رويداً فيأتي بضوئه
التناعس على الأرض للشجراء.. وقول نفسه وهو
يفذ السير نحو الحليبة: «إليك عني أيتها الأفكار
القنوام.. هامي ذي حياتي تنتظر أوبجى.. وسأسكب
دموع الفرح الندبة لفتياها، وأسعها إلى صدرى
الظاى' الهمهان» وفي ممشى حديثة بينها رأى طيفاً
يقتنى تنتها قصيم: «إنها هي.. هي دافن بذاتها..
ههذه قائمتها الهيمية، ومشيئها البانية الرائسة، وثوبها
الأبيض المغفاه.. إنها هي أيتها الآلهة.. ولكن
أين نذهب وقد غسق الليل؟ ليس من سداد رأى
أن تخرج عنراء وحيدة إلى هذا المكان للوحش
في ذلك الليل للظن.. ألا تكون قد خرجت لقائى؟
يبد أنه رأى شيئاً يسير وراءها حتى لحق بها..
شيخ رجل.. ثم سمها فتضحك وهي تتناول يده
في يدها وتأخذ منه سلة الزهور فتعلقها في ذراعها
الأخرى، والآن ها يسيران جنباً إلى جنب تحت

إلى ذراعى سالكا من غير سوء . ويتمني إلى عجا
 غلما وعلشقا وفيما كانت تركى .. آمين .. آمين ..
 وأسنى اليكسيس إلى صلاتها في ذهول
 وتصجب ... هناك فقط سدد نظرة قاحصة إلى
 الشاب الذى معها . وكان آتئذ في وضع بدا فيه
 وجهه تحت ضوء القمر ... لقد رأى الحقيقة الآن!
 وما الشاب إلا أخو دافن ... وقد رافقها ولا ريب
 في مجيئها إلى المبد لعله أنه من الخطر على عذراء
 رعييب مثلها أن تخرج وحيدة في ذلك الليل اللطم
 المالحى

وبرز اليكسيس من غيابه ... ففاض الفرح على
 دافن لرؤيته ... وامتلا فؤاده هو بالسرور ...
 والجل أيضا ... وتماثقا طويلا ... ثم أعجبا إلى
 الربة عمة بعليلان ويشكران

محمد عبد الفتاح محمد
 بالساحة وللتاجم بينها

آلام فتر

للساهر الفيلسوف جون الونلاي

الطبعة الجديدة

ترجمها : أحمد حسن الزيات

وهي قصة غالية تمتد بمجن من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعها ١٥ قرشا

يسجع وأطيار تشدو؟ وكيف ذلك وفي تلك البقعة
 الطاهرة يجلس هذان النسان التاجران! أراهما
 يتحركان .. أجل ، إهما في سيهلما إلى ميد
 فينوس . سامضى في أرهما فأنصت إلى حديثهما
 وأقتص حركاتهما

وانخذ سبيله وراهما لا يلوى على شيء ، واقرب
 منهما في حذر حتى أصبحا قلب قوسين أو أدنى
 من أعمدة المبد الرخامية التي تمشى القضاء ... وعاد
 إلى تحتمة « مانا !! إهما يدخلان ... أو هل تسمح
 الربة أن تبارك هذين الفاسقين » ... ورأى الفتاة
 تنزل الدرجات القليلة وفي ذراعها سلة الأزهار ...
 بينما استند الشاب على أحد الأعمدة ينظر إلى
 « فانتة » ... واقرب اليكسيس خلسة إلى ظل
 هامود ووقف عمة تبرص ويتجسس . رأى دافن تبلغ
 تمثال فينوس الذى يقوم هناك في حلة الرخامية
 الناصعة تحت ضوء القمر الشاحب ، والذى بدا كأنه
 تراجع عمة ازدراء لتلك النظرات الجبرى التي شمت
 من ميون هذين المجرمين اللذين تقصا ميده للتضحية
 على مذبحه ... وجث دافن تحت قدي التمثال حيث
 وضعت ما تحمل من الأزهار النضيرة والوردود
 الفواحة ، وراحت تتم بصلاة حارة بين فشيح
 يهزها ودمع ينفثها « إسنى إلى صلاتي واستجبي
 لدعائى أيها الربة الرحيمة العادة ... واقبلى هذه
 الزهور التي أقدمها قربانا على مذبحك ... وإن ندى
 الليل الذى يلهلها لمترج بدموعى النوالى ... ها قد
 تقصت ستة أيام سويا منذ نأى عنى اليكسيس
 الحبيب ... أوه ! أى فينوس الحلوة الطيبة . أسألك
 باسم هاته الأزهار التي أنصني بها على مذبحك المقدس
 أن تصونيه وترعبه وتهديه سواء السبيل ، وترديه

أن تنجي بها الفرائب أو تصدر
الأحكام . وقد تساءلنا من
بعض ما بدا لنا من الخواطر
فظهر لنا أن القوم لا يفهمونا
ولا تفهمهم ، فقد قالوا إنهم
يرفون من علم الفلك نوعاً
يدلم على اتجاه السفن ، وبين

المساكن بين بعض البلدان وبين بعضها الآخر ، وبين
موقع كل منها بالنسبة لغيره . مع أن علم الفلك كما
نرفه يدل على الطالع الحسن والطالع النحوس وبين
الساعات الواقعة للحجامة والسفر والواجب والحروب
وقد ظهر لنا أن علم الفلك عندهم سهل ، فإن
الصبيان الذين في السفينة كانوا يستملون ما يشبه
الاسطرلاب عندنا ولكنهم لا ينصبون خيوطاً .
ثم هم يقولون في الحال نتائج بحسب هذه الآلة .
والعجيب هو تعلمهم شيئاً من هذا العلم في مثل هذه
السن لأن الفلك عندنا وإن كان غائلاً لا يعرفونه
عنه فهو صعب جداً لا يحيط به إلا طوال الأعمار
الذين قضوا في تملكه عشرات السنين

وقد أمر السفير صاحبنا « محمد بك » بأن يبين
لنا موقع أسفهان على طريقهم فقال : إن النجوم
تغيرت وإنه لم يبد في رسمه مزاوله العلم الذي تملكه
على ميرزا قاسم في أسفهان ، وقال : إنه لم يبد في
وسمه حتى ولا استقراء الطوالع
تألم السفير من ذلك ألماً شديداً لأنه كان يريد
تأطيل الهواء فكلفه شاباً من البحارة الانكليزان يبين
له بما يعرفه من علم الفلك هل تأطيل الهواء في هذا
الوقت مناسب أم لا ؟ ففتح الانكليزي فيه وعينه
كالآبى وقال : إنه لا يدرك الصلة بين الهواء وبين
(١)

حاجي بابا في الحكمة

تأليف جيمز موير
بترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل العاشر

علم الفلك عند الفارسيين وعند الانكليز
عندما مضى تأثير الدهشة الأولى دخلنا الترفة
المدة لجلو سنا فوجدناها قاهرة الرشا عملة بالسور
وعلى كل حائط منها سراً في إطار منذهب أما الأتباع
والخدم فقد جلسوا في غرفة أخرى وعلقوا مسدسهم
وسيوفهم على حوائطها
وعندما حان وقت النوم اختار كل منا سريراً
يلام ذوقه لا خلاف أنواع الأسرة كما تقدم . ولست
أريد أن أذكر ما أساب كلامنا من البوار والتقى
وغير ذلك من مناعب البحر

استيقظنا في الصباح فلم نر البر فدهشنا وفزعنا
لاضطعنا عن العالم . وكان نظراً مهما امتد لا يقع
على غير الماء . فآين طهران وآين أسفهان وآين
الاستانة ؟ آين الجبال وآين السهول ؟ لا شيء من
ذلك يبدو لنا غير الأمواج المتراصة ، وشككتنا في
إمكان الوصول إلى انكلترا لأننا لا نعرف مكانها
ولأنه لا يظهر لنا في الماء أي دليل ننتدى به . ثم
لما قيل لنا إن انكلترا ليست إلا جزيرة في وسط
بحر كهذا زادت دهشتنا وقلنا إنه يستحيل أن
يكون بها حكومة منظمة أو شاه قوی . ويستحيل

خاساً في الدين فهم لا يتزوجون طول الحياة
ولا أشرق النهار ونظروا إلى الجزيرة وجدنا
سوراً جديدة لكل مظهر من الحياة ، فالأبنية غير
التي نمرقها ، والنساء غير النساء ، والرجال غير
الرجال ، وهم جرا

ومعنا في الصباح أجراساً تدق دقات عالية
متوالية ، فحسبنا قافلة كبيرة عندمهم بالسير ، ثم قيل
لنا إن هذه الأجراس عندم بديل من الأذان في
مساجدنا ، وذكرنا إساعيل بك بأن مثل هذه
للمسايد ذات الأجراس موجود في قرى البلاد
الأرمينية

وبعد وقوف السفينة على الشاطئ تبدلت
التحيات بينها وبين إحدى قلاع المدينة بإطلاق
للدافع ، ثم قيل لنا إنه غير مسموح بالتزول إلى المدينة
لأن البلاد التي نحن آتون منها بلاد غير نظيفة .
فاخذتنا المزة وقتلنا لم إتنا آتون من بلاد إسلامية
وإتنا لا نسمع بوصفنا بهذا الوصف . فأجابنا الربان
جواباً لم تفهمه أيضاً إذ قال إن عدم النظافة هو
المرض وإن في الهواء يبلد الترك حيوانات صغيرة
جداً تجعل من يستنشق هذا الهواء غير نظيف .
فلم يقننا هذا التليل غير المقول وطلبنا إعادتنا إلى
فارس احتجاجاً على هذه الاهانة أو السفر بنا في
الحال إلى بلاد الفرنجستان

لكن السفير عاد فقال : « إني مع استيائي
من هؤلاء الانكليز أرى أن عوائدم بيسة جداً
من عوائدهم وعقلمهم ليس كقلنا فينبني أن نمرم
وينبني كذلك أن ننفذ أوامر الشاه كما هي . وقال
لنا ليرضينا إن ترجمة مايقوله الفرنجستان عن
الحيوالمات الموائية أن في بلاد الترك عدوى الطاعون

« التلييكوب » وقال إن الحساب الذي يجريه ليس
بحروف الجمل عن أساء الأشخاص ولكنه عن
خطوط الطول وخطوط العرض على سطح الكرة
الأرضية

فلم نفهم قوله ولكننا نسبنا غموضه إلى جهله
وزاد احترامنا لمحمد بك وسائر علماء الفلك في فارس
لكن الفلكيين الانكليز من بحارة السفينة
أدهشونا بدقهم الثرية في معرفة الأبعاد ، فأنهم
نظروا بألأنهم الفلكية وحدوا الساعة والحققة
والأجواء اللواتي تظهر فيها اليابسة وقد صدقوا في
تحديد كل ذلك . ولا جدوا بذلك في نفوسنا شيئاً
من الثقة بهم كلفنا محمد بك بمباحثهم في علمهم
الفلكي ، فأجابوا بما قضى على تلك الثقة بتأناً حيث
زعموا أن الأرض كروية وأنها متحركة وأن الشمس
هي النابتة وأن القمر يدور حولها . ونحن نعلم
عكس ذلك على خط مستقيم من أيام (جشيد) .
وختم محمد بك مجادلهم بقوله : إنه لو كان الآن في
فارس لاستطاع أن يأتي لم بالكاتب التي يقتنهم بها

الفصل الحادى عشر

في مالطة

في الصباح التالى وجدنا السفينة الحربية التي
تقودنا إلى شاطئ جزيرة « مالطة » وأخبرنا المترجم
أنه كان يقيم في هذه المدينة جماعة من الدراويز
التصارى في عهد حروب قال لنا إن اسمها السليبية
وإن الشرق اشتبك فيها مع الغرب . وقال إن
السليين احتلوا هذه الجزيرة في وقت من الأوقات
وقتلوا من فيها من الدراويز
وقال إن للدراويز الدين تقدم ذكرهم منذهباً

من الركن الذى أجلس به عند صعودنا إلى السفينة ولم تنطق بحرف مدة السفر إلا عندما وقفت السفينة فى مألطة فمئذ ذلك سألت عن علة الرقوف .

وفى أثناء هذه المدة زارنا حاكم المدينة وحياء السفير . وأشار إلى العلم الأصفر الذى يرفرف على الحجر وأبدى علامة الاعتذار ، وأفهمنا المترجم أنه يهرب عن أسفه لاضطراره إلى حجز السفينة وأنه لولا ذلك لسُر من زيارتنا إليه ولأرانا المدينة وما فيها من الماهد والآثار

وقال لنا إن نظام المهاجر لا يمكن التساهل فيه، وإنه لو كان الملك نفسه آتياً من بلاد مولوة لما استطاع تخالفة نظام المهاجر . وقال إن وصف البلاد المصابة بالمدوى بأنها غير نظيفة لا يمس أهلها وأن اللائكة أنفسهم يعتبرون ملوثين إذا جاءوا من بلاد بها عدوى

ثم ختم الحاكم كلامه بالسؤال عن الأحوال فى فارس وعن صحة الشاه — وما إلى ذلك من الأسئلة . وقد رأى فيروز خان أن العباقرة تفضى بأن يرد على هذه الخبطة بخبطة مثلاً فأكد للحاكم أن الشاه يتمتع بالسعادة الكاملة وأن جنوده جاءوا إلى قصره فى السلطانية بشربين جلاء حملة رؤوس المصاة والتمرد من خراسان ومازندان، وأنه خرب قرى الثوار وقضى عليهم القضاء الأخير . والفضل فى الانتصار خمسة وعشرين أميراً من أبناء الشاه قادوا جيشه فى هذه الحملة . وقال إنه يرجو أن يسر الحاكم بهذه الأخبار لما بين الدولتين من الود

ولكن ظهر لنا من مراقبة وجه الحاكم عند سماع هذه الخبطة أن دهشته لم تكن أقل من دهشتنا نحن من خيلته . وقد قال لنا المترجم إن الحاكم

وأهم يخشون أن تنقل العدوى إليهم . وقال إنهم لكثرتهم لا يملكون الأمر لله ويستعدون بوجود المدوى .

وقال لنا المترجم إن المرضى بالإمراض المديّة فى داخلية البلاد يحجزون فى أماكن أحسن من السجون ، وإن الذى يحاول الفرار من بينهم قد يري بالرماس كما يفعل بالأسير المارب . ومن هذا القول فهمنا أنهم ياملون المرضى مثل معاملة الجرمين وليس هذا أول شيء غريب بدا لنا من جانب الأوربيين

لكننا عولنا على الرضى فيجب علينا نحن أن تؤمن به فلا نحارب القضاء الذى شاء تأخيرنا أربعين يوماً فى المهاجر

وفى فترة التأخير زارنا السفينة الكبيرة التى نحرستنا فراعنا كبر حجمها ومدافعها وكثرة هذه المدافع؛ واعتقدنا أن إخواننا الفارسيين لن يصدقوا عندما نقول لهم إن بالبحر سفناً بهذا الحجم وهذه المتانة . وقلنا مادام هذا هو استعدادهم الحربى فلا غرابة إذن فى امتلاكهم المئدة . ولم نكد نصدق — وهذا هو وصفهم — أنهم يخضعون لحكم سيدة ويسترقون بها ملكة عليهم .

وكان بمحارب السفينة سفن أخرى كثيرة محجوزة لأنها غير نظيفة . ولا حظنا اهتماماً فى تلك السفن بسفينتنا، فقد كان كل من فيها يحاول النظر إلينا؛ فلما سألنا عرفنا أنهم علموا أن بيننا سيدة شرقية بلباسها الوطنى فأرادوا أن يروها وهى بذلك الثياب . ويظهر أن القوم يدون ثياب نساءنا من الأعاجيب .

وكانت للشر نسبة طول هذا الوقت لم تنتقل

ما هم في حاجة إلى تله
ثم غدونا إلينا الحاكم ونحن ننظر إليه مندهشين
وهو مندهش منا أيضاً

الفصل الثاني عشر

السفينة الحربية

احتفل بنا قائد البارجة الحربية احتفالاً عظيماً
عندما انتقلنا إلى سفينته . ومن عجائب هؤلاء القوم
أه قايلاً ورأسه مكشوف وقبسته في يده . وقد أفضمتنا
الترجم أن هذه العادة عندهم دالة على الاحترام . ولم
يكثف في تحييتنا بالكلام بل أمر كذلك بإطلاق
المدافع .

وقد وجدنا عدد الجنود الذين في هذه السفينة
يكفي لتدمير مدينة من مدن القرس . وكان فيها
نساء قيل لنا إنهن يقمن بمض الأعمال للحرب .
ولا أعرف ما هي هذه الأعمال ولا أي شأن للنساء
في الحروب

وحجى لنا بالقواكه الشهية والأطعمة اللذيذة
وقال سفيرنا إنه لو كان عند الشاه سفينة واحدة
مثل هذه لسحق روسيا سحقاً . وإن شاء الله متى
وصلنا إلى انكلترا فانتا ستعلم صناعة هذه السفن .
ولن يكون ذلك صعباً علينا لأننا نحن الفارسيين
لا نستجز عما يقدر عليه الأراك ؛ وما دام الأراك قد
شادوا مثل هذه السفن وهم بشهادة العالم كله أضعف
الناس ذكاه ، فانتا ستشيد أسطولاً بلا ريب

ثم عرفنا وإن السفينة الحربية بمساعدته ومن
بينهم طبيب ، ومن بينهم أيضاً قسيس هو السلامة
الوحيدة على تدين هؤلاء القوم الذين يتنقض النهار
ووراء الليل ولا ترام يركبون ولا يسجدون

مسرور من انتصار الشاه . وأخبرنا أن في بلاده
ما يسميه بالحرب الانتخابية وأن تأخيرنا في الحجز
كان في مصلحتنا لأننا لو وصلنا إلى انكلترا قبل
انتهاء هذه الحرب لما سرورنا من الحالة هناك . وقال
إنه يأمل أن يشرنا قريباً بانتصار الشاه الإنكليزي
على خصومه الذي سماه الحاكم « بالمارضة »

وقد أراد المترجم أن يشرح لنا معنى المارضة
فذكر أشياء لم نفهمها مثل قوله « الضائقات المستورية »
والحقوق البرلمانية « وما إلى ذلك من ألفاظ لا معنى
لها في لغتنا ، وكل الذي فهمنا أن هناك شعباً في البلاد
وأن الحكومة قد لا يكون مركزها وطيداً ، وأن
أعضاء سفارة مثلنا لا يكون وصولهم ملائماً إلا عند
وجود حالة مستقرة

ولكننا لم نفهم معنى قول الحاكم إن المارضة
تنهزم كل يوم ولكن أعضاءها لا يتفرقون ولا
يقتلون . ولا أعرف كيف إذن يكون انهزامهم
والأعجب من ذلك أن المكان الذي تدور فيه
المراك مكان واحد لا يتغير ، اسمه (البرلمان) ويظهر
أنه ميدان حرب

ولكن الحاكم استنكر أن تسيل المياه بهذا
اليدان .

وقال عمد بك يظهر أن الفرنجستان على غربة
أطوارهم لا يعرفون معنى للحكومة القوية فهم لذلك
يتركون خصوم الشاه على قيد الحياة

ونظر الحاكم إلى سفيرنا وقال : « إنك بلا ريب
ستطعم أنظمة الحكم الصالح فتساعد الشاه
الفرنجستاني على التخلص من خصومه »

عند ذلك بنا السرور على وجه السفير الفارسي
وقتل شاربيه وقال : « إني على بركة الله سأعلمهم

ويسويه من الرؤوس إلى الأقدام كأننا مواش يريد أن يشتريها . ولست أشك في أنه لو كان يستطيع امتلاكنا لقفل بنا ما يقفه بالمجوانات التي يصيدها ، فقد قال إنها تمرض في بلاده في حدائق عامة ليرأها الناس

وكان معهما شاب قال لنا المترجم إنه « شاه زاده » أي ابن ملك من ملوك الفرنجستان في جزيرة تدعى صقلية ، ولكن ملك هذه الجزيرة وأمرأها قد طردوا منها ، فهم لذلك ينتقلون من بلد إلى بلد ويشتغل بعضهم بالتجارة والبعض لا عمل له . وقد اعترافى البوار لما قلت في نفسي إن أبناء الشاه سيكوتون كذلك جوايين في الآفاق إذا طردوا من بلادنا وكان هذا الأمر متواسماً لا يستطيع الانسان أن يعرف أنه أمير إذا لم يسمع عنه ذلك . وكان في صحبته أحد الوزراء

ومنذ ركبتا السفينة جلت هي أن أنتم اللغة الانكليزية فأخذت أسأل المترجم عن اسم كل شيء وكل مكان وأحفظ هذه الأسماء . وكذلك لاحظت أن السفير يحاول تعلم هذه اللغة بقدر الامكان . وكان في استطاعتنا أن نتلقى بوضع كلمات انكليزية عندما قابلنا السيدة التي تقدم ذكرها في السفينة الحربية . فكانت تتبسم عندما نتلق بهذه الكلمات . وقد أدهشنا أمرها أنها تحسن القراءة والكتابة وتعلم ما تقرأ كأى رجل من الرجال . ولكننا لم نعرف هل خطها بلنتها جبل أو غير جميل ، لأننا لا نعرف قواعد الخط الفرنجستانى . لكن الذى أستطيع أن أؤكد أنه الخط الفرنجستانى فيبيع في جبلته لأن الخطوط نندم كلها متشابهة ولأنهم يكتبون على عجل . ولم ألاحظ توقفاً من

ولا يجاز القميس عنهم إلا بأن ثيابه سوداء . أما قبا عدا ذلك فهو يشبههم أتم الشبه ولحيته علوة وكذلك شاربه

وطيهم كذلك لا يلبس ثياباً تمزج ، ولكنه يشير ربه على جانب عظيم من العلم قائم لما جنى نبضى ورأى لسانى أشار إلى بالهفة على مواضع الألم في رأسى . وقال لى إن فى عيني ألماً وإثنى قليل الشهية للطعام . ولقد صدق في كل ما قاله

ولما أعطانى البواء وجدت ثمرته الساجدة وهو لا يكتب حجاباً ولا يستعين بلم الفلك كبيراً أحد الطبيب الفارسى

ثم نزلنا مع الريان إلى الطبقة السفلى من السفينة فوجدناها لا تنقص في الضوء ولا النظافة ولا حسن الترتيب عن الطبقة العليا . ووجدنا بها سيدة إنكليزية في نهاية الجبال . ولكن جمالها يخالف الجمال الذى نعرفه في بلادنا فإن شعرها أصفر مثل أسلاك الذهب ووجهها في استدارة القمر . ولم نحاول إخفاء وجهها عندما رأنا . ولم يكن في يدها برقع ولا منديل تتى به العين الناعرة لومى أرادت ذلك . ولقد كنتنا دون خفر ولا دلال كأنها رجل مثلاً . وأهمننا المترجم أنها تسأل عن الشراكسية فأجابها السفير أنها ليست إلا رقيقة وأنها لا ترجو أكثر من أن تترك في مكانها

وكان مع هذه السيدة سائح أيضاً الشر كثير التجارب لم فهم الترض من رحلته إلا أنه يقول إنه يصيد الطيور والوحوش والأسمك . وهذا السبب الذى يزعمه لا يبرر إغفائه التفقات الطائفة في الرحلات ، فلا بد أن يكون له غرض آخر يخفيه وعندما وقع نظره علينا أخذ يصعد فينا نظره

السكين ليقطع بها قطعة من اللحم حتى جرح أسابعه
وكنيت في أثناء الطعام أسهو فأخذ بأسابعي
بعض القطع وأصفا في فمي ثم ألقته فأدور بصري
لأعرف هل رأي أحد وأنا أرتكب هذا الخطأ
الذي يروونه لا ينتشر

ولاحظت أن لديهم آداباً في الطعام تخالف آدابنا.
منها أن أأكل كل فرد على المائدة طبقاً خاصاً لا يجوز
أن يأكل من طبق غيره ، وأنه ليس مسموحاً
بالشرب من الرحلة أو الأنية ولكن يسكب
الإنسان منها في الكوب على قدر ما يريد . ولكل
فرد كوب خاص به . وكذلك لا يجوز له استعمال
الملقعة أو السكين أو الشوكة التي لتيره ولا أن
يستعمل سكين الزيد في قطع اللحم ولا سكين اللحم
في أخذ الزيد . وهم يتبرون إمسك البطة أو البجاجة
ييد وقطعها باليد الأخرى جريئة شديدة . ولهم طريقة
خاصة في قطعها بالشوكة وبسكين كبير . وليس من
الآداب عندهم أن يقدم الإنسان إلى جاره قطعة من
اللحم . وبالجملة فقد رأيت متناقضات مذهلة لا يسعها
هذا الكتاب وسأقصها على إخواني متى عدت إلى
إيران إن شاء الله

الفصل الثالث عشر

أعضاء السفارة يفادرونه ماله

أخيراً تحركت بنا السفينة من جزيرة الدراويش
فراينا البحر مملوءاً بسفن من أحجام مختلفة وكماها
في أنجاء واحد هو الذي تقصد إليه . وقد لاحظنا
أنهم يستمتون بالآلة كالتي نعرف بها القبطة يسمونها
(البوصلة) وهم يقولون إنها تبين لهم الشرق والغرب
حتى في الليل .

توقيعاتهم على شكل طغراء ، ولم أشاهد كذلك
تركياً جيلداً كالتك عندنا ، وأغرب ما في خطوطهم
أنهم يكتبون من اليسار إلى اليمين . ويتبدى الكتاب
عندهم من آخره في الجهة اليسرى .

وهذا اختلاف بيننا وبينهم ذكرني بتقاليد
البسطة عن تقاليدنا في الطعام ، فإن آدابنا في الأكل
بسيطة خالية من التكلف . ولكن لا نسل عن
مقدار دهشتنا عندما دعينا لتناول الطعام في السفينة
أول مرة .

رأينا على المائدة أنواعاً متعددة مما لا يصلح
استعماله إلا في الحروب : رأينا سكاكين من أحجام
مختلفة وآلات تشبه السكاكين ، ولكن أطرافها
كثيرة مدية تدل هيئتها على أنها تستعمل في
السجون لقطع عيون المجرمين . ورأينا أسنفاً كثيرة
من الأدوات على المائدة وعدداً جسيماً من الأطباق
ولقد كانت السكاكين من الكثيرة بحيث تكفي
لترتين جميع الأحرمة في حاشية الشاه بدلا من
الخناجر

وتوجد غير الشوكة والسكاكين ملائق كثيرة .
وقد خطر ببال أن لا يد من انقضاء زمن طويل في
تلم طرق استعمال هذه الآلات لنقل الطعام بين
الأطباق وبين النعم خصوصاً بالنسبة لآلئ متقدمين
في السن مثلنا تمودوا منذ الطفولة أن يتناولوا طعامهم
بأسابهم إلى أنواعهم دون احتياج إلى هذه
الأسلحة الحادة

وقد أسر الصغير على أن نملك مسلحاً يقلل
من ضحك هؤلاء القوم علينا وسخريتهم بنا ، فأمرنا
باعتبار حاجاتهم . لكن أول تجاربه في ذلك كاد
يجر علينا خطراً مستطيراً ، وذلك لأنه ما كاد يمسك

محرراً . أما الأصباغ الأخرى مثل النيلة الزرقاء فما لا يجوز صبغ الشعر به

وقد قدم ذلك البحار جزءاً مما معه من الصبغة إلى السفير ليصنع لحيته إن شاء أراد ، فشكره على ذلك وسأله عن اسمها ليشتري من انكثرا شيئاً منها ويبتع به هدية إلى الشاه

ولكن لحسن الحظ لم يتبع السفير مشورة البحار ولم يصبغ شعره ، وقد وجدنا شعر البحار في اليوم التالي شديد الاحمرار بذلك أن يستطيع بالسواد ، ولما سألتاه عن السبب قال : إن رطوبة البحر أثرت في الصبغة فأفسدتها ، ولذلك جاء لونها كذلك . ورأينا به شديد الحجل لأن الشعر الأحمر شئمة في بلاده

ثم بدت لنا الأرض عن بعد فهال البحارة . وبدا عليهم الطرب . وعلينا أن هذه الأرض هي انكثرا . ولما اقتربنا منها لم نجد ذلك الإشراق الذي يجده الإنسان وهو مقبل على مدينة في فارس . بل رأينا كسفاً من الضباب كسواد الليل كشف عن مناظر غامضة لأبنية ومناظر . وأدركنا عند ذلك علة ما نعرفه عن قلق الانكليز في بلادهم وميلهم إلى الاسفار ، لأن الانسان بطبيعته لا يحب أن يوجد إلا حيث توجد حرارة الشمس وضوؤها . وقد حاول للترجم أن يقتننا بأسباب أخرى ليل الانكليز إلى الاسفار ، وبالمصالح التي تقتضى ذلك في أمحاء ما يسميه بالامبراطورية . ولكننا وجدنا هذه الأقوال نافذة لا يراد بها إلا التنصل من وصف بلاده بأنها غير صالحة للسكنى . ولم نفهم كلمات غامضة كثيرة كقولهم «البلات الأجنبية . والتوسع الاستعماري» ولله بئى بذلك غارات الحدود . وقد

وقد سمعنا أن كل السفن التي رأيناها محملة بالبضائع وأنها تقصد إلى بلاد الانكليز ، فدهشنا وقال السفير للراين : « هل بلادكم مصابة بمجاعة أم الانكليز عاجزون عن صنع أى شئ لأتقضم فهم دائماً في حاجة إلى من يحونهم ؟ »

فاجابنا الراين بواسطة الترجمة أن الانكليز ليسوا في حاجة إلى كل هذه التاجر ولكنهم مباشرة يقومون بين الدول بعملة الوسيط ، وهم متناع فهم يأخذون الخيامات من بعض البلاد ثم يردونها إليها مصنوعة ، فلم يقتننا هذا القول وأصررنا على أن بلادهم فقيرة . فقال لنا : إن هذه المهمة التي تقوم بها هي أشرف المهمات ، وإن المجد أن تبلغ أية دولة مثل هذه الناية . واستشهد على صحة قوله بأرقام كثيرة . وقرأ لى قصاصات من الورق لم أفهم منها شيئاً

وبعد أيام قضيناها في البحر وصلنا إلى سخور وراءها سهول واسعة . وقال المترجم ان هذه السخور هي جبل طارق وإن البلاد التي وراء هذه السخور كانت مملوكة للمسلمين في وقت من الأوقات . وإن اسم طارق الذي سميت به السخور هو اسم لأحد قواد المسلمين ، وقص علينا المترجم قصة طارق هذا وتحدث عن بلاد الأندلس ، فزمت على كتابة هذه القصة ونشرها في إيران لأدل قوي على عظمة التاريخ الإسلامي

ولما استأثفت السفينة السير وجدنا أحد البحارة وهو شائب يضع على رأسه أسباعاً خامة ليجعل يياض شعره سواداً ، فحينما من طريقته لأتنا لا نعرف في بلادنا شيئاً من هذا التجميل غير الحناء . لكن الحناء لا تميم الشعر إلى لونه الأسود بل تجمله

وودعنا البحارة ورؤسهم ومشينا في الرفا كأننا
فصيلة من الجيش . ولكن الانكليز قابضوا بالانقسام
التي مظهره الترحل وحسن التنية وإن لم يخف علينا
أنهم كانوا يضحكون منا

وكانت الشرسية تمشي وراء موكبنا بين
« سعيد » و « محبوب » وقد استلفت أنظار
الانكليز نساء ورجالا فاحتشدوا حولنا أنبا سرا .
والعجيب أنهم لم يلتفتوا مثل هذا الالتفات إلى
السيدة الجليلة التي كانت معنا في السفينة ، فاهتمامهم
في الحقيقة لم يكن بالرأء من حيث أنها امرأة ، بل من
حيث أنها محبوبة . ولاحظنا أن نظراتهم لتسايمهم
للسافرات كانت نظرات عفيفة . ولقد ذكرت
عندما خطرت يبال هذه الحقيقة قول شاعرنا

للسمدي « إن الفداكة المتنوعة هي أشهى الفواكه
إلينا وأحبها » وقلت في نفسي إن الشاهي فارس يرسل
النادين في الطرقات قبل زول زوجته من قصره إلى
مكان آخر متدبرين بإخلاء الطريق ممن فيه ويقتل
من يمضي الأسر . وذكرت أنه بالرغم من ذلك فانه
لا يكاد يوجد رجل واحد من أهل طهران لم ينظر
وجه الملكة خلسة من قُب النافذة . ولكن هنا في
بلاد الفرنجستان تمشي ملكة الانكليز فلا ينظر إليها
أحد غير النظرة المادية التي ينظرها الرجل إلى الرجل
وما استلفت نظري في هذه المدينة عظم الباني
وكثرتها وحسن زينتها . ولقد قدرنا أن كثرة اللارين
في الطريق سببها رغبة الناس في مشاهدة سفير
الشاه ملك اللوك إلى الملك الانكليزي . ولكن
سأءنا أنه لم يتقدمنا قراش من قبل حاكم المدينة يطرد
الناس من أمامنا كما فعلنا نحن عند ما وصل إلينا
السفير الانكليزي . وأقول إنه لو كانت بعض

أفهمنا أن ذلك لا يستدعي المهاجرة وأنه يكفي أن
ترسل الحكومة الانكليزية بعض قبائلها لتهب
المحصولات في الجهات المجاورة واختطاف الرقيق
والغنم والماشية

ولما أضمنا للترجم الانكليزي ذلك أسر على
عناده وأبي أن يفهم وأسر على أن النظم في بلاده
خير نظم في سائر الوجود وعلى أنه ليس أحسن
من حكومته وشاهه وقال : « انتظروا حتى تصلوا
إليها قفروا بأعينكم ما لا يستطيعون إدراكه بالساع ،
وسترون هل فارس أكبر أم انكلترا ؟ »

الفصل الرابع عشر

أعضاء البعث في طهران

رست بنا السفينة أخيراً على الشاطئ . ولجلول
اللدة التي قضيناها بالبحر لم يتكرر أحداً فيما اعتدناه
من قبل من استشارة للتجيين . ولم يحضر بيالنا هل
الساعة ميمونة أو غير ميمونة بل تأهبنا للزول في
الحال . وقد أطلقت المدافع عند زولنا ورفقت
الأعلام . ولكننا لم نجد أحداً من قبل الحكومة
في انتظارنا فامتعض السفير فيروزخان

ولما أبدى هذه الملاحظة للترجم قال إن
العاصمة لا تزال ببسطة عن هذه المدينة بعد طهران
من اسفغان ، وقال إن المدينة التي نحن فيها هي
بلايوت

كان يوم زولنا من السفينة يوماً سعيداً لأننا
والحق يقال لم نطقن يوماً على أنفسنا قط ونحن في
البحر . وقبل زولنا كلفنا أتباعنا بجميع أمتتنا .
وأعظم البحارة على ذلك وحمل كل منا سلاحه
فوضعه في حزامه وحمل ذؤو الرماح منا رماهم

إن أما كن النوم قد أعدت لنا ، فذهبتا لنراها ،
 ووجدنا لكل واحد منا غرفة خاصة . ولست
 أستطيع وصف الأسرة : فإنها لجلالها لتكاد تختلف
 شيئاً عن عرش « الطاووس » الذى يجلس عليه
 الشاه فى الأعياد . وقال لنا المترجم إن السرير الذى
 أعد للسفير قد اختير عن عمد من الأسرة للصنوعة
 على الطراز اللوغول المعروف ببرش الطاووس
 قال السفير : « لا إله إلا الله ! إن الحظ لم
 يكتب بإرسالنا إلى القردوس حتى يجعل الحور فى
 خدمتنا ! »

ثم حدثت حركة غير عادية فى الفندق عند ما علم
 المقيمون به بوصول الشرابية فقد كان كل منهم
 شديد الحرس على أن يراها . ويظهر أنه لم يتقدم
 أحد منهم أنها ليست إلا جارية . ولذلك حياها
 الجميع كصحبة السفير نفسه . حتى مترجمنا
 الانكليزى ساركا بناء جنسه يؤدى لها من الاحترام
 ما ليس من حقها وسار يطلق عليها كلمة « اللادى »
 ولا سألناه عن معناها عرفنا أنها تعنى كلمة « الهانم »
 فاستاء السفير من هذا التمييز وطلب إليه ألا يميده
 لأنه يعلم أنها جارية

ولقد كانت دهشة الانكليز عند رؤيتها أشه
 من دهشتهم عند رؤيتنا نحن حتى كان المقيمون
 بالبنية التى أمام الفندق ينظرون من التوافد لعلهم
 يصرونها . وكانوا يتحدثون بأصوات عالية لم تهم
 منها شيئاً ولكن أحاديثهم بغير شك كانت عنا وعننا
 وقال السفير : « إننا كل الجوارى يمايلن هذه
 العاملة فى انكسار كيف تامل الزوجات ؟ لا غرابة
 إذن مع احترامهم للنساء أن يستنكفوا خروج
 الخصى مع إحدى الزوجات ليحرسها »

(٧)

الفارسين نحكوا من ثياب ذلك السفير يوم قدومه
 كما يضطك الآن بعض الانكليز من ثيابنا لأعظمهم
 الشاه إرضاء لثيابه أو لجلدهم إن رأى الضيف
 الا اكتفاء بذلك

ولما خرجنا من المرقأ أعد لنا المترجم عريضة لاثنية
 المراتب التى رأيناها فى الأستانة لأنها كبيرة الحجم
 صريحة حسنة المنظر وفضلاً عن ذلك فلا تجرها الخيل
 بل يظهر أن بها آلات كالتي بداخل السفينة تساعدنا
 على الحركة . وقادتنا هذه المراتب إلى مكان قال عنه
 المترجم إنه خان . ولكننا لما رأينا وجدها أغرم من
 قصر الشاه

دخلنا فكان أول ما رأينا عند الباب ردهة
 كالتي فى قصر الملك بها امرأة عظيمة وآلة توضع
 عليها القبعات ، ووجدنا سيدتين جميلين على مكتبين
 مزخرفين وليس على وجههما رايح . ووجدنا رجلاً
 فى ثياب أنيقة فى استقبالاتنا فردنا بفرف مقفلة لم تر
 أبواباً أبداً من أبوابها ، ثم أرانا جناحاً به عدة غرف
 مخصصة لنا . وقال لنا المترجم إنه غير مسموح لنا
 بأن نصفق أو ننادى بهذا المكان . وأرانا ثقباً بالحائط
 فيه زر صغير قال إننا إذا لمستاه سمع البواب دقة
 الجرس بالقرب منه فيأتى . وفضلنا ذلك على سبيل
 التجربة .

فلما تبينا صدق قوله تذكرنا القصص التى يقال
 عن بلاد الجن . وكان كل شيء أمامنا يجر النظر
 حقاً فإننا فى قصر لم يبق فيه مثله أى ملك من ملوك
 القرس من عهد أو ثروان . ولا يرى الفارسى
 ولا فى الخيل مثل الذى به من أسباب الراحة

ولما استرحنا قليلاً فى غرفة الاستقبال جاءت
 فتاة انكليزية ساحرة الجمال وقالت لنا بواسطة المترجم

الفصل الخامس عشر

حاكم المدينة يزور السفير

انكليزي قايه — أن يكون الأثر الذي تركه في نفسه
جيداً بقدر الامكان . وبذلك استجمع كل ملكاته
الخطابية ليأتي أمامه أبداً ما يمكن أن يقال

وبعد أن سألته ثلاث مررات عن صحته وحالته ،
وقف وطلب إلى المترجم أن ينقل أقواله إلى
الانكليزية . وأتت الكلمة التالية :

« الحمد لله إذ رأيتك يا حاكم المدينة رجلاً

غض الشباب موفور الصحة قادراً على القتال ممسكاً ،

فضلاً عن مزايك النفسية المألوبة بصفات تحب في

الاقتراب منك ، فالعين لا تنصرف منك إلا إليك

لجمال طلتك ، ونحن سمداء بالوجود في حضرتك .

وإن من حسن الطالع أن تتعرف بك فان رؤيتنا

إليك دللتنا على أن ملك الانكليز أحسن الملوك رأياً

في اختيار الحكام ، وأن ملكاً حوله أعوان من

أمثالك لجدير بصداقة فارس »

كنا ننتظر أن يرد على الخطبة بخطبة مثلها يبالغ

فيها في مدحتنا . ولكنه وجم كأنه لا يستطيع

الكلام . وبدأت على وجهه علامة الحيرة كأنه

يستفكر مدحتنا إياه بما يبرف أننا لا نصدق وإن

كنا نقوله

وقد بقي السفير عدة دقائق ينتظر الرد . فلما لم

يسمه أخذ يقتل شاريه ويدخل أصابعه في لحيته .

وأخيراً فطن الحاكم الانكليزي إلى أن السكوت

لا يليق فقال : إن الجو جميل

رضى السفير بعض الرضى لأنه فهم أن الحاكم

يريد أن يقول إن الجو جميل بوجودنا كما تقول نحن

في فارس إن الشمس مشرقة بوجود النصف . ونظر

كل منا إلى الآخرين

ولما انصرف الحاكم قال لنا السفير : هل

كان « ميرزا فيروز » شديد النفيظ لأن أحداً
من رجال الحكومة لم يأت ليزوره ، وقد كان ذلك
أقل واجب له بعد أن أمهلوا حقة استقباله مع أنه
يوم وصول السفير الانكليزي إلى طهران أقيمت
حقة لأجله لا يقام مثلها إلا للملوك

ولم يخف السفير شيئاً من فيظه عن المترجم بل

قال له في صراحة : إنه أسف لجيئه هذه البلاد التي

لم يكن ينتظر أن يعامل فيها مثل هذه المعاملة وأنه

مع اقتناعه باختلاف العادات فإنه يأبى أن يصدق

أن إهمال المفاودة بتاتا من العادات الانكليزية

لكنه لم تطل إقامتنا بالفندق حتى أخبرنا

المترجم بأن حاكم المدينة أتت لقابلتنا . ولقد جاء

وحده لا يصحبه أحد من رجال حاشيته ولا تقدمه

الفرسان ولا حملة المشاع ولا حامل « الشوبك »

ولا الفراشون ليعرودوا الناس من الطريق . بل كان

هذا الحاكم في نهاية البساطة يحمل عصاه في يد

وقبته في اليد الأخرى

وبعد أن حيا جلس على أقرب مقعد أمامه ،

فدهش السفير من ذلك كل الدهشة لأن رجلاً

كبير المقام لا بد أن يجلس في صدر المكان . ولولا

أن المترجم قال لنا إن هذا هو الحاكم لاستحال

علينا أن نعتقد ذلك . وزادت دهشتنا عندما علمنا

أنه صاحب سفن كثيرة وأنه يطل من أبطال الحروب

وأنه لا يزال محتفظاً بقوة بالرغم من أنه تجاوز

السبعين .

ورأى سفيرنا — ما دام هذا هو أول حاكم

نومه موقداً ، ووجدنا الفراش سخناً فكندنا نضى
أنا بيلاذ شديدة البرد . ولما انقضت ساعات من الليل
فرعنا عند ما سمعنا صوت السفير يصيح نخرجنا
لننرف حقيقة الأرض فوجدناه في ثياب النوم يمشي
وفي يده شمة في اللمر الذي بين النرف وهو يلين
الفندق وأصحابه ، وجاء أصحاب الفندق وخدمه
والتأخون في النرف الأخرى وفهم سيدات ليروا
ما ذا أصاب سفيرنا فقال جلا بعض كلاتها فارسي
والبعض انكليزي منهاها أنه كاد أن يموت وأنه
يظن أن أصحاب الفندق يريدون قتله بشدة الحرارة
التي في غرفته

وقد تبين من جواب أصحاب الفندق أنهم
عرّفوا أن زيارتهم آت من بلاد حارة فادفؤوا الفراش
وزادوا من حرارة الدفأة على أن يلقاها هو إلى الحد
الذي يريده قبل أن ينام

ولما منعنا السبب الذي يتأذى منه السفير عاد
كل منا إلى غرفته وهو يفكر في غربة أطوار
الانكليز الذين يحتلظ نساؤهم برجلهم حتى وهم في
ثياب النوم والذين ليست لديهم أية فكرة عما نسميه
نحن بأماكن الحريم . وقد وجدنا نساءهم بالليل أقل
جمالاً منهن بالهار لأن كل واحدة منهن تمنع على
جبينها وخديها قطعة صغيرة من الورق لها أحجية
يقصد بها إلى الوقاية من الحسد والسحر

وقد اتبعتنا في هذا الفندق سعوة المحصول على
الماء لأننا لا نستطيع أن نأمر الخادم بإحضار ما نشاء
من الماء إلى غرفة النوم للوضوء أو إلى غرفة الطعام
لنسل أيدينا بل علينا أن ننقل نحن إلى مكان الماء .
ويظهر أن الماء عندهم قليل لأنهم يحملونه في أيايب
دقيقة بالحوائط ويفرغون منه بمقادير قليلة . وقد

رأيتهم حاراً مثل هذا ؟ إن أحد السوق في فارس
أدرك من هذا الحاكم الانكليزي وأفسح منه لساناً .
فأخذنا نظري فصاحة سفيرنا وذلافة لسانه وسرعة
خاطره ، وقلنا إنه يمشي وجوهنا ووجه الشاء الذي
أحسن اختيار من يمثله في البلاد الأجنبية . واتفقت
كلتنا على أنه ليس في العالم كله حاكم أشد عجزاً من
حاكم بلاعوث

كان الشاء في الفندق على منوال الشاء في
السفينة سوى أن الأطباق والملاحق والشوك
والسكاكين كانت كلها من الفضة . فسلنا للترجم
هل هذا هو منوال الحياة العادية في الفندق أم زيد
في الاستعداد لحفاوة بنا . وقلنا له إن الفنادق عندما
لا تقدم الطعام للزلاء بها يل بجوار كل خان بدال
يأخذ منه التزبل ماشاء من طعامه . على أن الطعام
الذي قدم لنا هنا جدير بأن ينسى المرء ما يقال عن
كرم حاتم

أكد لنا المترجم أن هذا هو منوال الحياة
العادية بالفنادق وأنهم لا يقدمون لنا الطعام كرمياً
فهم يبداء عرافتهم من معنى الكرم، وأن أصحاب
الفندق سيقدّمون لنا عند ما نرحل عنهم قاعة للحساب
يدير فيها نحن كل شيء مهما كان نافعاً . وأنا إذا
كسرنا لوحاً من الزجاج أو كاساً فأنهم يحتملون
عنه علينا . وقال لنا أكثر من ذلك إنهم لا يقبلون
المجادلة في الأثمان التي يذكرونها بقوائم حسابهم
ولا يصل الأمر إلى القاضي ليفصل في النزاع على
الأثمان فإن كلمة أصحاب الخان مصدقة ، وأن الذي
يرفض دفع ثمن ما يأكله أو أجر إقامته تصادر
أمنته ، وقد يسجن أيضاً

ولما كان وقت النوم وجد كل منا في غرفة

يصل ركبتين فنفضوا في الأبواب مرة أخرى .
وأخذنا الترجم بأننا لو تأخرنا دقيقة واحدة فإن
المرليات تتركنا وتسير

قلت : « لماذا هذا التسجل ؟ إن الشمس ليست
حارة هنا مثل بلادنا حتى يكون لكم عذر في التفكير
قبل أن تشتد الحرارة »

قال للترجم : « نحن لاهتما الحرارة والبرودة
ولكننا نزن الزمن بأدق الموازين ولا يفرط أحدا
في لحظة من عمره »

وقال محمد بك : « وهل من التفریط في العمر
أن نصلي ركبتين ؟ » قال للترجم : « قد لا يكون
ذلك من التفریط في عرك ولكن لما ترك السائق
في انتظارك ؟ صل ألف ركة إذا شئت وارك
السائق وعمره ؟ »

عند ذلك سمعنا الأبواب تنفتح مرة أخرى
وصاح السفير بنا أن نسرع ، ولتتنا ولين الساعة
التي راققتها فيها ، فقمنا إلى الطريق

ركبت أنا والسفير والترجم في عربة ، وسعيد
وعبوب والشركية في عربة أخرى ، وسائر أعضاء
السفارة في عربة ثالثة ، وكان في كل عربة من

هذه المرليات مسافرون آخرون
وكان بجانبني فتاة إنكليزية سافرة الوجه لم
تتخرج من ملامسة جسمي لجسمها مع اختلاف
دينتنا كما تتخرج نحن من ملامسة اليهود . ويظهر
أن من صفات الانكليز أنهم لا يعرفون الطهارة
والنجاسة في الأديسين فهم يسكنون بيد اليهودي
ثم لا يرون ضرورة للاستحمام كأنهم يسكنون
بيد واحد من أنفسهم . على أن هذا في الحقيقة
لا يدعو إلى العشة مادام القوم يأكلون لحم الخنزير

حاول السائق مرة أن يأخذ مقداراً من الماء الساخن
في حمام الفندق ليسفل الخيل في الاسطبل فضج
أصحاب الفندق . أما فيما عدا ذلك فإن فندقهم أغنى
من قصور الشام

ولكي أقرر الحقيقة يجب أن أعترف بأننا بقياس
لهم ألبس في نهاية السفاجية

الفصل السادس عشر

في الطريق إلى لندن

طلب إلينا المترجم أن نستعد للسفر إلى لندن ،
وقد امتنع السفير من ذلك لأنه كان يتوقع أن
ترسل الحكومة إلينا مندوبين يرافقونا إلى تلك
العاصمة ، وكان يظن أن تأخرها عن ذلك إلى الآن
إنما يرجع إلى رغبة الوزراء الانكليز في جمع الهدايا
كما حدث عندما جاء السفير الانكليزي إلى طهران
وكذلك حمل تأخرهم على أنهم يستمون عدداً
كبيراً من الرايات الفارسية ليرفعوها على طول
الطريق وعرضه بين بلايموث وبين لندن

لكن المترجم قضى على كل هذه الآمال بتحديد
ساعة السفر في صباح اليوم التالي . وقال إننا سنسافر
في عربات عمومية ننقلنا وتنقل غيرنا ، وأن السائق
لن ينتظرنا إذا طلبنا إليه الانتظار ، فيجب أن
نكون متأهبين في اللحظة المحددة للسفر . وقال إن
كل شيء في انكلترا بمواعيد معينة ، وإن أي عمل
من الأعمال لا يتصل بسبب التأخير ولو كان هذا
التأخير سادراً من الشام الانكليزي نفسه

ووجدنا المترجم صادقاً فيما يقول لأن المرليات
ما كانت تقف على باب الخان حتى تفتح السائقون
في الأبواب ، فبدأنا نمشط ذقوننا وهم أحدنا بأن

الفصل السابع عشر

مدينة الحام

استأنفنا السير فوصلنا إلى مدينة (بث) ومعنى هذه الكلمة باللغة الإنكليزية هو (الحمام) فسم المدينة لأن هو مدينة الحمام لأن بها حمامات كثيرة ليست تشبه حمامات الماء الساخن عندما ولكنها آتية من ينابيع يقولون إنها معدنية . وهم يقولون إنها تشق من الأمراض مثل مثل مياه برومسه بالقرب من الآستانة . وكان السفير يشكو وجعاً في الظهر فأشاروا عليه بالاستحمام في هذا الماء؛ فلما قبل غدونا إلى بحيرة ينزل في مائها الرجال والنساء معاً .

ولقد كانت مشاهدة الحمامات الإنكليزية سيئاً في (مارة) للناقشة بين السفير وبين المترجم في موضوع النظافة والطهارة عند الفارسيين وعند الإنكليز. فالفرق الأخير لا يعرف الطاهر والنجس ولكنه يعرف التنظيف والتفرد . فالمر عند الإنكليز طاهرة لأنها نظيفة ، والماء لا يكون عندهم طاهراً إلا لم يكن نظيفاً . وقد غضب السفير في نهاية هذا الحديث وقال : « أنتم قوم لا يحق لكم التكلم عن النظافة مادامكم تاكلون لحم الخنزير ، وكل الحمامات التي في العالم لن تطهركم من نجاسته »

فقال للمترجم « لا تكلم من الكلام في هذا الموضوع فأنك ستأكل من لحم الخنزير قبل أن تتأخر هذه البلاد، ولن يكون في وسعك أن تميز بينه وبين اللحم الأخرى »

وبعد الاستحمام بهذه المدينة استأنفنا السفر إلى العاصمة وقد وجدنا عند بابها عربتين من عربات الشام الإنكليزي في انتظارنا كما وجدنا اثنين من

ولذا كنا نحتاج عن الإنكليز في كل شيء فاهم بغير ريب يتنازرون عنا في صنع هذه المربيات لأن « التختران » عندما « هودج » يحمل بين فرسين لا يمكن أن يكون كالمرية ، هو دائماً يرتج ويهتز يمسك المربة التي يمكن أن يشرب فيها المر فنجانا من القهوة دون أن تسقط قطرة منه على ثيابه . بل يستطيع أن يقف فيها ويصلي ويستطيع أن يدخل في الزجاجة وأن يتناول النداء وقد فكرت في إدخال سناعة المربيات بالبلاد الفارسية عندما أعود إليها

وقد عجبت من نظافة الشوارع ، فليس بها قطع من الأحجار ولا أكوام من الأنقاض وهي منسوفة كأن الجن قاموا بتنظيفها في الليل ، ومثل هذه النظافة لا تكون في بلادنا إلا في الطريق الذي يسلكه الشاه في يوم الجمعة للصلاة . وأخذ بمضنا مسائل البعض هل أعد ذلك خميصاً لنا ، فأخبرنا المترجم بأن هذه هي حالة الشوارع كل يوم

وقد صدقناه لأننا لم نر علامة على الاحتفاء بنا، فالتاس منا ينظرون إليه ويضحكون منه مع أن الفارسيين كانوا بأمر الشاه يركبون عند رؤية السفير الإنكليزي

استرحنا في أثناء الطريق بخان لتناول فيه النداء ، وقد دهشنا إذ أخبرنا المترجم بأن المسافة التي قطناها هي ثلاثون فرسخاً وهي مسافة تقطعها في فارس في أربعة أيام . ولكن سرعة المربيات البخارية في أنجلترا لا يكاد يتصورها عقل الفارسي في بلاده

ووجدنا السوق في القرية التي نندبنا بها خالياً من المحتسب ، والمشترون على أتم اتفاق مع البائعين

على كل حال إلا مباحة بحسن خطها وإلا فأية فائدة من تعليق العنوان ؟

وأدهشتنا من هذه المدينة كثرة اللسرة في شوارعها قائما في أيامها العادية أشد زحاما من الأسواق عندنا في أيام اللوامس . ولولا ما شهدناه من قلة اهتمام الناس بنا لقلنا إن أهل المدينة خرجوا لاستقبالنا كما خرج كل أهل طهران ليروا السفير الانكليزي يوم وصوله . قال السفير للترجم : إنى لقة ما أرى من مظاهر الحفاوة لأ كاد أصدق أننى سفير من حقه الاكرام فانكم تدخلون في البلاد خفية كأننى بضاعة مهربة . فنقل للترجم هذه الملاحظة إلى الموظفين الانكليزيين فلم يفهموا في بادى الأمر ما الذى يريد السفير لجهلهم بمواد الفارسيين ؛ فلما أفهمهما للترجم قالوا إن هذه هى عوائد البلاد وإن السفير الفارسى يقابل كائى سفير آخر

قال فيروزخان : « إنا كانت هذه هي عوائدكم فاقسم إنها عوائد سيئة فإنه لا فرق عندكم بين استقبال سفير وبين استقبال امرأة مجوز . ثم نظر إلى وقال : « أقسم يا حاجى يا أنى لو كنت أوقع ذلك لما قبلت أن أكون سفيراً . لقد كان خلقى لحبى أهون على من متادرة بلادى والبيشة بين الكفار . ولا بد لى من الانتقام من رئيس الوزارة الذى يثب بى إلى هذه البلاد حيث لا تقام حفلة الاستقبال . وإنا لم أتقم منه فالى غير جدير إذن باسم فيروزخان

وحسب للوطنان الانكليزيين وقد أزعجهما هذه اللجة التى يحكم بها السفير . وفى أثناء مرورنا بالمرية أشار أحدهما إلى حديقة وقال إن هذه الحديقة إحدى متزهاتنا العامة . فقال السفير بلهجة دالة

موظفى قصره ، فركبنا إلى المكان الذى خصص للسفارة

وقد سرّ السفير من إرسال هذين للتدوين وانتظر إجراء حفلة استقباله في صباح اللند . وذلك أعدت ملابس الحفلة والخمطر ذا القبط الرسع بالجواهر ليضعه في حزامه والقلبك الذى عليه الرشة المجوهرية

وقد لاحظت أن الانكليزيات لم يفرن من النظر إلى عيوننا السوداء ووجوهنا المستديرة ، وذلك حرصت على نظافة ثيابى وجمال منظرى ، وارتديت « الطقم » وهو أجمل ثوب عندى ومشعلت شمرى وجعلت خصلة طويلة منه وراء أذنى وهذه الخصلة يسمونها بالسلفة في فارس ، وهى من لوازم الأفاقة ...

خلق لنا « فريدون » وسأوى ذوقنا ، وجمه للشركية بثوب جديد من ثياب الفرجماتيين ولكن تفصيله على الطراز الفارسى وأفهمنا للترجم أننا سفتبع في الاستقبال عادات بلادنا فتمشى على سهل شديد ونلقى خطباً طويلة كثيرة وأنه سيقدمنا في الطريق بعض الأتباع ليطردوا الناس من أمامنا ، وطلبنا إليه إتمام السلطات الانكليزية ذلك

وما رأينا في لندن ولم نكن نتوقعه أن على حوائيتها « لوحات » كثيرة لا شك أنها من مأثور القول عندهم . وعزمت عندما أتممت اللثة الانكليزية على استظهار هذه الأقوال لكى أعتل بها في كلامى ولكن الترجم قال لى فيما بعد إن هذه ليست أقوالاً حكيمة وإنها عنوانات للحوائيت التى هى معلقة عليها . فصبحت من ذلك وعلت إنهم لم يملقوها

للترجم كذلك استنرق في الضحك وسألنا لماذا فعلت ذلك؟ قلت لأن صاحبه طيب، وقال الطباخ نعم وقد شفاى

قال للترجم إنه ليس طيباً ولكنه عسى . قلت ما معنى ذلك؟ هل هناك ما يمنع الجمع بين كونه طيباً وبين كونه عمك

قال : « هو على كل حال ليس طيباً ولكنه لورد وهو من رجال السيف ولم ياج قط صناعة الطب » وقال الطباخ : « وكيف نميز الآن بين أطباكم وبين اللوردات ؟ »

حاول للترجم في الاجابة على هذا السؤال . والحقيقة أن الناس متشابهون في هذه البلاد على اختلاف أعمالهم ودرجاتهم حتى الخدم والكتسانون يلبسون ثياباً كالتي يلبسها الأعيان والوجهاء . وقد هانا اتحاد الناظر فسممنا على أن نستقم بجمل العبر وفتح عيون البعثة في وجوه الجدة

ثم نظرنا إلى القصر الذى خصصه الشاه الانكليزى لسكنى السفارة الفارسية فقلنا إن هذا القصر لا بد أن يكون متصفاً من أحد اللوردات لأن . أى إنسان لا يسمع بإعطاء مكان مثله من طيب خاطر . وإنه ليخيل لى أن الأثامث أعلى كثيراً من البناء . وقد سألنا للترجم عن قديم هذا القصر فقال إنه اللورد أمين الخزانة . ولست أستطيع أن أصف الأثاث قطعة قطعة ، فإن كل جزء منه يحتاج إلى وصفه إلى مجلد ضخم ، فالأسرة والسجاجيد وأدوات الزينة والمواليب والكراسى ، كل ذلك مما لا تقع العين على مثله . وهناك أشياء كثيرة جداً لا نعلم قائمتها ولا كيفية استعمالها

ولقد كانت الكراسى ذات أشكال مختلفة

على النضب : « أعلقوا النافذة فأتى لا أريد أن يرانا أحد فيزداد اقتضاحتنا »

فلم يسع الانكليز غير الصمت

الفصل الثامن عشر

دار السفارة

نزل السفير إلى الدار المخصصة للسفارة فلم يقدم إليه أحد هدية ولم يرحب به أحد . فملت وجهه مسحة من اليأس . وقال إن الشاه أمره بأن يبيض وجهه في هذه البلاد ، ولكنه سود وجهه ووجه الفارسيين جميعاً . وقدم له للترجم طعاماً فأبى أن يأكله ، وقال إنه لن يأكل الخبز واللح مع الانكليز حتى يأتى مندوب من قبل الشاه الانكليزى ليقول له الحمد لله على سلامتكم

قال للترجم : « ولكن ألا تريد أن تستريح لحيء للتدوين الانكليزيين أية قيمة ؟ فقال السفير : « لا تقل لى ذلك فأنت نفسك حضرت حفلة استقبال السفير الانكليزى في طهران . إنكم سودتم وجهي وسودتم وجه حكومتكم أيضاً والحمد لله على ذلك »

ولما رأيناه على هذه الحال تركناه . واستأذن للترجم الانكليزى كذلك في الذهاب . وكان للترجم في الأيام الأخيرة جتنيب عنا أحياناً ليرافق رجلاً جميل الثياب ظاهر الوجاهة كان يقيم أماناً . وقال لنا الطباخ إنه جاء مرة مع للترجم الى دارنا . وكان الطباخ مريضاً فوفس له دواء شفاء في الحال

اعتقدنا من ذلك أنه طيب . وفي عصر ذلك اليوم عاد إلينا مع للترجم فخرجنا إليه ملادين أيدينا ليجس نبضنا فخرجين ألسنتنا ليرى لونها ، فلما رأنا

الأعلى ، وإذا أردنا أن نعمل أو نستريح انتقلنا إلى الطابق الأوسط . وقد استفتح محمد بك أن أرض بلاد الانكار قليلة المساحة جداً ولعلك يتنون بيوتهم من عدة طبقات ، على العكس من الحال في فارس فإن أرضنا واسعة ومن أجل ذلك بنى بيوتنا من دور واحد

وقد علمنا أكثر من ذلك أنه ليس في انكارتا أرض زراعية ، وهذا يدل على شدة ضيق بلادهم فانهم يتنون البيوت حيث كان يجب أن تكون الزراع . والملكية للنازل عديم نظام غريب فهي تنتقل باليراث إلى الابن الأكبر ولا تقسم بين الورثة ، ولعل ذلك لضمان إصلاح المنازل وترميمها لأنه عندما يمتد الشركاء في التزل الواحد يتشاجرون ويتركونه بغير إصلاح . أما الثياب والأموال فانهم يقسمونها بين الورثة فهم لا يحرصون على بقائها حرصهم على البيوت لصيق ارتهم
« يتبع » عبد اللطيف النشأ

عجبة فبمضها له جانب واحد والبيض له جانبان والبيض ثلاثة جوانب . وبعض الكرامى ذو ظهر يصل إلى الرأس والبيض لاظهر له . أوله ظهر قصير وهناك مناضد خاصة بالأكل وأخرى خاصة بالكتابة وأخرى للحلاقة وغيرها لنسل الوجه . وكذلك الغرف مقسمة إلى أقسام ، فاقضى يا كل في غرفة النوم يكون قد أتى بأمر متكر وكذلك الذى يتنقل في غرفة النوم .
وقد حار الصغير في تخصيص مكان لجاريته الشرعية .

وعلى ذكر الشرعية أقول إننا استكشفنا أخيراً أن بعض السيدات الإنكازيات يضمن على وجوههن نوعاً من البرقع ولكنه لا يحول دون رؤية الوجه بل يقي من التبارح فقط .

وقد أتينا في قصر السفارة أننا لا نستطيع الاستقرار في مكان ، فانا أردنا أن نأكل انقلنا إلى الطابق الأرضي ، وإذا أردنا أن ننام انتقلنا إلى الطابق

المجموعة الاولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات في المصطلوسية ، والأوديسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأرقطونوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

التمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجلد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

نبايع مجموعات الرسائل مجلدة بالونمانه الابنية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الماخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العمق والامت العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك المأخوذ سنون قرعاً ، وإلخارجي ما يسوى جنياً مصرية ، والبلاد العربية بضم ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
رئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

برل لويترالك عم سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في المملك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الوزارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيطة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ع ٥٢٤٥٥

الحرورية

مجلة أسبوعية للفصحى والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نفسه

السنة الثانية

٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٧ - أول يونيو سنة ١٩٣٨

العدد ٣٣



فهرس العدد

| صفحة | | | |
|------|----------------------------|-------------------------------------|---------------------------------------|
| ٤٥٨ | البديل | أقصصة حصرية | علم الأستاذ محمود بك تيمور |
| ٤٦٥ | قلب أم | لقصص الأناكر أندرسن | علم الأدب صلاح الدين للتبد |
| ٤٦٦ | لقد أحضرت المركبة | لكتاب الفرنسي تيودور دي بافيل | علم محمد عبد الفتاح محمد |
| ٤٧١ | الوالد | لقصص الفرنسي موبسان | علم الأستاذ على الطنطاوى |
| ٤٧٧ | سر الحنية الصفراء | لكتاب الروسي سيدريك ديمتروف | علم الأستاذ محمد لطفي جمة |
| ٤٨٦ | صلاح الدين | لقصص الايطالي بوكاتشو | علم الأستاذ محمد كامل جبال |
| ٤٩٥ | للرأة المدبرة | من القصص العربي | علم الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف |
| ٤٩٧ | حامي بابا في انكلترا | تأليف جيبز مور | علم الأستاذ عبداللطيف النشار |

إذ رأيت سيدة تحترق الشارع ؛ فلما
رأنا متعاقف الكركة ، وخشيت أن
يصيبها منها أذى ، سارت على الرصيف
بجوار الحائط متجنبة مرهاها . كانت
حسنة في مقتل العمر ، ذات شعر
أصفر بلع لسان الذهب ، تجذب الأنظار

البَيْدَلِ
أَقْصُوصَةٌ مِصْرِيَّةٌ
لِلْأَمْتِازِ مُحَمَّدِ تَيْمُورَ

بألقها وزيتها ، وتمسك بمصا في يمينها تبيت بها
بينة ويسرة

وما حى إلا أن فنف أهدم الكركة فانطلقت
سوب السيدة ، وكانت تصيح لولا لحاق بها ،
وتحوّل سيرها . ونظرت إلينا السيدة نظرة بين
الغضب والصاب ، ولكن ما كاد بصرها يقع على حتى
توقفت عن السير وأخذت تلاحظني ، ثم ابتسمت
لي في رقة ، فلم آبه بها ، واستأففت لسي ، ورأيتها
واقفة مكانها بضع دقائق تبقي بنظرها المشغوف
حيثما تنقلت

وفي مثل ذلك الوقت من اليوم التالي ، رأيت
سيدة الأوس تسير على مقربة منا في خطوات متهملة ،
فما إن وصلت إلى شجرة على جانب الطريق حتى
وقفت في ظلها قربتنا ونحن نلعب ، وشعرت بها
تخصني — دون رفاق — ينظر لها . وبسدة برهة
لحمتها تشير إليّ ليدها تستدعيني إليها ، فلم أستجب
وواصلت لسي . وظلت السيدة تلاحظني في اهتمام ؛
فضايقتني هذه الملاحظة بضع اللصايقة فارتبكت ،
وهجم على وقتني زميل أوقنى وانزع الكركة مني ،
ورأيت السيدة تهرع إليّ ، وتساعدني على النهوض
وتففض التراب عن ملابسي ، ثم انتصت لي ناحية
وسألتني :

— هل أسألك ضرر ؟

نشأت قيم الأب والأم ، أعيش مع عمي في
منزل الأسرة بجلوان . وكنت أبلغ من العمر
المائسة عند ما وقعت هذه الحادثة التي أروها .
وقد أخبروني أن أبي قد مات وأأارضح ؛ أما أبي
فقد توفيت ولي من العمر أربعة أعوام ؛ فلا أذكر
منها إلا طيفاً خفيفاً ، قليلاً ما زارني وسرطان
ما اختفى . وكانت تعيش معنا سيدة تدعى « الست
عيوشة » من أقارب عمي ، ولم تكن بالرأء الحبية
إلى . هي نحيفة طويلة ، صموة جافة الطبع ،
لها نظرات كريمة وإقساماة خاطفة تبت الابتزاز
في النفس

وكان عمي ياملني بشدة ، ولكنه يشعركي
بعض الأحيان بشيء من العطف . وكنت أخافه
وأكره منه غلوه في التحفظ ، ودقه البائسة في
النظام . يبلغ الستين ، مديد القامة ، حد النظرات ،
يسير في خطوات عسكرية متتالفة ، يلتزم في حياته
نظاماً دقيقاً لا يبعد عنه ؛ فلا أذكر أنه تأخر مرة
عن موعد الأكل ، وإنما حلت المائسة مساء وجده
أمام مكتبه غارقاً في أبحاثه القضائية

كنت في ذلك الوقت في مسهل الإجازة
الصيفية أقصى وى ، إما في حديقتنا الصغيرة ،
أنتسق الشجر مع أولاد الجيران ، أو أألب بالكركتهم
ويينا كنا نلعب ذات يوم بالكركة أمام البار ،

وق للماء اجتمعت كمداني بمعي و «لست
عيوشة» على مائدة الشاء . وكان الصمت غيبا علينا ،
كشأتنا في كل لية : «لست عيوشة» في جلستها
المسكرة لا يفارق وجهها الطين ؛ تتحرك كأنها
آلة بزنبرك ، وعي علاجه الصلبة ، ورأسه الرخوع ،
لا تقادر حينه الجريئة ، ولا يبادلنا حرقا . . .
وأخيرا نظر إلى الست عيوشة وقال لها .
— أصبحت بيجارتنا الجديدة ؟
فظمص وجه الست عيوشة وقالت ، وجسمها لم
يتحرك قيد أعلة :

— أى جارة نعى ؟
فأقسم عي ابتسامته التكرار ، وقال :
— جارتنا الجديدة التي سكنت منزل الرحوم
« رؤوف بك » في الشارع الجاور لشارعنا ١١
وصمت الست عيوشة كأنها أخطأ أن ينسب
عنها هذا الخبر . فقال عي :
— يظهر أنك لست من أهل هذه الدنيا . إن
خبرها شاع وفاع في حلوان .

فقال الست عيوشة : وما أمرها ؟
فأجلب عي ، وما زال على فة ابتسامته التكرار :
— إنها جاءت من الاسكندرية لتنشر في هذا
البلد الصغير وبها ؟ — وبها الهلاك البيد ١١
فجففت حين الست عيوشة ، ولكن رأسها
لم يهتز ، وقالت :

— أريضة هي ؟
— وأشد من مريضة . . . إنها من النوع
المدام الذي يغرب البيوت ، ويقوض سمادة
الأسر . إنها . . . إنها ، ألا تهنين ١١
— . . . فائمة ١١

فأجبتها : كلا !
وأخذت تدقق النظر في ثم قالت :
— يا لله ! أنت مجروح ١١
— مجروح ١
— جرح خفيف ، خفيف جدا تكادش
اليدوس
وكان صوتها موسيقيا عذبا أطربني ، فأصغيت
لها . وأخرجت متديها ، وأخذت تمسح جرحي ،
وتجفف عرق ، فأثبت من اللذيل طار جيل أنشني
وقالت لي :

— أنت الآن أحسن حالا ؟
— لم لا أكون أحسن حالا وأنا لم أصب
بضرر ١١
فأصغيت . وشرحت بأن إجابتي كانت جافة ،
ورفعت بصري إليها ، فوجدتها تمدق في ، وقد بدا
عليها حنو غريب ، فأحتاج قلبي وقت :
— نحن نلعب بالكرة دائما ، وكثيرا ما وقفنا
— أين تسكن ؟
— هنا

وأشرت إلى منزلنا وجعل أحد رفاقي يناديني :
— واصف ! واصف !
فقال السيدة :
— أهو اسمك ؟
— نعم

فأضحت على جيبتي قبله ، وأصرت يدها على
رأسي تلاتفه ، ثم قالت :
— انطلق إلى أسدناك يا جيبتي .
وانطلقت ألب . أما السيدة فشبتى بنظرة
طويلة ، ثم تابست سيرها بطيئة الخطا .

— تحمل ربنا نحمل لك الطريق .
— وإذا رأيتهما تقرب مني وتحاول أن
تكلمني ؟
فرمقتى الست عيوشة بنظرة فاحصة ، فاطلح
قلبي ، ورأيتهما يتقدم بته ابتسامتهما الشيطانية
ويقول :

— أراهن أنك رأيتهما وكلتهما ...
فانطلقت أنكر في خمس ؛ ولكنني أحسنت
بأن إنكارى ضيف ، وأن سوتى يخذلنى ، ورأيت
نفسى بمدحى أقول لست عيوشة :
— أقسم بالله العظيم أنى لن أراها ، ولن أكلها
بعد اليوم . لا تخبرى عى بشئ

وتشبت بجلبابها مسترحما ، فوفقت صامتا
تحدج بنظرها البنفسج ، ثم سارت متتلة الخطوات
مرفوعة الرأس إلى حجرتها .

واقضت ثلاثة أيام لم أخرج فيها إلى الشارع فتأديا
لاحتمال مقابلي تلك السيدة . أما عى فقد ذكرها
مرة أخرى ونحن على المائدة ، في حديث مقتضب
كله سخط وثورة ، فألقى ذلك منه ، وبعيت لهذا
الرجل الذى يزج بنفسه في كل أمر ، ويريد فرض
سلطانه على كل إنسان .

وفي اليوم الرابع خرجت إلى الطريق يدفعنى
أمل غامض إلى لقاءها ؛ وتجاهلت ما أمر به عى ،
بل شمرت بشئ من الزهو والسرور في تحدي ،
وأخذت أروح وأجيب أمام النزل أرقب ظهورها .
ولما طال انتظارى ولم يحضر ، سرت إلى الشارع المجاور
حيث منزل « دوفون بك » الذى تسكنه . فلما
اقتربت من بابه وقع نظرى عليها في الحديقة ، وكانت

— سمعت أنها كثيرة التبجج ، ولها شعر أصفر
لا بد أنه مصبوغ ...

— مؤكدة إنه مصبوغ !!
— وقد رأوها تسير بمصا في الطريق .
— كيف ؟ أعجز هي ؟
— أجول عمرها .

— لا بد أنها تخفى سننها تحت ملأه الساحق
الثقيلة ... بالله !! ما أبشعها !!
وكان قلبى في أثناء ذلك يدق دقا عتيفا ، ووددت
لو تمكنت من وقف هذا الحديث . وسمعت عى
يقول :

— أرايت سيدة تسير بمصا في الطريق ؟
فقلصت الست عيوشة فها مستنكرة ، وصمت
عى برهة ثم تكلم في حزم وتشدد قائلا :
— أحرم عليكم مقابلة هذه المرأة ، واتصالكم
بها !!

فقال الست عيوشة وقد زوت ما بين حاجبيها :
— ماذا الله أن تصل بهذه الفاجرة !
وقبل أن يترك عى الحجرة أتقى على نظرة حادة ،
كأنه يقول لى : أقام أنت ؟

وعند ما استوفقت أن عى صار بعيدا عنالقت
لست عيوشة :

— عجيب أن يتعامل عى على هذه السيدة
مع أنه لم يرها !!
— وما شأنك وهذا ؟ أرايتها أنت ؟

— أنا ؟ أبدا ... ولكن خبري ، إذا حدث
مثلا أنى رأيتهما تسير في الطريق الذى أسير فيه ،
فإذا أفضل ؟

— ذهبت بنفسى حيث طمبون وكنت
أنتظرك كل يوم .

فسجبت من هذا الاهتمام وشعرت بشيء من
الجليل ... ووقع بصرى في هذه اللحظة على باب
الحديقة ، تذكرت أمرها أشعرتني بخوف ، وتلفت
حولى فرأيت « كشكا » بيدها عن الأنتار ، فرضت
بصرى إلى السيدة وقلت لها :

— ألا يمكننا أن نجلس في هذا الكشك
بسيدين عن الباب ؟

فأبسمت لى إقبامة لطيفة وقالت :

ما رأيك في أن ندخل المنزل ؟ ... لى شيء
أريد أن أريك إليه .

وقامت وهى تحمك يدها ، وسارت لى إلى المنزل
وأنا طامع ، وأجلسنى فى الردهة الماخلة فأذا بها
حسنة التسنين بديعة الأثاث ، ضريبة بصور كثيرة ،
وفي دكن من أركانها « بيان » كبير . وطابت السيدة
بعد قليل بحمل صندوق جميل الصنع عليه نقوش
طرقة ، وفتحت أمامى فوجدته يحوى مجموعة متنوعة
من الحلوى اللذيذة الثمالية الثمن ، وقالت لى وهى
تقدمه لى :

— كل ما تشاء منه ، ثم احتفظ به لك

فصنم الأمر على وقت متعلما :

— كلا . هذا كثير !

فوضعت الصندوق على ركبتى وقالت :

— إننا لم تأخذنا سادنى ذلك منك

— ولكن ...

وأخرجت قطعة من الحلوى وقالت لى :

— إفتح فك ! إفتح !

وفتحت فى فرمت بالقطعة فيه ، وأخذت

تغطف الأزهار ؛ ووقفت أمام الباب ساكنا ، أنظر
إليها وأنا مقنون بجمالها ، ذلك الجمال الذى يشر قلبى
بحضوه وصلفه وطيبته . كانت تنقل بين شجيرات
الورد فى فستانها البديع ، وشعرها الأصفر يتموج
حول رأسها ، فيتصل إلى أنى أشاهد ملكا من سكان
السماء .

ولأمر ما ، تلفتت وجهها ناحية الباب فرأنتى .
ولشد ما كانت فرحتها ، فألقت زهرها على الأرض
وهزولت إلى وحي تقول :

— واصف ! قال . ادخل يا حبيبى ، أدخل .

وحسنتى بذراعها وقبلت رأسى . ياقه من ذلك
الشعور التامض اللطيف الذى أحسست به فى تلك
اللحظة !!

وأخذت يدها ودخلت فى الحديقة ، وجمت
ما انتثر من أزهارها ، وقدمت لى وقالت :

— اختر لك منها ما يحلو .

وأخذت تساعدنى فى اختيار أحسنها ، ثم
قلعت لى الصبغة وهى تقول :

— هى لك يا حبيبى

وكان فى الحديقة دكة جلست عليها وأجلسنى
بجانبتها ، وجلت تمدق فى وجهى طويلا وتمسح
رأسى واكتسى وجهها بالحنن ، ورأيتها تمسح عينها
بحركة خفية ثم قالت :

— لماذا لم تلعب بالكرة مع أصحابك فى ثلاثة
الأيام الماضية ؟

فطالطأت رأسى وقلت :

— كنت متوعكا قليلا ... ولكن ، من

أخبرك بأنى لم أظهر فى هذه الثلاثة الأيام ؟

تضحك، فاطلقت أنفك أنا أيضاً، وبعد أن أكلت القطعة قلت لها بلا تردد :

— سأحفظ بالصدوق مثلاً كدرك، ولكنى سأبقيه عندك، وسأخذ منه كل يوم ما أحتاج إليه فظفرت إلى ملياً ثم قالت :

— إنهم سيألوئك بلاريب عن أعطاك إياه .
فأنتى أن أفكر فى ذلك

ثم صمتت برهة وهى تحرق فى وقالت :

— أحب عمك ؟

— أحبه قليلاً ، ويحبى قليلاً !

— والست حيوة ؟ !

— لا أحبها ولا تحبى

ونظرت إليها مدهوشاً وقلت :

— أتمر فىنهما ؟

فقلت فى لهجة طبيعية :

— وهل من السب أن يعرف الجار ما بهمه من جاره ؟ ... تعال

وقت إليها ، فذهبت بى إلى « البيان » وجلست على مقعده ، وأجلستنى على ركبتيها ، واحتضنتنى باحدى يديها ، وأخذت يدها الأخرى تنقر قرقاً خفيفاً على « البيان » فيصدر عنه نغم هادى لطيف ، وأحسست بقهما يمس رأسى ويقبل شمرى ، ثم قالت فى صوت موسيقى هادى :

— كان هناك طفل يئالنى دائماً أن أعزف له هذا التشيد ، وأن أغنيه له . طفل جميل كان يحبى وأحبه ، فجاءه نالمة زائر كرهه ممقوت بليس السواد ، مقنع الوجه بفتاع حالك وانزعز منى ، ثم خرج به إلى الظلام واخضى ...

فسألتها وأنا أحرق أمامى :

— وأين ذهب الزائر بهذا الطفل ؟

فأجابت فى صوت مختلج النبرات :

— ذهب إلى حيث لا يهود الناس ... ذهب إلى آفاق نائية ، سذهب كلنا إليها يوماً ولا نعود ... وتابت كلامها وبدها تنقر على « البيان » هذا النغم الهادى العليل

— سأغنى لك هذا التشيد على بروقك ، كما كان يروق ذلك الطفل الرزى . كنت دائماً أجلسه هذه الجلسة ، فأحوطه بذراعى ، وأمس شمره بضمى ، وأملأ صدرى ببيبر شمره الذهبي ... اسمع . اسمع . وأخذت تنقى الأنشودة فى صوت عذب حنون ، وتنت « البيان » تصاحبها فى تناسق جميل فيتكون من امتزاج الصوت بالزف وحدة كامة حتى ليصعب على السامع أن يفرق بينهما ، فيخيل إليه أن « البيان » هو الذى يغنى ، أو أن السيدة نفسها هى مصدر ذلك النغم ، تمرزه بلا كلام على أوكار قلبها !

أى شمرور هذا الذى كان يثمرنى فى ذلك الوقت ؟ شمرور عذب شملنى بالطمشان هادى لطيف ؛ شمرور أكار بين جوانحي ذكري بحبة لمشاهد مزروعة حرمتها من قديم

وبينا أنا على هذا الحال ، إذ شمريت بالسيدة تلتفت خلفها مرعكة . فالتفتُ — وكانت غبشة الظلام قد أخذت تشيع فى الحجر — فوقمت عيني على شبح بجوار الباب ، يتقدم نحونا . وتبادرت إلى ذهني على الفور حكاية ذلك الزائر للمقوت الذى بليس السواد ، وقنع وجهه بنقاب حالك ، ذلك الذى اقتحم منزل السيدة فى إحدى الليالى وانزعز

— ألا يمكننا أن نتمام ؟ تفضل بالجلوس بضئ
دقائق ، ولا أطالبك أن تطيل

قَالَ عَمِي :

— أفضل الوقوف . تكلمى من فضلك
وأوجزى

غطت السيدة حليمة مستديرة دقيقة الصنع
تشبه الساعة الصغيرة ، وكانت مدلاة على صدرها ،
تصلها بربقتها سلسلة ذهبية ، ثم فتحتها وقدمتها إليه
وهي تقول :

— أنظر في هذه الصورة !

فتناول عَمِي الحليمة ، ونظر فيها ثم قال :

— واصف ! صورة واصف ؟

ودفع بصره إليها مستوحشاً . فقالت وهي ما تزال
تبتسم ابتسامتها الساكنة :

— كلا يا سيدى ، ليس واصفاً . دقق النظر
في الصورة مرة أخرى ، هناك اختلاف سنير لا يصح
أن يشيب عنك ...

— ... إذن ؟

— هذه الصورة لم تفارق صدرى منذ قفده !
لن أنسى ما حيت ليته الأخيرة مى ، تلك اليلة
التي قضاه فى أحضانى ينظر إلى بيتين محموتين
ولا يملك أن يتكلم ؛ ورأيتة يجبو أمى ، يجبو رويداً
رويداً حتى انطلقاً نوره كل انطفاء . لقد مد اللوت
إليه يده الثالثة فأنزعه من صدرى بلا رحمة

وشعرت يدهمى تضطربوهمى بمسكة يدهى ،
ورأيتة يعمل سلمته الفتنة ، ومضت السيدة فى
قولها :

— لقد أصبح قفده جرحاً عميقاً فى فؤادى
تعود على "ثأره بين حين وحين ... كان ينمر قلبى

الطفل الذي تحبه ويحبها من بين أحضانها ، ثم
اختفى فى الظلام ولم يعد ... فصرخت :

— كلا ! لا تأخذنى ... !

... وأثير للكان ورأيت عَمِي يسير نحونا
بقامته المديدة ، وخطواته المتثاقفة ، عبوس الوجه ،
يصوب إلينا نظراته الحادة ، وبسمته يقول :

— ما معنى هذا ... ؟

وانترعى من السيدة ، وأطبق يده على يدي
بشدة وقال لها :

— كيف سوغت لك نفسك أن تستولى على
أبناء الناس ... ؟ أنسيت من أمت ومن نحن ؟

ورأيت السيدة تقف بجوار الباب وتسددها
عليه ، وكانت تبدو عليها سمات التبل والترفع ، وقد
استطاعت فى لحظات قصيرة أن تضبط عواطفها ،
وتسدد الهدوء إلى ملاحظها ؛ ثم قالت له فى صوت
شبه طبيعى :

— كلا يا سيدى ، لم أنس ولن أنسى من أنا
ومن أنتم ... وإننا كانت الأخيار قد ترامت إليك
بكل ما هو غزلى ومزهر فى قصدها . ولكن هناك
شئ واحد أريد أن أوتحه لك فى شأن هذا النلام.
فرون صوت عَمِي تاللاً :

— عجيب أمرك مع هذا النلام !

— خفف من حديثك يا سيدى ؛ فليس أماننا
الآن ما يشير التضب إلى هذا الحد . إن النلام غلامكم
وليس لي فيه أى حق

— حتى ؟ هذا ما كان يتقنعنا !

فابتسمت السيدة ابتسامة هادئة ، وقالت فى
صوت خفيض :

إلى دقاة التتامة ، وألس بغمى شعره الهبي ، ثم
أقبله وأنته ...

وسكنت وقد أخفت وجهها في النديل . وبعد
حين تحمت قاتلة :

— والآن يا سيدي ، ليس عندي ما أقوله
بعد هذا

ووقف عمى يدور بينيه أمله في حيرة
واضطراب ، ولكنه لم يرفع بصره إليها . ظل
كذلك وقتاً وهو يحاول الكلام فلا يستطيع ، ثم
تقدم نحو السيدة وحني هامته أمامها في خشوع
وخرج وحده في خطوات سريعة فمرد تيمور

بهجة وعللاً عمى نوراً ، وكان صوته وهو يضع
باللب يمت في البيت الحياة والإيتاس ... آه ! كم
كنت سعيدة به ... ! كم كنت غفورة به ... !

ورأيت عمى يتحرك ، ليتدل في وقفته ، ولكنه
ظل سامتاً يستمع بإتياه . وكابت السيدة قولها :

— ... وعند ما حضرتُ إلى حلوان ، لقضاء
فصل الشتاء ، ساقط القادير إلى « واصل » فكانما
بُعث ابني من جديد . رأيته يعود إلى بعد طول
اغتراب ، بشكله ودكه ، فأخذه بين ذراعي ، وأضمه
إلى صدري ، وأضع رأسه على موضع قلبي ؛ ليسني

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

٤٠ بلاغة النرب جزمان (مختارات من صفوة
الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني
والإيطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات
في الأدب والتفند والفلسفة والموسيقى
والحيوان وبه روايات تشيلية)
١٨ نباتات الزينة العشبية (على بإحدى وتسعين
صورة فنية)

١٥ Les Plantes (Herbacées) (على بنفس
الصورة الساجدة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة التزود للصرى بميدان إبراهيم باشا

أطباء مؤلفات

محمد تيمور

وهي : الحاج شلبي . الاطلاع
أبو على عامل أرتست . الشيخ عفا الله
الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء
القصة وتطورها

من جميع مكاتب الفطر الشهيرة

كتاب « فرهود الصغير وقصص أخرى »

يظهر في نهاية العام

عينين مظلنتين عميقتين ، كأنها
تغرق حجب النيب ، وتنفذ لي
سراير الحنايا . ولحنت إلى ابنها
تهنئه دمه ، وتهدهد آلامه ،
وترسل له الأملشيد ...
وسكنت الأم فجأة . وقالت :

تري يا شيخ هل يُشفى وليي
ويقوى لى؟ ... فنهنم الشيخ في
سرٍّ وحدّ في الطفل وقال : كلا .
فأكّد وجه الأم ، وظلمات
رأسها تزدف السمع وترسل
زفرات تفيض حسرة وأسى .
وصرّ بخاطرها ما تلافيه من ممّ
ملح وضئى لا يشفق . فهاجى
ذى منذ ثلاث لا تعرف عينها
سجّو النام ولا طعم الهناء ...
ثم التفتت إلى وليدها ، فإنّا
بالوليد قد اختفى ، وإذا بالشيخ
قد ناب ... وإذا بساحة الرعدة
تقلب إلى الأرض متحطمة
متكسرة ، فيسمع لها أنين محزن
كأنّ مناه أن النجم قد خفق^(١)

قصّة تامل
للقصصى الدائم تركى أنيس من
بقلم الأديب صلاح الدين المنجد

تعريف بالقصة

أنيس من قصصى وشاعر دافكرى
كثير . اشتهر بأقاصيصه التي
تضجّر منها الحياة ، وتقرأ لك منها
صور الألم والشقاء ... بأسلوب حلو
منجذب ، يعنى كما تعنى الروس لية
الزفاف
وهو قد أكثر قصصه بحال ك
المواظف البصرة تحليلاً دقيقاً يهرك
ويجيك . وما يزال يفيض عليها من
خياله الحبيب ، وسائيه الشعرية ،
سرعاً وجالا ، حق لتصب أنك
ين يدى شاعر جبار ، وألمك قرأ
شعراً لا تقرأ . وقد تفتن في هذا
النوع من القصص التي تهازج فيه
الأسطورة الواقع والحقيقة الخيال
ومن روائم قصصه : فنراء
الجبال - ورقة من السماء - ابنة
لللك . وغيرها ...
(للمنجد)

جلست الأم بقرب وليدها
واجفة القلب ، واكفة السمع ؛
ينهلها الحزن عليه من شر اللوت
وقد استمعى دائره ، وغمض
دواؤه . تنظر إليه وقد غشيت
عياه الوديع سفرة كعنية ،
واكتسلت عيناه بزقة قاتمة .
وترى إلى صدره يهبط يده ،
ويملو بصموة ، وهو مستلق على
ظهره ، ما يحرك إلا ليرسل
زفرة موجة ، أو أمة عرفة ،
من حين إلى حين

وطرق الباب ، فإنّا شيخ
قد تَسَمَّسَ^(١) وهم ؟ هو
شبح أو يشبه الشبح ، ما عليه

إلا جلد فوق عظم ، وما فيه إلا روح تتردد بينهما ،
ملتصفاً برداء يتقى به رعدة البرد ، فوجبت الأم به ،
وقادته إلى اللوقد ليطرد عنه الشتاء ، ويطلعى بجرعات
من الجبة يُشيع في جسمه البهاء بها .
ثم تركته يرسل في الأرض نظرات ساعمة ، من

وأن الليل قد مات !

ونظرت الأم في الترفة ، فماد بصرها مذعوراً
شاكياً . قففت إلى الباب قلقة الجنان ، مستطيرة
التنهي ، صارخة ياويلناه ! لقد اختفى الوليد ، وقلبي
قد قضى ... ! وكان الشتاء قد كلب^(٢) ، فهبت

(١) يقال خلق النجم : أى ناب

(٢) يقال سلب الزمان أو الشتاء إذا اشتد

(١) تسع : بلغ من الكبر عتياً

وجدت طريقين لم تدرك أيهما سلك اللوت. فلكتها الحيرة، وجاءت إلى شجيرة ودعارة، فمافها سوى أشواك غليظة، وعيدان بحيفة، وقالت لها: « أيها الوردة! ... هل تعرفين السبيل إلى مقر اللوت ... ؟ »

قالت الوردة: نعم! إنني لأعرف السبيل إلى مقره. ولكن ... لن أدلك عليه حتى تضميني قليلاً إلى تحرك ... وتضجيني هناك بين نهديك، فأدفاً قليلاً، وتدب في الحياة. لقد صوّح الصقيع فصرى، وجردنى الريح من أوراقى، فهل تهلين؟ وفي صمت عميق تقدمت الأم من الشجرة، وأدنت الأعصان من صدرها. هذا فوق الهند، وذاك فوق الحلة، وكالت بينهما ... وراحت تضغط برقى وعلى مل ... فينفذ الشوك في الثدي وتدفق الدم غزيراً وينهمر الدمع سيباً ... وتحس الأعصان حرارة قلب ملتحق ... فيجرى الدم في العروق، وتفتح البراعم عن أوراق خضراء وورود حمراء، بين الثلج التناثر والمهواء النواح

قالت الوردة أكثد: هاهى ذى طريقك يا حسناء، اسلكها فملك تجدين اللوت! ... ومضت الأم تمثّل في خاطرها صورة ابنها، فترتد من فراقه، وتهذي لبعده ثم توفض في مشيتها وتسرع كمن أسابه مس ... حتى وقفت أمام بحيرة كبيرة، ما ترى على سطحها المضطربة قارباً وما تجد زورقاً. فقالت في نجواها: لم لا أشرب هذا الماء وأشغفه، فأنا نضب مبعط إلى صغرها، ومشينا حتى أسل إلى الضفة الأخرى.

وانحنت لتشرب، صمغتهت البحيرة، وراحت تقول:

رويداً ... رويداً يا حسناء ... إنك لن تستطيعي شرب ماءى ... كوني صديقتى ... وهى لى هاتين

تلوحه، واستد جليده، والريح قد كارت فهي ما تنفك ترسل الزئير وتردد الأنين، وما نعى تلطم الخلود وتصفن الوجوه ... وانضمت الأم في طريقها لاتباه لرح ولا تحشى شتاء. فلكت امرأة قد ارتدت سلاباً^(١) فضفاضا، فسألتها عن شيخ يحمل طفلاً صغيراً. فقالت المرأة: نعم! إنى رأيت الشيخ ... ذلك هو اللوت ... رأيته يخرج من تلك الدار ومعه طفل صغير ... إنه يجرى كالغواء ... إننى أنا ... - اللوت ... ؟ لكن ... أين ذهب ؟. تكلمى بريك ... عجلى ... تكلمى ...

- إنى أنا الليل ... أعرف الطريق التى تؤدى إلى مأوى اللوت ... ولكن تعالى قبل أن أدلك عليها، وأسميني أنا فى الأمومة الميناب، وألشدما المواهر ... إنها سدى لرجيب قلبك، ووفرة مواطنك ... لشد ما كان قلبي ينشئ لدى سماعها ويطرب ... لقد أصدت إليك وأمت تنافين وليدك، ونظرت إليك ترسلين مدامك، وقد نشرت على الكون السلاب هذا ... تعالى إلى وغنى لى ... يا حبيبة ... !

- أواه! أواه! سأفنيهن لك كلهن ... نعم كلهن ... ولكن بعد حين ... بعد أن أتى طفلى الصغير ...

وصمت الليل ... وبكت الأم ... وراحت تننى من قلب مضجوع. لقد غشت كثيراً حتى مل الليل النقاء، ولكنها بكّت أيضاً وما ملت البكاء، تحت الثلج التناثر كأزاهير من ياقين يمشير جيل .. قال الليل: انهى ... وانحنى هذه الطريق، حتى تصل إلى غابة السنوبر فملك تجدين اللوت ... وانطلقت الأم مسرعة تنهب الأرض، تلفها ربح صرصر مائية، حتى إننا كانت فى غابة السنوبر

(١) السلاب: ثياب الحزن أو السواد

هى رمز لحياه وأعماله ، وهى تموت إذ يموت ...
إنما رأيتها حبستها زهرة كالأزهار ، وإنما لمستها
نشعرت بوجيب قلب ... تعالى ، ثم السى هذه
الأزهار ، عليك تعرفين وجيب قلب طفلك ...
ولكن ما الذى تمنينيه يا حسناء ؟ ...

— ليس لى شئ .. ولكن سأحضر لك
كل شئ ..

— مالى حاجة لكثير سوى شمر ك الأسود
الجليل .. أنا بدلتنى بشمرى الأبيض شمر ك الأسود
الأنثى ؟ ...

— نعم .. خذى .. خذى ماتشائين .. ولكن
عجل برك !

وأخذت المجوز تلك الشمر ، وأعطتها شمرها
الأبيض ، نذير الشؤم والفتاء .. ثم قادتها إلى الحديقة
الكبرى وراحت تقول :

— هنا بنبت الورد إلى جانب الشوك .. وهناك
النسر ين إلى جانب الموضع .. وتلك أزهار كالهاضفة
وحياة ... وهذه أزهار أسابها المزال وأوى
عنفها القبول ، وأحاطت بها أعشاب وحشية سوداء ..
وهناك .. قامت أشجار من نخيل وأعنان ، إلى
جانب المسمر والزعرور والأفاح .. إنها تمثل حياة
الخلائق من الصين إلى غرولاند .. وهذه الـ ..

وبينا كانت الشبخة تقص على الأم نبأ هذه
الأزهار ، وتلك الأشجار ، كانت الأم غارقة فى عالم
بميد .. بميد جداً .. لقد كانت تمسح إلى خفق
القلوب ... وبخاءة .. ارتجفت يداها .. وخفق
فؤادها وقالت بمسرة ولهفة :

— إنه قلبه .. يا الله ! ماذا أنت خالصة أيتها الزهرة ؟
حدثيني بالله ..

— لا تلمسها الآن .. ولكن تضرعى للموت
عند ما يأتى ، وأذرق الدمع أمامه . هذبه بقطف

السين الجليلين ... إننى أشتغى لؤلؤتين نيماتين
أحلى بهما صدرى . إن عينيك لاسحرتن ... وإن
لها وميضاً مفرقاً جذاباً . أذرق الدمع سخياً أمامى
حتى تسقط عيونك فى فامى ... فأحلك آتند إلى
حيث يكون الموت

— آه ! كلان أعطيك ماتطلين ... أيتها
البحيرة ... بل سأبقيهما لأرى ولدى ...

— إذن هذا فراق ما بينى وبينك ... اشربى
مأى ، وافلى ماتشائين

— كلا ... كلا ... تعالى أيتها البحيرة ،
تعالى فسأعطيك ما تريد ... !

وراحت الأم تبتكى ... حتى سقطت عينها
وتدحرجت إلى قاع البحيرة العميق ... وأقبلتا
لؤلؤتين مارأت للكنات مثلها أبداً ...

وفى طرفة عين حملها البحيرة على ظهر موجة
واحدة ... إلى الشاطئ البعيد



— لقد قالت لى البحيرة : إن مقر الموت هنا ،
ولكن كيف لى رؤية الموت وقد أصبحت عمياء ؟
قالت مجوز شطاء سمعت ما قوله الأم :

— مالك وللموت ؟ ... ومن ذلك على الطريق ؟
ثم مانا تريدن ؟ ...

— إنه ربي ... نادى وأعاننى ... إنه رؤوف
رحيم ... أشفق على أنت أيضاً يا أماء ... وقوديني
إلى حيث يكون الموت لأرى طفلى الصنير ... !
— أنا ما عرفت طفلك أبداً ... وكيف تريدن
رؤيته وأنت عمياء ... هنا حديقة الأحيال ، لقد ذهب
الموت ؟ اليوم ، ليقبض من جاء أجله . فإذا عاد
قطف زهراتهم ...

— زهراتهم ؟
— نعم يا بنتى ، إن لكل مخلوق زهرة هائنا ،

— . . . ١

— خذ.. خذ.. أليس ناهبا إلى الجنان .. !

غفرا لك اللهم ! تلك مشيتك !

وأعني الموت وتلف تلك الزهرة وانطلق بها

إلى العالم المجهول (١) . . .

أما الأم .. فلها الله ! لقد سقطت على الأرض

لا ترعز ولا تمى ، وقد علق بصرها بتلك الزهرة

الدابة إلى السماء . . . !

دمشق « صديق الدببة المهدى »

(١) تنتهى هذه الأقصوصة حتى ينسج النسخ بنجيبة أخرى سارة : تلك إن الموت عند ما يرى ما لاته الأم من عذاب وآلام ، يدعو ربه ، فيشتغل الله على تلك الأم ويرب لها عمرا جديدا ، فترجع الأم مع طفلها إلى الحار وميشان عيشة كلها سعادة وهناء . . .

رحلة المحيط الهندى

فى سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الإنسانية فى سنى مظاهرها نظامك من صناعات

سندباد عصى

بقلم

حسين فوزي

١٢ قرشا أطلبه اليوم من للكاتب ١٢ قرشا

الأزاهر إن اقتطف زهرة وليدك ، وادعى وبك
يا صبية ، فشيته فوق كل شيء ..

وهبت عاصفة هوجاء ، أوصلت الموت إلى حديثه ؛
فصحب إذ رأى الأم وقال :

— كيف أنيت إلى ؟ .. أوصلت قبل أن أسأل ؟
ماللى قلته .. !

— أريد ولدى يا موت .. أضرع إليك ..
إعطف على .. رحمة بي !

— هيات ! هيات ! .. أنا لأملك من دون
الله خيرا ولا نفعا .. أنا أتمد حلقته بالساية .. فأنا

جاء أجل أولئك الناس مضيت لأقلهم من ظلمهم
هذا .. إلى عالم آخر .. مجهول ..

— ناشدتك الله يا موت إلا رحمت . والاحزن
النام والشقاء المقيم . . . !

وراحت الأم ترسل الصرخة شاكية ضارعة ،
والتوسلات الحزينة البكية ، وللموت صامت
لا يجيب .

— هلا يا موت لا تقطف زهرة . . . وإلا
قطفت هذه الزهرات . . .

— وبحك إنها زهرات لأطفال !
— أطفال ؟ كلا .. كلا .. أنا لأريد أن أفتح

أحدا .. !

— ما الحياة .. إنها صور حلوة فيها السعادة
والهناء .. تنقها أخرى كلها تأساة وشقاء . دعيه

دعيه . . .

— لكن أتمم يا موت ما قدر على ابني ؟ هل
يبنى كثيرا من الآلام .. إنك لا تجيب .. آه !

هل يعيش مطمئنا فى السموات ؟ .. أه ؟ ألا يجيب
يا موت ؟ .. كلا .. لن أدعك تأخذ . أيها الجبار !

لكن .. حنانك .. ارحم هذه الأم ..

الطعام وتساوم الباعة وتماكس التجار
حتى تنزل بهم إلى أبهى الأنمان
ثم حدث فجأة ما غير هذه الحياة
السيدة الهاتئة وقتها جحيا لا يطلق
وليك كيف كان ذلك :

نجحت « لانا » نجاسا كبيرا في
إلقاء مقطوعة جانوي الأخيرة . وذهبت
يوما إلى منزله لتبدي بعض ملاحظات فنية على
الأنشودة الجديدة قبل أن تنتهي ، وجانوي موسيقي
بارع له دراية تامة وإلمام واسع بما تقتضيه هذه
الأغاني من فن في التلحين والنغم . . . وفتحت لها
كوليت الباب وقد انظمت لتوها من عمل الآينة
وتنظيف المصحن ولما نزلت للشفة في يدها فقات
« لانا » عند رؤيتها

— ألعلى السيد قنوي
ثم تركت من يدها ذيل فستانها المذهبان الطويل
فأعلنت كوليت مقدمها « السيد » ثم طوت أدراجها
إلى المطبخ

وبينا كانت « لانا » تمرض على جانوي جمالها
وتنفث فيه سحرها وتمدد إلى قلبه سهام لخطها
التكسر القاتر إذ فتحت مسارب عيون الساء عن
مطر كالسيل الجارف أمد إلى الأذهان مطر الشهور
الماضي الذي كان له أكبر الأثر في إتلاف القببات
وفتح الورد والأزهار . فقات « لانا » وقد
رأت للمطر المhton والسحاب الثقيل :

— يا لسوء الحظ ! لقد اكفهر الجو بئسة ،
أرجو — إذا سمحت — أن تأمر خادمك فتبث
لي عن مركبة .

الآن كان يجب على جانوي أن يدعو شجاعا
فيقول مثلا « أهو » أرجو للمنة ! ليس عندي
خدم . إنها زوجي » ولكنه كان جيانا إذ أجاب :
— أجل ... أجل بكل برور

لقد أحضرت المركبة !

للأطب الفرنسي نيرودى باقيل
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

كان « جانوي » موسيقيا فقيرا مغمورا .
وكانت مؤلفاته وألحانه لا تجد سوقها الراجية
إلا في الملاعب الشعبية والمسارح الضيقة ، ولكنه
كان مع ذلك يتم بيئة راضية وحياة هائلة
مع زوج عجة مخلصه يث في الأمل ويتمث فيه
الطموح وتصوره المستقبل نيرا خلايا ، فضلا
عن تديرها البيت وحسن قيامها على شؤونه حتى
جعلته على قدره فنيا من الموسرين ، وعلى غوله وكأيا من
الطامعين . . . وكان ينظر إلى زوجه نظره إلى النعمة
الواحدة التي وهبها له الأقدية ، وأحسها له الأقدار
وكانت « كوليت » — وهذا اسمها —
شابة جميلة ريانة فتاة تحب زوجها وتثق به
وتستند في نبوغه وعبقريته ، لذلك وهبته قلبها
وروحها . والمرأة إذا منحت قلبها رجلا أزلته من
نفسها منزلة الروح ، وألحته من روحها حل النفس
فأخذت تنهي له أسباب الراحة والراحة فتجوز له
من الطعام أحب الألوان إليه ، وتتوفر على ترتيب
الأثاث وتنسيقه في محال وأوضاع تدل على حسن
الدوق وسلامته ، حتى إذا ما انتهت من شؤون
البيت جلست إلى « البيانو » وأمرت أنملها
البضة اللطيفة على أستاذة العاجية طرفة ألمانها
مرعدة أنشيد ، وتبدي فيها وتسد وهي يفته
ونبوغه جد سيدة مسجبة ، وكانت تنحى إلى
السوق كل صباح لتبتاع ضروريات البيت ولتوازم

وتبدلت مقطوعات «واجنز» بمؤلفات زوجها وأغانيه وراحت يداها للضطربتان مجريان على البيانو فتأتى بأشتر النغم، وترفع عقيرتها بالنفث فتخرج أنكر الأصوات فلما قاض بجاوق وعجل سيره صرخ فيها قائلاً — إن هذه اللوسيتي تجلب للصداع ... فأجابته كوكليت فوراً:

لقد أحضرت للركبة ١. وكانت هذه العبارة هي الرد على كل ما يواجهه إليها من حديث — كوكليت، إن الحساء بارد! — لقد أحضرت للركبة — لقد قطعت أزرار قميصي — لقد أحضرت للركبة — أراك لا تقبليني الآن . لقد اضطوى جك لي وزال — كلا يا عزيزي، ولكنني أحضرت للركبة محمد عبد الفتاح محمد

ثم ذهب وهو يسيث بإبهاميه إلى غرفة اللاندة — التي جعل منها أيضاً صالة لوسيتاه — حيث كانت كوكليت منهمكة في غسل الخضر وتجهيز الطعام كأحسن ما تكون زوجة وأروع ما تكون ربة بيت . قال الرجل

— إن الآنسة «لانا» تخشى على فستانها وحذاءها الساتانين^(١) من التلف في هذا الطر التزير ولذا أرجو أن تذهبي ...

فأتمت كوكليت عبارة وهي تسدد إليه نظرة هائلة ود على أرضها لو تنشق الأرض وتبتلمه — فأحضر لها مركبة ... حسن! طيب نفساً فسأبحث لها عما تريد

وخلت كوكليت بمد لحظات حذاءها للبلبل

وأخذت تنظر إلى النقد النحاسي الذي نفجتها به «لانا» نظير البحث عن مركبة ومنذ تلك اللحظة تبدل الحال غير الحال، إذ أن كوكليت التي كانت تقوم بكل أعباء البيت وخدمته قائمة راضية، غلصة وفيه، أنصت لا تقادر فرائشها قبل الحادية عشرة كل صباح إذ تقول وهي تمطى وتتناب «أوه! ألم يطلع الصبح بمد ١٢! وأصبح البيت النظم النسق التنظيف أشبه الأعياء بمدينة إيطالية وقمت غنيمته باردة في أيدي القنوط. فقصفت المناكب خطوطها القنطرة على الحوايط والصحن ، وعشت الحشرات الطفيلية في الساعة الكبيرة. وأملت الملابس والجوارب . فلذا أقطع زرد فلا يمد إلى مكاه، وإذا غمز جوب فلا يرتق بل يترك وشأه»

(١) الساتانين . نساء قانس «الساتن»

النموذج

تأليف
محمد عبد الجبار

يحدث فيهم الزعيم برزادة الزراعة
خروج زينة إلهية إلى عملياً وقدرته القوية
يحذف فيه الآباء، والأحفاد وسأل تكون الأضلاق وتقومها
وطرق التربية الوطنية الاستقلالية والأخلاق والإرادة
ويحدث فيه الأدياء الصراع بين القديم والحديث (مترجمة)
وفلسفة الضحك ومثيرات الضحك والانفعالات النفسية
ودراسات أدبية خاصة بالمستثنى وزنا من زينو
ويحدث فيه النسوة فن الأمانة
يجب على كل من يريد تربية أولاده تربية صحيحة أن يقرأ هذا النموذج
بمنه من وعشرون فرساً صاغاً على ذرة أبيض
وأربعون فرساً صاغاً على ذرة كوشية

ينبغي على كل من يريد تربية أولاده تربية صحيحة أن يقرأ هذا النموذج

الوالد

للقصص الفرنسي موباسان
بقلم الأستاذ علي الطنطاوي

وازدحت العربة يوماً بالركاب ولم تجد
الفتاة مكاناً خالياً ، فنزل لها عن مكانه
وظل واقفاً ، فجزة على معروفه بإتسامة
قصيرة ملاء وميضها نفسه نورا ، ولم يبد
يظهر عليها الضيق من تأمله فيها ، وإن
كانت لا تزال تنفض بصرها حياء ،

وانتهى الأمر بهما إلى الحديث ، وكان حديثاً قدأ
كأنه قطع الروض يستمر نصف ساعة كل يوم ،
كانت أشهى إليه من أيام العمر كلها وما فيها من
البؤس ومتع . وكان يفكر فيها أبداً وهو جالس إلى
مكتبه في ساحة العمل الطويلة للملة ، ويستعيد
ذكرها في نفسه ، ويرى طيفها ماثلاً أمامه يؤنس
في وحدته

لقد كانت سعادة وأمله ومثله الأعلى الذي يسمو
عن حقائق الحياة وعن زخاماتها !

وتأكدت بينهما اللفة فأصبحا يجتمعان
ويشترقان على مصافحة باليد لا يفتأ يحسن إلى النساء
بأثرها في يده ، كأنما لمسها الكهرياء لولا أن
أصابها النضة اللينة تحمل إلى جسده هزة أقوى
من هزة الكهرياء ، يعيد لها جسمه كله ، ويشمر
أنها تركت على كفه أثرأ يتحصنه النهار كله ، وينتظر
بصبر فارغ صبيحة التند ليلقاها في العربة (السيدة)
ويرى أيام الأحد — على رغم أنها أيام راحة ودعة —
مضجرة محزنة لأنه لا يصبرها فيها

ولقد كانت تحبه هي ، ولم يبد يشك في ذلك بعد
أن قبلت دعوة إليها للتداع في (لافت) يوم أحد
جبل من أيام الربيع

وكان ذلك الأحد ، وجاء إلى محطة (الأومنيوس)

كان موظفاً في وزارة المعارف ينهب إليها كل
صباح في عربة (الأومنيوس) من داره في
(الباتينول) إلى مكتبه في قلب باريس ، وكانت عاملة
في مخزن تذهب إليه في تلك الساعة نفسها ؛ وكانت
سمراء حلوة السمرة ، شابة غضة الشباب ، ذات
عينين سوداوين ساحرتين ، وكانت تروى كل صباح
في زاوية من الشارع لا تحيد عنها ، واقفة تنتظر
العربة ، فإذا رأتها عدت إليها بخفة ورشاقة ،
فأدركتها وقفزت إليها قبل أن يقف السائق خيولها
البطيئة . ثم دخلت فأجلت عندها فيما حولها ،
وجلست في مكانها الذي لا تتغيره قبالة صاحبنا
(فرانسوا تاسه) الذي أحس منذ المرة الأولى التي
رأها فيها بأعجاب بها لا حد له ؛ وودكا يود اللز
أحياناً لو يطوقها بذراعيه ، ويضمها إلى صدره وإن
لم يكن له بها معرفة ، بل لقد شعر أنها فتاة أحلامه
التي أعد لها في قلبه أسى عواطف الحب وأعتمها
ولبت ينتظرها طويلاً ، وإن فيها للثل الأعلى للمرأة
التي هام بها خياله الشاب ، واستهوت فراح يتأملها
على الرغم منه ، فإذا تعافيت من نظراته وأحرمت
خيلاً ، حاول أن يصرف بصره عنها ، ولكنه
لا يستطيع فظل عذفاً فيها ؛ ولم يكلمها قط ، ولكن
فسيهما قد أطلتا من أعينهما ، فالتفتا وتعارفتا منذ
التقت نظراتهما

النهر الفياض والمخائل الفاتحة ، خضر النفس نشوة
وسكراً فشمرا كأن قسميها قد سبحتا في بحر
السعادة الذي يزخر في سماء الأحلام بعيداً عن الدنيا
وشروها كما تسبح أسراب السمك التي وقفا
ينظران إليها حليين مأخوذتين

واذهبت أخيراً ، وانتهى على صوتها وهي تقول له :

— لقد كنت حياء !

— ولم يلقه ؟

— لأنني محبتك .. أما تراها حماقة أن تصحب

فتاة رجلاً لا تعرفه في زمة خلوية

— أبداً بالمعكس . هذا أمر عاوى ^(١)

— كلا كلا . ليس هذا بالمادى ، بالنسبة لي
أما على الأقل ، أنا التي لا تريد أن تزل بها القدم ،
بمثل هذا تزل الأقدام ، ويسقط الناس في هوة
الرزقة ... ولكنها حياة جافة تلك التي أحيانا حياة
متشابهة لا أثر فيها للجنة . تمر الأيام ، وتغشى
الشمس وهي هي : غداً إلى العمل ورواحته . وليس
لدى إلا ألى السكتية الحزينة التي أعمل لأدخل على
قلبي للنظم خيطاً من ضوء السرور ، ولكن على كل
حال ... لقد أخطأت بالخيء ملك

وكان جوابه على كلامها أن عاقها بشوق
فأقلت منه كالنظي النافر ، وصاحت به منيطة :

— أوه مسيو فرانسوا . اهد ما أقسمت لي ؟

وقلت راجعة نحو (لافيت)

وتندبا هناك في مطعم جميل متربع في حوض
النهر وقد جعلها الهواء الطلق والهدوء والحر التي
تسايطها فتوردت منها وجنتها ، جعلها صامتة
فياسة مدعوها بشق المواقف المحبوسة ... التي

(١) أمر عاوى !

بكورة لينظرها فأخاى فيها تنتظره ... خدش من
بكورها ، وم بالتحدث إليها ، ولكنها قالت له :
— قبل أن تخطو خطوة واحدة ... أريد أن
أقول لك شيئاً ، فهل تسمعه ؟

واهتم جسمها وهي مستندة إلى ذراعه وشجب
وجهها فأطرقت بنظرها إلى الأرض وقالت :

— لا أريد أن أخدعك من نفسي . إنى فتاة

شريرة . ولن أصبحك حتى تقسم لي أنك لن ...

أنت لا تقبل ... إلا ما هو ... أعنى ما ليس ... لا تقا

وأكلت كلماتها بيميد ظاهر . وعاد وجهها

كلودة الجراء ... وسكنت ولم يدبر هو بخاذل يمين ،

وشعر بالنية والسرور يلتقيان في نفسه ، وترامت

له أحلامه في اللبلة المنصرمة — أحلامه التي ألهت

النار في عروقه وملأت رأسه بالخواطر الجنسية التي

تفيض بها رؤوس الرجال ... فلم يقل شيئاً

فصادت تقول بصوت مضطرب وفي مينيها صمة

تترقق !

— إننا كنت لاصندى بإحترام ... عفاي ، فاني

عاشة إلى البيت لا حالة !

فلوحتها بذراعه في رفق وحنان ، وقال لها :

— أملكك ألا أضل إلا ما تريدن

فأشرك وجهها سروراً وقالت :

— أحنى ما تقول ؟

— نعم . وإنى أقسم عليه

— إذن فلتركب !

ولم يتكلم في الطريق أبداً . لأن المرة كانت

مزدحمة . فلما بلنا (لافيت) توجهنا نحو (السين)

وكان النسج يهب عليلاً يمشي الارتخاء في الجسم وفي

الروح ، وكانت الشمس ساطعة ترسل أشعتها إلى

ورن من بيد ناقوس كنيسة
فأصابها ذبول فأن وتناثرا وطوقها بذراع
بقوة وارتميا على الأرض غارقين في قبلة طويلة على
غير مشور منها - وكانت عيناها منفتحتين وذرعاها
ملقوختين حوله ، وقد تحدر جسمها كله وارتمى ،
وعيل صبرها فأسلته تسبها ... وهي لا تدري
ماذا تصنع !

أفاقت الفتاة أخيراً ، ضالها ما صنعت ، فطلعت
وجسها بكفها وشرعت تبكي وتئن أيتها كوكبا ، فحاول
أن يفرها ويهون الأمر عليها فلم تستمع إليه ونهضت
ولاسها يدور في فمها لا يهدأ ، تهمس همسا متواسلا :

— يا إلهي ! يا إلهي !

ضاد يقول لها :

— لوزا ، تريي قليلا ، أرجوك يا لوزا
ولكنها أبت عليه ، وانصرف عنه دون أن
تلق عليه نحية الوداع - وكانت عيناها شاخصتين
ووجنتها حراوين كالجرة للتوقدة

ولقيا في المرة غداة الند ، وكانت شاحبة
اللون ، غائرة العينين ، فهمست في أذنه :

— انزل ، إن لمي ما أقوله لك

فزل وسارا على رصيف الشارع حتى إذا انفردا
بنفسهما قالت له فجأة :

— اسمع ! يجب أن تفرق ، لم أعد أريد أن أراك

فسألا بصوت خافت :

— ولكن ... لماذا ؟

— لأنني لا أريد ... لا أقدر ... لقد كنت

مجرمة

فآله جوابها ، وتبعت في نفسه خواطر الأثرة

(٢)

انفجرت بيد تناول القهوة فاستحالت قوة وفرحا
واندفاعا هائلا يمتازان (السين) ويسيران بأزاء
الشاطئ إلى قرية (لا فريت)

وسألا فجأة :

— ما اسمك ؟

فأجابت :

— لوزيتا

فردد اسمها بصوت خافت ولم يقل شيئا

كان ذلك الصف الطويل من الدور البيض
القائمة على الشاطئ يبدو كأنه غارق في النهر . طاله
سافله ، وكان على الشاطئ كثير من زهر الأفي
فراحت تطفله وتمنع منه بقة ، أما هو فراح يني
بمل صوته نشوان من الطرب كظلمكان وقع على الماء
المنقب ، وظهر إلى يسارها كرم جميل على أكمة
صغيرة تنحدر إلى الشاطئ ، فتأمل مشدوها وصاح بها :

— انظري

ثم بدت لها أرض واسعة تحف بالنهر من
جانبيه مكسوة بزهر (البليك) الجليل كأنها هي
طنفسه ثينة صنمها يد الله تمتد إلى حدود القرية
الجامعة هناك على ميلين منها أو ثلاثة - ظلمت
شاخصة زاهلة وهمت :

— ياله من منظر فأن !

وسميا إلى هذه الأرض التي تفيض على بارز
من هذه الأزارار الجلية فيسابق الناس إلى اقتنائها ،
ويسرع البائسون من أصحاب الريلت إلى عرضها ،
واجتازا عجة ضيقة إلى بقعة صغيرة خالية فجلسا
فيها ، وكانت قبائل من الفرائش والبلب تلحن فروعها
طنينا مستحيا ، والشمس مشرقة تملأ المكان بأشعتها
الناعشة كما غلوه الأزاهر بأريجها للمطر

ولا روعة الانتظار . حياة موزلف يفتق كل صباح في الساعة التي اعتاد أن يفتق فيها ؛ ويسلك كل يوم الطرق التي سلكها بالأمس ويسلكها في الغد ويدخل للكتب ذاته ، ويسمل الأعمال نفسها ... حياة حالكه جافة ، وعزلة كاملة . يكون في مكتبه بين أقرانه نهاراً ولكنه منفرد بنفسه عنهم ويأوى في الليل إلى داره وليس له فيها قرن ... وقد أعانتته عزلته على توفير المال فكان يدخر من كل مرتب مائة فرنك لهرمه

وكانت مسلاة الوحيدة أن يخرج في الأحاد فيجول في (الشاتلزيه) يشاهد مباهج الدنيا ، ويرى الفتيات الجميلات وهن يجزن به أسراباً ، ويصود في الغد إلى عمله فلا يذكر من أسبه شيئاً أو يذكره بكلمة يهمسها في أذن جاره :

— لقد كانت أسيقتنا أس سبية

وكان مرة يجول على طاعة في صباح أحد صافق فقاده رجلاه إلى حديقة (مونسو) حيث يجلس الأمهات والمرضعات ويدعن أولادهن يسرحون ويمرحون على الخسائل ، ولكنه لم يكذب يخطو إلا خطوات حتى اعتره رعدة . لقد لبع امرأة تجر يده صلياً في العاشرة من سنيه وإليده الأخرى بنتاً في الرابعة

وكانت هي بينها

وازداد اضطرابه فارتدى على كرسي قريب منه وانتهت في نفسه — فجأة — ذكراته الماضية وهاجت في صدره عواطفه الحبيسة فجعل يرقب هذه المرأة وهي جالسة وإلى جانبها الصبي هادئاً ساكناً في حين أن البنت لا تفتأ تطلب وتلهو ورضع الصبي رأسه تحفق قلب (ماسه) خفقاناً

الجنسية فتصور هذه الفتاة الجميلة بين يديه يستمتع بها في ليالي الحب الوداعة المنيشة ، وأحس بالرغبة الملحة في الاستحواذ عليها ، فأبته هذه الأفكار وكاد رأسه يتفجر من شغلها — وعلم أنه لا يستطيع البقاء خلواً من (لوزيا) فعمد إلى استئطافها والتضرع إليها :

— ... أرجوك يا لوزيا

— كلا . لا أقدر ، دعني

— إتنا سنزوج ، هل تقبلين بي زوجاً

— كلا

وذهبت مسرعة

وصرت ثمانية أيام لم يرها فيها ، ولم يكن يرف لها مستقراً ، فحسب أن لا مطع له في رؤيتها مرة ثانية ، وتأساها ... فلما كان اليوم التاسع سمع قرعاً على بابه فذهب ينظر ، فإذا هي ترتعي بين ذراعيه وتبيحه نفسها وتصبح خليلته !

واستمر ذلك ثلاثة أشهر ، ثم أحس بالجنين الذي تحمله في أحشائها فتبرم بها واجتواها ، وحاول أن يجد إلى الخلاص منها وسيلة — ولكن الوسائل أعجزته ، فاختفى

وكانت للضربة على الفتاة قاسية فلم تقتنى عن هذا الذي أغواها ثم غلغ عنها ، بل طردت إلى أمها فوثقت على قدميها ، تشرح لها حالها ، وتسالها رحتها وحنانها

ويبد شعور أخرى ... وضمت غلاماً

كرت الأعوام وحياة (فرانسوا ماسه) تكرر معها على نخط واحد ، ليس فيها لذة الأمل ،

مسرعة تجرهما وراهما جراً
أما هو فقد رجع إلى منزله يكي ، واعتقدها
منذ ذلك اليوم فلم يدرى ما بها في الحديقة ولا في
غيرها ، ولكنه لم ينسها أبداً ، ولبت يفكر فيها
داعماً ويكتب إليها حتى بلغ ما بث به إليها عشرين
رسالة ولم يجب ، فزمز على أن يخطو الخطوة الأخيرة ،
فأخذ ورقة وكتب إلى زوجها :

سيدي

قد يكون اسمي مبثبث إزواج لكم ، ولكني
بأنسي حيلته الأكام ، وليس لي في غيركم مامل .
فارجوا أن تسمحوا لي بمقابلتكم عشرين دقائق وتفضلوا
بقبول ...
فجاء الرد صبيحة الغد :

سيدي :

أنتظرك يوم الثلاثاء الساعة الخامسة

وكان ذلك اليوم فارتى الدرج إلى منزلها وقلبه
يخفق في صدره خفقاناً شديداً ، وقد ضاقت أنفاسه
وأحس من نفسه بالإعياء فأمسك بالجدار كيلا
يسقط ، ومشى ببطء ومشقة حتى بلغ الطابق الثالث
فخفق الباب ولبت ينتظر

— هل السيد (فلان) هنا ؟

— نعم . ففضل يا سيدي

وأدخلته الخادم إلى جهو كبير فوقف في وسطه
مأخوذاً كالذي ينتظر أن تحمل به مصيبة

وفتح الباب ودخل منه رجل وقور مهيب
بمطب أسود فأشار (لتاسه) أن يجلس وارتقب
ما يأتي به

شديداً ، وأجن أنه ابنه ، ولكن ماذا يصنع ؟
هل يتعرف إليها ويذكرها بنفسه ، إنها ستعرفه
لأنه لم يتغير إلا قليلاً عما كان عليه منذ عشر
سنوات . غير أنه لبت جائعاً في مكانه وراء الشجرة
ينتظرها حتى تذهب ، ليتبعها

صبت على (فرانسوا) ليلة لم ينمض له فيها
جنين ولم يكف لحظة عن التفكير في هذا التلام
الجميل ... كان يعلم أنه ولده يعود أن يصل إليه
ولكنه لا يدرى من أين السيل ، وإن كان قد
عرف دارها وعرف أنها اقترنت برجل مستقيم
شريف ، رثى لحالها وغفر لها زلتها بعد أن اعترفت
له بكل شيء

ولبت يتردد على حديقة (مونسو) في كل
أحد ، وكلما رأى ولده تهور في نفسه رغبة جامعة
في أن يأخذه بين ذراعيه ، ويقطع خديه لتسا
وتقبيلها ، ثم يحمله ويغربه ، ولكنه لا يفعل شيئاً ،
ويبقى واقفاً ينظر إليه حتى يذهب ، فيعود إلى عزلته
عطفاً حزينا ، يحز في نفسه الأكام وتحرقتها شتى
المواقف

وعزم أخيراً على اقتحام المصاحب التي تسترضه
وعلى أن يصل إليها مهما كلف الأمر ، فاقتررب
منها يوماً في الحديقة ، وقال لها وشفته ترتجبان :
— ألم تعرفيني بعد ؟

فرقت إليه عينها ، فلما تثبته نددت عنها
صرخة وعب وفزع ، وأخذت يدي ولهاها وولت

فاعتدل (فرانسوا) في جلسته وقال بصوت صرجهف :
 — سيدى... سيدى... أنا لا أدرى إنا كنتم تعرفون اسمي أو...
 قناطمه الرجل قائلاً :
 — لا فأائدة من هذا الكلام... لقد أخبرتنى اسمائى بكل شيء
 وكانت لهجته جافة استشر منها (فرنسوا) فغضب المكنوم ، فناد يقول :
 — عفواً يا سيدى... أ كاد أموت من الألم ومن تنقيب الوجدان ومن الخجل ولا أريد إلا معاقبة ابني مرة واحدة... مرة واحدة فقط
 فهض الرجل واقرب من اللوقد قفرح الجيرس يدهو الخادم ، وأصرها أن تأتيه بلويس
 وبقياساتين لا يجدان ما يقولانه حتى دخل المصبي يسى إلى هذا الذى يحسبه أباه فلما لحظ التريب وقف ، ققبله السيد (فلامل) في جيبته وقال لفرنسوا :
 — لك أن تراه إنا شئت
 فهض فرنسوا وألقى قبضته على الأرض ، وحمل ولده للدهوش يقبله في جيبته وعينه وفه ، والتلام يتلوى ويدبر وجهه ليذغ عنه شفق هذا الرجل التريب . أما السيد (فلامل) فقد ولاهما ظمره ، ووقف ينظر من النافذة
 حتى إنا شاق التلام بذلك ذموا ، ألقاه (فرنسوا) على الأرض وفر كانه لس وهو يصيح به :
 — وداعاً... وداعاً إلى الأبد :
 على المنظارى

الصيف خفيف هذا العام
لأن

شركة مصر للغزل والنسيج
تقدم لكم المنسوجات القطنية
الخفيفة على اختلاف أنواعها
معتلة في أثمانها جميلة في ألوانها
فيادروا بأخذ طلباتكم

سِرُّ الْحَقِيقَةِ الصِّغَرَاءِ

للكاتب الرومى سيدريك ديمتروف
بقلم الأستاذ محمد لطيف جعة

وسداها لحياتها ، رجال ونساء من
أذكى نبي الإنسان ، وأجملهم
وأعظمهم دهاء ، وأوسمهم حيلة ،
وأغناهم موارد ، وأقدرهم على فنون
الكلام والكتابة والأخلاق الساء .

وستكون مدينة بازيل قاعدتنا
ومركز دائرتنا وعطربا لرجال أعواننا
كما كانت برن وبيارتز في الحرب
اللاضية . وستعلم عما قليل من
رئيسك المباشر لم وقع الاختيار
على بازيل . ويكفى أن تعلم الآن
أنها مرتبطة بيولون عن طريق
شالون ، وأوستند وباريس
وأتودوب وبروكسيل ودوردام
ولوزان بخطوط حديدية ثابتة
وقديمة !

— ضمت لماذا اخترتم بازيل
— لا قل « اخترتم » بل
قل اخترنا ... ولكنك لا تعلم
« مأموريك » للبشارة . لقد
ضاعت من رسولنا في

نصريف بالقصة

سيدريك ديمتروف ابن غير شرعى
لجورج ديمتروف أعدى أعداء الحرب
والفاشية ؟ وقد ولد في أوائل هذا
القرن من إحدى سيبات البلاط
القيصرى بسلام ستيلانوفيكوف ،
ونشأ المسي في بطرسبرج ، ثم تلقى
العلم في سويسرا وألمانيا وإيطاليا
ومات أنه قيسل الحرب النظمى
وتركت له ثروة ضخمة تبرع بها
لثورة واعتمد على أوراثة وأقلامه
فأخرج « مدينة الصغر » و« آتون
الثورة » و« لا نكتسب الشهادة »
ومن قصصه القصير : « سر الحفية
الصفراء » وفيها من تحليل النفس ،
وحبك الواقع وعقد الحوادث ما لا
يقدّر على مجالته إلا هؤلاء الكتاب
الروس للنفردون في العالم بطرائقهم
الفذة . ومؤلفنا في وسط القصد
الرابع ويشرح في لندن

اسمع ! إن نصف أعمالنا قبل
وقوع الحرب المقبلة يقوم على
التجسس ، وينهض على استراق
أسرار الأقران والأعداء ، وقد
بثنا عيوننا وأرصادنا ، ونشرنا
آخائنا ، ونشرنا أعمامنا ، في نواحيات
الدنيا وبلادها كافة ، فارتكنا
بلداً ولا مدينة أو قرية في دولة
قوية أو مملكة ضعيفة ، نفلها
ستور في وجوهنا إذا وقعت
الواقعة إلا ملأناها ببيوتنا ...
أنظر إلى هذه الخريطة الجغرافية
وقل لي ماذا ترى ؟

— أرى دوائر صغيرة تثل
البلدان ، وخطوطاً غليظة

وأخرى دقيقة ، تدل على سكة الحديد وطرق
السيارات ، وعلامات مبهمة وتصاوير بعض الثبات
والحيوان ودموزأ شتى

— أعلم أنه من برلين إلى أمستردام ، ومن
دنكرلك إلى شربورج ، ومن هارتيش إلى ريستول ،
ثم من كاليه إلى يافور ، ومن باريس إلى تراسكون ،
شباك عبوك وجائل مفتوحة ، أعينها ونخيلاتها

« تشاهاوزين » مجموعة مدعشة تنطوي على حقائق
غريبة ثابتة لا يشوبها للريب شائبة ، تدل على صحتها
بتقارير موهلة اختطها جاسوس فرنسي أثناء مجبسه
على مندوبنا بعد أن قتله اغتيالاً في فندق عتيق في
شاموني . وإن ما لدينا من الأخبار يقمننا بأن القاتل
لا يزال في تلك الناحية ، فسندنا عليه الطرق وضيقتنا
الخلق ، وأحطناه ببيع من الرقابة في أعماق

إلى باريس ، في قطار الليل السريع الذى قطع الحقل والريدين واخترق الاتفاق ومزق أحشاء الجبال في سبيلون وسان جوكو بسرعة مائة كيلومتر في الساعة ماراً ببولونيا وبارما وفينازا وميلانو ونوفارا ولونيو وبريج وسان موريوزولزان وجنيف . وهنا - في جنيف - قطعت خطة السفر لأسترجح - ولأقضى بضمة أليم في أحضان « جوى » حبيبتى الروسية التى بثت إلى يرقية تقول فيها : « لن أستطيع على سكوئك صبراً بمديوم . فأن أنت ومتى أراك ؟ » فلقطنى ساعى البرق في شارع ليوناردو دافنسى عداً قبل سفرى بساعة واحدة في منزل سينيورا ماريا ستمبريى الذى اتخذته مستقراً وملجأ خفياً . فصجبت من توارد خاطرها وخاطرى لدى السفر ، ولكنى لم أشأ أن أحييها بريقة خشية الرقباء ، فصبرت على الصمت وكان آخر من الجرح

وعند ما وصلت إلى محطة جنيف في صباح ذلك اليوم السعيد الذى حدثه الأقدار للقائنا ، شمرت بحزن شديد عند ما رأيت الأهل والأخدان ينتظرون أصدقائهم وذوهم على الأتاريز ويقابلونهم بالقبل وباقات الأزهار . ولا يقدر هذه اللذة إلا الذى يحرم منها ؛ ويكون الألم شديداً بغير نصيبه في العمل على الحرمان . فانا الذى لم أكتب لها ولم أشرها بمقضى ، وإلا كانت أول قدم وأبكر منتظر . فلى وحدى تقع مسئولية هذه الوحدة التى شمرت بها لدى النزول من القطار . ولم يكن ليمناع أحله أو أشغل بقله ، فقد وكلت أمر الحزم والشحن و « الشيل والحط » والرفع والخفض والتخليص والتفتيش ، إلى وكلائى في شركة هومز وموشيردى ، التى اشتهرت بالحلق في هذه الأعمال . ولم يكن في حراسنى

وصكيلوز وشاميرى وتودنو وساتلبا وأرونا وجومودوسولا ، ولن يفلت من برائتنا هما كلقتا اقتناصه من مال ونصب وأعمار رجال - حتى أعمار الرجال ؟

- نعم وأعمار الرجال ، فان في تلك المجموعة المختلطة مصورات يدوية عن الواقع والأماكن والحسون والثنور والشواطىء والمائل الفرنسية والانجليزية التى كان رجائنا يداون - هذه السنين الطوال من بعد الهدنة إلى الشهر لانسى - على تصويرها ، وأثناء وزارات الحرب في أوطن ماربان وجون بول ، عن دقائقها وعظائنها . ونحن نطلب هذه الوثائق ولا نطلب النار الآن

- وهل يظلم صاحبنا الذى راح نحيمة واجبه ، - نعم .. ولكن إلى حين . . لأننا نطمع في استالة هذا الجاسوس لنا ، فنضحي بشهوة الانتقام في سبيل احراز خدمته وتسجيل اسمه في جدول أتياعنا . واليك الآن هذه الجوازات التى تنطبق على الشخصيات الملمدة التى ستخضعها أثناء تنقلك في مختلف البلدان ، وهذا دفتر الشيكات الذى يبيع لك أن تنفق ماشئت فيما شئت ، وهذه وسيلة الاستتاع عند بلوغ الاخطار اقصى غايتها ، وهذا المدس للوعود الذى يطلق النار دون صوت أو دخان ؛ ومع السلامة ! نحن لا نراقبك ، ولا نتقن أرك ، ولا نسى الظن بك ولا نرقل مسماك ولا نبخسك جهودك . ونكافئك سواء أجمحت أم لم تنجح ، ولكننا نعتك شر قتلة إننا اقررت حياة بعد أن نأتمك



بدأت عملى في نفس اليوم الذى تلقيت فيه الأوامر والنصم ، فسافرت من فلورنس (فيرز)

والصحف الذى تمهده قاعة شعراء، وأخذت منها ما أشتى ودقت ثمنها بأما لحسناء البائسة ، فاقبضت هى الأخرى وقالت فى صوت خافت :

« موسىو إيه تره جاتى » أى إنك ظريف يسيدى . فلبحت زلزاة التليفون بجوارها وخطرتى أن أمت عن وسيلة تصل بينى وبين جوتى قبل أن ألقاها ، فذا أحب أن ألقى الحبيب أو العدو . ولكننى لم أعلم كيف أخطأها فتجاسرت ونحاملت على اللصادة والحظ ودخلت وحسرت نفسى وأخفت أبحث فى دليل التليفون وأقلب صفحاته وأقرأ الأسماء والألقاب والأرقام والشوارع والأزقة وأغرق بين الأسطر ، وأسرح بخيالي دون أن أشر وأدفع بالهرم بيد الهرم فى خرق ضيق ، وأسأل مها كز المحاطبات - ولا أدري كم طالت وقفتى - وعندما خرجت وألقيت نظرة على وجه بائسة الصحف الشعراء ، رأيته منتقما وقد مدت إلى يدها ورقة مطبقة ، وكانت حركة الحياة فى اللحظة لا تزال مثيلة ليكور الوقت - ففتحتها على مهل ، وأنا أظن الفتاة الطائشة تستدرجنى إلى موعد فاذا فيها أن رجلا طويلا أسود الشعر يتعجبك ، وقد عاد يبعث عنك كالجنون وهو يحمل حقيبة سفر ، وقد ضلته حتى لا يقع عليك بصره . فآزل إلى المر السفلى لتصمد فى شارع موبيلان فلا يدرك خطاك ؛ وهو الآن فى المقصف . فأمهدرت فى الطريق الذى اختاره لى وأنا يجنىف جد خبير ، وأطمت الشعراء بائسة الصحف وعملت برأيتها للشورى باطاقة الختان تنمو فى قلبها نحوى ، كما أن منظر الرجل الطويل المجهول لم يرتفحها ، ولله أزعجها كأزعجنى . وفى تمام الساعة التاسعة كانت قوتى خارت من الجوع الذى يعقب

سوى حقبة منيرة من الجلد الأصفر اللعاب ، وليس فيها شيء سوى أدوات الزينة والحلاقة والبازل وقنينة من اللاد السطر أصلاً به أنابيب أعللى . فلما بلغت موضع التفتيش الجركى مددت يدي بالحقية بمتى السام والشجر وعدم الاكتراث . ولم أشأ أن ألقى نظرة على وجه الموظف المختص . ويظهر أن ذلك المسكين لمحتة البدوي من خبرى وعدم اكتراثى فلم يأبه لفتح الحقيبة ، وقنع بأن وضع عليها علامة الرور بالبشير ، فتناولت الحقيبة وكان فى نفسى رغبة قوية أن أتحلى عنها واستتنى عن محتوياتها ، لم يمتنى عن هذه الهفوة - التى لم يكن فى الوجود وسيلة لنفرتها إن كنت وقت فيها - إلا منظر رجل غريب الأطوار أخذ يحدق فى الحقيبة ويريد أن ينقض عليها كالباشق ، ولم يمنه من خلفها وإلا نظرة سريعة ألقاها على حقيبة صفراء أخرى كانت فى يده ، وقد وضع عليها الفاحص الجركى حرف P علامة الإذن بالرور - فلما خفت أن يخطفها ذلك الرجل ، لجرد الطمع فيها لابتلتها لحقيته تحركت رغبتى فى الاحتفاظ بها ، لا لأنها ملكي وتحتوى ما أحتاج إليه فى حلى وترحالى ، بل ضئلاً بها على الطامع . وخرج الأخرق صاحب الحقيبة للصفراء وخرجت فى أثره أتبعه ، وأنا لا أميره اهتماماً ولا أجمل له أقل شأن . وكان كل اهتمامى واكتراثى وانفصال بالى وحسابى وترقبى محصورة فى لقاء (جوتى) التى أرسلت إلى تقول إنها فى شارع فيوجر ناديه^(١) وعندما سرت فى نهاية الأفرز خطر ياللى أن أشتري جرائد الصباح ، فلت إلى معرض الكتب

(١) رمة قابل اليد القدماء - واسم قابل اليمناخوذ من الرمان للشابة

تطل من وكرها للملء بالتمارين والأشياء ...
فدهشت وأيقنت بجنونه وخوفه ولومته وقتل :
أظنك تريد عكس ما تقول ، وتمدح السلم وتقدح في
الحرب . فألقى الرجل جريدته والثفت إلى عمداً
وقال : وأنت ستخفي آخر تمجيد السلم وتنفر من
الحرب . ألا تعلم ياسيدي أن السلم إذا ظلت في
الأمة دهرًا لم تلبث أن تسلط فيها المتآرب الشخصية
المحقرة والأغراض الدينية الرديئة ، وتقوم الفتن
والمكايد ، ويحمر الترف آثار السكّال الأجاسي ،
ويحتكر المال قوة متعطرة غير شريفة ولا مشروعة ،
ولا تعبد الشخصية الكبيرة الاحترام اللائق بها ؟
إن زهرة الانسان لتذبل ، وجفونه لتجف ، في
زمن السلم وعهد ، وتندوى للشجاعة وتحنس في
ظلال الراحة وخائل السكون . إن الهدوء والمساواة
والطمأنينة (التي تجلب الناس أنناداً وأشياءها)
للهامة الساجز ... ولكن الحرب تظهر شجاعة الرجال
وتعلي النفوس الوضيعة ، وإن الجبان والرعيد
والخائف والمرتجف (ونظر إلى نظرة قاسية كأنه
يقصد إلى بهذه الخنازي ليتناسى اسمه حيال حماسة
الحرب

قلت له : أنا على رأيك ، ولكن لا يلبث من
فلتتك وأنت سبائك هذا الزمان أن الحرب التي
تشيء بذكرها ، وتتحرق في انتظار اشتعال نيرانها
تجبر في أعقابها نكبات مادية وذعنبة ؛ وترعب قلوب
الناس والملائكة ، ولا تطرب بدويها إلا أهواء
الشياطين والمردة التي تسردها الفطائش الوحشية التي
تقع في القتال

فاندلع في عيني عذني لميب عجيب وقال :
— لا شك أنك تنتمي إلى بعض قوى تلك

السفر الطويل ومن تب الأرق الذي يصحب اعتزاز
القطار . والمرة الأولى رأيت باب الفردوس مفتوحاً
أمامي . وما الفردوس سوى « أنديهاوش »
مشرب الشاي الشهير ، وفيه من التناظر والحلوى
والزبدة والقشدة والشهد ما يجب الأعيان والأفواه ،
فدخلت إليه وأضطرت إضطاراً غنياً ، وكان أول مال
أفقتته على سد رمقي من مال الرزاق للفقوة
وكان بجواردي رجل يجرع الشاي الهندسي
المجيب ويقرأ جريدة « جورنال دي جنيف » وهو
يقلب كفاً على كف كمن خسر مائة ألف فرنك في
سوق القراطيس المالية . وكان يخالفني النظر كأنه
يريد مهاجمي في حصن سقي ، وكنت إذ ذاك
مشوقاً باستطلاع أمور الناس لا سبيل من كان
غريب الأطوار مثله ، فابتدرته قائلاً :

— حقاً أن هبوط الأسهم في سوق الأوراق
لكارثة لها ما بعدها . ولا تنسى أن أميركا هي
البادة بالإخفاق في المضاربة ، وغداً يصير أرباب الملايين
وملاك المادن عالة على المال والفلاحين
فبدت الدهشة على وجه جاري الذي كان
يتجرع الشاي الهندسي وقال :

— نعم ؟ هل تحدث إلى ياسيدي ؟ فذبت
خجلاً واستصياء ، ولكنني تذكرت أن مهنتي
تحتاج إلى سفاقة الخلد وبرود الطبع وتحمل الأذى ،
فاستجمعت فلول شجاعتي التي شقت شملها سؤال
الرجل وقتل : نعم إليك ، لأنني أدركت أنك تفهم
جيداً قيمة القراطيس وتحمل همومها . فقال متسجلاً
متعمداً مقاطعة حديثي :

أي قراطيس ؟ أنا أذهب حظ العالم ، لأن شبح
الحرب يخفق شيئاً فشيئاً ، وحماسة السلام « بسلامتها »

ووجوب وقوعها والمثل العليا التي تتلوى عليها .
ينبغي أن نغنى في وجوه « رسل السلام » ودعاتها
شمرًا قديمًا :

« أأحلام بالسلم وعهوده ؟ ألا فليعلم به من
يشاء ، أما نحن فليكن صراخنا الحرب ! الحرب !
وهلوا إلى النصر » وأظنه لجوه

ونفض الرجل بعد أن أتى بالجريدة وألقى على
نظرة استعسار شفعها بشجة : « هم صبايحًا ياسيدي »
كانت أقصى من السهم وأحد من السيف وأوقع
من الصفة على صلح اللثم . وقد أدبرت أن الحق
بالرجل وأطلعه على حقيقة شخصي ، وإنني من
طلائع الحرب المقبلة ، لا من دعة الهزيمة كما زعم
وتخيل . وقد نهضت وحاولت التنداء عليه ، ثم عدت
فتذكرت أنني من رجال الخفية ، وقد وكل إلى
عمل دقيق ، وإن في جيب صدارتي غلافًا مخنومًا
مشتعلًا على الأوامر والنواهي التي سأخضع لها حين
أفرض التلاف وأتلوها وكأنني أنقاهما من رئيس
مطاع . ومن يدري أن هذا الرجل الذي وقفت عليه
مصادفة لم يكن هو نفسه من أعيانهم ومن أخانهم ؟
والحمد لله الذي أطلعه على في ثوب رجل مسلم ،
بمض للحرب فراح يحترقني ويزدري

ثم رفت حربي إلى الساعة الكهربائية الحقيقية
التي تنبض عقاربها بتيار متجدد يحرك عقارب سائر
الساعات الملققة في أفرع « أنديا هاوس » في ناحيات
للدينة صكافة . وكانت المائرة فهضت ودضت
الحساب بين يدى الصيرف . ولا صرت في شارع
مارتن لوثر الحاذي لساعة بوليفار قفزت في سيارة
وقلت للسائق بصوت عال : إلي باستيون (وهو
بستان عام في ميدان ملعب الكوميدي يؤدي إلى
الجامعة — وكانت غايته أن أحل أي رقيب قريب
(٤)

الألقاب السكاذبة ، والمراتب الجوفاء التي تربت في
أحضان السلم ودرست في بحيرة الرخام زمانًا طويلًا .
فانت وأصحابك تخشون الحرب لأن الشخصيات
الكبيرة تحمل فيها الملل الأرض ، وتخطو القوة
والاخلاص والصدق والشرف إلى الطليعة لتلب
دورها الواجب ، ويتجمل الثبات واللطف والنظرة
والبطولة والرحمة والاحسان

فضحكت ضحكة كانت تفقد الرجل صوابه
وتخرجه من دائرة الصبر ، ولكنه تجمده وأخذ يحرق
الأرم ويضع لسانه قتلته : « والمزعة ؟ المزعة
ياسيدي ، ألا تذهب بجبال ماوسفت المزعة للكرام ،
خيبة المتلوب وإذلاله تحت أقدام الثالب ؟ هل نسيت
قول للقاتل :

« ويل للمتلوب ! « فكان الويل للثالب ؟

فقال الرجل الذي يتجرع الشاي :

حتى المزعة ! المزعة نفسها فيها ثمرات غالية
سامية ، فهي وإن ساقط غالبًا الشنف والبؤس
والشقاء ، مؤدية كذلك أحيانًا أخرى إلى إحياء
جديد واتشام قوى ، لاسمة لا فتور أو الملة فيه .
وهي كذلك واسمة أساس نظم حيوية جديدة .
قلت له : إذا لا أخطئ إذنا ثبت في ذهني أنك تنامض
أمامي السلام التي تتردد في خواطر الأم : فقال
جيب الحرب :

يجب أن نقضى على تلك المذاهب الخيالية الواهية
الواهمة ، ويجب أن نشهر بها أمام الناس ونفض
أصرها ونعلن حقيقتها ، وإنها فكرة خيالية ضعيفة
علية طائشة ، بل ثوب من أبواب الرياء السياسي
وحجاب من حجب . ينبغي أن يعلم الناس في كل
مكان أن بقاء السلم لن يكون غرضًا للسياسة المالية
بل يجب أن تكرر ونسهب في فضيلة الحرب ونمناها

تبيض على ذراعي فرجت بسيني فاذا جوتي خارج
الباب بوجه باهت ممتنع ، وجسم مرتجف ، وهي
تقول : أنت ؟ تقف بالباب وتنتظر الأذن بالدخول ؟
فأخذتها بين ذراعي وجفت يدي دموع الفرح
التي ذرفتها عيناها

من البت أن أصف لك ألوان السعادة التي
تدوقها في عشرة هذه الحبيبة الولي ، التي بدأت
تسمرني بالبناء المائي وتسكب في شفاف قلبي أفانين
السرور واللذة ، وتسكنني برحمتي حبها وحناها حتى
كانت الدموع تفيض من عيني كلما فكرت أن
سمادتنا هذه موقوفة وموقوفة على سفرى لمطاردة
ذلك الوعد المحبوس المحاصر بين مدنست ، لا يملك
النفاذ من أكافها . لم تقف جوتي على شيء من
أسراري ، ولم تلم مقدار ما أحل من النفود ، أو نوع
ما أخفى من السلاح ، أو عدد ما أمك التقمص فيه
من الشخصيات . فكانت إذا سألني عن سبب
حضورى المفاجئ قلت لها : لأحضر دروس الجامعة
في مدرج الثرياء ، وأرقب أعمال جمعية الأمم من
كتب ، ولا أريد أن أرى أحداً سواك ولا وجهك
غير وجهك ، ولا أتناول طعاماً إلا ما تمده يداك
وتطهينه بنفسك ، ولا أنظر في عيني غير عيني ،
ولا أنم في الليل والنهار بجم غير جسمك ، ولا أسمع
سواك غير صوتك ، ولا أشر بمسادة غير التي توحها
رقة ثنائك ، وذلك إلى أن يمين وقت عودتي إلى مقر
عملي في فيرزة . وكانت جوتي تحسني لا أزال
قديراً ، فكرست وقتها ومالها لتوفير راحتي وهي
لا تسألني شيئاً ولا تحاول الوقوف على دخيلتي .
قللت في نفسي : إن في التمسك بالمهمات وأحليس
خفية تتفقدتها نحن الرجال في قوسنا فلا نجد لها ،

وأن أسير على قدى من حديقة باستيون إلى شارع
فيوجرينا ديه حيث تقطن جوتي . وفي أقل من
خمس دقائق بلغت في السيارة باب الحديقة فترجلت
ودفت وأخذت سميتي إلى مقهى « كاركوان دى ثان »
الذي يتوسط الساحة وتشرف على الشوارع الأربعة
كادروج وكورارتي وجنرال ديغور وفيلوسوف^(١)
وشربت قهوة سوطاء ، لا تشوبها قطرة من الحليب
الذي لا يشربه إلا الأطفال والنساء . ثم قت أسير
ممتلكاً وكأني نسيت الحب الشديد الذي كان
يملكني من أثر الحوادث التي رقت الأفتار غطاءها
منذ زلت من القطار في المحطة

كان شارع فيوجرينا ديه في هذه الساعة
الصباحية هادئاً فنظرت إلى الرقم المعلق على الباب ؛
فلما أخذ بصري يبدد ١٧ خفق قلبي ، وأسرعت
بالتصعيد في الدرج . ودقت الباب دقة لطيفة
ففتحت لي خادم مجوز ما رأيها عيني قط ؛ فسألني عن
طلبي ، فلما ذكرت لها إسمي أغلقت الباب في وجهي
حتى يخبر مولانا ثم تعود إلى فتاذني أو تطردني .
فشمرت بمزني عميق وأحسست الهانة تحز في قلبي
كاللدية ، وسمعت أن أطرد هذه الجحمرش جزاء
على أنها أغلقت الدرفة في وجهي ، حتى كأني
لا أو من على نظرة خلال اللوارة بين درفتين ، فوقت
مشبوها شارد القلب ، لا أدري كيف أعطل ماحدث .
وقامت في ذهني عاصفة هدامة من الأفكار المضطربة .
وبقيت فترة الانتظار ودي ينل في عروقي وقد
سمعت على ألا أسير على هذه اللذة ولو عدت
أدراجي ، فرقت بنية مطعن حول عني ، وأدريت
وجهي لأهبط الدرج كما سمعته ، وإذا يد قوية

(١) في خريطة جنيف التضميلية شارع اسمه يوفار
دي فيلسوف ، وهو المؤذي من الساحة إلى الجاسية

الرأه عميق ، لا يمكن ارتياده ، وسيظل هكذا إلى الأبد . وكنت أنظر كرامة إلى نفسي وما يجول بها ، وطورا إلى وجه جوتي الخمرى الهادى الجليل التدى فأشعر بالحزن وتأنيب الضمير حيال كنهاني ومصرحتها . وكانت جوتي لا تحاول عني عينيها كأنها تحاول أن تلهمنى بهما

وفي تلك الليلة طرق بابنا لليرة الأولى شيخ من عرقته جوتي من أبناء وطنها فدخل كشفاً عن رأسه الجليل الممتاز وشعره الأبيض التموج ، وقد حمل نفسه في خفة ظاهرة ونشاط موفور على رغم انحناء عوده وتقوس ظهره ، فشرب الشاي وتسمى باسمه للتحل جيرود بدولسكي وتكلم في الأدب والسياسة والفنون والتاريخ إلى أن دنا من موضوع الحرب القبلية فبردت عروقى وتفككت أوصال مفاصلى ، لأن الحديث أعاد إلى ذكري مأمورىنى التى سوف تشتت شئلى وتهددعائم البيت القى بدأت أحبه وآلته وأركن إليه فى نوى ويقظتى قال الشيخ للمن :

« إن الحرب يا سيدى لا شك مقبلة ، وإنى أراها بين الخيال تهول مسرعة إلينا نخب خبيأ مرعباً فى دروع من الحديد والنار وقد ربطت رأسها برقعة ملطخة بالدماء ، أكاد أسمع قسقمها ، وأرى لمب مدافنها جاءت لتخبط خيلها الأخيرة . أنظن الجوع أو التناحر على السلطة يسبب هذه الكارثة الشوهاء ؟ كلا إن سببا الفروق بين الطبقات والنفور المستحكم بين العامة والخاصة ، وكلامها راجع إلى زهو الأغنياء من جهة وخشوة الفقراء من جهة أخرى . والاختلاف فى التربة أكثر فى التغير من الاختلاف فى الثروة . أما نحن الروس فقد رأينا فى شبابنا هدم بعض النظم المطلقة لتتقدم الحقيقى الدين والحياة

والرأه مسلحة من كل جانب ، وهى أوسع حيلة من الرجل وأكثر استمداً ، فلها تعرف كل شئ . وقد تعرف أكثر مما أعرف . من ذلك أنها كانت قد أعدت لى عدة زينة وحلاقة وعطورا ، حتى المبالى وثياب التفضل (وكانت من صف غالر) . وهذا الذى حدثنى لأمال حقيقى الصفراء ونسيانها مهجورة فى أحد أركان غرفة النوم الأنيقة التى أنشأها حبيبى وقسيمة روحى ، ووصلها بهو الجلوس والمطالمة ، وزينتها كل صباح ومساء بالأزهار البايانة ، ووضعت فى إحدى زوايا البهو مذبحاً صغيراً بحجم اليد ، ولكن سوة كان كسوت الجن قوة ، فشبهته بقمقم يحوى عفرىاً يشد ويلهو ويضحك ويختلس الأخبار من أقراس الدنيا وأقطارها ليرويها لنا . وفى إحدى الليالى قالت لى جوتي بد أن خرجت من الحمام وعصبت رأسها برباط من الحرير الأزرق وبدت عيناها اللوزيتان بلون الزيتون الأخضر القاتم وليوة القטיפىة الناعمة :

— نفسى محمدنى أننا لن نفرق بعد هذا اللقاء ، وأن الحسبة ستجمع بيننا إلى آخر العمر . وقد تموت من نفسي أنها لا تخدعنى ولا تكذبى . ثم أخذت تمر أصابعها فى شعر رأسى فى خفة وسرعة

فضحككت على الرغم منى لملى بما تبطلته الأيام لنا من فرقة ، وإننى قد طرقت إليها خلسة ولحقت بها طيشاً ورغبة فى اقتناص أيام ممدودة ، قبل أن يستحيل اللقاء علينا . ولنى أنادىها حتى أترك لها نصيباً من المال يكفى لنفقتها أعواماً حتى ولو اشتتت نار الحرب ودامت أمداً ، ولكننى لم أشأ مفتاحها بئى . من هذا لترسل أنوالها وأصافها على سجيبتها ، فقد عشت أعواماً طويلة وجعت خلالها إن قلب

انصرافه في ضرورة الخلاص من تلك الصداقات
الرية

وشرب الشيخ للمن جيروم بلولسكي أقفاحا
من الشاي ، وكأنها مقرعة غراً متفقه مفراء
يسكر بها فقال :

— كان للشباب منا صلب الكسر ثابت
الجنان رابط الجأش متأهباً لتحمل التضحية في
سبيل فكرة ؛ وكنا نقرأ بزي المال لندخل في ديننا
الطبقات الجليلة من المال والزراوع ونسر لهم في
آذانهم أن الواجب أن يتخلصوا من موطن
الحكومة وملاك الأرض وهم أسباب الحالة
الحاضرة التي آلت إلى أشد الفساد وأنكر الفوضى .

وهنا دق الباب دقاً غريباً ، وكان قمصني على إقامتي
في المار أربعة عشر يوماً ، ولا يعرف مخلوق اسمي
وعنواني سوى عامل مكتب البريد في بلا نيليه فقد
أفضيت إليه بهما لأشئ كنت أنتظر إشماراً من
خدمة النقل البخاري « من الباب إلى الباب » التي
عهدت إليها في توصيل حقائمي من فيرزة إلى جنيف ؛
ولم أكن أعلم أن عاديهم أن يفاجئوا عملاءهم في
أي وقت من أوقات الليل أو النهار فاتفقت ونظرت
إلى جوتي نظرة لم تفهم معناها . ونجيت الرجل
المجهول الطويل الذي تقبني في المحلة ، ثم البعثة
الصاحب الذي يريد الحرب هما كلفت شوب
الأرض من عناء وبلاد وهلاك ؛ ولم ينظر بيالي
غيرهما ، حتى ولا رئيسي الذي أباح لي « بطاقة
يضاء » في المال والوقت والتقدير . ونهضت جوتي
إلى الباب وصحت الفتح والممس ، ثم خطواتها
وهي تعود حاملة ياناً بمقايبي التي كانت في سيارة
بأسفل المار غمها الرجل وهذه المار ولم تقل له
أكثر من أحسنت بالبادة فقد كنا في الانتظار

الزوجية والامتلاك والحكومة المركزية

فقلت مندهشاً للشيخ السن : وكيف تعيش
الانسانية بدون هذه البعائم الرفقة القوية وهي
بجائبة المتمدن الملحة التي تحمل السقوف العالية
ويدونها ينهار البناء ؟

فابسم الشيخ وقال : أما الدين فيجب عندنا
أن تقوم على أخاذه العلوم المصرية ؛ وأما الحياة
الزوجية فيجب أن تستبدل بالانتماء الحر بين الذكر
والأنثى ؛ وأما الامتلاك فبالاعتراكية ؛ وأما
الحكومة المركزية فيمجموع ولايت مستقلة .
كانت هذه أحلامنا منذ خمسين عاماً ، فلما تحققت
أسفنا أشد الأسف ، لأن الحقيقة لم تنطبق على الخيال .
وقد جئت علينا الفوضى أشد من جناية النظام ؛ وإن
نضى نعدني أن أكتب قصة كنتك التي كتبها
مواطني ومصدق نشر تشفسي . فقالت جوتي :
آه شتود بالاتي ؟^(١) إن الأفكار الثورية قد
استحوذت على جميع الطبقات والأحمار والصناعات
والهن هنا في سويسرا وفي أوروبا الغربية بأسرها ،
حتى لندن وباريس ورومة للفاناشية وبرلين التي
يحكمها هندبرج ، في كل مكان تعلن الثورة جهاراً
في الطرق ، وتلقي علانية في التكتات وتذاع في
إدارات الحكومة ومصالحها ، بل إنني لأعتقد أن
الشرطة أنفسهم يشبهون لها وشورون »

لقد كان كلام الشيخ للمن عجيباً مزجياً ، حتى
لقد شعرت أنني أخون وظيفتي وأنا أسنى إليه ،
وإن كنت أستطيع أن أسفه بلطرف لا يتخلص من
وزره ، ولكن غاظني أن جوتي تعرف أمثاله
وتأويلهم وتسقيهم الشاي . ولكنني لم أمك أن
أقطع حديثه ، وصممت في نفسي أن أقمعها بعد

(١) باروسية ماذا نحن ناطلون ؟

وعدنا إلى السعادة تقتطف ثمارها الباقية، وأما
واقف أنها أيى الأخيرة في عالم الهناء السابق من
الأكدار. وكنت أشبع رغبات جوتي، وأقرأ أحف
الأخبار، واتبع أحدث النطباع المكتوبة لاستخرج
الصدق من بين تنايلها، وألتقف أنباء عصابة الأمم التي
كانت في زمان شبابها والسقم يلب في مفاصلها
ويسجل بالقضاء عليها لحسن نية والنهاية وعاشقتها
وغلطي ودها الذين دسوا لها السم في الدم. وكنا
حيثا نلهو بأخراج الثياب والكتب من الحفائب
ونصفها في الصناديق والأدراج لنوم أنفسنا بأننا
باقون في النادر بقاء استقرار وإقامة.
وكانت هذه البلهاء جوتي تضحك في وجهي
وتطيل النظر إلىّ وتقول:

— أعطني طفلاً يشبهك لا تتأخرني قبل أن
أهلك ولداً. فكنت أنحك من فكرتها وأعجب
كيف تحبها نفسها بهذا خاطر. ولما كانت
جوتي واسعة الخيال وشديدة التعلق بالكتب كانت
تداعيني حيناً قائلة:
— أريد نسخة طبق الأصل منك بلا تنقيح.
ألا ترى أن اللطيفات الأولى هي الأصلية التالية
لأنها نادرة؛ لقد كنت متعطشة للقائك ولأستطيع
سبراً على بذك

قلت لها: وإذا أرغمت على السفر؟
قالت: قد توافق عزيمتك ما جمعت عليه نيتي
لأنه ليس في سفر الإنسان مفرداً أية لذة. إن لكل
إنسان حقاً محدوداً من السعادة، وإن مثلي ومثلك
خليقان أن ينالا حظاً من السعادة وقتاً ما، فليكن
من الآن فصاعداً
وقد أنكأت على جسمي يجسمها الكين المدن
وقالت:

وقد رأى الشيخ للسمن أن ينهض فقال له
جوتي: لا تقل إلى اللقاء بل الوداع يا عزيزنا جيروم
فقد سمحت من يتنا على السر، وما هي الحفائب قد
أعلنت وأنت تراها. فنهض الشيخ بعدها واغمر وقت عينه
البحري بممتين جالتا ولم تدرقا وقال والبررات تخفقه:
— ها هو البت الأخير الذي كان يأوي
ويظلي يقفل في وجهي إلى الأبد. فنظرت جوتي
إلىّ ورأت تأثري وقالت: اننا لن نلبث أن نمود فلا
تبشس بإصديقي.

قال: تمودين، ولكن هل أكون هنا؟
— أنتوى السفر أنت أيضاً؟
وخيل إلى أن جميع أنواع الحزن قد تجمعت في
تلك السجادة من السموع التي تطفر من عيني وقد أجاب:
نعم: قد أسافر... سفرة بعيدة جداً جداً.
لا يعود منها أحد قبلي ولا بعدى.
ولما نزل جيروم وغاب سدى وقع أقدمه،
علقت جوتي وكانت تودعه، وجلست على الأرض
أمامي ووضعت رأسها في حجرى وبكت وكنت أهم
بكاءها وأندم على انني سيبته، ولكنني في الحق أهملت
نفسى بنير جبرية. قلت لها لم تكني يا جوتي؟ الآن
وصول هذا التناغ في الحفائب قد يكون نذير الفراق؟
قالت: كلا إنك باقى بجانبى إلى النهاية. ولكن
أبكي لأننى أقفك بابي في وجه هذا الشيخ السمن
المسكين الذي ليس له أحد.

— وما الذي ذك إلى اختراع فكرة السفر؟
— لأنني لحت أثناء حديثه أنه لا يروك ولا يرضيك
وقد يقلل من سعادتك أن يشي عجلتنا من وقت
إلى آخر.
فلم أملك حيال إخلاصها الآن اغترف لها بالواقع
والتمس الاعتذار لنفسى.

لا تحمل أكثر منها ، أما الكواكب السيارة فهم الرؤساء للتقنون . وأعلن هذه الرسالة من الخطة السياسية السرية في إحدى الدول العظمى ، أما حروف الهجاء فهي أوائل أسماء بعض المدن ، فلو أنها حدثت لرجل لوقف عليها . تتناول خريطة لأوروبا الوسطى وتركها تضع يدها على البلدان فأخذت تقرأ حتى ذكرت أناس وكيلوز وشامبيري ولكنني كنت غيباً فلم أسمع شيئاً . وقد أحسست بحرارة تسري في جسدي ، ولعل الحب الشديد الذي شعرت به فجأة جعل علي بصري غشاوة فأخذت أنظر في سكون إلى ذلك الجسد الرطب المتعدد على ركبتي وصدري !

قالت : هل فهمت شيئاً ؟ إن الرجل الذي تقتني الخطة السرية آثره في إحدى دول الوسط يحمل وثائق ثمينة جداً في حقيبة صفراء وهي تبه رسوماً لصفاة وتطلعت له ... ثم اعتذرت في جلستها وأخذت يدي في راحتها ونظرت إلى نظرات شاردة وقالت : كأنني أكتب في لوح مكتوب أنك أنت القصود بهذه الرسالة ، وأن هذه الوثائق أمامك وملك بينك ، وأنت لن تتكبد في الوصول إليها مشقة لأنها عندك وتحت يدك . ولكنني بجنونة أية علاقة بينك وبين الخطة السرية في الدول ، في هذا الجو القائم بالبلد بنجوم الحرب ؟

وقبل أن أتمكن من القول لها : استمرى في قراءة هذا اللوح قالت لي :

— إلى أحبك ! إلى أحبك ! إلى أحبك ! وجذبتني إليها وأنا مستسلم لا أعرك وماهنتني ثم دفعت نفسها إلىّ في قوة وقالت : آه إن اللوح يحتج عن عيني شيئاً فشيئاً . إن حبك قد علمني قراءة النيب ، وفي تلك الليلة على الرغم من اشتغالنا

لقد طار إليك قلبي مفرغاً وكأذنتي اتصالاً زدت اشتغالاً ، إنني لأرتوي ولا أقطع . في وسمي أن أعرف السبب ، إنني لأشبع منك إلا إذا اطأنت إلى بقاتك بجانبي وكنت في تلك اللحظة أقرأ دلي ميل التي كانت تنشر في أعمدها رسائل « قلنا الخاص » . فوقع بصري على هذه الرسالة الغامضة « إلى رجلنا في اوك وشوت وس واود . إن أملاك النشود لدى امرأتمديدة القائمة سوداء النسر ، وحارس الكنز يحمل حقيبة صفراء لا تقارقه . كل شيء بشأنك على مايرام تابع خط السير التي ترسمها لك الكواكب السيارة »

فذهلت من غموض الرسالة أولاً ، ثم رأيت براءة الأمل في حل رموزها . وكانت جوتي تتابع حديثها قائلة : إن الحب يجعلني كالريح والطر والبرق والرعد وأنت كذلك ، فظلت كالشده

وأخذت جوتي تترثر في الحديث الذي أيقظها به الحب العنيف

وأخذت تسرد على مسامعي قصة حياتها . وكانت تمدق في بقوة متجهة بصدورها وخصرها إلىّ ، ثم إذا هي تناقني بنف ولهفة وتنهدي . ففكرت في مخرج من هذا الموقف حتى يلاوطني هدوني . فقلت لها : إليك هذا الفنز ، أتمنّين كيف يكون حله ؟ وقرأت لها الرسالة الغامضة فأصفت إليها في صمت عميق وقالت : وما يهيك من أمر هذا الفنز أو الرسالة الرزية ؟

قلت : تسلية عجز ، لا أكثر ولا أقل قلت : إن القصود بالراءة للديدة القائمة رجل مثلاً ، والرجل الأول هو بلا ريب رسول أو وكيل أو منتدب ، والكثير أوراق أو وثائق ، لأن الحقيقة

بنار واحدة لم أستطع الدنو منها

وعند شروق شمس الغد، نهضت جوتي وقالت:
إن نفسي تأقت لثمة قصيرة في إيردون أو فرسوا،
ولكن البعيرة لا توافقها فهي تفضل سكة الحديد،
فرضيتُ اقتراحها . وإذ كنا على الأفرزحات منى
التفاحة نحو مستودع الصحف والكتب والفتاة
الشقراء الباسمة ، فدنوت منها واشترت حزمة من
الطبوعات الطازجة التي تحمل حب الماد ، وطر
الأشجار التي صنع الورق النض من جنوعها
وفروعها . فلما دفت لها الثمن قالت: آه سيدى، لقد
أوذيت لأجلك، ولكنى لم أبلك، فإن الرجل العلويل
الأسود الشعر الذى كان يقفنى أترك منذ شهر عاد
يتهمى بضملي ، ويسألنى إن كنت رأيتك تحمل
حقية صفراء ميمينا . فقلت له: إن الحقية الصفراء
كانت يمينك أنت، ومارأيت معه شيئا فلم يصدقنى،
وزعم أننى تسرت عليك حين استبدلت حقيتى
بمخيتك، وشكأنى لرؤسائى، ولكنه عجز عن تقديم
الليل على صمة زعمه ، وإنى أخاله فاقمة عالية ،
لما رأيت من اهتمام الرؤساء بشأه، ولكنهم يسمونه
حائكا موسيو إس S فحل هو شوقايج أو سيربان
أو سراسان؟ (١)

وكانت جوتي تجمع طرقات من الحديث، دون أن
تشر الفتاة بصحبتنا. فلما فرغت الشقراء من ترثرها
المنبة قالت جوتي: ألا تزال مصما على زمة فرسوا؟
أما أنا فلا ، لأننى شمرت بدوار مفاجيء ، ولا بدلى
من الرجوع إلى البيت لأعالج صدأى باستكمال النوم
حتى الظهيرة أو بلزدداد جرة من البرومير المسكن
قلت في نفسى : هكذا النساء يترضن ويقطن
راحتنا ثم يبدلن عن فكرهن فيظنن الرجال ...
(١) أمر وحى أم ثمان لم يدو وكلها على حرف S

وكنت أغضب ، ولكنى كملت غيظى ، ولا
أن اجتدتنى بقولها : لن تندم على عودتنا بقدر
ما كنت تندم لو أسرت على زنتك ... فلم أمك
نفسى وقت لها :

— زهقى أنا لم زنتك أنت ؟ ما أبيع
ماعليه بعض النساء من غباوة مرذولة . أما عندهن
إحساس بما يلائم مقولية الرجل المتحضر من
الجنس الأبيض ... أما إلى ذلك من سبيل ؟ لك
تظنين أنى جنت بملك جنونا يحملنى على طاعتك
فى السر والإقامة

فاقتسمت جوتي وقالت : لم أراك ناضبا غير هذه
المرة ... ما أظنك فى سنطك ؟ أتصرف خرافة الأم
التي قلت السكاب البنى كان يحرس ولدها حين
رأت خياشيمه ملوثة بالدماء

ففتظرت إليها فى كدو شديد وقلت : إن
ما أعرفه ولا أبجد ، وأبحث عنه ولا أضر به ، هو
الحياة المأدبة التي لا يسمح الزمان بها
وكنا بلتنا البار ، فازمت جوتي فرائشها مريضه
أو متأرضه ؟ وعند ما أفاقت حوالى الظهر صرفت
الخدماء السجوز ومنحتها أجرة نصف يوم . ثم قالت
لـ إنها لم تنم أن تتجرج أدوية من الصيدالة ،
وخير لها أن تبعت فى الأذراج والصاديق واللب
القديمة ، وجلست بجوارى على السرير وأخذت
تدأب شمرى يدها فلت عليها وقبلها ، ولكنها
مالت عنى بسرعة وقالت :

— أأتأذن لى أنت ألتس دواء فى إحدى
حقائلك للهجرة

قلت : أحتاجين إلى سؤال وإن ؟ ماذا
جربى ؟ وكيف اهتلب المفرد حقيقة ؟ نهضت جوتي
إلى غرفة نومي ثم طوت تحمل الحقية الصفراء التي

لك أن تتسرع بالتحفظ بها كما تعلم ، ولكنك لم تنالك نفسك . فهذا فراق بيني وبينك ...

وعجبتا حاولت مصالحتها والافضاء لها بسر مهيتى ومكانتى فى الخلمة المخصوصة ، ودقتر الحوالات التى أملكها ، وللال الذى لا حد له ، والاجازة الطويلة التى تلتها ، وإن الاستفاح بهذه النعم راجع إلى فطنتها وسرعة يديتها ، وحنن الحظ الذى لازمنى منذ اتيت السفر إليها قبل أن أئثر عملى . وقد اطلعتنا على جفر المراسلة وملاحن الحديث^(١) وقانون الخطاب السرية ، ووقفنا على أمور لو لم رؤسائى أنى أذعننا لم يكن يكفهم قتلى بالمراسل عقابا عليها ، ولكن قلب جوتى الذى كان يتفطر شوقا إلى أن غبت عنها ساعة أمسى كالجلود وقالت :

— لم يسؤنى شئ كما سادنى طرد الشيخ المن جبروم بلودلسكى ، وهذا نأره يقتص له الطبيعة منى ، لأننى أقصيته وحرمته للأزوى فى كل أسبوع مرة مراعاة لكمال راحتك . والآن الوداع بإصاحي فنهضت وأنا أشعر بالندم يحجز فى نفسى ويهيم على إحساسى . وقلت : أهذا آخر ما تقولين ؟ إن كان حقاً ما نويت فاعلى أننى أغلدر جنيف دون أن أمس شيئا من هذه الحقايق والروايات . وسأترك لك اللال والحوالات فلم يدلى فى الحيلة مطمع بمدك وأن الدنيا هيئة عندى فى جنب رساك . وإذ ذاك لاحت علام الفهشة واضحة على جبينها . ثم تبسمت ابتسامة تتلذذ فيها دلائل الحب والاخلاص اللذين كان ينطوى عليها فؤادها وما شمعت به نحوى من عطف فأقبلت أذاعها وأسألها الصغح عما بدر منى ، فأجهشت فى البكاء ولم تتكلم حتى الصباح محمد الطمى حمزة

لم أرهما منذ وصولى وقد استثنيت عما تحويه بما أعدته لك الحيلة الحنون ففتحتها ... ثم نظرت فيها وأطالت النظر ... ولم تعد لها يدأ ...

فنظرت بدورى ... فلم أجد مبادلا ولا أدوات حلالة ولا امرأة ولا فتان عطر . بل أوراقا ودقار فى أشكال شتى ومصورات وخرائط وأشرطة فوتوغرافية وألواحاً جاجية ورسوم مواقع وحصون وتصميمات مدافع وطلارات وغواصات ، وجداول إحصاء ورموز كيميائية وخرائط جوية ...

فقلت جوتى : هل هذه أدوات الزينة ، أم محتويات الحقيبة الصغراء التى لم تكن تفارق الرجل الطويل الأسود الشعر ، وقد وقت فى يدك خطا يوم وصولك مدينة جنيف ؟

فاشرقت الحقيقة فجأة على ذهنى وارتبطت حلقات الوراق ببعضها البعض حتى صارت سلسلة متينة . لقد قتلت الأقدار تلك الروايات بمحبتها من يد صاحبها إلى يدى أثناء تنشير القطار فى دوسو دوسولو أو أمبرو . ولله وضعا بجوار حقيقى وغفل عنها مدغوا بسرعة النزول . وهكذا حلت لي الأقدار ما كنت عاجزا عن حله إلا بشق النفس وتكبد الأذى ؟ وإذن سمحت نبوءة جوتى ، إن الهمر لن يفرق بيننا . فنظرت إلى وجهها فوجدته قائما فقلت :

— عند ما سمعت حديث بائمة الصحف أبقيت أن الحقيبة الصغراء المهجورة هى حقيبة الرجل الذى وصف فى عمود الأسرار فى « ديلي ميل » فسارعت بالود مبارزة خشية أن تسرق أو تختلس أثناء غيبتنا فى إشرودن أو فيرسوا . ولكن غيظك وغضبك وسخطك مما لا أحمله . وقد قتلت الحب فى صهده وأطلقت لسانك بكلمات مريعة ما كان

(١) أى الشفرة والسلم وما سرودان

لا تستطيع ذلك مهما حاولت

ياسيدى

— دلنا أين غضى ليلتنا هذه لأننا

غرباء ولا نعرف هذه البلاد

— بكل ارتياح وسرور . ولقد

كنت طويلاً أن أرسل في هذه اللحظة

أحد أتباعى إلى باقى لقضاء أمر

وسيقودكم إلى مكان ترحلون إلى الإقامة فيه

ثم أسر إلى أذكى خدمه بأن يتقدم إلى منزله

عن طريق آخر بينما يسير هو فى أقرب الطرق .

وبمجرد وصوله أعد عشاء فاخراً فى حديثه ونسق

الوائد ثم وقف بالباب ينتظر ضيوفه . وفى هذه

الآناء كان الخادم يئضل الضيوف من طريق إلى

طريق دون أن يشعروا . وفى النهاية دلف بهم إلى

البيت . ولما شاهدهم سيده مرح إليهم قائلاً : « مرحباً

وأهلاً وسهلاً ! » ولما كاد صلاح الدين وشدة غلظته

فهم الحيلة وقال له : « إذا كان فى الامكان أن

يُشكر أحد لثرفه وكرمه وجدنا ما نشكوه منك

لأنك أطلت طريقنا لتتمكن من حسن الضيافة

ولطف الجمالة التى أسرتنا بها ولستأ لها أهلاً . فأجاب

الفارس الطريف وكان حكيماً فصيح اللجة : « إن

ما قابلتك به من الاحترام وحسن الضيافة لقليل

بجانب ما تستحقه أيها السيد الجليل إن لم يخدعنى

ظاهرك . ولو كنت فى غير باقى لساء تزورك . فلا

تأسف إذا طالت طريقك » وفى أثناء الحديث أقبل

رجال توديل ليكون الاحتفاء بهم جيلاً نفياً

واسطحبوا الأجانب إلى غرفهم التى أعدت لهم ،

ثم تناولوا العشاء ودارت عليهم المربطات وسأمرهم

(هـ)

صَلَاةُ الدِّينِ

لِلْقَصَصِ الْأَطْلَالِ بِوَكَاةِ
بَيْتِ الْأَمْتَادِ بِمَجْدِ الْمَلِكِ

حينما تولى الامبراطور فريدريك الأول — إذا

صدقنا كثيراً من المؤرخين — استمد المسيحيون

لاحتياز البحر لفتح الأرض المقدسة . ولما بلغ الخبير

السلطان صلاح الدين ، وكان أميراً ضداداً بأواع

الفنائل وملكاً لبايل ، عزم على مشاهدة استعداد

الأمرء المسيحيين لتتمكن من حسن الخلق . فدبر

أمره بمصر وتظاهر بالذهاب إلى الحج وسافر متخفياً

بملابس التجار ، ولم يسلط غير صديقين وثلاثاً

من الخدم . وبعد ما جاب عدة بلاد مسيحية توغل فى

لومبارديا لىل إلى جبال الألب . وعند ذهابه من

ميلان إلى باقى صاف شاباً نبيلاً يدعى توديل

ديسترى قبيل النساء ، وهو من أهالى باقى . وكان

وراءه عدد عظيم من الخدم والكلاب والطيور

ليقتضى بضمة أيام على ضفاف تيزان فى بيت يملكه فى

تلك الجهة . فظن هذا الشاب أن هؤلاء ليسوا إلا

أمرء أجنبيين يسبحون فى الأرض ، فزعم على

مقابلتهم بكل احترام . وحانت تلك الفرصة إذ انبرى

أحد أتباع صلاح الدين ووجه هذا السؤال إلى خادم

من خدام الشاب : ما نأق من اللسافة إلى باقى ؟

وهل فى الامكان الوصول إليها قبل إقتال أبوابها ؟

فرد توديل موجهاً الكلام إلى صلاح الدين :

مهم أحد أتباعه ليدلهم على طريق باقى فأجابه :
« سأكون دليلكم في هذه المرة لأنني مضطر لقضاء
أعمالي هناك » ثم تابوا السير فوسارها في الساعة
التاسعة ، وظن المسافرون أنهم سيترجلون في تزل عظيم
ولكنهم دخلوا بيت توريل وشاهدوا نحو خمسين
رجلا في استقبالهم . وسار هذا الجمع أمامهم فقال
صلاح الدين : « ما هذا الذي سألتك إياه . ولقد
أكرمتنا الباردة أكثر من اللازم فترجو منك
أن تدعنا نتم طريقنا

— إنني مدين للحظ الذي أرسلك إليّ الباردة ،
وهو الذي أشكك طريقك ؟ ولكنني أرجو منك
أن تتكرم بقبول تناول الغذاء معنا اليوم ، وإن
هؤلاء الأصدقاء سيشرقونا إن سمحت بالجلوس إلى
مائدتنا . فاضطر صلاح الدين إلى القبول ، فنزلوا ودخلوا
دار مضيقهم فوجدوها منسقة بأبهى الأثاث وأغزر
الرياش ؛ ثم غسلا أيديهم وجلسوا إلى المائدة وقد جمعت
أطيب الطام وأغزر العصاف . ولو كان الضيف نفس
الأمباطور لا استطاعوا أن يهينوا له أغزر من هذه
الألوان ولا أبهج من ذلك التنسيق . ومع أن
صلاح الدين وصديقيه قد اعتادوا البذخ ولكنهم
دهشوا من هذا الاستعداد لأنهم كانوا يظنون أن
مضيفهم ليس إلا من أفراد الأهالي البادين لاسبداً
عظيماً . وبعد تناول الغذاء وتناول الحديث ذهب النبلاء
الاطاليون ليستريحوا من عناء القبط اللافح ، وليث
توريل وحده مع ضيوفه ؛ ثم دخل معهم إلى غرفة
خاصة حتى لا يمتحنهم أغزر وأمنع ما عنده ؛ ونادى
زوجه المحبوبة الفاضلة فأقبلت ترقل في أغزر الأبواب
مصحوبة بطفليها الجليين الرشيقيين وسلست على
الأجانب بكل لطف فقاموا وودوا التحية بأحسن منها

مضيفهم بأد الأسرار وأحبها

وكان صلاح الدين وصاحبه يجيدون اللاتينية
فأعجبوا بفصاحة مضيفهم الذي لم يروا مثله في آداب
وبلاغة قوله ورقة شائله . وكانت لدى توريل أعظم
فكرة عن ضيوفه . وأسمى مهموماً لأنه لم يتمكن
من إعداد وليمة فخمة يدعو إليها البلاد ليزيد في بهجة
الضيافة ، ولكنه عزم على إصلاح ذلك في الندى
ثم اصطحب ضيوفه إلى الحديقة وأرسل رسولا
إلى زوجه وكانت خيمة كريمة . وفي أثناء السمر سأل
بكل تأدب ضيوفه عن مقيمهم فأجاب صلاح الدين :
« نحن نجار من قبرص ، وسنمافر إلى باريس
لقضاء أعمالنا » فأجاب توريل بصوت جهورى :
حمداً لله الذي جبل بلادنا فتنتج ظرفاء يشبهون نجار
قبرص !

واستمر الحديث إلى أن جاء وقت المشاء
وتركهم يأخذون مجالسهم على المائدة كما يريدون . ولم
يكن المشاء غنياً ولكنه كان جيداً جداً . وقد ساد
عليهم الاخلاص والمهانة ولم يمكنوا طويلا على
المائدة ، وفكر توريل في تب ضيوفهم من وعناء
السفر فقام إلى أسرهم وذهب هو إلى سريره
وقد قام الخادم الذي ذهب إلى باقى بما عهد به
إليه خير قيام . وبمجرد ما سمعت امرأة الخبر أنبات
أسدقاء زوجها وجهاز وليمة فاخرة وهدت أعيان
المدنية ووجهاها واشترت غنفل الحرار والوشى
الدعوى والسجاجيد والفراء وجهازها حسب إشارة
زوجها

وفي الصباح ركب توريل جواده واصطحب
الأجانب إلى غمامة قرية وسرم برقة طيور سيده
حينما تخلف في الجو . ثم سأل صلاح الدين أن يرسل

والجلسوا وسطهم وطفقوا يلاطفون الأطفال . وبعد تبادل الحديث سألتهم بكل تأدب عن صفتهم وعن النرض الذى راحوا من أجله فأجابوا بنفس الجواب الذى قالوه لزوجها . ثم قالت : « حينذا لو تفضلتم بقبول هذه الهدايا الصغيرة لأن النساء طبيعتن ضيفات الارادة ، فذلك يملين الأشياء الصغيرة ؛ ولكنى قانئة بأنكم قدرون حسن نيتي قبل كل شيء دون أن تسيروا الهدايا أقل اهتمام » وقد أحضرت لهم أغفر الثياب بما يليسه الأمراء وقالت لهم : إن زوجي قد حصل اليوم على ثوب مماثل وأنتم اليوم مبيدون عن نسائكم ورحلتكم بعيدة والتجار يملون عادة إلى النظافة . ورأى النبلاء أن توريل لم يفته شيء فأجاب أحد الضيوف : « إن هذه الحلل ثمينة جداً ولا يمكن قبولها بسهولة إذا كان في استطاعتنا أن نرفضها أمام هذه الجمالة الحسنة والطف الزائد » وكان توريل قد تركهم منذ هنيهة ، ثم أقبل فودعهم وزوجه وقدمت كثيراً من الهدايا للخدم . وبعد درجا منهم زوجه أن يقضوا بقية اليوم عنده . وبعد أن أخفوا قسطهم من الراحة ركبوا الجياد للتريض في المدينة وعند مودتهم جهزوا لهم عشاء غنيا ثم طفقوا يتساقون إلى أن حان وقت النوم فذهبوا إلى مضاجعهم

نهضوا في الصباح إلى جيادهم ليسافروا فوجدوا مكانها خيلا قوية جميلة بدمدم حتى الخدم ، فدعس صلاح الدين وقال حينما صطف على أحماجه : « أقسم بالله إنه لا يوجد رجل كامل الفضائل حسن الجمالة بصير بالأمور مثل هذا الرجل . ولو كان ملوك النصرانية مثل هذا الفارس في شمائله ومكارم أخلاقه لا استطاع ملك بابل (صلاح الدين) أن يثبت أمام

الدين يستمدون لهاجته ولا أمام واحد منهم . وقد رأى أن لا قائمة من رفض الهدايا الجديدة فشكلوا له حسن منته وسافروا

وعزم صلاح الدين إن اقتصر في حروبه أن يرد جميل توريل وكرمه الخاتى ، وطفق يتحدث طويلا عنه وعن زوجه وسمعه المتع وشريف سجاياه وبعد أن طاف بجميع جهات أوربا الغربية رجع إلى الاسكندرية مزوداً بكل ما يلزمه من المعلومات وأنشأ يستمد للذراع

وحينما حان الوقت لسفر السبعين وأنهى الاستعداد على قدم وساق في كل مكان صمم توريل على الحاق بجيوش الصليبيين رغماً عن تولات زوجه وعبراتها التهمرة . وبعد ما جهز نفسه واستعد لركوب جواده قال لاسرائل : « سأنتع يا عزيزي الفرسان السبعين لصادق وإطمئنان نفسى وأوصيك برعاية أملاكنا ومصالحنا . إننى ممرض لكثير من الأخطار التى تحول دون عودتي ؛ وإنى أطلب منك منة واحدة وهى أن تنتظرينى هما كان مصرى عاماً وشهراً ويوماً من ابتداء سفرى »

— كيف أحتمل يا صديق الألام التى يسببها لى سفرك ؟ وإن لم توافنى منيتي فأيقن أنى سأحافظ على عهدى وعلى ذكرى توريل فى حياتك وعملك »

— إننى لا أملك فى إخلاصك ووفائك ؛ ولكنك مازلت ختية جميلة نيلة متعطية بجميع الفضائل . وقد عرفتك فىك الناس جميع تلك التماثل ومن المحتمل أنه بمجرد إشاعة موتى يتقاطر إلى إخوتك وأهلك كثير من النبلاء لطلبك ولا تستطيعين مقاومة أوامرهم ولهذا السبب طلبت منك الانتظار عاماً وشهراً ويوماً

وأجلسوا وسطهم وطفقوا يلاطفون الأطفال . وبعد تبادل الحديث سألتهم بكل تأدب عن صفتهم وعن النرض الذى راحوا من أجله فأجابوا بنفس الجواب الذى قالوه لزوجها . ثم قالت : « حينذا لو تفضلتم بقبول هذه الهدايا الصغيرة لأن النساء طبيعتن ضيفات الارادة ، فذلك يملين الأشياء الصغيرة ؛ ولكنى قانئة بأنكم قدرون حسن نيتي قبل كل شيء دون أن تسيروا الهدايا أقل اهتمام » وقد أحضرت لهم أغفر الثياب بما يليسه الأمراء وقالت لهم : إن زوجي قد حصل اليوم على ثوب مماثل وأنتم اليوم مبيدون عن نسائكم ورحلتكم بعيدة والتجار يملون عادة إلى النظافة . ورأى النبلاء أن توريل لم يفته شيء فأجاب أحد الضيوف : « إن هذه الحلل ثمينة جداً ولا يمكن قبولها بسهولة إذا كان في استطاعتنا أن نرفضها أمام هذه الجمالة الحسنة والطف الزائد » وكان توريل قد تركهم منذ هنيهة ، ثم أقبل فودعهم وزوجه وقدمت كثيراً من الهدايا للخدم . وبعد درجا منهم زوجه أن يقضوا بقية اليوم عنده . وبعد أن أخفوا قسطهم من الراحة ركبوا الجياد للتريض في المدينة وعند مودتهم جهزوا لهم عشاء غنيا ثم طفقوا يتساقون إلى أن حان وقت النوم فذهبوا إلى مضاجعهم

نهضوا في الصباح إلى جيادهم ليسافروا فوجدوا مكانها خيلا قوية جميلة بدمدم حتى الخدم ، فدعس صلاح الدين وقال حينما صطف على أحماجه : « أقسم بالله إنه لا يوجد رجل كامل الفضائل حسن الجمالة بصير بالأمور مثل هذا الرجل . ولو كان ملوك النصرانية مثل هذا الفارس في شمائله ومكارم أخلاقه لا استطاع ملك بابل (صلاح الدين) أن يثبت أمام

قال له : « إني ياسيدي من لومبارديا من مدينة تسمى ياق » وقد رجح هذا الجواب عن صلاح الدين ؛ وقال في نفسه : « لقد ألتج لي الله الفرصة لأعرفه بما تركه لطفه من الأثر في نفسي » وفي الحال أمر بتسيير جميع ملايحه في غرفة كبيرة وصحبه إليها قائلا : « انظر جيدا جميع هذه اللباس عليك تعرف منها شيئا » فرشح الايطالي طرفة في جميع اللباس قطع الحلال التي منحها فيها مضي زوجه إلى ضيوفه وقال : « إني ياسيدي رأيت حلتين تشبهان ما أعطيتك لثلاثة من التجار استضافوني » فلم يبالك صلاح الدين من كبح نفسه وعاقبه بمجنو قائلا : « أنت مستر توريل ديمتري وأنا أحد التجار الذين منحهم امراءك هذه الحلال . ولقد كان الوقت لأريك بضائمي كما قلت لك عند سفري »

شمر توريل في اللحظة والفرح والمجمل لمجيء مثل هذا السلطان في ضيافته والجلل لاستقباله استقبالا معه غير لائق بمركره

ثم قال له صلاح الدين بحماسة : « أيها الصديق العزيز ، أما وقد أرسلك الله إلينا فتبين أنك أنت وحكك السيد هنا لأنا » وبعد ملاطفته ألبسه أغفر الحلال اللوكية واسلمه أمام كبار رؤساء بلاطه وقدمه إليهم أحسن تقديم ، ثم أثنى عليه أطيب أنواع التثامو قال لهم : احتراموه كاحتراموني . فأطاع الكل بإشارته ولا سيما الدين اصطبحوه في ضيافة توريل

إن سرعة انتقال توريل من الأسر إلى المجد ألهمته من أمور لومبارديا ووطن أن عمه استمر رسالته وصادف في اليوم الذي أسر فيه صلاح الدين آلافا من المسيحيين أن مات منهم أحد النبلاء السمي

— ساعمل كل ما أستطيعه لتنفيذ وصيتك . وإن أرغمت على الزواج فلا يستطيع أحد أن يمنعي من العمل بوصيتك . وإني أسأل الله أن يقيقك لنا ذخرا وسندا » ثم بكى الزوجان وزعت امراءه غائما من أسبعها وقدمته لزوجها قائلة : « إن مت قبل رؤيتك فليذكرك في هذا الخاتم » ثم ودعهم توريل وسافر . ولما وصل إلى جندة ركب البحر مع فرقته . ولما بلغ عكا التحق بجيوش المسلمين . ولقد كان نصيب أغلب هذه الجيوش اللوث ونصيب الباقي الأسر وقادوم إلى عدة مدن . وكان توريل في من لم ينجموا من حسن حظ صلاح الدين أو من مهارته . ولا يعرف السبب الذي يزي إليه هذا النصر العام والنجاح السريع . ولقد اتقادوا توريل إلى سجن الاسكندرية ، وهناك لم يكن مرفوقا لأحد ، وخشي أن يرف . ولقد فكر في الطيور لأنه يحسن تربيتها وتدريبها

لم يرف توريل هذا الأمير ولم يفكر إلا في وطنه الذي حن إليه ، وقد هم أن يهرب هاربا ولكنه لم يتمكن من تنفيذ فكرته

وفي هذه الأثناء حضر بعض السفراء الجنوبيين واقتدوا عددا من مواطنهم . وحينما تهيأوا للسفر أعطاهم خطابا لاسرائه يرجوها فيه أن تنتظره ورجا من الذي عهد إليه الخطاب أن يسلمه إلى عمه الايه سان بير ليوصله بنفسه إلى عقيلته

وفي ذات يوم كان صلاح الدين يتحدث مع توريل في شئون طيور سيده فبدت منه ابتسامة مصحوبة بإشارة كان لاحظها صلاح الدين عند مضيقه في ياق ، فخلق فيه ضاودة الذكرى أنه رأى هذا الوجه يوما ما . فقال له : « من أي البلاد أنت ؟ »

«العلماء». ثم ذهب صلاح الدين مع كثير من الأمراء إلى الجناح الذي أقيم فيه ضيفه وقال له والدهم يترقب من عينيه : «أيها الصديق العزيز ، قد اقتربت ساعة فراقنا ولا أستطيع أن أحبك أو أرسل في صحبتك أحداً لطول السفر . ورجائي ألا تنساني وأن ترورني مرة ثانية حينما تنتظم أمورك ؛ وأمل أن تستمر المكثبة بيننا » فضقت توريل العبرات وقال بعض كلمات متقطعة من تأثره : «إنني لأأسى معروفتك وفضلك وشمالك النادرة . ثم عاقبه صلاح الدين مرثات ثم ودعه باقي الأمراء ومحبوه إلى الترفقة للمدة له

ثم استمد الساحر لعله وأقبل طيب ويده شراباً قائلاً لتوريل : جذا لو شربه ليقويه . ثم شربه فنام بعد قليل . ثم حمل إلى السرير المدة له وأخبأه ووضع صلاح الدين بجانبه تاجاً فخياً لوجهه ووضع يده دائماً حينما يقص لحد ، وقلد سيفاً مرسماً بأجل الأحجار الكريمة وسندوقين صغيرين من الذهب مملوئين بأندر الخلي التي لا يسع المقام وصفها ؛ ثم عاقبه مرة ثانية وقال الساحر : هيا إلى العمل . فغاب السرير في الحال عن عيون الحاضرين ، وبعد لحظة كان توريل في كنيسة سان بير في باق

دقت النواقيس مؤذنة بلحج النهار وكان توريل مائتاً نائماً . ولما دخل الكاهن ويده مصباح لمح فجأة هذا السرير الغصم الذي يأخذ الأبصار ، فارتعدت فرائضه وأسرع يمدو يداها وذهب إلى القمص والرهبان وقص عليهم الخبر فقالوا له : إنها أوهام استحوذت عليك ، ثم ذهبوا جميعاً وأوقدوا كثيراً من الشموع فأروا السرير وعليه رجل نائم وطلقوا يجتنبون هذه الجواهر من بعيد دون الاقتراب منها

« مسير توريل ذو ديني وكان غير معروف في الجيش فظن الناس أنه توريل ديستري لتشابه الاسم الأول وتأكد منهم بأسر توريل فأذاع بعض الايطاليين نفيه في بلادهم وأكعدوا أنهم شيخوا جنازه وكان لخبر موه الكاذب وقع سيء عند زوجه وأقاربه وأصدقائه . وظلت زوجه تنزف العبرات الحارة أليماً طويلاً ، وبعد اقضاء عدة أشهر خطبها للزواج كثير من أميان بلدها وألح عليها أهلها بالقبول فرفضت مدة طويلة وقالت لهم : لا بد من احترام للدة التي اشترطها زوجها قبل سفره

وبينا هذه الحوادث تمر في باق كان توريل يفكر في أمرائه وفي قرب انتهاء اللة التي اتفق عليها مع زوجه ففقد سوايه من النيتز والحنق ، وأضناه الحزن حتى لم فراشه وعنى الموت ليتخلص من آلامه

وحينما سمع بمرضه صلاح الدين وكان يحبه حباً جماً أسرع لبيادته وتوسل إليه أن يخرجه عن سبب مرضه ، فأعترف بالحقيقة ، فلامه لتأخره في الاعتراف وطماه قائلاً : « تأكد أنك ستكون في باق في الليام المهدد ، فراج من الأمير أن يسجل التنفيذ . دعا صلاح الدين ساحراً بارعاً جرب من قبل مهارته وكلفه بنقل توريل وهو نائم على سريريه في سواد ليلة واحدة إلى باق . فأجابه الساحر بأنه يلزم أن يسطيه أولاً شيئاً منوماً ثم يباشر عمله . وفي اللد أراد السلطان أن يسفر ضيفه فوضع في إحدى الغرف سريراً فخماً مزخرفاً بالخمل الزركش بأسلاك الذهب والآلات الكبيرة واللاس المنين ، وكان هذا السرير آية في جمال الصنع والفضامة ، وأمر بإلباس توريل حلة خفة وعمامة من أفخر

ولمها . ثم استيقظ توريل وتهدئاً طويلاً
فدفع القفس والرهبان وركنوا إلى الفراش . ثم
فتح توريل عينيه فوجد نفسه في المكان الذي
رجا صلاح الدين أن يرسله إليه ، ولج بجانبه من
صنوف الجواهر والحلي والتحف ما أكد له سمو
أخلاق صلاح الدين وكرم الحاشي . وقد لمح
القفس وم بولون الأدبار ذعراً منه فتأذى رئيسهم
باصم قائلاً : أما توريل ابن أخيك ، فزاد ارتداد
الرئيس لأنه كان يظنه ميتاً ، ثم رسم علامة الصليب
واقترب من السرير . فقال له توريل : « ثم تخاف
يا أبتاه ؟ إنني حي وأيت من وراء البحار » فاطمأن
عمه وراه لأبناً حلة هريمية فضمة وعمره جيداً رغمًا
من لحيته التي أرسلها ثم قال له : « أهلاً وسهلاً
يا بني ومرحباً ، لقد ذعربنا في إحدى الأسر لأنه
لا يوجد أحد في جميع المدينة لا يعرف خبر موتك .
وقد هدد زوجك أغربها فانضطرت للإذعان بألوان
وستكال اليوم وقد تم الاستعداد للحقة والعرس »
فأسر توريل الرئيس وجميع الكهنة ألا يخبروا
أحدًا بمودته ، ثم وضع جواهره وتحفه في مكان
أمين وأخبر عمه بمقتته من أولها إلى آخرها ، ثم
قال له : إنني أحب أن أذهب إلى العرس لأخبر
حالة زوجي وهياتها . فأرسل إلى الخليل يستأذنه في
الحضور مع أحد أسدقائه لقبيل بكل ارتجاع . فذهب
مع عمه بمحطة العريفة فالتفت إليه الأنظار ولكن
لم يعرفه أحد . ولما سئل رئيس الكنيسة من هذا ؟
قال : سفير صلاح الدين لدى ملك فرنسا ، ثم
أجلسوه أمام زوجته بالمصادفة فخرس فيها فوجدتها
عابسة مهمومة ، وكانت تطيل فيه النظر دون أن
تهتدي إلى شيء بسبب حلة العريفة وذويع

وفاته التي كان لا يشك فيها أحد
ثم فكر توريل أنه قد مات الوقت لاختبار زوجه
إن كانت عاقلة على ذكراه ، فوضع في أسبحة الخاتم
الذي قدمته له عند سفره كندكار منها ، ثم دعا
الخادم الذي خدمه وقال له : « إذهب وقل للروس
عن لساني بأنه قد جرت العادة في بلادنا أن الأجنبي
إن حضر عرساً فإن الروس لتبرهن له على
إكرام وقادته وحسن رعايته تقدم إليه كأساً مربعة
من النبيذ فيشرب منه ما يشتهي ثم ينظفه ويرده
إلى الروس فتشرب السور . ولتبرهن له على عطفها
عليه أحبت أن تقدم إليه كأس كبيرة من النبيذ
وكان توريل قد وضع الخاتم في فمه ثم شرب الكأس
كلها وأثنى من فمه الخاتم في الكأس دون أن يشعر
به أحد وعطافها وردها إليها ، فكشفت الكأس ولحت
فيه الخاتم فصرقه ثم حدثت النظر في هذا التريب
وصرخت صرخة دوى لها المكان وقلبت للمائدة التي
كانت أمامها وانطلقت تاللمهم وارتحت في أحضان
النيل قائلة : « هذا هو في الحقيقة سيدي وزوجي
وعززي توريل » ثم حاقته عناقاً عنيقاً ولم تحسب
حساباً للآخرين . ثم قص كل منهما حديثه وأخباره
من يوم سفره للآن وذهب الزوجان إلى منزلها وتركوا
الروس وشواره وهو يقبل كفيه من الحسرة ،
وهرع جميع من في العرس إلى بيت توريل بمظاهر
الفرح والبشر ، وأقبل الأسداء والخلان يهتفون
بالمودة وسط احتفال عظيم وموائد نصبت عليها كل
ما تشتهي الأنفس وتلذذ العيون ، ثم أعطى توريل
جانباً من التحف لزوجته عوضاً عن نفقات العرس
وجانباً آخر لعمه رئيس الكنيسة وعاش مع زوجته
في هناؤه ومادة أعواماً طويلاً محمد فاضل مهاب

وكسبها الروي والوشي ،
والقز والمز وعقلت للمصفر
ودقت الطيب ، وغطمت
أسرها في عين الخلق ، وورقت
من قدرها عند الأحماء .
فقال لها زوجها : أتى لك
هذا يا حرم ؟ قالت : هو

من القصص العبري

المرأة المدمنة

للأستاذ محمد فهد عبد اللطيف

من عند الله . قال : دعي عنك الجلة وهما في التفسير .
والله ما كنت ذات مال قديماً ، ولا ورثته حديثاً ،
وما أنت بخاتنة في نفسك ، ولا في مال بك ،
إلا أن تكوني قد وقتت على كثر . وكيف دار
الأمر قد أسقطت عني مؤونة ، وكفيتني هذه الثانية .
قالت : إلم أي منذريم ولما لي أن زوجتها كنت
أرض من دقيق كل عجة حنفة ، وكنا كما قد علمت
نخز في كل يوم مرة ، فإذا اجتمع من ذلك مكوك
بسته ١١ قال زوجها : ثبت أشرأبك وأرشدك . ولقد
أسعد الله من كنت له سكناً ، وإراك ابن جملت له
إلفاً ، ولهذا وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من القود إلى القود إيل » وإني على عرفك الصالح
وعلى منعك المحمود ، وما فرحني بهذا منك بأشد من
فرحني بما ثبت الله في حق من هذه الطريقة للرضية ١١
قال شيخ آخر يقرون له بالريسة ، ويقدرون
فيه الكياسة : حقاً يا أخوان ، إن موت هذه المرأة
المدرة للنافة فاجئة قافرة ، وخسارة لا تموض ،
وما أحسب زوجها إلا بأخا نفسه على أثرها حزناً
وحسرة . ومن فيكم ينكر أن « المرأة المدبرة »
هي زوجها كل ما يطلب في هذه الحياة من سلاح
الحال ، واستقامة الدنيا ؟ وإن لي شأناً مع زوجتي
في ذلك أحب أن أقصم به ؟ قد اشتكت أياماً
صدي من سعال كان أساسه ، فأشار على قوم
بالحرارة تتخذ من الشاهنج والسكر ومن اللوز

كأوا جماعة من أحباب الجمع والنخ ، ينتهون
الاقتصاد في النفقة ، والتنمية للمال ، والتدبير للزمن .
وقد سار هذا للمذهب عندهم كالنصب الذي يجمع على
التحاب ، والخلق الذي يدعو إلى التناصر . وكان
من شأنهم أن يجتمعوا أصيل كل يوم في مسجد
البصرة فهو مجتمعهم وخليتهم ، ينتهون منه ناحية
ثانية ، ثم يعمرون في شباب الحديث ، ولا حديث
لهم إلا ما يتصل بمنهم ، ويلائم محلهم من أخبار
أهل التدبير والاقتصاد ، ونوادر أهل التنمية
والإسماك للمال ، وم في ذلك كله إغا يلتمسون
الفائدة لشأنهم ، وللصالح لحالم . فتعالم في ذلك
قول الأول : « منذكرة الرجال تلحق الألباب ١١ »
قال الراوي : ولقد رأيته في يوم وقد جلسوا
مجلسهم ، والتفوا حلقة كعادتهم ، فما كاد يقر
قرارهم ويطعن بهم المكان حتى اندفع شيخ منهم
يقول بصوت متهدج ونبرة مستبينة ولهجة أسفة :
ما شأنكم اليوم يا قوم ؟ كأنكم ما شعرتم بموت
« حرم الصانع » ، وقد كانت من ذوات الاقتصاد ،
وصاحبة إصلاح ، ولما في التدبير شأن أي شأن
قال القوم : وما عندك من حديث هذه المرأة
عليها راحة الله ؟

قال : حديثها طويل ، ونوادرها كثيرة ، ولكن
أخبركم بواحدة وأحسب فيها الكفاية ، فقد زوجت
ابنتها وهي بنت اثنتي عشرة ، غلظها الذهب والنفقة ،

وهو أن يحمل كالمطاف ويسمر في جذع من جنوع
الصف ، فيطلق عليه كل ما خيف عليه من الثأر
والنمل والسنابير وبنت وردان والحيات وغير ذلك !
وأما المصرايح فأنه لأذكرك النذغة وبنا إلى ذلك أعظم
حاجة ! وأما خف الرأس والعصيان وسائر النظام
فسيبته أن يكسر بيد أن يرف ثم يطبخ ، فما ارتفع
من اللحم كان للصباح وللإدام وللمصيدة ولشعر
ذلك ، ثم تؤخذ تلك المطام فيوقد بها قلم بر الناس
وقوداً قط أسنى ولا أحسن لمبا منه ، وإذا كانت
كذلك فهي أسرع في القندر لثقة ما يخالطها من
الدخان !! وأما الأهاب والجلد فتسبه فجرا ،
وللصوف وجوه لا تدفع ! وأما الثرى والبر خطب
إننا جفف عجيب ! ثم قالت : بقي الآن علينا الانتفاع
بالهم ، وقد علمت أن الله عز وجل لم يحرم من اللحم
السفوح إلا أكله وشربه ، وإن له مواضع يجوز
ولا يمنع منها ، وإن أنا لم أفهم على ذلك حتى يوضع
موضع الانتفاع به ، صار كية في قلبي ، وقضى في
عيني ، ومهما لا يزال يباودني !

فانطلق في الفكر في ارتياد الحيلة ، ولكنني لم
ألبث أن رأيتها قد تطلعت وتبسمت ، فقلت : بيني
أن يكون قد اغتنى لك لبب الرأي في اللحم ؟ !
قالت : أجل ! ذكرت أن عندي قدوراً شامية
جداً ، وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في
قوتها ولا أصحح لحماها من التلطبخ بالهم الحار القس .
وقد استترحت الآن إذ وقع كل شيء موقه ! ثم
لقيتها بعد ستة أشهر كاملة قتلت لها : كيف كان
قنيد تلك الشاة ؟ قالت : بأني أنت ! لم يبيح وقت
القنيد بيد ! لنا في الشحم والألية والجنوب والعظم
وغير ذلك معاش ، ولكل شيء باصاخي إيان
قال رئيس القوم : حقاً حقاً ! لا يعلم الواحد
منا أنه من السرفين ، حتى يسمع أخبار الصالحين !
محمد فضحي عبد اللطيف

وأشبه ذلك ، فاستقلت المؤونة ، وكهرت الكلفة ،
ورجوت الصافية . فبينما أنا أدافع الأيام إذ قال لي
بعض الوقفين : عليك بماء النخالة فاحسه حاراً .
فحسوة ، فإذا هو طيب جداً ، وإذا هو يمسح ،
فما جعت ، ولا اشتيت الطعام في ذلك اليوم إلى
الظهر . ثم ما فرغت من غدائي وغسل يدي حتى
قاربت العصر ؛ فلما قرب وقت غدائي من وقت
عشائي طويت المشاء . وعرفت باباً من أبواب
التقصد ، فقلت للمجوز لم لا تطحنين ليلاننا في كل
غداة نخالة ، فإن ماها جلاء للصدر ، وقوتها غذاء
وعصمة ، ثم تحفظين النخالة بيد ، فتعود كما كانت ،
فتبصمين الجميع إذن يجل الخبز الأول ، ونكون قد
ربحنا فضل ما بين الحالين ! قالت : أرجو أن يكون
الله قد جمع لنا بهذا السال مصالح كثيرة ، لما فتح
الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدتك وصلاح
مماشك ، وما أشك أن تلك المشورة كانت من التوفيق !
قال القوم : صدقت ! فإن مثل هذا لا يكسب
بالرأى ولا يكون إلا سماوياً !

فأقبل شيخ من نهاية الحلقة يقول : حسبكم باقوم
حسبكم ، فلم أر في وضع الأمور مواضعها ، وفي توفيقها
غاية حقوقها ! كمادة العنبرية ، فأنها المرأة للدبرة بحق
قالوا : وما شأن مادة هذه ؟

قال : أهدى إليها العالم ابن عم لها أنحية قرأيتها
كثيرة حزينة ، مفكرة مطرقة ، فقلت لها : مالك
يا معاذة ؟ قالت : أنا امرأة أرملة ، وليس لي قيم ،
ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي ، وقد ذهب الدين
كانوا يدبرونه ويقومون بمحقه وقد خفت أن يضيع
بعض هذه الشاة ، ولست أعرف وضع جميع أجزائها
في أما كنها . وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في
غيرها شيئاً لا منفعة فيه ، ولكن للره يسبح لا عمالة ،
ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر إلى
تضييع الكثير . أما القرن فالوجه فيه معروف ،

حَاجِي يَا بَا فِي حَكِيمَا

تأليف جيمز موير
بمشاركة الأستاذ عبد اللطيف النشار

وأزال ألم من نفسه . وذلك النام
هو أنه رأى ميرزا شافي رئيس
الوزارة الفارسية مطروحاً على
الأرض والجلادون يضربونه على
قدميه . وقد فسر محمد بك هذا
النام بأنه دالة على هلاك عدوه

وأرسل إلينا وزير الخارجية
الإنكليزية مترجماً آخر غير الذي بث به معنا السفير
الإنكليزي في فارس . على أن مرفقة للترجم الثاني
بلتتنا كانت معرفة صحيحة، فهو فيها كأحسن للشيخين؛
وقد قرأ كل كتبنا الشهيرة، وتجري على لسانه أبيات
حافظ والسمدى كما تجرى آيات القرآن على لسان
المسلمين

وكاد السفير يكون سعيداً برؤية مترجه الجديد
لولا أن عاداتهما دلت على جبل سفيرنا بشقوتنا
الخامسة وبلغتنا نحن وبتاريخنا بالقباس إلى معرفة
للترجم...

وأخبرنا ذلك الترجم بأن وزير الخارجية
الإنكليزية ورئيس الوزارة سيزورانا ، فقلنا في
أنفسنا كيف يأتيان لزيارتنا دون اشتراط شروط فيها
يشلق باستقبالنا لها وموعده هذه الزيارة ؟ إن هؤلاء
الإنكليز بلا ريب لا يحفظون كرامتهم ، فإن أحداً
لا يزور — وهو في مثل هذا المركز — إنساناً
دون أن تسبق الزيارة مفاوضات طويلة . فمتدما
وصل السفير الإنكليزي إلى طهران أبى رئيس
الوزارة أن يزوره إلا بشروط خاصة . واتبع الأمر
بينهما بعد المفاوضات على أن تكون الزيارة في منزل
رجل ثالث محايد . أما الوزراء هنا فإنهم يلقون
بأنفسهم في أفراحنا دون أن تتكلف فتح هذه الأفراح

(٩)

الفصل التاسع عشر

وزير الإنكليزي بندر السفير

قضينا معظم الليلة في لندن ينتير نعم لأننا كنا
ننظر إلى كل شيء حولنا ونحاول أن نفهمه

وكان في غرفة نومي ستائر من قماش مماتل
للأحزمة ولكنه أرق منها . وكانت أعطينا تحية
جداً لم نمتد مثلهما في بلادنا ، وقد تبينا في
معرفة مواعيد الصلاة لأن الساعات عندهم لا تدار
على الحساب العربي إذ الشمس لا تؤثر في جوم
مثل تأثيرها في جونا ، فقد تكون الشمس مشرقة
منذ ساعة ولكن لون الليل لم يتغير . وقد يكون
باقياً ساعة على الغروب ولكن الأسيل في لون
الليل . وليس هناك مؤذنون ولا مساجد . ولا شك
أن تقسيم النهار والليل عندهم ليس كما هو عندنا فإن
ليهم طويل جداً ولا تبدأ الأصوات في أية ساعة
من ساعات الليل . وكانت الأجراس تدق بين حين
 وآخر . وكنا نحسها أذناً أنزكياً فقط ، ولكننا
وجدنا الأمر على خلاف ذلك لأنه يستحيل أن
تكون الصلوات في دينهم بهذه الكثرة

ولما استيقظنا في الصباح قال لنا السفير إنه رأى
مناماً وقصه علينا ففسره محمد بك تفسيراً أراضاه .

فأكد الوزير الانكليزي للسفير أن كل شيء سيكون وفق رغباته مع رعاية التقاليد الانكليزية . ولكن بما أن مقابلات ملك الانكليزا لا تكون إلا في أوقات محدودة فيحسن الصبر قليلاً حتى تمكن هذه المقابلة

دهش ميرزا فيروز من ذلك وقال : إن الشاه الفارسي مستعد للمقابلة كل يوم ، فهو يجلس كل صباح على عرشه فيقبل عليه السلاطنة والوزراء ورجال الدولة والأعيان وكبار الأجانب وكل من يشير عليهم التجمعون بأن الساعة ملائمة لمقابلة الشاه قال الوزير الانكليزي : إنه يأسف لأن التجموع في سماء انكلترا لا تستطيع تحديد الساعات لمقابلة الملك ، فإن هذا ليس من شأن التجموع بل من شأن كبير الأمناء

وأدهشنا الوزير أكثر من ذلك بقوله : إن مقابلة الملك لا تطول ، وقد لا يستغرق استقباله دقيقتين أو ثلاثاً ، وإنه لا تأتي أمامه خطب ولا يقال شيء إلا بعد عرشه على كبير الأمناء ووزير الخارجية بالنسبة للسفراء ، فامتص السفير من ذلك ولكنه كتم امتناعه

وبعد أن خرج من عند الوزير قال : « ما هذه المصائب التي وقتت على رأسي ؟ إنني اقتضعت ما بين الرجال ، وسيعيب الشاه بأنني إلى التركان لو علم أنني سودت وجهه إلى هذا الحد ، وسيحرق قبر أبي وأمي » . ثم التفت إلينا وقال : « أشيروا على ماذا أفضل ؟ أين أذهب ؟ لقد اسود وجهي . وشاهنا مستبد وهو لا يبال برؤوس الرجال إلا كما يبال الجزاء برؤوس النمل »

قلت : « الحق في جانبك يا جناب السفير ،

لكننا قبل كل شيء فارسيون ومن الذي ينكر على الفارسي تقوقه !

وجاء الوزير الانكليزي وليس معه غير كامين اثنين ، وقد جلسا أمامه قبل أن يستأذنه ، فقلنا ما أعظم الفرق بين وزرائنا وهؤلاء الوزراء ! إن الوزير عندنا رجل عظيم له روعة وسولة فهو لا يخرج من القصر إلا عاطفاً بمئات من الخدم ولا يمرؤ موظف تابع له على الجلوس أمامه بتير إذنه ، ولا يحبه إلا بأن يقبل طرف ثوبه وهو جاث على ركبته ، وإننا جرؤ أنس على المشي أمامه ضربهم الفراسخون حتى يشفق لهم وسودت أملأهم وتخربت منازلهم . إن الوزير عندنا يقول للشمس اشرقي قشقرق ، ويقول لها غيبي فتتجب

أما هذا الوزير الذي زارنا فإنه مسكين لا عظمة في نفسه ولا شيم . وقد جاء يجلس في أقرب مكان . ولكن نظرات عينيه كانت شديدة التأثير ، فلو أنه في بلادنا لسميناه عين الدولة . وهو فصيح تتدفق الكلمات من فمه تدفق السيل ، فلو كان في بلادنا لسميناه لسان الدولة . ولكنه مع فصاحته وتأثير عينيه لا يصلح مطلقاً للحكم لفقدان هيئته . وقد أكد لنا أنه لا يفرق في اللامعة بين أحد الانكليز وبين أحد النبوذيين الهندوكيين ، ففهمنا من هذا التمييز أنه لا يفرق أيضاً بين الخطأ والصواب ولا بين الحق والباطل

طلب سفيرنا إلى وزير الخارجية الانكليزية أن يقدمه للشاه الانكليزي في أقرب الأوقات لكي يقدم إليه خطاب الشاه الفارسي والهدايا الرسالة إليه وقال إنه ما كان يظن أن يتأخر كل هذه المدة دون أن يقدم للشاه مع أنه مندوب ملك اللوك شاه إيران

التي قد تقع أحياناً بين اللوك . ونحن لا نعرف هل فهم الوزير ذلك أم لم يفهمه . ولكنه على كل حال لم يراع اليقظة ، لأنه لم يشرب إلا قطرة من الفنتجان الحلو ثم رده ، فلما تقدم إليه الفنتجان المر عافه وصار شكل وجهه مضحكاً

لكننا عدنا بمجيء رئيس الوزارة قبل الزيارة بوقت كافٍ ، ولذلك استعدنا استعداداً كافياً ، فصنع لنا حمن الطبخ أسناًفاً ممتددة من البقلاوة وأسناًفاً أخرى من الحلوى فيها اللحم والحضار مصنوعين بالسل والتحقين إشارة لامتزاج جميع الصالح بين فارس وبين بريطانيا ، وأعدّ كذلك عدة أنواع من الشراب الذي امتازت به فارس

وكانت بعض زجاجة الشراب قد كسرت في طريق السفر فأفرغ الطبخ ما بها في أوان من الصاج بعضها أبيض اللون والبعض ذو ألوان أخرى . وقد وجدنا هذه الأواني بأماكن متعددة من للنازل الانكليزية التي نزلنا فيها . فلما رأى الترجم هذه الأواني وفيها الشراب أعرق في الضحك . ولما أخبرنا عن نوعها وما تستعمل له سترنا وجه الخجل بنقاب الجمل وحمدنا الله على أننا لم نشرب منها ولم نمرضها أمام رئيس الوزارة

أخيراً جاء رئيس الوزارة وهو في ثوب أسود كالذي يرتديه وزير الخارجية ، وليس هناك أي فرق بين الرؤوس وبين رئيسه . وقد أخبرنا للترجم أن هذا الثوب هو الذي يرتدونه أمام شاههم . ولهم يرتدونه الآن إجلالاً لسفيرنا

وكان شكل رئيس الوزارة كشكل الهراويش فهو متواضع رقيق . وأنه ليمهشنا أن تدار شئون دولة كبيرة يدبرونها مثل هذا . ففي بلادنا يكون

ولكننا فارسيون مسلمون ، فلما حلت بنا قهوة فانا فضل ؟ لا شيء ، ويجب ألا نلوم أحداً فهذا هو القضاء والقدر . وإن شاهنا مستبد بنير جلال ، ولكن هل هو مع استبداده يستطيع أن يُزل بنا ما لم يكتبه الله علينا في اللوح المحفوظ ؟

قال محمد بك : « لقد أسأب حاجي بابا يا جناب السفير فإن القدر لا مناص منه . إننا نأكل ونشرب ونحيا ونموت بقدر سابق لا شأن لاختيارنا وأعمالنا فيه . وإننا كان مقدراً علينا ألا نرى الشاه الانكليزي إلا بعد بضعة أيام فانا في استطاعتنا غير الصبر ؟ »

قال السفير : « وإننا كان في هذا التقدير أن نقطع رأسى فلذا إذن ؟ »

قال محمد بك بهدوء : « لا يكون شيء ، لنقطع رأسك إذن »

قال السفير : « ما شاء الله ! ألا أحاول حفظ رأسى على الأقل ! قل كلاماً آخر وإلا قاتى أقصم بنقن الشاه أن أجمل رأسك في مكان رجليك »
ولما رأينا حاله وصلت إلى هذا الحد تركناه لأننا نعلم ماذا يصدر عنه إذا اضجرت في صدره صراجل القصب

الفصل العشرون

رئيس الوزارة الانكليزية

كانت زيارة وزير الخارجية قصيرة جداً ولم تكن منتظرة ، ولذلك لم نستطع القيام بواجب ضيافته . ولو أنهم أهلوا هذا الواجب فلم تقدم له غير القهوة الحلوة علامة على حسن الشعور واللودة بين البلدين ، ثم القهوة المرة علامة على انتهاء الجفوة

إيران : وقد صدقناه لما تذكرنا صناعة السفن في انكلترا وما تستزمه من الأخشاب ، مادامت سفنهم على الشكل الذي رأيناه

وفي جلة من زارنا من وزراءهم وزير البحرية ووزارتهم أكبر الوزارات . وبالرغم من أن كثيراً من المدن الفارسية مثل بوشير وهرمز واستراباد ودرشت وغيرها واقعة على البحر فأننا في بلادنا لا نكاد نعرف ما هي السفن . وسيعتقد الفارسيون عند ما تعود إليهم ونعدهم بما رأيناه أننا نتلو عليهم قصة من ألف ليلة وليلة

وزارنا موظفون آخرون لم نستطع فهم أعمال كل واحد منهم ، فقد قيل عن بعضهم إنه في قصر الشاه ، وعن البعض أنه موظف بشير وظيفة ، وهو فضلا عن ذلك غير خاضع للحكومة بل رقيب عليها ، واسم هذا الصنف من الناس نواب البرلمان . ونحن نأمل في المستقبل أن نعرف الفروق بين بعضهم والبعض الآخر فأنهم في نظرنا رجل مكرر ، فتجائبهم واحدة وأخلاقيهم واحدة وثيابهم كذلك

ومن بين الذين زارونا رجل اهتمنا به اهتماماً كبيراً بالقياس لمكانته بمكانة نظيره في فارس وهذا هو رئيس التشريفات

لكنه تبين لنا أن الفارق عظيم بين الرجلين ؛ ف رئيس التشريفات في فارس يجب أن يكون من أسرة القاجار وهي الأسرة المالكة المشهورة بمسامحة لحاها . وقد أُنم الله على رئيس التشريفات الوجود الآن في فارس بلحية نكاد تكون أكبر من لحية الشاه نفسه . وهو يرتدى لباساً خاصاً ويتكلم بلهجة خاصة . وممرقه بأنواع الثجبات وضروب التملق لا تملأها معرفة . ولكن التشريفاتي الانكليزي

الشاه (كما يقول للترجم) رئيس وزارة نفسه وهو يضطر لتأييد نفوذه إلى سفك كثير من الدم في أول عهده بالحكم لكي يُهاب . وفي تركيا عند ما يعين العسكر الأعظم وهو رئيس الوزارة عديم فاه يبدأ عهده بإقامة الشانق وإعدام بعض أغنياء المسيحيين أو اليهود . ولكن رئيس وزارة الانكليز كما قال لنا بلسانه لم يقطع ولا يد لص ، ولم يندق أذن بائع على باب حانوت

فلمنا إليه طعام الانظار وهو شهي كما وصفته ولكن العجيب للدهش أنه لم يوافقنا فامتنع عن الأكل . وصار السفير يقدم له أحسن الأجزاء بأصابعه فيمتنر ؛ وقد ساءنا ذلك كل الاستياء لأنه من يصدق أن الذي يأكل لحم الخنزير لا تصجبه البقلاوة ؟

لكن هؤلاء الانكليز قوم مدهشون حقاً زارنا بعد ذلك عدد من وزراء الانكليز على التتابع ؛ وقد ظهر لنا انهم لا يعرفون مهمة الوزير ولا يعرفون أي شيء عن نظم الحكم ؛ فمن أمثلة ذلك أن لديهم وزيراً للتبائات !

وقد نتحكما عندنا في فارس لانسواي أجر خفير يحرسها التبائات عندنا في فارس لانسواي أجر خفير يحرسها فضلا عن أن يخصصوا لحراسها وزيراً ؛ ولكنهم فقراء ، والوقود عديم عزيز جداً لشدة البرد في بلادهم في الشتاء . وهم مع قفرهم مسرفون ، فلأرأد الشاه أن ييسل حكومته وفق نظام الحكومة الانكليزية لين وزيراً للصغارى ليجمعى ما فيها من التفتيل والمضارب والقتاب

ولما قلنا ذلك للترجم قال إن التبائات في انكلترا ضرورية لوجودها كضرورة الخيول والسيوف في

هؤلاء بما رضى به ملوكهم، ولكنني أعرف الشاه الذى أمثله . إن شامي يتربع على أقمع عربوش العالم . وإذا كنت تريد أن تعرف من هم جدوده فاني أعدم لك من عهد نوح . وكيف تقرر أسماء ملوكهم باسم ملك فارس ؟ إننا إلى الآن لم نسمع بأسمائهم فليكن أن تعرفوا فضلنا عليكم وتكفوا عن حماقتكم

قال للترجم : « ما هذه الكلمات ؟ هل تريد أن تنير عوائد البلاد ؟ وإذا اختار شاهكم أن يرسل لحيته فهل هذا يلزم ملكنا أن يفعل مثله ؟ أليس لكل أمة عوايدها ؟ »

فقال السفير : « لما جاء سفيركم إلى طهران فأبناهم مقابلة لا أتنازل عن مثلها . لقد ذهب إليه عم الملك لاستقباله . وكانت الجنود على السفين تؤدي له التحية ما بين مسكنه وبين القصر ، وألقيت قطع السكر تحت حوافر جواده ، وصدحت للوسيقى ورفعت الأعلام في السوق وأمر الناس بأن يؤدوا له واجب الاحترام وسمح له بالوقوف أمام الشاه . وأنى لأقسم بنقن النبي عليه الصلاة والسلام لا أذهب إلى القصر الملكى إن لم أقابل هذه القابلة . وكيف أذهب كما يذهب أى فرد من الأفراد مع أى ممثل ملك الملوك . لا بل إني سأعود هذا اليوم وأسأل الله أن يحفظني من الأهانة التي أردتم إرغامني »

قال للترجم : « هذا مطلبك وقد يرافق عليه الملك . وسأبلغ أقوالك هذه لوزير الخارجية . ولكن الملك قد يرفض مقابلتك بتاتا بسبب هذه الشروط »

هاج السفير ووقف وكاد الشرر يتطاول من عينيه وقال :

« أجبني في الحال هل أنا سفير أم لا ؟ »

رجل لا مظهر له ولا وجهة ، بل هو نحيف قصير وقد كان السفير مدة زيارته ينتظر أن يقول شيئا عن مقابلة ملك الانكليز ولكنه لم يقل شيئا وبعد ثلاثة أيام أخرى سمح لنا بذكر الزيارة فحمدنا الله على ذلك

الفصل الحادى والعشرون

ملك الانكليز

لما تحدد موعد الزيارة هيأنا الهدايا وحررنا قاعة بانواعها وحل السفير في جيبه خطاب الشاه وأمر بهيئة الخيول فعبشنا بالحناء بطونها وذيلها ، ولكن محمد بك أجرى حسابا لتحويل التاريخ الأفرنكي إلى تاريخ عربى فبين أن اليوم المحدد لهذه الزيارة « يوم أرباء سفر » وهو يوم مشئوم عندنا نحن الفارسيين

ولما طلبنا إلى الترجمة تغييره قال إن ذلك ليس فى الامكان ، فساله السفير عن كيفية الاستقبال فقال إنه سيكون كاستقبال أى سفير آخر

قال السفير : « كيف ؟ » فقال للترجم : « ستذهب في عربتك إلى القصر الملكى فيقابلك رئيس التشرىفات ووزير الخارجية فتقدم أوراق اعتمادك إلى الأخير أمام الملك »

قال السفير : « وهل تظننى أكتفى بهذه المقابلة ؟ »

فقال للترجم : « لماذا لا نكتفى بها وهى التي يقابل بها جميع السفراء ؟ ثم ماذا تريد أن يكون غير ذلك ؟ »

قال السفير : « وماذا يهمنى من سائر السفراء ؟ إن فى العالم ملوكا كثيرين يتعلمهم السفراء ويرضى

قال الترجم يهدوء وإن كان النضج يدب عليه :
« وهل ملكي ملك أم لا ؟ »
سفيرنا سيلم الدين يا كاون لم الخنزير أن أكلمهم
حرام !

ثم سار كل واحد منا يقول ما يلهمه الله إياه
من مدح السفير وذم الفرنجستان لتؤيد عظيمة شاهنا
في هذه البلاد
ولكن النهار اقتضى ولم يعد للترجم، وظننا
الانكيز لم يبقوا للمفاوضة . وخشى فيروز خان أن
يلتصوا بالشاه بواسطة سفيرهم أنهم لا يقبلون زيارتنا
للكهم ، فبشمت ميرزا شافى وبغهم الشاه أننا
أخفقتنا لأننا أجعل من أبى جيل ، والتفت إلينا
وقال : « ألم يكن ما قلته سوابك ؟ »
فأكدنا أنه أن ليس في الإيمان أحسن مما قال،
ولكنه سار يكرر هذا السؤال بين لحظة ولحظة
ونحن نجيبه نفس الجواب

وأخيراً فقد صيره فارسلى إلى منزل للترجم
لأدعوه إلي تناول المشاء معه في هذه القبة وكنت
أعريف أن أحد هؤلاء الفرنجة إذا غضب فلا يزول
غضبه إلا باتباع سياسة تدل على الهارة ... وذلك
كنت أمتى هو داره مفكراً غير مقدر النجاح .
ولكن الحبيب أنى وجدته هادئاً كأى واحد بعد
انتهاء المشاجرة أى كأنه لم يحدث شيء . وقد قبل
الدعوة للمشاء مع السفير

وعند ما وصل كنت مع ميرزا فيروز وكانت
مقابلتهما ودية كالعادة ، فوضع السفير يده على ظهر
الترجم وقال : « ما شاء الله ! لقد برهنت على أنك
رجل يا ميرزا . وهذا بلا ريب بعض ما استفدته من
فارس . أما الذين لم يسافروا إليها من الفرنجستان
فإنهم يفتبون غضباً حقيقياً . إنك رجل يا ميرزا
وقد عرفت كيف تبدأ بالنضج وكيف تنتهى منه .

قال الترجم يهدوء وإن كان النضج يدب عليه :
« وهل ملكي ملك أم لا ؟ »

ثم سمعناه يقول بصوت خافت كلمة باللسنة
الانكيزية هي (دمن) وهذه كلمة كنت سمعنا في
السفينة بين بعض البحارة والبعض كما سمعنا السفير
قال السفير : « هل تقول أنى دم ؟ أنا دم ؟
أنت دم وأبوك دم ! لسانا أبقى معنا ليقال عنى دم ؟
إبنى رجل كبير الأهمية في بلادى ، وسأحرق قبر
والديك لتعلم أنى لست دمن . إننى لم أطلع كل هذه
الأرجاء لأسمع منك هذه الكلمة »

ففتح للترجم عينيه وفه كالأبله ثم نظر إلى
ساعته ، ووضع قيمته على رأسه ، وأدخل كفيه في
قفازيه ، وأخذ عصاه وقال لنا : « أرجو ألا يقصر
الله ظلكم » ثم ترك اللزل

ولما كنا متنادين رؤية السفير في أوقات غضبه
فإننا لم نر فيها حدث شيئاً يخالف المتباد لأنه كان
يمثل دور المفاوض اللامر ، وهو يعلم أنه كلما زاد في
التظاهر بالغضب كان أقرب إلى النجاح في المفاوضة
حتى لا يشمت فيه خصمه ميرزا شافى

وبعد خروج للترجم أمرنا السفير وقتنا : إن
الانكيز في حاجة إلى من يلقهم درساً في حقوق
السفراء . وقلت له : « هم يظنون أنه ما دام لهم
عربيات وليس لدينا شيء منها ، وما دام ملكهم
ملكاً على الهند وليس لبلادنا بلاد أخرى تبينها ،
فهم أفضل منا . ويظنون أنهم بذلك قادرون على
إكراهنا على ما لا نريد . ولكنهم يأمرون وسنمهلهم
إن شاء الله همة سفيرنا كيف تكون النهاية بنا
وقال محمد بك : « نعم . نعم ! الله أكبر إن

لسنا بجانبكم إلا أرواحاً من الخشب ؟ إننا أمة متمدية
من عصر أو شروان ومنا جاشيد وجانكيز خان
وتكدر شاه وعبد أغان خان وقناح على خان
أجاب المترجم على أنواله جواباً أَرْضاه ثم حمى
بالشاه

الفصل الثاني والعشرون

ملك الانجليز

جاء اليوم الذى كنا نتمناه من عهد طويل
ولكن لسوء حظى كنت مصاباً بمنص في القلب
في ذلك اليوم، فكانت مرافقتى السفير في هذه الزيارة
من المحال واستأذنته في تركى بالزلزل . وأذن لى بنير
سموية . وأدهشني منه أنه سر بختلى عن الحضور
ودلى ذلك على أنه لم يزل يتبرئ جليوساً عليه لرئيس
الوزارة الفارسية

وكانت رؤية السفير في ذلك اليوم من المناظر
السارة فقد أثنى لبس ثيابه . والحظ أن الفرنجة
لا يفهمون كيف يكون إقنان اليباس فتحن نعرف
ضروباً من لف الحزام ووضع الخنجر فيه بأشكال
لا تهمه جيلة ، ولنا أساليب في إمالة القلب وإخراج
خصل من الشعر من تحت ، وغير ذلك من التفنن
في الأزي

وكان خنجر السفير وصيفه مرصعين بالجواهر
وعلى قلبه الريشة ، فقلنا عند رؤيته ما شاء الله !
ومضى السائس بصباه الطويلة أمام جواد السفير
ووراءه رجالنا تحيط بهم كوكبة من عساكر الانكيز
وعلى الصفين جنود انكليزية كان ضباطها يضحكون ،
وقد كان بعض المصورين في الطريق مستمدين
لالتقاط هذه الصورة البديعة

وكان في انتظار المركب على باب القصر خان

ولتفقد حافظ : « إن الحب الصادق كغضب الأحق
يستمر في التليان بعد أن تزول أسبابه »

فأجلب للمترجم : « أتعنى ألا يتبعى عهد صداقتنا ،
وقد أبلت رغبتك إلى وزير الخارجية »

ظهر الاهتمام الفجائى على وجه السفير وقال :
« ماذا ، وما الذى قال ؟ » فقال المترجم : « إن
الوزير قال إنه لا يرى سموية في استقبالك كما تريد ،
فصعدنا جنود كثيرة لا بأس من اسطفاك بعضها
على جانبي طريقك إلى القصر وعندنا عربات كثيرة
وأعلام أكثر »

قال السفير : « إن هذا عجيب جداً ، إن هذا
مدهش ! إنى لا أنهم عقولكم يا مشر الانجليز
فأنتم لا تميزون المصاحب ولا تتركون مجالاً
للمفاوضات » فقال المترجم : « ذلك في الأمور
التافهة فقط »

قال السفير : « هل تعدون مقابلة السفراء أمراً
تافهاً ؟ إنكم لم تفعلوا عشر ماتم له قارس . فهل كرامة
الملوك عندهم لا تعد شيئاً ؟ »

قال المترجم : « لقد كانت دول أوروبا في المصور
الماضية تسمى بمثل هذه الأمور التافهة . وكان المظهر
عندهم أجمل من مناه

ولكنهم بعد ذلك رأوا أن نخامة الاستقبال
ليست هي الدليل على الود فتركنا كثيراً مما تمسكون
به اليوم ، وقد كان أجدادنا أكثر تمسكاً به منك »
عند ذلك مشط السفير لحية بأصابعه وقتل
شاربيه وظهرت عليه علامة التفكير وشعر بأن
مكاته عند الفرنجستان قلت ، مع أنه لم يكن يرجو
بالثبث إلا زودنا

وأخيراً صاح . « وهل أنتم تظنون الآن أننا

وقال محمد بك : « نعم فأنك لما دخلت غرخته لم تخلع نعليك ولم تركح ، فذلك مالا يجب علينا لغير الشاه الفارسي »

فقال السفير : « نعم ، ويظهر أن أتباعه أنفسهم لا يخلعون ذلك فليس في غرخته عرش ولا مكان لخلع النمال ولا مكان للسيجود . وأنا وقفت على نفس البساط الذي كان للوك واقفاً عليه . وسلته خطاب الشاه يداً بيد ، وقد وقف الملك على قدميه عندما دخلنا وكنا كنا في مجلس واحد . والحق أقول أن هذا الملك ليمد طفلاً بالتقياس إلى ملكنا ؛ فليس في غرخته ففكة ولا مقرة ولا سيف ولا في حاشيته جلاذ . بل في اعتقادي أننا إذا أننا الملك لسا حوكنّا في حضرته ، بل كانوا يسلموننا إلى من يحاكمنا فيما بعد كما لو كنا نهين أي إنسان

قلت : « إن مكانة الملوك حقيرة في هذه البلاد »
فقال تقي الدين : « نعم ويظهر أنك حقيرة الضرب على القدمين غير مسموح بها هنا »

قال محمد بك : « نعم وقد أخبرني الترجم الانكليزي بأنه وإن كان الذي يستدى على ملك الانكليز لا يحاكم في حضرته ولكنه يرض رقبته لجبل المشقة »

فقال الرياخور : « إذن فألحال عندنا أحسن ألف مرة . إنني أفضل أن أضرب كل يوم لو شمت الشاه على أن أعلن على المشقة من أجل كلمة أقولها »
صاح السفير : « اسكت يا وغد ، لو سمحك الشاه لقطع لسانك ! أخرج من هنا »

وكان الرياخور أنا بك قد سمع كما سمعنا عند قدومنا إلى هذه البلاد ، أن الحرية مكفولة لكل إنسان وأنه لا يجوز التعصص إلا بواسطة القاضي ،

انكليزي كبير يقال له سكرتير الملك لم أستطع مراقبة الوكب كما تقدم فاكنتيت بأن أطل عليه من النافذة وهو ذاهب وصمت وصف المقابلة من محمد بك . وقد أيقنت أن مقابلة الملوك في تركيا وفي فارس أروع من مثلها في هذا البلد . وقد لاحظت أن شكل جيادنا أجمل وأقن من شكل الجياد الانكليزية فإن جياد إيران من جنس الجياد الروسية

انتظرت في صبر نافذ حتى رجع الوكب لأعرف تفصيل ما حدث في القصر . فقال لي السفير عند عودته : « لقد فأنك منظر رهيب يا حاجي بابا . لقد فأنك رؤية الشاه الانكليزي ! إنه أطيب الملوك كما يقولون . ولذلك يتفانى شعبه في محبته ، وقد أظهر لي من المعطف ما ليس يظهره إلا الآباء لأبنائهم ولقد اتضح لي أن المادات في القصر تختلف أمثالها في بلادنا . ولكن الملوك ملوك أيها كانوا وعلى أية حالة كانوا ، فالمعية تتجلى على هذا الشاه الفرجمستانى كما تتجلى على ملك الملوك في طهران

وقال محمد بك : « ولكن الفرق الوحيد أنك تقف أمام ملك الانكليز مطمئناً . أما الواقع أمام الشاه فإنه يمشى على رقبته من السيف ، وعلى رجله وظهره من المعصا ، وعلى يديه من السلاسل . وقد رأينا الواقعين أمام ملك الانكليز كأنهم يقفون أمام زميل لهم

نظر السفير إليه وإلى سائر الأتباع الذين راققوه في الزيارة وقال : « وهل تكلمت أمامه كلاماً حسناً ؟ » فصاحوا : « ماشاء الله ! إن أغلامون ما كان ليقول أجمل من هذا » وقال السفير : « لقد عرفت كيف أمثل الشاه وأحافظ على كرامته

ولكن المترجم أكد لنا أن كل ورقة من هذه الأوراق تمد في مقام زيارة . وقال : إنه إننا كانت الزيارات في انكلترا مثلها في فارس بمعنى أن الرجل يمشي برسول يعلن أنه قادم ثم يذهب بعد رجوع الرسول ويمكث عند المزور حتى يدخن ثلاثة غليونك ويشرّب فتجانين من القهوة ، فان أعمار الانكليز ما كانت تنسح لزيارتهم وأعمالهم

ولما سأله السفير عن الطريقة التي يرد بها هذه الزيارات قال : إنه سيطلع له مثل هذه القصصات ثم يذهب منه لتوزيعها على ميوت الناس

فضحك السفير ملء شديقه . ولشد ما كان سروره عند ما رأى اسمه مطبوعاً باللغة الانكليزية وعلى الأوراق الصغيرة التي جاء بها المترجم

وزارنا أمس آخرون يحمل كل منهم دفتر آفيه توقيعات أمس غتلفين ، وطلب إلينا أن نوقع على دفتره وأن نطيه (يفتشياً) كالآراك ، ونحن لا نعرف مهمة هذا الرجل ولا فائدة دفتره . وجاءنا رجل آخر يطلب البقشيش لأصدق أجراس الترحيب بنا يوم وصولنا . وما كنا نعرف أن الأجراس تدق للترحيب فعلى في بلادنا تدق لسير القوافل ، وهي في بلاد النمساوي تدق للعبادة . ولكننا أعطيناها على كل حال ما أراد

ثم جاء رجل آخر يقول إنه مندوب جريدة وأن مهمته أن يسجل أسماء الذين يزورون قصر الملك وينشر هذه الأسماء في ورقة كبيرة يبيعها ، ولا أعرف لماذا يشتري الناس هذه الأوراق ، وقال إن مهمته اختيارية فلم يكلفه أحد بها ، وأن من يدفع له مالاً يكافأ بكتابة اسمه في الجريدة . ومن لا يدفع يعاقب بإهمال اسمه ، فدفع له السفير ما أراد

ولما طرده السفير أبقي أن التقوية حالة به لا عالة ، فخرج مهرولاً إلى باب الطريق وهو يصيح : « أنا في عرض ملك الانكليز »

وما كادت هذه الكلمة تبلغ آذان السفير حتى كاد يمين من الغضب وأسرها باعتقاله وصاح : « أقسم بذنن النبي أني أكلتك في الحال ! كالتزه ! هاوا القص وأحلقوا لحيته وشاربيه »

فاطلقنا وراء أنا بك وجنتا به وطرحناه أرضاً ، وقام السفير وجلس على صدره وهو يقول : « سأكلتك في الحال وحق ذنن النبي ورأس الشاه » ثم أخذ للقص وقصن لحيته وشاربيه وأغا بك بصرخ ويستعير . وإذا كان أنا بك يستعير بك الانكليز فانه فارسي قبل كل شيء ، وقصن الاحية أكبر شمة عندنا نحن الفارسيين ذوى الشوارب الطويلة والحي الربيعة المرسلة

ولما رأى أنا بك أن الانكليز ومليكم لم ينفذوا لحيته وشاربيه أخذ يلتمسهم ثم واليوم الذي زار بلادهم فيه . وكان حزنه أبلغ حزن رأيت منذ رأيت حزينا إلى اليوم

وفي صباح اليوم التالي ركب جواداً عاداً به ولا نظنه يقف في الطريق حتى يصل إلى طهران

الفصل الثالث والعشرون

ملوك الهند

في اليوم الذي عاد فيه السفير من مقابلة الملك زارنا أمس غتلفو البرجلت . وكان عرضهم الأول من الزيارة ترك قطع صغيرة من الورق عليها أسماءهم وعمل إقامتهم ، والانكليز يستعدون أن ذلك تكرم لنا وقد عجبنا من ترك هذه الأوراق التي لا يرجى منها أي نفع

وهذان المكان من أعضاء هذا المجلس ، والحق أن هذا الكلام لم يصبنا ولم نفهمه ، والذي استطعنا أن نتقنه به هو أن الشاه الحقيقي في الهند هو الانكليزي الذي يقولون عنه نائب الملك وأن هؤلاء الملوك ليسوا إلا سفراء له هي الحكومة الانكليزية مثل فيروز خان سواء بسواء . ولما سألنا عن دينهم فهمنا أنهم يبدون الشمس والثيران وبأكلون لحم الخنزير

الفصل الرابع والعشرون

ملكة الانكليز

أصبحت الهدايا التي أرسلها السفير إلى ملك الانكليز موضوعاً لحديث أهل المدينة . وعلنا أن نساء الأحرار والوردات ذهبن إلى الملكة ليرين الشيلان والجواهر والمصوغات التي أهديتها لها . وعلنا أن في القصر الملكي رجلاً رتبة تعادل رتبة خان يؤدي وظيفة التشريفاتي للملكة فلا يقابلها أحد إلا بإذنه ، فهو ليس مثل الأنا في القصر الفارسي وقد وصلتنا دعوة من هذا الخان لزيارة الملكة

وقد كان سفيرنا خائفاً من الذهاب بالرغم من وصول الدعوة إليه ، وسأل المترجم : ليس الواجب أن نستأذن ملك الانكليز ؟ فأكد له أنها تستطيع أن ترى كل من تريد رؤيته من الرجال ، وأنه لا داعي إلى الاستئذان . فلما رأى السفير أن هذه عوائد حقيقة قبل الدعوة التي موّعدها في اليوم التالي وأخذ الكتاب المرسل إليها من كبيرة زوجات الشاه

وقلنا نحن ذاهبون نرى زوجة الشاه الانكليزي وبناته وأجل الجلبات في الحاشية . وهذا الحظ لا يتفق إلا لقليلين ، فالحمد لله على ذلك . وإننا كان النساء الماديات اللواتي زاهن في الطريق بمحيطنا

وقد كانت كل لحظة تمر تريدنا خبرة بأحوال الانكليز وعاداتهم ، وكلها عجيبة غريبة ، وكنا نتناقش كل يوم مع المترجم في كل ما نراه . وفي يوم من الأيام جاء المترجم مهزولاً وقال : إن اثنين من ملوك الهند سيوزوراننا اليوم فكدنا نذهل ، وقتنا في أنفسنا كيف يمكن أن يأتي الملوك للزيارة بشير مقدمة ولا سابقة إنذار . وقتنا إلى التوافد مسرعين ونحن نتوقع أن زاهما في مواكب تركب الأفيال . ولكننا لمعشتنا رأينا عربة قدرة فيها رجلان ليس معهما حاشية ولا جنود . وسألنا المترجم كيف يمكن أن يكون هذان الرجلان من الملوك ، فقال إنه من الصعب تفسير الأمور في وقت قصير وأنه سيشرحها لنا بعد انقضاء الزيارة

وأدركتنا الحيرة في الطريقة التي يجب أن نستقبلها بها ؟ فلما جاءا اتضح لنا أنهما في نهاية البساطة ، ولا فرق بينهما وبين أي سوق في بلادنا ، وهما يحملان ذنبيهما كالكفار ويلبسان ثياباً عادية وليس عليهما أي مظهر من مظاهر الراجاه

ولما انقضت الزيارة نظرنا من النافذة فلم نجد العرب في انتظارهما ويظهر أنها عربة كراه . وسار الملكان على قدميهما ، قلنا سبحان الله ! أهكذا يكون ملوك الهند القديعة التي يرجع إليها عهد حضارتنا ... الهند ذات الجواهر والأفيال يحكمها أمثال هذين التشردين ١

ثم قال لنا المترجم إن ملوك الهند ليسوا مثل سائر الملوك فإن إيراد بلادهم يأخذه الانكليز ، وهم مهزوسون في الهند لرجل انكليزي ينوب عن ملك انكلترا وهو مهزوس هنا لوزير انكليزي لقبه وزير الهند . ولهذا الوزير مجلس يحضره ملوك الهند

لقد أجب بأن الخطاب حرره منشى الدولة
 فلما ترجم هذا القول للملكة ابتسمت، ولكننا
 لم نفهم هل كان ابتسامها ابتسام إعجاب أم سخرية ؟
 ثم عرضت عليها الهدايا فلم يستلفت نظرها
 بوجه خاص إلا ثياب المرأة الفارسية ، وهي حقاً
 جديدة بالإعجاب، فهي مطرزة بالذهب المرسع بالأحجار
 الكريمة . وأخذت الملكة تسأل عن أشياء كثيرة .
 واجتمع سيدات القصر حول السفير وهو يشرح
 للملكة كيف تلبس السيدة هذه الثياب ، وأبدى
 ملاحظات كثيرة عن القميص القصير والحلية
 النسوية . وقد تمكن كثيراً بالرغم من وجود الملكة
 بينهم عند ما رأين أجزاء من الثياب مخبى بالقطن
 ليظهر مادنوها من الجسم كبير الحجم . وأبجبت
 للملكة بمعرفة الفارسيين وحكمهم عند ما قدم إليها
 السفير النصوص التي تمنع السحر والعين والنصوص
 الأخرى التي تمنع الأمراض والتي تجبر الكسر
 في أقل من شهر
 ولقد استرعت الملكة اهتمامنا بكثرة أسئلتها
 حتى شغلتنا عن النظر إلى بناتها الجميلات اللواتي
 نأنس العين برؤيتهن ويستمتع الخيال بالتفكير فيهن .
 والحق أنني لم أرميها أشبه بيون الفزلان من
 عيون هؤلاء الأميرات ولا أجساداً أشبه بالحري
 من أجسادهن
 ولما فرغت الملكة من أسئلتها بدأت يسألنا
 أيضاً ، وكنت كلما وقع نظري على إحداهن أقول
 في نفسي : « ماشاء الله ! عوذت بجمال من عيني
 باسم الله ! » وأتساءل كيف يرضى رجال هؤلاء
 الجميلات بسفورهن ، ونصرن على إخفاء أوجه
 نساتنا ؟ وقد سألت الملكة هل بناتها متزوجات

ويقتلنا كل يوم بروعة جمالهن فكيف تقبل بقلوبنا
 التي سبت قلب شاه الفرجستان ؟ إن نظرة واحدة
 إليها وإلى الأثوار اللواتي حولها ستقتلنا وتصبينا
 لبس السفير أجمل ثيابه ومشط شعر رأسه
 ولحيته وتعليب بالملك . وضعت مثل ذلك ورفضت
 شاربى حتى وصل طرفنا إلى عيني . وسكنت في
 الماء الذي اغتمست به زجاجة من ماء الورد . وركبنا
 إلى القصر الملكي فلم يقابلنا إلا الرجال . ولم يد أى
 دليل على أن يأنزل نساء
 وأجلسنا في دعة مفروشة بأبدع الزئرش .
 وبعد انتظار لحظات ظهرت الثياب النسوية تحظر
 فيها الجميلات عن يد وبينهن أمير من أبناء الشاه
 ولما وقفنا وهبنا لاستقبال الأميرات والأمير
 تبين أنهن وإياه في جملة الخدم وأن الأميرات لم
 يظهرن بعد
 ولقد خجلنا من مسلكتنا أشد الخجل وعدنا إلى
 الجالوس ، ثم ظهر تشريفاتى للملكة ومعه امرأة عجوز
 قال إنها هي صاحبة الجلالة فدهشنا ، لأنه ما الذي
 يحمل جلالة الملك على البقاء مع عجوز كهذه وفي
 بلاده آلاف من الصبايا الجميلات ؟ ولقد كانت
 نظراتها كنظرات الرزءاء لا كنظرات النساء ، فلا
 رقة ولا دلال ولكن سطوة وهيبة . وسألت
 السفير أسئلة لا يلقى مثلها إلا العلماء ، فهي أسئلة
 صعبة جديدة بأن نجر العالم الحصيف
 ولما قدما لها خطاب كبيرة زوجت الشاه
 سألت هل هذا الكتاب مكتوب بخط يدها ؟
 فرأيت علامات الخجل على وجه السفير لأن الكتابة
 ليست من شئون السيدات في فارس فهذا كان
 يستطوع سفيرنا أن يجيب ؟

ولما كنا كانت الملكة في نظرها أكبر كثيراً مما كنا نظن قبل أن نحادثها، وكان كل يوم يمر بنا يلطنا شيئاً . وما كان غرضاً أماننا في شأن النساء أصبح الآن واضحاً جلياً

الفصل الخامس والعشرون

الصورة والمأكل

شغلنا بمن زورهم ويوزوننا حتى كدنا نفسي أننا مسلمون وأنا نعيش في بلاد غير مسلمة ، وأعلمنا الوضوء والصلاة بالرغم من أن محمد بك كان بينهما كل يوم إلى هذا الواجب . ويؤبنا على تركه ويحذرنا من أن نصبح مثل الذين يعيشون حولنا ، والذين لا يبدو عليهم أنهم يدينون بأى دين .

وكان محمد بك مشتغلاً بالبحث عن الاتجاه الصحيح للكعبة الشريفة ، لأن مباحثه منذوصلنا إلى انكلترا لم تقمه . وكانت الأثرة المنطمة « البوصلة » قد كسرت منه . وأية فائدة ترجى من الصلاة إذا كانت وجوهنا مولاة نحو بقعة قفرة من الأرض لا نحو الكعبة الطاهرة ؟

وكان من سوء حظنا أيضاً أننا لم نر الشمس مرة واحدة منذ وصلنا إلى هذه البلاد ضحقت لبنا ما كنا نسمعه في فارس من أن بلاد الانكليز لا تزورها الشمس

ولما كاد يأس من معرفة القبلة وكنا جالسين مع السفير أقبل علينا محمد بك وهو يصيح : خير سار ! لقد ظهرت الشمس . فأطلقنا من النافذة ورأينا السحاب خفيفة في شكل بخار ومن ورأينا قرص الشمس ولكن ليس شرقاً كالشمس التي تظهر في سماء فارس ، فان للأخيرة لا يمرؤ إنسان

فأدهشنا حين قالت أنهم لم يتزوجوا إلى الآن . وأنى لأتجب من تأخر زواجهن ومن بنات الملك مع أن من تبلغ هذا العمر في بلادنا ضد بثرة ؟ وقال السفير للترجم : « لماذا لا يقبل شاهكم مثل شاهنا فينم على وزرائه يبناه ؟ إن أكبر مكافأة عندنا للوزير أن ينم عليه الملك بمرس من الأسرة المالكة ، وإذا لم يسجد الوزير شكراً للشاه على هذه النعمة فان رأسه يجبل في الحال مكان رجليه . والحق أن ملوكنا يديرون هذه الشؤون أحسن مما يديرها ملوككم

ولما استقصينا في السؤال وجدنا أن الزواج في الأسرات المالكة أقرب إلى الزواج عند المسلمين منه عند النصارى ، لأن الحية ليست شرطاً في الزواج ولا ضرورة لسابقة المقابلة . ويكنى أن يقول الملك لبنته إنها أصبحت زوجة لأمير ما تقبل طائفة أو مكرهة ؛ وهذا الزواج عندهم يدعو به الزواج السياسى والحالة مثل هذه مع الزوج من البيوت المالكة

وحس السفير في أذن المترجم سائلاً : أليس في هؤلاء السيدات جارية رقيقة للملك فرما كانت الرقيقات توجدن سرراً في قصور الملوك دون غيرهم ، فساد المترجم إلى التأكيد باستحالة وجود الرقيق في هذه البلاد

سأله السفير : أليس فيهن مريات أو راقصات أو خدامات سرير أو وصافح حمام . فأجاب المترجم بالسلب وهو يتنهم ثم قال : إن هذه الضروب من النساء لا توجد إلا في التصور الملكية . وإن الرقص في انكلترا يخالف الرقص في فارس ، ففى انكلترا يرقص الرجال مع النساء ولا تأخذ الراقصة أجراً ...

باسم الله على قاعة الطريق ليفهم الانكليز أننا لا نأكل لحم الحيوان الميت كما يأكلونه، واطمأنت قلوبنا إلى الطعام الذي نأكله أكثر من أى وقت آخر منذ غادرنا البلاد الاسلامية . وصار المؤذن ينادى في أوقات الصلاة بالأذان الاسلامي . وقال محمد بك إن الصلاة في هذه البلاد غير الاسلامية أقل بركة منها في بلاد مسلمة . وأشار علينا بأن نضاعف عند الصلوات حتى يقبلها الله من هذه الأرض غير الطاهرة

ولكن ملاحظته هذه منعت أكثرنا عن الصلاة بنائاً ، وقلنا إنه ما دامت البلاد نجسة فاقائمة الصلاة فيها ؟ إذن فلنفرق صلاتنا حتى نمود إلى فارس وعلى ذكر الصلاة أقول إنه من اليوم الذي ظهرت فيه الشمس في بلاد الانكاز أمكننا أن نضبط ساعاتنا على الحساب الربى لأننا جيلناها اثنتي عشرة عند الغروب . ومواعيد الصلاة الأخرى معروفة يمددها ويقربها من هذا الوعد . أما الانكليز فكل شيء عندهم غريب . والساعات عندهم لها حساب آخر حيث يبدأ يومهم من منتصف النهار اجترأنا على السير بغير دليل في طرقات لوندرا بالرغم من استغراب الناس هيئة ثيابنا وتعجبهم منا ، فأننا كنا نمد كثيراً عن مكان السفارة . وكثيراً ما ضلنا طريق العودة لأن الطرق عندهم كثيرة الشبه فكل البيوت مبنية على نظام واحد . وكل الشوارع باتساع واحد وطول واحد ، ولكنني احدثت إلى طريقة نأمن بها الفضال في أى طريق وذلك أني كنت أحمل مئ قطعة من الطباشير فأضع على كل ركن علامة أهتدى بها في طريق العودة

على التحديق فيها . أما تلك الشمس الانكليزية فان الانسان ينظر إليها ساعة أو ساعتين دون ميالة كما تنظر في بلادنا إلى القمر . ولكننا مع ذلك استبشرنا بظلمتها وأخذ بعضنا ينظر إلى البعض ويقول : « مبروك » وعرف محمد بك بالهفة موقع الكعبة !

لكن هذا الحادث دل على أن الانكليز يجهلون كل شيء عن ديننا ، فان الوجوديين منهم في مجلسنا فهموا من فرحتنا بظهور الشمس أننا نبيدها . وقال أحدهم ذلك للسفير ، فغضب وانفث إلى وقال : « ما هؤلاء الانكليز كيف يفهمون ؟ إننا لو كنا نعيد الشمس كما يصور ، فأننا لنستكشف أن نعيد شمهم هذه التي لا يقوي نورها على اختراق السحاب » وانفث إلى الترجم وقال : « أخبر هذا الميرزا بأن الله لم يرسل نبينا إلا للحاربة الوثنية »

لكن هذا الميرزا الانكليزي لم يقمته الجواب وأخذ يبادلنا مستشهداً بتاريخ فارس قبل الاسلام وقد تبين من مناقشته أنه يتلن أن الفارسيين لا يزالون على عقائدهم القديمة مع خلاف يسير أدخله المسلمون في بلادهم . وسألنا ألسنا نقطع رؤوس الخيل تكرماً لظهور الشمس ؟

فقال السفير مازحاً : « لو كنا نفعل ذلك في شمسنا الحارة فأننا في بلادكم لا قطع إلا ذبول الخيل وقد لاحظنا أن الانكليز لا يفضيرون من المزاح فان هذا الميرزا الانكليزي ضحك وقال إن الشمس جدرة بأن تعبد على كل حال

ولارأينا القوم يجهلون ديننا أسردنا على أن نبأشر أمور الدين علانية ليفهموا أننا متدينون وأن ديننا يحترم ، وعلى ذلك سار أتباعنا يذبحون البناح

وشمر عن ذراعيه . وقد فهمت أن حركته هذه عدائية ، بالرغم من أن نزع القبعت علامة على الود بين هؤلاء القوم

وفي هذا الميعاد صرّ مترجم السفارة فناديته ليترجم بيننا وبين هذا الرجل . ولشد ما كانت دهشتي عندما رأيت مترجماً الانكليزي وقد خلع سترته وقيمته أيضاً وشمر عن ذراعيه ، وتلا كما ملاكة دلت على الشجاعة من كليهما . فلما تمكن المترجم من إصاصة الآخر في وجهه تصاعفاً وكأه لم تكن بينهما حالة عدائية ، وأفهمنا المترجم أنه إنما فعل ذلك بالنيابة عنا ، فشكركم . وقد كنا نسمع عن كرم العرب في قرى الضيف ولكننا لم نسمع أن أحداً يلاكم الناس بدلاً من ضيوفه . وهكذا نعر لحمد بك أن يضرب ولكن على جسم المترجم

وعدنا دون أن تتم الصلاة إلى دار السفارة وأخبرنا السفير بما حدث فدهش من أخلاق المترجم

الفصل السادس والعشرون

البرطانية الانكليزية

في ذلك الوقت كان في المدينة حركة غير عادية . لم يبق فرد واحد من الانكليز لم يهتم بهما ، غفلت البيوت بمن فيها وازدحمت بهم الشوارع حتى صار من الصعب أن يجد المرء لنفسه مكاناً بين الطرقات . فذكرتنا هذه الحالة بمودة الشتاء إلى طهران من غزوة أو رحلة طويلة . وسألنا عن السبب فسمعنا إجابات مختلفة

قيل لنا إن أكبر مجلس في الله ولسيفد اليوم ، وقيل إنه بالرغم من أن البلاد أفت كتاب وكتاب في القانون قائم لا زالون بحاجة إلى قوانين

وفي يوم من الأيام خرجت مع محمد بك وهو كما عرف القراء شديد المحافظة على شئام الدين . فلما وصلنا إلى حديقة عامة في ضاحية من ضواحي المدينة ، وقف على الحشائش الخضراء ودعاني إلى الصلاة . وكانت الحديقة غاصة بالنادين والمؤمنين إذ يظهر أن ذلك اليوم كان عيداً من أعيادهم فلما نادى محمد بك : « الله أكبر الله أكبر قد قامت الصلاة » اجتمع حولنا كل من في الحديقة وأخذوا يحمقون فينا ، فلما بلغنا من الصلاة السجود أخرج كل منا قطعة من الطين طاهرة من أرض (كربلاء) ليضع فوقها جبينه . والقراء يرفون أننا مسافر الفارسيين لا نسجد فوق كل أرض . وذلك يحمل كل منا في جيبه قطعة من أرض كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي عليهما السلام ليسجد فوقها . وهذه القطعة تصب بشكل جميل وتكتب عليها أسماء الأئمة الاثني عشر

وإني أعترف لك بالحقيقة فأقول إني غير شديد الحرص على الصلاة فأنا لا أصلي إلا إذا كنت في خطر ، وإلا إذا رأيت من حولي ينتظرون مني أن أصلي . ومن أجل هذه الحلة كان سروري شديداً بالصلاة أمام هذا الصمد الجرم من الناس

لكنه لما عدنا إلى الوقوف بعد السجود تركنا قطعتي الطين على الأرض لتسجد السجود عليهما في الركعات التالية . وبلغ من وقاحة أحد المتفرجين أن مدّ يده فامسكها وأخذ يربها لمن حوله ، وهو نصراني يمس ، والقطعة طاهرة مقدسة ، فلم يكن في وسع محمد بك إلا أن خرج من الصلاة ولطمه على وجهه . وخرجت أنا أيضاً من الصلاة وانتظرت ماذا يكون ، فرى الانكليزي قطعة الطين وخلع سترته

إن المجلس إنما لم يرض عن هذه الخطة فإن الملك يكون مضطراً عندئذ إلى طرده وزرأه
وصلت الدعوة إلى السفير لحضور هذا الاجتماع
قبلها مسروراً . ولكن الدعوة كانت قصيرة على
اثنين فقط هو ومترجمه . ولذلك حومت أنا وسائر
أعضاء السفارة من رؤية هذا الاجتماع . واكتفينا
بأن نقف في الطرق لنرى موكب الملك وهو سائر
إلى هذا المجلس . وما كان أنعم هذا الموكب ! لقد
كان فيه كل القواد والوزراء ونجبة من كل فرقة
عسكرية برية أو بحرية . ولا أعرف كيف يمكن
التوفيق بين إجلال الملك بإظهار الولاء له وبين
استظهاره ومحاسبته على التفقات وحرمانه من سلطة
الحكم ؟

وقفنا تحت ظل شجرة ، وكان الزحام حولنا
شديداً فاسترعيانا أنظار الناس حتى انصرف الكثير
منهم عن النظر إلى الموكب إلى النظر نحونا
وقبل ظهور الملك سمعنا هتافاً غريباً يشبه نواح
النساء عندئذ ، ولكننا فهمنا أنهم يريدون به التهنئة .
والتريب أن هذا الشعب متفان في حب ملكه وأنه
في الوقت نفسه لا يريد أن يترك له شيئاً من الحكم
ولما لم تبق إلا خطوات على عرش الملك صعدنا
على الشجرة متسلقين لتسكن من مشاهدته فأسمع
الناس إلى إنزالنا وكاد يحدث ما لا نحمد عقباة لولا
أن أحد الواقفين عرفنا — على ما يظهر — فشفع
وقال إنه مهما يكن ما فعله فإنه صادر عن الجهل ،
ثم شيمنا إلى التزل وأخبرنا أن القوي فلتنا أمر
كبير في هذه البلاد . وسألنا لانا يامل الانكليز
هذه المأمة ؟ فقال إن الشعوب لا تدرك الحقائق
كما هي فلما حارب الجيش واتصر نسبوا ذلك إلى

جديده . وقد حمدنا الله عند ذلك على كمال ديننا فإنه
ليس لنا إلا قانون واحد هو القرآن وليس فيه
تفريط في شيء . فلتنا في حاجة إذن إلى أي قانون
آخر . وقيل إن هذا المجلس سيجتمع ليحاسب
الشاه الانكليزي ووزراءه على التفقات التي يتفقونها.
والحق أنه لو اجتمع في بلادنا أناس ليحاسبوا الشاه
على تفقاته لنصبت لهم للشائق ... وقيل بل اجتمع
هذا المجلس للبحث في مسألة ما زالوا يحضونها منذ
مائة عام دون أن يقدموا خطوة واحدة ، وهذه
المسألة هي هل تبقى أيرلندا خاضعة لحكم الانكليز
أم يتركونها ؟ وإيرلندا هذه جزيرة أخرى تريد أن
تفصل عن حكمهم وهم لا يقررون تركها أو البقاء
فيها بل يجتمع مجلسهم منذ مائة عام للنظر في هذا
الطلب . وفي هذه الجزيرة سبعة ملايين من الناس
يعتزون وينشأ يعلم مثل عديم وهم راضون عن
إرجاء طلبهم كل هذا الأجل . ونحن لا نعرف لانا
يسلك الانكليز أو الأيرلنديون هذا المسلك ؟

وقد حول السفير على أن يعرف عن هذا المجلس
كل ما تستطيع معرفته ليكتب عنه إلى الشاه ليدرك
الفرق بين قوة سطوته وضعف الموكب في الفرعجتان
وأني لأعجب كيف يستطيع القضاء مباشرة
الحكم مع كثرة هذه القوانين ، وهل إذا انتقل قاض
من بلدة إلى بلدة يأخذ معه عشرين أو ثلاثين مجلا
محلة بالقوانين

وإني لأسأله أيضاً ما فائدة الملك وما الحكمة
من وجوده إذا كان لا ينفق شيئاً لإحسانه الناس
على ما أتفق ؟ وإلا رغم من هذا المسلك السيء الذي
يسلكه المجلس مع الملك فقد علمنا أنه سينهب عند
انقضاة راضياً لبق في خطبة العرش . ويقولون

ولما عاد السفير من حفلة افتتاح البرلمان وصف لنا هذه الحفلة فقال: إن الملك ظهر في حلة منيركة بالذهب وعلى صدره التياشين المبهمة ، وكذلك كان وزرائه وأصحاب الألقاب ، وكانوا كلهم حليقي اللحي والشوارب كأشبههم نساء . وأقسم أنني أجبنيهم جميعاً وأن جلودهم أبيض من الثلج وعيونهم تقتل وابتناساتهم تفقن وتسحر

وقد كان بين المتفرجين سيدات لا يستطيعن وسفن . وبالرغم من معرفتنا بسفيرنا معرفة جيدة فأننا لم نسمعه قط يشكك بمثل هذا اللسان . وقد كنا نسمع أنه إن أحب فالتار تشعل عندئذ في فؤاده وقد قال أحد شعرائنا متى أحب الإنسان فانه يفيض رقة ولو كان من أغلظ الناس . وأقسم أن السفير عاد من حفلة افتتاح البرلمان وعيناه تنطقان بالركة والرذاعة

هبر اللطيف النشار

«يقع»

الملك ، وإن غلا الخبز نسبوا غلاه إلى الملك ، وإننا نشبت الحرب نسبوها إلى الملك . وذلك كانت واجب الحكومات يقضي بالحرص على عرش الملك ويمنع حدوث الثورة ، وذلك إنما يكون بجمل سلطة الملك محدودة واضحة الحدود فلا ينسب إليه ما لا يمكن دفعه من الطوارئ وما ليس يجوز أن تنسب مسئولية إليه

قلت : « هل ترى لحقي هذه ؟ »

فقال : « نعم »

قلت : « إذن فأنا أقسم بها وما أقسم بشيء أقدس منها ، إننا لو وضعنا شاهنا في مثل هذا المركز الذي وضعتم فيه شاهكم لحدثت مذبحة علة لا يمكن أن تنتهي بخير »

فقال : « إن من الخطأ أن توازن بين انكسار

و بين إيران »

المجموعة الاولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى المصروسيه، والأوديسة لهوميروس، ومذكرات نائب في الأرفق لتوفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعه ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلد في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالاعتماد الآتي

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العصرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء اساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك المداخل ستون قرعاً ، والتأجير ما يسوى جنباً مصرية ، ولقلاء الحرية بمضم ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ودعيس محررها للمثول
احمد حسن الزيات

برل انوشتر الى من سنة
٣٥ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

ادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
النجدة الحفراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٤٣٤٥٥

المروية

مجلة اسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الثانية

١٥ يولية سنة ١٣٥٨

العدد ٣٤

ألا يمكن أن نبرعن مثل هذه الضحكة
بخطأ أزرقت متوج بجري فيه - كالمرق -
خيوط ذهبي دقيق ؟ وإيتم وهو يسأل
نفسه : ماذا ترى يسمى أهل الولوج
بالتمريف وضبط الحدود مثل هذه
الصورة ؟ أترام يسمونه تصويراً ورضياً

أهـمـجـيـونـمـنـا
أقصوصة وصـرـتـيـه
للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

ألم يتدعون له اسماً جيداً ويقولون مثلاً إنه التصوير
« التسميري » أي التعبير بالألوان وما إليها عما يقع
في النفس من الشيء مادة كان أو سواها ؟
وكان « أدب » كاسمه أدبياً ، فله من اسمه
نصيب ، وكانت الفتاة التي يجها في مثل سنه ، وكان
أهلها لا يلبسان من أسرها شيئاً ، فهما يتقيان
سراً ، ويؤثران التمتي في الحداق العامة ، وقد
يتلغان إذا أمنا فنزل اللون ، وإلا فحسبهما أن
تتلاسن بداهما وهما يلبسان أو قاعلان . وكان يحس
— دون أن يعلم — أي الظاهر في العنينا قليل ،

عاد « أدب » من زهته الصغيرة مع حيثته ،
وفي مسميه منها ضحكها الغضبية التي أذكره الساء
المتحدر في لين ورفق ، وأشعة الشمس تنكسر على
ما يتوج منه ، وكان يجتبل إليه وهو يعيش على
هل في الجزيرة أن هذه الضحكة المرحية يستطيع
النسيم الواني أن يملأها ويذيعها كما يحمل أريج
الأزاهر ، أو كما يذيع تفريد القمرى - بل خيل
إليه أن هذه ضحكة يسع الصور الخائفة أن رسمها
ويشيتها بالألوان - وتسامل وهو يفكر في هذا : لم
لا يكون في الطوق أن يصور المرء الأصوات ؟

وأن كبح النفس في الحياة ليس ببسيل كل حي .
 ويخطر له أحياناً أنه ليس من اللازم أو الواجب
 أن يمضي المرء على التوق من الروح الموهب
 التي تصف بها الحياة . وكان يقول لنفسه إن هذا
 قد لا تكون له قيمة في حياة الآخرين ، ولكن
 رجل الأدب أو الفن ... ؟ آه ... هذا شأنه
 غير شأن الناس !! ويسأل نفسه : ولكن لماذا
 يختلف الحال ويتفاوت الأمر ، وهذا إنسان
 وذلك إنسان ؟ ويجب نفسه فيقول — وهو
 يؤمن بما يقول ولا يخالجه شك في صحته — إن
 الحقيقة عنراء ، في جوهرها ، وإن الجمال طهر ،
 ومن الواجب أن يؤمن الإنسان بصورة الكمال
 التي ترضها المنيرة والطهر والمصمة ، وقد يخفق
 المرء ، ولكن الاخفاق إنما تكون عطته هذا الطين
 الضئيف الذي لا تفكك لنفسه منه . وليس الأدب
 أو الفنان بحر كئيد من الخلق . وهل هو قدر زق
 موهبة الأدب أو الفن إلا ليتاقى صفات من الجمال
 والحن في الحياة ؟

وكان على موعد مع حبيته في صباح اليوم
 التالي ، وكانت الساعة في ذلك الوقت — وهو يروح
 ويحيى في أرض الجزيرة — التاسعة مساء ، فلما
 عسى أن يصنع بهذا الليل الطويل إلى صباح الند ؟
 النوم لا بسيل إليه ، والقراءة أو الكتابة ... أوه
 مستحيل هذا ... المواقف كثيرة ، وكيف يطيب
 أو يتفرغ النوم لمن تصافح مسميه كل هذه المواقف
 من الجمال والحب ؟ وكيف يجوز أن يتناول ما بنفسه
 ويجمسه ويحزمه ويلقيه في سكره ويربح رأسه على
 وسادة وينمض عليه ويروح ينظف ؟؟ هذا السكز

الذي عثر عليه في نفسه ، هذا اليبوع النياض
 الذي تفجر ... متى يتم به ويسمد إذا كان يتم
 أو يقرأ أو يكتب ؟؟

وجلس على مقعد من الخشب ، وجعل ظهره
 إلى الشارع ووجهه إلى النيل ، ولم يبن بأن ينظر يمنة
 أو يسرة ، وكان على مقعد قريب منه سيدة تراعيه
 ولا تحول عنها عنه ، وهو فاهل عنها وعن سواها
 كأنها خلت الدنيا إلا من حبيته ، ولكن ذهنه
 لم يمنع أن ترسم في ذهنه بنير جهد محسوس منه
 صورة وجه يبدو باهتاً تمتنع اللون تحت مصباح ،
 وعينين منحرفتين قليلاً ، وشفتين حراوين ، وشعر
 وحف أسود ، وجبين عال أشبه بيمين الرجل منه
 بيمين المرأة على الرغم من نموته والتماعه . وكانت
 هذه الصورة التي انتقشت وحدها رعا خالته بالوانها
 وممانيا فيتمتع ، ويقطب ، ويضمض عينيه كأنها
 يرجو بذلك أن يجعلها أوضح . وكان وجه المعب أن
 هذه الصورة التي تلح عليه ليس فيها مشاه من
 حبيته . فمن أين جاءت ؟

وسمع — أو توهم أنه سمع — ما يشبه الزفرة
 الخافتة ، فرده هذا إلى الدنيا التي خرج منها بأحلامه
 وتلفت فلما به يرى أصل الصورة للرسم في ذهنه
 قصار عبيه أشد ، فما كان يدري أنه رأى أحداً ،
 أو نظر إلى أحد ، وفرك عينيه ، فسمعا تقول :
 « لقد بقيت أكثر مما كنت أريد »

فرفع رأسه وسول وجهه إليها ، فلم ير أحداً
 غيره يمكن أن يكون للشي بكلامها فقال « نعم ؟ »
 قالت : « كنت أنوي أن أتى برهة قصيرة ،
 ولكن رأيتك فاستترت حالك ، وأنت لك لم تفسر

خسرت بفرارى من أهل وينقمتهم على... وترك
لى من لئال ما يكفينى مع الاعتدال. وفى وسمى أن
أتزوج الآن، ولكنى لا أريد، لأن زوجى يحتاج
إلى الاحتيال والتدبير، ولست أطيقهما؛ والطباع
التي حلتنى على الفرار من أهل وأنا مفتوحة
العين على ما أستقبل من حياتي، هي الطباع
التي تحملى الآن على إظهار الحرية في حدود
الكفاية من المال، والتزهد عن الاحتيال والتدبير
لأنه زوج... وما حاجتى إليه؟ لقد أحببت رجلاً
لم يكن حبه لى كفاء حبه، ولكنه كان كيساً
حكماً تفرق بى، وأولانى العطف الصادق بدلاً من
الحب الذى يحز منه، ولكن قلبى مات مع ذلك...
كما مات هو... غريب... غريب أن يحيا الإنسان
بقلب ميت! قبر متحرك ولكنه متكرر! ومن
يدري! لعلك تظننى... محق أنك تظننى من هؤلاء
النساء اللواتى يمين أجاسهن... ولك العذر...
وهي كنت المرأة التي توهمها كذلك... أواه!
لا أستطيع أن أقول... ولكن لماذا لا أقول؟
لماذا أخشى؟ لماذا تمنينى ظنونك وأنت شاب لا تدري
شيئاً ولا تعرف من الحياة إلا اسمها...؟ ما عرك؟
عشرون...؟ أأكثر أو أقل قليلاً؟ وما علك في
الحياة؟ بماذا تشغل؟ قل لى أولاً»

فترده وحار، ثم استطاع بمجهود أن يخبرها أنه
يشغل بالأدب في أوقات فراغه، فإن له عملاً في
شركة...

قالت: «أدب؟ يعنى تنظم الشعر؟ تؤلف
روايات؟ هه؟؟ وطبع ذلك وتبيته... تباع نثار
عقلك... وللرأه التي توهمها تباع جسمها... هذا

أنى أحقد فيك منذ نصف ساعة»
ثم يدربأى كلام يبيب، وطال ترده، وقالت:
«من الواضح جداً أنك في دنيا غير هذه
الدنيا»
فوجد لسانه وقال بلهجة أرق من عبارته: «هل
يسنك هذا؟»

قالت: «نعم، إنى أرى أنك تشرب شئ من
الوحدة، وكذلك أنا، لماذا لا تجلس إلى جانبي؟
أنا أجلس إلى جانبك»
وانتقلت إلى مقعده، فقال بلال: لماذا
تقبلين هذا؟ إنى لا أعرفك

فانقسمت إقساماً للتسامح وقالت: «تخربى
أحياناً لا أظن أن أكون فيها وحدي»
فسألها بجملة: «هل من حدثك أن تكلمى
الأغرب؟»

فهزت كتفها وقالت: «الانسان في بعض
الأحيان يقدم على أشياء قد يستغربها هو فيما بعد»
فزاد شكها فيها واستراجه بها وقال بصراحة
وحشية:

«يا سيدتى إنى فقير وليس مئى فوس»
فضحككت... فتهكت... ثم تناول يده وجذبته
إليها فمال عليها ثم احتدل وسألها:

«يا سيدتى، ولكن من أنت؟ وماذا أنت؟
هذا هو الهم»

قالت: «لا بأس... أقول لك من أنا،
وماذا أنا... مات الرجل الذى كنت أعيش معه،
وقد كنت أعيشه لأنى كنت أحبه... كنت أ
قام... وكانت له زوجة وبنتون، ولكن هذه
حكاية أخرى... الهم أنه مات، وأنه عوضنى عما

نهر رأسه ميتاً للمرة الأولى ، وقد وافقت هذه الباردة هواء وأحلام شبابه ، وسألها : « عسى أن تكوني راضية عن حياتك ؟ »

تأبست له - في عينيها - وقالت : « أين الحياة التي ترى صاحبها الهني بيمها راضياً عنها ؟ » فشر بأن به حاجة إلى أن يحميها - لا يدري لماذا ؟ - وقال : « ولكن لك عزاء على الأقل هو أن حياتك مطابقة لأرائك - أعني أنك تحمين على مقتضي اقتناعك - على قدر ما فهمت من كلامك - ولا شك أن قدرتك على ذلك من بواطن رضاك عن نفسك ؟ »

ظلمتت إلى هذا وقالت بلهجة فيها من الابل سحوة : « ستكبر يا صاحبي يوماً ما ، وستتاح لك فرصة تقص فيها على صديق لك ، ما سمعت ورأيت مني في هذه الليلة ، وقد تبالغ وتغلف ، وتنتحل نفسك ما لم تقله ، وتقول ما لم تسمع مني ... نعم ... من يدري ؟ »

واحتلت فجأة في مقدمتها ، ولوحى يديها ، والتفتت إليه ، وأتارتها النظر وقالت :

« انت طلق . أراهم أنها فتاة ظالمة ولكنها جميلة كالزهره التي بدأت تتفتح ، وصبي أن يكون شعرها ناعماً لاما ، وصيها ... لماذا لا ترى ؟ لا بهم ... »

تالتت إليها مستفترها ولكنه لم يقل شيئاً ومضت في كلامها قالت : « إني أؤمن منك وأخبر بالحياة والناس ، وقد أحييت ، ولكني لم أنزم الأسلوب التقليدي ، ولم أجد على النحلة للرسمه في العرف الوردوث ، فليس ما أرى من حينك أنك تقيضه على حبك ... على الحب طمة ... من السحر والشعر بهريب علي ، ولكنك ستشيب عن هذا

ما ظفنت ... فليكن ... فقل ترى أيها الأديب الأريب الحاذق فرقاً بين اليمين ؟ هات سيجارة إذا كنت تدخن »

فأعرب لها عن أسفه لأنه لم يمتد التدخين ، فهزت رأسها هزة التسامح ، وقالت وهي تبسم : « كنت أتوقع ذلك »

وكأنما غير طلبها للسيجارة واعتذاره ، وتلقيها عليه بجري الحديث ، فأمطر أديب وعد إلى مثل سمته وتحديقه في الماء ، قبل أن تنتقل إلى مقدمه ، ولبتت هي لحظة صابرة عليه لا تحاول أن تخرجه من سكونه ، أو ترده عما بدأ لها كالتيوية ، ثم قالت فجأة - واصله ما انقطع من حديثها - :

« لوشتت لناسيت ، ولوسمى أن أبسط لنفسي العذر إذا لم يمتدني الناس . وعلى أنه ما قيمة أن يمتدني الناس أو لا يمتدني . ومتى كانت الناس يمتدني بإخلاص ؟ أو يمتدني أن يمتدني الإنسان على كل حرسه على السلوك القويم - أعني التقليدي - . ولكني لا أغامر ، لا لأنني لا أشتي أن أفوز من دنياي بما يفوز به أمثالي ، بل لأنني اقتنعت بأن الأمر لا يستحق عناء ، ولا يساوي ما يبدل في سيده . ثم لأن آخره المطلق ماذا ؟ آخره أوله ... رحلة طويلة ولكن في مائة ... فتلقى أنفستنا بعد للشفقة والجهد حيث كنا نحن بدأنا ... ولا فناعة ولا رضى ولا ميراث إلا الحسرة ... أليس كذلك ؟ »

فقال - ولم يسه إلا أن يقول - : « يظهر أنك جربت كثيراً »

قالت : « نعم . جربت ، إن اللغة ليست شفاء من التلقى الروحي والاضطراب النفسي ... قد تكون غدراً ... ولكنها لا تفتني ... »

مرة وصمة لما زاد أحداً علماً بالآخر ...
وايتممت ، ومدت لراحته الأخرى ، فتناولها
بكفه الثانية وقالت له وهي تهز يده : « تصور أن لقاءنا
الليلة كان حلماً في حلم -- الحياة على كل حال ليست
أكثر من حلم ... ولا أحسن أو أطيب »
فسألها وهو مطبق على يديها :

« أي لك كل هذه المعرفة والنظر ؟ »

قالت « يا لمرور الرجال ! »

فاعتذر وقال : « ولكن الواقع كرهه ، ولست
أعرف حتى اسمك » قالت وهي تمسح يديها برفق :
« الاسم علامة وعنوان ، وقد عرفت كل ما هو
جوهرى »

ودارت فضت عنه مسرعة واختفت في الظلام .
ولم يطق أن يبق بعد أن تركته ، فثبي على
مهل وهو مطرق يفكر فيما سمع ، ولا يستطيع أن
يصدق أو يؤمن بحرف منه ، ولا يبلغ بيته دخل
وهو يحدث نفسه أن هذه السيدة لا شك مجنونة ،
وأدركه العطف عليها ؟ فصار يتمتم وهو يخلع ثيابه :
« مسكينة ... مسكينة ! »

إبراهيم عبد القادر المازني

إشترك الصيف

قبل إدارة الرسالة والرواية لإشترك الشهري
في المجنتين أو في إحدىهما نشرته على حضرات القراء
في راحة الصيف وعقدوا الإشترك في الرسالة
أربعة قروسمه وفي الرواية قرشاً ترفع سلفاً

الطوق بإساحي ، وستلقت قلبك وميتك لا ميتك
وحدها ، إلى الأيام التي كنت فيها تحب الحب ...
أيام كانت ألسنة المواقف تصب في أذنيك أنشودة
سحرية ... قد تعلم بخطها فيما بعد في منامك ، ولكنك
لن تسمعا مرة أخرى في يقظتك ، كما تسمعا الآن
وأنت تعلم مفتوح العينين ... لست منجمة ، ولكنك
لن تتزوج حينئذ ... ولن يكون هذا أقوى حب
لك في حياتك ... كلا ... في مثل سنك الفضة ؟؟
أوه . لا .

فابسم ساخراً وقال منها : « هل تستطيعين أن
تتראي لي كني ؟؟ »

قالت « لا تسخر ... سيجرفك حب المرأة التي
تراك سالماً أن تكون وقوداً لتاراً للمسرعة في جوانحها .
وأحبك ستظل حياتك كلها وقوداً لنساء من هذا
التبيل .. نساء لمن من طرازك ، ولأنتم من طرازهن ،
ولا بينك وبينهن أي تجاذب رومى ... أراك لا
تصدق ... (وهزت كتفها) آه هذه الثقة ...
إعان الشباب بنفسه ... لو كان أقل أو أضعف لكان
نظره أبعد ، وأصدق أيضاً ... »

ونفضت ومدت له راحة رخصة ، فوقف
وتناول كمها فقالت « أستودعك الله »

قال : « ألا تلتقي مرة أخرى ؟ »

قالت « ما الفائدة ؟ كل ما يمكن أن يقول له أحداً
للآخر قد لقاء الليلة ... استغفنا كل حديث ...
وليس أحفل من الكلام للماد ، ولا أبغض إلى من
الاجترار ... »

قال : « ولكن يا سيدتي ، إن معرفتنا لم تكذب
تبدأ ؟ »

قالت « بل بدأت وانتهت لو التقينا ألف

المرأة

أقصومة فرنسية من « فانول ميندى »
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

— ١ —

لم يكن هناك امرأة واحدة في كل المملكة إلا أمرت الملكة فطمت سائر أنواع الرأيا ، حتى مرأيا القصر الملكي المتيد لم تكن لتتجوز ذلك الأمر الصادر... وسكنت قواطين تقضى بأقصى المقبولات على كل من تحده نفسه باقتناء امرأة أو مسبب كل هذا فإنه كان للملكة وجه يمد مقياساً للقبح ومثلاً في العمامة . ولم تصدر هذا الأمر خافة أن تري صورتها المقيمة متمسكة على إحدى الرأيا إبان نهبها في طرق البلد ، بل لأنها كانت تضمن على الآخرين أن يرين جمالهن حقداً أمناً وحسداً . ولدت شمرى ، ولذا تقيد المرأة من عيين نجلالون ساحرتين ، وفم ياقوت دقيق ، وجبين ناصع مشرق ، وشعر وحف ناعم ، إذا لم تتج بصرها بذلك كله متمسكة على إحدى الرأيا... كذلك كان مستحيلاً أن تري حسناء صورتها على سطح نهر أو قناة أو غدر . فقد أسدرت للملكة أمرها باخفاء مجراها . أما الآبار فقد كان منسوب أمواها منخفضة واستبدلت فيها اللآلء بأحواض من الحجر تمتع انكسار الصور بأية حال... وقد سرى الخلق والسخط إلى كل القلوب تلك الماملة للشاذوهنا الحكم القريب خصوصاً بين أهملت الصدر السواحر

— ٢ —

كانت هناك فتاة — تدعى چاسنيت وتسمى بالريف من تلك الملكة — لم يداخل قلبها اليأس ولم يحوم

حولها الحق والضييق كآزابه من الحساوات الفوان ، إذ كان لها طشق مدله القلب أنحى مرآتها الصافية الأمانة . فأبرج منذ أن فته ذور لحظها الساجي ، يرد بين الحين والحين : « كم أنت جميلة فتاة !... أى قري الزاهر !... »

وكان وجهها يتفزع خجلاً أمام هذه المرأة الناطقة وكل ما كانت چاسنيت تخافه ، هو أن يبلغ بأخطبها على فتاهها ماسع الملكة تسمى للفرق بينهما حاجاً منها في تنقيص عيش الآخرين فضلاً عن أنها تكره چاسنيت خاصة لا أشيع من شدة جمالها وفتنها

— ٣ —

واقترب يوم زفاف چاسنيت على فتاه . ففرجت ذات صباح تتأود نشوى كالنمن الطيب ، وتثقل فرحاً باليوم القريب . خرجت تمتشق نسم الصباح المطار فأذا بها تري عجوزاً مقبلة عليها تترخع مشيتها كأنها شيخ الفناء يدب ديبه المضطرب . وسقطت الحيزبون على حين غرة وقد انشق صدرها عن صرخة مفزعة . فأسرعت چاسنيت إليها تقبل فترتها . غير أن العجوز ساحت تقول : يا إلهي ! ماذا أرى ؟

— ما خليك يا أمي .. وماذا ترين ؟ أبليس .

— وجه هو القبح ببينه

— لا إناك تقصدينني بهذا الوصف

— والحق عليك يا مسكينة ! بل انت ما أقصد

إني لم أر طوال حياتي أقيح منك

واختفت العجوز — وهي إحدى سنانع الملكة

شاحكة ساخرة . فارتدت چاسنيت على مقعد تحت أشجار البرقال وأنشأت تبكي بكاء اليأس المروم

— ٤ —

وقلت هذه الكلمات المؤلمة في قلب جاسنيت فمل
السهم للسمومة . لم يمد هناك ريب في أنها دمية
شوها . فقد شهدت بذلك الملكة كما شهدت به
السجوز من قبل وامتنع وجهها حتى أنخى كوجوه
الوقت، وسقطت بذلك أمام العرش قائدة الحس .
فصاح خاتما قائلا : إما أن تكون الملكة قد جُنت .
وإما أن يكون لسيهان الأسباب ما يجعلها على افتراء
هذا الكذب . فلم يكذب يثم هذه الجملة حتى قبض
عليه الحراس وأشارت للملكة إلى الجلاد

— تمواجيك ... فرغ الجلاد حسامه البراق
وحيث دوت صرختان مختلفتان إحداها من
فم جاسنيت بعد ما لحت سودة وجهها منكمسا على
السيف اللامع وكانت صرخة فرح عظيم . والأخرى
من فم الملكة الحاسدة حين لحت هي الأخرى سودة
وجهها المشوهة منكمسة على هذه المرأة غير المنتظرة .
وكانت صرخة تتناوبها عوامل مختلفة من الحجل
والمار والنضب

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات في
المصلوسيه، والأوديسة لهوميروس، ومذكرات
نائب في الأرفق توفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين
موضوعة ومتنوعة .

التمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلد

خلاف أجرة البريد

وأصبح مستجيلاً إلتاق جاسنيت بأنها جميلة
وحلول فتاهما أن يدخل في روعها أن السجوز
الثيمة قد كذبتها القول، وأنها شديدة الحسن فانتة
الجمال ... فأعيتة الحيل وإذا أسر على إتمام الزواج
براهما تبكي وتقول :

— ما ذا ؟ هل أكون أنا النسيمة زوجك ؟
أبدأ ... إن حى لك وحرسى على سعادتك بمنافى
أن أكون زوجاً لك

« إذن ما العمل ؟ » ليس من سبيل لا يثبت
كذب هذه الشيطان السجوز ويحول جاسنيت عن
ومهما إلا الحصول على امرأة ... ولكن للملكة
كلها ليس فيها امرأة

إذن يجب أن أقصد الملكة . فستأخذها رافقة بنا

— ٥ —

قالت الملكة التماسية النسيمة : ماذا هناك . وما
لهذين الشخصين قديماً ؟ فتقدم فتي جاسنيت قائلاً :
— مولاي، إن أمام جلاتك أشقى المشاق طراً
— وهل أزعجتني لتقول لي هذا القول ؟ وما
شأنى أنا وتزاع جره الحب ؟

— عطفك يا مولاي صرى جلاتك لنا بمرأة
— كيف تمرز يا هذا على ذكر للمرأة أمامي ؟
— صفوك يا صاحبة الجلالة . أنضرع إليك
أن تصنى إلي قصتي ولا تنفضي لقولي ... هذه
الفتاة التي تمثل أمام جلاتك قد استولى عليها وم
غريب أنها قبيحة الوجه

فقال للملكة صاحبة في استخفاف وتشف :
— وإها لكذبتك . إنها محقة في ومهما . وقد
لا أذكر أنى رأيت من قبل أفتيح منها وجهاً .

— قال الشيخ: أما أنا فاني أرى
في النهر طائفاً: أرى فيه دنيا واسعة،
لا يدرون بها يسكن القصور، وطلان
البر. أرى فيه النهر الذي يستقظ مع
السحر، ليستقبل أول وفد من حيوط
النور، فيسبح له وترقص في استقباله

أمواحه الصنيرة العائشة، والنهر الذي تلهب أمواجه في
أشعة المواجر من تمزج وأب، والنهر الذي يسكر من
ريق القمر الذي يرتشفه في ليالي الصيف... لك الله
يا ليالي بندگان... فيشبه فتاة صغيرة تترنح نشوى، والنهر
الذي يحكي القبرة الوحشة، حين يمر في ليالي الشتاء
للظلمة، أسود كالخمر مرعباً، والنهر الذي يتقلب
معرض غرام حين تسرح فيه زوارق المحبين من
أهل بندگان، مدينة الجمال والجلال، ومهمم الأعواد
والفتنارات، ومهمم...

— قال أنور: شراب أبي نواس!

— قال الشيخ: لست أدري ما شراب أبي نواس!
ولكن ماذا ينبغي اسمه؟ أليس هو الذي يخلق لك
من الشقاء سعادة، ومن الفقر غنى، ومن الزبلة
عروشاً مكللاً بالجوهر، والذي يفتح الحناجر بأرق
ما عرفت دجلة من الأغاني، من أليم...

— قال أنور: إسحق وإبراهيم

— قال الشيخ: ويعقوب ويوسف عليهما السلام
فمنحكننا لغائته، حين يظن إسحق الواسلي
من الأنبياء، وطد الشيخ يقول:

— والنهر الذي يتقلب وحشاً كسراً كاسراً
عن أنبياه، ويشدو (نحراً) فتاكاً، حين يفيض
الزبد على شذقيه، ويضع فيه البهول ليتلعق بندگان
وأهلها ويقذف بهذه الاطنان من الحديد التي

من كتاب العراق

قصّة حقيقيّة
للاستاذ علي الطنطاوي

كان ذلك في الربيع الماضي في أسمية حارة،
اقترحت فيها على سديقي أنور، أن تترك زورقاً
من هذه الزوارق الجليّة، ذات المقاعد الوثيرة
والوسائد البيض المحشوة بريش النعام، فتجول ساعة
في دجلة تشهد غروب الشمس، وتستمتع بالتأمل
في هذا النهر الذي يحمل في كل قطرة منه ذكرى
خليفة أو من أو شاعر أو ملحق، ويحفظ بين أحنائه
أوفى تاريخ لأجل مصر ذهبي تمت في ظلاله البشرية.
وكان صاحب زورقنا شيئاً لطيفاً، جميل الطلعة،
رائع المشيب، له على شبيه سذاجة طفل، ونظرات
مسلّكة، وكان حسن الحديث، كثير النوادر،
حاضر الجواب. فسمعنا من حديثه العجب الطرب،
ومال بنا الحديث إلى كل جميل، حتى وقف بنا
عند الكلام على دجلة... فقال الشيخ:

أتُم لا تعرفون مادجة؟ عندكم منه هذا المنظر
الذي يبدو من الجسر؟ وقد تنتهون إلى بناء الجسر
وعواماته التي يقوم عليها أكثر ما تنتهون إلى النهر!
بل لقد تشنكُم عن هذا وذلك هذه السيارات التي
تركب منته بشلها وأهلها وأحاملها، فيستجير منها
الجسر ويئن، ويضطرب ويعد، فلا تحفل أنينه
ولا بتأني اضطرابه، ولا ترعاه ساعة من ليل أو نهار
قال أنور: لقد أنشئ الجسر لتمر عليه لها
الفئات، لا لتركبه هذه السيارات...

تثبت الجسر غطف الصبي بكرته .

هذا هو دجلة الذي أراه أبجل من البحر ، وما البحر ؟ ما ذلك الملح الأجاج من هذا المنب الغرات ؟ أين البحر الذي تصطبج أمواجه وهو مكانه ، كالطفل الذي يخط الأرض وجليه من البحر ، من هذا النهر الذي يجري في سكون ، يجري دائماً وابدأ ؟ آه متى بدأ هذا النهر سيره ، وإلى أين عني ؟ اما لطوافه نهاية ، اما لسيرة غاية ؟ والله يا بني لقد فكرت في ذلك أكثر من ألف مرة . إن هذا السحب ذا البحر ؟ البحر الذي يضطجع على رمال الساحل مثل حوت ميت قد جرفته الأمواج ، وأين هو من دجلة الذي يحول في الأرض كسائح عالم ، أو عاشق هائم ، يسير بين القصور ، ثم يتخذ وسط الحدائق ، ثم يمر على بساتين النخيل

فقال له أنور سائحاً : النخيل النخيل ... ألم تسمع ما قال المرءى ؟

وردنا ماء دجلة خير ماء

وزرنا أشرف الشجر النخيل

قال الشيخ : أي والله ، هو والله أشرف الشجر . لو رأيت ظلال النخيل في دجلة الساكن ، الذي يبدو عند التروب كأنه المرأة الجلوة ، فإنا لم القصور والحدائق والنخيل ذهب عني وحيداً في الصحراء . يا بسجة ! ماذا في نفسه من ذكريات ؟ لقد كان أس عني في ظلال الايران للشمخ ، ثم عاد اليوم عني على أطلال الوحشة . ولقد كان يصير قصر التوكل العظيم في سر من رأى ، فرجع لا يرى إلا أهاضا خالية فوق أهاض ... له الله كم يذكر وكم يتألم ! فقال أنور : آه لو كان دجلة شاعراً ...

قلت . أظن على طرف دجلة شعراء ؟ فكم ديواناً في نظم دجلة ؟ أما لو كان دجلة جارية في أرض الفرنسيين أو الانكليز ، إذن للأوا به الدنيا شعراً قال : هذا صحيح ، انما لا نعرف مقدار ما عطف . إنه لم يبق حادثة في تاريخ فرنسا أو انكلترا ، ولا بقعة في أرضهما إلا نظم فيها الشعراء ، وألف القصصيون ، ونحن عطف دجلة والتيل ولبنان ودمشق ، وعندنا تاريخ ثلاثة عشر قرناً ، يفيض بالبطولة والعظمة واللكسي واللباهج ، فماذا وصفنا وماذا ألقنا ؟ لا شيء ، يذكرنا فتألت وحزنت في نفسي هذه الحقيقة ، فأجيت أن أبذل مسرى الحديث ، فقلت لشيخ :

— ألا نخبرنا ما أمتع ذكرياتك في هذا النهر ؟ فاهتز الشيخ ، وقال :

— يجب أن أحدثك عن أمتع ذكرياتي ؟ آه ...

ماذا أذكر لك ؟ لقد قضيت سبعين سنة من حياتي أروح وأغدو في هذا النهر ، منذ كان عمرى .. منذ كان .. لقد كنت دون الماشرة ، حيناً جربت أن أمسك الجملاف بيدي الصغيرة ، فكان أبي يشجني ويستثير حماسي ، ولم أخرج بعد ذلك من النهر . لقد شهدت فيه الغرير والريبع والصيف والشتاء ، وأيام الصحو وليالي المطر ، ورأيت كثيراً حكومات مختلفة وثورات وحروباً ، وركبت في زورق آلاف مؤلفة من الناس ، فرأيت الفنى والفقر والبائس الذي يغمر بالأمه إلى حضن النهر يلجأ إليه في ضيقه ، ويدبب إليه في جماله ، والماشق الذي يفتنى الخلوه بحبوه بين الماء والسماء . ورأيت أشرافاً ومجرمين وكباراً وصغاراً ، وطربت وحزنت ، واستقبلت أولاداً وأحفاداً ، وودعت راحلين إلى حيث لا يعودون ... فم أحدثك ؟ وماذا أذكر لك ؟

— فضحكت وقلت : وأنا والله كذلك ولكني شيخ كبير والشيخ لا ينالم . أما أنت فلا تزال شاباً — قال : ولكنها الموموم ... هوم الحياة — قلت : وما ذا تشتغل أنت هنا ؟ — قال : خدام . خدام لكل الناس ، وعندى عيال ...

— قلت : لملك محتاج إلى مال ؟ لا تفكر يا بني . الرزق مقصوم . الذي لك سيأتيك — قال : ولكن ... آه جميع ! كله قسم ... الحمد لله

وأحسنت كأن في صوته نغمة حزن أليمة ، فنهضت أنه محتاج وأخذتني الشفقة عليه ، واتصيت والله يا بني مساعدته ، (والبؤس يقرب بين الناس) فخلعت كيسي وجعلت أعد فلوس في الطلام ، فانا أنا أملك ستة وتسعين فلماً

قلت : هيه ؟ ما اتخك ؟ قال : لك أن تدعوني عبد الله قلت : يا عبد الله ، نحن إخوان في الاسلام ، فلا تجعل مني ، خذ ، هذه خمسون فلماً ، انفقها على عيالك إلى أن يفرج الله وأنا أخذ منك عندما ما أحتاج . لا تحمل همًا . الرزق على الله قد يده فأخذها ولم يقل شيئاً ، ولكني رأيت الجمع ... أي والله رأيت الجمع يتفرق في مآقيه

وانضمت الصداقة بيننا وتوقفت ، فكان كلما أرق نأخي ، فأخرج رأسه من الشباك ، وطفقنا نتحدث ، فأنبه أحرزاني ، وأغض إليه وقائي ، ويثني ويشكوا لي . ورأيت قد يسر الله عليه ، فكان يسطين البنيار والحمة والعشرة ، ثم يحتاج فيأخذ

وسكت الشيخ بفكر ، ثم صاح وقد علت وجهه ومضة ، خلف نورها على جبينه الحمد قال : لقد عرفت ، لقد عرفت ... إني هما رأيت وهما شاهدت فلن أنسى حادثة هي أعمق في نفسي من كل ما مر علي من حداثات الليالي . إنها أمتع ذكرياتي ...

لقد كانت ليلة من ليالي الخريف ، وقد بكر البرد فاعتزل الناس النهر . ولم يبق لنا من عمل ، فلتن يزورني ، فأتيت حيايل ذلك القصر أنتي زهرير الليل . ألا ترى إلى هذا البنياء الأحمر ؟ — قلت : البرلمان ؟

— قال : لقد كان فيه يومئذ مولانا الملك فيصل رحمه الله ، وأسكنه فسيح جناته ، فوقفت زورقي أنتظر رزق الله — حتى اتصف الليل — ولم يجر أحد ، فغسب اللل إلى نفسي فاطلقت أغني ... وإذا أنا بشباك يفتح فوق رأسي ويبرز منه رأس . فسكت ونأملت أنه فانا هو رأس رجل صهب قد عدا طود الشباب . فانتظرت أن يؤنبي علي أن أزعجه عن منامه بنثاني ، وهل يلين بئني أن ينهي نحت شبايك لذلك بعد نصف الليل ...

ولكنه لم يمتب ولم يلم . وإذا قال لي بلهجة حلوة :

— مساء الخير يا عم !

— قلت : مساء الله بالخير يا بني . لا تمتب علي ، لن أغني بعد الآن . لقد كانت خطيئة من اللل . ما ذا أعمل يا بني ؟ دعها لله ...

— قال : لا أيضاً . بالمكس لقد سررتني . إني مصاب بالأرق

فهممت به أن أدخل ، ادخل يا متغلب
فأجاب الشرطي ، ورفع رأسه . فلما رأى عبد الله
بهت حتى صارت عيناه في رأسه ، وفتح فمه من
الذهشة ، ثم رضع يده بالتحية العسكرية بنصف وشدة
حتى مال به الزورق ، ووقف ينتظر
— فقال له : ماذا تريدون من صديقي : دمه

واذهب

فماد إلى التحية ، وأقبل على مبتدر ويقبل يدي
ويسألني اللغو عنه

— فقلت له وقد تأثرت لمشهد تكله : اذهب
يا بني اذهب ، الله يسامحك !

فذهب للسكين وهو لا يصدق بالنجاة ، ووقت
حاراً لا أنهم من ذلك شيئاً ، حتى أخرج صديقي
ورأسه ، فقلت له :

— إيش هذا يا عبد الله ؟ إيش لون مرسته ؟
لقد خاف منك كأنتك لللاك

— قال : هذا من فضل الله

— قلت : ولكنه يريد أن يسوقك إلى السجن
إني أخشى عليك

— قال : لا . لا تخف !

وعداً تسماس ...

وكننت يوماً أسير في شارع الرشيد ، وإذا أنا
بصديقي عبد الله يسير وحده ، ففرحت ببقائه
وهرعت إليه فحيته وسألته إلى أين عشي ، فقال
بأنه يريد الباب الشرقي . قلت : ولم تحشي ؟ اركب
(باسماً) . إذا لم يكن معك فلوس ، نخذ مني ، مني
بمحمد الله

فضحك وقال لي إني أريد الراحة . ولقد كانت

منى ، ولكني لم أكن أملك إلا عشرات من
الفلوس فأدفعها إليه ، فياخذها باسماً
وكننت مرة أخرى ، فها راعني الإشرطي غيف
الطامة ، طاب بسره ، يقبل على وشواريه ترقص من
الغضب ، وسوته يتلب صوت الزورق البخاري الذي
يقبله ، قال :

— أصرخ أمام قصر الملك أيها الوغد ! اذهب
منى حتى أريك
قلت : إلى أين ؟

قال : إلى دائرة الشرطة

قلت : إني في عرضك . أنا في جوارك . عمري
ثمانون وما دخلت دائرة حكومة ، أفادخل الشرطة
مثل المجرمين بعد هذه الشبهة ؟

قال : إخرس (زمال) إمش مني بلا كلام فارغ
وجذبي ، فجلعت أبكي ولم أجروء على نداء
عبد الله كيلا يلطرد من عمله بسببي ، فأكون أنا
الجانبي عليه ؟ ولكنه سمعني وفتح شباكاً ، فلما
رأته خفت عليه ، فجلت أغمز بسبي وأشير إليه
أن يدخل فلا يفهم ، فقلت له : أدخل

فأجاب الشرطي وقال : من هو الذي تخاطبه ؟
قلت : لا أحد

قال : والله لتقولن ، أو لأضربن بك الأفاعيل
تخشيته والله على نفسي ، فقلت : أكلهم عبد الله
خادم القصر

فأقسم ابتساماً منكراً ، ثم حرق الأدم على
وصرخ بي :

— لقد عرفت ، آه أيها اللص ! إنك تسرقان
من القصر . سأريك أن هذا الخادم الخائن . ماجزاه من
يسرق مولانا الملك ودفنت رأسه . فوجدته في الشباك

بجيونه ويشتجون له الطريق ويمشون خلفه وينظرون إلى فيميجون منى ، إذ أنكى على ساعد اللك . إنه يستندنى ويسبنى لأن شيخ كبير لا أطيق المشى ... فلما بلغنا الباب الشرقى رأيت الجند قد وقفوا لتحيته وصاح صائحهم بسلام للك ، هناك موت رجلى فم طليفا حلى ...

— قلنا : ثم ماذا ؟

— قال : لقد بقي محدثى من شباكه ، ولكنى لم ألتفع من نفسى محدث ، إلى عرفت أنه اللك ! واغبر وقت عينا الشيخ بالمسوح ، فترك الزورق يمشى مع الماء ، ساكنا هادئا ، وكان الليل قد غمر النهر والشاطئين بسواده القاسم ، وطفق يقول همسا ، كأنما يتأجج نفسه :

— رحمه الله ، رحمه الله ، ذلك هو الملك العظيم !
فى الظنطارى

من سيرة أسرتها بنفى ، فأصابها عطل عند (رأس القرية) فتركها وسرت

— قلت : ألا تخاف أن يسرقها أحد ؟

— قال : لا . إن الشعب يحبنى كما أحبه

إي والله ، لقد كان الشعب يحبه ، وكيف لا يحبه وقد أنشأ له ملكا ، وأقام له دولة ، وجبل له فى الممالك المستقلة ذكرا ، رحمه الله . رحمه الله ...

— قلنا : ذلك هو الملك فيصل

— قال : وعمن إذن أحدثكم ؟ لقد كان للك نفسه ، ولكنى — لنباوتى وغلطقتلى — لم أعرفه . أو هل سمعت بملك يكون مع مثلى فلا يشمره أنه فوقه ، وإنما يستدين منه فلسا ويطيحه ديتارا ، ثم يكون مع اللوك فيشرون من أنضهم أنه فوقهم ؟ رحمه الله ، رحمه الله !

سرت منه فى الشارع ، فأراعنا إلا الناس ، ينظرون إليه ببيون تفيض بلبل والأكبار ، ثم

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة القرب جزءان (غزارات من صفوة الأديب الفرنسى والانكليزى والألمانى والاطالى مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات فى الأدب والنقد والتلفظ والموسيقى والحجوى وبه روايتان تخيليتان)
١٨ نباتات الرينة الشبية (على بأحدى وتسمين صورة فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفسى

الصور السابقة)

الكتاب الأول والثانى فى جميع للكتاب الصغيرة وكتب الزراعة تطلب من شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

أطلبوا مؤلفات

محمود تيمور

وهى : الحجاج شلى . الاطلاع أبو على عامل أرتست . الشيخ عفا الله الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء القصة وتطورها

من جميع مكاتب القطر الشهيرة

كتاب « فرعون الصغير وقصص أمرى »

يظهر فى نهاية العام

أجنحة الحب

عن الانكليزية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أنه رأى شيئاً آخر... كان على للنضدة أمامه خطاب رآه في النوم، وما هو براه الآن في يقطعه، فدهش من توافق الحلم واليقظة . وكانت زوجته قد غصبت من شيء فكثبت إليه بأنها ذاهبة ولن تعود . وقرأ الآن هذا

الخطاب فوجده بهذا النص :

« لا أستطيع أن أستمع على الحياة منك قد سمعت من متالبة طباعي، وعند ما يصل هذا الخطاب إليك سأكون قد قررت فلا تحاول البحث عني » ضحك هيلاري بضمون ضحكة عالية إذ ظن أنه لا يزال يحلم رغم يقطعه، ثم ضحك مرة أخرى وتنبه فوجد الخطاب أمامه وأدرك أن معظم الأمر حقيقة، وقد يكون قد قرأ الخطاب قبل أن ينام ثم فقد الوعي قبل إتمامه . وهو رجل ضعيف البنية فقصصات المصيبة تأثير عنيف عليه

ذهبت شيلاً إذن ؟

ولكن إلى أين ؟ هل ذهبت إلى جلبرت راي ؟ إن كانت الحقيقة كذلك فسيمرضها في ظرف ساعة . واستدعى الخادم وهو يستمر استجوابها وتعرف كل شيء من رقب وجهها وخفى ما يبدو عليه من اللأثم

ولكن لما جاءت الخادم لم يجد في نفسه القدرة الكافية على ملاقة نظرها، وقال وهو ينظر إلى جهة أخرى : « أظن مسز ينسون قد خرجت ؟ » فقالت : « نعم . بعد تناولها طعام الإفطار مباشرة »

قال : « وحدها ؟ » ، ثم لمن نفسه لأن هذا السؤال سخيف ، ولا بد أن تكون قد خرجت

« يارب ما هذا الكابوس ! »

ارتدى على القعد بعد تناوله الغذاء واستترق في النوم . وكان العرق يتصبب من جبينه ويدها ترتعشان . ولما استيقظ بعد ذلك كانت حركته عتيقة يدل عتقا على عمق نومه

ولقد كان يحلم حلماً مزيجاً بدا فيه وجه زوجته وارتفع صوتها . وألقت عليه عدة أسئلة لم يحرج جواباً على واحد منها . ولا فتح عينيه كان يصبح صبيحة رعب تدعو إلى الاشتفاق

وكان سبب هذا الاضطراب كل شدة الحرارة في تلك الفترة لأن للوقد لم يطفأ ، وكانت النوافذ كلها مغلقة

على أن (هيلاري ينسون) عاد فأغضض عينيه مرة أخرى فمادت أفكاره إلى ذلك الكابوس البيض الذي يتباد أكثر من ينامون بالنهار . ورأى في الحلم زوجته شيلاً تنبته بأعجب الأخبار وتمخبره في صراحة بأنها تبغضه وبأن حياتها معه مستحيلة وبأنها كانت ولا تزال تحب (جلبرت راي) وبأن كبرياءها وسوء فهمها لمضى للشرف قد جلاها تذهن للرجل الذي يدعوه زوجها . ولها تلك جلت أعباء التساسة خمسة أعوام

ما أظن ذلك الحلم !

لكنه بمحمد الله ليس إلا حلمًا فقط ! ... على

وحدها . وقال مصححاً سؤاله : « ألم تقل إلى أين ذهبت أو متى تعود ؟ »

وطعن لمحبته غريبة في نظر الفتاة ، وقبل أن يجيبه عاد فقال ليخفف ما ظنه غريباً : « إن سبب سؤالى هو ظنى بأنها ستسافر ؛ ولست أذكر هل هنا هو اليوم الذى أخبرتنى بأنها ستسافر فيه أم لا ؟ » وكانت التريزة تدفعه إلى إخفاء الحقيقة عن صبيين متسائلين . وكذلك ألجأ المحادثة توحى بمثل هذه الرغبة فى الكتمان . فلو أن أسرها لم يصل إلى علم أحد غير أصحابها لا فكروا فى نشرها وقالت الخادم : « إن سيدتها لم تأخذ معها شيئاً عند خروجها إلا حقيبة اليد التى اعتادت حملها . ولم تقل كلمة يفهم منها أنها ستذهب »

فشكرها وقال : « إن زوجته لا بد أن تعود فى وقت المساء »

ثم مضى وهو خامل وقد ازداد أله . ولكن الفتاة لم تشعر بشيء غير عادى ، ثم عادت إلى المطبخ لتعد المساء لسيدتها وسيدها

ولما بقى الزوج وحده فى الترفة ضحك وعزم على الذهاب إلى بيت جيلبرت ، كان وجد زوجته هناك أسرها بأن تعود فى الحال إلى مسكنها الشرقى ، وإن لم يجدها الآن فانه سيجدها فى اليوم التالى أو فى غده أو فى اليوم الذى يليه . وعزم على عدم العودة إلى المنزل حتى تعود ، وأقسم لا يجلس إلى مائدة الطعام إلا وهى بجانبه

— ٢ —

خزعت عريته الأيمال الواصلة بين منزله وبين منزل (جيلبرت راى) وكان الزوج قليل الأمل فى بقائها هناك لأن شخصين مجرمين من هذا النوع

يعد وجودهما مطمئنين فى منزل أحدهما لكنه عزم على البحث عنها فى كل مظنة من مظنات وجودها . ثم يتابع البحث وهو يشمرها بأنه لا يظل مطمئناً فى داره . وكيف الاطمئنان وهو زوج خدوع !

وقال للخادم : « هل الست رأى هنا ؟ إن كان هنا فاقدم إليه هذه البطاقة » وأعطاه بطاقة قتاده الخادم إلى غرفة الجلوس ، وفيها استقبله رجل مسن وقال : « أنت الست بنسون ؟ أذكر أنى رأيتك منذ عدة أعوام . أريد أن تكلمنى أم تكلم ابنى ؟ » فقال هيلارى بنسون : « إننى أريد أن أكلم ابنتك جيلبرت . ومهمتى مهم سرية لا تحتمل التأخير » وأرجو أن تخبرنى أهو الآن فى المنزل أم لا ؟ »

نظر الرجل المرم إلى بنسون نظرة استغراب لا فى لمحبته من الانفعال ، ودنا من مكتبه فأخرج منه بطاقة وقال : « إن ابنى لا يقم مى الآن وأنا أسف لذلك لأن مسكنى مظلم فى غيابه ، ولأنه يؤلم من كان فى مثل سى أن يقم وحده . وإذا كنت تريد مقابلة جيلبرت فستجده فى هذا العنوان » :

وقدم إليه بطاقة فتناولها هذا وهو يرتش ، ولم تخف حالته على الرجل المسن . ولكنه كان وديعاً رزيناً فلم يبد ملاحظة . وحلول بنسون أن يشكلم ولكنه لم يستطع فخرج وهو يتلثم فركب عربته ولو أن بنسون فكر قليلا بعد ما تمسه من هذا الرجل لأدرك أن فى مثل جيلبرت لا يترك مسكن أيمه ليقم فى ضاحية إلا إذا كان معه امرأة تسانده ، ولم يحضر ياله قط أن جيلبرت متزوج : لأن رغبته فى الانتقام لا تتفق وعنه الفكرة . ولكنه لاذهب إلى المنزل ووجد صاحبه متزوجاً واستقبلته تلك

المحدثين في وجهه : « نعم هذه هي فكرتي » قالت كلارا : « إنني لأرى قائدة من الكنب ؟ والحقيقة أنك لم تكن تعلم أن جلبرت متزوج . وقد أخبرني شيليا بأنك منمتها عن ذكر اسمه أمامك . وقد جئت اليوم وأنت تظن أن الحياة هي السبب الوحيد الذي يدعو الزوجة إلى ترك زوجها » فقال بنسون وقد بدا عليه الحجل : « لقد كنت غملاً فقد بدا لي هذا المأخوذ في حدة الغضب . وأرجو عدم التواخنة بـمسزاي؛ وسأخبرك بالقصة ثم أسنى إلى نصيحتك . إن شيليا تركت لي خطاباً بأنها غادرت المنزل ولن تعود إليه . ولست أستطيع أن أكنم عنك حقيقة هي أن جلبرت كان يجهل منذ سنوات » قالت كلارا ببساطة قلمة : « أنا أعرف هذه الحقيقة وأخبرني بها زوي » فقال بنسون : « إن اوتياي اليوم كان خطأ ، ولكن لما تركت منزلي هل شككت إليك من أي عجزت عن إسماعها ؟ » قالت كلارا : « إنك ضنطت على جناحها فلم تمكنها من الطيران » فقال : « إنني لم أهتم ما تقولين »

قالت : « هكذا أنتم أيها الرجال . فهل استطاع رجل قبلك أن يفهم المرأة ؟ إن شيليا كالطائرة خفيفة القلب تريد أن ترفرف بجنابها لحظة حول منزلها ثم تعود إليه كما تفعل الحمام حول عشها . ولكنك تضطرها إلى الاقامة في ظلة الحياة الزلية دون أن تفرج عن نفسها لحظة . إنها تحب الروح والوسيقى والألوان للبهجة ، فكيف مرة أخذتها إلى للروح ؟ »

قال : « عندما يعود الرجل متعباً إلى منزله بعد عمل يستغرق طول النهار فن الطيبى أن يظل في

الزوجة وأخبرته بأن زوجها جلبرت رأى لا يعود إلا في الساعة السابعة ، وسألت هل الأمر الذي جاء من أجله يدعو إلى غمابة زوجها بالتليفون ؟

— قال بنسون إنه لا مدحة إلى ذلك . وخرج وهو صاحب لأن مهمة ثانية ألقيت على عاتقه هي البحث عن رجل آخر يحبه شيليا غير جلبرت رأى لكن زوجة رأى لم تتركه يتأذر المنزل وهو متدمر يخاطب نفسه بصوت مرتفع وهو لا يدرك ذلك . فدعته وقالت : « أنت لا تصرفني ولكنني أعرفك ، فإن زوجتك شيليا صديقتي وقد كانت طالبة مني في المدرسة »

ايقم بنسون ابتسامة ارتباك ولم يجب فقالت : « إذا كنت أستطيع تأدية الخدمة التي جئت من أجلها لاقابلة زوجي فاني مستعدة لها » فزجيد بنسون بدأ من الكلام وقال : « أنا أعرف أنك صديقة شيليا ومن أجل ذلك جئت ، فأنا خرجت اليوم من المنزل فظننت أنها جاءت إليك »

ف نظرت كلارا إليه نظرة للركب ثم قادت إلى غرفة الجلوس وقالت : « اجلس فربما استطعت مساعدتك على وجودها . فها هو التفتون قريب مني » فاطمان بنسون إلى هذه التهدة وجلس وهو يلوم نفسه على خطئه التظن في اتهام جلبرت بزوجه . وقالت كلارا : « لما جئت تسأل عن زوي في أثناء بحثك عن زوجتك ؟ »

اضطرب بنسون وقال : « لاني ... لاني ... » فقالت مقاطعة له : « تريد أن تقول إنك تصرف صديقتي بها وأنها ... ربما جاءت لكي تقيم في ضيافتي يوماً أو يومين ؟ »

قال بنسون وهو ينظر إلى السنين الجليلين

— ٣ —

عاد بنسون إلى منزله في هدوء جالس في الترفة التي رسمها عن قمتي كتبه، وكان الليل قد أقبل وابتعد الجوع فانتش أمام نار اللوطة . وجاءت الخادم تخبره بأن المشاء قد أعد . ومع أنها لم تسأله عن سبب تتيب زوجته فقد كان عليه أن يخبرها متحلاً أي عنده ، ولكنه أصر على عدم الكلام فقال : « إذهبي فأعدى الطعام ولا تعودى إلى مرة أخرى حتى أعودك . هل نعمت ؟ لا تعودى إلى ! »

ودفعت الخادم وأخذ بنسون يمضى في الترفة ذهاباً وجيئة ، فلما زاد اضطراب أعصابه خرج من الترفة وهو لا يعرف إلى أين يذهب ، ولكن الترفة قادمة إلى غرفة المائدة جلس نسيكاً قسمه بالا يجلس إليها حتى تعود زوجته . وتناول أول قطعة فتذكر قسمه واستمان بجيئه على تحقيق مطلب الجوع فتخيل زوجته جالسة على الكرسي الذي يجانبه ، ووضع أمامها طبقاً وصار يقسم الطعام بين طبقه وبين ذلك الطبق . فلما هدأت ثورة الجوع قليلاً أدرك أن عمله هذا مضحك ، وأن الخادم إن رآه فسوف تسخر منه . لكنه احطأن إلى أنه أصرها بلحم الحية

وفي هذه اللحظة فتح الباب الذي وراءه وسمع هفافة ثوب ووقع قدمين فلم يجزئ على الالتفات ، وقال وهو يحسب أنه يخاطب خادمه : « لماذا جئت ؟ ألم أقل لك لا تعودى ! »

لكن التي تحت الباب استمرت تمشى والتفت مكرها فرأها زوجته فصاح : « شيليا ! »

على أنه لو كان لم يقابل كلارا في ذلك اليوم لاستقبل زوجته بخجل هذه العبارة : « أيتها الخفاه

الزول » فقالت كلارا : « وأنت لا تحب الزول على البيان ، فإذ عرفت شيليا أمامك طلبت إليها أن تسكت ؛ وإذا تكلمت رجوتها أن تترك الترفة . هذا هو أنت ، وهذه هي شيليا التي أصرها حتى العرفة »

فكر بنسون فيما سمع ثم قال : « بعض النساء يقمن بواجبهن للتزلية خير قيام ولا يطلبن اللهو وأظنك واحدة منهن » فقالت : « نعم ولكن عندى من الترضيات ما ليس عند شيليا فأنلى أتناوليس لها » قال بنسون : « قد أكون مندفعاً أو أفتانيا ، ولكن هذا ليس يصلح عنراً أترك المرأة منزلها . وقد كنت ألاحظ من شيليا هدوءاً في العهد الأخير فأظنه علامة على الرضى... على أن البحث عن النلطات ليس يفيدني الآن ، وأنا فأريد زوجتي ياسر راي ولا أعرف كيف يقابل الزوج خدمه وأصحابه إذا تركته زوجته » فقالت : « أنت لا تفكر إلا في نفسك فهلا فكرت في شيليا ؟ »

قال : « لقد أقسمت لا أجلس إلى مائدة الطعام إلا وهي بجانبى ولا أعود إلى الزول حتى تعود » فقالت كلارا : « لقد وعدتني بسلامة نسيحتي فأذهب إلى منزلك وانتظر عودة شيليا فأنا أعرفها . إنها تحاول تجربة أنا جنحتها ، ولكن أجنحتها لن تستطيع حملها مدة طويلة ، وليس ابتعادها إلا تمجيحاً في القضاء إلى أمد قصير .

قال : « أمنا هو رأيك ؟ » فقالت : « نعم ، فأذهب إلى منزلك ولا تد إلى الضنط على جناحها » قال : « ولماذا لم تخبريني بالمكان الذي ذهبت إليه ؟ » فقالت : « لأنك كنت تتبعها غاضباً ساخناً وتريد من الضنط عليها فلا يهملك أنها غابت ويجب أن تكون واثقاً منها »

يمتد بأن جليبرت غير متزوج فقال : « لاني ...
لاني ... » وتلثم قالت : « الواقع أني كنت
هناك وقد ذهبت لزيارة زوجته لأنها زميلتي في
اللدسة، ولم أخبرك بأن جليبرت متزوج لأنك كنت
تخشى من ذكر اسمه »

قال : « لقد كنتي كلارا بما فيه شميري »
وقالت كلارا : « ما جناحن ضيفان لا يعويان
على حلي يا بنسون ؟ وقد كنت أحول تربية جناحين
آخرين ، فلما جريت الفرار بهما من الحياة الزوجية
لم أستطع ؛ ولذلك لن أعيد التجربة مرة أخرى »
فقال بنسون : « بل سترين لك ولي جناحين
حتى إذا ملقنا المش طرنا سوياً في جولة قصيرة
حول عشنا ثم عدنا إليه »
عبد اللطيف الشاهد

ما هذا السك للزري ؟ لقد خرجت على ألا تمودي
فندمت في أقل من ساعة وأضحت الناس على نفسك .
إياك أن ترجي إلى هذه الحادثة مرة أخرى »

لكن كلمات كلارا أثرت في نفسه تأثيراً حسناً
فانقعد لسانه ثم ابتسم وبعد لحظة قال : « تعال إلى
عشك يا طائري الجميل . لقد كنت لا أعرف كيف
أتناول المشاء في غيبتك قصصورتك بيجاني ، وقد
كنت غططاً عندما محادثنا المرة الأخيرة ، وكنت
أجن عندما تسلمت خطابك وأقسمت لا أعود إلى
الغزل حتى تمودي ولا أجلس إلى اللانة إلا معك »
قالت شيليا : « وما الذي غير رأيك ؟ » فقال :
« إن كلارا راي قد أرتمى مبلغ أنانيتي »

قالت : « وما الذي جعلك تذهب إلى منزل
راي ؟ » فغص على ألا يوح لها بريقته ، ولكن
أي تليل آخر كان مستحيلاً لأن زوجته تعلم أنه

الصيف خفيف هذا العام لأن

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية

الخفيفة على اختلاف انواعها

جميلة في الوانها

معتلة في اثمانها

فبادروا بأخذ طلباتكم

فلم يقهشني، مما يكون قد فاقك ولم ته ذا كرتك
فترامتلا أمامك كأنك تراه وتسمه لأول مرة
هل هذه «الفُرجة» المحببة نعمة أو قسمة؟
أحى هبة وموهبة تحمد الطبيعة عليها ، أم بلاء
ووبال يسعد للرد بخللص منه ؟ الحق أننى

لا أزال حائراً لأدري ما أقول
لك ، وأنت التي حركت هذه
الفكرة العميقة في نفسى وأثرت
كل من دأى

أهذه لوزان وبحيرة ليمان
وأوسى التي غادرها منذ عشرين
عاماً ، بعد أن أرغمنى طوارىء
الحياة القاسية على قطع جبال
الشباب، وتبديد أواصر السعادة،
فهجرت غرقى ودرسى في فيلا
يانكا بأثود زيليب . لقد مات
أبى فى جنوب أفريقيا ، هيرمان
كراوس صاحب منجم الماس
النسوب إليه فى السبعين من
عمره. ولم يكن مريضاً بدها سوى
الشيخوخة الباردة السعيدة
ولكن قد قد كان أليماً على وعلى
والحق لأننى أولاد وأولاده وأخروم..
نم . نم (إنه لم يتزوج إلا بعد

الخمسين من عمره بأشهر معدودة . وهو الذى
جاء فى فى المباشرة من عمرى إلى فيلا يانكا
لأثباتي اللغات الحديثة على موسيو بروشييه
وزوجته . كان يجب أن ينشئ بيده عن بيئة الناجم

سِرِّجِنْبَالْقَائِمَةِ الْمَظْلَمَةِ

بفضل تونى كراوس
للأستاذ محمد لطيف جعينة

ما هو ذلك السر الذى يجمل
الماضى قائماً ، على الرغم من سواد
بعض حواشيه وصهارة مذاق
الكثير من أيلمه ؟

ما هو ذلك السر الذى يثقل
دور النقاش الماهر الذى يتناول
الأقلام والألوان ليصنع
الحوادث بصنعة زاهية وردية
وبنفسية وخضراء رائحة ؟

ما هو ذلك السر الذى يفتح
من روحه فى أشباح اليبالى
والأيام الحالية فتنتفض ميمونة
من قبر الدكريات كاللوى التى
تعاودها الحياة يوم التشور ، وقد
خلعت عليها القوة الخائفة أوتاباً
قشبية وحللا موشاة مزركشة ؟
بل ما هى القوة الخفية الماكرة
الساحرة التى تشر أمام عينيك
لوحات متسلسلة متصلة ، متحدة
من تصاور الحياة التى جرت
وكرت وفرت . وقد أعتقدت

التفاهلما واكتنازها وعمرها ، حتى إذا تأملت
وأنت النظر فيها أذهلتك دقتها وبراعة المحرص عليها،

(١) Candelabre نجمة حاملة الشموع من المذنب والبالور
candelabrum ويمكن تزيينها بالترابيزات وفى العرفى التيف
الاصفر

(تونى كراوس هو كاتب هذه
القصة القصيرة ، وقد أثارت شكوكا
كثيرة لأن بطلها يحمل لقب المؤلف
هـ . فتبادل القاد إن كان قريبه
أو يمت له برابطة من روابط الدم
والنسب . وعلى كل حال فإن القصة
لا تطوى على ما يبين بطلها .. وليس
الحق فى اختيار الموضوع بقدر الهلابة
فى سرد الواقع وبطلها ونصرها
بهد طيها ، واتخاذ القصة من توادى
الأفنية والأفكار ، وحلها على طريقة
سهلة لينة تفرى القارى ، بتبنيها بأصبي
الفوق . أما الراوية للزعم - ولله
الحق - دوجلاس كراوس فجل
هيرمان كراوس فلم يرث عن أبيه
سوى اللالين وتاريخ الحصول على
الكثرة . أما الخاطر للناسه ونحرج
كؤوس الألم فلم يرث الولد منها
شيئاً سوى الليل إلى الترف
والاضطباع على قواعد المزادة فى
التفادى الكبرى فى جنب المخططات
وقد سلك المؤلف سلكاً طريفاً فى
سرد الحوادث المفاجئة بتسلسل
وسلاسة يسهلان له بيلو الكب
وطول (الع) . عن واديوه مجازين
(مجلة أرض الله الواسعة)

وأبدوا أكثر ذكاء مما ينبغي لثلى . هذه عمدة أو
منعة ؟ نيك تفسر كليك . إن كان ما ترجمين
صحيحاً ، فلأننى عشت سنوات التكون بيدياً عن
حنان والدي ، ولا سيما أوى ، فلم أنود التذليل
ولللاينة فاعتمدت على نفسى فى منظم الأحوال ،
حنان بروشيه الرجل وروشييه المرأة كنان الإوز
صوت يجلب الصداق ، بلائدى ولا رضاع . فريت
نفسى وأدبها . وأنت أيضاً لك الفضل فى تعليمي .
أنا أحبك منذ ثلاث سنوات وأخفى حبك عن
العالمين . لو علم أبى بملاقتنا لقطع أسباب رزق
وتركنى ضائماً فى شوارع لوزان المتحدرة ، كنت
أبيع القطع شتاء والبنفسج سيقاً على متنزه
مونيونون ، أنا دوجلاس ابن الكرم هيرمان
كراوس صاحب منجم الماس بكبرى . وحتى هذا
الشيخ الطيب بروشييه ، لو لمخى فى نك الفترة لوتشى
بى عند والدى لينال المحطوة واللكاة . والحق يقال
إن والدى أغلق عليه وأوساه بى . وحمل إليه هدايا
كثيرة من كابتون وبلومفوتين ولادى شيت ،
خصوصاً ذكريات حرب البوير الألمية التى دوخنا
فيها جيوش جلالة الملكة والأمباطورة فيكتوريا
رجمينا . نحن سلاح البوير الأماجد ، ورئيسنا
كروجر قوبل فى مرسيليا بمظاهر التظيم والفرح
ولكن هذا كبرج قديم . يهمنى أن أقول لك
إن قومك قوالون لا فسالون ، فيف لا ليرتبه ا
وبعد ذلك بقليل فيف لا يجتبر . لا يهكم إلا
الفرنك ومستمرات شمال أفريقيا وبعدكم الطوفان
ولكن الله سلم الم يما أحد ، لأننى كنت أخطأ
فى رحلاتنا الصغرة إلى موريجان وشاتيل جيون
والآن يا نينا يمكننى أن أعيش معك فى سراحة

الصاخبة للملكة . ليس لال الذى تركه لوالدى ولاهى
هو الذى يهمنى . كان يهمنى أن يعيش ولو عشر سنين
أخرى ، حتى أبلغ ختام القند الثالث ، كانت هذه
هى أميتيه . ولكن ليس كل ما يهمنى للرد يتركه .
كان يزورنى كل عامين مرة .. ومنذ صار الطيران
مأمون المواعيد كان يجرى إلى سويسرا مرة فى
العام مصحوباً بالذى . وللة الأخيرة باقية صورتهما
فى ذهنى لا تزول كأنها شريط صورة متحركة ...
كان يشمر للسكنى أنها زيارة الوداع . وكان يقولما
وقد أنفى إلى بسر حياه . إنه سر رهيب
يا نطونيا . انت فرنسية ... فلاحه من شالون
سيرسون ... ماذا قولين ؟ قرية شوقاى ؟ ربما !
أنت طبيباً أدرى باسم قريبك الذى لا يهمنى بقدر ما
يهمنى جمال عينيك وسواد شعرك وتضيد تاليك ..
أقول إنك فلاحه فرنسية فلا يمكن أن تتركى روحى
وروح أبى . أى نفسياتنا — حالتنا النفسية — عقليتنا
غريبة منك وعن قومك . نحن هولنديون أصلاً ،
ويهود عقيدة وأنجليز وطناً ومناصريون هواة وباحثون
عن الماس فى كبرى الاحترافاً . وقبل كل شىء طلاب مال ،
وقد حصلنا عليه مصادفة وتوفيقاً بعد أن فشلنا فى
اجتهادنا .. ليس النجاح حليف الاجتهاد أبداً ..
لا تصدق هذا الهرم . هذه خرافة اخترعها اتباع
الفكر الحر والملاحدة .

الرد يا نينا لا يملك لنفسه نقماً ولا شراً ...
صديقى ... إيه ؟ نم ؟ قولين إننى قدردى لأننى
يهودى ، ويهشك أنى أبدوا أكثر ذكاء مما ينبغي
لثلى فى مثل سنى ، كذبت وأيك ، أنا قدردى ،
أومن بالأفضية والأختار ، لأننى يهودى ، بل لأن
حياة أبى منحة من كتاب القدر ، والواقع يؤيدنى

لا هازلاً . فاقبضم للرحوم ابتسامه صفراء ، ثم حرق الأرم وأبرز فكه الأسفل وابتد في نظره التزراء شمة لم أر مثيلاً وقال لي : حسنًا تفعل إذ تشك في صدق أليك . وقفز في أتل من لع البصر وعاد بالوثائق التي لا تقبل الشك في إثبات صدق روايته . وإليك الآن خلاصة منها كما حدثني أبي : « قال نشأت في جنوب أفريقيا من والدين هولنديين ، وكنا نعيش في ضيقة صغيرة على ضفاف نهر أورانج ، وكنت منذ شومة أظفاري أسمع الحديث عن الأحجار الكريمة ، والجواهر الثمينة ولا سيما اللاس . فاعتقدت بكل قواي أن ثرائي وعزى ومستقبل حياتي في اللاس ، دون سواه . في ذلك الحجر اللامع للبراق الذي يشع منه النور بقوة سحرية . ولكن أبي كان يترضى ويوسنى بالأرض والزراعة ويقول : إن الطبيعة خير سامن لحياتنا لئلا نسا ، وإنما إن ضنت عليك اليوم بخيرها ، لا بد أن تجود بأضعافه غداً . الأرض كالنادة تنضب يوماً وترضى أياماً . ولكن قوله لم يقتنعني قليلاً ، فهجرت المزرعة والاصطبل والرحى ، ورحلت إلى رأس الرجاء وآمال وديريان ومدغشقر ، واشتغلت في كل سنة وفن حتى ادخرت مالا قليلا فشددت رحلي إلى مناجم اللاس وشريت « أسهماً في امتياز » ومعنى ذلك أنني كنت حقاً بالبحث والتنقيب ، فاستأجرت عمالاً واستخرجت الله في بقعة من الأرض الوعرة . وأخذنا نعمل ليل نهار في بطن الأرض تلمس البريق من خبايا الطبقات اللظلمة حتى إذا نحن ما يشبه اللمة طارت نفوسنا شعاعاً ... ولكن أمتابنا ذهبت هباء ، وهكذا لال ... وهناك حول جيمستون وكيمبرلي وكونكوست لوك رجال يتجرون في عقولنا ويسيشون

وعلاية ، بعد أن مات الوالد العزيز . لقد سلبنى موته سعادة الشباب وعدم الشعور بأعباء الحياة ، وجلب لي الحرية واللال . أمي ؟ ... أنا لا أحبها . إنها في الخامسة والثلاثين من عمرها غنية جداً ، وتملك قصوراً في هولندا ورتتها عن أبيها إليها فان كيكوم أحد الشركاء في مصنع قطع اللاس في امستردام ، وضياهاً ومناجم في جنوب أفريقيا ورتتها عن أبي فاجابها إلى . يمكنها أن تزوج بمن تشاء في أي وقت تشاء ، وليس في الرصبة الكريمة شرط يسوقها ولا في شريعتنا مانع يجرها نعمة القيران .. أنا لا أذهب إلى جنوب أفريقيا إلا مرة واحدة كل عام لأقبض نصيبي وأشرف على مجلس إدارة النجم السعيد الذي وقع في سهمي . وهكذا هبطت من سماء التعليم الجامعي إلى حضيض الاتجار بالجواهر — كوهي نور — كوكب أفريقيا — دوة روديسيا — ولكن أعظمها جميعاً نجمة القارة للظلمة . طبعاً أنت لا تملين شيئاً عن تاريخ تلك الجوهرة النفذة : نجمة القارة للظلمة . إن تاريخها هو تاريخ ثروتنا — ثروتنا وفقراً — أعني أننا بدونها لم تكن شيئاً مذكوراً . إنني تلقيت السر عن صاحب الشأن نفسه في القصة ، عن الذي التامل الله كرهيمان كراوس . (فيرست هاند أفور ماشين) كيف أقولها لك بالفرنسية ؟ خبر صحيح عن صاحبه مباشرة — حديث مباشر لا وسيط فيه بيني وبينه ، ليح لي به قبل أن يموت بضعة أشهر . لقد قلت له بعد أن حكاه واضطجع منهوك القوى : بحق جيهوا ، إنك واسع الخيال يا والدي خصب اللوالب . خسارة كبرى أنك لم تنل حظك من تأليف الرثايات^(١) للصور المتحركة . وكنت جداً

ونفقات العلاج وأنسبة التأمين على حياة العمال الذين قد يقضون محبهم في جوف النجم ، كل تلك النفقات تقوى مقدورى على الصرف . ولو وجدت ربحاً مثلك يقدم المال ليكون الأمر بيننا مشاركة بالنصف ما فرطت في هذا الليل بالبيع . قلت : ولم لا تؤسس شركة مساهمة

قال : يطلب مجلس الأمناء قبل الاكتتاب برأس المال الوقوف على السرى ، فاذا وقفوا عليه ضربوا بالشرف عرض الحائط واستنزلوا النجم لأنفسهم وهذا حدث بنصفه ونصفه لجون صابستفندوها كني كوتش سبرنج وكان كلنذر دويست المولندى وغيرهم .

فاكاد الرجل يفرغ من كلامه حتى دفعت المال وأخذت الخريطة

واعتمدت للتكلم دوجلاس كراوس في مقدمه على قبرائنا فندق بوسيجور الطلة على بحيرة ليمان في مدينة لوزان تلك المدينة التي تلم فيها على يد موسيو بروشييه وحرمة . وأفرغ نظرائه الحارة الخارقة في عيني عشرة أنطونيا شينو (وكان يدعوها نيتا تديلاك) تلك الرغبة من شوقى سيرسون التي علمتها شالون . ومد ذراعه القوة اللينة حول خصرها ودعا بالخدام وقال له :

زدنا من ذلك الشراب الأخضر
فقال نيتا : يرنو . ثم نظرت إلى ماشقها المملاق الحليق الشارب والمزمزمين وقالت له : إنها قصة محبة عميقة ، يزدها جالاً أنك راوبها ، وأنها حقيقة لا شك فيها
فقال : كلا أنت ذكر أنه لولا ما طساه أبى هيرمان كراوس من الآلام وقع فيه من المخاطرة لم أكن

على غفلتنا ، فيعمون لكل راغب خرائط رثة ورموزاً عتيقة ووثائق عريضة يزعمون أنها حقيقة غصن للثقيين وأنهم يملكون مقاييسها بشرط أن تشتريها فيدولوك على نفس البقعة التي لا يحوجك إلى كثير عناء . ويزينون حديثهم بإبراز قصاصات من الصحف تؤيد مزاعمهم وقصصهم ويدعمون خرافتهم بأسماء وألقاب وتواريخ . فلا يكاد أحداً من المتجدين على قاعة الأطلال التي لاحد لها ، يسمع وقرأ ويرى وجه المهندس الجمد وحاجبيه الأبيضين وسبيته اللية بالظلمة والتنايلوعينيه الخارقتين كيني المقلب حتى تزول آخر شكوكه ، ويؤمن بصدقه ويحسد بالمال في سبيل الحصول على « دليل النجم » (وم هكذا يسمون تلك الخرائط والرسوم) فيتوهم أنه حصل على عقد ملكية أو « حجة بيع » لأرض نابتة الحدود والمال بالبنفسه إلا وضع اليد لاستئلاها ولم ينظر ببال أحد منا ونحن نبذل المال في سبيل هذه الخرائط الوهمية أنها لو كانت ذات قيمة أو تدل على مواطن الناجم لكان صاحبها الذى يبيعها أولى الناس بها . وحدث في يوم من الأيام أن عرض على أحد هؤلاء المتأخرين بالخيال والآمال فأخرجت الثمن مائة جنيه إنجليزية وتناولت الورقة بيدي ثم وقفت فجأة وامتنعت من الدفع وقلت له :

— إننا كلنا ما نقول حقاً فما يدعوك إلى التفریط في دليل النجم بالبيع ؟
فأبتم الرجل ابتسامة عريضة ساخرة وكشر عن أنياب طوعة صفراء وقال :

— سؤال وجيه والجواب عليه أوجّه . اعلم يا سيدى الباحث عن الماس أن شراء العدد واستئجار الرجال وتأسيس مستمرة للتعقيب وتسلية الحرس

من دقار التلاميذ في المدارس ، هو الرجل البوري
 السجوز الذي وقف في وجه امبراطورية بريطانيا
 العظمى لحرية وطنه . ثم أخذنا في السمل على قدمنا
 يسمح به رأس المال الضئيل . خمسة آلاف جنيه
 رأس مال ضئيل جداً كاللابة على أذن الفيل ،
 بالنسبة للأموال التي تجمع وتفرق بل تنوب . إن
 المال الذي يضيع كل عام في البحث عن اللاس يكفي
 ثلثا لنصف اللاس للوجود في العالم ... تصور ياوهي
 دوغلاس . وأخيراً .. بعد جهاد دام ثلاثة أعوام
 ذقتنا فيها حرارة العيش وورضتنا بشطف الحياة —
 عثرت أنا بالجحر الكريم في شكل فصوص سنيرة
 لا تريد على قلامة الأظافر . فاحتفلنا وضحنا وطعمنا
 وشربنا وأعدنا على المال والأحراس وضاعفت قوة
 الملمع مع أن الذي وجدته لا تبلغ قيمته خمسين جنيهاً .
 ولكن من يدري لعل في النجم ما قيمته خمسة ملايين .
 ولكن فجأة تغير الجو في النجم ، أي بيتنا نحو
 الشركاء ، غدت شبه طسفة ، فأدركت السر من أول
 الأمر ، ثلاثة من الأقوياء وهم شرار النقاية تواطأوا
 فيما بينهم على إقصائي وصاحبي ، ولهم في ذلك وسائل
 شتى — وإلهم والحق يقال يقولون على حياتنا إذا
 تنازلت عن كل حقوقك في سميت وبدون مقاومة ،
 فإن مُرت على هذا النظام الجائر يقدمون إليك ما
 شئت من المال تقدأ وعداً حتى ترضى ، وتوقع بمصائبك
 على سلك تنازلك — واعلم أن هذا السك يشمل
 أيضاً الحكم عليك بالإعدام فانهم يتناولون الورقة
 باليمين ويطبقون عليك الرصاص بالثمال . ولكن متى
 تقع هذه الفتنة ؟ عند ظهور الجوهر في النجم ،
 لا قبل ذلك

لا تخرج بشيء مما أنا فيه من ضروب النعم ، أشعر
 بلذعة النعم على أنني لم أكن قادراً على موته .
 وجاء الخادم بالفتنة الخضراء والكأسين فلأما
 وأبرت الخمر الزمرية في ضوء الأسيل وانسكت
 أشمها على ممدن الأنية البيضاء اللامعة . وأحس
 دوغلاس على وجه نيتا ليقبلها فرفست رأسها وأدنت
 فها من فته في قبة طويلة حالة

— ومن البعث أن أقول لك ياوهي — هذا
 أبي الذي يشكرنا لا نقصد خيط القصة — حذارا —
 من البعث أن أقول لك ياوهي إن باع الخريطة هو
 الذي فاز بالنجم ، منجم الذهب أي المائة جنيه
 التي دفعتها . وها هي الخريطة عندي لم يبق أحد على
 حل رموزها . ولو كان لك سلبان نفسه في حثرتنا
 نحن بني إسرائيل حياً برزق ما قدر على فك أسرارها .
 فلما فقدت ما كان مني عدت إلى العمل والكفاح
 حتى جمعت ألف جنيه — ومن يستطيع دخول باب
 الجنة أو جهنم بأقل من هذا القدر من المال ؟

وفي هذه المرة أجلس في الدنيا فأنى تعرف
 إلى نقابة من الباحثين — يسمونها نقابة أي نواة
 لشركم سامية — كنا أربعة ومع كل منا ألف جنيه ،
 فبحثنا عن خمس يملك ألفاً آخر ، حتى وجدناه ،
 فانضم إلينا وهجما على منجم هيجور وامطننا
 عقد بيع صوري من أصحاب الأثمين ولم تكن نرضهم
 ولم نسمع بأصواتهم ، ولكن في ديسونديل وكلاء
 أعمال ووسطاء يقومون بهذا النوع من المدايع
 والتزيف . ثم سجلوا العقد وخنموه بأختام أورانيج
 ريفر كولاني وترنسفال ريدليك — ولا يزال ختم
 هذا المسكين كروجر عندي على هذه الورقة البالية —
 أنت تعرفه في التاريخ ، إن لم يكن الانجليز يحرموا اسمه

يقول أبي هيرمان كراوس : تجريت بليل ، وجست خلال الأدغال والحراج ، ولاست الأقمعي والحليات ، وكذت أفع فريسة لأنياب الضواوى ؛ وكان فى أذنى طنين ودينين ، وفى عيني ريق ، وفى صدرى زفير بنير شهيق . المال للضائع والأمل الخائب والندى الميت ومصرع الرفيق ووحشة الطريق .. كم يوماً فى الطريق ؟ لم أعد الساعات ولم أحص الأيام والليالى — كان صباح وكان مساء ، وكان برد ومطر ولجافة وقيظ ، فتمزق وجعى وخلفت ثيابى ، وتبدلت نعال حذائى . فلما أمنت عاقبة الاقتضاء وأيقنت أن لا أحد يرانى ولا طلق يمينى ارتجبت على ظهوى فى سفح جبل ... فى مكان جميل ولكنه موحش . نود وعجى ماء وشجرة تفاح برى وحصاء مبهمة بلون الياقوت . وكنت فى أشد الجوع وأحر النظماء ؛ ولكن تيمى وإنهاك قواى كأنها أشد على نفسى من الجوع والبطش ، فلم أملك طعاماً ولا شراباً وإن جرى الماء تحت قدمى ودنت الفاكهة من يدى . فتمت واستفرقت وحطت كما يحلم الحيوان ورأيت فى الرقاد ما يرى القطط والكلاب والنفوس .. ثم رأيت رضى الرجال .. مخلوقات البشر . صاحبى الذى قتل برصاص الأوغاد الثلاثة ما زال حياً ، وما زلتنا نجري للفرار من أيديهم ، حتى بللنا مكاناً قصياً فصالحنا ثم تخاسمتنا فنازلنى ولاكنى إلى أن عجز عن الثلب على فتناول صخرة ضخمة وقذف بها ، فأساب رأسى فصرخت ووقت مفتشاً على

فى تلك اللحظة تفتحت عيني على ألم فى رأسى لم أر مثله ، فوضعت يدى مكان الألم فانا سائل لرج يجرى ويتدفق فحولت يدى أمام عيني فانا بها ملطخة

فقال لى صاحبي وهو شريكى فى التنازل المحتوم وللموت المنتظر : الأولى لنا أن تطلق بأذيل الفرار ثم سميت قليلاً وقال : هل لك فى مناصرة ؟ قلت نعم . قال تطلب المال والأحراس عليهم فتشدى بهم قبل أن يتشوا بنا . قلت : ومن يضمن أن المال والأحراس لا يتشون بنا ؟ قال : هى للمناصرة كما قلت لك . ولم أكن غريباً من جنوب أفريقيا ، ولكنى غريب عن القاطنة ، قتلته : والحكومة ؟ فقال : الحكومة ... أية حكومة ؟ الحكومة هى اللين : للنجم وللأل ... (١)

وفى تلك اللحظة تثلث لى حلاوة الحياة قتلته : أما أنا فالوز بالفرار وأتجو بالبقية الباقية من عمرى ولم تكذب تنعمى من هذه الواسرة الخائبة حتى دخل علينا الثلاثة الأوغاد وقالوا : « هاندزأب » وهى نذير الهلاك والفتاء والقضاء البرم ، فرمنا أيدينا ثم ألبينا تنازلنا ووقتنا عليه تحت أفواه السمسات ، فتناولوا المتآمرين ثم جلدونا بالسياط حتى أدموا جباهنا وشوهوا وجوهنا وساقونا أمامهم كما تساق الأنعام حتى أخرجونا من حدود المنجم الذى رويناه أرضه بدماء فلورينا وعرق جبيننا . وفى الظلام الحالك أطلقوا علينا الرصاص فأردوا صاحبي قليلاً ونجوت وحدى وكانت مجبرة . فقالت نيتا : كل هذا فى فى سبيل الماس ! فضحك دوجلاس كراوس نجل هيرمان كراوس الذى قامى هذا المذاب

— سبيل للماس وأن هو ؟ فى سبيل الأمل . ألا تعلمين أن كل قرط أو حبة أو غنم من ذلك الحجر اللثيم اللون يحمل فى ريقى أشسته دماء ألوف من الناس ودموع أرامل وأيتام وأيامى لاعيدعلم ؟

صارت بعد بضعة أشهر نجمة القارة النظلة التي
أضمت أقل على من نفسى وأغر ، فلم يهدنى
خيالى إلى خير من أن أشدها إلى فجوة رأسى التي
جرحتها . واقتزعت أكام سترى وصنعت منها
رباطاً متيناً ، صار الحجر الكريم تحت كبلته
سراجاً هندى . ولكن مظهره يدل على متنى الفقر
وكسبت من الكنز الذى أحله قوة عصبية
وجلداً على السير . وتبلت يضع تقاحات وترودت
بثملها واحتسيت الماء براحتى ووجدت في ذلك الأمان
لذة كبرى . كنت بالطبع أخبط في الثياب خبط
عشواء لولا أن أشرق القمر ودلى نوره على أجماء
الشبال الترى الذى أقعد إليه . أنصق بإحدى
دو جلاس — هكذا كان أبى يقول — أن الخراب
أكثر من العمران براجل ، وأن الخراب أغنى من
العمران بجملة وأنماع أركاه ووفرة خيراته ؟ فكنت
أسأل نفسى في دُمى الليل — أنا ذلك اليهودى
المتنصر — سبحانه يا يهوا ! هل خلقت كل هذا
عبثاً ؟ حللنا وكلا ! لن هذه المسامح الشاسعة من
الأرض ، وتلك البطاح التي لا يحدها البصر ولا
يلغ مداهما المنظار القرب والمسامت للكبرة ؟
وكم معنى من القرون على تلك الأراضى الخصيبة
الصالحة للزرع والفرع ، والأنهار الجارية والجبال
الشائعة والرياح اللوطة والبساتين للشرقة بالأشجار
والأزهار المخفضة الباسمة كالأبكار التي تقضى
الشباب في التبتل والحرمان المأمم ؟ أخلفت سبحانه
هذا الفنى عبثاً ؟ إن اللادين من هذا الجنس البشرى
النفس تيش في أما كن سنك متراحة متلاحة
متراسة كتمايل الخشب وحى في غلة وجعالة عن
هذه الساحل والساحل ! تنفس الأهوية الفترة

بدى فنهضت مذعوراً ، وإنا فى أرى حجراً ضخماً
قد شج رأسى من خلف فتناولته ..
أنظر ! إسبح ! إسبح . حجر من اللس لا يقل
وزنه عن أنة ونصف أنة .. لو أننى عثرت به في حالة
الصحة والرضى والجوحة لفقدت عقلى . ولكننى
وجده وأنا قرب من الموت والجنون ، فلم يزدنى
ذهولاً ولا أمناً ؛ والهم الذى كان يقتلنى لو غلا في
عروقي من شدة الفرح فصدته مصادفة . كيف
تفسر تلك الحادثة ؟ يا دو جلاس ، هدية الروح ،
روح صاحبى التي زهقت ، إلى أنا الشريك المخلص .
أراد أن يثنى ويقتل .. يثنى قبل الموت بطرفة
عين ، قصدت تلك الماسة الضخمة وقضى بها ليشح
رأسى وليهدى — إن كانت اللوق تهدى اللوق —
إلى أن ما لم يُقتل في الحياة قد نيل قبيل الموت ..
لا ، لقد عرفتني في طرفة عين في البقطة الصغيرة
بين اللوة الصفرى والنوم الميق . أيقبل أن مثلى
يجهل الناس ، ذلك الحجر الذى قضيت بعض عمرى
في البحث عنه والتقيب عليه ؟
نهضت مذعوراً وفرحاً . وبعد أن كنت آمناً
في الوحدة مطمئناً للسكون والخلوة ، أرحب
بالأخطار التي قد تنفذني من حياة التفرد والتفرق ،
أسيت صرعياً من حجة البشر أترقى في قلق
وأدعو الله أن ينفذني منها . وكان همى أن أفر من
ذلك الراوى المصيق إلى الحضارة التي تصرف الجواهر
وتقدرها . ونضحت عيني على التسبع بعد الجوع ،
والراحة بعد التعب ، والرى بعد الظلم ، ولكن
دنى كان يقر غزيراً حاراً رجعاً ، تنحمة الجن .
ففسلت الجرح بماء التدبير ثم ضمته بأوراق الشجر
وفكرت في طريقة لاختفاء الماسة — وهى التي

ويست أفريقيا « وهناك خنثى دقيق على اللاس
بصفة خلسة . كان كثيراً من عمال المناجم يفرّون
بثلاث الموائد أو تراب إيل الذهب فيقبض عليهم
ويشكل بهم ... ولما بلغت الحدود كنت في حال
يرى لها من الجوع والخمزيق والشف . ولم يكن
يصلب مودى إلا أمل الفرار بفرق . وكنت من
التجرد بحيث أنف حرص الحدود أن ينظر إلى
بدني النصف العاري . فقلت دور السائل
واستجبت القوت . ولما سئلت عن حمامي قلت
جرح متفخ وحمت بذك أربطني ضافوا النظر
إليها وذكاني أقسام قلياً خارج الحدود ليعنى
منظري عن عينه ، فحمدت الله وساق هذا الكريم
الذي رفضني . وقطعت أرضاً للمستعمرة الألمانية إلى
أن بلغت ميناء ونهوك بعد أن اخترقت صحراء
كلاهاريونسياً كبيراً من بقعوا نالاند . واشتغلت
في ونهوك سائقاً لسيارة كاجر غني من جروت
فوتين . وتموت أن أخفى ذخيري في مخزن أدوات
التصليح وألم بجوارها في الجراج فلا تنيب عنها
عيني نهاراً ولا أفاقتها ليلاً . حتى استمدت صحتي
وجئت مالا يكتفي للسفر إلى أمستردام مقر تجارة
تلك النصف الغنية وموطن مصانع اللاس وبمجهز ،
وعلى ظهر الباخرة جئت مالا وطاب من التلوات
الناددة عن تقدير الأحجار وقصها ، وطرائق
عرضها وأسماها الجراء فيها وكيفية الاتصال بالخبراء
والوسطاء ورجال القانون للتخصصين لمسايل البيع
والشراء وحيل الماسة والتجار ، في استبدال
المصفقات أو ترقيتها وتقويت التوائد على أرباحها
وألوان الماس واللكايد و « المقاب » التي يتقنها
الجب واليدنان البشرية التي تحوم حول الثروة

الثروة وفي الكون ذلك القضاء الواسع . وأنا .. أنا
هيرمان كراوس .. أسير وحدي وأهل على رأس
ثروة تقدر باللايين ، ولا يعلم بي أحد من خلقك ،
ولو علوا في لزقوني إدياً ، ولو كانوا أقرب الناس
إلي ، لينالوا تلك الجوهرة الثمينة التي أسأفتني في
ياغوخي ... كما تعلم يا جهوا عند ما أردت أنت ،
ولم أكن أريد ولا أشعر ولا أنتظر . إلى أكاد أجن
من الفرح والعشة والخوف والرهبة منك
يا جهوا ! رزقتني بنير حساب ولا اجتهد ولا
انتظار .

— تذك ! تذك ! يا دوجلاس العز

— ماذا بك يا نينا ؟

— أبوك هذا كان حاكماً من الدرجة الأولى ؛
كان يشكلم كأنياء بني إسرائيل ، لا أذكر أنني
سمعت مثل هذا الكلام إلا من فم جدتي وهي تقرأ
بعض صفحات العهد القديم للدرجة . ماذا تسمونه
عندكم ... التوراة ... نعم توراة . لقد صدق من
قال : ضع اليهودي في البئر الخربة أو ألن به في غيابة
الجب يخرج لك صيرفاً أو وزير مالية .. وهذا أبوك
يصير رغم أنه تاجر أعظما في رى دي لايه (١)
فضحك دوجلاس كراوس ملء شذقيه وقال :
أو كما قال هذا الآخر : « كتب القتي على رجلهم ،
كما كتب الزمان على نسايم » لما لا تجدني متجلا
أمر الزواج
أبي يشكلم :

وكانت هذه التأملات وحدها وسيلة إحتاذي
إلى أن بلغت الحدود بين ترنسفال و « جيرمان

(١) أشهر شارع لتجارة الجواهر في برلين

الأمانة التي حملها قسمة أشهر ، كأنها جبين آن
أوان ولادته

ووزنت وقدرت بمد أن غصت. وكتب عقد
البيع وطلبت إلى رئيس الشرطة أن ينقل الصكوك
والقند وتحويل المال إلى خزانة باسمي في أحد
المصارف وخرجت من مجلس القند لأحمل إلا
عشرين فلورين اقترضتها من الهامى... ولكن بك
أمستردام قلن هولاندز سيفان كلت يحتفظ لى
بليوتين ونماعة ألف جنيه استرليني »

وتحك دوجلاس كراوس تحكة عالية وضم
أظونيا إلى صدره وقال لها : مارأيك ؟ هذه قصة
ثروتنا . وقد مات أبى ببدأن تضاعف ماله وعاد إلى
جنوب أفريقيا فوجد منجم النفاة التي تعقبته وساحبه
خرايا وعلم بأنهم أننى بمضهم بعضا قتل ، وبحت
عن ورثة صاحبه الأمين الذي قتل بجواره وهو
يفر ، فاعتدى إلى عمة له ، يجوزنى بوركشير فأعقد
عليها وأغناها . وتعرف إلى تاجر وندموك الذي
استخدمه سائقا لسيارته. وأخيرا أوصى لى بالمال
الذى سهل لى حيك وضحك إلى سدري هكذا :

فنهضت أظونيا من أعماق قلبها وقالت :
ولكن نجمة القارة النظلة هذه ...

قال دوجلاس كراوس : نجمة القارة النظلة
تقصت فى عملية التقطع بقدر تلك وزنها . ولما
كانت مستطيلة الشكل ، فقد خرطت على صورة
الكثري وصار لها ألف وأربعمائة وتسعون وجعا ،
مساحة الوجه ثلاثة مليمترات مربعة ؛ وصارت
تشتع نورا لا يقل عن خمسمائة ألف شمعة ، وقدّر
التيراوط فيها بثلاثة استرليني ووزنها عشرة آلاف

لؤلؤها أو تحفظها أو تحصى دماء أصحابها . لقد كانت
الباحرة عشت زانير ، ووكو عقارب . وقد صوروا
لى أسواق أمستردام كأنها غنابي لموص ومكان
قطاع الطرق ، والله حسنا فعلوا . وكنت أسمع
طول النهار وطرفا من الليل ثم أقفى الشطر الأخير
فى التدوين والتقييد حتى لا أنسى الأسماء والصفات
والسنوات . وكنت أصعب الرجل يوما أو يومين
أو ثلاثة حتى أقتصره عصرأ فلا أترك فى جوفه
سرا ولا خبرا إلا وقد أنشأه لى وأطلق عليه
أو حذرني منه وهو يعلم أننى لا أسأل إلا مستطلا
ولا أسمع إلا متلذذا ولا مصلحة لى فى شيء وإنه
لو علم لى فثما لشن بوزن القدرة من كانه

وبلغت أمستردام وكنت أربط الكنز على بطي
حيثا وأحله فى حقبة قديمة بالية مع صحف قديمة
أو فضلات الطعام ، وجست خلال البلد واللسان
و « بورصة الماس » وأخيرا أخبرت عماليا متواضعا
أننى وكيل نقابة عمالك متجبا وأنهم عثروا بماسة
كبيرة يريدون بيعها . فلما جمعى ببعض التجار
ووصفت لهم الحجر الموعود وصف خبير كادوا
يبحنون من الدهول والبمشة وقدروا ثمنه بثلاثة ملايين
من الجنيهات الأسترلينية . ثم شكوا فى الخبر ،
وأنذرونى بأنهم لا يدفعون شيئا من الثمن مقدما
خشية أن أكون محتالا . فلما أنهم بأن الحجر قد
قل فلما من النجم وسيميل إلى البلد بسد بضمة
أليم فتبادلوا نظرات العجب والريبة . وفى اليوم
الذى اختره لبيع الحجر بكرت إلى الهامى وأقضيت
إليه بالس فى الطريق فقصدا إلى مقر الشرطة
وأخذنا حرسا واجتمعنا بالتجار ... وأظهرت

لا تحمل ولا تصاغ ، ولكن تحفظ في القصور
نخعة تزار وتعرض للأنتظار وبها لك على
مشاهدتها الفقراء . ولكن لا تظني السعادة
مقروبة بجمل هذا التراء ، فان نخعة القارة المظلمة
جلبت الملاك والعمار على أسرة فانت زيلاند
فقتضت الأميرة نجمة ، وانتحر الكولونيل
وكانت للسامل تحي من الوجود لولا تدخل
الحكومة وتأسيس شركة مساهمة حلت محل الورثة
وبيعت الجوهرة فيما بيع من مخلفات هذا البيت
الكريم ، فاشترها ولي عهد انجلترا الأمير هنري
نجل ادوارد السابع وكان « برنس دي غال » ولم
يزد ، وقد اتوى إهداءها لتخليته التي سارت بسد
وقاه ملكة انجلترا بقرانها بأخيه جورج الخامس .
فقد أصيب بالحمى المالطية وكان مصاحباً للأستول
في البحر الأبيض ، فاقبلت أفراح الأسرة أتراحاً .
ولم يتنبه أحد إلى أن نجمة القارة المظلمة هي التي
حلت البلاء إلى هؤلاء الأجداد النافلين عن شرها
وأودعت الجوهرة حيناً في قصر سندونجهم
فتصدع أحد أركانها ففقلت إلى خزانتي « بنك أوف
انجلند » واشتغل الوسطاء بالزوج لها والفاية ليعيها
حتى تمكنوا من إقناع ملك البرتغال بشرائها ...
فاشترها ولم يحض على دخولها لشبونة علم حتى قتل
الملك والملكة وابتهما في شوارع المدينة بانفجار
قنبلة فوضوي ، ولم ينج من الذبحة إلا عماتويل
الذي توج ملكاً يتيا وخلع وقضى نحبه في مقتل
الشباب منفيًا في بلاد الانجليز . وكان محني إنجليزى
اسمه ماكسويل يتتبع خطوات « النجفة » فسرد
لدينا بفضلة وإحكام في سلسلة مقالات في جريدة

قبراط . وقد قبض والذي ثلاثة ملايين من الجنيهات ،
إلا ما تبقى ألف جنيه أنققت في عملية القطع ورسوم
التأمين والجرك وأصاب الهامين في تحرير العقود ،
والنسبة للثوية لاختراع الوسطاء والمصورين . ولكن
نقابة اللباس التي اشترت الجوهرة في امستردام قدرت
لها عملاً للسوق أربعة ملايين وأعلنت عنها في جريدة
« ويلموند ورك » التي تصدر مرة في كل ثلاثة
أشهر فكان لها عدد خاص ممتاز شمل تاريخ هيرمس
كراوس وجوهرة القديعة من خيال المهردين . فكان
أول من تقدم للشراء الكولونيل هوب فان زيلاند
المولود في صاحب مامل الجين والكاكافو في
روتterdam ، وكان قد ورت عن أبيه القبطان البحري
سمارك فان زيلاند عشرين مليون جنيه ربحها من
مستعمرات هولندا في أندونيسيا . وكان الوالد
متعهد توريد الأغذية لألمانيا في حرب السنين وأول
من اخترع الجين للتفنتك الأحمر ، وأدخل على
الروكفور طريقة « التفنتك الخالي من الجراثيم »
فتمت أرباحه في عام واحد ثلاثة ملايين ومات الشيخ
فان زيلاند في حديقة قصره في سكفتجن على
شاطئ زابري حاطاً بأغرب أنواع الأزهار
ولا سيما الخزامى الزرقاء التي تحاطف بفورها ملك
الأرض . وتزوج ابنة الكولونيل هوب فان زيلاند
من الأميرة جوهان باتنبرج فأراد أن يقرب إليها
بإهداء تلك الجوهرة وسددتها على ثلاثة أقساط
متساوية في مدى سنتين

فكانت انطونيا : ما أسعد هذه المرأة ولكن
بالله قل لي كيف تحمل سيدة عبء هذه الجوهرة
التي تزن أكثر من كيلو جرام ؟
فضحك دوجلاس كراوس وقال : إنها

في نيويورك في ملك مزرع هاملتون درموند ملكة
الغولاند قد جعلت عليها أحراساً من الأشداء المسلحين
بالتنانجر والسمسات وجعلهم على ستة فرق تسهر
كل فرقة أربع ساعات في الليل والنهار، وبأحاطت المكان
بأسلاك الكهرباء للوصول بمراكب الشرطة. وتدفق
عنها عشرين ألف جنيه في العام تأميناً وثقة للحارسين
— إنها بلا ريب مجنونة فاتها تفقد مثل غيرها
في بضع سنين إن بقي لها المال وبقيت على قيد الحياة
— كلا؛ إنها جده حريصة فقد احتالت حتى
جعلتها تدير إيراداً يربو على ثقات حراسها بأن
فرضت جملاً قدره عشرة دولارات على كل من
يريد مشاهدتها، فلا يقل عدد الزائرين عن خمسين
غيبولاً في النهار الواحد. وأظن أن هذه الطريقة
منعت نخس الجوهرة. كان أبي هيرمان كراوس
يقول: الركود بجلبه السماء، والحركة وسيلة البركة:
ويقول: الزبان ليني في شرح التلود: « يد البطالة
نجسة » وأنا أقول: الجوهرة التي لا تدر خيراً على
صاحبها تجلب له الشؤم والخراب. وهذه الأمريكية
للاكرة عرفت سر نجفة القارة المظلمة كما عرفت
أنا سر ك

تقالت أنطونيا والنوم يداعب عينها، فقد أقبل
الليل وأضادت أنوار المدينة وانسكبت أضمتها على
البحيرة الفاتنة:

— أنا؟ إنك مزاح! ماذا أدر عليك؟

— تلك القُبُلُ الشبيهة هي أرواحي

— ورأس لال؟

— هو جيك الفائم واستمتعي بك الذي
لا ينقطع. هيا بنا فقد آن أوان انقضاء الثمار
عمر لطفي جمعة

دبلي ميل، فسارع وسطاء اللاس في بورصة باريس
ونيو يورك إلى إكسابه بمشرين ألف جنيه، فترك
التحرير والتحرير وعاش سعيداً في قصر منيف في
مقاطعة كنت. ونزلوا له عشرة آلات أخرى
ليكنب نفسه من شؤم الجوهرة، فأبى وقنع بما ربح
وكان صراجاً أنشور في الهند من أرباب الملايين
أسابه جنون التبذير، وركبه شيطان الأهواء،
فاشتراها وأهداها إلى عطية هندية اسمها ممتاز بيجوم
فشقتها راجا آخر وحول إقواءها فقتل فشرع في
سخطها فلم يفلح فكاد لها كيداً ذريعاً تمكن به من
قتلها في كين

فتأمر صراجاً أنشور لمحبوبته باشتيال راجا خارستان
وكان عقاباً للخلع والتشريد والنفي واثقلت الجوهرة
من الهند إلى الشام محمد علي في طهران فاقتراها..
ونصنها إلى جواهر أسرة كاشغار ووضنها في خزانة
في قاعة عرش الطاووس حيث البساط للصنوع على
نمط بساط كسرى مصصاً بالجواهر، وعمدوداً تحت
أقدام العرش. وللبشيطان الضرور بقتل الشام فضاء
ملكه وراح منفياً ومات فقيراً مقصياً في مدينة
أوديسا. وورثه نجله الشاه احمد. عرض الشاه محمد
على في بطر اسبرج جوهرة على قيمرة ووسيا فاقترتها
وهي لا تلزم من أسرها شيئاً. وكارة آل رومانوف
لا تزال مائة بالاذعان. تقالت أنطونيا:

— والآن أين تلك النجفة المنحوسة؟

— أرايت أن النجفة لم تحمل لأحد سوداً،

غير أبي وما كسويل الصحنى وللو سطاء الذين ندخلوا
في بيما؟ ولكن من يدري لعل أبي أخذ نصيبه
بما أسابه من شج في الرأس ومساكة الآلام في طريقه
من المتجم إلى المستردام. تسألين أين هي الآن؟ إنها

وستبدك أبواب هذه الصناعة وحامل لوائها في كل موكب وعقل وستروحين بهذه الطريقة جانيئا - ولكنني بأبناء..

فبراري - إنني أتصرف بكل حكمة وبصيرة . ولقد نعى

شيعتنا وودنا الذي توفي حديثاً ومن أطلب له من الله الرحمة

والرضوان أن تستمر وتخلد شهرة الآلات التي تصدر من مدينتنا

الشهيرة القديمة ، فأوصي بسلسته الذهبية للصانع اللامع الذي يصنع

أحسن كان في المدينة ، وسنفتح السابقة ونحرم فيها اليوم . وإن

إن كنت صانعاً بسيطاً أقدمي به إذ وعدت في اجتماع

الموادين أن أصلي ابني ومصني لن يحرم هذه السلسلة . وهذا ما تم

عليه الاتفاق وبث فيه ، فلا تفتد إذن في الجدل والنقاش !

جانيئا - لقد مررتك بآني أفضل فرداً

فبراري - ساندروا ستسبته وقد أنبأه

جانيئا - وقصاري القول إننا كان هذا الفنان المجهول شاباً

خبيثاً وليس كفؤاً لك فالعمل ؟ فبراري - إن الصانع اللامع

لا يكون في الغالب إلا شريكاً

عَوَاد كَرِيمُونَ
الشتيرالفرسي فرنسوا كرميه
بقلم الأستاذ محمد كاظم الجانيئا

تصريف بالخصوص

فرسوا كرميه ثابته من شعراء وروائيين فرنسيين من نوع الرومانتيك وفي باريس سنة ١٨٤٧ ، وكنا مغرراً أن يقال له مؤلف « جواب الآلات » وعن من حيزات نظمه وجره بنية في نوعها لم يرق أحد من الشعراء أن يأتي بخلافه وهي تفيض بالمواقف الفاضلة والأخلاق السامية ودقيق الاشارات والرشاقة للتأمل والرقعة النادرة و « في سبيل التاج » وهي رواية تاريخية سرحت النفوس بيلاتها وحانة فريضها وما اشتملت عليه من الضمات البالوة « سينير وتوريلي » و « عواد كرميون » هذه وله من الهواوين الشعرية والروايات التنبؤية كثير لا يتسع لقلام لسنده

مهرويه شاعرنا هذا في أغلب أنواع الشعر لاسيما للرائي ولللاحم وكان من الشعراء المحققين وساز القدر المثل في الشعر القصصي للأفول وأنواع الشعر المتكررة في بابها ووصف المناظر الطبيعية

وكان خبيراً في وصف أخلاق الفرويين وعاداتهم وصفاً صادقاً وقيماً شجياً يمز القلوب طرّاً حباً يصف البؤس المتواصل والفقر المدقع والقتال المجهول . فقلبك أسموه « شاعر الماكين » لأنه في هذه الطلقة المصنوعة الخفية استعمل الفرض بغضات مدحشات قد تزعلة هذا النوع الذي اجتكره

وقد توفي بباريس سنة ١٩٠٨ واحتفلوا بمجازته احتفالاً شامخاً غنياً يليق بجلاله الرفيع ويكده الفرض الفرنسي قبل الشعراء

يشاهد مصنع الآلات الموسيقية في القرن الثامن عشر وفي نهايته باب كبير من الزجاج يطل على طريق في المدينة وترى منه المنازل ، وتشاهد السكان والقبولونسل والكوتريلس وغيرها من الآلات الوترية بمسطرة داخل الصنع ، وفي اللبيرة منضدة كبيرة ظاهرة للعيان وفي اللبيرة كرسى كبير وبجانبه منضدة صغيرة ، وفي نهاية الصنع على اليمين حامل لكراسات القطع للموسيقية وللمصنع يبلن من الجانبين .

المظهر الأول

(الرئيس فبراري - جانيئا)

فبراري - (وقد علمكته ندوة خفية من التيز)

كلا لقد آليت جانيئا إلى

شريف لا يمحنت ، وسأحترم قسمي

وأعسك به كما يسميني الناس

كاديو فبراري أستاذ وصاحب

مصنع الآلات للموسيقية بكميون

- جائيتا — ... الكمول الذي لا يهتم مطلقاً
بمستقبله؟
- فيراى — إنه يعتقد أجراً كبيراً فيمكنه أن
يسمل أقل من غيره .
- جائيتا — ... فظ غليظ القلب يضرب النماء؟
وهذا النوع من الرجال موجود
- فيراى — إذا لم يجد راحة في داره فأنى
أبرر أذاه
- جائيتا — ... وإن كان سكيراً يشغل نبيذ
الأحد رأسه؟
- فيراى — وماذا تكون حالى يا بيقى يوم
الاثنتين؟ فلتحتم هواة كروم تقوى أكلمها في تشرين
الأول! واللوسيق الماهر لا يكون قنوعاً ولا يجوز
أن نكذب الأمثال
- جائيتا — وفي النهاية إذا كان غريب الأطوار
ورفض الزواج؟ ... أواه
- فيراى — إن ذاك المضحك يكون حقاً صعب
الراس . ولكن حسنة النية مثلك يا جائيتا يلزمها
أن تكون على بصيرة ، فإن هذا النوع من الرجال
لا تصادفه كل يوم . وأن أفن من الريالات والمباردة
لبلغ لا يستهان به وما هو إلا مهر ك . وأنا التلنيد
المحبوب لسترايداريس قد أقسمت ... فلا قائمة
من الخوض في هذا الموضوع . ولقد فلت منى
السنون ولا دواء ينفع في الكبر وأصبحت أشد
خلقاً لى يساعدى وسينال الفأثر ابنتى وعلى
- جائيتا — وفضلاً عن ذلك يا أبى الرز —
فيراى — حسبك أسياً يا تيديها !
- جائيتا — وإذا كان الطاف — وإلى أنضحك
حيناً حلم بذلك — وإذا كان تليفك الصنبر فيليو؟
- فيراى — فيليو؟
جائيتا — وإن حاز الجائزة؟
- فيراى — إننى لن أدهش كثيراً لوقع هذا
الخبر ، وإذا نال سلمة بودستا فستزوجين فيليو
في الأسبوع القادم
- جائيتا — أتزوج فيليو !
- فيراى — ولم لا؟
- جائيتا — الأحب !
- فيراى — ان نظرى لمدى صبر حقيقة الأشياء،
ولكن هل ازدوجت طاعته؟ فلا تضطربى من ذلك
ولا تجزى فكثيراً ما تظهر لى تلك الصفة حيناً
يضطرب نظرى وأرى الواحد اثنتين — وقصارى
القول سيكون لك زوجاً
- جائيتا — اللهم رحمتك !
- فيراى — أليس فيليو من خير الشبان؟ أما
هو طيب خلص شريف؟ ... إن الكآبة والحزن
يرتبان على وجهه وهو أحب ، ولكنه فنان كبير
وموسيقى مثل بالستريتا . ولا أنسى حفلة الطرب
الصغيرة التى أقامها لنا — مع أنى تقادطس — ولقد
أسنيت إليه وأنا أمتع الطرف بالنظر إلى قدح من
نبيذ اسقى للفق فكانت الأوتار تئن تحت قوسه ،
وكان عزفه حافلاً بأنواع الآلام فناناً ساحراً ،
وقد انحدرت من عيني دمعان كبير كان يحاول أن
أ كففهما فلم أظن ، ثم سقطتا في الكأس ، وهذه
أول مرة مزجت فيها التبيذ بالماء
- جائيتا — إننى أقدر مثلك فيليو يا أبى . إننى
أرى له ولم آل جهدي في تبيد شجره والمطف
عليه حتى ينسى همومه وقره وطاعته . من يوم بحيثه
إلى أبنا ليقسول . فهل أستطيع أن أحبه؟

ساندرو — هل أكون أكسل من الأخرى ؟
إنني كنت حائماً على استمدادى ، لأن أتملى الأخير معلق
بها . واليوم بيت الخبراء فى حلى إن كان سيبدأ
أو متكدواً

جانيتا — هل أنت مطمئن وواثق من عملك ؟
ساندرو — إننى أجيء متاعبى وقد صنعت
الكمان حسب قواعد الفن فى أوكنتاتها الأربعة
المنبوطة ، تقيّة فى أسواتها الحادة ، عميقة فى أصواتها
النليظة ؟ وقد بذلت فى عملها جميع ما فى وسعى
وأجبت انتخاب خشبها وأوتارها ودعائها وأظن
أن هذه الآلة الجديدة بقتان عظيم
جانيتا — (بهجة فرح) أقول أنت تنال
الجائزة ؟

ساندرو — ربما ...
جانيتا — ولكنك ستنال الجائزة ، فم يخالبك
الشك ؟ أى منافس عظيم فُخّش ؟ إن أبى كما قلت
أعظم فنان فى كريغون ولقد تلمت عنده ، وإنى
أود أن تنال الجائزة
ساندرو — إننى لأخشى أى منافس خرج من
مصنع آخر

جانيتا — ممن تخاف إذن ؟
ساندرو — إن الذى أخشاه فى مصنعنا
جانيتا — وكيف يكون فى مصنعنا ؟
ساندرو — نعم وما هو إلا الأستاذ ! لمن
الله اليوم الذى لاقيته فيه !

جانيتا — هل دخل فيلبو للنافسة ؟
ساندرو — إن الأستاذ العنبر قد جبر
بذلك أسس أمام أيك
جانيتا — أى الذى كان يقول فى بعض

فيرارى — نا ، نا ، نا ، نا ، نا
إذا كنت لا تظنّين أنك لم تمارضى قط بأشد
من هذه المارضة ظنّفت عند هذه النقطة فأنى أريد
أن أذكركه فى ويترضى أن أعد لهذا اليوم بعض
القناني التى تماقت عليها السنون فسطها بشارها
ونسج عناكبها ...

جانيتا — وإذا كنت أذهب بدلاً منك ...
فان السلم وعمر وخطر ترل فيه القدم وإنى أسرع
منك ...

فيرارى — لا ألاحظ تلك الصعوبة إلا فى
الصعود . قديمى أذهب بنفسى فان أعظم السرور
فى انتخاب التبيذ قبل شربه
(ثم يخرج من جهة اليسار)

المظهر الثانى

جانيتا — ساندرو
كانت جانيتا وحدها لحظة فتبهت ، ثم يدخل
ساندرو من اليسار حاملاً كناناً فى صندوقها الأسود
ثم يضعها فوق المنضدة
ساندرو (وهو يمسك يدي جانيتا) ما ورايك من
الأخبار ؟ هل لا يزال الرئيس مصمماً ألا يزوجك
إلا أمر الصناع ؟

جانيتا — بل مستمر فى مناده أكثر من قبل
ساندرو — ما هنا الجنون الفظيع ! هل علم
منك درجة حبى لك وإننى إذا أخفقت مت وهلكت ؟
ماذا أجاب ؟

جانيتا — أن أنساك
ساندرو — القاسى !
جانيتا — (متيرة إلى صندوق الكمان) هل أعمت
صعوبة أعمالك ؟

جانيتا - هل يحزنك بهذا القدر نجاح منافسي؟
ساندرو - أواه ! إنها لملاحظة لا تليق بفنان،
ولكنه إذا وجد في أيك مميّناً ومساعداً ،
أو أصبح ظافراً ...؟

جانيتا - إنني لا أحب إلا إياك وأعدك بأنني
سأكون لك والإا في أرفض زواج غيرك
ساندرو - أتقولين حقاً ؟

جانيتا - حقاً وسدقاً !
ساندرو - يا لله ! ما أطيبك !
جانيتا - وهذه يدى أسنما في يدك غماناً

تسمى

ساندرو (يبل دما) - أشكر لك !
(يسع في الخارج لفت)

جانيتا - ما هذا القوم ؟

المظهر الثالث

فيليو - ساندرو - جانيتا
(يستل فيليو سندفاً ويقل الباب
بشفة وهو يلهث من الاعياء)

فيليو - أن هؤلاء الأوتاد الصغار ! لقد
ظننت أنهم سيلحقون بي

جانيتا - ما الذي دهاك يا فيليو ؟ وما الذي
تخشاه ؟ ومن بطاردك ؟

فيليو - سفار الأوباش الاغنياء وقدر جروني
بالحمى وكأوا يريدون قتل

جانيتا - يقتلونك أنت ؟

فيليو (وهو يمس رأسه يده) - والليل على
ذلك أننى أشعر بمرح في جبهتي

ساندرو - إن رأسك يسيل دما !

جانيتا - على بلأه ... أسرعوا !
(ثم ذهبت لاختار ملط وأبريق)

الأحيان مازحاً بأنه إذا نال الجائزة قاتل أوجه ابنتي
ساندرو - إنه يظنك خالية القلب فذلك كان
متقاداً للأمل

جانيتا - إنني لا يجالبنى الشك من ناحية ذلك
الفتى للسكين . إنه يلطم إلى السلسلة الذهبية ولقب
الرياسة ، وأنا نسمع له أن يلطم إلى هذه الأمور
ولكنه يكون مغروراً إذا زعم أنه يلطم في زواجى
ساندرو - ولا أكنم عنك أنه إذا خرج
من الامتحان ظافراً فانه يسبب لي آلاماً لم أرها
في حياتى وأشعر حين ذاك بساطقة ممقوة
جانيتا - وماذا تكون ؟

ساندرو - الحمد !

جانيتا - تكون حسوداً يا ساندرو ! هذا من
المستحيل !

ساندرو - نعم نعم ، لأنى أعرف عمله وثقلتي
الغيرة منه ، وسيعرف الناس فضله مثلاً عرقته
- إننى لا أنسى تلك الليلة إذ كنت جالساً إلى
كونى وكنت أفكر فيك تحت سماء الصيف الصافية
وكان في الحديقة عذليب يصيح في سواد الليل
فتصعد أتناه الساحرة إلى عتائف الزرقاء
المتألقة بكوا كهـا ، فسمعت على حين غفلة في الظلام
غناء آخر نغم فتأنا يشعشع القلوب أكثر من غناء
ذاك البلبل ، ولحت الأحذب في غرقته ألام حاملة
كراسات الموسيقى وقومه في يده وكأه يخرج
أنتاماً تاحل الأصوات الانسانية وهي تعبر من حب
مبحر أمتزج بالألم ولا يقل في حلاوة ورقته عن
ذاك الطير الصالح . وتبادل الصوتان في الليل البهيم
الأنتام البورية وكنت أسنى إليهما ؛ وبعد دقيقة
اختلط على الأسم نغم أى الصوتين أفضل من
الأخر : صوت البلبل أم صوت السكين

الطابع الأحمر في البيئة والأخضر في البصرة ، ولم
يلق أحد هذا المكان وما تقي مفتاحه في جيبي
وقد لاحظت أن ابنتي قد غيرت مواسمها فصل
فصدت أخلاق الفتاتي أو أنني لا أميز بيني من شمالي
جانينا — أيتها ...

فبراير — ها أنت يا بنيتي وأنا أبحت عنك إذ
بعد قليل حينها يصرخ المكان ونرف من سيكون
لك زوجاً ساعدوا الزملاء للشاء فيما يجلي بشعري
الأبيض السمتار وكسوتى الفاخرة فإن الانسان
إن أهل زينة قص احترامه . هيا بنا
(ثم يخرج من البيئة وتنبه جانينا)
محمد لامل مباح (يتبع)

ساندرو — خبرنا كيف حصل لك ذلك
فيليو — إن المسألة لي غاية البساطة ، فقد
كانوا خمسة عشر أو عشرين وم خيط من
الصبايك والتلاميذ وقد أحاطوا بك وبطفوتوا
برحمة بجانب سور وقد أعيا للسكين ولم يستطع
البناع ولا الحراك إذ كانت رجليه مكسورة بل اكتفى
بالتشكر عن أيابه . ولا شاهدت تنقيب هذا
الحيوان أشقت عليه وتالت له لأنه مسكين مثلي .
فتوسطهم وسألهم أن يرجموه فامسحطوا غضباً
وتركو الحيوان وتألوا على رجليه فصدوت وم
يطاردوني ، ولولا هربي في الأزقة لقتلوني والحمد لله
قد نجيت الكلب الأعرج للسكين
(ثم ارتقى على الكرسي عثر القوي)

جانينا (وهي تضع يديها للبلبل على جبينه) —
ما أشقى هؤلاء القسرين إذ لم يرأخت منهم ، يالك
من مسكين !
فيليو (على حدة) — يدها فوق جيبي ؟ يا ما
أحلامها !

جانينا — هل حسنت حاله ؟
فيليو (يهز رأسه ويكلم بصوت مثار) — شكر
لك . لا أشعر بشيء مطلقاً
ساندرو (على حدة) — إن هذا التأثير لكثير
جداً حيال شكر ! ولا أخفى أنه يجها

المنظر الرابع

من سبق ذكرهم وسهم فبراير
فبراير (وقد زادت ثلثته ويده سلة ليل الفتاتي)
— يا للفرابة ! لقد مضى على أكثر من عشرين
سنة وأنا أصف صفى التبيذ في مكان مقفل قرون

سندباد عصري

في سفينة مصرية
رددت أخبارها صحف العالمين

الرواية في سني مظاهرها غلامك من صفحات

سندباد عصري

بقلم

حسين فيزي

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكتاب ١٢ قرشاً

مَنْ زَوْجُكَ

أَقْصُوهُ مِصْرِيَّةَ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ نَجِيبِ مُحَمَّدٍ فُؤَادٍ

قائلا وهو يسعد رباط رقبته :

« مالك سامنا واجما كأنك لا تجد

ما تقوله ؟ »

ويدا على الرجل الارتياح لفاتحة
المهندس له بذلك السؤال وكان يرغب
في الكلام حقاً ، وتلح عليه الرغبة
الحاصراً شديداً ، ولكنه لا يدري كيف

يلج للوضوح ، ورأى زبونه يكاد يقتنى من ارتقاء
ملابسه فأشفق من ضياع الفرصة وقال :

« الحق يا سيدي أن لدى كلة أريد أن أغرها
ولكن ... »

وتوقف عن الحديث فأزفاد حجب الشاب وسأله
باهتمام :

« ولكن ما ذا ؟ »

« إن بعض الفطن إم ، وكثيراً ما يجنلي
الانسان في تقديره . والحق أني أدمنت التفكير
طويلا وقلبت للسألة على جميع وجوهها فرأيت أن
الواجب يقضى على بمصارحتك بظنوني مهما كانت
الاحتمالات والمواقف ... »

وكان للشاب قد انتهى من عقد رباط رقبته
وارتداء جاكته وطربوشه فدنا من الحلاق وحدهجه
بنظرة اهتمام وانشغال وقال :

« إن كنت ترى حقاً أن الواجب يقضى عليك
بمصارحتي فما معنى التردد والتلثم ؟ »

فتنهذ الرجل وقال :

« حسن يا سيدي ... أعلم أني لاحظت
أموراً ... »

« ؟ »

جلس ينظر إلى صورته في المرآة الكبيرة
ويتابع يمينه يد الحلاق وهي تقص شعره بخفة
ومهارة ، وكانت تبدو عليه آى الهدوء والنبظة كما
ينبغي لشاب مثله في أسبوعه الثالث من شهر السل
ولما حجب فنهذ الرجل في حياة الأزواج كالشباب
التناصر في الأجل للممرة . وقد حفته الطبيعة بأد
الفتح ودفنته سرراً لحياة الزوجية التي تستأديها
الذكور من جميع الأنواع . وكان حضرة الفاضل
جدي أفتدى للمهندس واحداً من ذكور أسى
الأنواع كلها ، وقد تزوج من ابنة أحد زملائه
وأسانذته المهندسين ، وهي فتاة جميلة مهذبة سمع عنها
ورأى فيها ما علقه بها ورغبه فيها ، وهو الآن يستمتع
بلذة اللذائذ التي تجزى بها الطبيعة المصادمين
بأمرها الداخلين في طاعتها ...

ولاحظ المهندس في جلسته المادة المتباعدة
— أن « الأوسطى » لم يكن كعادته ذلك اليوم . رآه
واجماً والمهذب به نحوها ، ووجده سامناً والمادة
أن يكون ثرثاراً لا يسكن له لسان ، فحبب لشأه ؛
ولكنه لم تواءم الشجاعة على سؤاله عن حاله ، ولأذ
بالفرصة الجلية التي كفته مشقة ثثرته وشقشقة
لسانه ، وتناهى عن شفوذه حتى انتهى من عمله
فقام واقفاً ، ولم ير حرجاً في إيداء ملاحظاته فسأله

« رأيت هرات وقد لبث في الداخل ساعتين
أو يزيد... »

« ما شكلة ؟ »

« هو شاب في مقتبل العمر ، حسن المندم ،
غنت الهيئة ، لولا تسكمه في الصباح قلت أنه
طالب... »

ورأى الحلاق المهندس واجبا سامتا ، تصرح
سراؤه بما يقهر نفسه من الاضطراب والقلق
تقال بتألم : « لا تأخذ بظني ياسيدي واسلك سبيل
الحكام فتحقق الأمر بنفسك ، والحق أني غير أكف
على قول ما قلت ولكني ألتم النظر وف »

فسأله المهندس وكأه لم يسمع قوله :

« هل حضر هذا الصباح كداه ؟ »

« نعم ياسيدي »

ألا ينقطع عن الحضور أحيانا ؟ »

« يوم الجمعة »

فرض الشاب مرة أخرى على شفته ولم يزد على
أن قال وهو يتأد العالون

« إني أشكر لك مهوئك وأرجو أن تفتح

عينيك حتى أعود إليك صباح اللند »

وكان البيت قريبا على قيد خطوات ولكنه لم
يشخص إليه - مع أن الوقت كان طويلا - وأحس
في نفسه برغبة طاغية في اللشي ، فقام على وجهه بغير
هدف معين

كان حمدي شابا في الثلاثين من عمره ، يلفت
الأنظار لصالته حجمه ورقة أعضائه وشحوب لونه ،
ولكن كانت تتمتع في عينيه نظرة تمل على حدة
الكاء ، وكانت ذقته تتلوى التواءة يمرق بها
ذوو الإراعات الحيدية ، وكان أخس ما يمرق

« منذ أسبوعين أرى شابا يتردد على البهارة
التي تسكن فيها كل صباح بعد الساعة الثامنة
مباشرة... »

فزوي الرجل ما بين حاجبيه وقال بسهارة :

« نعم... ؟ »

« لقد لفت نظري بهيئته ومواظبته فشتلت
فراخ الصباح بمراقبته ولا حظت أنه يحضر من شارع
حاصم حوالي الساعة السابعة ويأخذ مكانه في مقهى
النسجمة ، حتى إذا غادرت البيت وذهبت إلى الوزارة
يدفع عن نفسه ويترك المقهى إلى البهارة رأسا... »
وكان المهندس - على شيا به - رؤيا ثابتا
يتمنى أمين من الرعة والطيش ، فض على شفته
اللسفل كداه كلا ارتبك أو أخذ ، وكأه أراد
أن ينال القلق الزاحف عليه فسأله بلهجة الناضب
« ما الذي تمنى ؟ »

فأسفر وجه الحلاق ونغم على خوض هذا
الحديث الأليم ولكنه لم يرد أمم الاستمرار فقال :
« إني أرجو أن أكون غطكا ياسيدي ، بل إني
لا أتمنى على الله أكثر من أن يكشف عن وجه
الخطأ في جميع ظنوني ، ولقد ترددت طويلا قبل
أن أبك هذا الحديث ، ولكني رأيت أن الصارحة
مع ما تنذر به أفضل عندي من التستر على السيب مع
السلامة... وقد كان مما أيقظ الشك في نفسي أني
رأيت هرات يلاخطك نلسة - وأنت سائر في
طريقك - ويرمقك بنظرات لم يرع إليها قلبي حتى
إذا غيبك منعني الطريق قام بسرعة وانسل إلى
داخل البهارة... »
« ألم تره خارجا منها ؟ »

كأنها تلتقي جداً لا خطياً ، وكيف أنها لم تحاول قط أن تنافسه بمحدث أو تشتت في أحاديثه بمهمل ، وكيف أنها كانت تنقع بالإجلت الضرورية لتقلتها في اختصار ساسة الإنجليز ...

لقد عمل ذلك كله على عمل حسن وقال نفوراً إنه حياء جميل . ويموز أن يكون قوله حقاً ، ولكن يميز أيضاً أن يكون وهماً وأن يكون الباعث شيئاً غير الحياء ، من يعلم ؟ ربما كان نفوراً وكراهية وكان ينبغي له أن يفتي ويحقق ...

ويذكر أيضاً أن الحال لم تتغير بعد الزواج ، فلا تزال عاقلة على رزائها وتحفظها أو برودها — ولم يجر ذكر هذه الكلمة على لسانه من قبل —

وكم نرى لو كانت عروسه لوبيا طروباً ، أما الآن فنرى بدوره أنها ليست كذلك وأنها لا تستطيع البرود إلا في حضرة ؟ وأأسفاه . أى شقاء أى قساسة ! ولم يكن حمدي خبيراً بالثناء ولا ذا حظوة لهين ، فاضطر — في عزوبته — إلى الاستقامة والزهدة وقضى تلك الأيام محزوناً معدوم الثقة بنفسه ، وقد ظن أن الزواج دواؤه ونجاة فاستناب به والظأن إليه وحده الله على نعمته ؛ ولكن ها هو ذا يوشك أن يجيب في زواجه فيفقد الأمل الوحيد في السعادة والحياة المطمئنة ، وها هي الزوجة تكاد تنكشف من امرأة ككل النساء اللاتي لم يفر منهن بحظوة ... فأى شقاء وأى قساسة ...

على أنه لم يستسلم للتشاؤم كل الاستسلام ولم ينس في اليأس كل الانهاس وتلقى بالأمل الباقي له وهو أن يكون الأمر غير ما قدر والظن غير ما أساء ... ونرى لو يستطيع أن يبدد هذه السحابة القاتعة الناشئة على قلبه وأن يسترد بعض ما كان له من الصفاء والنبله ...

به المدهوء والزناة والبرود فلا يذكر أحد من معارفه أنه رآه مرة متغلاً أو متعباً لحزن أو لفرح ، ولكن لم يكن طبعه هذا ضعفاً أو جبناً فإنه يثقب إذا اتبني له التثقب ولكن على طريقته في التثقب ، فلا هياج ولا سب ولا شجار ولكن عقاب سارم أو انتقام سهول ، هكذا يتقدم في حياته « كواحد الزلزال » بليطاً رصيناً ولكنه لا يقاوم ولا يثق ولا يند ...

وقد قال لنفسه وهو يسير على غير هدنى : يلح الرجل إلى خيانة زوجية ، خيانة زوجية في شهر المسمل ! لا شك أنها أول خيانة من نوعها ، هي كالإجهاض سواء بسواء الذي يهلك الجنين قبل أن يتكتمل ... كيف يستطيع أن يصدق هذا ... بل كيف يمكن وقومه ؟ كيف استطاع ذلك الشاب أن يشق طريقاً إلى بيت عرسه ؟ هل كان يعرف زوجه من قبل أن يعرفها هو ؟ ربما كان الواقع فهو أمر بعيد عن التصديق ... وذكر حياته الزوجية القصيرة فذكر بها سمادة وصفاء ومتناً لا تعمى ولا توصف ، فلم يشك في أنه سيكشف في غده خطأ مضحكاً لأن ينفك يضحك كما ذكره ما امتد به العمر ...

ومع هذا ...

ومع هذا هو لا يستطيع أن يخدع نفسه عن الساطفة العقيمة التي قاتل في قلبه ... عاطفة الشك للمذبة . وها هي ذى تثبت يمسك الكريت التي مر بها من الكرام قترضها من جديد على غيخته في إظهار أسود غيف فلا يملك إلا أن يتأملها متعجباً متفكراً . فهو يذكر كيف كانت زوجه تلقاه — على أيام خطوبتها — بجمود ووجوم

« جاء كمامه وغاب داخل البهارة منذ ربع ساعة ... »

وجد الشاب في مكانه هبة لأنه أحس بأنه مقبل على دقيقة قاسية في حياته ستقرر حتماً مصير سمائه وكرامته، غفان المهدوماً أصابه على رغم صلابتها وقوتها وشعر بأنه متحلال نحيف وسميع الحلاق يقول له: « أريد أن أحبك ؟ » ؛ فكانت عبارة الرجل وقال بجملة: « كلا ». وغادر المكان بسرعة وقد عا التئيب ديب الاضطراب الزاحف على نفسه ،

ودخل إلى البهارة ومعد العلم بخطوات ثقيلة وجعل يرمق باب الثغرة الذي يدنو منه ببنتين جامدتين ، وقد شل عقله عن التفكير ما يتجاذبه من الأفكار والمخاطر التي تطفو على سطحه بسرعة وتثيب بأسرع مما ظهرت غير تلوكة من أثر سوى التهلول في النفس والحرقلة في الصماغ . ووجد نفسه واقفاً بإزاء الباب وكان يلهث كن جرى شوطاً كبيراً وقلبه يخفق بنف ويضع الم إلى رأسه فيدوى في أذنيه ، وكأنه خشي على إرادته من التردد قدس يده في جيبه وأخرج المفتاح وأولج في الباب وأداره بخفة وحذر ودفعه على مهل وأدخل رأسه ليتق نظرة على الردهة ثم دخل وهو يكتم أنفاسه ورد الباب بلا إغلاق كيلا يحدث صوتاً

وكانت الردهة خالية وجميع الحجرات مغلقة... ترى أين الخالصة العتيقة؟ وانصرف نظره إلى حجرة النوم وخلع حذاءه ودنا منها على أطراف أصابعه حتى صار بإزاء بابها اللئيق وانحنى قلباً ووضع أذنه على ثقب الباب وأرهف سمه تخيل إليه أنه يجمع غممة خافتة وأصواتاً أخرى، ذهب الشك بهذاه وآماله وسفرت أمامه الحقيقة الأليمة الخزية وقد انطلقاً نور بصره ثواني

على هذا النحو كانت تواتيه التندرة على تحليل أحرزانه وأفراسه ، ولكنه كان إذا انتهى إلى عزم عرف كيف يتفقد بمخافته لا يرد عن غرضه راد وكان قد قطع شوطاً كبيراً وبدأ يشعر بالتعب فنادأ أدراجة إلى مسكنه على الرأس ملهب المواليف ، ودخل إلى شقته وهو يتكلف الانقسام والمهدوء فرأى عروسه جالسة إلى اللسان ، والنداء جاهز ، والأطباق مصفوفة وسمها تقول له غابة :

« تأخرت عن موعدك »

فنظر إلى وجهها نظرة سريعة لأنه خشي أن تقرأ في عينيه ما يدعوها إلى التساؤل ، وجلس إلى جانبها ، بل وقبلها أيضاً كما ينتظر من شاب مثله في شهر العسل ، ثم قال مستندراً :

« سررت في طريقك بالحلاق وكان الصالون مزدحماً ... »

وفي صباح اللند خرج في مواعده المتادوسار في طريقه للمهود ولدي مروره بمقهى النجمة قاوم رغبة شديدة نازعته إلى تسفح وجوه الجالسين بها وخيل إليه أن عينين راقبتين تراقباه بمحور وسخرية فتلا الم في رأسه وخضب وجهه الشاحب بإحمرار الحجل والبار ، ولم يذهب إلى وزارته ولكن دار دورة في الشوارع القريبة ، وكان يخرج ساعته من آن لآن وينظر إليها جزءاً مضطرباً؛ فلما دارت في منتصف الثامنة عاد أدراجة حذراً متيقظاً حتى انتهى إلى صالون الحلاق وانسل داخلًا ؛ وكان غالياً إلا من صاحبه الذي حياه تحية الصباح ، وإبتداه قائلاً :

قَالَ لَهُ سَاخِرًا :

« هل بروك أن توت في ثيابك ؟ »

فصاح الشاب مولوداً : « الرحمة... أنا في عرشك »

قَالَ لَهُ بِلَهجة رقيقة :

« إرند ثيابك أيها الشاب ولا تخش أذى »

فلم يلمنّ الشاب إلى قوله وتوسل إليه بصوته

الباك المرتب : « إرحمني ... »

قَالَ لَهُ بِلَمثته ويشبهه :

« إرند ثيابك أيها الشاب ولا تخش أذى ... »

تقدم ، إلى أفضى ما أقول »

ولكنه لم يتحرك من مكانه واشتدت الرفة

بجسمه حتى غلغ سيصق سحناً ، فسار بنفسه إلى

الشيزلنج وأتى له بشابه وقدمها إليه قائلاً بسخرية :

« أحب أن أساعدك على ارتدائها ؟ » ، وأسرع في

لحفة بمحشر جسمه حشراً في ثيابه ، فالتفت في ثوان ،

وكان شكله زرقاً مضحكاً ، فحشر رأسه للدعوى

بالتأزلاتين يبرز مبشراً من حافة الطروش ، وأزدار

بنظوره مفككة والتميم يتدل من بينها ، والحذاء لم

يقدر رباطه . ولكنه كان في غيوبة خاهلة ، فنظر إلى

الزوج نظرة تسلية ويأس وقال له :

— أأأ تحت أمرك

وهز الرجل كتفيه استهانة وقال :

— وماذا أصنع بك ؟ لا تأثقل فيك... استأذن

الهام - فلذا أذنت لك انصرف معصوباً بالسلامة »

فأتى إليه الشاب بنظرة كأنها تقول : لم

التمنيب... أقلني إن عثت ولكن بسرعة . وقد

فهم منها فمز كتفيه مرة أخرى بهزه وقال :

ألا تريد أن تعذب ؟ ألم تشبع بعد ؟ أما تزال

لك رغبة فيها ؟ ..

من شدة التنبه ولم يد يد يحصل الجود فتراجع

خطوتين وثني ساقه وشد عليها بقوة جنونية ثم

أطلقها به في الباب فارتجأ ارتجافاً شديداً وانفتح

بمالة تشنجية وخطا خطوتين فاجتاز حبة الحجر ،

ودوت في الحجرة صرخة جنونية وقفز من الفراش

جسبان عاربان ، الزوجة وذاك الشاب ...

وكانت المرأة في حالة جنونية من الرعب ، فجدها

يرتجف ووجهها يصفر وعيناها تتسمان ، وقد سحبت

الحفاف على جسمها بحركة عكسية ولبثت تنظر إلى

زوجها كأنها تنظر إلى شيطان رهيب .. أما الشاب

فهم بالجرى إلى ثيابه الموضوعة على « الشيزلنج »

ولكن قدميه تسعرا في الأرض فجهد في مكانه ،

وجعل ينظر إلى الزوج نظرة ذعر ويأس مبيتين ،

ومد يده إليه توسل وقال بصوت مرتجف كأصوات

الأطفال التلعجيين : « في عرشك »

من السبب سحاً أن الزوج لم ينشئه الجنون ولم

يندفع إلى الانتقام كما يحدث عادة ، بل هبط عليه

جود غريب وتلبسه هدوء غامض شبيه بتكسة الخمر

التي ترد للنشئ المائج إلى ثقل النوم ، ظلت واقفاً

مكانه وجعل يقاب عينيه بين الشاققين في هدوء فاس

كأنه يشاهد منظرأ بعيداً عن مشاركة وجدها

ومشاعره ...

ورأى يد زوجته وهي تسحب الحفاف على جسمها

فألمها يبرود قائلاً :

« آتجلين من الظهور أمامي طرية ؟ »

وتحول إلى الشاب ، فصاح به هذا بصوته

المرتض المصوم :

« الرحمة ... دعني أرند ثيابي وأفضل في

ما تشاء »

الكابوس الأليم . ولم يشر إليه — بدافعته —
بتييح أو تصريح — ولأذ كره بخير أو شر ، ولا
أجري بسببه تحقيقا ولا أكرهه سؤالها وطالها
بوجه هادئ طبيعي كأنه شخص آخر غير الزوج
الطوبون ، ولم ينقطع عن عمله أو يشير من عده ولا
كف عن أحداثه أو فر عن مداعباته . وكان يذهب
ويسود ويسمل ويستريح ويأكل ويشرب وينام ويقوم
وكأنه زوج سيد يمشي زوجه الحليمة أورب بيت
مطلن يسهر على بيته وأسرته دون أن ينص حياته
منص أو يكدر صفوها مكدر

وكانت للمرأة في أول صدها بالتضيعة كالجنونة
من شدة ما يذهب نفسها من الخوف والرب والذئاب ،
وقد توسلت إليه شارة وهي تبكي أن يطلقها ويتر
عليها ، ولكنه قال وكأنما فقد ذاكرة : « أطلقك !
له ؟ أجنونة أنت يا عززي ؟ » وأسقط في يدها ولبت
حائرة مدفوعة مذبة تخشاه وتتوجس منه خيفة
وينلق عليها أسره فلا هو يطلقها ولا هو ينتقم منها
والأعجب من هذا جميع سلوكه نحو ماشقها في
ذلك اليوم الأسود ...

ومضت الأيام طويلة ثقيلة فلم تحقق غناؤها
ولم تصدق هواجها وأخذت تخف عليها وطأة
الخوف وتنامي هومها فيما تقوم به من الواجبات
البيتية ، ووجدت نفسها — وهي لا تدري — متفاني
في خدمته والسرور على بيته وتوفير الراحة له بمهمة
الخطى* التي يسأل جرح ضميره بالتصغير
والتنذيب ، على أنها لم تطلن إلى دعت كل الاطمئنان
وكانت تسأل نفسها حيرى... ترى هل نسي وغفر ؟
أم هو يتفانى ويتعزى ، أو ما الذي تنطوى عليه
حياته البهمة وابسامته النامضة من النيات ... ؟

فاشند الارتباك بالشاب ، ورأى الزوج يوسع له
الطريق فتحرك بخطوات بطيئة وهو لا يصدق ما
يسمع وما يرى . ولما صار بإزائه أحس يده توضع على
كففيه فانتفض رعبا وتوقع شرا ولكن الرجل بدوره
فأثلا : لا تخف... ستذهب كما تشاء ولكن أن... ؟
قال هذا وبسط إليه كففه فظفر إليه الماشق
مرتبكا متسائلا فقال :

— انثن

فظل الشاب ينظر إليه صامتا فقال الزوج بلهجة
جديدة

— مالك ؟ ألم تحظ بوسال هذه المرأة ؟ فلم
لا تدفع انثن ؟ هل تظن أن الوصال هنا بلا نحن ؟
— سيدى ...

— يا لمن عاشق بخيل ! ألا تريد أن تجود بي ؟
بكم تظن هذه المرأة ؟ هه ؟ إنها تستأهل رايلا فنا
رأيك ؟

ولما نيس من الشاب نقش جيوبه بنفسه حتى
عثر على حافظة نقوده واستخرج منها رايلا ثم ردّها
إليه وهو يقول « فضل الآن فانهب إلى حيث
تشاء ... »

واغلت الشاب خراجا لا يصدق أنه فاز بالنجاة ،
والنصف الزوج إلى زوجه فقال لها « اردى ثيابك
يا سيدتى والطردي عنك الرعب فلا خوف عليك ولا
أنت محزّنين »

كيف استطاع أن يسيطر على عواطفه ؟ كيف
أمكن أن تليمه أعصابه تلك الطاعة الممياء ؟ هنا
سر من أسرار الطبيعة يسجز عن إرضاعه البيان ،
وعلى كل حال فقد اقضى ذلك اليوم كما يتقضى

شوقهم إلى جماع قسته ، فطلب إلى حبه أن يسطر
الريال وزوجه ثم قال :

— إن شوشو تعرف قصة هذا الريال خيراً أم لا ،
وسأتنازل لها عن حق روايتها ... هيا يا شوشو
قصي عليهم القصة العجيبة وهي حقيقة تنفتح شهوتهم
للعلم

وانصرفت الوجوه إلى الزوجة وقد تضاعف
اهتمام الجميع وتوقفوا جميعاً قصة شائقة . أما شوشو
فكانت في حالة يرثى لها من الدهر والارتباك ،
وقد جمعت قوتها المشقة وقامت واقفة وشقت طريقاً
بين الجالسين إلى باب الحجرة ، فاحتجوا على قيامها
وحاول بعضهم منعها ولكنها قاومت الأيدي وهي
تقول بصوت خافت مضطرب « انتظروا دقيقة ...
سأعود في الحال ... »

وولت خارجة وعينا زوجها تلبسها بنظرة غريبة

يستطيع القارئ أن يستنبط الخاتمة الروعة
فانه لاشك يقرأ كثيراً في الصحف عن اللاتي يرمين
بأنفسهن من التوافد المالية فيسقطن مهملات
مشوهات ، ولله إذ يقرأ هذه الأخبار القتضية
يتساءل عن أسبابها الخفية ويذهب به الحدس كل
منهذب . فهذا سر واحدة من أولئك المتحجرات ،
وإياه ليؤسفني أن تنتهي القصة إلى هذه النهاية المحزنة
ولكن ما حيلتي وقد بدأت بتلك البداية الأسيئة ؟
والحق لا تقع على تيمة بدايتها ولا نهايتها
فكنا يروينا بطلمها المحزون الذي غدا لا يفارق
الحياة ليل نهار . وكما تخيلت لو كان كائنها كما كان
رأوها ، لأنني وأسفاه لا أستطيع مهما أحاول أن
أبلغ بعض ما يبلغ من صدق الرواية وقوة التعبير
يجب مخرط

وليثا على حالها والأفليم تحت السر وكل منهما
متظاهراً بالألفة والاملتان ويحترأ أفكاره فيها بينه
وبين نفسه ، حتى كان يوم دعا فيه الزوج جميع أهله
وأهل زوجته إلى مأدبة غداء ، وبذل لأعدادهما فوق
ما يحتمل قدره حباً وكرامة . وأم بينه ذلك اليوم
جميع أفراد الأسرتين نساء ورجالاً ، فتيات وفتياناً
وعلى رأسهم حماد وحامه ، فضاق البيت بالدموعين
وضيح جوه بأساديتهم ونحلاتهم وإزداد سعادة بما
تتلمهم من ود عاقل جميل ... وتشتب الحديث شعباً
مختلفة فطرق موضوعات السمنة والنحافة والزواج
والزوجة وبنات الأمس وبنات اليوم ، ومس
السياسة حيناً والدرجات والملاوات والأطفال
أحياناً كثيرة ... وشارك المهندس في الأحاديث
بشبهة عظيمة ، وكان يبدى للسرة والبهجة عظيم
الاقبال على جمالة ضيوفه والترحيب بهم

وقد توقف عن الكلام بقشة كأنها تذكر أسراً
مهماً ، ثم دس يده في جيبه فأخرج ريالاً ، جمل
يقبله في يده ثم أعطاه حماد وهو يقول :

— أنظر إلى هذا الريال يا حماد ... أترأه مزيفاً ؟
فأخذه الرجل وجعل يقلبه بين يديه وقد انجذبت
إليه الأنظار من كل صوب ثم قال :

— كلا يا بني إنه صحيح لاشك فيه ... هل
رفضه أحد ؟

واختلس الزوج نظرة إلى زوجته فرأى وجهها
مصفرراً يحاكي وجوه اللوق فأقسم إقبامه غامضة
وقال :

— لم يرفضه أحد يا سيدي ولكني أردت أن
أطمئن عليه لأنه محور قصة عجيبة قد يروكم جميعاً
سماعها

فازداد اهتمام الحاضرين ودل تطلعهم إليه على

الله ! « ولادعنا أحد للأكمل بل
فتح باب ودق جرس ققام من
أراد أن يقوم إلى غرفة المائدة،
واعتظر في غرفة الجلوس من أراد
أن ينتظر

وكان صاحب المنزل كائمه
أحد الزوار، والزوار كائهم في

ميوتهم، فلا خجل ولا احتشام ولا انتظار للترحيب .
وكانت زوجة صاحب المنزل موجودة بيننا كأئها
أحد الرجال، وكائمه لا شأن لها بأعمال الباطخين
ونظام الوليمة ! وكل الذي وجدناه من مظاهر
الترحيب هو النظر إلينا والابتسام . وكان بيننا كثير
من السيدات لو أن على وجه إحداهن قفاً لتبلمت
غراماً بها، ولكن لسفورهن ما كنت أفكر في
أهن نساء

وقد بدأت المائدة عما إذا كانت الشمس قد
ظهرت في هذا اليوم أم لا ؟ وقد أجموا على أنها
ظهرت، واشتد الخلاف على مدة ظهورها، فقال
البعض إنها خمس دقائق وقال آخرون بل عشر

وكان للتكلم في هذا الموضوع موجهاً الالتفات
إلينا لا يظنه البعض من أن الفرس يبدون الشمس .
وسألتنا زوجة الوزير عن ذلك فأجابها السفير :
« إن بلادكم ليست في حاجة إلى الشمس ما دام
لنساتكم هذه الوجوه المشرقة . فلترجم هذا القول
إلى اللغة الانكليزية فوبل بالاستحسان المام واعتبر
فكاهة لطيفة

وقال الوزير : « ولكن إذا عبدتم هذه الشمس
كاتبعدون الشمس في بلادكم، فأنا سنفكر في إنشاء
(١)

حاجي بابا في الحكمة

تأليف جيمز موير
بترجمة الأستاذ عبد اللطيف الشار

الفصل السابع والعشرون

أعضاء السفارة يحضرون ولهم

في اليوم التالي لافتتاح البرلمان جاء المترجم إلى
السفير وقال له : « هذه خمس دعوات لتناول العشاء »
فقال السفير : الله الله ! من الذي يستطيع أن
يأكل خمس حبات في ليلة واحدة ؟ »

قال للمترجم : « ليس من الضروري أن تأكل
بثبات بل تحضر الاجتماع دون أن تتناول الطعام ؟ وهذا
مسموح به في عواصنا »

قال السفير : « هبني لا أأكل شيئاً، ولكن
حضور خمس دعوات يستغرق جانباً عظيماً من الليل
فكيف ذلك ؟ إننا نأرسيون تمام بعد صلاة العشاء
ونستيقظ قبل أذان الفجر »

فقال للمترجم : « ما دمت مقياً بيننا فانك
ستمتد عاداتنا ؛ ونحن لانكاد نفرق بين الليل وبين
النهار في هذا الفصل من المام »

قبل السفير وذهب معه ومع المترجم . وكانت
الوليمة الأولى في قصر وزير، وقد ليس السفير كمادة
في الحفلات ووضع الريشة على قلبه والخنجر في
حزامه وقلد السيف المجهور . وليست كذلك
ما يلائم هذه الحفلة من الثياب

وصلنا إلى قصر الوزير فلم يقل لنا أحد « باسم

وقد شعجني التبسط في الكلام أثناء ما جرى من الحديث على أن أتكلم باللغة الانكليزية فكان الجميع ينظرون إلي ويسمعون ولا أعرف هل فهموا ما كنت أقول أم لم يفهموه

الفصل الثامن والعشرون

المناصرة

لما انتهت الولاية الأولى ذهبنا مع المترجم إلى قصر آخر وهو الذي فيه الحفلة الثانية ، وهي حفلة راقصة . وقد جلس السفير إلى جانب زوجة الورد وجلس كل رجل بجانب سيدة

وسأل السفير المترجم : لماذا يجملون حفلاتهم بالليل ؟ أليس في النهار متسع من الوقت لذلك ؟ فقال المترجم : إن الوقت لا يتسع الآن للشرح . فسكت السفير وقد كنت وإياه في أشد الحاجة لنوم . ولولا احترام للوقت لأدركنا الناس ونحن جالسون وإلى أشك كل الشك في تصديق الناس إلي

لو وصفت لهم ما رأيته في هذه الحفلة لقد كان النساء يتجملن من الجواهر بما لا يوجد مثله عند النساء . وكانت أجمل فارسية تمد دمية بالقياس إلى من رأين من الحسن . ولئن كنا نصف أحياء السيدات وعيونهن بيضون التزلان وأحيادهما ، فإن هذا التشبيه يزرى بالجمال الذي رأيناه ، والذي ليس من حق أن يشبه بشيء ما . وقلت في نفسي إننا كان في الدنيا لغة وسرور فهما في الرقص دون غيره . وإننا كان النساء جديرات بلحب من نساء هذا البلد السافرات لانساء فارس المحتجيات

هكذا كان مجال تفكيرى . ويظهر أنه كان

مصنع للبراقع في لانكشير ونجبل في كل بيت قسماً للحريم

وعلى أثر ذلك تبادل الحاضرون المزاج والفكاهة في هذا الموضوع . وقد دلنا ذلك على شيء في الخلق الانكليزي لم تكن تتوقعه لأن هذه الشفاه الطبقة التي لا تكاد أن تفتح للكلام برهنت على أن دونها روحاً فكاهية حلوة

وقد حضرت المشاء فلم أجد متسعاً من الوقت للتفكير فيما إذا كان اللحم لحم حيوان مذبح أو ميت ، بل أكلت كل ما وقفت يدي عليه . ورأيت أماي أنواعاً من النبيذ ما رايت في الامتناع عنها إلا وجود السفير

ولقد خطر لي في أثناء الطعام أن هذا اللحم لحم خنزير . ولكن يدي لم تقف عن تناوله بل قلت باسم الله ثم اللهم

وكان السفير أكثر حذقاً مني في استعمال الشوكة والسكين وأشد إقبالاً على تناول الطعام . ولقد أخطأت بحكم العادة صرتين فاسترعت لسوء الحظ أنظار من حولي . أما إحدى التفلتين فاني صممت جارى خبزه ؟ وأما التفلطة الثانية فاني شربت من كوبه . وكنت آخذ شيئاً من الطعام بأصابعي ولكنني تماكنت نفسي قبل الوقوع في هذه التفلطة ولما انتهى الأكل وقف السيدات دون الرجال وبقي هؤلاء وحدهم على اللائدة ، قلت للمترجم : إن هذا هو الشيء الوحيد الذي وجدته قرياً من عوائدنا ولا بد أن يكون مستمراً من الاسلام

فقال المترجم : إن النساء يقمن قبل آخر الولاية ليكون الرجال أكثر حرية في شرب النبيذ وفي المعادة

أكثر من احتفالهم بالأمير ويظهر له الأمير نفسه أكبر احترام

قلت لحديث : « أليس هذا أميراً أيضاً ؟ إننا مشر للفارسين تلتفت كل الالتفات إلى مظاهر الوجاهة فلا يفوتنا شيء منها

فقال : « لقد أصبت ! إن هذا رجل كبير الأهمية عندنا وإن لم يكن أميراً . وقد نشأ جندياً بسيطاً وارثاً بنشاطه في صفوف الجيش فهو يعدل عندكم للقتيل بلقب « غازي »

قلت : « ولكنني أراه يسكب الشاي في فنجان امرأة يجوز وذلك ما ليس بفضله عندنا غير الخدم . إن أحد القواد عندنا لو فعل مثل ذلك لزمه الشاه في اليوم التالي لأنه استخف بكرامة نفسه

فأقسم وقال : « دعنا من ذلك الآن وانظر إلى المخاصرة فهذا شيء جديد عليك » والمخاصرة أن يشبك كل رجل مع سيده يديه ورجليه ويدور على تنمة ما . وليس في بلادنا من رقص غير الأحييات . ولكن هؤلاء أعلى طبقة من الناس ولا رقصون إلا رغبة في السرود

فلما أبدت له هذه الملاحظة قال إن الأجورات على الرقص يوجدن هنا في مساوح عامة وستراهن في يوم من الأيام

قلت : « أليس عندكم من يرى الرقص غير لائق أو يحاول إبطال هذه العادة ؟ »

فقال : « هذه عادة حديثة وقد وجدت مقاومة في بدء ظهورها . ولكن عندنا ما يقال له « اللودة » وهي أقوى من شاهكم الأنصرة وأكثر استبداداً . وسبب التعلق باللودة هو أن رغبتنا في التقدم لا نجد حداً لتقف عنده

مرتباً على وجهي ؛ فان أحد الجالسين حدثني بالثمة الفارسية وسألني ألمت أفكر في النظر الذي أراه ؟ فقلت : « بلى ، ولكني أعلن أن السيدات الانكليزيات يعرن أجمل مما هن الآن إذا ضمن على وجوههن البرقع ، فلماذا لا تفرضن عليهن ذلك ؟ »

فأقسم وقال : « قد يشمل ذلك في يوم من الأيام إذا ظهر لمن أنه يبرز جالهن . ولكن كل إنسان في هذه البلاد حر في وجهه يفعل به ما يشاء »

قلت : « ولكن المجائر قبيحات جداً ولست أعرف السبب في ذلك . فهل عند شاهكم طريقة لتخلص منهن ؟ لقد كان الشاه عباس يقتل الخسبان إذا لم يجوتوا من لقاء أنفسهم في الوقت المناسب » فضحك عدتي وقال : « إن قتل امرأة يجوز قد يؤدي إلى نشوب ثورة ، وليس من الممكن أن يقوم بيننا ملك كالشاه عباس »

ثم أخذ يشرح لي بعض عادات بلاده التي لم تكن لي من فكرة عنها وأشار إلى أحد الجالسين فقال إنه ولي العهد . وهو كاستر للوجودين يتحدث ببساطة ولا يميز الناس التفاتاً خاصاً سوى أنهم يحرسون بقدر الامكان على ألا يوليه أحد ظهره

قلت : « ألم تقدم إليه الهدايا عند مجيئه ؟ فقال : « لا أعرف أنه أخذ شيئاً غير ماشره من البين والشاي

قلت : « هذا شيء غريب ! ان لك وأبناءه ليس لهم أقل امتياز في هذه البلاد ، ولكن في بلادنا يعد الجلوس في مكان واحد مع أحد الأمراء تنمة كبرى »

وجلس بين الجالسين رجلاً يحق به الجميع

تحلق لحافاً وشواربنا . قل لي ما الذي أفضل ؟ تكلم يا حامي بلا »

قلت : « ما الذي أستطيع أن أقول ؟ إنها حجة حقاً . ولكن كيف عثرت عليها ؟ »

فقال : « إن شعورها يحوى مثل شعورى نحوها وقد نظرت إليها للمرة الأولى في مجلس التواب . ولما تبادلنا النظرات جاءت بها أمها إلى وقد تمكن حيناً فذا الذي أفضل ؟ »

قلت : « أرى أن تكتب إليها أحياناً من الشعر ، فإن الحب يشير شعر أسمى لن يكون »

قال السفير : « نعم يا حامي بلا . ولقد قلت أحياناً من الشعر منذ رأيتها ، ولكن من الذي يستطيع أن يفهم شعرى الفارسي ؟ ولقد حاول الترجمة أن يشرح لها ولأبها ولن رأيتهم حولنا هذه الأبيات فبدل أن يطربوا أخذوا يضحكون . وهذا هو معنى مطلع القصيدة »

« يا نسيم الحب قل المروحة التي تحركك لماذا تطردنا نحن إلى الصحارى والجبال ؟ »

قلت : « إذا كان هذا الشعر لا يملك قلبها فإن قلبها يستحيل إذن أن يملك . وأرى على أية حال أن نبحث إليها بالهدايا من الشيلان والجواهر وأن نكتب إليها خطاباً بالمداد الأحمر »

فقال : « هذه بلاد شديدة الخطر على رجل مسلم . إن عيون نساءها تقتل ويمتا ويسارق ولأولم في الزواج لنير للمسيحي »

ومن ذلك الوقت لم يصطحبني السفير ولم يصطحب أى رجل من أعضاء السفارة إلى الحفلات التي يحضرها سيدات من الانكليز . ولعل ذلك خوفاً من قتل أخباره إلى الشاه ، أو لعله لا يريد أن تشهد

كان الراقصون إلى الآن من الشبان ولكنى رأيت فجأة ما هائل وأدهشنى

فقلت لجارى : « ألا ترى ؟ هذا رئيس وزاريتكم برقص ! »

فابتسم وقال : « ماذا يهواهك من ذلك ؟ إن ملكتنا برقص أيضاً وكذلك الفتى عندنا ورجل الكنيسة والحريية والبحرية والقضاة »

قلت : « أقسم برأس الحسين لو أن الشاه علم أن أحد وزرائه برقص لضربه على قدميه في الطريق العام إن لم يفعل به أكثر من ذلك »

في كل هذه اللذة كان السفير ثابتاً عن نظرى وأخيراً وجدته بين جماعة من النساء . وكان أكبر اهتمامه براحدة منهن جالسة أمامه وهو لا يريد الانصراف عنها ولا الكف عن محادثتها . وكانت نظراته إليها كمنظرات الجنون إلى ليلاه

ولما انتهت السهرة عدت مع السفير في عربة إلى دار السفارة ولم نذهب إلى سائر الولائم لأن الساعة كانت متأخرة من الليل

الفصل التاسع والعشرون

السفير يبع

لما كنا في العربة لاحظت أن السفير لا يطيع كتاب ما به من الواعج . ولم يقل سمته حتى قال : « أقسم يا حامي بلا أن فؤادى قد سلب ! هل رأيت مثل هذه العيون والثنور والأجساد ؟ هل رأيت شعوراً مثل هذا الشعور ؟ هل رأيت جلوداً أرق من هذه الجلود ؟ إن فؤادى يكاد يمتزق ولكن ما القادمة من هذا القول ؟ إننا فارسيون وهؤلاء النصارى لا يزوجونا من بناتهم حتى ولو قبلنا أن

وقد مجزنا عن مفاخرة الانكليز في هذا الشأن
لأنه ليس لدينا موسيقيون أو متنون تقتصر بهم
وإن كان عندنا شيء من اللثناء والوسيقى . أما التمثيل
فهو إبداع ليس لنا فيه أقل نصيب

وقد استمر السفير يذهب إلى هذا المكان حتى
توم بعض الانكليز أنه مسرور من كل عوائدهم
وطلبوا إليه أن يسي في بلاده إلى دفع الحجاب
عن السيدات وتويد النساء والرجال الفارسيين
عوائد الترميستان . فسد ذلك غضب السفير وكف
عن اللعب إلى هذا المسرح إظهاراً لاعتناقه بفضل
طائفتا الشرقية . ولما جرى الحديث بينه وبين المترجم
عن اللامى قال المترجم إنها ضرورية لانشاء الناس
وتجديد قوام

فقال السفير : « يظهر أن الشعب الانكليزي
من أبلة الشعوب لأنه يحتاج دائماً إلى التفتيش
والانشاء ، أما نحن في إيران فنبينا من ذلك التيزوز
وحفة ذكرى الحسين

وحضرنا بعض حفلات التمثيل ، وبالرغم من أننا
لم نفهم ما يقال على المسرح فقد كانت مجرد الرؤية
كافية لافهانتنا للمنى ، واقتننا بأن هذا هو شعب
الجانين . وحمدنا الله على العقل والحكمة الذين
وهبهما للشعب الفارسي

الفصل الثلاثون

هاجى بابا يتكلم بونكليزية

بدأت أعجب الناس باللغة الانكليزية التي كان
يضمي لا أسمه منها أكبر من استملاذي للتكلم بها .
ولقد وجدت كثيراً من كلامي لا يفهم بسهولة ،
ووجدت ذا كرتي مخونني في حفظ بعض الكلمات

ضحك حبيته وأصحابها منه ، أو لعله خشي أن يراه
في حبه

ومهما يكن غرضه فانه سار لا يصطحب غير المترجم .
وكنا يتدحان على قصر كبير يكاد يكون أكبر من
قصر الشاه . وهذا القصر لا حياة الموسيقى والرقص ؛
وقد ذهبت مهاجرة إليه لأنه من الأماكن العامة
التي يستطيع أن يزورها كل إنسان مقابل أجر معين ؛
ويطلقون على هذا القصر اسم «الاورا» ؛ وتكونه
من الداخل عجيب جداً ، فيه أماكن تكللا النحل
ضيقه يجلس فيها الرجاء ؛ أما المكان النسيح في حين
البناء فيه كراسي يجلس عليها العامة

جلسنا في خلية من هذه الخلايا التي يختلط
فيها الرجال بالنساء . وكان عدد كبير من الناس
لا يرى إلا رؤوسهم ، والمكان مضاء بأوار أسطع
من التي في مرض النور بقصر الشاه

واستقبل الكل منصة عالية كالتي يجلس عليها
القضاة ويسمونها المسرح . وصعدت للموسيقى فلم
تلازم أسواتها أذواقنا لأنها تخرج ثبات من
الأصوات المختلفة ، يختلط بعضها ببعض فيجعل
العين شديد الاضطراب ، ولكن الانكليزيطرون
له كما نطرب نحن لسباع أغانيها للشجبة

وعلى حين فجأة ارتفع ستار عظيم كان ينطى
هذه النصة فرأينا من الناظر ما يسجز القلم عن وصفه
مثلث رواية عزمة كدنا نبيك عند مشاهدتها ، ثم
تلاها رقص وغناء لم يسبقنا في أول الأمر لتبجح
الطريقة ، ولكنه أطربنا بمقليل لرغمة الأصوات .
أما الرقص فانه مدعش إلى غير حد ، وأقسم لو
شاهدته الشاه لنزل مهرولا عن عرشه فجاء أمام هؤلاء
الحود اللواتي لا يشهن إلا حور الجنة

قال السفير : « إذن هذه رقة في طباعكم ! ألا تعود إلى ذكر هذه النقلة ؟ هل قلت إنها تتجاهلها ؟ هذه هي نهاية التهذيب . إنا مهذبون في فارس ولكننا لم نبلغ بعد هذه المرحلة »

فقال للترجم : « إن أسلم معنى الكلمة طوي ، ولكن الكناية مروفة في انكترا كما هي مروفة عند الفارسيين ؛ وفي كل يوم تتجدد كلمات يكتن بها عن الماني التي أصبحت كتاباتها القديمة مبتذلة

قال السفير : « على ذكر الكتابات أسألك من الكلمة التي يكتن بها عن كلمة زوجة ؟ »

فقال للترجم : « هذه كلمة لا يحتاج إلى كتابة »

قال السفير : « ما أسعد الأذواق بين الأمم المختلفة ! هل يمرؤ أحدكم على سؤال الآخر عن زوجته دون أن يكتن عنها ؟ ألا تشير هذه الكلمة إلى أنك من الماني البتة ؟ إنا لا نقول

لأحد كيف زوجتك ولكننا نقول كيف يتك »

قال للترجم : « هذا الاصطلاح عندكم له ما

يرره لأنه ليس لأحدكم زوجة واحدة بل زوجات

متعدات . أما نحن فإدام للرء لا يتزوج إلا من

واحدة فقط فلامعنى لهذا التعبير الجامع

قال السفير : « أليس في لتك تمير يتندى

به كل شيء مثل قولنا « بسم الله »

فقال للترجم : « لا »

قال السفير : « يظهر إذن أنكم من فسية

كردية ، فإن الأكراد لا يبدأون بسم الله . ونحن في

فارس نسمعهم عباد الشيطان من أجل هذا السبب

فقال للترجم : « إن الألفاظ التي يطول

تكرارها تفقد وقعها . وفي اللغات ألفاظ كثيرة

يجب أن تصان عن الابتذال

فأني أظن أني نطقت بها كما سمعتها والحقيقة أني حرقها تحريقاً عظيماً

وكذلك كان السفير يحاول الكلام باللغة الانكليزية مع حبيته ومع الوسطاء ليقاها فيه .

وفي يوم من الأيام أقبل على مترجماً وهو يصيح :

« هات القاموس ! يظهر أن الدين كانوا على ظهر

السفينة خدعوني فأخمدوني معنى كلمة على غير محبة .

وقد نطقت بها أمام السيدات فضحكن وأخجلتن .

والله لو رأيت هؤلاء البحارة لمزقت جلودهم

قلت له : « ما هي هذه الكلمة وما مناسبتها ؟ »

فقال : « لقد سألتني الفتاة عن زوجتي في

فارس فوسفتها لها وتشجعت على الكلام باللغة

الانكليزية ، فلما نطقت بأحدى هذه الكلمات حلفت

هي ومن حولها ثم تهايمن وتضاحكن وشمرت

بالجلل لأنهن لم يطلعن على غلطتي

وفي هذه اللحظة جاء للترجم فرداً عليه الخبر

فأقسم وقال السفير : هذه الكلمة من أغلظ ماني

لنتنا من الكلمات ، ولا بد أن تكون تسقطها من

البحارة أو السابطة . فأخ السفير في البحث عنها

في القاموس . وقد وجدناها في وجد لها معنى مناسباً

فأطمأن وقال : يظهر أن ما يسميه للترجم (المودة)

يمرر الكلمات عندهم أيضاً فما يجوز عندهم التكم به

اليوم لا يجوز في الهند

وعزم على أن يكتب لتلك الفتاة فيخبرها بأنه

وجد الكلمة في القاموس

ولكن المترجم نفى ضرورة ذلك وقال : إن

فطنها ستعلم على أن السفير غير متمم للخطأ .

وإن الكتابة إليها قد تضطرها إلى الرد مع أنها

تؤثر بالطبع أن تتجاهل حدوث هذه النقلة »

جلوس القرفصاء وكثير زوارنا خصوصاً من السيدات اللواتي كن يستصحبن إلينا أزواجهن وإخوتهن . وكانت الراحدة منهن تأتي وحدها في بعض الأحيان وقد توطدت الصداقة بين السفير وبين الكثيرات منهن وكثرت هداياه إليهن . ولكن حبه ظل مقتصرًا على واحدة منهن هي الأولى التي تقدم ذكرها

وفي يوم من الأيام وصلت رسالة من طهران فاحتاج السفير عند قراءتها وأخذ يسبر ديس الوزارة ويطمنه ، وقال إن هذا الخطاب من زوجته وإنها علمت بأن له جارية تركية وإنها تؤنبه . وقال بصوت ملؤه الرقة : « لماذا تلومي وتؤنبني ؟ إن الجارية ستكون خلعاً لما عندنا نود إلى إيران . أليس يكفينا من العناية بها والحرص على رضاها أنني لم أجمع إليها زوجة أخرى ؟ ثم ماذا لنصب فاستولى عليه وصاح : « ولكن من الذي أعلنها ؟ هل يوجد هنا من يتجسس على ؟ » وأخذ يلحن الساعة التي عين فيها بهذا المنصب وتلذذ بلاده المحبوبة وزوجته وابنته

ومن بين المأداث التي اعتادها السفير شراء جريدة إنكليزية كل يوم لأنه كان يجد بها أخبار انتقاه وأعماله . وكان بعضها يأتي عرفاً في كثير من الأحيان فينضب ويهتاج ويرسل تكديماً للجريدة . وكان يقول قبل أن يفتح الجريدة : « سئري ماذا قال عني الكتابيون اليوم »

وكان يقول : « لو أن شاهنا يطلع على هذه الأخبار قاله بنير شك سيقابلني بالقرعة والفلة » عند ما أعود إلى طهران وكان من بين الأخبار التي كتبها تلك الجريدة

قال السفير : « إننا لما لا نتمنون بعض أنفاظكم مثل كلمة « حام » التي سمعنا من كل إنسان قلها للمعدة فضحكت مني ؟ » فلم يمر المترجم جواباً ، ولكن عند انتهاء المحادثة صمم السفير على الاتفاق مع مدرس يطلع اللغة الانكليزية ... وكذلك سمعت تنفيذاً لأمر الشاه حتى أعان في وقت قصير من ترجمة الكتب الانكليزية

وقد نصحتنا المعلم بأن تتلم اللغة اللاتينية أيضاً فقال السفير : « وما هي اللاتينية ؟ إنني لم أسمع قط هذا الاسم »

قال المعلم : « إن الانسان لا يعرف شيئاً عن العالم حتى يتلم اللغة اللاتينية »

ففضب السفير وقال : « إن بلادنا من عهد جشيد تيميش بنير اللغة اللاتينية وقد أحرقتا قبور الروس مع ذلك »

قال المعلم : « إذا كنتم تجهلون اللاتينية فأنكم تعرفون الفرنسية أو الإيطالية فهما لغتان شائعتان » فقال السفير إننا لا نعرف الفرنسية ولا الإيطالية ، ولكن عدداً قليلاً منا يعرف التركية أو العربية ؛ فأصر المعلم الذي على ضرورة تلم اللاتينية . ومن ذلك اليوم وضعت له اسماً لتسخر به فدعواؤه لا يتناهى

الفصل السادس والثلاثون

السيدات الانكليزيات يدرسه السفير

مضى علينا عدة شهور في بلاد الانكليز واعتدنا كثيراً من عواذهم ، فكاننا عندما يسيران منّا ممّا لا يسلك أحدهما بذراع الآخر في الطريق لأن هذه العادة غريبة في انكلترا بالرجل مع المرأة . وامتنعنا عن الأكل بأصابعنا واعتدنا شرب الجعة وامتنعنا عن

من البرتغال . وأضمني أن الحقيقة لا تخفى عليه
ولما جاء السفير قال له الترجم ونحن موجودون
إن لوندرا ليست مثل طهران ، فكل شخص في
طهران معروف إلى حد ما . أما في لوندرا فالتاس
كثيرون وفيهم من يحصل على التوت بطريق غير
شرعية وإله لذلك ينصح لكل من في السفارة ألا
يسمحوا بدخول أحد إليها إلا إذا قدمه الترجم

الفصل الثاني والثلاثون

الترجم الانكليزي

نهت هذه الحادثة سرياً وكان كل يوم يمر
يزيد السفير انصرافاً عن السفارة ومن فيها إلى
معايشة الانكليزيات والانكليز . وقد كنا نمتد
أنا مشر الفارسيين أقدر الناس على الكذب ،
ولكن إقامتنا في لوندرا دللتنا على أن الانكليز هم
أكذب الناس حقاً . فن أمتة كذبهم أن أحد تجار
العربأت أهدي إلى سفيرنا سوطاً جميلاً قفله منه .
وفي اليوم التالي وجدناه قد كتب على باه وفي الصحف
أيضاً أنه « متهم لتوريد العربأت إلى شاه إيران »
وكنتم مرة أمشي في الطريق مع محمد بك قررنا
بتاجر دعاء وقدم إلينا جوارب ومناديل فلم نقبلها
ولكنه ألح وأكرهنا على أخذها فأخذناها . ولما
مررنا بجماوته بعد ذلك رأيناه قد كتب أنه متهم
التوريد للسفارة الفارسية فقررنا أننا لستنا وحدنا
المتقادرين على الضحك على النعوت

وأرسل أحد المارح دعوة إلى السفير ليحضر
حفلة ترفيهية . فلما لم يردنا إعلانات كبيرة
في الشوارع مكتوباً عليها بالخط المريض أن السفير
الفارسي هو الذي اقترح ترفيه الرواية وأنه سيحضرها

عنه أنه يضرب جارتيه الشريكية »

وحدث في يوم من الأيام حادث مزيج جذير
بأن يكتب في قصة ألف ليلة . وذلك أنني كنت
أخرجاً من باب السفارة فالتقت سيدتين إحداها
أكبر من الأخرى . وكنتما جميلة جداً . ولكن
الصنري أجمل . وكان شكلهما لا يدل على أنهما من
الانكليزيات

تقدمت من الكبرى وطلبت إلى في جرة منمشة
أن أحجها إلى منزلي أو منزلها لتقضي ساعة هـو .
فتجاملت الفرض وتبالهت ، ولكنها ألحّت عليّ
وأكدت أنه لا خوف من ذلك . وعفّت بهما إلى
غرفة الجلوس في دار السفارة وقمت لما التاكهة
والجبة وتسامرنا . ولكن الصنري كانت أجمل في
عيني من الكبرى فغصصتها بساطي ، وقد رأيت علام
الثيرة على وجه الكبرى وأنا خير بفرقة النساء
في فارس ، ولكنني لم أر قط غير جنونية كبيرة هذه
السيدة ، فلم أكد أقبل الفتاة التي أعجبت بها حتى
انهأت على الكبرى بالحرب والسلم والاكز
فأعطيتها ما منى من القطع الفضية ولكن العينة
رمت بها فكسرت للرأة . وأسرت فخرجت من
الغرفة ودخلت غرقتي الخاصة

وبعد قليل سمعت بواب السفارة يطلب الترجم
ويقول له إن في غرفة الجلوس سيدتين غريبتين
إحداها تبكي والأخرى تصيح فخرج للترجم وسمعت
السيدة الكبيرة تقول له : « لا تخدعني فأنك خلقت
ذلك وجئت لتجاملني »

وسمعت للترجم يطردنا ويتوعدنا بأن يرسل
في طلب البوليس . فخرجت السيدة وعاد للترجم
وسأته وأنا أجهل الحقيقة فأجلب بأن السيدتين

خفيفاً إلى أن الفتيات سيصرن من أغنى السيدات في يوم من الأيام لأن لمن عمت وخالات كثيرات ولقد استكشفت من حديثها السبب في حرص الانكليز على السجائر من ناسين قاتها لما تكلمت عن زوجها لم تدع سفة من الصفات الحسنة إلا ونسبتها إليه بحيث لو اجتمعت فيه كل هذه الصفات لكان من اللالكه لامن الناس ، ووصفته بأنه غني كريم حسن الأخلاق يجب أبناءه موثاقه . فقلت ماشاء الله وهو سجين أيضاً فما اسمه ؟

قالت : اسمه يا صاحب المعادة السر « هوج » وهو من أسرة اسكوتلاندية عريقة ولما كانت كلمة « هوج » في اللغة الانكليزية تعني « الخنزير » فقد كتمت انفساي وقت في نفسي : « لو كان هذا الرجل في فارس لكان اسمه « ميرزا خنزير » أو « خنزير خان » ولا بد أن يكون الخنزير محترماً جداً في هذه البلاد حتى سمو أبناءهم باسمه وقلت لها : « وما اسمك أنت ؟ »

قالت : « كلنا من أسرة هوج . وقالت إن اسم ابنتها الكبرى « ملوى » واسم الوسطى « ييسى » واسم الصغرى : « جوى » ولما بدأ الفتيات يتكلمن معي أطرطنى وابلأ من الأسئلة . وكان بين أسئلتهن هل اليهود مضطهدون في فارس كما هم مضطهدون في روسيا ؟ وهل في طهران تنال للاسكندر القنطوني . ومثل ذلك من المفارقات . وقد فتنتني الفتاة الوسطى بحديثها الحلو وسوتها الرخم

ولما أدرخ الستار وبدأ الناس ينصرفون قدم لي الستار هوج تلك القمصانة من الورق التي عليها (٧)

وفي الليلة المحددة لتقبل هذه الرواية أرسلني السفير مندوباً عنه في حضورها ، وقد تصادف أن للتصويرة التي جلست بها تجلور مقصورة أخرى بها ثلاث فتيات وأمهن وأبوهم وكان هذا الأب مفرطاً في السمن وزوجته نحيلة جداً . أما الفتيات فانهن زاهرت يانعات من زهر الجلال

وتصادف أن يدى لست عن غير قصد منى يد إحدى الفتيات فكان ذلك داعياً للالتفات إلى ولقرعة الشديدة في التعرف على

قالت الأم لها : « قدي إليه برقالة » فجلجت الفتاة وهي سمران وقدمت إلى برقالة على استعجاب . فقلت في نفسي هذه نحيلة فارسية وقبلها منها مع الشكر ، وشكرني الأب على قولها وعد ذلك منى ملاطفة وقال وهو يحسبني السفير : إنه يعني توميق الملائكي بين انكليزا وبين إيران

فتظاهرت بأبهة السفراء وأجيبته جواباً ملائماً . وقد اتضح لي أن الرجل مشهور بوطنية بين الانكليز . ثم سألتني هل في فارس مسارح وهل أعرف اللغة الفرنسية وهل أنا متزوج ؟ فأجبتني على ذلك ولا سمحوا منى أي لم أتزوج زاد اهتمامهم بي ولم تكف الأم عن النظر إلي ، وأخذت كل فتاة تمسك من ثيابها

قالت لي الأم : إن كبرى بناتها كريمة القلب تحب الفقراء ، وأنها تحرك الجوارب يدها وتخط الثياب وتعلم الأطفال ، وأن الفتاة الوسطى تحب الرقص والبزف على البيانو وتمتحن الايطالية ، وإن الصغرى لا تزال في المدرسة ولم « تخرج من البيضة » إلى الآن — كما يقول الأتراك — ولحت تليحاً

من غنية ، فالفارسيون يحرمون على التناصب بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة خصوصاً بين الطبقات العالية . وفنلاً عن ذلك فاني لو تزوجت من فارسية غنية فاني لا أخاف مثل هذا المهر الكبير . والفتاة مع ذلك جميلة وفوق الجميلة ، وأنا لا أزال في حمة الشباب فأنا كفاء لها ، ولا تزال لطيفة سوداء كأول يوم سميت فيه لحية . وإذا ظهرت فيها شعرات بيضاء فالحناء موجودة ، وما ينقصني إلا أن أتعن الكلام للمسول بالفتنة الانكليزية كما أتعنه بالفتنة الفارسية

الفصل الثالث والثلاثون

أسرة الخنزير

سألت الترجم عن كل ما يلزمي من آداب الدعوة للولائم حتى لا أضع في مثل النطقات التي طالما وقتت فيها منذ وصولي إلى انكلترا . وفي اليوم المهدى للدعوة ذهبت إلى ذلك المنزل وسألت البواب عن المستر هوج فأخبرني بأنه ليس في المنزل وبأن السيدات في انتظارى ، فمددت ذلك من حسن الحظ لأن دخول الحرم في إنكلترا يجعل هذه السهولة أسراً لم يكن ليخطر لي يال . وعدلت من ثيابي وأخنت لبس القبلق وسأوت شمري ثم صعدت فوجدت الفتيات وأهبن ينتظرنني ، واعتذرت لي السيدة من جهل البواب لأنه لم يعرف أنني ميرزا ثم قالت : « أليس لقب ميرزا عندكم هو لقب « برنس » عندنا ؟ لقد قرأنا ذلك في رحلات للمستر فورير » قلت : إنه يخطئ حيناً ويصيب حيناً . فسألتني الفتاة العنبري : « أليس لقب ميرزا هو لقب الأمراء ؟ »

قلت : إن دولتنا دولة كل رعاياها أمراء . فان كلمة ميرزا إنما كانت قبل الإسلام كانت لقباً بسيطاً

اسمه كما هي العادة عندهم وقال إنه سيتروني ومعه أسرته في اليوم التالي ...

لم يطل عهد ظمهم أنني أنا السفير لأن هؤلاء الانكليز يسخون ويساءلون . ولكن بحمهم لم ينقص من مكافئي بل زادها كما سيظهر فيما بعد فقد علموا أن لقبى ميرزا وحسبوني لذلك أميراً . ويدل أن يتأدوني في اليوم التالي ياساحب السعادة صاروا يقولون لي يا سمو الأمير

وفي صباح اليوم التالي وقتت عربتهم على باب السفارة . ودعوني إلى تناول العشاء عندهم في يوم يسيد من الشهر القليل قلت في نفسي هؤلاء أول قوم من الانكليز أراهم يستقدون بالتعجب وإلا فلماذا يحدون هذا اليوم العيد ؟

ولم أشأ أن أعرفهم بالسفير لأنه شديد الترية وقد كنت أعرف أنه من حق اختيار أصحابي . ولكني لم رفقي بخلاته من جهة ، وحرصاً على ألا يرى المستر هوج وبناءه خضوعي أمام رئيسي آتوت ألا أعرفهم به . والحق أن الانكليز يجهلون تمام الجهل هذا الخلق فينا ، فان أحدهم لا يتكلف في الوقوف أو الكلام أمام وزير أو أمير ، ولكننا نحن الفارسيين نقف بشكل مزد أمام من هو أرق منا ولا يستطيع السفير ذوالكرامة أن يشير هذا الطبع لأن رؤسائه يتعلبونه وأقرانه لا ينفرونه

ومن المادات الترية عند الانكليز أن المروس هي التي تدفع المهر وأن مهرها في العادة أضعاف ما يدفعه الرجل عندنا للمروسة . وقد أخبرتني زوجة المستر هوج بأن مهر إحدى بناتها ثروة طائلة

قلت : لماذا لا أكون أول اسفهامي يتزوج من انجليزية ؟ إنني إن تزوجت في إيران فلن أتزوج

قلت : « ليست للتناقضة سهلة خصوصاً مع المسيحيين في إيران ، فهم ليسوا مثل المسيحيين في هذه البلاد بل هم أمّس في نهاية التقذرات والشراسة ؛ وأقرب فقير من المسلمين في إيران خير من أغنى غني من المسيحيين فيها »
ثم قلت : « إذا جاء الملك جورج إلى فارس وتحتها وألزم أهلها أن يكونوا مسيحيين فقد يسيرون كذلك . أما إذا جاء بإدري وجده وأراد أن يجعلهم مسيحيين فاتهم بـ رجونه . وليس يتم شيء في فارس إلا بالسيف »

قالت : « لقد أرسلنا عدداً كبيراً من الأنجيل إلى فارس ولا بد أن يكون لها تأثير بين أهلها »
قلت : إن الأنجيل كتب طيبة ، والفارسيون لا يقولون كلمة واحدة ضدها ؛ ولكن التكرار الشريف أحسن منها ؛ والمسلمون يمدحون نبيكم فلماذا لا يمدحون نبينا أيضاً ؟ »

قالت ماري : « إننا سنجعلك مسيحياً قبل أن تفارقنا . هل زوت الكنيسة الانكليزية قبل الآن ؟ »
قلت : « إنني لم أزرها ولا أجرؤ على دخول معبد لا تأس بخالفون ديني خشية أن أعطل معاملة سيئة ، لأنه لو دخل أحد المسيحيين في مسجد من مساجد إيران لما خرج منه سليماً . ولست أشك في أنني أعامل هذه المعاملة لو دخلت الكنيسة في بلاد الانكليز »

فأكدت لي ماري بأن الكنائس مفتوحة الأبواب في أوجه النصراري وغيرهم على حد سواء . وألحّت على في الذهاب معها إلى الكنيسة في اليوم التالي فوافقت على ذلك

وعلمتني الأم معاملة حسنة جداً في ذلك اليوم

وإذا كانت يد الاسم كانت لقب الامارة وعلى الرغم من هذا الايضاح قاتنهم أمررون على مناداتي بـ لقب « صوكم » ولا أعرف لماذا تشبّهن بأني أمير . وقد سألت صرافهن عن أبيها فقالت : إنه مسافر وسيعود في الساء وإن من عادته أن يغفل ذلك كل يوم . فقلت : يظهر أنه كاجر وهذه عادة التجار عندما أبسأ ، ولكن هل للستر هوج يبيع لحم الخنزير ؟

عند ذلك بدا الغضب على وجه السيدة وقالت : ما الذي يدلك إلى أن تظن هذا الظن ؟

قلت : إن التجار عندما يقبضون بما يبيعونه في بعض الأحيان . ثم تبينت شدة غضبها ، فحاولت إصلاح غلطتي وقلت : إن التجارة ليست عيباً عندما فهل هي عيب عندكم ؟ إنني لأعرف عادات البلاد ، وإنني أسير هنا بـ تيردليل ، وإذا لم يكن زوجك كاجر فأما هي صناعته ؟ »

قالت : إنه مدير شركة الهند الشرقية . فوجدت الفرصة مناسبة كل المناسبة لإصلاح غلطتي خصوصاً أمام القتيات وقلت : لعله من ملوك الهند ؟ فابسمت وقالت : « إننا لا نسمي مديري هذه الشركة ملوكاً ولكنهم في حكم الملوك »

وسألتني ماري : هل في بلادكم مبشرون من الانكليز ؟ فحمدت الله على تشيير اللوسوح الذي كنا نتكلم فيه وقلت : نعم لقد كنت أعرف فيها رجلاً يدعى بإدري وهو يقول : إن نبينا غير نبي ، وإن البابا رجل كذاب . وقد رجعه الفارسيون وأظنه فر من بلادنا »

فقلت : « لقد أساء الدين رجوه ! لماذا ؟ ليس هناك مجال للتناقضة ؟ »

والاستشفاق والضمضة وقص الأظافر . ذلك كلها أمور دينية متروكة الضمير
وقبل أن ندخل الكنيسة مع ماري تعرفت على
أخها الأكبر وكانت ألبها . ودخلنا الكنيسة جميعاً
نساءً والرجال . وما كان أشد الحاجة في المابد إلى
وضع براقع على وجوه النساء لأنه يستحيل مع كثرة
عددهن ألا تتجه إليهن السيون في وقت الصلاة .
ولقد كان من المحال على أن تمر لحظة لا أزود فيها
وجه عيسى بنظرة

وفي أثناء الطريق دقت إلى ماري بكتاب
أسود لأقرأ فيه الصلاة وقد فحمت منه أجزاء وفي
أواصره ونواحيه ما يشبه الأواصر والنواحي التي في
القرآن ، ولكن التصاري لا يحفظونه عن ظهر قلب
كما تحفظ نحن كتابنا المقدس بل ينفتحون ويقرأون فيه
وهم يصلون ويحسبون صلاة مثل هذه بقلها الله ...
وصعد المنبر شاب مشرب ثيابه كتياب الناس
جميعاً وهو حليق اللحية والشاربين قتل في نفسى
كيف يتخط الناس من قول أسعد كهذا ؟ إن الخطيب
عندنا يجب أن يكون أبيض الشعر معدودب الظهر
ليصنى الناس إلى كلامه وليضمو رأيه في موضع
الاحترام . وقد بطل عجبى عندما رأيت هذا الخطيب
الناسى يفتح كتاباً ويقرأ لهم فيه حتى تنتهي خطبته
وهو لا يميز رأسه بينة ولا يسرة ولا يمك سيفاً .
وقد ظهر لي في جلاء أن الصلوات وأسامهم هذا
غير جادين وليس في صلاتهم شئ من الاهتمام . قتل
ليتهم ينضمون إلى فارس ليروا كيف يكون احترام
الدين . قائم هنا يجلسون على الكراسى الفاخرة
على الوسائد الحريرية ويثقت أحدهم في أثناء الصلاة
كما يشاء إلى الميمن أو اليسار أو الخلف ولا يعرف إن

وقى الزيارات التي توالى بعد ذلك . وكانت عيسى
التي طالما التي نظرها ينظرى تقول لي بالله الفارسية
القصصى : « خودا حافظ شوما » فأطرب لهذه
النتيجة وترجتها « أنت في حفظ الله »
وأخبرتني الأم بأن بناتها منذ قابتني في المسرح
لم يفكرن في شئ غبرى ، وإن أكبر أمانى ماري
الآن أن تجلس مسيحياً ، وأن عيسى قد خلت
خطوات في اللغة الفارسية ، وإن « جسى »
أصبحت لا تمنى شئ . مثل عنايتها بالتاريخ الفارسى
وقد سررتني هذه الأخبار كل السرور وشجنتنى
على الأمل في صيحتها . وكنت كما خرجت من عندهن
أقول في نفسى : « الله أكبر ! إهن لسن سيدات
فقط ولكنهن يصلحن أن يكن وزراء . أم كيف
يتأتى للرأى في بلادنا أن تفكر في دينها وأدين
البلاد الأخرى ؟ وكيف يتأتى لواحدة منهن أن
تدرس لغة أو تاريخاً لأمة أجنبية ؟

الفصل الرابع والثلاثون

عاجى بابا في الكنيسة

في صباح اليوم اتالى ذهبت إلى منزل سد بقاتي ،
وكان اليوم يوم جمعة الانكليز وهو يوم الأحد ،
وكانت الأجراس تسمع في كل مكان ؛ والشوارع
مزدهجة بالساميين إلى الكنيسة على اختلاف درجاتهم
وأعمارهم . وقالت ماري ونحن في الطريق إن الحكومة
هى التي تدير الكنائس صجيبت وقتلتان شاهنا وإن
كان مستبداً فلا سيطرة له على المسجد ولا يستطيع
أن يضطر إلى الزيادة من الاستفارة أو التقليل من
قراءة القاعة ، وليس له أن يتدخل فيما بيني وبين
ربي من غسل اليدين والرجلين ومسح رجب الرأس

وأخذ يظلف في حكمة التجارب، وحاولت تغيير هذا الموضوع لأنكلم في أي موضوع آخر نجبه يسي ولكن (ماري) أو (الشيخ ماري) كما تستحق أن تلقب كانت تأتي أن يخرج الموضوع عن الدين

وقد سألتني الأم عما إذا كنت أعرف السيدة فلانة أو غيرهما من سيدات الطبقة الانكليزية الراقية، وعما إذا كنت أدعي إلى حفلات الرقص في بيوت السفراء والوزراء. وضمت من أسألها أنها تريد أن تعرف وتشتهر في تلك الأوساط وأن أكون الوسيط بينها وبينهم. وطلبت إلي أن أعرضا بالسفير فوعدها بذلك على غير إرادتي وإن كنت أعرف أنه الوسيلة الأولى لتتقدم نحو البيوت الراقية

الفصل الخامس الثلاثون

سُرْك الهند الشرقية

عدت إلى دار السفارة فوجدت السفير يتأهب لزيارة رسمية ليؤديها في اليوم التالي. وهذه الزيارة في قصر الشركة الهندية وهو واقع في جزء بعيد عن المدينة، وفي هذا القصر كل الأموال التي ادخرها أمراء الهند والصين وسرديب في عصور متعددة. وقد أمرنا السفير بأن تأهب جيئاً لهذه الزيارة. واختار الهدايا اللازمة بهذه المناسبة ومن بين هذه الهدايا ديوان شعر نفيس من نظم جلالة مولانا الشاه

وقد كنا نعرف أن ملوك الهند السابقين م حماة الشعر وأنصاره فلما بد أن يكون خلفاؤهم المحدثون على غرارهم. وكذلك جبل السفير من بين هداياه هذه صورة كبيرة مرصعة بالؤلؤ وهي من صنع محمد ناهي الشيرازي أكبر مصوري فارس في

ذلك يؤدي إلى الخروج من الصلاة. وعمن في فارس نجلس كنا على حصير واحد سواء منا الثني والفقير ونولي وجوهنا وجهة واحدة ونمخض لله كما يقضي أن يكون الخنوع له سبحانه، وفي سلاتنا ركوع وسجود، أما هؤلاء فصلاهم جافة كأنهم ياملون الله معاملة اللد للند. وم لا يتوضأون قبل الصلاة، ولكنني فهمت أن لهم قبله كما لنا قبله وإن قبلهم شطر بيت المقدس

وبعد أن أتم الخطيب تلاوة خطبته المكتوبة أنشد المصلون نشيداً كلني فشدته عن حب صلاة العيد. ثم انفض الجميع وخرجنا، وكنت شديد الاعتباط بخروجي سالماً لأنني لو كنت مسيحياً وحضرت مثل هذه الصلاة في معبد إسلامي لحدث الله على خروجي دون أن تتكسر عظامي. ولكن الأمر هنا على النقيض، فالتناس لم يروا في وجودي بالكينية عند أداء الصلاة أقل مانع. ولو أن الدين لم تسبق لهم رؤيتي بثيابي الفارسية استغربوا هذا الشكل

ولم تدع زوجة للستر هوج وسيلة مباشرة أو غير مباشرة لإفهام الناس أني أمير إلا فسألها ولما خرجنا من الكينية قالت لي :
« ما رأيك في كناننا يا سمو الأمير ؟ »
قلت : « لا بأس بها سوى أنكم لا تبذلون أقل عناية في الصلاة »

قالت : « فما هو رأيك في الراءع ؟ »
قلت : « هو جميل والنظر إليه يبعث السرور، ولكنه لا يصلح للوعظ ولا يقبل وعظ من هو في عمره ولو نصح الناس بحكمة سليمان وقته الامام أبي موسى الأشعري
وقد وافقني للستر هوج على هذه الملاحظة

كالو كان الشاه نفسه موجوداً فسجد وسجدنا جميعاً وكنا ننتظر أن يحنو أعضاء الشركة حنونا ولكنهم لم يتحركوا وأخفوا ينتظرون إلينا نظرة استغراب

ولما تم تقديم الهدايا أخذنا بعض أعضاء الشركة إلى الترف الأخرى ومنها مكتبة طمة فيها أحسن الكتب التي وضعت باللغة الهندية وتاريخ الهند باللغات المختلفة . وفي هذه المكتبة سيدات غنقات ورجال وبنينهم زوجة السرت هوج وبناته ؛ وقد أدرث في بلدي الأمر أن أختي وراء واحد من أصحابي حتى لا يرفني ولا يسلمني على فيسترن غيره السفير شدي ، ولكني وجدت هذه الطريقة غير مجدية ، وجاءت الأم فصاغتني . ولحسن الحظ لم يرنا السفير عند ذلك ولكن سائر زملائنا همشوا

وقد طلبت إلى هذه السيدة أن أعرضها بالسفير الآن . فاعتذرت في كلمات مقتضبة بأن هذا لا يتفق مع عواثنا فأنظرت الانتعاج وتركتني مؤقتاً وكان يدبر هذه المكتبة رجل هرم قالوا إنه عالم كبير . وقد قصت أن الكتب التي فيها تقدر بثبات الآلاف من الجتهات ، وفيها قسم للأشعر به سيوف ودروع وثياب وقنايس مما جمعه الانكبان في حروبهم مع ملوك الهند القدماء ، وفيها سيف لقائد تركي يجري يقال له قيودان باشا . وقتل للسرت هوج : « ماشاء الله ! إنا كان شركتكم قد تقلبت على كل هذا السد من ملوك الهند فهي ليست شركة إذن ولكنها حكومة من أقوى الحكومات

وجئت بين الرجال شاباً ذا شارب قصير ينظر إلى حبيتي عيسى نظرات تكاد تفضي على كل آمالي في الزواج منها والحصول على الثروة من مهرها ، وبدأت أشك في أن لحيتي على كثرة ما فيها من

هذا المصير . وهذه الهدية ثمينة حقاً وهي أجل حتى من شمر الشاه

لبس السفير جبة عليها رسم الزهور بخيوط من الذهب وتخلو سيقاً مقبضه من المعيق وتسم محمد بك بشال من الكشمير وتغطي بحزام أحمر ؛ وكذلك ظهر كل منا بأحسن مظهر . ثم ركبتا العربات إلى ذلك القصر السجيب الذي يكاد يكون كدبينة من مدتنا وقد كان في حديثه شوارع يجري فيها العربات وهي مزدهجة بالناس مثل ازدحم مدينة لوندرا . وبين باب المدينة وباب البناء الداخلي صفوف من أعمدة الرمر لم تر عيني شيئاً لها . وكان القصر مزدهجاً بمناسبة قدومنا . وفي الشوارع التي في المدينة جنود مصطفة تصدح بحوسيقاها .

استقبلنا في هذا القصر أمس بالنيابة عن الحكومة ودخلنا غرفة فيها أربعة وعشرون رجلاً على مقاعد مذهبة ، وقيل لنا أن هؤلاء هم أعضاء الشركة التي نحمك الهند ، ووجدنا مقدم رئيسهم أعلى من سائر القاعد . وحياء السفير وقدم إليه الهدايا وكانت أولى الهدايا ديوان شمر الشاه . فلما سلمه السفير التفتت كل السيون ، ولكن سرمان ما سمنا الأعضاء بها مسون : ليس هذا إلا كتاباً

وكنا ننتظر أن يضع الرئيس الكتاب على رأسه وقبله ، كما تفعل نحن في مثل هذه الحالة . ولكنه أخذه في صمت ثم أحنى رأسه ثلاث مرات . واثقل الكتاب من يد إلى يد حتى راوه جميعاً وقد امتض السفير من ذلك وقتنا في أنفسنا بقران الشاه كان يعلم أن كتاباً سيقابل هذه القابلة لما ألت بيتاً واحداً من الشمر

ثم كانت الهدية الثانية هي صورة الشاه وقد رأى السفير أن الواجب يقضي بالسجود أمام هذه الصورة

النساء وإن كان كلانا لا يعرف هذا العدد. وألقوا على من الأسئلة ما مجرت عن الإجابة عنه. ولست أعرف كيف حصلوا على كل ما فيهم من الملاحظات» قلت: «أما الذين عرفتهم أنا فقد ألقوا على من الأسئلة ما يتجمل حمار الصحراء من إلقائه. وقد سألتني أحدهم: ألسنا نريد البقر؟ ولما استفكرت سؤاله سألتني: أليس الفارسيون هم الفرنسيين في الهند؟ وقال لي رجل آخر: إن بطلنا الفارسي «جاماس كولي خان» كان رجلاً إيرلندياً وحقيقة اسمه «توماس كاليبجان» وإنه هو المعروف في التاريخ باسم «نادرشاه»

فقال السفير: «لقد يكون فهم جهلاء ولكن أمين للكتابة التي رأيته اليوم لا نظير له بين علماء فارس. وقد قرأ من الكتب ما لم نحو مثله مكتبة الشاه. وأخبرني المترجم بأنه يعرف عشر لغات أجنبية

وقال محمد بك: «ولكن علماء بلادنا أكثر اطلاعاً منه ومعرفة. فهذا لليرزا الانكليزي لا يعرف شيئاً على الاطلاق في علوم الحديث والفقه والأصول والفلك؟ ولم أسمع عن انكليزي واحد يستطيع استخراج الطالع من رصد النجوم

فخطر إليه السفير نظرة طويلة وقال: «ما الذي يهم هذا العالم من علوم الحديث والفقه والأصول ما دام كافراً؟ لكنه يعرف مقابل تلك العلوم ما يتعلق بدينه. وهل من علماء إيران رجل واحد يستطيع أن يتكلم ب عشر لغات أجنبية؟»

قال محمد بك: «وهل عرفت بإسعادة السفير انكليزياً واحداً يحفظ أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ويميز بين الصحيح منها والضعيف مثل الحاج محمد مجتهد مدينة قم؟»

الشمرات الطويلة وسوالفي الممتدة كالندير أفضل لدى الفتاة من ذلك الشارب القصص ورأيت في حذائي ذلك الشاب مهازين من اللباس ولكنه لا يرتدى ثوب ضابط عسكري فأيقنت أن الهماز وسيلة لاستجلاب هواها وطفنا بسائر الفرف والأقسام في هذا البناء المتمدد الأجزاء. ولما آن أوان انصرافنا دفت مني ييسى وقالت لي: لا تنس أن تمشي عندما غداً يا سمو الأمير

فسمع السفير هذا القرب وقال لي ونحن في الطريق: كيف تدعوك تلك الفتاة أميراً؟ قلت: «لا أعلم لي ولكن يظهر أن كلمة ميرزا لا تقم عديم الإيمى الامارة

الفصل السادس والثلاثون

أنباء من فارس

لما وصلنا إلى دار السفارة اجتمعنا حول السفير كالمادة في الديوان وأخذنا نتحدث عما رأيناه فقال لي: «ما الذي رأيته اليوم يا حاجي بلبل؟ إنها الحركة عجبة حقاً فني كرايك فيها حكومة من أقوى الحكومات، وأدري واجبنا يقضي بأن نكتب إلى الشاه عن كل ما علمناه من أمر تلك الحكومة قلت: «على العين والرأس بإسعادة السفير، ولكنني لست أكتفك أن رجلاً واحداً من رجالنا أقل من هؤلاء الأرملة والشرين مجتمعين إن كانوا كلهم مثل ذلك الرجل السمين الذي تعرفت عليه من وقت قريب. فقال السفير: «ربما كان هذا الوصف منطبقاً على من عرفته أنت منهم، أما الذين عرفتهم أنا فيجدون بالسيادة على العالم كله لا على الهند فقط، وهم يعرفون عدد الشمرات في الحية

بفتح فارس كما فتحوا الهند بواسطة شركة تجارية ! ولم أكد أتم جملتي حتى جاء رسول من قبل وزارة الخارجية يحمل إلينا خطابات من قبل الشاه الفارسي ، قسّم سفيرا الرسائل وسكتنا منتظرين اطلاعا على ما فيها

ولما فتح السفير إحدى الرسائل صاح : الحمد لله ! الحمد لله ! لقد مات عدونا الدود « ميرزا شافعي » رئيس الوزارة الفارسية »

ثم قام السفير إلى ركن من الرفرة وسجد لله سجدتي الشكر

واضطرب نصرامه له أن يقول : الحمد لله ! الحمد لله ! مع أني كنت في حاجة للبكاء في تلك الساعة لأنني كنت مستظلاً بمجايته ، ولأن معاملة السفير لي ستنتهي طيباً بعد الآن

ولما فرغ السفير من صلاته أطلق لنفسه العنان في إظهار الفرح وظل طول اليوم لا يفكر في أمر آخر وهو بين لحظة ولحظة يقول : لقد مات ميرزا شافعي ! وكنت أفكر في مستقبل بعد تلك النكبة

فأفحس . ولقد دلت التجربة على أن معاملة السفير لي تغيرت تغيراً كلياً بعد وفاة رئيس الوزارة . فقد كان من قبل يعاملني بشيء من الاحترام . أما الآن فانه يهزأ بي . ولقد قال لي مرة : « إن أباك قد مات . لقد مات هذا الكلب القذر ! ولكن لحسن حظك كنت موجوداً ممناً في هذا الحين . فان الشاه صادر أملاً كدواً بعميده وجواريه ؛ ولو كنت هناك لباعك أيضاً » قتلته « أرجو ألا يجرمني الله بنعمة رضاك » قال لي : « إذهب وكن مطمئناً فقد عفونا عن الماضي ولستنا نجعل لحانا ذات لوتين »

فاحتد السفير وقال : « ألم أقل لك أيها الأحمق إن الانكليز مسيحيون وإن لهم ديناً غير ديننا يبرفون أحاديثه وأسانيده ؟

فهز محمد بك كفيه واستمر السفير يقول : « هل علمت أن المجتهدين في فارس يخرجون من بلادهم ليقيموا أبناء الديانات الأخرى باعتناق الدين الاسلامي كما يفعل البشرون الانكليز الذين يطمعون كتبهم ويوزعونها على الناس ينير مقابل ويعرضون على تلقين الناس إياها ؟ هل تعلم أن الانكليز ترجوا القرآن إلى لنهم وعرفوا من علوم المجتهدين ما ليس يعرفه المجتهدون أنفسهم ؟ »

فتدخلت في الحديث وقت : على كل حال فهذه أمة فالت مكة مدعشة من الثروة والقوة والرفرة فضحك السفير وقال : « هل تسمي حكومة الانكليز أم حكومة شركة الهند الشرقية ؟ قلت « أقسم برأسك يا سعادة السفير أن شركة الهند تدعو إلى الحرية أكثر مما تدعو إليها الحكومة الانكليزية نفسها »

قال السفير : « نعم لقد صدقت يا حامي بابا فاني لا أعرف كيف تمكن الأربعة والبشرون انكليزيا من إخضاع الهند الواسعة ولا أعرف كيف صارت مدينة أجرا أو مدينة دلهي العظيمةتان خاضعتين لبقاء الذي كنا فيه اليوم . ولست أعرف كيف زال ملك النول أمام بناء الشركة في شارع « ليند هول ستريت »

قلت : « هذا مدعش حقاً يا سعادة السفير وأرى أن نكتب لشاه أن يأمر بتحصين البلاد وقوة الحدود لأنه من يدرى ربما قلت شركته أخرى



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل المشترك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في باقي البلدان الأخرى
١ عن المبدد الواحد

مؤسسة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
المنطقة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٢٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للقصص والدراسات

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٣٥ ٣ جادى الأولى سنة ١٣٥٧ - أول يوليو سنة ١٩٣٨ السنة الثانية



فهرس العدد

| | | | |
|-----|--------------------------|-------------------------------|-----------------------------------|
| ٥٧٠ | تلاوتون ألف دينار ... | من التاريخ الاسلامي ... | بقلم الأستاذ على الشطاوى .. |
| ٥٧٨ | عواد كرمون ... | لشاعر الفرنسي فرنسوا كويه ... | بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج ... |
| ٥٨١ | أحزان الطفولة ... | أفصوصة مصرية .. | بقلم الأديب نجيب محفوظ .. |
| ٥٨٥ | السنبل ... | للكاتب البقري موريث مارتلك .. | بقلم الأستاذ محمد أمين .. |
| ٥٩٥ | الثقاة القروية ... | لقصصى الروسى بوشكين .. | بقلم السيد عز الدين منوزى .. |
| ٦٠٩ | حاجى بابا فى انكلترا ... | تأليف جيمز مور .. | بقلم الأستاذ عبدالمطيف النشار ... |

فضة سائلة ، ونوراً مذاًباً ... وكان
الناس متشورين في كل مكان ، في التصور
الشئ الذي يفيض بها الوادي ، وتنتلي
بها التلال والصخور ، وعلى سفوح
الريا ، وذراً الحضاب ، وجوانب الحرة
وفرش الرمال ، حلقاً يستمون إلى منن

أو شاعر ، أو يدرون بينهم أطياب الحديث ،
أو يا كلون ويشرون ، أو يلهون ويلبون ، ولم
يكن فيهم إلا من ملأ الفرح قلبه وغمرت السعادة
فؤاده . أما النساء فقد اعتزلن جانباً ، يأخذن حططن
من ليالي المتيق ، وقد بدون في شمع القمر يتباهين
لللوة الزاهية ، كلروض الزاهر اللتان بكل ساحرأخاذ
من الورد والياسمين والزرع والبنفسج والزه من
من كل شكل ولون ... أما عطر الروض ، فكان
يفوح من أعطائهن وشعورهن وثيابهن المغفافة ..
ذلك هو المتيق !

كم شهد من أعراس الحياة ومباهجها ! كم
جال في أرجائه عمر بن أبي ربيعة ينضح حواشيه
بشعره الطر الخالد ! كم غنى فيه مبدع وابن سريج
وماك بن أبي المسح وعزة الميلاء ، فاستفاضت
ألحانهم على صفحة الماء ، وشطآن الأفق ، وطفت
على وجه النسيم فانتشت منها الطبيعة ، وسكرت الجبال
والريا ، وسكرتها شمع القمر فضل طريقه مترنماً
في مسالك الجوى ... كم رأى المتيق من العلماء الزاهدين
كمررة ومالك ، والمصحاء الأكرمين كان جعفر
وسعيد بن اللص ، والجان والنجثيين كأشعب
وطويس والذلال ! كم كتب في المتيق من تاريخنا
الأدبي والنفي ! كم ألهم شعراءنا رائعات الشعر
ومعجزات القصيد !

إنما جلت تلك الليلة أعما المتيق ، رأيت على

من السائح الإنكليزي

ثلاثون ألف دينار !

للأستاذ علي الخطاوي

سرى في المدينة أن قد سال المتيق ، فانتقلت
للمدينة بمساكنها وساكنيها ، وزهوها وكبريائها ،
ولوها وغنائها ، وترها ونمائها ، حتى استقرت في
المتيق . ولقد كانت المدينة على عهد الخلفاء من بني
أمية قلب الدولة الذي يخفق بالحلب والشعر ، كما كانت
الشام رأسها الذي يفكر في السياسة والملك ، والمراق
يدها التي تلوح بلم (الدارسة) ، وتهز سيف الثورة .
وذلك أن فتيان قريش وشباب الأنصار تغل عليهم
اللال الذي حله أبؤهم الفاتحون الدين ورتوا كنوز
كسرى وقيسر ، ماحوى القصر الأبيض في اللدان ،
وما اشتملت عليه قصور الشام البلق ، وكثر في
أيديهم حتى ما يدرون قيم ينفقونه ... وكان من
سياسة دمشق أن تقصمهم عن الولايات والأعمال ،
فانسع عليهم الوقت حتى ما يلهون بم بملؤونه ...
فانصرفوا إلى تربية الأديم ، وانتهاب القنادل قبلوا
الحجاز دارة الهوى والترف ومثابة الشعر والثناء ،
وناميك بالشباب والفرغ والمجدة إنما اجتمعت
على قوم من الأقوام !

وكانت ليلة مشرقة عمل البدر بنور ظلامها وألحانها
مثل الفداة المائسة بتلاتها البيضاء ، ثم ذهب ينتسل
في المتيق ، فلما شياؤه على وجهه ، سائق قطاراه
وبراقص أمواجه المنيرة ، وكان منظرأ عجياً ،
تحسب منه أن الوادي لا يجرى بلأاء ، وإنما يجرى

الكثر من يدعها إذا هي فارقت منزلها ليلة ؟ لم يبق في المدينة أحد إلا أم العقيق هذه الليلة ، أشتيق سهيلة في عزلها الوحشة ، وهي الفتاة القموه ؟ لا . لا . إني لا أستطيع أن أفهم هذا . قالت أمينة :

— إنك لا تستطيعين أن تفهمي ، مسكينة أنت يا رفيعة .. تقولين إنها في عزلة ؟ إنها في جنة الحب يا صديقتي ، إن الدنيا على سميتها أشتيق من هذا المش الذي تبتس فيه مع من تحب ...

وكان الفتيات في غمرة الحديث حينما مر بهن فارس يحمل لآفته وسلاحه ، قد أرخى حمته وتلثم فلم يعرفن من هو وإنما نظرن إليه وهو يمتشق جماعات الناس حتى جاوز الجلاء وغاب وسط التخييل فلم يحفظته ولم يابهن له ... وكان ذلك فروخ زوج سهيلة ...

وكان فروخ قد عذف عن اللهو ، ودرغ عن اللع ، فخلعت إلى وجهة أخرى من وجهات الحياة في العصر الأموي ، إلى حياة الجدد ، حياة الجهاد في سبيل الله . وكان جيش المسلمين يسبح في الأرض يشمرها من كل جانب ، كأنه البحر ، لولا أنه بحر يمتد أبداً لا يعرف الجزر ولا يدره ، وكان قد بلغ أواسط آسيا وأوائل أوروبا ، ولا يزال يعض في وجهه لا يقف حتى يطوق هذه الكرة ، ويرفع عليها علم الحق والهدى ، ويوحدها حتى تمتش كلها إلى القسنية والجند والخير ، سقا واحداً ترفرف فوقه راية القرآن ... نجفا فروخ منزله ، وترك زوجته الحسنة تتقلب وحيدة على فراش العرس الذي لم تحب أزهاره ، وأودعها ماله كله ثلاثين ألف دينار تحفظها له إلى أن يسود من جهاده ، وقد قضى حتى

طرف الحرة عما على بئر عروة وقصره ، حيث تتصدر الرمال الطرية حتى تبلغ الماء وتدل فيه أقدامها ... رأيت سرباً من القبط الفاتنات يتدافعن ويتراشحن بلقاء ، وهن يتصاحجن ويضحكن فرحات عايات ، حتى إذا تمعن جلوس على الرمل يتاملن صفحة للاء — وللواء الجاري في الجواز سحر ليس للفرات مثله ولا لل النيل — وينظرن مأخونات بجبال هذه الليلة وتوتونها ، وكنن يلفتن أثناء الحديث كأنهن يرقبن من يطلع عليهن من التنية ، فلما طال الانتظار قالت واحدة منهن :

— لقد طال غياب سهيلة ، فياليت شرى ماذا طاقنا عنا هذه الليالي القمورات ؟ فردت عليها فتاة سمراء قد تلقت بشوب من الحرير الأحمر :

— ألا تدرين ماذا طاقنا ؟ لقد شغلها هوى فروخ يا حبيبتي ، لقد خسرت سهيلة إلى الأبد ! — ولم يا أمينة ؟ أمي أول فتاة تزوجت ؟ كنا عرف الزواج ، فما قصرنا في حق الرجل ، ولا أكلنا حق أنفسنا فاجابت أمينة ضاحكة :

— ولكن ما كل زوج فروخ ... أرايت إلى جماله وشبابه ؟ إن له فوق الجبال والشتاب ثلاثين ألف دينار ، أغليس من حتى سهيلة أن تنسى معه العقيق ولياله القمورات ؟

— إن تنسى العقيق ، فليس لها أن تنسى صويجات صباها

— لو كنت مكانها لنسيت أمك وأباك . إن للحب سكرة ، وللحال مثلها ، فإني لسهيلة أن تصحو من سكرتين ؟

فقال فتاة من طرف المجلس قد أكلها غياب سهيلة : — لتسكن قد وجدت كنزاً ، أفيطير هذا

الآلام وأوجاع : كلا ... إنه لن يعود ! ثم قالت منى
ولو أن امرأة أخرى كانت في مكانها لفسدت
وانسافت في طريق الفحشاء ، ولكن سهيلة في
دينها وقواها وشرها أمتع من أن يستهويها الشيطان ،
وما أحسب إلا أنها ستجن إلا أن يتداركها الله
برحمته منه

فينطلقن يفكرن في سهيلة ، كيف يسمدها
ويتشغلها من قرارة الآلام ، فلا يجدن إلى ذلك
من سنبل ...

وكانت سهيلة قد علقت من زوجها وهي لا تدري ،
فلم تكن إلا شهور حتى بدا عليها الخلل وانحما ،
فزادها ألكا على ألم ، فأمنت في الفرار من الناس ،
والبعد عن صاحباتها ، فضاقت الانفراد هواجسها
وشجونها فكانت تلتفت أبداً إلى الشرق البعيد ،
على نسمة من زوجها الحبيب تمشي فؤادها ؛ وتسال
النارين والراحمين عن فروخ (أبي عبد الرحمن) فلا
تجد علماً عن أبي عبد الرحمن . فتتأجى البدر وتساله
عنه عله يراه كما تراه هي وتحمل الرياح سلامها ،
وتسائل للشمس إنفا أشرقت ليل عندها من أخباره
علماً . لا تفعل ذلك كما يفعله الشعراء ، فالشعراء
يتأجون البدر ويسألون الرياح ، ليأتوك بالطريف
الحبيب من الماني ، ثم يتأمون آمين مطمئنين ،
ويهيجون مله عيونهم ، ولكن سهيلة لم يكن
يليب لها مقام ، ولا تقبل على طعام ، وإنما كانت
حبايبها كلها في هذا للامنى التصوير الذى نعمت به
حياتها ثم خسرته وهي أشد ما تكون حباً وشوقاً
إليه . وطنى عليها الفكر حتى كادت تجن حقاً . فلم
يجد من يبنى بها من صديقتها ، إلا وسيلة واحدة
إلى نجاتها : هي أن يستمن عليها بأحد الأئمة من

الله عليه فيستأنف الحياة معها رغيدة سميده . لم يدرك
فروخ أن جهاده في حفظ زوجته وعصمتها وإنشاء
أسرة سالحة ، خير له من أن يدعها وحيدة ، وأن
يهجرها بعد أن أذاقتها من كأس الحب الرشقة
الأولى ...

وصرت الأيام ، ولبثت ليالى العقيق على أنسها
وطربها ، ولكن سهيلة التى كانت تملأ الرادى أنسا
وطرباً ، وتشيع فيه السرور والهبة ، قد اختفت
من سمائها كما تختفي النجوم في الليلة الماطرة . أما
رفيقاتها فقد حرصن على أن يخففن من لوعتها ،
وينسيتها الآلام ، وسقن عليها أمينة رفيقة صباها
وصاحبة سرها ، وأحب الغنيات إلى قلبها ، فكانت
تعرض عنها ، ولا تنظر إليها ، وكن يسألن أمينة
عنها كل ليلة ، فقص عليهن ما رأت منها :

— لقد جرت بها اليوم ، فأنساى يا أسقى عليها
قد تبدلت حتى كأنها لم تكن يوماً من الأيام سهيلة
التي نمرضا . وجدها قابعة في زاوية للفرل تفكر هادئة
وإن في قلبها لثأراً ما يقر قرارها ، تذيب الحسى ،
وتأكل القلب ، فكلمتها فنظرت إلى بيتين سامعتين
كأنهما لا تيسران شيئاً ، غاولت أن أعيدها إلى
فسدت عليها أجل ذكريات صباها . حدثتها عن
ليالى العقيق ، وأطرقها بنوادر أشعب ، وقصصت
عليها أقاصيص الشاعر وعينها به ، بل لقد تلوت
عليها أجل أشماره فلم تستمع . فحدثتها عن فروخ
فرايت جسمها يهتز ولونها يشحب شحوباً هائلاً ،
والثنيها بحديثه لأنه رجح أحلامها ، وصدى
أفكارها ، ولكنها تقزع من حديثه لأنه يذكرها
بالآلام . لقد حدثتها عنه ... ققطت على حديثي
وقالت بلهجة حسيبها تجمع كل ما في الدنيا من

— متى يسود أنى يأماه؟

عما قريب . إنه سيأتى مع الركب

وتسود إلى إنتظار الركب ، وتحيل اللقاء !

وقى ذات صباح ذهبت تسأل القادمين من خراسان ، وتصف لهم زوجها . غداً منها رجل من الفاقة وخبرها أنه شاهده بينه قتيلاً في معركة من المارك ...

فرجت عظمة بأثمة ، ولجأت إلى الله ، فأراحها الله باليأس ، واليأس إحدى الراحةين ، ففقت بابيها ، ونذرت نفسها وعلما تربيته وتنشئته على العلم والتقوى ، ووضت المال بين يديه ، ينقذه على نفسه وإخوانه في طلب العلم ، ويرحل به إلى الآفاق ...

وسرت الأيام والسنوات ...

وتبدلت الدنيا ، وتغيرت الدول ، وأفل نجم بنى أمية ... ولكن البحر لا يزال عوج ويمتد ، ويشمر أرجاء من الأرض جديدة ، فيجعل إليها الحياة والخصب ، وتعيش في ربيع دائم ، تحت راية القرآن ...

ويبلغ الفتح في الشرق ، أراضى الصين ، فرفرف عليها علم الاسلام أثر مارك هائلة اصطرح فيها الحق والباطل صراعاً عتيقاً ...

في عشية معركة من المارك ، خرجت منها الاية الاسلامية مظفرة منصوره ، وخفقت على قناع جديدة طالما خفقت قلوب أهلها شوقاً إلى الحكم الاسلامي ، انصرف للمسلمون إلى للمسكر يؤدون في الليل واجب الذكر والعبادة ، كأدوا في النهار واجب الحرب والجهاد ، ويسطون أجسادهم حقاً من الراحة ، كما أعطوا الأمة حقها من التضحية

أصحاب رسول الله أو التابعين لم بإحسان ، بهديها ويرشدها ويدلوا أمراض قلبها . وليس ينلب الحب إلا الله بن ، ولا يجد الحب راحة نفسه وأنس قلبه إلا في اللجوء إلى الله ، عن نية صادقة ، وإيمان متين . ولقد وجدت سهلة راحتها في اللجوء إلى الله فكانت تقضى أكثر نهارها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في البقعة التي أذن الله أن تنقل من رياض الجنة ، تستقر على الأرض بين عراجه والآرى أزهارها ، ويشم عبقتها وينوق نعيمها إلا من صفا قلبه من الملل ، وتزهت بصيرته عن المعنى وأنشأ له التي جناحين يطير بهما في هذه الروضة من رياض الجنة ..

وسرت الأيام ... وغدا ريمة طفلاً يدرج ، فصرفت سهلة إلى تربيته معهما ، ورضيت به نصيباً من الحياة . وكانت محبة من أبيه ، وتصفه له كما كانت تراه بين الحب ، وترقب عودته دائماً فلا تسمع بركب قدمين للشرق إلا تخنت أن تجده فيهم ، وتحيل أى مفاجأة ، وأى دهشة ، وتسود لقاءه إليها ، وبالت في التصور فرأت نفسها بين ذراعيه قلبه وتشم ريحه ، ثم تقصيه عنها بدلال ، وتماثيه عتاباً موجهاً . ثم تدم إليه ابنه ... ولكن الركب يصل ولا تسمع عن فروخ خبراً من الأخبار . وكبر المعنى وضاق ما كان يدها من الملل ، فكانت تصبر وترقب لا تعد يدها إلى الكثر الذي ائتمنها عليه ، حتى لم يبق معها شيء ، فكانت تصبر هي وابنها على الضيق ، وتبيت على الطوى ، وتسل ابنتها ومحمد عن أبيه ...

— غدا يسود أبوك ومعه المال الوفير ، فتمشي في رعد وهناء ، وتمتعت بما أحل الله ون الطيبات

والبذل ، ولقد كان هؤلاء المجاهدون جنًا في النهار ،
وهبائنًا في الليل ، وكانوا مثلاً للشرف والفضيلة
والإخلاص ...

ومضى المزمع الأول ، ونظم المجاهدون ولم
يق ساهراً إلا الحراس يبيتون ويذهبون من حول
المسكن ، ورجل آخر أساهه الارق فيقي مسهداً
بحس كأن يدأخفة تهز قلبه فيفتق ويشدد خفقاها ،
ونعمه على الرجوع إلى سالفات أيامه ، فإنما هو
يذكر طائلاً بسدا متوارياً في ظلام ثلاثين سنة ،
فلا يطيق البقاء في خيمته ، فيخرج إلى المراء ،
فيجد الليل ساكناً موحشاً ، لا يسمع فيه إلا نداء
الحراس ، وأسوات الوحوش التي تردح على الجثث
التي تنص بها ساحة القتال ، فيشتد منها وينأى
عن المسكن فلا يترضه أحد لأن الجيش كله يرفه ،
يل لسه أقدم جندي فيه ، لم يفارقه منذ سبع
وعشرين سنة ، ينتقل فيها من ميدان إلى ميدان ..
ومضى يمضى وحيداً حتى بلغ الوادي فجعل يبول
فيه ، حتى بلغ قراره . وكان يجري في الوادي جدول
مائه خرير وزفير ، يبدو في الليل مرعباً خيفاً ،
فتركه وتسلق الجبل ، حتى بلغ قفّته فأشرف منها
على الفضاء الواسع ، وكان المنجرد كرب أن ينيلج ،
فشرت خيوط ضميقة من النور حيال الشرق فطلق
يحدق فيها ، وبحس كأنه يشق منها أريجاً يمي
نفسه ويشمها ، وجعل يحس بأن قلبه برق رقة
شديدة ، ونفسه يسمو ، وأن خيالات الحب تلوح
لبنيه من وراء الأفق البعيد ، نائية في ظلام الماضي ،
فجعل يتأملها ، فيصير وجهه سهبة وقد وقفت على
الباب تودعه ، وتساءل ألا يذهب ، فلا يزال بها
ويعنى ليلته ، وكانت ليلة قراء — إنه يذكرها
كأنها كانت أمس — ويذكر العقيق وأهله ...

ثم يفكر في حاضره . إنه سيموت وحيداً شريداً
لا يدري به أحد . إنه لا يزال الدنيا ولا يحل
الناس ، وحسبه أنه سيموت مجاهداً في سبيل الله ،
ولكن ألا يسأله الله عن زوجته ؟

وأحس في تلك الساعة بإسائه إليها ، وانطلق
يفكر فيها ، هل هي حية لا تزال أم هي قد ماتت
حزناً وكداً ؟ وهل هي في المدينة أم رحلت فلا يدري
أى أرض تظلمها ، وأي مياه تظلمها ؟ وهل بقيت
على العهد بها ، أم قد استهواها الشيطان ووطأ لها
أكناف المصيبة ، والثلاثون ألف دينار ، هذا الكنز ،
ماذا صنعت به ، هل احتفظت به أم أنفقت ؟ وإن
تكن قد ماتت فلماذا جرى على السال ، وأي يد
ألقيت عليه ؟

وطفق يذكر ، وقلب صفحات سبع وعشرين
سنة ... هجر فيها زوجته ، وتركها تغلب وحدها
على الفراش ، تفكر فيه كل ليلة وتشتاق إليه ،
وتعنى نفسها بمودته في صباحها ، تسعة آلاف
وسبعمائة وعشرين ليلة ... غبرت عليها وهي تتجرجع
كل ليلة منها هذه الكأس فسانا حلت من م ،
وماذا ذاق من ألم ؟ وهل بقيت بعد ذلك في
الأحياء ؟

وعنى لو أن غيراً يخبره عنها وعن ماله ، ثم
يطلب إليه ما يشاء ، وأحس كأن رأسه سيصدع
من التفكير . ولكنه طفق يذكر على الرغم منه ..
ذكر كيف لبث أليماً وليال لا تفارق صورتها
غيلته حتى واجه العدو وانتفس في القتال ، فلم يكن
يذكرها إلا حين يأوى إلى فراشه ، ثم أسمن في
الجهاد ، فلم يعد يذكرها أبداً وظن أنه لم يبق لها في
نفسه أثر حتى انشجرت ذكرياه كلها في هذه الليلة
اضجاراً ...

في عينيه وجنات . وجعل يند السير فيها حتى بدت له جبال المدينة تلوح له على حواشي الأفق فلم يتمالك نفسه أن يصبح من الفرح ، ويطير إليها ...

رقص قلبه في صدره حين بدت له طلائع المدينة نهي ، وأحس كأنه لم يرها قط بهذه البهجة وهذا الرواء . وكان ذهنه قد كل من التفكير فترك كل شيء للقادر وانطلق يمد نفسه لكل ما تنجزه به ، وكان قد صار حيايل (أحد) فوقف يتأمله وهو مأخوذ بروحه وبجمله ،

وهذه الألوان التي تخرج فيها حمرة الرمال بزرقه الصخور وبياضها ، فيكون منها صورة فائقة لا يمل الناظر من النظر إليها . وكان فروخ يجد في النظر إليه لذة ويذكر فيه طائفاً مبهماً من الأفكار والتعب أنساء غايته لحظات ، استدار على أثرها فترك العقيق عن يمينه وكان خالياً في تلك الساعة من النهار ... واستقبل (سلماً) الذي طلع عليه بسواده وظلامه فماف النظر إليه ، وساق راحته فاجتازت به مسجد ذئب ، فأنكشفت له المدينة ورأى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن قد أنشئت عليه هذه القبة ، لأن القوم لا زالون إلى ذلك العهد على السنة الصحيحة ، ولم تكن هذه البدع وهذه للظاهر قد عرفت طريقها إلى نفوسهم ، فذهب يؤم منزله وهو بسلاحه على راحته ، وكان يعرفه كأنه قد فارقه أمس ، ولم تتبخر المدينة عن عهده بها كثيراً ، ولكنه آثر أن يلب هواه ويقهر رغبته ويبدأ بمسجد الرسول . ومنفذ الذي يدخل المدينة ولا يبدأ بالسلام على رسول الله

سلم على الرسول ، وصلى في الروضة ، ثم

وجعل يتخيل هذه المهشة اللذيذة التي ستشعرها حين تراه قد عاد إليها ، ولم يقول البقاء ، وتعمى لوطار إلى المدينة طيراناً . لقد خرج منها وهو شاب مافي وجهه ولا في رأسه شجرة ميتة ... فأسمى وجهه ولحيته كالنخامة ؛ وتصور كرة أخرى أنه سيموت فاستفطع أن يموت ولا ير زوجته ، ولا يقبض ماله ، ولا ير العقيق ووادي النقا ومسجد الرسول . واشتد به الحنين ، فأسرع من فوره إلى القاديس تاذنه بالقول ..

ماد يطوي البلدان لا يستمر في مكان ، ولا يقيم في بلد حتى يماوده الحنين فيدعه يوالى مسيره ، لا ينقطع لحظة عن التفكير في زوجه وماله ، تلك الثلاثون ألف دينار ، ثروته كلها وكثره الذي بيني عليه الأمان . إنه سيفهم إليه هذه الأربعة من الآلاف التي جمعا من عطائه ومن نصيبه من التناثم . وكان يتصور ألوان المكنات لا يطمئن إلى صورة حتى ينتقل إلى غيرها ، لا يهدأ ولا يستريح ، وكان يخشى أن يدر كما لا أجل قبل أن يبلغ أمه ، فيكزفرسه ويبدوها عدواً شديداً ، كأنما كان يسابق للموت ...

حتى إذا بدت له طلائع الجزيرة ، وبدت رمالها الأزلية التي أعجزت الجبابرة والناخبين فلم يتألوا منها مثلاً ، وأعجزت الحياة فلم تقدر عليها ولم تدخل حماها ولم تخرج فيها نبتة غضرة ، وأعجزت اللمت فلم يدخلها ولم يزل منها ، فعى كائنة من الكائنات المائلة التي تبتس فوق أنظمة الحيات والوت ... لا بدت له هذه الرمال اطمان إليها وأنس بها ، وأحس أن سموها روح قلبه ونسيم ، وأن شمها المحرقة ظل عليه ظليل ، وأن جبالها الجرداء ويديها الفتاحة رياض

وشكوكه ، وعلت إليها سورة زوجته ، فإذا هو يصرها للرة الواحدة والسبعين شيابها البيضاء تشير إليه ألا يذهب ، وسورة الثلاثين ألفاً . ماذا جرى عليها ، وأى جديد مفاجيء ستلقاه به المقادير ؟

ولم تكن داره قائمة عن المسجد — فيلنها بعد قليل وتزل عن فرسه ورعه يده ، وهم يخفق الباب ، فاراحه الاشباب حسن الشباب ، مكتمل الفتوة ، يخرج منه ، تشيمه امرأته . ثم امرأته ، سهيلة ، لقد عرفها من النظرة الأولى ، برغم ما تنبئت ، وراهما ببينة تشيع هذا الشاب ثم تدخل وتناقى الباب فهاج دمه في عروقه ، وأقبل عليه مزيجاً سارخاً ، فتصاه عن الباب . وهم بدخول اللزل ، فصبج منه الشاب وصاح به :

— يا عدو الله ، أتهجم على منزلي ؟

— قال : بل أنت عدو الله ، تدخل على زوجتي ؟ وتواتبا وتلب كل منها بصاحبه حتى اجتمع الجيران ، وبلغ مالك بن أنس والمشيخة ، فأثروا بينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول :

— والله لا أفرقتك إلا عند السلطان .

وجعل فروخ يقول :

— والله لا أفرقتك إلا بالسلطان ، وأنت مع امرأتى .

وكثر الضجيج . فلما أبصروا بمالك سكك الناس كلامه ، فقال مالك :

— أيها الشيخ ، لك سمة في غير هذه الحمار .

قال الشيخ :

— هي حارى وأنا فروخ مولى بنى فلان .

فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت فقالت : هذا زوجى ، وهذا ابني الذى خلفته وأنا حامل به ، فاعتنقا

تلفت فإذا هو بحلقه عظيمة ، تروحم فيها الباهم ، فتناول فلم يصير وجه صاحبها ولم يعرفه ، فوقف يستمع فسمع عجباً أنساه الحمار والمال والزوجة ، فنزل في مكانه حتى أذن للؤذن بالعصر فاعتنقت الحلقة ، وذهب فروخ يصلى مع الجماعة فتمثلته الصلاة عن كل شيء .

لم ير فروخ المدوس ولم يعرفه ، فذهب يسأل عنه جاره ، قال له :

— من صاحب الحلقة التى كانت هنا آنفاً ؟

فخفق فيه الرجل وقال له :

— ألا تعرفه ؟ ألا تعرف ربيعة الراى ؟ من

أين أنت أيها الرجل ؟

— غريب ، قدم الساعة ، فن ربيعة الراى هذا ؟

— هذا قتيه البلد وامامه . هذا شيخ مالك

وسفيان الثوري وشعبة واليت بن سعد . الا تعرف هؤلاء ؟ هؤلاء هم علماء السليين ، وائمة الدنيا ، هذا الذى يجلس في حلقته أربعون مئياً من شيوخ الحديث ..

لقد زاره أبو حنيفة . ألم تسمع باسم أبي حنيفة أيها الرجل فكان مجوده أن يفهم ما يقول ربيعة . أعرفت من هو ربيعة الراى ؟ هذا الذى اتفق على نفسه وعلى طلبة العلم ثلاثين ألف دينار ، أرأيت مثل هذا ؟ أسمعته ؟ إنه لم يجلس للناس حتى يبلغ من العلم والعبادة مبلغ من يقول فيه عبيد الله ابن عمر هذا طائفاً وأفضلنا وصاحب مفضلنا ، أنعرف من هو عبيد الله بن عمر أم أنت لم تسمع به ؟ ..

فقال فروخ : بلى لقد عرفت ، لقد عرفت ، وقام إلى فرسه وقد ارتبطها ياب المسجد ، فركبها وحمل معه وانطلق إلى داره ، وقد هاجت في نفسه ذكرياه

— قال : لقد حليت فيه ، ورأيت عيباً ، سمعت من رجل يدعوه ربيعة الرأى كلما ما كنت أعلن أحداً يقول مثله . لكأنه والله كلام الأنبياء ، لقد نعمت على أن أخفت حياتي ولم أطلب علماً
— قالت : أيسرك أنك مثله وتحسر كل ما تمك؟
— قال : نعم إن ذلك ليسرني .
— قالت : فإن كان ابنك مثله ، أيسرك أن تكون أخفت عليه ما لك كذا ؟
— قال : ذلك آثر عندي .

— قالت : هو والله ابنك ، وقد انقفت عليه المال كله . ألا تشتري بثلاثين ألف دينار ؟
فوثب الرجل ، وهو يصيح :
— إني ؟ ربيعة الرأى أبي ؟
وخرج يقنن عن ابنه كالجنون .

هي الطنطاوى

وبكيا جيباً ، ودخل فروخ المنزل » (١)

قال فروخ لزوجته ، وقد خرج ربيعة وحبها وحيداً :
— ساعيني ياسهيلة ، ساعيني ، لقد أسأت إليك . إني أحبك ، أحبك .
— أحمي وقد صرت مجزأ ؟
الجمال هو الاخلاص ياسهيلة ، أحبك دائماً ، إني أراك أجل النساء .

وانطلقا يتحدثان ساعة ، فقال لها :
— هذه أربعة آلاف دينار ، فأخرجني المال الذي عندك ، لقد صرنا أغنياء ياسهيلة ! مالك تترددين ؟ ألا تخرجين المال ؟
— قالت : لم أتصل في مسجد رسول الله ففروخ ؟

(١) تاريخ بغداد (٨ : ٤٢٠) وهناك ما روي بالتاريخ اجبت أن أكتبه كما هو والقصة في وفيات الأعيان

الجودة الفاتنة و الذوق الجميل
والثمن المعتدل
تلك هي العوامل الثلاثة التي تسير عليها

شركة مصر لنسيج الحرير

عند ما تنتج أغفر أنواع الاقمشة الحريرية

ألحوا في طلب منتجات

شركة مصر لنسيج الحرير

إحدى مؤسسات بنك مصر

ولا يعرف لك فضلاً . يا قلب مغرم
بالحنان والمطف ويحبته الناس .
ولكن صفوة صناعتى هناك ولى
فيها العزاء ! إني مماثل لك أيها
السكان المزمنة ! آلة رقيقة في
ظرف غير منتظم الشكل
(ثم ينحني فيأخذ كجاء من خزانة
وكانت موضوعة في ظرف آخر ثم
يضعها على اللقطة اليمنى)

تمالى قاني أريد أن أشاهدك للمرة الثانية . أرى
صنى المرز الذى ضحى الشجاعة ، أنا الصانع النحيل
فريسة الضنجر والضييق . لقد قضيت في صمتك أياماً
وليلى . تمالى لتفجى من جوفك العميق أشجى
الألمان السريمة والأتنام البطيئة المسكية . تمالى
قاني أريد أن أشاهدك وأمسك . إني لا أريد أن
أوقظ صوتك الرنان ، بل أكتفى برؤية وجهي في
خشبك الذهبي اللامع ، لأنك ستفارقيني لمجدناوسيا ؟
ولربما وقت بين النبلاء أو بين الأتاقين فأرقت
السوقة في الضواحي أو النبلاء في بلاط الأسماء وأنت
ترتدين من أصابع حرة الضراب . وأنا الذى
أعتقد بسذاجة في عقلية الأشياء ، أتوسل إليك وأنا
أودعك أيها الآلة النيلية المزمنة ألا تنسى الذى
منحك هذا الصوت اللهب والأحذب المسكين الذى
نفخ فيك من روحه (ثم يضم الكنان في ظرفها)

ما أنا إلا طفل ! ثم ما أنا ؟ لا ، قاني أكتب على
نفسى وأخدعوا طفي بلاطائل . بالأحرى المسكين مثلى !
لم أدخل هذه السابقة للمجد وحده ، ولكنى أردت
أن أزال هذا النصر لأجل العطفية المستاء جانيئا لأنها
التي اهتمت وحدها بالآلى في هذه الدنيا . وحينما
كنت طفلاً مثلاً متشرداً وقت ياب العلم فيربارى

عَوَاذِكُمْ يَوْمَ
لِلشَّيْطَانِ الْفَرَسِيِّ فَرَسُوا كَرِيهَ
بِقَلَامِ الْأَمْتَادِ مَحَلَّ كَانِلِجَاجِ

المنظر الخامس

فيليو — ساندور

ساندور — لقد اقتربت الساعة العاصفة

فيليو — نعم يا زميلي

ساندور — هل هيات كنانك للمرض ؟

فيليو — بلى

ساندور — هل أنت سرور ؟

فيليو — نعم . وكيف حال كنانك ؟

ساندور — كاني ؟ ليست ذات أهمية

فيليو — لا يهمنى ذلك ونجاحك هو الذى

يمزىنى إن سقطت في هذا المراك الأدبي الأخوى .

أريد أيها الزميل أن تناولى يدك ؟

ساندور (بعد سكوت) — لا

(ثم يرحل بقية دون أن يهوى بكلمة)

المنظر السادس

فيليو وحده

— يا له من حسود ! وقد ابتدأت الهجوم !

إنه متألم ويلزم أن أصفح عنه . إنه لمن الشئ أن

يمترف الإنسان لصديقه المسكين التكدود الذى لم

يحسده قط على قوته وجماله ، بفضل ضئيل لا يمس

حبه الثانى ولا يفيظه . وما أحسن أن يكون الناس

أصدقاء ومتنافسين في الوقت نفسه . إنه يجهل قدرك

السلسلة الذهبية وشهادة الشرف فتختلف عن هذا بكثير ، وكل فرد له الحق في التنافس فيها ولا سيما أنت بعد ما سمعت بمهارتك

فيليو - وكيف ذلك ؟

جانيتا - ولكنك سمعت كأننا يقولون إنها سنقال الجائزة بلا ريب لأنها تحفة فنية

فيليو - إنني أعترف أنني بذلك ماني الوسع ، وربما نجحت أو سقطت في السابقة ، ومن يا آنسى الذى سبهم بذلك ؟

جانيتا - من ؟ كثير من الأصدقاء الذين يهتمون بأمرك وقد برهنوا على ذلك

فيليو - عفواً فاني غبي ، وحينما يكون الانسان حياً يظن أنه قليل الثقة ؛ وإنى مدين لك بنصف أسراى ، وحينما تملكنى الموموم والأشجان لا أجد من يشفق على إلا إياك ، لأنك تتبطلين حينما ترينى سعيداً . إننى مثل نبات « السم المسمتحة » إذا اقترب منى أحد تهقرت بحركة آلية متصوراً أنهم يريدونى بسوء ، ففجأً يا آنسى !

جانيتا - إذا كان الأمر كذلك فاني أنسحب

فيليو - كلا ! لا تبرحى مكانك فسأقول لك كل شيء لأنى أنكرت جيك وأهنتك ، واعلى

أنى واثق من النجاح لأنى أحكم على عملى بدون تسماع ، ولا أدري إن كان النجاح حليف الذكاء والهارتأم حليف الحظ ، ولكننى قد نجحت على كل حال (ثم يرض كانه)

و حينما ابتدأت عملى هذا بثلث ما فى وسمى من الناية وصنعت قسمة من خشب التنوب ورقبتها من الاسفندان ، ولكن كل هذا لميك شيئاً كذا كوراء ، بل العجب كل العجب ما عثرت عليه فى ساعة من

قنابلتى بكل طيبة ولطف دون أن تضحك ، وإن هذا الحب السامت من صديق طغولها لا تمدد إهانة لها ، وإنى أرى أن أحصل على نصيب من الفخر يجملنى محبوباً يوماً ما . وإنى واثق من النجاح الذى أنشدته . إننى لا أنسلج بقسم والذها فلربما يكون فؤادها خالياً ، وحينما أمنعها السلسلة الذهبية البديعة وتشم أن من هذا الجسم النحيل قد تقعر الثبوغ لأجلها ، إنها ابنة فنان وسيكون لها نصيب من العظمة ، وستفكر فى الذكاء وتنسى السامة ، ولعدة أسباب تستطيع نفسها المخلولة أن ... أواه ! إننى أحلم بحلم قتال

المظهر السابع

فيليو - جانيتا

جانيتا (تدخل) - (هو حده ، وسأسأله إن كان صاندرو عنده بعض الأمل (ثم تكلم بصوت مسوع)

فيليو - (متنبهاً من أحلامه)

إلى ! إنها حى !

جانيتا - يجب أن أسد إليك سهام الوم لأننى كنت أجهل ما يعله كل الناس كأننى لم أعلم منك هذا النبأ

فيليو - وما الأمر ؟

جانيتا - إنك ستدخل للنافسة لتحصل على الجائزة !

فيليو - كان من الواجب على أن أعلمك أولاً ، ولكنى حينما عرفت ميل المعلم فرادى والقسم الذى فاه به لم أجسر على ذلك ، ففجأً يا آنسى !

جانيتا - نعم ، ولكن دعنا من هذا . إنك تعلم أن أبى المرم الذى يجبى لا يريد أن يصرف فى ولا أن يكفل للصادقات البناتى بسامتى . أما

جانيتا (على حدة) — وأسفا على صاندور
المسكين !

جانيتا (على مسع منه) — إن ذلك لأجل مما
وصفت

فيليو (ود وضع كاهه على كفه) — إسنى
الها وكيف نخرج صوت اللال

جانيتا — وقع لنا لحنا كان أحب أن أستوحب
صوتها جيدا

فيليو (على حدة) — إنها تتكلم بلهجة حثان
وحى ترجوى، فهل تسمى لي اعظم الأمانى لنجاسى ؟

(على مسع منها) هل ترغين سماع صوتها حقاً ؟

جانيتا — نعم بلا شك (على حدة) سترى
إن كان يتعلق أو يقول الحقيقة

فيليو — أترغين أن أوقع لك السوفلت من
مقام الصول لكورديلى

جانيتا — وقع ما يروق لك
فيليو (وهو واقف أمام حالة النوبة) — إسنى

جيدا إلى هذا (يوقع فيليو للقطع الأول من لمن عظيم
على كاهه ذات الصوت الرخيم الرتان فيبر وجه جانيتا التي

كانت مصيبة إليه من إيجاب مصحوب بالأم ثم تكسر رأسها
بين يديها ويكي بكاء مرأ فيلمها فيليو ويصيح قائلا :)

ماذا أرى ؟ أتبكين ! وهل أنا الآن أبكي الناس
بعد ما كنت أثير منهم الضحك ؟ أما يشبه صوتها

التهنيدات ؟ أليس القن منرياً وجيلاً ، لأن هذا
الأحسب الذى كان يضطك منه التلنان ويرشوقه

بالحجارة قد استطاع أن يفجر البع من جفونك ؟
إننى لم أعد حفيظ الأمس ، فان لي الحق أن أرفع

رأسى وأتمنح بأننى . لقد أبكيتك ، وهذا ما يوضنى
يا جانيتا عن الفخر والجزاء ، ولا أجد جزاء أتمن من

اللالى التى تحطر من عينيك

فهر لامل مباح

(يتبع)

الليل وهو الوردنيش القديم أو السر للفقود...
جانيتا — هل هو الوردنيش المشهور الذى كان

يستعمله الأساذة الأقدمون ؟
فيليو — إنه في حوزتى وأرغب كفافس كريم

أن أذيع تركيه بين التناسين . ولقد تارفت بين
كانى وكان صنما «إلى» للشهور فكانت امتشاهتين

في الصوت الضبط. وإني وإثنى من قولى. إننى أفر من
الأخشاب الأربع. كما كان يعمل الأساذة للكبار.

صوتاً عميقاً عظيماً رناناً يملأ كنيسة كبيرة !
جانيتا (على حدة) — وأسفا على صاندور

المسكين !
فيليو — إننى منذ هذا اليوم السعيد وأنا أخفى

سمادى كالماشقى، ولا يهمنى الآن إن أخذت الحائرة
أو حرمتها ، لأن حياتى عيـد مستمر ، وإنى أتمتع

بكنزى الثمين كالخيل . أجتاز كريمون وأهلها نيام
لأصل إلى مكان خلوي هناك وكانى على عبادى

وأجلس وحدى في سفع الأكة فوق الششب المنفصل
يقطر الندى فأغرق في أحلاى إلى أن تطلع الشمس،

وفي الختام حينما يتلا الأفق بماسه ويلوح حولى
اختلاج الطبيعة متنبأ بلسيقاظها، وتهتر الأخشاب،

ويسمع خفيف الغاب والجمال، وقد طودتها نضارتها
في الليل وانطلقت من الأوكار ألحانها الشجية — أتناول

كانى بيشر وفرح ، وأرتجل من الألحان أشجاءها ،
وهذا هو خير الجزاء ، وأسطيح بقوس ظافرة لقط

النغم الذى ينبعث من الشمس للشرقة والتهنيدات
الطويلة لأوراق الأشجار وقيق الفواجن اللتيقطة،

كل ذلك يسعد نضحتى فأسكر من نشوة الطرب ،
وهذه المكان الظافرة أشعر باختلاجها بجانب قلبى

فتنتزع ألحانها بالحن الفجر فتترق نفسى في نشيد
ساحر من شباب وفرح

أَخْرَاجُ الظُّهُورِ

أَقْصَوْسُهُ تَصْنُوعِيَّةٌ
بَسْمَلًا لِأَدَبِيٍّ بِحَيْثُ يُحْفَظُ

المحوس ، ذاهب النفس ، أمام حقيقة عجيبة لا يجهلها إنسان ولا يقبلها قبوله للحقائق السلم بها أبداً ، وهي أن ذلك الوالد العزيز الذي كان يملأ هذا البيت حياة وسيادة ، سارحة هامة ... هامة جامدة كالتراب سواء بسواء ، وأن ديب الفناء يدب الآن في بقاياه ، وأن مستيقظ

بها يد حين قصير ويجولها إلى شيء تماهق للنفس والمحوس بل والمحويان والحشرات ، وأنه أصبح بالنسبة إليه ذكرى لا أمل في رجوع صاحبها أكثر مما في رجوع أول ميت من البشر ... فلا لقاء ولا حديث ولا وجود له بعد اليوم ... ! وكبر عليه الأمر ، لأن عواطفه وآلامه طنت على عقله فتساقط جزءاً بسفاجة الطفل : « كيف أسكن أن يموت أبي ؟ ! » ثم بدلت تساؤله غريباً شاذاً ، فتهدأ أسفاً وقال : « ليت امتد به العمر حتى أشيع منه وحتى يهون عليّ قتله » ، ثم عاد على قول بعض المزمّن : « إن الموت نهاية كل شيء » أو قولهم : « الموت لا يستخط حلقاً » . ثم كر تورة مكتومة على هذا التسليم المضطك وقال لنفسه : حقا إن الموت نهاية كل شيء ، ولكنه نهاية حقيقة بأن تفعل الحى من نفسه وإن كان يقع في اليوم الواحد مئات المرات . كيف لا ؟ .. أيكون من الحكمة أن تتور لتضايح حافظة تود أو لسقوط ثاب في الانتخابات ولا تتور لأكثر حاجت يقع لحياة الإنسان ، فيبدل روحها موتاً وأنها وحشة ومالها بشاعة ووجودها ذكرى ؟ ثم إن رأى في موت أبيه نذراً خيفاً يهدمه بالوت . لقد مات أبوه فلم لا يموت هو أيضاً ؟ وقد كان بئامن من هذه الفكرة فلاحت لمينيه مسافرة عن وجهها البشع الخفيف وملأت نفسه غللاً وسخرية مريرة ...

مات أبوه فأحدث موهة هزة عنيفة في نفسه ، فنجرت بها ينابيع الحزن والألم والخوف ، وجاء الموت بنتة فلم يسبق بما يجده له عادة من مرض مستفعل ، أو حادث أليم ، أو عمر بالغ في الكبر . وقد قابله صباح يوم الوفاة كمادة كل صباح وتناول منه طعام الاضطار وقرأ عليه الصحف وجاذبه بعض الحديث ثم نادى البيت لقضاء بعض الشؤون فطلب سامات مسودات ، ولهى عودته وجد البيت — الذى فادحه ساكناً تظله الطمأنينة — صاحباً فزماً يمزق سكونه التصويت ويئن في تضاميف جوه البكاء والويل ، وتلقى الخبر الأليم بأن أباه العزيز — الذى كان يحامده منذ حين قصير ، والذى كان يبدو ممثلاً صحة وعافية — انتقل في دقيقة من الساعات التى غلبها منه إلى عالم آخر لا يلته حى في ملايين السنين .. وأنه صنع هذه المسيرة تلكبرى دون بذل أى جهد أو قوة ، بل إنه صنعها بسلب الجهود والقوى جميعاً ... فلنغ به الانحلال مالا يلته استجماع القوى وتوحيب الزمائم ، وغلب في غمرات ذلك العالم المجهول الذى أعجزت حقيقته خيال العلماء والفلاسفة ...

على أنه لم يكن — في تلك الساعات الرهية — بالتفكير في كنه العالم الذى صعدت ، أو هبطت ، روح التوفى إليه ، ولكنه وقف مهوئاً ، فاهل

فلم تخلف الوفاة له متاع غالية ولا حملته تيمات جديدة . والحق أنه كان من بين إخوته من يحسده على حياته المادية الطمئنة الخالية من المسؤوليات والمهموم، فكان لذلك كله حقيقاً بأن ينتبط ويترى ويحمد الله كثيراً، ولكنه على العكس جزع جزءاً لا حكمة فيه وتردى في أهوال الألم والعذاب والتشاؤم حتى أشفى على الهلاك والفناء ... والحق أن العالم كان يرتبنا محاقق بنفسه من التنوير والعذاب لأننا رأينا ظروفه حقيقة بأن يحسده عليها أغلب المصايين في ألبهم، فلم يبق سوى طله الداخلي وحده الذي يتحمل ثمة آلامه، فقد أحدث المصاب في نفسه هزة عنيفة عجزت من تحملها أصمها فضمنت واحتورها مرض طاري انتقلت عدواها إلى العالم الخارجي فكسسته لباساً أسود من الحزن والألم والبشاعة ...

وكانت الأيام القلائل التي تلت يوم الوفاة أيام عذاب قاتل وألم مبرح وخافو صروعة ، وقد قضاهما في عزلة موحشة فريسة للهواجس يجر أفكار الحزن واليأس ليلاً ونهاراً ، وقد بدت له الدنيا مظلمة حالكة الظلمة عاطلة من الجمال ، شحيحة بالأمل ، مليئة بالآلام والوحشية ، ولاح لينيه المحزوتين — في الأفق القريب — وحش الفناء فاغراً قام يتنلج كل ساعة للثمين من الناس البائسين الذين يشبون في غير جدوى ، ويتخططون على غير هدى، ويشقون بالأمال ويأملون بالأوهام، ثم يهرون بين أنيابه الحادة غير مجزيين على تسهم سعادة، ولا متمزين عن شقاؤهم بأمل، ولا غلفين غير المحسرة والشخيرة للبررة ... فأى حياة هذه ، وما الفائدة منها ؟ وما الحكمة من وجودها ؟ ... وأي عذاب

كان هذا الشاب أكبر ذرية أبيه — وم ثلثة ذكور وثلاث إناث — وقد أوفى حظه من حب والديه على حظ إخوته جميعاً، فكان في صباه الطفل اللذلل المحبوب الذي لا يقال له أبداً : « لا » ولندرا ما يقول « بلى » أو « نعم »، فنشأ على اعتقاد راسخ بأن الدنيا لسة طيبة بين يديه ، وأن جميع متاعها تطفو دافية يجنبها أو يزهد فيها كيئفاً أراد ، وأن الدهر لا يسييه ولن يسييه إلا بما يشاء ، وأنه إذا كانت الدنيا — كما يزعمون — خاصة بالتعاب والأحزان فهو بمنجى آمن منها . وكان إذا اعترضه صعب أو شاكسته مشقة هتف قائلاً : « أجاه » أو « أجاه » ، وسرعان ما يلين الصعب ويسلس الشاق ، فلم يصمد مرة لشدة أو يتنلب على محنة ، وكتب عليه ما يكتب طلة على أمثاله من الخمية التامة في الحياة المدرسية ، فبقى في حضانة والديه رغم تقدم العمر وبلوغ الثلاثين ، وتغير الكثير من مظهره ، أما نفسه فظلت متشبثة بالطقولة القديمة ... ولما كان أله لوت أبيه غير ألم إخوته جميعاً — بما فيهم النساء — لأنه متى تهدم دكن من دكني سادته ، وقد قد قلب من التلبين الذين يمشي على عطفهما ومحبتهما ...

ولكن لا يبنى أن نفهم من هنا أن موت أبيه كان يقضى عليه بالفقر أو بالتشرد ، فقد ترك اللتوق لورثته عمارة كبيرة تدر عشرات المحتجات كل شهر ، ونسيه منها يكفيه ويضمن له حياة رغد تنوضه عما قد من عطف ومافه من عمل أو وظيفة وكان أشقاؤه الثلاثة موظفين ذوي مستقبل حسن وأرباب أسر سميعة ، وكانت شقيقاه أيضاً زوجيت وأهيات يشن في كصف أزواج صالحين ،

بالأب ، كأه ليس حسيما ينتظر من الفقر والشقاء .
وما يستطيع إنسان أن يشرك أشقائه في تحمل
المسئوليات لأن لكل منهم أسرة ، ولأه أخوم
الأكبر الذي خلف والده ...

على أنه لا يأمن شر ذلك الشقاء الطافي على
أشقائه أنفسهم ؛ ولأن الأمر كان يتعلق بهم وحدهم
ما أهم ولا قلق ، ولكنه كان يخشى أن تضيق
العصية التي قد تنزل بأحدهم إلى حياة متاع جديدة ؛
فلو أن واحدا منهم لحق بوالده لأصبح هو مسئولاً
عن أولاده ، وهو لا يدري ما كنه هذا الشعور
القوى القريب الذي يهوس في أعماقه بأن أشقائه
هالكون لا عالة ، وبأنه سيأتيه منهم قريباً . أى
شعور هذا ؟ إن أشقائه مكثوا الصحة والمافية ،
ولكن وأأسفاه لا الصحة ولا المافية بالضمان
الآمن ضد الموت ... ألم يقض والده وهو يتحدث
ويضحك ويستمع بالصحة والمافية ؟ فالوت يهدم
جيماً ومتاع الدنيا ومهموها تنتظره من كسب ...
وما من قوة في الأرض تستطيع أن تخدعه عن هذه
الحقائق الخفيفة ولا أن تمحو من نفسه الشعور بها ،
فهو يحس بذنوبها منه ويتوقع حلولها ساعة بسد
ساعة ... الموت والتاع والفقر ...

ما أنكند وجه الحياة ! إنها لم تقنع باقتصاب
والله منه ، فهي تكيد لشقيقاته البائسات ، وترى
بجيوات أشقائه التكرين ، وتد البدة للقضاء على
مصدر رزقهم جيماً ، وهي قوية بين يديها جميع
الأسلحة للدمية من موت وأمرض وشقاق
وحرائق وزلازل ، وسيجد نفسه عما قليل ضحية
لقساوتها قديراً مموراً مسئولاً عن جمع غفير من
الطلقات والأرامل واليتامى ...

هذا وأى رعب ! وكيف يستطيع أن يطمئن على
حياته في هذه المركبة المخاسرة ؟

حقاً إن دوايح العمانينة متوفرة له ، فهو
طليق من متاع الرجال ، وموحد الرزق ، ولكن
من يضمن له أن تظل المارة — التي هي مصدر
رزقه — آمنة بالسكان ؟ بل من يضمن له ألا تخلو
من اللند من جميع سكانها فيسلك مقهوراً في عداد
السائكين البائسين ويترك أبواب إخوته جائماً خجلاً
فيطرده منهم من بطرده أو يطمسه من يطمسه وهو
يضيق به ؟ ...

بل ما وجه الحال في أن تسمى تلك المارة أترأ
بعد حين لحادث من الحداث ؟ إن شرارة من نار
حقيقة بأن تمحوها في دقائق إلى كوم من رماد ، أو
هزة أرضية مباغتة قد تذكها دكا وتركها خرائب
وتلوا من أخشاب وأحجار ، وما الحريق يسيد ولا
الزوال بمستحيل ، وهي — لو أسنت اليوم شر النار
والزوال — فما هي بأمنة غداً ويل الحرم والبلد
وتناقص الثقة ، فالغراب واقع واقع ... والفقر
أت آت ...

ومن القريب أنه كان يشعر شعوراً قوياً بأن
الفقر ليس هو اليأس الوحيد للدخلة ، وأن الدنيا
لن تقنع في تضيده بسلب موارد رزقه ، بل وتوجس
خيفة من ناحية شقيقاته وخيل إليه خياله الرخيص
أن راجلة الزوجية التي تخليه من تيمانين لن تعدم
أبداً ، وأن شياطين الشقاء ستفهم عراها بالشقاق
والنزاع وتعمل إلى بيته شقيقاته البائسات مع
أطفالن الصغار فيصبح مسئولاً عنهن جيماً بصفته
الأخ الأكبر والأعزب أيضاً فينوء بتاع الأزواج
وما هو بالزوج وبرزخ تحت ثيمات الآباء وما هو

وتتيرت سودر طوباعه تنير نفسه، فهزل واعتل
وعلت وجهه صفرة شديدة وغارت عيناه وأحاطت
بهما هالة سوداء، وتتيرت طباعه وعاش عيشة الذنور
الخائف، قصد عن الدنيا وعزف عن الأصدقاء وهجر
الطيبات والللاذ واستحال جوده شحاشيدنا وتقتيرا
قييحا، لأنه رأى أن من الحكمة أن يدخر المال تلك
الأيام السود التي تنزله بالفقر والتميمات والمتاعب .

هنا ما صار إليه في الأيام القلائل التي تلت وفاة
والده. ولكن حمدا لله لم تدم هذه الحال، ففقت الأيام
حشية وأخذ وقع السمعة يهون على نفسه ونار القوعة
تبرد في صدره، واعتاد غيبة أبيه كما كان متعادا
لوجوده، ولم يحدث الزوال ولا شبت النيران، نعم
ولاصدع الشقاق ثمل أخواته ولا اخترم الموت أشقاءه،
ومضى يتيق من غيوبة الحزن والخوف وينفض من
قلبه أشباح النزع والأوهام، ويستروح الطمانينة
والسلام.. ثم طوى النسيان متاعبه في زوايا مغلقة
الأبواب، فرأى مرفقا أخرى دنياه القديمة: دنيا الجمال
والتنع التي يشرق حسنها في السموات والأرض
والانسان والحيوان والجماد، لا دنيا الزلازل والحرائق
والأمراض والفناء، فاضلن بسدو في طريقه من حيث
حبسته المخاوف حينما ليس بالقصير

فكان في مصابه — كما هو في حياة — الطفل
الترير الذي قد يحزن حتى لينفله الحزن عن نفسه
فيرى لسته ويدها تنحطم عند قدميه ويجيش بالبكاء
ثم سرعان ما يضي فيمود مريما إلى نشوته ويفرق
في الضحك...

كانت تلك الأيام كلها عذابا كدونه عذاب الجحيم
لم يرخ فيها عقله ساعة من شر ذلك للتفكير الويل
الذي يفرز السموم والمذاب والمخاوف، حتى
تمكنت الأوهام الأتمية من نفسه، وكثرت أوقات
يقظته وأحلام نومه، وجعل يتوقف كل ساعة أن
يسمع عن انهيار المبرة أو ذهابها طمة للنيران،
أو أن يأتيه آت يضي أحد أشقائه أو ينمهم جميعا،
وخال كل طارق لبابه أختا من أخواته راجية
إلى بيته تسحب خلفها أطفالها... وقاضت نفسه
بالجزع فلم يستطع صبرا وضاق بمرزله فخرج هائكا
وصار يتردد على بيوت أشقائه وعشيقاته ليطمئن عليهم
وقد وجدهم جميعا سماء آمنين، فسحب من جهلهم
وغفلهم... وودد لو يستطيع أن يقول لرجال منهم
« خذوا حذركم من الأمراض والحوادث...
ولا تعرضوا أنفسكم لهواء الشتاء ولا لشمس
الصيف . ولا تترددوا في دعوة الطبيب لأتفه
الأسباب . ولا تكم والتمرا والسيارات » أو أن يقول
للنساء « أظن أزواجكن طاعة محباء . وتعرفن
مواضع إرضائهم ومجنين ما يضيقهم واسنين عليهم
وإن طئوا ومجنوا عليكم . » ولكن للصراحة
لم تواءم فجعل يدور حول غرضه دورا ولا يختار
حديثا غيره . وكان يحدث نفسه ككارجع من إحدى
زياراته: « لاسحقا الذين يقولون أن الأهل عزة وقوة !
والتي كنت وحيدا لا أعرف لي أبا ولا أختا،
فتبيرا لا أمك ما يجوز أن أسف عليه .. وأما ...
ما أسعد أبناء السيل ! إن القيمة التي يشتغلونها من
القائمة ويترددونها وهم يتنون أشهر من الطعام المسم
الذي يهبط إلى جوف مع الموم والاحزان التي
لا تهضم .. »

الدخيل

للكاتب العبقري مؤرّس مازنك
بقلم محمد أمين

الأب — لم هذا القول ؟
الجد — تمت صوتها
الأب — ولكن مادام بعدنا
الأطباء خيراً فلنستكن روعنا
الم — ألا إن حماك ليس هو
إزعاج أنفسنا بغير موجب

الجد — إلى لا أرى الأشياء كما ترونها
الم — اعتمد علينا إذن نحن أولى الأبصار .
لقد بدت أحسن ما تكون عصر اليوم ؛ وإنها لناعة
قررة الجفن ، فما لنا نكدر أول مساء هي سفت
لنا فيه الحياة ؟ إنما حق لنا هذا المساء كل الحق
أن نطعن ، بل ونضحك سيراً ولا خوف
الأب — حقاً ، فاني آنس إلى أسرتي أول مرة ،
متد كان هذا النفاس الروع

الم — إننا دخل المرض يوماً إلى البيت فكأنما
اندس فيه غريب
الأب — وأنت تعلم كذلك أن لا اعتداد على غريب
الم — أجل
الجد — لم حرمت اليوم رؤية ابني ؟
الم — ليس يشيب عنك ولا ريب أنت
الطبيب قد منع رؤيتها
الجد — لا أدري بماذا أفكر ...
الم — إن الجزع لن يمدى عنك فتيلاً
الجد (يشير إلى الباب عن يمين) — ألا يحتمل
أن تسمنا ؟

الأب — لن نتحدث بصوت مرتفع ، والباب
فوق ذلك صفيق . وهناك الممرضة (أخت الرحمة)
وإنها لكفيلة بتبنيها لو أترنا نجدة عالية
(٢)

ابن مائة :

الجد (مكتوف البصر)
الأب
البنات الثلاث
الم
الخادم

حجرة كتيبة في قصر ريفي قديم . باب عن يمين ، وباب
عن يسار ، وفي ركن من الأركان باب صغير . من خلف
نوافذ من زجاج ملون يلم فيها الحضرة ، وباب زجاجي
يؤدي إلى مشرف . في إحدى الزوايا ساعة كبيرة هولندية .
صباح يقتتل

البنات الثلاث — أقبل يا جدّي . اجلس
تحت للصباح
الجد — كأنما الضوء هنا ليس بموفور
الأب — أخرج إلى للشرف أم نبقى بهذه
الحجرة ؟

الم — أليس من حسن الرأي أن نبقى هنا ؟
لقد اتصل المطر الأسبوع كله ، فالليل رطبة باردة
الابنة الكبرى — ولكن النجوم ساطعة
الم — النجوم ؟ ليست هذه شيئاً
الجد — أرى اللقاء هنا أولى ، فاني يرى أحد
حافاً يحدث

الأب — لم بعد شيء يشير الجزع . فالخطر
قد زال وقد نجت
الجد — في اعتقادي أنها لم تصحّ بعد

- الجبد (يتير لى الباب عن يلى) — ألا يحتل
 أن يسمنا ؟
- الأب — كلا ، كلا
 الجبد — أهو نائم ؟
 الأب — هكذا أظن
- الجبد — من الخير أن يذهب أحد غيرى
 الم — إن الوليد يثير إشفاقي أكثر مما يحيره
 زوجك . لقد مضت الأسابيع منذ ولد ولا يكاد
 يتحرك ! وما صاح صيحة واحدة فى هذه اللدة !
 ألا إنه يشبه المية من الشمع
- الجبد — أحسب أن سيكون أصم — وقد
 يكون أبكم أبعك — وتلك عاقبة الزواج بين أبناء
 الم ... (صت استياء)
- الأب — لكأنى أريد له الشر ؛ فقد سام
 أمه سوء العذاب
- الم — تغل ، فليس القرب الكائن الشقى
 الضاوى . أو زاء فى الحجرة وحده ؟
- الأب — نعم . فاطليب يمنع أن يكون هو
 والأم فى حجرة
- الم — ولكن للرضع منه ؟
 الأب — لا ، بل ذهبت لتسرح ، لشدما
 جهدت هذه الأيام الأواخر . أرسلوا ، اذهبي
 فانظري أهو نائم
- الابنة الكبرى — سمعا يا أبت (تنهى البنات
 الثلاث ، ويصعدن إلى الحجرة عن يمين ، يدا فى يد)
- الأب — متى تقبل أختنا ؟
 الم — أحسبها تقبل فى نحو التاسعة
- الأب — لقد مضت التاسعة . ليتها تقبل هذا
 المساء فزوى تهتر إلى رؤيتها
- الم — هى لاعتك آتية . وستكون رؤيتها
 هذه أول عهدا بهذا المكان
- الأب — إنها لم تشهد البيت قط
 الم — صبر عليها أن تروح الدبر
 الأب — أنتكون وحدها ؟
- الم — أعذب الظن أن تصحبها راهبة فليس
 يؤذن لمن فى الخروج منفردات
- الأب — لكنها الرئيسة
 الم — الخطر واحد على الجميع
 الجبد — ألا تشعرون بالزواج ؟
- الم — ولم تشعروا بالزواج ؟ وأى خير فى ترويد
 هذا القول ؟ ألا إنه لم يعد أمر نخشاء ...
- الجبد — أختك أسمن منك ؟
 الم — هى أكبرنا سنًا
- الجبد — لا أدرى ماذا يؤلى ؟ إلى لأشعر
 بالضطراب ، تمنيت لو أن أختك أقيت !
- الم — ستقبل ؛ إنها وعدت بالحيى
 الجبد — آه ، لو امتنى هذا المساء !
 (تمرد البنات الثلاث)
- الأب — أهو نائم ؟
 الابنة الكبرى — أجل ، يا أبت . (به مستغرق
 فى النوم)
- الم — بم نستعين على انتظارنا ؟
 الجبد — انتظار أى شيء ؟
- الم — انتظار أختنا
 الأب — أرسلوا ، ألا ترين شيئًا مقبلا ؟
- الابنة الكبرى (لى الخافضة) — لا شيء يا أبت
 الأب — ولانى الشارع ؟ أتيسرن الشارع ؟
 الابنة الكبرى — أجل يا أبت ، فنضوء القمر

يسطع ، وإني لأرى الشارع إلى مدى غاية السرو
الجد - ولا ترين أحداً ؟
الابنة الكبرى - لا يا جدي ، لا أحد
الم - كيف ترين الحية ؟
الابنة الكبرى - جد قاتنة ، أسمع البلايل ؟
الم - أجل ، أجل
الابنة الكبرى - إن ربحاً واهنة تهب على
الشارع
الجد - ربح واهنة على الشارع ؟
الابنة الكبرى - أجل ، فالأشجار تهزها
الم - أعجب لأخفى ، كيف لم تأت بعد ؟
الجد - ما عدت أسمع البلايل
الابنة الكبرى - إنال أحداً يا جدي قد
دلف إلى الحديقة
الجد - من ؟
الابنة الكبرى - لا أدري ، لست أرى أحداً
الم - إذن لا أحد
الابنة الكبرى - إن أحداً في الحديقة
لاسماء ؛ فالبلابل أمسكت عن شدوها فجاء
الجد - ولكن لا أسمع أحداً يقبل
الابنة - إن أحداً يمر على البركة لا شك ؛
فالور قد اضطرب
ابنة أخرى - كل الأسمالك في البركة تنطس فجاء
الأب - ألا ترين أحداً ؟
الابنة الكبرى - لا يا أبت ، لا أحد
الأب - ولكن البركة في ضوء القمر
الابنة الكبرى - أجل ؛ وإني لأرى الإوز
محتاج
الم - لا أرتب في أنها أختي التي راعتها .

وإنها لا بد قد دخلت من الباب الصغير
الأب - لا أدري لم لا تسمع الكلاب ؟
الابنة - إني لأرى الكلاب خلف مأواه ،
وما هي ذى الإوز تنير إلى الغنة الأخرى ؟
الم - إنها لمشقة من أختي ، إني فاهب
أستطلع . (يصف) أختي . أختي ، أفت هنا ؟ ...
ما من أحد
الابنة - إني على ثقة بأن أحداً ولج الحديقة ؛
ولسوف ترى
الم - ولكنها كانت نجيبى ؟
الجد - أما عدت البلايل تصدح ، يا أرسولا ؟
الابنة - لا أسمع منها سادحاً في مكان
الجد - ولكن لا نجبة
الابنة - ثم سمت مثل سمت الرمس
الجد - إن من روحها غريب لا شك ، فلو
أنه من الأسرة لما كفت عن سجعها
الم - إني متى تيحث عن رغاء البلايل ؟
الجد - أكل التوافد مفتوحة يا أرسولا ؟
الابنة - إن الباب الزجاج مفتوح يا جدي
الجد - لكأن البرد ينفذ إلى الحجر
الابنة - في الحديقة يا جدي ربح واهنة ،
والورود منتثرة أوراتها
الأب - خير . أوسدى الباب ، فالليل تقدم
الابنة - سمحاً يا أبت . . . لا أستطيع
إيصاد الباب
الجد - له ؟ ما لقلب يا ولدي ؟
الم - ليس ما يدعو لفتافك على هذا النحو
الغريب . إني فاهب أشد أزر من
الابنة الكبرى - لايتها لنا أن نحكم إيصاده

- الم - ذلك أثر الندى . فلتدغمته جميعاً ...
لا بد أن شيئاً يترصه
الم - لعل الداخنة متسخة
الأب - سيفشل أحسن مما كان فوراً
الابنة - أياي التجار في غد ؟
الابنة - نعم يا جدي . إنه آت ليؤدي في
القبو بعض الأعمال
الجد - إنه باعث في البيت نجمة
الابنة - سأسأله الفرق في عمله . (يسمع ضجّة
من الخارج صوت منجل يشد)
الجد (راجعاً) - واه !
الم - ما هذا ؟
الابنة - لا أدري على الحقيقة ، وإنما أحسبه
البستاني . لست أراه في وضوح ، فإنه لقي ظل البيت
الأب - إنه البستاني ذاهباً يحصد
الم - أيمص في الليل ؟
الأب - أليس غداً الأحد ؟ أجل ، وقد
تبين لي أن الكلاً فيها حول النار جد طويل
الجد - إن منجله باعث للنجمة ...
الابنة - إنه يشد قريبا من النار
الجد - أنتظريته يا أرسولا ؟
الابنة - لا يا جدي ؟ إنه لقائم في الظلام
الجد - أخشى أن يوقظ ابنتي
الم - إنما لا تكاد نسمه
الجد - كأنه يشد في البيت
الم - لن نسمه للريضة ؟ فليس ثمة ضير
الأب - لا أرى الصباح يشتمل هذا المساء اشتمالاً
حسناً
الم - يموزه أن علأ
الأب - لقد رأيته علأ في هذا الصباح . إن
- اشتماله قد ساء منذ غلقت النافذة
الم - لعل الداخنة متسخة
الأب - سيفشل أحسن مما كان فوراً
الابنة - جدي أخذته سنة . إنه لم يمس سواد
ليال ثلاث
الأب - لقد ازعج
الم - إنه مزعج أبداً . وإنه أحياناً لا يصبح
للعقل سمياً
الأب - غير هذا لمن كان في سنة
الم - يعلم الله كيف تكون في سنة
الأب - إنه قريب من الثمانين
الم - إذن حق له أن يبدو غريباً
الأب - إنه كسائر المكفوفين
الم - ما أكثر ما يطلون الفكر !
الأب - إنهم ليجدون من الوقت فسحة
الم - إذ لا شيء آخر يأتيه
الأب - وليس إلى ذلك ما يشغلهم
الم - ذلك لا ريب هو أشد البلاد
الأب - إن المرء ليألفه فيما يظهر
الم - لا أحب
الأب - إنهم لا شك يستحقون الرثاء
الم - ما أظن ألا يعرف الإنسان أن يكون
ولامن أين جاء ، ولا إلى أين يذهب ؛ وألا يستطيع
تمييز الضحى من الليل والشتاء من الصيف ؛
ظلام على ظلام ! بل إلى أوت الموت عليه ، فإنه
الدهاء المضال
الأب - في الظاهر
الم - ولكن لم يُكفّ بصره أجمع
الأب - ليس يلح إلا ساطع النور

الجد - سمعت خطي وميدة
 الأب - لقد دخلت في رفق
 الم - إنها تظن أن ثمة مريضة
 الجد - لا أسمع الآن شيئاً
 الم - إنها ساعدة رأساً فسيخبرونها بموضنا
 الأب - لقد سرني عجيبها
 الم - لم تداخلني الشبهة في أنها مقبلة
 الجد - لقد طال مسودها
 الم - إنها لا ريب هي
 الأب - لستأ توقع زائراً غيرها
 الجد - لا أسمع في الطابق الأسفل صوتاً
 الأب - سادعو الخادم فتضبط بكل شيء هناك
 (يند جيل الجرس)
 الجد - أسمع صوتاً على الدرج
 الأب - إنها الخادم ساعدة
 الجد - لكأنها ليست بمفردها
 الأب - إنها ساعدة رويداً ...
 الجد - أسمع وطء أختك
 الأب - لا أسمع غير الخادم
 الجد - بل هي أختك ، إنها أختك .
 (ثم طرق الباب)
 الم - إنها تطرق باب السلم من خلف
 الأب - إني ذاهب أفتحها (يفتح الباب الصغير
 بض الدوى ، وظل الخادم خلفه) أين أنت ؟
 الخادم - ها أنا ذى يا سيدي .
 الجد - أختك هي الباب ؟
 الم - لا أرى سوى الخادم
 الأب - ليس إلا الخادم . (الخادم) من فـ
 دخل البيت ؟
 الخادم - دخل البيت ؟

الم - فظنن إذن بنواظرنا الضميقة
 الأب - عجيبة خواطره على الأعلب
 الم - وهو في بعض الأحيان أبعد ما يكون
 عن النظر
 الأب - إنه ليلن كل ما يحس في خاطره
 الم - ألم يكن ذلك حاباً ؟
 الأب - كلا ، إنه حيناً من الأحيان كان
 مثلنا حاكلاً ، ولم يكن يلفظ من القول غريباً ،
 وأخشى أن تكون أرسلوا تحوده إلى ذلك ، فـ
 نجبه عن كل ما يسأل
 الم - الخير ألا يمار قوله التفاتاً . إنها الشفقة
 تخرجه عن محبة للصواب
 (تد الساعة صمراً)
 الجد (صلياً) - ترى ! أوجعي شطر الباب
 الزوجاج ؟
 الابنة - قد نمت يا جدى يوماً حسناً
 الجد - ترى ! أوجعي شطر الباب الزوجاج ؟
 الابنة - نعم يا جدى
 الجد - أليس أحد لدى الباب ؟
 الابنة - لا يا جدى ، لا أرى أحداً
 الجد - حيث أحداً ينتظر . أو لم يقبل أحد ؟
 الابنة - لا يا جدى ، لا أحد
 الجد (للم والأب) - وأختك ؟ ألم تقبل ؟
 الم - إن الليل تقدم ، ظن تاني . ألا إنها
 قد أساءت فضلاً
 الأب - لقد أصبحت الآن مشغلي الشاغلة
 (خبة ، كان أحداً يدخل البيت)
 الم - إنها هنا ! أسمعون ؟
 الأب - أجل لقد ولج الطابق الأسفل أحداً
 الم - هي لا شك أختنا ، لقد ميزت خطوها

الجد — لكأن حلكة الظلام قد انشورت ،
على حين يشتد
الأب (للخادم) — فلتزلى الآن ، ولكن
لا تبس على الدرج ضواها عالية
الخادم — إني لا أبث على الدرج أدنى الصوت
الأب — بل أقول إنك بشت الضجة عالية ؛
فانزلى في هدوء حتى لا تصحومولا تلك . وإنا أقبل الآن
أحد ققولى لسا هنا

الجد (واخا) — لا تقولى هذا القول !
الأب — .. إلا أن تكون أختى ، وأ يكون الطيب
التم — متى يجي الطيب ؟
الأب — لن يستطيع المجيء قبل انصاف الليل
(يوصد الباب ، وتسع ساعة تقب الحادية عشرة)

الجد — دخلت ؟
الأب — من ؟
الجد — الخادم
الأب — كلا ، بل لقد زلت
الجد — حسبها جالمة إلى الخوان
التم — الخادم ؟
الجد — أجل
التم — كانت تكل بهذا سعادتنا !
الجد — ألم يدخل الحجرة أحد ؟
الأب — لا ، لم يدخل أحد
الجد — وليست هنا أختك ؟
التم — أختنا لم تات
الجد — تريدون خداعى
التم — خداعك ؟

الجد — يا أرسولا : خبرنى الحق نشدتك الله
الاية الكبرى — جدى ! جدى ! ما بالك ؟
الجد — إن أمراً قد حدث . أيقنت أن ابنتى
سادت حالاً

الأب — أجل ؛ لقد دخل الآن أحد ما
الخادم — لم يدخل أحد يا سيدى
الجد — من ذا الذي نهده هذا النهده ؟
التم — هي الخادم ؛ إنها مبهورة بالنفس
الجد — أمى بكى ؟
التم — لا ، ولم تبكى ؟
الأب (للخادم) — ألم يدخل الآن أحد ؟

الخادم — لا يا سيدى
الأب — ولكن سمنا أحدًا يفتح الباب !
الخادم — لا يا سيدى
الأب — ولكن سمنا أحدًا يفتح الباب !
الخادم — كنت أأغلق الباب ...

الأب — أكان مفتوحاً ؟
الخادم — أجل يا سيدى
الأب — ولم تكن مفتوحاً هذا الساعة من الليل ؟
الخادم — لا أدري يا سيدى . والحق أنى
غفلت بنفسى

الأب — إذن من فتحه ؟
الخادم — لا أدري يا سيدى . ولعل أحدًا
يا سيدى قد خرج من بمدى ...
الأب — حاندى . لا تدغى الباب ، فأنت
تملين كم يثير من نية
الخادم — ولكنى يا سيدى ما لمست الباب
الأب — بل تدغينه ؛ وتدغينه كما لو أردت
دخول الحجرة
الخادم — ولكنى يا سيدى أبعد كثيراً من
الباب ...

الأب — لا يمل هكذا صوتك ...
الجد — أيطشون للنور ؟
الاية الكبرى — لا يا جدى

- الأم - أحمق؟
 الجد - بل تخفون على الحق، فان أمراً قد
 حدث، ما في ذلك ريب
 الأم - أما هذا فانت أبصر به منا؟
 الجد - يا أرسولا، أسدقي!
 الابنة - ولكن صدقتك يا جدتي!
 الجد - لست تعلقة بصوتك للمهود
 الأم - لأنك ترعها
 الجد - وصوتك أيضاً تنير
 الأب - لقد أسألك الخيل! (يتبادل الالام
 والام بأن الجد قد سه الجنون)
 الجد - أسسكم حق السم، خائفين
 الأم - ولكن تم تخاف؟
 الجد - لم تريدون خدائي؟
 الأم - من يفكر في خداعك؟
 الجد - لم أطفأتم النور؟
 الأم - ولكن النور لم يطفأ، ولم يزل موفور
 الضوء مثلاً كان
 الابنة - كأن المصباح قد غمد
 الأب - ولكن عيني كما كانتا من قبل تنظران
 الجد - على عيني أحجار الرمي! تخفون يا سبائا
 ماذا يجري هنا! خبّرني بالله يا من تبصرون! ألا إني
 وحدي في ظلام ما إن له من نهاية، فلا أدري
 من ذا يجلس بجانبني، ولا أدري ماذا يحدث حولي
 غير سيد! ... ولم يا ترى تتهايمسون؟
 الأب - ما كان أحد يهمس
 الجد - لقد تكلمت لدى الباب همساً
 الأب - لقد سمعت كل حديثي
 - الجد - لقد أدخلت أحداً إلى الحجرة!
 الأب - ولكني أبنيك أنه لم يدخل أحد
 الجد - أي أخذك أم راهب. لا يحسن بك
 أن تخدعي. من دخل، يا أرسولا؟
 الابنة الكبرى - لا أحد يا جدتي
 الجد - لا ينبغي لك أن تخادعي، فاني لأعلم
 ما أعلم. كم نحن هنا؟
 الابنة - ستة يا جدتي، حول المائدة
 الجد - أكلكم حول المائدة؟
 الابنة - نعم يا جدتي
 الجد - أنت هنا يا بول؟
 الأب - نعم
 الجد - أنت هنا يا أوليفر؟
 الأم - أجل، (بالبلع) إني هنا في مكان
 المهود. وليس ذلك مدعاة للروح أترأه قد روعك؟
 الجد - أنت هنا يا جيفيا؟
 إحدى البنات - نعم يا جدتي
 الجد - أنت هنا يا جرتيود؟
 ابنة أخرى - نعم يا جدتي
 الجد - أنت هنا يا أرسولا؟
 الابنة الكبرى - نعم يا جدتي، إلى جانبك
 الجد - ومن الجالس هنا؟
 الابنة الكبرى - أين تعني يا جدتي؟
 الجد - هنا، هنا، إلى الخوان
 الابنة الكبرى - ولكن يا جدتي لا أحد
 الجد - بل ثمة أحد، ثمة أحد!
 الأم - أراك تمزح
 الجد - ألا نقتل حق العلم أني لراهد في الزواح
 الأم - إذن فصدق البصيرين
 الجد (مرتباً) - حسب أن تم أحد. فداي
 أن لن أعيش طويلاً ...

- المم - لم نخدمك؟ أى تقع فى خدمتك؟
 الأب - فرض علينا أن نغضى إليك بالحق
 المم - أى خير أن يخذلنا بضمنا بصفا؟
 الأب - إن المرء لا تطول خدمته
 الجد (يحاول التهور) - تخليت لو أمزق من
 حولي حجب الظلام !
 الأب - أين تقصد ؟
 الجد - هناك ...
 الأب - لا تجزع إلى هذا الحد
 المم - ألا إنك لترب هذه اليلة
 الجد - إنما أنتم الأغراب تبدون
 الأب - أريد شيئاً ؟
 الجد - لا أدري ما ذا يؤلى
 الابنة الكبرى - جدى ! جدى ! ما ذا تريد
 يا جدى ؟
 الجد - هان يا بناتى أديكن الصغيرة !
 البنات الثلاث - لبسك يا جدى
 الجد - لم ترعدن جيداً ؟
 الابنة الكبرى - إنما يا جدى لم ترعد قط
 الجد - أتمسكن جيداً شاجبات
 الابنة الكبرى - لقد تأخر الساء يا جدى
 وإننا لتنبات
 الأب - غير لكن أن نضعن إلى المضاجع
 وخير لجدكن لو استراح شيئاً
 الجد - اليلة عز رقادى !
 المم - سنتظر الطيب
 الجد - قهياوا للحق !
 المم - ليس هنالك حق !
 الجد - إذن فلا أدري ما هنالك !
- المم - قلت لك ما من شيء قط
 الجد - ودعت لو أرى ابنتى التابعة
 الأب - تعلم أنك تروم عييراً
 المم - سترها من غد
 الجد - لا صوت فى حجرتها
 المم - لو سمعت صوتاً لأشفقت
 الجد - لقد طال عهدي برؤية ابنتى ! ... لقد
 تناولت بها ليل أس ، بيد أنى لم أرها ! ... فإ
 أعلم ما ذا حل بها ... وما أعلم كيف هى ... وما أعلم
 كيف يبدو الآن وجهها - ولكن لا شك أنها
 تنيرت هذه الأسابيع ! قد است عظام وجنتها
 الصنار تحت ينى . ولا غير الظلام فيها وبينكم
 أجمعين وبينى ! . ولهم الحق أنى سمعت هذه
 الحياة وضقت بها ذرعاً ! بل ما هذه بالحياة ، فأنكم
 لتجلسون جيداً تقشخسون بأعين منيرة إلى عيني
 للكفوفين ثم لا تأخذكم فى الرحمة ! ، أما أنا فلا
 تدرى نفسى ما ذا يؤلى ، ولا أحد ينبئنى بما
 أعلم عله - وكل شيء مبروح ما عقلت به أو هام
 الانسان ولكن ما بالكم لا تلفظون ؟
 المم - وما عسى أن تقول ما دمت لا تؤمن لنا ؟
 الجد - إنكم تنفخون خمادة أنفسكم !
 الأب - مهلاً ، ألا ترعد !
 الجد - إنكم تسرون عني أمراً منذ بعيد ... !
 لقد وقع فى البيت حدث ... ولقد بدأت اليوم أفهم
 بعد أن طالت خدمتى ... أو تحسبون أنى لا أعلم
 قط شيئاً ؟ ألا يا رب لحظات عدت فيها أقل منكم
 عني ؟ أو تحسبون أنى ما سمعتم تنهاسون أياماً
 وأياماً ، وكأنما ضمكم بيت إنسان مفلق ؟ ألا يلرب
 حق عفته ولا أجرؤ اليوم على القضاء به ... ولكنى

سأنتظر ، وسأنتظر حتى تبوحوا بما قد علمته منذ
أمد طويل ! والآن تأتي أنظلمكم شاحين كالوق ،
أو أشد اسفراراً
البنات الثلاث — جدى ! جدى ! ما بالك
يا جدى ؟
الجد — ليس عتكن أنكلم يا ودى . لا ، ليس
عتكن ، فاكنتن بالحق باخلات وإن ضنوا به ! بل
إنهم ليمكرون بأنفسكن فى رأيي ... ولسوف
تشهدن يا ودى ... لسوف تشهدن ! ... ألا أسمعكن
تبحون أجمعين
الأب — أزوىجى إلى هذا الحد مريضة ؟
الجد — عيتاً تخادمنى . لقد قات الأوان فأتى
لأعلم من جلية الأمر فوق الذى تعلمون
الم — ولكن لست مكفوفى البصر ؟ لست
مكفوفين
الأب — أحب أن ترى ابتك ؟ فانه لا بد
من حسم هذا الشك ... أحب ؟
الجد (يود بقاءه إلى النك) — لا ، لا ، ليس
بد . ليس بد
الم — فانتظر كيف لا تاتى السمع إلى العفل
الجد — هيهات أن يقدر امرؤ مدى إدراك
الانسان فى هذه الحياة ... من أكل هذه الضجة ؟
الابنة الكبرى — إنه الصباح يرف يا جدى
الجد — إلى لأراه كثير القلب ، كثير القلب
الابنة — إنها الريح الباردة ؟ فعى تسابته
الم — ليس نمة ريح باردة ، فالتوافد موصلة
الابنة — أحسبه سينطق
الأب — لم يد فيه من زيت
الابنة — لقد اخلقاً

الأب — لا نستطيع البقاء على هذه الحالة ،
فى الظلام
الم — ما بئح ؟ إلى لآلته كل الايلان
الأب — ثم ضوء فى حجرة زوىجى
الم — ستأخذ منها بد ذهب اليبيل
الأب — خير ؟ لا تزال تبصر ؟ ثم ضوء من
الخارج .
الجد — أفى الخارج نور ؟
الأب — أضواء من هنا .
الم — أما أنا فأحب سائر الظلام .
الأب — وكذلك أنا . (صت)
الجد — يبدولى أن الساعة حاله صوته .
الابنة الكبرى — ذلك يا جدى لما لنا بمن الصمت
الجد — ولكن لم يشملكم الصمت جميعاً ؟
الم — وفيم تريد أن تحدث ؟ — ألا إنك
هذه الليلة جد غريب .
الجد — أرى الظلام فى هذه الحجرة جد حالك
الم — لا ، نور وضئى .
الجد — إلى شقيق الصدر ، يارسولا ، فانتحى
النافذة قليلاً .
الأب — أجل يا بنتى ، انتحى النافذة قليلاً ، فأنا
الآخر أشعر بحاجتى للهواء . (تفتح الابنة النافذة)
الم — لقد احسبنا طويلاً ، فيما أرى .
الجد — هل ضحت النافذة ؟
الابنة — نعم يا جدى ؛ إنها مفتوحة على
معراعها .
الجد — لكأها لم تنتع ، فلا صوت فى الخارج .
الابنة — لا يا جدى ، ليس أدنى صوت .
الأب — إن الصمت لسبب !

الجد - وماذا ؟

الابنة - لا أدري يا جدى ... لعل أختى

راجعتان ههنا ما

الجد - إنى كذلك خائف يا ولدى . (هناك

يقذف من خلال الزجاج الملون شعاع من النور يلقى وضأت غريبة في الحجرة . فكل ساعة تؤذن بانتصاف الليل ، ولدى الحقبة الأخيرة يبعث صوت جد مبهم ؟ وكان أحداً يسيل بالتهوى)

الجد - (يرتعد من فرط الروح) من ذا الذى نهض ؟

المم - لم ينهض أحد !

الأب - إنى لم أنهض

البنات الثلاث - ولا أنا ، ولا أنا ، ولا أنا

الجد - لقد نهض أحد من على المائدة !

المم - أضيئوا للصباح !

(يسمع لحانة من غرفة الطفل من بين صيحات رعب وتصل هذه الصيحات مع الروح الذى يزداد إلى نهاية للنظر)

الأب - اسموا الطفل !

المم - ما سبق له قط أن صاح !

الأب - فلنذهب نره

المم - النور ! النور !

(فى هذه اللحظة يسع فى الغرفة من يمار خطى مسجلة خجلة الرطبة ، وبدعها صوت هو صوت اللوت . يصوتون فى رعب لا يبنسون حتى ينتج وتبدأ باب الغرفة ويشيح منها الضوء إلى الحجرة التى يجلسون فيها ؟ ثم تظهر لدى الباب أخت الرحلة فى كساءها السود ، فتصيح براسمة علامة الصليب تنبئ الزوج . يدركون ، وبعد لحظة من القول والفرع يدخلون حجرة اللوت ساكنين ، بينا المم ينحى جانب الباب ليسع الطريق للبنات الثلاث . أما الشيخ وقد غورد وحده فينهض محتاجاً ، وطس الطريق حول اللادة ، وسط الظلام .)

الجد - أين تذهبون ؟ أين تذهبون ؟ لقد

انقض من حولى الصبايا ، وليس من أحد !

مهر أبيض

(روما)

الابنة - كاديسمع الرء خفيف للالكا !

المم - ومن أجل ذلك لا أحب الرض .

الجد - وددت لو أسمع صوتاً . كم الساعة

يأرسولا ؟ .

الابنة - سيكون منتصف الليل وشيكاً يا جدى

(هناك يندو المم فى الحجرة ويروح .)

الجد - من ذا يعنى حولنا هكذا ؟

المم - ليس فى رى فلا تخف ! لقد أحييت

الشي قليلا (ست) - ولكنى سأجلس ؟ فلت

أرى ممشأى . (ست)

الجد - وددت لو أزيل هذا المكان !

الابنة - إلى أين تقصد يا جدى ؟

الجد - لا أدري إلى أين - إلى حجرة أخرى ؟

لا أبلى أبى ، لا أبلى أبى !

الأب - أين تذهب ؟

المم - إن الوقت جد متأخر ؟ فلا انتقل من

هذا المكان . (ست) . يجلون حول اللادة ، بلا حراك .)

الجد - ما هذا الذى أسمع ياأرسولا ؟

الابنة - لاشئ يا جدى ؟ إنها أوراق الشجرة

متترة . أجل ، إنها أوراق الشجرة متتارة على الشرف

الجد - اذهبي قافلتى النافذة ياأرسولا .

الابنة - سمعاً يا جدى . (تلتق النافذة وتعود

تصلب .)

الجد - إنى لأتفرض من البرد (ست عبل

الأخوات الثلاث إحداهن الأخرى) ما الذى أسمع ؟

الأب - هؤلاء الأخوات الثلاث ، يتهادين

التسليل

المم - أراهن القيلة جد شاحبات (ست)

الجد - ماذا أسمع ياأرسولا ؟

الابنة - لاشئ يا جدى . إنما شبكت يدي

(ست)

الفتاة القروية

لِقَصَصِي الرُّسِّي بُوشِكِين
بقلم السيد عبد الله بن جبري

من القمار ؛ وكان في أخلاقه شذوذ غريب ، فهو يتفق كثيراً من دخله على حديقة يزرعها على « الطريقة الانكليزية » ولا يرضى بأن تكون حربية ابنته إلا أئمة انكليزية الحد ، ولا يزرع حقوله الشاسعة إلا على

الطريقة الانكليزية ، « ولكن الفصح الروسي لا يؤتى أكله إلا يزرع على الطريقة الانكليزية »^(١) ومقابل هذا النقص التواصل في أحواله فان مدخوله لم يزد مطلقاً على ما كان عليه منذ زمن بعيد . وهو رغم إقامته في تلك القرية التواضعة لم يستطع العيش دون أن يستدين بالربا الفاحش ؛ وعلى كل حال فقد كان رجلاً محترماً يوقره الكبير والصغير.

كان « برستوف » شديد التقسو في معاملة متقدي طاعته وأخلاقه ، وكان يجد في طاعات جاره التفرنج عبالاً واسماً فكهم والسخرية ؛ وإذا أحب أحد ضيوفه البذخ والترف خاطبه وفي ثمره ابتسامه ما كره خبيثة قائلاً له : « إنك هنا غير ما لو كنت عند جاري مورسكي ، فأنا لا أحب أن أغلب الانكليز في معيشتهم فأكلف بذلك أموال . يكفيني ما أنا عليه ، وما كان عليه أبائي الكرام . » وكان بعض الجيران ينقل إلى « مورسكي » ما يقوله عنه جاره ، ولكمهم لا ينقلون ما قاله « برستوف » قطعاً ، بل يزيدون فيه كثيراً فيميلون من الحبة قبة حتى إن « مورسكي » تهيج فآثمة نفسه فيأخذ في سب جاره وشتمه ورميه بأبشع الصفات كان يقول عنه إنه « دب » وإنه رجل قروي ابن قروي !

هكذا كانت العلاقات بين الجارين عند ما جاء

بفتح منزل « إشان برستوف » في إقليم من أقاصم روسيا الثابتة ، وكان هذا الرجل يشغل في أيام شبابه في حراسة القيصر ، ولكنه ترك هذا العمل في أوائل عام ١٧٩٧ ، وجاء إلى أراضيه وأخذ يعمل في إحيائها ويقضي فيها ما تبقى من أيام حياته.

كانت زوجته سيدة فقيرة ، ولكنها فقيرة ، وقد توفيت أثناء رحلة كان رحلها في سهوله الواسعة . وبعد أن نسي الحزن الذي تركه فقدما في نفسه شيد منزلاً فخماً ومعمناً للأفشة ، وصار بذلك الرجل المحترم والسيد النبيل في ذلك الإقليم ؛ وكان يزول الجيران ضيوفاً عليه مع أولادهم وكلابهم مما يؤكد في نفسه هذه المنزلة ويشبها

أما ما يليه طلبة الأسبوع فهي سداثة من القطيفة أرجوانية اللون ، وفي أيام السيد « رديموت » من صنع مصنعه

كان « برستوف » محبوباً من أهل قريته رغم مظهره التكبر ، وقطيعه الطويل ؛ ولكن « مورسكي » أقرب جيرانه إليه لم يكن يحبه ، ولا يستطيع محادثته أو الاجتماع به ، لأن « مورسكي » يرى أنه أرض منه قدراً ، وأعظم جاحاً ، وهو الآن أمر قد بنى القسم الأكبر من أمواله في « موسكو » وجاء الآن ليقم في بيته القروي آخر ما تبقى له

(١) مثل روسي

أين منهم خبثات للذن في جالمن الأثقال ، وشعورهن
التفل وأهواؤهن للطرفة .

إن دقت التاقوس يوم الأحد تلتقي في خيلهن
حوادث شتى ، وإن رحلة يقمن بها إلى القرية
الجاورة لقرينهن هي يوم من أيام في حياتهن يؤرخن
به حوادث المستقبل وسوائف الماضي ، وإن نزول
شيف عليهن يترك في نفوسهن ذكرى خالصة تنزل
معهن إلى القبر .

كثير من الناس من يجد في طولات أهل القرى
جمالاً وإسماً للسخرية والهكم ، ولكن رأى هؤلاء
الناس سيظل دون أى تأثير على الحقائق الواقعية
التي تواسها عند هذه النفوس البريئة : الأخلاق ،
والسعادة الفردية التي لولاها لم يكن للانسانية عظيمة
تفاخر بها عن جدارة واستحقاق !

إنه لمن السهل أن نجد في المدن والعواصم نساء
هن على قدر عظيم من الثقافة ، ولكن الحياة سوت
بين هذه التوارق وجعلت قيمة المرأة بمقدار جمالها
وزيئها



يا قارئ المحبوب ، من اليسير عليك أن تدرك
أى تأثير كان لألكسي في نفوس هؤلاء الفتيات ،
فقد كان أول شاب رأين فيه من النموذ ما لم
يستطعن فهمه ، ومن الكتابة ما لم يدركن كنهها .
والمرة الأولى تحدث هؤلاء الفتيات عن الأفراح
للولية ، والشباب القابل ، والأمل للتقود !

كان الكسي يلبس في خصره خاتماً أسود
عليه صورة رأس رجل ميت ، فكان ذلك النظام
يستمرى أنظار أهل القرية ، ويجعل الفتيات أكثر
تعلقاً به وشغفاً إلى معرفته . أما التي أولست به ولوما

« لكسي » إلى قرية أبيه ، بعد أن تخرج من الجامعة
وكان يميل إلى الدخول في المدرسة الحربية
رغم أن ذلك الليل كان مائلاً بمحبه أبوه ، وظل كل
متمسكاً برأيه لا يلين لإرادة الآخر ، وعيناه حول
والده إقناعه بأن العمل في دواوين الحكومة خير
من العمل في الجندية ، ولكنه صمم أخيراً أن يترك
الأيام فضل ما نشاء ، فلم يذهب إلى المدرسة الحربية
ولم يعمل في دواوين الحكومة ، وإنما ظل في منزل
أبيه بمحاجة بوهيمية ، وترك النان لشاربيه فتعوا
نحواً هائلاً وانتشروا في كل سوب .

كان « لكسي » ولد « إيمان وستون » شاباً
لطيفاً ذا قامة رشيقه متأسكة الأطراف جذيرة بأن
تمارس الأعمال الحربية ، وما نظر إليه أحد وهو على
سهوة جواده إلا اختار له أن يكون في الجيش أو
في ساحة الحرب . ولم يقل أحد من الناس إن هذا
الشاب القوي خليق بأن يجلس وراء مكتب الدواوين
طيلة يومه . وكانت صبايا القرية لا يملن النظر إليه
والحديث عنه ، وهو غير مكترث بهن لا يلتفت إليهن
ولا يلقى عليهن تحية ، فزمن أنهما أخذت بحب فتاة في
موسكو . وقالت إحدى من : لقد رأيت بضعة رسالة
في البريد مكتوبة على ظهرها « إلى الآنة أكوينا
بتروفنا كورنشكينا في موسكو » .



إن الذين لم يسددم الحظ بأن يعيشوا زمناً في
القرى لا يمكنهم أن يدركوا ما عليه أولئك الفتيات
من الجمال . أنهن يشمن في الهواء الطلق وفي ظلال
التفاح ولا يفرغن العالم والحياة إلا من وراء الكتب
التي تصل إلى أبيهين ؛ وإن الوحش والحرية واللطالة
تسمى فيهن شعوراً وأهواً ، وتغلقن منهن خبثات

قالت ناشيا وهي تلبس سيدها ثوبها : أنا ذنبن
لي بالخروج في هذا اليوم يا سيدتي ؟

— نعم ولكن أين تريد الذهاب ؟

— إلى قرية (نوچيلوشو) عند جيراننا آل
« برستوف » ، فاليوم حفلة زفاف زوجة الطاهي ،
ولقد جاءت البارحة ودعنا لتناول طعام التداء عندها
— إن أصحاب المنزل سيخفون مع ضيوفهم
في غرف وحدهم ، وسيقرع الواحد منهم كأسه
بكأس صاحبه ، فإنا كنت تودين الذهاب فاسأل
والدي أن يسمح لك بذلك

— ما الذي يعني مما سيفعله أصحاب المنزل ؟
وأنا لك وحدك ولست لأريك ، لنعد الشيوخ الكبار
عند مضيقنا يتنازعون ويفعلون وحدهم ما يحبون
— لا بأس ، ولكن رجائي إليك أن تنظري
« الكسي برستوف » جيدا وأن تخبريني عما
ستجدن فيه من الصفات والخصال ساحة نمودن إلى
خارجت ناشيا وهي تمد سيدها بأن تقوم
بما طلبته منها . وظلت ليزا تنتظر عودتها طيلة النهار
بفارغ الصبر . ولما طلعت في المساء إلى غرفة سيدتها
قالت لها : لقد رأيت الكسي الشاب واجتمعت به مدة
طويلة وظللت معه طيلة النهار
فأجابتها سيدتها : وكيف كان ذلك ؟ تعالى
قصي علي الخبر من أوله إلى آخره

— نعم سيدتي ، ذهبت في الصباح أنا و « أنيا »
و « نائلا » و « دونكا » ...

— نعم ... نعم ، أعرف ذلك ، ثم ماذا حدث ؟
— اسمي يسيدتي ، إنني أحب أن أسرد عليك
الحادثة من أولها . وصلنا عند التداء تماما ، وكانت
الفرقة خاصة بالزائرين والزائرات وكان بينهم زوجة

جاءت ابنة جاره الذي كان يجب أن يبيت على
النمط الانكليزي واسمها « ليزا »

لم تر « ليزا » حتى الآن وجه الكسي رغم أن
التفتت وأبته كلهن . كانت ليزا في السابعة عشرة
من عمرها ذات عيتين فيها دمج يزيد في جاذبية
وجها الأسمر ، ولم يكن لأبها خلف غيرها فكانت
لذلك مدلة منه غيبة إليه ، حتى أودى هذا الدلال
بكتير من خصلها الحليمة . وكانت في حيوتها
تسهر والدها فلا يدري بأي شيء يزجرها إذا
أخطأت أو يكافئها إذا أحسنت ، وكانت مرينها
« مس جوكسون » تخرج عن طورها المتاد رغم
وقارها اللزوم وسنها الكبيرة . كان وجه هذه للرية
كأنه مظهر بللاء أبيض ، وعينها كأن بهما خلا
أحرى وكان عمل هذه للرية أن تقرأ ال : Pamélat^(١)
مرتين في السنة ، وتتقاضى أجرا على هذا العمل
مبلىغا قدره ألفان من « الرويات » في السنة ، وهي
رغم ذلك تزعم أنها ستفجر من الضجر لوجودها
في هذه البلاد البرية

أما خادمة ليزا فاسمها « ناشيا » ، وهي ذات
تكبر بقليل سيدتها التي كانت تحبها جدا جدا وتبوح
لها بكل أسرارها ، فلا تقوم بأي عمل دون أن
تشاورها رأيا فيه . وبالاختصار كانت « ناشيا »
تخل دورا في (أمارة السر) لم تقرأ مثله في أية
مأساة فرنسية

(١) رواية شهيرة للأديب الانكليزي « ريكاردسن »
تبحث بالسلطة والأخلاق وتدور في موضوعها على خادمة
قبة تصير فضيلة نفسها على مكاييها الساقطة ، وهي من أول
ما وضع في القمص الحديث

- « كليتيو » وزوجة « زكهارشو »
 - والكسي رستوف ألم يكن يتكلم ؟
 - نعم ، ولكن لماذا تجلسين ؟ جلسنا إلى
 المائدة ، وجلست زوجة المدير في الصدر وجلس
 أنا إلى جنبها فأخذ بناتها ينظرن إلي نظرات الحسد
 ولكنني لم أبال بهن
 - إن هذه التفاصيل تزججني « يا ناشيا »
 - ماأسرع ماتسجربن يسيدتي ! ثم خرجنا من
 الترفة بعد أن مكثنا فيها ثلاث ساعات ، حقاً لقد
 كانت مائدة فاخرة ، وبعد ذلك ذهبنا إلى الحديقة
 ظهر وتلبس وهناك رأيت الشاب ...
 - هل هو جميل كما يقولون عنه ؟
 - بل أكثر من ذلك ، إنه فوق ماتسجورين
 يا سيدتي ، إنه شاب جميل ، طويل القامة ممتلئ
 الجسم وردي الخدين ...
 - وهل كنت أتصوره أصفر اللون هزئاً ؟
 ولكن أريد أن تصلي لي مطهرة ، هل هو حزين ؟
 هل هو كثير التفكير والتأمل ؟
 - أنتظنين ذلك ؟ إنني لم أر في حياتي كلها
 أكثر منه نشاطاً وحيوية . لقد ظل يركض ويلعب
 منذ طلبة اليوم ...
 - ظل يركض ويلعب ممكن طلبة اليوم ؟ إن
 هذا غير ممكن ! ...
 - لماذا يا تري ؟
 - إذن قولي ما تريد منه « يا ناشيا » ماأراك إلا كاذبة
 - ظني بي ما تشائين ولكنني لا أكذب قط
 - لماذا يقولون عنه إنه عاشق وإنه لا يلتفت
 إلى أحد وإنه وإنه ...
 - هذا ما لا أعرفه يا عزيزتي . كل الذي أستطيع
- أن أقوله لك هو أنه استمرى انشغالي واتجاه « تانيا »
 وابنة المدير
 - إن هذا مما يشير فضولي يا عزيزتي ناشيا ،
 ماذا كان الناس يقولون عنه ؟
 - كانوا يقولون إنه رجل طيب القلب كثير
 اللرح ، نشيط ، ولم يلوموه إلا على شيء واحد :
 كثرة حبه للخدمات واتباعه له . ولكنني
 لا أرى في هذا العمل ما يستحق اللوم . لا بد أنه
 سبها في يوم من الأيام
 - « آه ... ما أهد تشوق إلى رؤيته »
 قالتها وهي تفتش الصمداء
 - ما الذي يمتلك من ذلك يا عزيزتي ؟ إن
 قرية « نوجيلوشو » قرية منا ، وإنما كنت بمنزلة
 في نواحي هذه القرية ، فأنا متأكدة من أنك
 تبتسمين به ، إنه يخرج كل يوم إلى الصيد في الصباح
 الباكر وهو متأبط بنديته
 - أنتظنين أنوم بهذا العمل لكي يحسب
 أنني أحبه ؟ وهل نسيت ما بين أبي وأبيه من خلاف
 وعداوة ؟ أنتدنين ماذا سأفعل يا ناشيا ؟
 ما رأيك إذا لبست ثياب قروية وخرجت
 للآلاف ؟
 - والله إنها لفكرة حسنة . اللبسي ملادة من
 فاش سميك ، واذهي دون أن تخافي إلى قرية
 « نوجيلوشو » وأنا متأكدة من أن ألكسي
 سيجب بك ، وأنه سيجبك
 - وأيضاً أستطيع أن أتكم بلهجة هذه
 القرية ! إنها يا ناشيا فكرة حسنة
 نعمت « ليزا » ليلها نك وهي مصممة على
 تنفيذ ما اتفقت عليه مع خادمتها . وفي الصباح

في أذن ناعشيا كانت تملق بعينها «مس جوكسون»
ثم خرجت من باب القصر الكبير واجتازت
الحديقة وانطلقت تندو في الحقل للثامنة

كان الفجر يلح في الناحية الشرقية والنيوم
الذهبية متراسفة على الأفق كأنها تنتظر مطلع
الشمس، والسماء الصافية، وبرودة الصباح، والندى
والنسيم الليل وصلح الأطياف، كل ذلك أخذ
يملأ قلب «ليزا» سادة أين منها سادة العالم كله !
لما وصلت «ليزا» إلى منتهى حقول والدها
أخذت تسير على سهل بعد أن كانت مسرعة حتى
لو أن أحداً رآها لفظها تليق في الجو ولا تسير على
الأرض. لقد كانت تخشى أن يراها أحد ممن تعرف
وفي هذا المكان جلست «ليزا» تنتظر قدوم
الكنس، فأحست أن قلبها يخفق خفقاناً شديداً،
ولم تستطع أن تجد لهذا الخفقان سبباً، ولكن،
أليس هذا الخفقان الذي يسبب فراحة الشباب وطيشه
هو السبب الأوحى في جذية المرأة ؟

قامت ليزا من مكانها وسارت إلى ظل غيضة
قرية منها، ثم شرعت كأنها حولها شؤواء خفية
يحيط بها من كل جانب، فأخذت سعادتها الأولى
تهدأ شيئاً بعد شيء، ثم شرعت تحمل حلماً عذيباً...
ترى نستطيع أن ندرك في أي شيء تفكر فتاة في
السابعة عشرة من عمرها وهي جالسة وحدها في
ثابة من الثابت وفي صباح يوم من أيام الربيع ؟
سارت، وهي في هذه النمرة الجميلة، في طريق
ظليل بما حوله من الأشجار الباسقة، فظهر أمامها
بجأة كلب سيد جميل، وأخذ يفيح ويمدو ورامها؛
فذهعت «ليزا» وساحت، ثم سمعت صوتاً يقول :

أرسلتها إلى السوق لتشتري لها قاشاً سميكاً كالهي
تلبسه القرويات، أزرق اللون، وأزوداً مصنوعة
من قاش أسفر، ثم ساعدتها ناعشيا على تفصيل
اللادة، وعملت جميع الحاديات في خياطتها، ولم
يأت المساء حتى كان كل شيء جاهزاً

فأخذت «ليزا» ثوبها الجديد بين يديها وتأملته
ثم لبسته ونظرت إلى نفسها في المرآة، فوجدت
أنها لم تكن في حياتها أجمل مما هي عليه الآن،
واجتذأت تمرن على تحمّل دورها فألقت بحجة في
سوت ثافت وهي سائرة، ثم رفعت رأسها إلى جهة
اليمين ثم إلى جهة الشمال وتكلمت كما تتكلم
القرويات، وأخذت تضطك، وسترت وجهها
بطرف كها

كان يزجها في هذا التمثيل شيء واحد، هو
أنها لم تستطع أن تتحمل وخز الأمتاب الشائكة
ولا وخز الحصى البقيق في حديقة الممار. وهنا
أيضاً جاءت «ناعشيا» لمساعدتها فقاومت طول
قدمها وأخذت تبحث عن «توفيق» الرامي،
وطلبت منه أن يصنع لها زوجاً من الأحذية بعد
أن أعطته القياس

قامت «ليزا» في الصباح الباكر ونظرت فيما
حولها فوجدت أن الجميع نائمون، وأن «ناعشيا»
واقفة أمام رتج الباب تترقب قدوم الرامي. وبعد
لحظة سمعت سوت مزماره ورأت القطيع يمر أمام
القصر، ثم تقدم الرامي فأعطى ناعشيا زوج الأحذية
القروية السمكة فتناولته هذه خمسين «كويك»
ثمأها، فانصرف إلى شأنه

أخذت «ليزا» تردى ثياب القرويات في
صمت وهود وخشية أن توقظ أهلها الناعمين، وسمت

— كل ما أراه فيك يدل على أنك ولد البارون

— ... ولكن ... ؟

— أحسب أنني لا أستطيع أن أميز السيد من الخادم ؟ إن لباسك غير لائقنا ، ولقد كنت كليك الآن بلغة غير اللغة الروسية

كان لهذه الكلمات وقع حسن في نفس « ألكسي » فزاد شغفه بها وتقدم نحوها يريد أخضاها بين يديه فارتدت إلى الوراء بسرعة ونظرت إليه نظرات حادة فلم يتالك ألكسي من الضحك ثم سكت ، فقالت له وهي تلزم الوفاق :

— إننا كنت حقا تريد أن تكون أصدقاء

فكن سيد هواك

فقال لها ألكسي وعلى ثغره ابتسامة ودعش :

— من الذي علمك هذا ؟ هل هي ناعيا خادمة سيدتك ؟ إن أخلاقتها الطيبة قد انطبعت في نفسك سورة ثانية

شمرت ليزا أنها لا تستطيع كتم الحقيقة عنه ، فأردت أن تخبره عن نفسها من تكون ، ولكنها امتنعت عن ذلك وقالت له :

— هل تحسب أنني لا أعرف كيف أسمع ولا كيف أرى عندما أكون بين أسيادى في القصر ؟ ؟

ثم أردت قائلة : ولكنني ما جئت هنا كي أمضي الوقت في الكلام منك ، انهب إلى شائك ، ودعني أنا أيضا أذهب ... وداعا !

نهضت ليزا من مكانها ولم تكذب تبتسم قليلا حتى شمرت بأن ألكسي قد أسلك يدها وقال لها : ما أسلك يا عزيزتي الصغيرة ؟

فأجابته وهي تحاول الافلات من يده :

لا تخافى ، نعال إلى هنا يا « سبوجار » ، ثم رأت سيادا شابا يخرج من بين الادلال ويخاطبها قائلاً :

— لا تخافى أيها الفتاة ، إن كلي هذا لا يضر أحدا

شمرت ليزا بالسكون يعود إليها فأجبت أن تستفيد من هذه الصدفة فقالت لأمياد بصوت فيه شيء من الخوف والحياء :

— إنني أخف رغم كل هذا . إن كليك هذا خفيف ، وأحسب أنه سيقى بنفسه على ثانية

أخذ ألكسي ينظر إلى هذه القروية نظرة متفرس ، وقال لها :

— إننا كنت نختارني فأنى أماميك إلى حيث تريدن ، أسمحين لي أن أسير بجنبك ؟

— من الذى يمنحك من ذلك ؟ إنك حر والطريق مشاع للجميع من أين أنت ؟

— من « بيلوتشن » إننى ابنة الحداد « فاسيلي » ، وقد خرجت لأجمع لوالدى قليلا من الكساء :

كانت ليزا تعمل على كتفها سلة صغيرة مدلاة على ظهرها بجمل ، وهي ممسكة بطرفه الآخر — وأنت ؟ ألسنت من قرية « نوجيلوشو » ؟

— نعم ، إننى من هذه القرية وأنا خادم البارون فيها

كان ألكسي يريد من قوله هذا أن ينزل إلى مستواها ، ولكنها نظرت إليه نظرة وضحت ثم قالت له : « إنك تكذب ؛ لست بلهاء إلى هذا الحد وإننى لا أشك في أنك ابن البارون نفسه »

— ما الذى جعلك تتعجبين ذلك ؟

القيام في الصباح الباكر» ثم أخذ يسرد على ابنته أخبار للمؤمن الذين يقرأ عنهم في المجلات الانكليزية وأن جلمهم من الذين لا يشربون «القهودكا» ومن الذين يقومون باكراً في الصيف وفي الشتاء، ولكن ليزا كانت في شغل عن حديثه فإن ما وقع معها في الصباح أخذ يعود إلى ذهنها، وكانت تفكر في نجاحها ساعة خدعت الكسي وكيف صدق أنها ابنة حداد وأن اسمها «أكولينا»... ولكنها شعرت بالندم رغم ذلك النجاح، وبعثاً حاولت أن تفتح نفسها بأن ما حدث لها سوف لا يتجاوز محله، وأن ألوميتها التي قامت بها مع الكسي قد انتهت. لقد كان صوت ضميرها أكثر ارتفاعاً من صوت عقلها. إن موعدنا في النديقلى فكرها، وهامر ذى تكاد تصمم على أن تحلقه، لولا أنها ذكرت أن الكسي سوف يبحث عنها في منزل الحداد، بد أن ينتظرها طويلاً في الثابة، وأنه سيجمع بانية الحداد «أكولينا» صاحبة الوجه الدقيق والجسم النحيل، وأنه سيفعل على حقيقة هذه الهزلة كانت هذه الفكرة تخيف «ليزا» فتتقن بأن «أكولينا» ابنة الحداد ستخرج في صباح اليوم التالي بدلاً منها إلى النيسة وأنها ستفكر «الكسي» وأنه سيحبها... أما الكسي فقد كان مسروراً أى سرور وقد ظل طيلة يومه يفكر في صديقته الجديدة، ولما أقبل الليل ظلت صورة الفتاة ذات السمرة الجيلة تقمر أحلامه

لم تكد الشمس تشرق حتى كان الكسي على أوبة الخروج، فاططحت كلبه الأمين سوجار وركض إلى المكان الذى تواعدا على أن يجتمعا فيه ظل الكسي ينتظر قدوم حبيبته نصف ساعة (٥)

— اسمي «أكولينا»، دعني أذهب يا سيدى، لقد تأخرت
— إذن سأزود والدك «فاسيلي» الحداد في الند
— ماذا تقول؟ بالله عليك لا تذهب، إن والدى إذا علم أنني تحدثت معك، وأنا كنا وحدنا في الثابة، فانه سيضربني ضرباً مبرحاً
— ولكنى سأبقى لأراك فقط
— إذن سأعود إلى هذا المكان لأجمع الكساء !!

— متى؟؟
— إذا كنت تريد فاني أجيء في الند
— في الند يا عزيزتى، أليس كذلك؟
— نعم... نعم.
— أحقاً ما تقولين؟
— صدقنى يا عزيزتى
— أفسى يجينا بالله لنأين إلى هنا في الند.
— أقسم لك بالله

افتراقاً. وخرجت ليزا من الثابة واجتازت الحقل الواسعة وهي مسرعة جادة في سيرها، ثم دخلت الحديقة فوجدت خادمها ناشيا في انتظارها فبدلت لها ثيابها، وأجابتها ليزا على أسئلتها التي كانت تلقها عليها جواباً مقتضباً، ثم دخلت الباد فوجدت الطعام حاضراً وأهلها ينتظرونها، وكانت مرييتها «مس جوكسون» قد حمرت وجنتها وشملت مئبرها فبدلت كأن جسمها جسم محبة، وكانت تقطع الخبز قطعاً دقيقة، ثم التفت «مورمسي» والد «ليزا» إلى ابنته واستمع زهرتها التي قامت بها في الصباح وقال لها: «ليس أحسن للجسم من

٤ : « أريد الدعاب » فافترقا
ظل ألكسى وحده في الغابة فأخذ يسأل نفسه
كيف أن هذه الفتاة القروية التي لم يجتمع بها أكثر
من مرتين استطاعت أن تستحوذ على نفسه وتغلب
عليه إرادته
كانت علاقته مع أ كولين لا تزال محتفظة
بجديتها وبريقها ، فهو رغم تخليها النورية لم يخطر
له يوما من الأيام أن يخلف وعده معها . لقد كان
ألكسى رجلا ذا قلب نقي يقدر الفتاة البريئة حتى
قدرها رغم غامق الأسود ، وصراسلته السرية ،
ونظراته المهمة ١١



لو أننى استمتعت إلى ما يوحىه إلى ذوقى لما
تأخرت من وصف اجنات هذين الخوفين وصفاً
شاملاً ، ووصف حبهما للتواصل ، وثقة كل
منهما بالآخر ، وأحاديثهما الشائقة ، ولكنى
أخشى أن يوجد بين قرائى الأعزاء من لا يشاطرنى
هذا الشعور ، ولكن الغالب في هذه التفاصيل أنها
كافية ، فلا على إذن إلا أن أقول : إنه لم يمر على
« ألكسى » و « ليزا » شهران حتى كانا متحابين
حباً جماً ، وأن ليزا رغم ما تبديه من عدم
اهتمامها بالوضع كانت تحب « ألكسى » أكثر
من حبه لها

لم يفكر أحد منهما في المستقبل قط ، ولم يخطر
لها أن يحلا هذه المشكلة بالتفكير في العاقبة ،
فألكسى لا يستطيع أن يحو من فكره أن هذه
فتاة قروية ، وأنه سيد شريف ، رغم ما بينهما من
حب ، و « ليزا » لم تنس شدة البغض بين والديهما ،
وكذلك « ألكسى » ، فإنه ما فكر يوماً في أن

وأخيراً شاهد ملامه زرقاء تلح بين الأدغال ، فوثب
يريد ملاقة عزيزته « أ كولين » ؛ فضحكت هذه
لرؤيته ، ولكن ألكسى لم يلبث أن تبين في وجهها
أمارات الاضطراب والحزن ، فأحيان يرفسبب
ذلك ، فأخبرته ليزا بأن هذه الحيرة التي تستملها في
جميع شؤونها تسبب لها هذا الحزن ، وأنها نعمت على
ما بدا منها ، وأنها لم تأت اليوم إلى هذا المكان إلا
لتنى بوعدها ؛ وأنها تريد أن يكون هذا الاجتماع هو
الاجتماع الأخير ، وقالت له : « أريد منك أن تقطع
هذه الصلات التي ربما أوصلتنى إلى ما لا أحبه
وأرجوه »

لقد كان لهذه الكلمات على ما فيها من بساطة
وقع شديد في نفس ألكسى ، فاستعمل كل ما أوتي
من مقدرة وذكاء لكي رد أ كولين من غمها ،
وأكد لها أن كل ما قالته إنما مصدره قلبها الساذج
وحبها البريء ، ووعدها بأن يطيعها في كل شيء
وأن لا يكون بينهما من الصلات ما يجز إليها الندم ، ثم
طلب إليها ألا تحرمه السعادة التي مجدها ساعة
يجتمع بها ، وطلب إليها أن يراها مرة كل يومين
أو على الأقل مرتين في الأسبوع

كان ألكسى في حديثه هذا صادق السريرة
شريف الهوى ، أوفى ما يكون بحبيته ؛ وكانت
ليزاضمنية إليه ، ثم رفعت رأسها وقالت : عدنى بأن
لا تطلب منى موعداً غير الذى أشره لك ؛ فهم
ألكسى بأن يقسم لها بما يحب على ذلك ، ولكنها
ملتته وقالت له : وحى تقسم : « لست بحاجة إلى
الحين وإنما وعدك كافٍ يا عزيزى ... »

عندها أخذتا يتحاذكان وهما يسيران في الغابة
جنباً إلى جنب ، وبعد لحظة التفتت إليه ليزا وقالت

« إيفان برستوف » إلى جاره وعدوه « مورمسي » قبل أن يصيبه أذى ثم أمر خادمه الذي كان معه فأمسك بلجام بنته وأأجعه على السمود فوق ظهرها ، ثم اسطحبه « برستوف » إلى قريته ، وهكذا دخل القرية مكللاً بالنصر يحمل معه أرنياً ويصطحب عدوه المجرّوح كما لو كان أسيراً من أسرى الحرب كان حديثهما على اللائدة فيه كثير من اللطف والمحبة ، وقال مورمسي لجاره : إن ألامه لا تمكنه من العودة على بنته فهو يفضل أن يعود إلى القرية في عربة « برستوف » فاصطحبه « برستوف » إلى خارج منزله ، ولم يدعه مورمسي يرجع حتى أخذ منه وعداً جازماً بأن يتناول طعام التئام عنده وأن يصطحب معه ابنة ألكسي في الند . هكذا أنهار صرح عدووة عمين الأساس بفضل نزوة من نزوات بنّة انكليزية خوّوف !

في المساء ، ركبت ليزا لاستقبال والدها وقالت بدهش : « ما ذا حدث لك يا أبي ؟ لم تطلع في مشيتك ؟ وأين حسانك ؟ هذه المرة لمن ؟ »

— « إن الذي حدث لي لا يمكنك أن تصدّقه يا عزيزتي » ؛ ثم أخذ يسرد على ابنته الحادثة بمنافيرها ولا انتهى قال : وسأنتظر أسدق آل « برستوف » في ظهر الند لتناول طعام التئام معاً فصاحت ليزا وقد امتنع لونها : « ما ذا تقول يا والدي ؟ إن آل « برستوف » سيحبّون في الند لتناول الطعام عنده ؟ لا ... لا ... يا أبي افضل ما تحب ، أما أنا فاني سوف لا أظهر أمامهم مطلقاً — لانا ؟ هل أنت مجنونة ؟ ما إخطاك إلا ورت كثيرًا من بنفي لم . دعي عنك هذه الرساوس الصيبانية يا عزيزتي

يطلب يدعا للزواج ، وهي ابنة الخلداد ، وهو البازون اللبيل ، إلا وشعر بالأم يحز في كبرياء نفسه ؛ ولكن حادثاً جليلاً وقع فحسن ما بين هذين الحبيبين من حال

في صبيحة يوم من أيام الربيع الباردة خرج « إيفان برستوف » والد ألكسي إلى الزهرة والصيد مبتلياً صهوة جواده ، وكذلك شادت الأقدار فخرج جاره « مورمسي » والد « ليزا » ، وأمر الخدم فأمرجت له بنته الانكليزية وراح بطوف على قراه ومسا كنه يتفقدتها . ولا اقترب من النابة ، وجد جاره على جواده منتظراً ظهور أرنب من النابة ، ولو أن « مورمسي » لحه من مسافة أبعد من التي بينهما الآن ، لثني زمام فرسه ، ولعاد أدراجه حتى لا يجتمع به ؛ ولكن أتى له ذلك وهو الآن على بعد خطوات منه ؟ فاضطر « مورمسي » إلى التقدم نحو عدوه ، وإلى إلقاء التحية عليه ، ولكن رد « برستوف » على تحية جاره كان فيه من اللباقة والتلطف أكثر مما في تحية دب أبيض مطيع لأوامر صاحبه وهو يمرض على جماعة من التفرجين . وفي هذه اللحظة خرج من النابة أرنب بري ، وأخذ يسوق في الحقل فصاح « برستوف » بخدمة ترك الكلاب تمدو وراده ، ولكن بنّة مورمسي التي لم تمدود القهاب إلى الصيد رجعت إلى الوراء وشرعت تمدو ثم وقفت في حفرة لم ترها فوق مورمسي بمن ظهرها وسقط على الأرض الباردة بما عليها من جليد ، وظل مستلقياً هناك على ظهره يشتم البنة التي وقفت عن عدوها لا أحست أن صاحبها قد وقع عن ظهرها . عندها ركض

— لا يا والدى ، ليس إلى إقتاعي بالظهور أمامهم من سبيل
فرفع كفتيه ، وامتنع عن الحديث معها ، لأنه
يعرف عناد ابنته حق المعرفة ، ثم قام إلى سريره
ليسترخ من عناء ما حدث له في الصباح

دخلت ليزا غرفتها ، ودعت خادمتها نلشيا ،
وجلستا يتحدثان عن هذه الزيارة . كيف ترين لو أن
ألكسى جاءني ورأى أن أكون لست إلا ليزا
ابنة البارون ؟ ما فاسيكون موقفى منه ؟ إنه ليس رضى
أن أرى وجه ألكسى مشدوها بهذه المفاجأة السارة .
ثم قالت فجأة : « إننى أود أن أقوم بعمل غريب »
وحدثها به فمرت نلشيا كما سرت ليزا واتفقتا على
تفذيدها

في الصباح سأل « مورمى » ابنته ليزا عما
إذا كانت لا تزال مصممة على عدم الظهور أمام آل
برستوف فأجابته قائلة : « بما أنك تريد ذلك يا والدى
فاننى سأظهر أمامهم ، على أن تقبلنى فى أى شكل
أظهر فيه ، وألا تتعرض على ما سألبسه ساعة
أجلس معهم فى الظهور » فأجابها ضاحكا من قولها :
« وهل لديك غير هذا ؟ إفضلى ما تشائين . فانى
راض عنك » ثم قبل ابنته فى جبينها واطلقت إلى
غرفتها تنهبا للمفاجأة

فى الساعة الثانية عظاما دخلت عربية قروية
يفودها ستة من الخيول إلى داخل حديقة القصر
ونزل منها برستوف المجوز فجاء إليه خادمان من
خدام « مورمى » وراقاه فى سمود درجات
السلم المريض . ثم جاء بعده بقليل ابنة « ألكسى »

ممتليا صهوة جواده ، فدخل الاثنان غرفة العظام
ثم دخل عليهم مورمى وتلقاهم بالترحيب وأخذ
يطوف معهم فى حديثه الانكليزية الجميلة ، ويربهم
مطبخه الفخيم ، ويسير معهم على رقيق من الرمل
التام بجبل الهندسة . فقال برستوف وقد خفض
من صوته احتراماً لشعور مضيئه : « ما أكثر
الأوقات التى تضيقها فى هذه الأمور التافهة يا جارى
العزيز » ، وكان ألكسى فى شغل عما هافيه من
الحديث ، كان يفكر فى ابنة مضيئه وما هي عليه
من الجمال البارع الذى طالما سمع الناس يتحدثون
عنه ، رغم أنه يحب كاف ليزا ، فقد كان للعجب
حظ أكبر من انتباهه

دخل الثلاثة غرفة الاستقبال ، وأخذ برستوف
ومورمى يتحدثان عن ماضيهما وعن أيام الجندية
وأخذ الكسى يفكر فى موقفه من ابنة مضيئه
ليزا ، فقرأيه على أن يظهر أمامها فى صورة ثم
عن عدم الاكتراث ، ثم هيا نفسه لذلك ،
وفجأة سمع الباب يفتح فنادى رأسه يخطه وتكبر
حتى لو أن أكثر نساء الدنيا تنظروا وأتوه رأته فى
هذه اللحظة لأرتجف فؤادها . ولكن بدلا من أن
تكون الماخلة ليزا ، كانت مرييتها « ميس جوكون »
وقد تطورت وطلت شفتيها وخديها بالأحمر وغضت
من طرفها ، ولم تكذب تجلس فى مكانها حتى افتتح
الباب ثانية ، وكانت الماخلة هذه المرة هي « ليزا »
فوقف الجميع لاستقبالها وشرع والها يقدها إلى
ضيوفه ، ولكنه وقف فجأة وعرض على شفتيه ...
ليزا ، ليزا الجميلة السمراء قد طلت وجهها حتى أذنيها
بالأبيض ، وعيونها الجميلة أقبح من عيون مرييتها ،
وهي مرتدية ثوبا كما كان يلبس الناس فى أيام

يا كل أكل أكلة من الرجال الأصحاء ، ويشرب كثيراً ، وهو في كل ذلك مسرور ! وأخيراً قام الجميع من حول اللادة ، وذهب الضيوف إلى منازلهم وخلا الجو لوالد ليزا ، فضحك ما شاء أن يضحك ، وسأل ابنته ماذا تريد من هذه السخرة التي قامت بها ثم قال : « إن اللون الأبيض لما يوافق جمالك ويفسح مع تركيب قوامك الجليل يا ابني ، وإن كان ليس لي حق التدخل في زينة النساء ، ولكنني إذا كنت مكانك لما ظهرت إلا في الأبيض من الثياب أو اللطاف والزينة » ولكن ليزا لم تجب والبها على أسئلتها بل أخذت تصفق لتعابها ، وتقبل والدها ، وهي تلمح بأن تفكر في نصيحته ثم راحت تخفف من ثوبه صريحتها « مس جوكسون » التي امتدت طويلاً عن أن تدخل ليزا إلى غرفتها - أو أن تقبل معذرتها . قالت ليزا :

— إنني خجلت من أن أرى ضيوفنا لوني الأحمر ، ولم أجد منسماً من الوقت ، فأطلب إليك السماح لي بتناول قليل من اللطاف ، ولكنني كنت متأكدة من أنك يا عزيزتي « مس جوكسون » ستصفحين عن زلاتي هذه . فسكنت « مس جوكسون » وأخذت تقبل ليزا ، ثم أهملت إليها حقاً صغيراً من اللطاف الانكليزي الأبيض قبلته مع إبداء الشكر الجزيل أما على يقين من أن القاري سيوافقني إذا قلت له إن ليزا خرجت في الصباح التالي لللافة « الكسي » ولأدائه قالت له : « هل كنت البارحة عند البارون يا عزيزتي ؟ كيف وجدت ابنته ؟ » فأجابها الكسي بأنه لم ينظر إليها طويلاً ، وإنما لمحها لحماً سريعاً ، فقالت ليزا : « إن في ذلك أدلة وضراً » . فسأله الكسي :

« لويس الرابع عشر » فكانت في جلستها كأنها حرف (X) ، وقد وضعت في جيدها وأصابعها وفي أذنيها حل والفتها القديمة
أني لصاحبنا الكسي أن يجد في هذه الفتاة المضحكة عزيزته الجلية أكوينا ؟ ثم قبل يدها السجور پرستوتوف وفصل مثله ابنته الكسي ، ولكنه عند ما وضع أصابعها الرقيقة على شفتيه أحس أنها ترتجف ، ولاحظ أن حذاءها ليس على تمام الانسجام مع بقية ما تلبسه

لم يستطع والد ليزا أن يراها ابنته على هذه الحال أن يملك نفسه ، ولكنه ذكر وعده لها فكتلم غيظه ، ثم ما لبث أن انفجر ضاحكاً . وأما صريحتها الانكليزية المتصنعة في ملابسها وفي كل شيء ، فقد لازمت السموت والوقار ولم تضحك ، وكانت متأكدة من أن ليزا قد استهلك في فلتها هذه كل ما في خزائنها من لطاف فاضطربت وانغاضت ، ولم يستر غيظها بياض اللطاف وكثافته فبدت وجنتها حراوين ، وأخذت تلقى على ليزا — الساهية في هذه اللحظة — نظرات ملؤها الحقد ، ولكن ليزا لم ينجبها ، إنها كانت تريد أن تجعل الكلام في هذا الموضوع إلى ما بعد خروج الضيوف

ولما جلسوا إلى اللادة ظل الكسي على ما هو عليه من عدم الاهتمام والاهول ، وأخذت ليزا تتمدد اللطف والتمنن وتحكم الفرنسية بأطراف شفتيها الرقيقتين ، وعلى حبل . كان والدها لا يرفع نظره عن وجهها ، وكان في حيرة وذهول لا يدري ما الذي دعا ابنته إلى تمثيل هذه الهزلة التي كانت رغم كل ذلك مسلية للغاية ، ولم يكن أحد من الحاضرين مسروراً كسرور « إيشان پرستوتوف » الذي شرع

البريد الذى اتفقا على أن يضا رسالتهما فيه هو عبارة عن حفرة صغيرة في سندلية مجوز ؛ وكانت نكشيا خادمة ليزا تقوم بوظيفة ساعي البريد .

كان الكسى يودع في هذه الحفرة رسائل مكتوبة بأحرف كبيرة ، ويأخذ منها رسائل على ورق أزرق مكتوبة بخط مبهم ، ولكن كان يلاحظ أن كتابة أ كولينيا آخذة في التقدم ، وإن ذكائها يمتد يوما بعد يوم نحوًا محسوسًا . وكانت علاقات إيشان برستوف مع جاره مورمىكي تزداد وثوقًا حتى اقتبلت إلى صداقة متينة

كثيرًا ما فكر مورمىكي بأن ابن جاره ميرث أموال أبيه الطائفة ، وأنه سيمسح أغنى رجل في الإقليم ، وأنه لا عذر له إلا أن يتزوج ابنته ليزا ، كما أن برستوف المجوز كان يفكر مثل تفكير جاره . وكان من أثار بـمورمىكي «الكسوف رفسكى» وهو رجل نبيل ذو يد طولى عند الحكومة ، وفي استطاعته أن يساعد الكسى . وكان إيشان برستوف على تمام اليقين من أن جاره مورمىكي سيستبشر عند ما يخاطبه بخبر زواج ابنة الكسى من ابنته ليزا !

فكرا في هذا الموضوع طويلا حتى قبض لهما أن يشكلا فيه ، فوجد كل منهما أن صاحبه يريد مثل ما يريد هو ، فاتفقا على ذلك وتصالفا وهما رجوان من الله أن يحقق أملهما السيد . وأخذ كل منهما يمدح السبيل من الناحية التى تتعلق به ، فكان من الصعب على مورمىكي إقناع ابنته ليزا بضرورة التنازل مع الكسى الذى لم تره بعد ذلك النداء الجليل في قصره ، والذى يظهر لنا هو أن هذين الشاين لا يروق لهما أن يمتصا سوية ، فان الكسى لم يعد إلى قرية ليزا مرة ثانية فيزورها في

— لماذا ترى ؟
— لأننى أحب أن أسألك هل صحيح ما يقولون ؟
— ومماذا يقولون ؟
— إننى أشبه فتاة البارون
— معاذ الله ، إنها مسخ بالنسبة إلى جمالك الزاهي يا عزيزتى
— آه ؛ إن في قولك هذا خطأ لا ينتفر ، إن فتاة السيد يضاء ظرفة ، أما أنا ...
فأنضم الكسى بأنها أجل من كل يضاء في العالم ، ثم أخذ يصف فتاة البارون بلهجة الساخر ليو كد لها تبسما ، فلم تنالك ليزا من الضحك طويلا ثم تنفست السداء وقالت له : « كيفا كانت يسيدى فأننى أماسها فلاحه جاهلة لا أحرف الكتابة والقراءة »
— وإن كان ذلك فليس في جهلك القراءة والكتابة ما يحزن يا عزيزتى ، وأنا مستعد لأن أعلمك كل هذه الأشياء في وقت قريب
قالت ليزا : هل نستطيع أن نجرب ذلك الآن ؟
— « نعم ، هيا بنا » . ثم جلسا على الأرض وأخذ الكسى قلما ودفترًا بيده ، وابتدأ يلقن أ كولينيا مبادئ القراءة فوجد أنها تتفهم بسرعة مدعشة ، فسر من ذلكها ؛ وفي اللند أحب أن يعلمها الكتابة فوضع القلم في يدها ، ولكنه وقع من بين أصابعها اليسرى ، وبعد مضي لحظات استطاعت أن ترسم الحرف رسما لا بأس به ، فقال لها : « إنها أنجوبة والله ، إنك تطلين بسرعة مدعشة يا أ كولينيا » ؛ وبينما كانت ليزا تقف عن القراءة لحظات تتكرر الكلمة التى تريد أن تقرأها كان الكسى يحس أنه في غمرة هدوء عميقة وسعادة لا تدرك . وبعد ذلك أخذنا يتراسلان ، وكان صندوق

وأكلت الثمن ولم أترك لك درهماً واحداً . وإلى
أدعك تفكر في هذا الموضوع ثلاثة أيام على أن
لا أواجهك أثناء ذلك مطلقاً

لم يكن الكسي يحسب أن والده سلب في رأيه
إلى هذا الحد ، ولكن هو أيضاً قد ورث عنه هذا
العناد ، فكان من الصعب أن يتبر أحد رأيه الذي
براه . ثم دخل إلى غرفته ، وجلس يفكر في سلطة
الأب على أبنائهم وكيف أنه يريد أن يدفعه فقيراً
يتسول ، ثم فكر في ليزا ، وأخيراً في أكولينا ،
وشعر للمرة الأولى أنه مأخوذ بمحبها ، ثم خطر له
أن هذه فتاة قروية ، وإنه إن رفض ما يدعو إليه
والده ، سيضطر إلى العمل حتى يكسب قوته

أقبل الشقاء ، فخطر الكسي وأكولينا على
الافراق زمناً وكبب الكسي إليها رسالة فيأينة
بالشمر والحب ، وحشها فيه مما يشعر به من الوحشة
والأسى وختم الرسالة بقوله : « ستميش سوية
يا عزيزتي »

ثم ركن إلى حفرة السندباد وأودع فيها
رسائله ثم عاد إلى غرفته ونام وهو مسرور بما قام به
في صباح اليوم التالي ذهب الكسي إلى قصر
جيرانه آل مورمسي ، وكان يود من زيارته أن
يحدث البارون حديث قلبه ، ويخفي إليه بمكنون
سره ، ويخبره بأنه لا يود الزواج من ابنته ليزا ؛
وكان يأمل أن يقنعه بما يريد ، فأخذ يستجمع في
نفسه عظمته وكبريائه ، ليحبل منها نكأة يستعين
بها على النجاح ، ثم أوقف جواده أمام سلم القصر
وسأل عن السيد هل هو في غرفته ؟ فأجابه الخادم
بأنه خرج باكراً وأنه لا يدبسد . فقال في نفسه :

القصر ، كما أن ليزا كانت تختفي في غرفتها عند
ما يزورهم « إيفان بروتون » وكان مورمسي يرى
مجرد زيارات متواصلة يقوم بها ابن جاره الكسي
كافية لأن تحمله محباً من ابنته ليزا

أما إيفان بروتون فقد كان لا يشك في نجاحه
مع ابنته ، وفي مساء يوم دعاه إلى غرفته ، وسد أن
أشمل غليونه ، وصمت قليلاً قال له :

— منذ زمن طويل وأنت لا تكلمني في موضوع
دخولك في الجيش . يجبل إلى أنك لم تصدح
ذلك ؟ فأجابه الكسي باحترام : « لا يا والدي إنني
لم أمتنع عن الدخول في الجيش إلا لئلي بأن ذلك
مالا تحبه لي وإن من واجبي أن أطيعك » فأجابه
والده إيفان : « حسن يا بني إنني جد مسرور من
إطاعتك لي ، ولكن قبل ذلك أحب أن أزورك »
فصأله الكسي بدهش : « ممن تحب أن تزوجني ؟ »
— « من ليزا مورمسي . إنها خلية ليس لها
مثل . أليس كذلك يا بني ؟ »

— ولكنني يا والدي لا أفكر الآن في الزواج
— فليكن ذلك ، لقد فكرت أنا فيه طويلاً
فوجدت أن من المالح لك أن تزوج

— لك ماتريد يا والدي ، ولكن ليزا لا تنجبني
— ستحبك في يوم من الأيام . إن الحب
يا بني يلمع مع الزمن

— أصرر بأني لا أستطيع أن أسمدها يا والدي
— ومن الذي يكلمك في سادتها ؟ إنك بهذا
الحديث ترفض إطاعة والديك

— سوف لا أتزوج منها ، ولن أزوج مطلقاً
— بل ستتزوج منها رغم أنك ، وإلا حل
عليك غضبي ، وبمت كل ما أملك من الأرض

يا خسارتى ... إذن ليزا هل هى هنا ؟

— « نعم يا سيدى » فنزل ألكسى عن صهوة جواده . وترك زلمته فى يد الخادم ودخل دون استئذان، وخطر له وهو يتقدم من غرفة الاستقبال أنه فى هذه الثرفة سيحدد مستقبل حياته ، وعزم على مصارحة ليزا ، فلعل ذلك يكون أوقع فى نفسها وأيسر حلاً

ثم دخل ... ولكنه وقف حائراً ... ليزا ... لا ! أ كولينيا يا عزيزتى أ كولينيا ، يا سمراء اللون أين اللادة الزرقاء ؟ أين الطلاء الأبيض ؟ إنها جالسة أمام النافذة. تقرأ رسالتى

كانت ليزا فى ذهول عميق حتى أنها لم تسمع وقع أقدام ألكسى وهو داخل عليها ، فلم يستطع ألكسى أن يمتنع فى حنجرة صيحة دهر وفرح، فوثبت ليزا فى مكانها ، وصاحت مذهورة ، ثم انطلقت تودع الحرب، ولكن ألكسى ركض وراءها

وقبض عليها وهو يقول :

— « أ كولينيا ... أ كولينيا » فأجابته هذه بالفرنسية : « دعنى ، مآ لك ، دعنى ، هل أنت غيول ؟ » قالت ذلك وهى ممرضة عنه بوجهها ؛ فأجابها وهو يقبل يديها : « أ كولينيا ، يا عزيزتى أ كولينيا ! »

كانت « سزجوكسون » واقفة تشهد هذا الحادث التريب، ولكنها لم ترمعاً نمله . وفى هذه اللحظة افتتح باب الثرفة ، ودخل والد ليزا ، مورسكى وهو يقول :

— آه ... آه ... يخيل لى أن المشكلة قد انحلت !

واسمح لى يا قارئى الحبيب أن أتركك هنا ، وأن أدعك تفكر فى النهاية دون إرشادى
« بيروت » من الرتبة العزيمى

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فى المصر لوسيه ، والأوذسية لمومبروس ، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

اثنتى ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون مجلد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسائل بمجدة بالأسهمه الوتية

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة فى مجلدين

وذلك عند أجرة البريد وقطرها خمسة قروش

فى الداخل وعشرة قروش فى السونان وعشرون

قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

عليها وقتت ليل جئت مبكراً فمتدما
أنتهى من الصلاة يكون الموعد
قد حان

وعندما فرغت من الصلاة
سمعت طرقاتاً على الباب ففتحت
ووجدت سيدة في ثياب فاخرة
ومهاقناتة يافعة ورجل مهم وشاب

آخر . وقد اختفت نظراتهم إلى : أما الفتاة فأنها
أخذت تنظر إلى من وراء منظارها البهي نظرة
الدهاش ، وأما السيدة فكانت نظراتها لا تدل على
شيء من الاهتمام ، وأما الرجل الكبير فيظهر أنه
رآني من قبل فلم يستغرب ، وأما الشاب فأخذ يبتل
من نظراته . وبدل أن يقدموا نحوي فمضوا فحسب
أقرب بعضهم من بعض وأخذوا يتهاوسون

وبعد قليل خرجت زوجة المستر هوج ومعهما
بناتاهما فرحبتن بالزائرين . ووقع نظرهن على فمسين :
« الأمير هنا أيضاً ! ثم سألتني هل جئت من زمن ؟
ورجعتني . وقد وجدت الزائرين ينظرون إلى نظرة
أخرى عندما سمعوا أنني أمير ، فسمعت أن الرجل
التقدم في السن عضواً من أعضاء الشركة ، وتذكرت
أنني رأيت بين الأربع والشربين . وأما الشاب فمن
أكبر العلماء بالأمور الشرقية . وهو يعرف لغات
متعددة منها الفارسية وقد جاء به عضو الشركة
ليترجم أقوالى . وهو يأنبة في اللغة العينية
وأما السيدة الكبرى فهي زوج عضو الشركة
والفتاة بينهما

وأخبرتني زوجة المستر هوج بأن عضواً للشركة
يقب (بالناوب) وهو لقب هندي أطلقوه عليه
لأنه أقام في الهند مدة طويلة

حَاجَجِي يَا فِي تَحْكَلَا

تأليف جيمز موير
بتأليف الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل السابع والثلاثون

الاستمرار

شغلت نفسي سائر اليوم بكتابة المطالبات التي
كلفتني بها السفير لكي أفرغ منها سريعاً فأتتمكن
من حضور المشاء في بيت المستر هوج
وأخيراً جاءت الساعة الميعونة التي تمكنت فيها
من الذهاب ، فترت ولبست أجمل ثيابي وذهبت .
وكان السفير قد أعطاني شيئاً من المال فلبست
جوداً حريراً لأول مرة في حياتي وقتت في نفسي :
لأرأسمدني الحظ بالزواج من حبيبي يسى لاسمأننت
على مستقبلتي وصرت في غنى عن خدمة الملوك
والحكومات

ولما وقتت ياب المستر هوج زلت قدي
تقشامت وطرقت الباب فلم يجبني أحد ، تقشامت
مرة أخرى وسألت نفسي هل أخطأت الطريق
وهل هذا منزل آخر أم ساعتي مغللة فكان يجيبني
في غير الموعد المضروب ؟ وأخيراً فتح لي الباب
رجل مهم فدخلت ولكنني لم أجداً أحداً من أهل
الزل في انتظاري

جلست في غرفة الانتظار ورأيت بها سجادة
كاثي نعل عليها معلقة على الحائط فترعتها وصليت

الورد وبجانب زوجة للستر هوج، وبجانب الورد زوجة النابوب، وكانت الأطلسة والأشربت في الوليمة أشبه بما في قصور الملوك منها بأمثال هذه العمار، وكانت الأضواء اللويدة مما يهر الأنظار

وكنتم متطبعا بكاني في الوليمة إذ من الذي يصدق أنني أجلس بجانب صاحبة العمار على رأس اللائدة وبجوارى أحد الوردات

وكان العالم للترجم جالسا أمامي ليرجم ما أقوله وبجواره ماري ثم الهاني، وبجواره بنت النابوب ثم قصير الشارين ذو الهماز بين كريمي للستر هوج، وكنتم شديد النيت من جلوس يسي بجانبه لأنني كلما أدركت أن أمتع نظري برؤيتها لم أستطع تجنب النظر إلى وجهه البشيع

وكان الورد قليل الكلام ولكنه إن تكلم فبادب قدر، وقد أجمه إليه صاحب العمار بكليته فأركا إياي للعالم للترجم. أما عضو الشركة فكان يكثر من الكلام، ولكن كلامه كان قاصرا على

الهند وعوائلها وأخلاصها ومالياتها وصناعاتها. وأما زوجته فكانت تزدان من الحلي بأكثر مما يحمله الدرويش الفارسي من الأحجية، وكانت تكثر من شرب النبيذ. وعلى ذكر النبيذ أقول إن شربه هنا علامة على الود مثل أكل الخبز والملح عندنا

وقد شربت في هذه الليلة مع كل الضيوف، وكانت هذه أول مرة شربت فيها منذ خرجت من إيران

وكان الطبيب رجلا واسع المعرفة فلم يدع من أصناف الطعام شئنا إلا تكلم عنه من الوجهة الطبية

وأخذ للترجم الذي معه مخاطبتي باللغة الفارسية فلم أضم كثيرا، إذ يظهر أن اللغة الفارسية التي يرمها هي لغة الكتب الراقية

ولما استقر بنا الجلوس جاء ضيوف آخرون من بينهم حمام وطبيب وضابط بالجيش برتبة كولونيل وجاء وقت العشاء ولكن أصحاب المنزل قالوا إنهم ينتظرون لوردا دعي إلى الوليمة. وبينما نحن في انتظار الورد إذ فتح الباب ودخل منه بدلا من الورد ذلك الشاب البشيع الذي يتافس في الحب والذي عرفه للقراء بأنه حليق الشارين ذو همماز في حياته، وكانت رؤية هذا الشاب تبعث في فسي من الغيرة ما لم أعتده وما لم أكن أحب أن أوصف به، وجلس إلى «يبي» وأخذ يلاطفها بمثل ما كنتم أعتاده لنفسه، ولكني لا أجرو عليه، وكان مرئسا على وجهه أنه يحب نفسه وأنه فرح بها وفي لسانه لفة، ولكنه مع ذلك باني أن يكون قليل الكلام.

وبعد نصف ساعة أخرى جاء الورد الذي كنا في انتظاره، وكان فرح الأسرة به زائدا عن الحد، وقدم له الأب بناته بعد أن قدسفن الأم زيادة في الحفاوة به. وزاد هذا الورد من احترامه إياي عند ما أخبروه بأني أمير

وعلمت أن هذا الورد من أكبر سادات الانكليز، ولكنه كثر من رأيهم من الوردات أشبه بالهراويس منه بأصحاب السكاة السامية، وكان إذا تحدث سكت الجميع وأحسنوا الانصات وأخيرا بدأت الوليمة فاجلسوني في صدرها مع

البيضاء عزيزة لندرتها ولا يركبها عندنا إلا وجهاء الناس»

ولما انتهى الطعام قام السيدات كالمادة وظل الرجال يشربون الخمر ، ثم عدنا بعد ذلك إلى غرفة الاستقبال . وكنت قد أعددت قصيدة من نظمي ضمنها كل مواعظ الحب فوضت تلك القصيدة في يد حبيبي (بيسي) وقلت لها : إن هذا درس في أدب اللغة الفارسية . وقلت : إنه إذا استمعى عليها فهم شيء منه فلترجع إلى

فهمت موضوع ما سلمت إليها وقالت : إنها ستضمه في «ألبوم» ولما كنت لا أنهم معنى هذه الكلمة فقد قدرت أنها تعني بها القلب أو الصدر ؛ ولذلك اغتبطت اغتباطاً لا مزيد عليه ، وظهر لي على حينها علامتهم الحب الأكيد فلم أعد أبلى بصاحب الشارب القصير والمهماز

وركبتها وإياه واستأذنت في الانصراف فالتحت على الأم في الانتظار ولكنني احتفرت وانصرفت

الفصل الثامن والثلاثون

تعب أمير

قضيت سحابة اليوم التالي مفكراً في الحب فأنظرت لأشعار جديدة في موضوعه . وفي اليوم الثالث دعاني السفير فنجبت إلى غرفته ووجدته كالانكايز . يعيش في الثروة ذهاباً وحيثه وفي يده صحيفة ، فلما رأيته صاح : هل يوجد إيرانيون غيرنا في هذه المدينة ؟

قلت : « من يدري ؟ ربما »

فقال عن بعض المكمل إنه شديد النفع وعن البعض الآخر إنه شديد الضرر ، ولكنه كان يأكل منها جميعاً سواء منها الممدوح والمقيم . ولاحظت أن سائر الموجودين كانوا يأكلون بلارعية لما يسمونه من الطيب رغم تعليمهم بصدقه

وقد سألت الطيب أسئلة متعددة عن الطب في بلادى فلم أحر جواباً ، ولذلك اضطررت إلى استئصال النعوش والإيهام فلم يستطع الترجمة الفارسي إغاضه ما أريد ، ولولا تدخل النايوب لخلجت وخجل الترجمة

وقد كنت في صاحبة المنزل طيقاً به عيدان خضراء مستطيلة فلم أجعل تناول شيء منه . وألحت فزدت في رفضه ، وقالت لي لتعلمني على القبول : إن هذا الطعام غال الثمن . قلت : « إذا كان غلاء الثمن يجعل الطعام شيئاً غير ذلك أن تأكله الجنينات والشبلان الكشمير »

فضحك اللورد من هذا القول ضحكاً طائلاً ودعاني إلى شرب النبيذ معه . وسألني الحاي عدة أسئلة تتعلق بالقضاء عندنا . وقد دهش عند ما علم أن ليس عندنا من القوانين غير القرآن ، وقال على كل حال لا بد أن يكون لديك عامون غير علماء الدين ، أم كيف تمشي دولة بين عامين ؟ قلت : « ليس لدينا سوى القضاة والعلماء » ، ثم سأله : « أليس القضاء في انكساراً يركبون حيراً ييضاء ؟ »

لم يبين الحاي على هذا السؤال وضحك الباقون ضحكاً شديداً ، وأسلحت غلظتي قلت : « إن الخير

فوقف السفير متضجاً وقال : « إنهب من هنا ولا تزد في كلامك ! إن الذي يدعي لنفسه لقباً ليس له ، ويضع بهذا القالب كأن يجمعه وسيلة للأكل عند الناس فإنه يستحق أن يشقى . وإنني والشاه تراغب أعمالك ولن تترك تضحك على ذقون الناس وتدعي أنك أمير مع أنك ابن سلاق »

فصحت : « والله بالله يا ميرزا فيروز خان إنني لم أفعل ما أستحق عليه هذا التأنيب . لقد أكلت عديم ، ولكن هذه ليست غلطة ، وهم لقبوني أميراً ولكني لم أقل لهم إنني أمير فلماذا تشقوني ؟ أليس عندكم شفقة ؟

ثم علت الأصوات بينما فدخل سائر أعضاء السفارة ووقفوا بجانب الحائط ينظرون إلينا . أما للعلم الانكليزي فإنه لما رأى الحالة وصلت إلى هذا الحد أخذ قيمته وانصرف

ونظر السفير إلى أعضاء السفارة وقال : « ماشاء الله ! انظروا إلى هذا الشاه زاده ! لقد كنا نعرفه ابن حلاق ! أما الآن فإنه أصبح أميراً على حين جأته وبشر إنذار سابق »

قلت : « ما هذه الكلمات بإسعاد السفير ؟ إنني ابن حلاق ، ولكن هذا ليس ذنبى ، وأنا تتدب عديم لأناك تهملنا وليس لي ملجأ في المدينة فجلأت إليهم فصاح السفير : « أجبروا على مخاطبتي بهذه اللمحة ؟ »

واحتدم غيظه وقال : « هل نسيت من أنا يا أقل من أى إنسان ؟ هل تعلم أن ميرزا شاهي الذي كنت تحمى به لا يزال على قيد الحياة ؟ إن ابن

فأصغاني الصحيفة التي في يده وقال : « من هو هذا المجنون الذي يدعو نفسه البرنس حاجي بابا ؟ إقرأ هذه الصحيفة »

فأخذت أقرأها وأعجب من عوائد الانكليز كيف يفضحون من يأكل عديم لقمة فيكتبون في الصحف ما أكل وما شرب . وحدثت كرم العرب ، فإن أحدم يذبح لضيفه أسن للماشية ويكتفى لنفسه بمجفة من السمير ثم لا يكتب ذلك في صحيفة سيارة ولا يتحدث به أمام الناس . وهذا هو للتشور في تلك الصحيفة :

« أنام المستر هوج وعقيلته ولحمة شائعة لحضرة صاحب السمو البرنس حاجي بابا وكانت للأدبة جامعة لفظاء كثيرين من الانكليز منهم الورد مصوفى والسير هنرى كورى وعقيلته والفيلسوف هوو وغيرهم ، وكان يخفق على قصر المستر هوج اللسان الفارسي والانكليزي . والنرض من هذه الرولية وثائق علاقات الود بين انكليترا وفارس . وقد قدم الطعام المستر « بير ييزر » الطباخ الشهير بإشارع بوند

قال السفير : « هل قرأت ؟ » قلت : نعم وإن عوائد الانكليز غريبة بحجة فإن الانسان لا يأكل عديم لقمة إلا ليفضحه من أعلى اللآذن قال السفير : « ألا تريد أن تتعرف بأنك أنت صاحب السمو حاجي بابا الذي تناول المشاء في بيت المستر هوج ؟ »

قلت : « إننا لم لقبوني أميراً وإنما اختار هؤلاء المجانين أن يلقبوني باللاك جيريل فما هو الذي أستطيعه لنهم ؟ »

وبأه قد لا تغنى إلا أيام قلائل ثم يقلب فيها نظام الحكم
ولما كان المطالب الذى ورد أخيراً من الشاه
يحث على إطلاعه على كل شئ مما نراه قد وجدت
من واجبى أن أعود إلى السفير وأخبره بما رأيت
لأنه لا شئ أهم من وجود ثورة فى البلاد، وإذا نحن
لم نظلمه على ذلك فلام نظلمه ؟

وخطرت بأن يضربنى السفير مرة أخرى
وعدت إلى دار السفارة راجياً أن يشغل هذا الخبر
الجديد عن التفكير فيما جرى بينه وبينى

ولا وصلت إليها كان السفير غائبا ولم أر اهتماماً
من زملائى بمجادة الضرب ، لأن ضرب الموظفين
أمر عدى مألوف عندها نحن الفارسيين ، وتكلمت
معهم فى شأن ما رأيت فتهنأوا ودعوا الله أن يجعل
هذه الثورة سبباً فى عودتنا إلى إيران

وقال محمد بك : إن الحالة التى رأيتها حالة بشر
شك على قرب حدوث حرب أهلية

وقال لى إن السفير ذهب، وكان محمد بك يتربص
مضى عودته بصبر نافذ لنمد للمدات المودة إلى بلادنا
وقال : « لابد أن تكون الساعة التى سافرت فيها
من أزمير ساعة شؤم . ولو أننا كنا انتظرنا أسبوعاً
آخر لا حدثت هذه الثورة . لكن لترجم للمعون
خدعتنا وأجبنا ليكون سفرنا مشؤماً وجازف بكل
قانون سماوى وأرضى غفلتنا على السفر فى غير الساعة
الميمونة ! إنها ثورة من الكفار ضد الكفار ولكننا
قد تودى بحياتنا فما الذى تمناه يا حاجى بابا ؟

حاولت أن أعزّيه بقناعه أن الخطر قد يكون

الحلاق فى انكثرتا قد يصير أميراً ، ولكن ابن
الحلاق الفارسى يظل طول عمره ابن حلاق . إنذهب
ولا ترى وجهك بعد الآن »

قلت : « هذا هو كل ما أعتاه » ثم خرجت من
عنده متضجاً فصاح بأعضاء السفارة أن يقبضوا على
نجروا ورأى وأمسكوا بى ، وأقبل على السفير فصرخ
على فى وقال : « إننا تكلمت مرة أخرى فسأحرق
قبر أهلك »

فتخلطت بقوة واندمت خارج الدار فظلمت
أجريت فى الطريق وأنا لا أعرف إلى أين أذهب
وليس فى لوندرا ملجأ أوى إليه كما هم الحال فى
طهران . وفكرت فى الذهاب إلى منزل المستهوج .
ولكنى خشيت ألا يقبلونى لأنهم إنما اصطحبونى
لاعتقادهم أنى أمير ، وأن وجدونى شريداً طريداً فلا
شك فى طردهم إينى وأحرم إلى الأبد حبيلى ييسى
وبينا كنت أمشى فى الطريق رأيت فرقة
من الجيش أمامها موسيقاها وحولها طائفة من أقنر
الانكليز . وكان بعض الجمهور يرمى الجنود بالأحجار
فدهشت لهذا المنظر وتوقعت أن يكون من برادر
الثورة . ثم سألت أحد الواقفين لمشاهدة للنظر
فأخبرنى بأن هذا الجيش ذاهب ليقبض على
رجل سائر اسمه السيد فرنسيس برودت ، عضو
البرلمان الانكليزى

قلت مندهشاً : « أمن أجل القبض على رجل
واحد تذهب كل هذه القوة ؟ كيف إذن لو أردتم
الاحتلال على مدينة ؟

ثم شعرت بأن هذه الحكومة ضئيلة جداً

للسير ولا يعلم غير الله ماذا سيكون من نتائج هذه الثورة ؟ »

فقال : « أهذا هو كل ما عندك ؟ بورك الله فيك يا سمو الأمير ! هل تتظن أن هذه دولة مثل دولتنا ؟ هل تقيس الانكيزر بأفقسنا ؟ ألا تعلم أن حكومتهم ستبقى الثورة كما يطلق "أحدنا للشعلة" ؟ قد تدخل محمد بك لصلحتي وقال إن الثورة ثورة على كل حال ، وإن رأس الإنسان قد تطير بضرية سيف من كافر ناز كما قد تطير بضرية سيف من ناز مسلم

قال السفير : « اذهبوا إذن واحمضوا ظن بصيننا شيء مما يكن حظ الانكيزر من هذه الثورة. وقد تحدثت طويلا مع وزير خارجيتهم فقال لي إن

أقل مما يتوهم لأن ملك الانكيزر قوى وعنده أساطيل ومدافع ولا بد أن يتغلب على الثورة ويقتل هذا الثائر وأهله وأصحابه وأبنائه

فنهت جميع أعضاء السفارة : « إن شاء الله ! »

الفصل التاسع والثلاثون

الصلح مع السفير

ولما عاد السفير توسط محمد بك بيني وبينه فقال كلات لينة ليسترشيه وقال إنني عدت بأخبار هامة وعندما دخلت رأيت علامات الغضب التي كانت بادية عليه في الصباح قد زالت ونظر إلى نظرة عادية وقال : « ما الذي تريد يا حاجي بيا ؟ »

قلت : « لدى أخبار هامة يسادة السفير فإن الثورة قريبة . وقد رأيت بنفسى الجيوش تتأهب

مؤلفات

الاستاذ محمد كامل مجاهد

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من سفوة الأئمة للفرنسي والانكليزي والألماني والاطال مع تراجم الشعراء والكتاب)
- ٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات في الأدب والنقد والفلسفة والوسيقى والحجون وبه روايتان تشيليتان)
- ١٨ نباتات الزينة المشبية (على إحدى وتسعين صورة فنية)
- ١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكتبات المشهورة وكتب الزراعة تطلب من شركة البزور الصرية ميدان ابراهيم باشا

أطعوا مؤلفات

محمود تيمور

وهي : الحاج شلي . الاطلاع أبو على عامل أرتست . الشيخ عفا الله الوتبة الأولى . قلب غانية . نشوء القصة وتطورها

من جميع مكاتب القطر الشهيرة

كتاب « فرهود الصغير وقصصى أمري »

يظهر في نهاية العام

الشاه يقطع رأسى إذا لم أخبره بكل التفاصيل عن هذه الحالة .

يقبل أن يبدو المزاج على وجه الترجم رأياه بضحك كأنه لا يمينه أن تصاب بلاده بالخراب وقال : « نعم لقد كانت هذه الجيوش ضاربة للقبض على رجل كافر، ولكن الثورات عند تغيير هافى فارس، فهناك رجل يتور فتثور معه قبيلته والقبيلة المحالفة وتنهر القبائل الأخرى للتمسكة هذه القرصة فتتحالف الثوار . والحال هنا ليست كذلك »

تقاطعه السفير قائلاً : « إننى أهتم هذه النقطة ولكن حدثنى عما هو أهم . حدثنى كيف استدتم ؟ وما هو مقدار دينكم واسمى استدانة الحكومات ؟ » فزادت دهشة الترجم وقال : « ما رأيكم أنتم فى الدين ؟ »

قال السفير : « هي فضيحة وإفلاس » فقال للترجم : « ولكن إذا وقينا ديوننا دفعة واحدة فأتنا نستبر ذلك نكبة وطنية، ودولتنا لا تتأخر عن الاستدانة الآن لأنها تستغل أموالها فى مناجر تكسب منها أضعاف الزيادة السحقى على الدين، ولستنا ندفن أموالنا تحت الأرض كما يفعل الفارسيون »

قال السفير : « إذن فما هو مقدار دينكم ؟ » فقال للترجم : « ألف ومائتا مليون جنيه » فصاح السفير الله الله ! هل تحسب أننا نصدق هذا الكذب ؟ إن هذا مستحيل، ولستنا من البهائم حتى نصدق ذلك »

قال للترجم : « ولكن هذه هي الحقيقة » فقال السفير : « إن ثروة لحد شاه وكنوز

الحركة التي ظهرت اليوم لا تستدعى اهتماماً قال محمد بك : « ولكننا بإسادة السفير جئنا إلى هذه البلاد لننفذ معاهدات واتفاقيات ؟ فإنا كان مركز الملك مزعزعا فإن الملك الذى يخلقه قد لا يصادق عليها، ولذلك أرى أن نستوثق من حالة الحكومة ولا نتفق على أى شيء معها إلا إذا ثبت استقرارها »

فقال السفير : « أسيت يا محمد بك فإن الترجم ؟ متى جاء فأسأله عن كل شيء ترون السؤال عنه . واكتبوا كل كلمة يقولها ثم ثبت الشاه بقرار عن حالة البلاد . وقلت : إنه من الضروري أن تتحرى كل التحرى لأنه فضلا عن الثورة فقد علت أن حكومة انكلترا مدينة بدين كبير وهذا يدل على أن حالتها من حزمة وعمرها قصير »

هنا التفت السفير وبدأ عليه الاهتمام الشديد وصاح : « أصبح أنها مدينة ؟ هل أنت واثق مما تقول ؟ إننى لا أنصور لماذا تستدين ؟ أليس فى استطاعة الملك أن يأخذ من رعاياه كل ما يشاء ؟ ثم راعى هذه النقطة فعلم أنهم عندى من الثورة بكثير . وقد لشتدت دهشة السفير حتى نسي كل شيء غير هذا الموضوع »

وعند ما جاء للترجم انصب على رأسه وأبلى من الأسئلة، وكان ما قاله السفير : « بالله أخبرنى كيف تجرى الأمور فى بلادكم ؟ فإن كل يوم يمر يزيدنى حيرة فى فهمكم، هل نازعظركم ؟ وهل جنت الحكومة حتى تسبج عن الوسيلة المؤدية لاطفاء الثورة ؟ هل صحيح أن الجيش تحرك بعد انقضاء مهلة لا اعتقال رجل واحد ؟ وهل صحيح أن دولتكم مدينة ؟ بالله أخبرنى فإن

أجلها فلما استصحبني في هذه الزيارة اعتبرت ذلك علامة على الرضى وعدت إلى التفكير في هذه الأسرة .

وفي استنار حبي

ذهبنا إلى المنع وهو قصر في جهة «الوش» فرأينا مالم يكن يحظر لنا يال، ورأينا الحديد يصهرونه حتى يصير سائلاً مثل الماء ثم يأخذونه ويصبونه في قوالب فيصير بسنه مدافع والبعض مسامير والبعض قتابل والبعض على شكل الكرة . ورأينا للدافع التي في هذا المنع لو صفت أحدها أمام الآخر لوسلت

ما بين طهران وبين تبريز

قال السفير عند رؤيتها : « الله الله ! أبعد هذا تقولون إن دولتكم مدينة ؟ ما الذي يحملكم على ذلك الدين ؟ اضربوا دأئكم بعض هذه المدافع فيمصبوها في القرار الصحيح من جهنم ! كيف تكون دولتكم مدينة وكيف يقولون إنها على وشك الفسار ؟ كلا كلا لا بد من توثيق العلاقات بين انكلترا وبين فارس فان التركان لا يسودون إلى التزدد علينا متى علموا أننا حلفاء دولة فيها عشرة آلاف مدفع وعشر ملايين قنبلة »

وقد دهشنا أيعا دهشة لما سمعناه من البيانات والتفاصيل، واتفقنا على ألا نكتب عن هذا الأمر أيضاً إلى الشاه لأنه من السهيلات أن يصدق مثل هذا وكان من بين الضباط الدين رأينا في المنع شاب صغير لائمي . ورأيت زيادة اهتمامه بأمرى ثم تبينت سبب ذلك عند ما عرفني بنفسه فقال إنه من أسرة هوج . وعلت منه أن أسرته مدعوة إلى حضور الولية التي ستقام لنا في هذا القصر بعد الفراغ

مدينة دلمى وأموال الشاه الحاضر مضافاً إليها ثروة « خوخور » لا تكتفي لسداد نصف هذا الدين . إننا قد نصديق أن دولتكم مدينة في مائة ألف جنيه أو نحو ذلك ولكن ألفاً ومائة مليون مقدار لا يمكن تصوره . إنكم لن تستطيعوا وقاؤه إلا إذا ملككم جميع العالم وجعلكم كل موارده وفقاً على الهائنين » ثم أخذ يردد : « ألف ومائة مليون ؟ إن خاض على خان أكبر شمراتنا لا يستطيع أن يحتل أكذوبة أروع من هذه »

قلت : « إننا لا نستطيع أن نبلي الشاه مثل هذه الأكذوبة والإفاه لا يسود إلى تصديقنا . لقد قلنا له من قبل ما هو أشبه بالصدق من هذا ولكنه لم يستطع تصديقه » وقال السفير : « لقد أسبت يا حامي بلأ ويجب ألا نكتب شيئاً عن ذلك إليه . ولا بد أن يكون اشهرنا في فارس بأننا كتابون لا ككتبة عن الأسطول وعما شاهدنا منذ جئنا إلى هذه البلاد . وإن رؤوسنا لأعز علينا من هذه البلاد ومن كل من فيها »

الفصل الرابعون

في مصنع انكليزي

ولما رأى المترجم أننا نعلم زوال الملك الانكليزي جعل معه أن يرى السفير للصانع الكبرى . وقد راقتنا السفير في بعض هذه الزيارات .

توسط المترجم في دعوتنا دعوة رسمية لمشاهدة مصنع في مرغا . وأقيمت لنا حفلة في هذا المرغا وكنت قد نمت أسرة هوج منذ ضربني الصغير من

هوج : إن سمو الأمير حسن اللوق ! ما شاء الله !
إنكم في نهاية الجمال وإن الفارسين مولون بالجمال
قالت : « هذه رقة من ساداتك وإن يسي
جيلة وبارى عجة للخير » . قال السفير : « برك
الله فيكم ! » . ثم رأى فتيات أخريات فقال لي
بالفارسية : سأتراك لأصحابك وأذهب لأصحابي

ولقد شمرت في هذا الحين بسادة لم أشعر
بخلها من قبل لأن السفير أقرني على أكنونجي
أساهن . وعتأت نفسي بحسن السياسة التي اتبعتها
لأنها جعلت موقفي المخرج من أحسن المواقف ،
وأهدت يسي رتقالة ونهبت وجعلت طرف معطفي
يلس طرف فستانها ، وهذه عندنا في فارس
علامة على الحب ؛ ولكني لا أعرف على أي شيء
تدل عند الانكليز لأنني أجهل الحب الانكليزي ،
وعزمت على أن أتلقى هذا النوع من الحب على أحد
الشبان المجرين ، على ألا أخطو خطوة أخرى في
هذا السيل قبل أن أدرس الطريق

ونظرت إلى السفير والفتيات والسيدات
المحيطات به ، فوجدته أمهر مني فن الحب الانكليزي
لأن عيني كانتا متصديقتين بما تقهه الفتيات ، فملو
وجوههم حرة الجبل . وما أشد وضاعة الوجوه التي
تلوها هذه الحرة ! لقد قلت في نفسي إنه متى جاء
اليوم الذي أعمكن فيه من إضجال حبيبي يسي
فاني في غده أصبح زوجاً لها . ولقد شاهدت
الشبان الإنكليز ينجلون فتى وجوهرهم أيضاً
قلت : « من لي بأن أصبح مثلكم ! إنني
(٧)

من مشاهدة المنع . فاستولى على التلق لأه لا يد
أن يجلبني السفير أمامهم فيضهم أني لست أميراً .
ولذلك احتلت للأمر فقلت للسفير باللغة الفارسية :
« إذا أردت أن تحرق قبور الدين يقيوني أميراً
فهذه فرصة سانحة لأن الضابط الذي تراه الآن
واحد منهم »

ضحك السفير وقال لي برفق : « ما هذه الكلمات
يا حبيبي بلأ ! لقد قلت ما قلت » قلت : « إن هؤلاء
القوم لا يفهمون أسوانا وعلاتنا وهم يحسبون أنني
عظيم مع أنني كائن لم إن كرى بلاني حسن حلاقا صغهان »
قال السفير : « لقد قلت ما قلت فلا تفسر
في شيء مضي »

ثم ذهبت إلى الوثنية فوجدت بها أسدقائي من
أسرة هوج ، وأقبلت الأم ووراءها فتياتها وسلن
على قدمتيهن السفير وأنا أرجو همساً ألا يفصحني
أماهن ، فضحك السفير وقال باللغة الإنكليزية
لوجة للستر هوج : « إن سمو الأمير حامي بلأ قد
استدحك كثيراً أماي وهو رجل عظيم في بلاده
وهو يحبك حباً مفرطاً »

ولقد كان السفير يريد أن يضحك على ذنبا
وذقي بهذه الكلمات ؛ ولكنها اعتقدت سدى
ما يقول واعتبرته جدّاً وأحتت رأسها أماي عدة
مرات ، ويظهر أنها قدت قدرتها على الكلام فلم
يبد في وسعها إلا أن تكرر : « ساداتك ... !
سموه ... ! من حسن الحظ ... ! »

وفي وسط هذه الحلة لاحظت أن السفير يهر
بجهل الفتيات خصوصاً يسي ، فقال لوجة للستر

الفصل الحادى والأربعون

عاجى بابا يتعلم فى الحب

لما استيقظت فى اليوم التالى وقتت أمام المראה
فرايت شمرات ضياء قتلت فى نفسى : « يستحيل
أن أبقى هكذا فى حالة شك ، ولا بد من اتباع طريق
حلم فى حى فان الشعر الأبيض قد ظهر ، وإذا
تأخرت قليلاً استحال أن تقبلى إحدى فتيات
الكفار ولو كنت على بن أبى طالب . وتذكرت
الحديث الذى دار للمرة الأولى بيني وبين الفتيات
وأمن فأنيت فى نفسى بريق من الأمل وقتت فى
نفسى : متى أصبح فى جيبى الهرم الكبير الذى يستدفعه
يبنى أو إحدى أخواتها فانه لن يصير فى وسع رجل
فارسيهما كانت منزلته أن يعيرى بأن أبى حلاق
ثم تناول ديوان حافظ الشيرازى لأرى
استخارة فيه أعزف منها بختى ، فوجدت بيتاً مستاه :
« اقتطف الوردة التى أعجبتك ، ولكن احذر أن
تجرح الأشواك أسابك » قلت : « هذا قال
حسن وسأقتطف هذه الوردة . أما الشوك الذى
يخزنى منه قالى لا أخشاه ، لأنى كنت منذ نشأت
مرشداً أسابى ، ومهما تكن للتابع التى سأعانيها
بسبب هذه الفتاة فانه لا تكاد تذكر بالقياس إلى

ما عانيته من التابع فى مختلف الشئون

بقيت طريقة للعرض وهى أصعب الطرق هنا ،
لأننا نحن الفارسيين نرسل خاطبة عجوزاً تستطيع
التأثير على الفتاة ، وإذا ردّت الخاطبة فان الشاب
لا يتحمل خجلة الرد فى وجهه . وأخذت أسألك

سأحلق ذقنى لأنه من المستحيلات أن يضىء الوجه
وفيه هذه الحبة اللسوة ! »

جلنا حول المائدة ونمسط السفير كل التبس
مع الفتيات وأهل السيدات كل الإجمال ، وبعث
منه ضروب مختلفة من الحب الانكليزى ، فن ذلك
أه كان يعنى ليلقط الفقاظ الذى يرميه عن عمد
أمام إحدى الفتيات . ولقد تجاوز احتياء السيدات
حد الاحساس فتكلمن به

قالت إحداهن : « هذا تصرف عجيب ! »

وقالت أخرى : « هذا يعدل إلقاء التنديل عند

الفارسيين »

وعلى أثر التحدث بهذه الكلمات قال لى أحد
الضباط : « هل من علامات النزل عندكم أن يخف
الرجل بمنديه فى وجه فتاة ؟ »

قلت : « هذا غير صحيح ، فانا لا نستعمل
المتاديل كما تستعملونها أنتم ، بل لنمسح فيها أيدينا
بعد الأكل ولننثلى فيها الأرز عند السفر »

فاضطر لى الضابط من سؤاله ، ولكن دهشته
زادت ، وشكرنى على هذه المعلومات وتحدث بها
مع جاره

ولما قام السفير شمרת الفتاة التى كان ينازلها
بأنها اقتشلت من هاوية ، وقد كانت أمها تشر فى أثناء
الغزاة بأنها فى السماء السابعة

وعدت إلى دار السفارة وأنا أفكر فى الوسائل
الجديدة المؤدية إلى نجلى فى الحب

نفسى هل أقدم لما الدنيا أم لم يمن بد وقتها ؟ وهل
أسأل للترجم عن عوائد هذه البلاد في مسألة الزواج
أم لا أسأله ؟ وقد استقر في الرأي على ألا أخلطبه
في هذا الشأن حتى لا يرتب في أنى أريد الفرار
يمض يثاق جنسه

وبعد تردد طويل قلت في نفسى إن عوائد
الزواج لا بد أن تكون مشتركة بين كافة الطبقات
من جنس واحد ودين واحد . وبواينا الانكليزى
رجل بسيط ساذج ويمكننى أن أعرف منه ما أردت
دون أن أستثير ظنونه . وكان هذا البواب قد
تزوج حديثاً واعتاد أعضاء السفارة أن يسفروا منه،
ووجدت منه عطفاً ومودة بعد أن ضربنى السفير ،
فذهبت إليه وسألته هل هو مسرور بعد زواجه .
ثم أخذت أسأله عدة أسئلة قصص على تاريخاً طويلاً
بسنه مفهوم والمض غير مفهوم ، ولكن النقطة
التي أريد معرفتها جاءت واضحة في جوابه .

قال إنه طلب يد خطيبته في يوم ممطر ، والقصة
أه زارها وخرج معها وأبوها ، فلما أمطرت الدنيا
وقف هو وخطيبته تحت شرفة ووقف أبواهما تحت
شرفة أخرى ، فاجترأ وقال لها إنه يحبها ويريد الزواج
منها فوافقت في الحال

قال : « وما كنت أتشجع على هذا الطلب لولا
تلك الظروف » قلت في نفسى هذه أحسن طريقة
للتعبئة . وإن شاء الله ستهبأ لي مثل هذه اللصادة
وأكون ماشياً مع حبيقتى ييسى ويكون أبواهما
وراءاً قنطر الدنيا وأقف تحت شرفة ثم أقول لها
أريد أن أتزوج منك فوافق

مررت جداً من هذه المعلومات وأدركت أن
جميع الانكليز يتزوجون في الشتاء تحت الشرفة
وفي يوم من الأيام أمطرت الدنيا فانهزت هذه
الفرصة وهرولت إلى منزل للسرة هوج فاستقبلتني
على الباب زوجته وبناه الثلاث ، وفيهن حبيقتى
ييسى . والتريب في أمر الانكليز أن الشتاء
لا يموتهم عن زهتهم اليومية لأن الدنيا تكاد تبتو
عندهم كل يوم . وقد رجحت بي وسرون من عييتى
على غير انتظار . ودعوتنى إلى مرافقتهم في التنزه .
وبعد قليل جاء للسرة هوج فوضع ذراعاه في ذراع
زوجته ووضعت ذراعى في ذراع ييسى وسبقتهما .
ومشت مارى وصغرى أخواتها وراء أبويهما ، وكانت
مى للظلة التي اشترتها لهذا الغرض

سألت الأم : « إلى أين نذهب ؟ »
فقلت : « لسنا نريد الذهاب إلى مكان معين
فامض حيث شئت ونحن تبعك وهكذا عادة الانكليز
إنما خرجوا للتنزه تسكوا في الطرقات لا إلى مكان
معين !

قلت لها : « هل نذهب إلى الكنيسة ؟ » فابتسمت
وقالت : « إن الكنائس لا تفتح إلا في يوم الأحد »
فستربت جداً وقلت : « إن الساجد عندنا تفتح
كل يوم ليصل فيها الإنسان عندما يريد »
ثم مشيت واشتد للطر فوقت مع ييسى تحت
الشرفة وقلت في نفسى : « بسم الله الرحمن الرحيم »
ثم هممت بأن أقول لها إنى أريد الزواج منها ولكن
الأم أتت على غير انتظار وقالت : إن الوقوف هنا
غير مناسب لأن تيار الهواء شديد في هذه الجهة .

نفسى هل أقدم لما الدنيا أم لم يمن بد وقتها ؟ وهل
أسأل للترجم عن عوائد هذه البلاد في مسألة الزواج
أم لا أسأله ؟ وقد استقر في الرأي على ألا أخلطبه
في هذا الشأن حتى لا يرتب في أنى أريد الفرار
يمض يثاق جنسه

وبعد تردد طويل قلت في نفسى إن عوائد
الزواج لا بد أن تكون مشتركة بين كافة الطبقات
من جنس واحد ودين واحد . وبواينا الانكليزى
رجل بسيط ساذج ويمكننى أن أعرف منه ما أردت
دون أن أستثير ظنونه . وكان هذا البواب قد
تزوج حديثاً واعتاد أعضاء السفارة أن يسفروا منه،
ووجدت منه عطفاً ومودة بعد أن ضربنى السفير ،
فذهبت إليه وسألته هل هو مسرور بعد زواجه .
ثم أخذت أسأله عدة أسئلة قصص على تاريخاً طويلاً
بسنه مفهوم والمض غير مفهوم ، ولكن النقطة
التي أريد معرفتها جاءت واضحة في جوابه .

قال إنه طلب يد خطيبته في يوم ممطر ، والقصة
أه زارها وخرج معها وأبوها ، فلما أمطرت الدنيا
وقف هو وخطيبته تحت شرفة ووقف أبواهما تحت
شرفة أخرى ، فاجترأ وقال لها إنه يحبها ويريد الزواج
منها فوافقت في الحال

قال : « وما كنت أتشجع على هذا الطلب لولا
تلك الظروف » قلت في نفسى هذه أحسن طريقة
للتعبئة . وإن شاء الله ستهبأ لي مثل هذه اللصادة
وأكون ماشياً مع حبيقتى ييسى ويكون أبواهما
وراءاً قنطر الدنيا وأقف تحت شرفة ثم أقول لها
أريد أن أتزوج منك فوافق

الفصل الثاني والأربعون

شرفه حامى بابا

بسبب جلى عواطفه لم يستطع التوق
بما كنت أروجه من الزوج بالفتاة، فلم أفس ذلك
السرو لم أمل ولم أياس وإنما استسلمت للتفكير. وفي
اليوم التالي لتلك الازمة طلبني السفير فذهبت إليه
ونفسى تمدني بالشر قتال عند ما رآنى : « تعال
هنا يا رجل ! ألا تريد أن تترك الناس وشأنهم ؟
لقد أسأت إلى سمعتنا في هذه المدينة »

قلت : مما قاله ! لماذا ؟ فقال : « نعم لقد أسأت
إلى سمعتنا فأنت لم تكففى بادعائك أنك أمير بل
حدثك نفسك بأن تتزوج من كل فتاة تصادفها
في الطريق ولو كانت نصرانية، فقل لى كيف ذلك ؟
قلت : « إنما الآن فى دولة كل شئونها غريب،
فن الذى يهتم بآنى أريد أن أتزوج ومن ألتحق

فتابعنا السير عائدین إلى المنزل

وفي هذه الأثناء وقفنا تحت شرفة أخرى
ووقف الأبوان وبناتهما بالقرب منا تحت شرفة أيضاً
واستمتعت وسمعت وقلت لها : « يا يئنا فى الجيلة، أريد
أن أتزوج منك » قالت بحدة : « ماذا ؟ » ثم امتنع
لونها وسمعت بعدها برفق من يدي ولم تقل كلمة
أخرى

وقد تمت نحو أمها فثبتت إلى جنبهما وأنا فى
نهاية الخرى وقد نسمها تتكلمان ولكن رأسى
كانت مصابة بالوار، فلم أهتم ملأار بينهما من الحديث
وقد كان سيرنا فى الرحلة الباقية من الطريق
سريماً جداً. ولما وصلنا إلى الباب لم أنتظر أن يدمونى
أحد للدخول بل استأذنت وأسرعت إلى دار السفارة
وأنا أغرى نفسى عن جيبتي ييسى بقولى إنها ليست
إلا امرأة كسائر النساء

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمنى ١٢ قرشاً

سندباد عصرى

فى سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

لونية فى سنى مظاهرها طالعك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين فوزى

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من للكاتب ١٢ قرشاً

الإمارة، ويظهر أن أهل هذه البلاد يصفون كل إنسان بأنه أمير»

غضب السفير وقال: «هل تخميني بلقي أم أستعجوك رجبيا. إني أقسم بنفسي للشاه إذا لم تخبرني بالحقيقة فأني أوطئك بالجبال وأتركك مقبداً حتى تموت»

فقلت: «إن قصتي بسيطة وهي أنني رأيت بنت هذا الرجل، وإذا أدت بأن أكون صريحاً فأني أعترف بأنني أحببتها وطلبت إليها أن تزوج مني؟ وأقسم بالتبني واللحى الذي أكلته عند الشاه، وبالألعة الاثني عشر أن هذه هي الحقيقة»

وفي هذا الحين دخل محمد بك فأعاد السفير أمامه هذه القصة وأشركه في السخريه مني والاستهزاء بي فقال محمد بك: «لقد أخطأت يا حامي بابا وأصاب السفير في قوله إنك أسأت إلى سمعتي في هذه البلاد ونحن لسنا في فارس حتى تستطيع الزواج من نصرانية ثم تدعوا إلى دين الاسلام»

فقلت وما يدريك أنها لا تسلم؟ إن الحب يأتي بالسجائب والثراب»

قال السفير: «ما هذه الكلمات التي تلقها جازافا يا حامي بابا؟ ألا تسلم أن مئات الآلاف من أهل هذه البلاد يشتغلون بالتبشير ليحولوا أهل بلادنا إلى المسيحية وفهم من يؤلف كتب التبشير ومن يترجمها إلى لساننا ومن يطبعها ومن يوزعها ومن يذهب إلى أقصى الأرض ليبتعها، فهل تحسب فتنة من هذا الجنس تغير دينها من أجل سواد عينك؟»

قال محمد بك: «وهب أنها أسأت فكيف تتق

أم بالزواج في هذه البلاد؟ لقد رأيت في بلاد من الزوجات والأمهات ما فيه الكفاية ولني أجرب حتى مرة أخرى» فقال لي السفير: «ألا تخجل من الكذب أبها الرجل؟ لقد جاني اليوم رجل يسأل عنك وقال لي إنك تخطب ابنته»

قلت: «بأنه يا سعادة السفير من هو هذا الرجل وماذا قال؟» فأجابني السفير: «لقد سألت هل أنت من أسرة طيبة؟ وهل أنت أمير؟ وهل لقبك وراثي؟ وهل لك ممتلكات وما هو إرادتك؟»

قلت: «وبأنه ما ذا كان جوابك؟» فقال: «بما أحبيه؟ لقد قلت له إنك لست أميراً وإنك ابن حلاق وإن كل ما ورثته عنه هو موسى وفرشاة. ماذا كنت تريد أن أقول غير ذلك؟» قلت: «وهل هذا الرجل طويل أو قصير، وسمين أم نحيل؟» قال: «هو رجل سمين جداً هرم اسمه للستر هوج»

فوقفت أمامه مبهوئاً كأنني صمم وغضبت على نفسي وعلى العالم بأسره

قال السفير: «ما هذه الفضيحة التي جلبتها على نفسك يا حامي بابا؟ لقد أردت أن تعظم من قدر نفسك فا زددت إلا حجارة. قل لي ما الذي فعلت؟ ما الذي حدث؟» قلت: «والله والله لم يحدث شيء يستحق الذكر وقد قلت ما قلت» قال السفير بلحمة بين الجلد والسخريه: «تكلم يا حامي بابا! تكلم! ماذا أصابك وأنت غريب في هذه البلاد؟» أخبرني ماذا قلت عن نفسك ولماذا ادعيت أنك أمير؟» قلت: «لقد أقسمت أنني لم أجد

قال محمد بك : « ولذا نصير في حكم بنات الاسلام ؟ إن الزواج من النصرانية وحى على دينها جاز في الشرع الاسلامي ، وقد تزوج النبي عليه الصلاة والسلام من مارية القبطية »

قال السفير : « مهى لك يا محمد بك ، أنت أكبر العلماء والفنيين . إنني أعتك في غد ستكمل عينيك وترجع حاجبك لتوقع في شراكك الفتيات النصرانيات . المدين يا حاجي يا قافا جاء صهرك مرة أخرى فساخبره بأنك ابن وزير كبير أصبح الآن في جهنم بحمد الله . فاعرف لي من أين طريق المال وتقسّم ، فلك اللروس وأنا أكتفي بالمال »

قال ذلك ثم طردني من حضرة

الفصل الثالث والأربعون

مدينة المزم

لما خرجت من عند السفير وجئت في انتظارى بفرفى ذلك الشاب الذى رأته في مصنع (ولوش) والذى يمت بصفة القرابة لأسرة هوج فصالحته ، وبد أن سأته عن صحته وسألني من الجواب قال إنه أت من قبل المشر هوج وزوجه ليتحدث منى في أمر الزواج الذى طلبته وأ كد لي أن الأسرة شاكرتني تشريفها بهذه العناية . فسررت من كلامه كل السرور وقت له : « متى كانت الحقيقة كيكلك فان بقية الأمر تصبح في نهاية السهولة »

ثم تكلم عن اختلاف الجنس والدين وأشار إلى أنه لا بد من إتمام الطقوس في الكنيسة فلم أبد على ذلك أقل اعتراض ، ولكنى سأته : ما هي هذه

بأنها غيرت اعتقادها ؟ « قلت : « اني أحنى دينها ونفسيها وألبيها ملادة وأنص على وجهها برعا نصير مسلمة »

قال محمد بك : ليف الله عنا ! يظهر أن حاجي يا أصيب بالجنون

وقال السفير : « لقد خدعك الشيطان يا حاجي يا ألم بك ما وجدته من حب زيف وشكر ليب »

وقال محمد بك : « صدق يا حاجي يا : لو لمحت هذه الأمانة فأنك تفتى بها طول عمرك . أليس في فارس فتيات يصلحن للزواج ؟ »

قلت : « نعم ولكن ليس عندهن من المال مثل الذى عند الفتيات في هذه البلاد » فصاح السفير : « المال ! هل عند خيليتك مال ! »

قلت : « نعم » فسألني الرجلان في وقت واحد عن مقلده

قلت : « مائة ألف جنيه » فقال السفير : « والله والله ان هذه صفقة رابحة يا حاجي يا . في أى شارع تبهم وما رقم منزلها ؟ »

وقال محمد بك وهو يتهدد : « وهل في البلاد فتيات كثيرات يمكن مثل هذا التندر من المال ؟ »

قلت : « إن الجزء الأعظم من فتيات الفرنجستان يملك الأموال الطائلة لأن الآباء هنا يسنون بالبنات مثل عنايتهم بالبنين »

عاد محمد بك إلى تهدد وقال : إن المال أنفس شئ في الحياة . فقال له السفير : « أهكذا أيها الفلاس الخاسر تنير رأيك على عمل لأنك سمعت ذكر النفود ؟ هل النفود جميل النصرانية في حكم بنات الاسلام »

أني فحمت الإشارة وأني لأأرض في ذلك ولكني
أطلب مهلة للتفكير

فلم لينصرف ولكنه عد للكلام وكأنه ذكر
شيئا هاما وقال : « أنت تعرف أن الأب يريد
الاطمئنان على مستقبل بنته . ولذلك كان من حقه
أن يتحرى بكل وسيلة . وقد أرسل إلى رجل يرافقك
فجاءه هذا الخطاب وأنا أطمك عليه وأرجو إن
كانت عندك ملاحظة عليه أن تبديها وستنظر في ذلك
نظرة اعتبار وقدبر . وهذا هو الخطاب »

فأخفته متعملا كانت فيه كلمات كثيرة لأعرف
مستأها فقد نسخته لأخضعه مع البواب الانكليزي
فيا بعد . وهذه صورة الخطاب :

إلى المستر الكسندر هوج :

تشرفت بتسلم خطابك الذي تسألني فيه عما إذا
كنت أعرف البرنس حاجي بابا ، وعما إذا كنت
أستطيع إخبارك من إرادته وعما يملكه وعما إذا
كانت مملو ما من أخلاق الفارسيين وعوايدهم تكفي
لتشجيعك على تزويج كريمتك من رجل فارسي

وإني أشكر لك حسن ظنك . أما عن السؤال
الأول فإن حاجي بابا ليس أميرا ولكنه ابن حلاق
في أسفهان . وأما عن السؤال الثاني فإنه لا يملك
شيئا غير الثياب التي على جسمه . وأما عن السؤال
الثالث فلا أرى لك أن تزوج كريمتك من رجل
فارسي ، وقد أكون غلطاً ، ولكنك على كل حال
تسألني عن رأيي . فالرأى في فارس ليس لما أرى
حتى معترف به ^(١) ولا تسلم في يوم من الأيام من

(١) لذكر الفارسي أن هذه الرواية كتبت منذ مائة عام

الطقوس قديمة أم هم يتأدون على في الكنيسة كما
تفادى نحن في فارس على الخليل التي تبايع بالزاد ثم
أحصل على شهادة خاصة من بعض الأطباء ثم أذهب
إلى الكنيسة مع قريبته فأنصت في أسبوعها خائفاً من
الذهب وإذا تم ذلك لم يبق إلا أن نتبذ عن وجوه
الناس مدة شهر كامل ثم نعود زوجين

بعد أن سمعت ذلك حاولت إقناعه بأن الزواج
وفق عوائدنا أسهل ، وأكثرت له أنني لا أريد أن
يسعد الزواج في مسجد لأن ذلك ليس من عوائدنا
بل يتقابل وكلي ووكيها مع الشهود في أي مكان
ومتى تم الاتفاق بين الوكيلين يأتي أصحاب الزوج
به راكبا جوادا . وقلت له إنني أعدلت النضر الأخير
خاتني العروس راكبة عربية

فلم يظهر على الشاب الرضى عن هذا الاقتراح
وقال لي إن أبا الفداء سيهبط بنا كبرا من المال
وأنه يريد أن يرف عمتكافي وإرادى . وعند هذا
السؤال تذكرت أنني لم أتزوج للمرة الأولى في
فارس من شكريب كذبت على أهل زوجتي فقلت
لهم : إنني أملك كيت وكيت بما لست أملك في الواقع
شيئا منه . ورأيت نتائج الكذب في هذا الموضوع
سيئة المواقب جدا . ولذلك سمعت على علم
التسرع الآن بما قد يكون سيئ النتائج في الهند

وبالرغم من شدة رغبتي في هذه الزيجة فقد ظنت
إذ لا بد من التفكير بصفة جدية فيما أحسب به .
وقلت : « إنني راغب في هذه اللصاهرة أشد الرغبة
ولكن الأمر جدي ولا بد فيه من التروي والتفكير
فأهاجر بأنه لا بد من احتياق لدين المسيحي ، فأريته

وبعد أن أرسلت هذا الخطاب إلى المستر هوج
شعرت براحة الضمير وعزمت على إقناع السفير بأنه
إن كانت سمعة الفارسيين قد ساءت في هذه البلاد
الأجنبية فإن ذلك ليس نتيجة لتطلي بل هو نتيجة
لقسور المترجم
وقد اقترح السفير بذلك فيما بعد وطالب المترجم
ولكن هذا اللعين كان في كل يوم يحتلق عذراً
جديداً عن كتابة هذا الخطاب

(يحيى) عبد اللطيف النشار

آلام التيرة والغضب والانتقام التي يصب الزوج
جامها على رأسها. وإن الخلق الأساسي في بلاد الشرق
إنما هو الاستبداد. ويحتاج حاجي إلى نفسه عن أكثر
جنسه بسمة المبدؤدماة الخلق وسرعة انفعهم ولكنه
فقير مسرف. والفقر أساس كل رذيلة إن كان
مصحوباً بالاسراف. وإن كثيراً من الرذائل التي
تقدم ذكرها موجودة هنا بين بعض الانكليز كما هو
موجود في فارس، ولكن الأمر نسي
ومع ذلك فقد أعربت عن رأيي والرأي لك
مترجم السفارة الفارسية

وبعد أن نسخت صورة الخطاب دفنته إليه
فاستأنف وانصرف. وذهبت إلى البواب الانكليزي
فقرأت معه الخطاب وأخفى منه حرقاً فغضبته
وكتبت هذا الخطاب باللغة الانكليزية إلى المستر هوج:
صديق العزيز

أقسم بشرى أن مترجم السفارة رجل سيء.
لأنه يكتب خطاباً كهذا كاذباً؟ لقد قال لي ابن حلاق
رفقد كنت كذلك في وقت من الأوقات ولكنني
الآن ميرزا... لأنه يكتب إنني؟ يقول إنني لأنك
غير ثيابي... ما شاء الله! إن الشاه غني وأنا من
أتباع الشاه وهذا يعني... ما الذي يريده المترجم
غير ذلك؟ لقد كتب على الفارسيين وشتم نساءهم
فأين رأى امرأة فارسية حتى يحكم عليها؟ إن نساءنا
محتجبات وهو يشتم كل الرجال الفارسيين ولكن
هذه أكذوبة أخرى
سلاي إليك وإلى أهل منزلك

حاجي بابا

إشترك الصيف

قبل إدارة الرسالة والرواية إشترك الشهري
في المجلدين أو في العددين من على حضرات القراء
في راحة الصيف ومقرار الإشترك في الرسالة
أربعة قروسمه وفي الرواية قرسمه نرفع سلفاً

العدد الممتاز

أعدنا طبع العدد ٢٦ وهو العدد المجري
للمتاز فن أراد اقتناءه فليطلبه من إدارة الرسالة
بالسر السادي وهو عشرة مليات غير أجره. بريد

FIN

DU

DOCUMENT

الرسالة

مجلة لجمعية القلم والى

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

صل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : معبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء اساليب البلاغة العربية

—

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

—

الاشتراك السنوي ٢٠ ٪ والخاص ما يلاوى جنبها مصرًا ، والبلاد العربية بنظم ٢٠ ٪

المروية

مجلة أسبوعية للفقه والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

1938

Volume 1